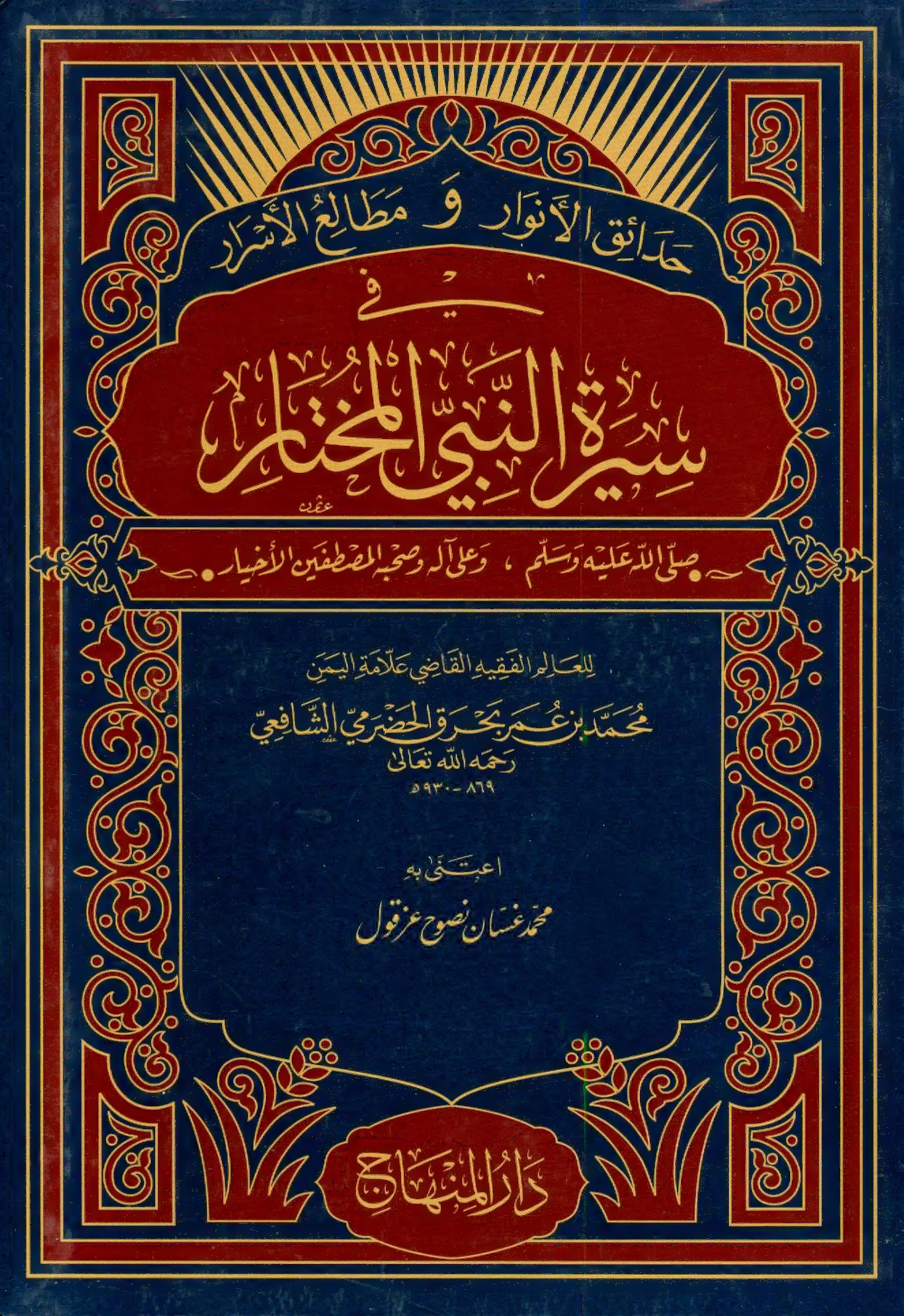


حدائق الأنوار ومطالع الأسرار
في
سيرة النبي المختار
صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار .
للعالم الفقيه القاضي علامة اليمن
محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي
رحمه الله تعالى
٨٦٩ - ٩٣٠ هـ
اعتنى به
محمد غسان نصوح عزقول
دار المنهاج

حدائق الأنوار ومطالع الأسرار

في

سيرة النبي المختار

• صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار •

المسمى

تبصرة الحضرة الأحمدية الشاهية بسيرة الحضرة الأحمدية النبوية

للعالم الفقيه القاضي علامة اليمن

محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي

رحمه الله تعالى

٨٦٩ - ٩٣٠هـ

عُني به

محمد غسان نصوح عزقول



الطّبْعَة الرّابعَة

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

اسم الكتاب : حدائق الأنوار ومطالع الأسرار

المؤلف : الإمام بحرق (ت ٩٣٠ هـ)

الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات

موضوع الكتاب : سيرة نبوية

مقاس الكتاب : (٢٤ سم)

تصنيف ديوي الموضوعي : (٢٥٨,٣)

عدد الأجزاء : (١)

عدد المجلَّدات : (١)

نوع الورق : أبيض

نوع التجليد : مجلَّد فلكسي

عدد الصفحات : (٥٩٢ صفحة)

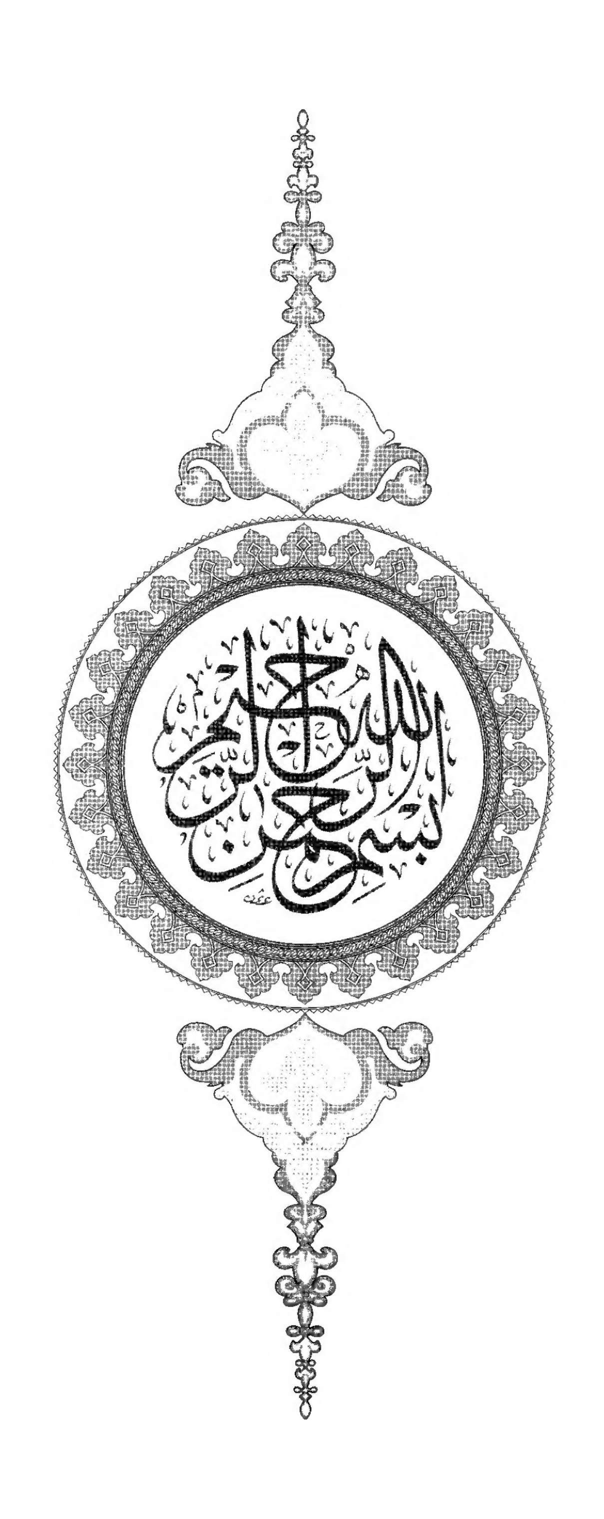
عدد ألوان الطباعة : لون واحد

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني



الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 498 - 71 - 3


بسم الله الرحمن الرحيم



دار المنهاج
لبنان ـ بيروت
هاتف : 806906 05 ـ فاكس : 813906 05

دار المنهاج للنشر والتوزيع
لصاحبها عمر سالم باجخيف
وفقه الله تعالى

المملكة العربية السعودية ـ جدة
حي الكندرة ـ شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون
هاتف رئيسي 6326666 ـ الإدارة 6300655
المكتبة 6322471 ـ فاكس 6320392
ص . ب 22943 ـ جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب
عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين
عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com
E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة
مكتبة دار كنوز المعرفة
هاتف 6570628 ـ 6510421

مكة المكرمة
مكتبة الأسدي
هاتف 5570506 ـ 5273037

مكة المكرمة
مكتبة نزار الباز
هاتف 5473838 ـ فاكس 5473939

المدينة المنورة
دار البدوي
هاتف 0503000240

المدينة المنورة
مكتبة الزمان
هاتف 8366666 ـ فاكس 8383226

الطائف
مكتبة المزيني
هاتف 7365852

الدمام
مكتبة المتنبي
هاتف 8344946 ـ فاكس 8432794

الرياض
دار التدمرية
هاتف 4924706 ـ فاكس 4937130

الرياض
مكتبة الرشد
هاتف 2051500 ـ فاكس 2253864

الرياض
مكتبة جرير
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
هاتف 4626000 ـ فاكس 4656363

الرياض
مكتبة العبيكان
وجميع فروعها داخل المملكة
هاتف 4654424 ـ فاكس 2011913

دولة قطر

مكتبة الثقافة ـ الدوحة

هاتف 44421132 ـ فاكس 44421131

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس ـ عمّان

هاتف 4653390 ـ فاكس 4653380

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم ـ دمشق

هاتف 2235402 ـ فاكس 2242340

جمهورية العراق

مكتبة دار الميثاق ـ الموصل

هاتف 7704116177 ـ فانوس 7481732016

جمهورية الجزائر

دار البصائر ـ الجزائر

هاتف 021773627 ـ فاكس 021773625

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر ـ مقديشو

هاتف 002525911310

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية ـ سوروبايا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

ماليزيا

مكتبة توء كنالي ـ كوالا لمبور

هاتف 00601115726830

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا ـ باريس

هاتف 0148052928 ـ فاكس 0148052997

انكلترا

دار مكة العالمية ـ برمنجهام

هاتف 01217739309 ـ جوال 07533177345

فاكس 01217723600

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد ـ إستانبول

هاتف 02126381633 ـ فاكس 02126381700

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكناؤ

هاتف 00919198621671

جميع إصداراتنا متوفرة على



موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com



موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

www.furat.com

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة لا بُدّ منها

الحمد لله الَّذي أكرمَ هٰذه الأُمَّةَ بالخيريَّة ، فكانت خيرَ أُمَّةٍ أُخرجت للنّاس . والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيّد الجِنِّ والنّاس ؛ سيّدنا محمَّدٍ ، وعلىٰ آله وأَصحابه المطهَّرين عن الأَدناس . وبعد :

فإِنَّنا ـ وبين كتابنا هٰذا ـ هناك الكثير من الأُمور الَّتي قابلَتْنا ، والشّؤون والشُّجون الَّتي ٱعترضَتْنا ، والَّتي تُحَتِّمُ علينا لِزاماً التَّوضيح والتّبيان .

فبعدَ أَنْ فرَغنا من تحقيق هٰذا الكتاب المبارك ، الَّذي نقدِّمه للقارئ الكريم ، والَّذي أَخذ من الوقت والجُهد ما اللهُ به عليم ، وأَصبح في مراحله النِّهائيَة ـ البروفة الأَخيرة ـ فوجئنا وعند مراجعتنا لبعض الأَحداث الواردة فيه ، علىٰ كتابٍ آخرَ مطبوعٍ تحت ٱسم « حدائق الأَنوار » لابن الدَّيْبَع ، حقَّقه الشَّيخ عبد الله الأَنصاريّ ـ علىٰ الجميع رحمَةُ الله ـ فلاحظنا بعض التَّشابه في الكتابة بين الكتابين لنفس الحادثة ، فظننّا أَنَّهُ من باب سقوط الحافر علىٰ الحافر ، فأَخذنا جزيئةً أُخرىٰ من الكتاب ، فوجدنا أَنَّ النَّصَّ هُوَ هُوَ .

عندها كان لا بدَّ لنا من زيادة الاهتمام والبحث في الموضوع ، فعدنا إِلىٰ أَوَّل الكتاب ، فوجدنا أَنَّ الكتابَ هو نفسُ الكتاب ، والفرق فقط هو في ٱسم المؤلِّف ، والَّذي حقَّقه الشَّيخ الأَنصاريّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ معتمداً نسخةً خطيَّةً من مجموعٍ به عدَّة كتب أَكثرها لابن الدَّيبَع ، وأَنَّ هٰذا الكتاب قد نُسِبَ في المخطوط المذكور لابن الدَّيْبَع .

مع العلم بأَنَّ الشَّيخ الأَنصاريَّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ عندما ترجمَ لابن الدَّيْبَع وٱستعرضَ مؤلَّفاته ذكرَ أَنَّهُ لم يجد ممَّن ترجمَ له ذَكرَ كتابَ سيرته هٰذا ، وعلَّلَ ذٰلكَ بأَنَّ مترجميه قد أَغفلوا هٰذا الكتاب ، أَو لم يشتهر أَمره . وأَضافَ قائلاً : (ونرجو من الله أَنْ يوفِّقنا لجمع معلوماتٍ تُفيدُنا أَكثرَ في توثيق هٰذه السّيرة وصِلتِها بٱبن الدَّيْبَع في المستقبل ، ممّا سيجتمعُ إِلينا من آراء القرّاء الكرام الَّتي نأمَلُ أَن يوافونا بها ، وبما سنتوصَّلُ إِليه في المستقبل إِنْ شاء اللهُ) .

بل إِنَّ المخطوط الَّذي ٱعتمدَهُ الأَنصاريّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ قد ٱعتراهُ نقصٌ في بعض الأَسطر في بداية الكتاب ، والمذكور فيها ـ أَي : في المخطوطَيْنِ المعتمدَيْنِ لدينا ـ ٱسم الكتاب وأَنّه مُهدىٰ لأَحد ملوك الهند . وقد صرَّح ـ رحمَهُ اللهُ ـ بذٰلك ـ مُشيراً إِلىٰ مواضع النَّقص ـ قائلاً : (فالبياضُ في الموضع الأَوَّل أَخفىٰ عنّا معرفةَ الملِك الَّذي قدَّمَ إِليه ـ المؤلِّفُ ـ هٰذا الكتابَ ووسمَهُ بٱسمِهِ

ورسمَهُ برسمِهِ ، والبياضُ في الموضع الثّاني حجبَ عنّا معرفةَ ٱسم الكتاب علىٰ وجه التَّحقيق والتّأكيد) .

ومع هٰذا كلِّه نرىٰ أَنَّ الأَنصاريّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ قد ذكر أَثناء وصفه للمخطوط الَّذي ٱعتمدَهُ ـ والَّذي هو ضمن مجموعٍ لكُتُبٍ أُخرىٰ لابن الدَّيْبَع ـ فقال : (عنوانُ الكتاب معلَّقٌ بخطِّ الثُّلث الجميل . وأُرجِّحُ أَنَّ هٰذه العنونة مستحدثة ، يعود تاريخ كتابتها إلىٰ زمنٍ متأَخِّرٍ عن زمن نَسْخِها) .

ولعلَّ التَّشابُهَ في بعض الأُمور قد أَوصلَ الأَنصاريَّ ـ رحمهُ اللهُ ـ إلىٰ ما وصل إليه .

وكم كُنّا نأمَلُ أَن يكون الشَّيخ الأَنصاريّ بين ظهرانينا ليطَّلِعَ علىٰ ما توصَّلنا إليه من معلومات كانت ستُثلج صدره وتقرّ بها عينه . عليه رحمَةُ الله[1] .

يَحْسُنُ بنا أَن نُشيرَ هنا إلىٰ أَنّنا قد أَطْلَعْنا العلاّمة الشَّيخ عبد الله بن محمَّد الحبشي علىٰ ما توصَّلنا إليه ، فتكرَّم بكتابة تمهيدٍ لهٰذا الكتاب المبارك ، ساهم في تبيان الحقيقة وإزالة اللَّبْس . فجزاهُ اللهُ عنَّا خيراً ، ووفَّقَهُ وسدَّد خُطاه .

وإنَّني وكلِّي فَرَحٌ وسرورٌ بهٰذا الاكتشاف الَّذي أَعادَ الحقوق لأَهلها ، وأَوضحَ أَمراً في غاية الأَهمّيَّة حول نسبة هٰذا الكتاب ، أَتوجَّهُ إلىٰ الله تعالىٰ أَن يكلِّلَ أَعمالنا ومساعينا وجميع أُمورنا بالتَّوفيق[2] .

ويحسُنُ بي أَيضاً أَن أُجري في هٰذه العُجالة مقارنةً بين طبعة الأَنصاريّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ وبين طبعتنا هذه ؛ ذاكِراً مميّزاتها :

١ ـ اِعتمد الأَنصاريّ علىٰ مخطوطٍ واحدٍ فقط ، فقالَ : (تعرَّضَ المجموعُ لعمل الأَرضة ، فأَحدثت فيه ثقوباً ٱخترقت المجموع من الغلاف إلىٰ الغلاف ، وأَحدثت فيه ضرراً بالغاً ، وأَتت علىٰ بعض الكلمات فٱقتطعتها) . وقد بذل ـ رحمَهُ اللهُ ـ جهداً كبيراً بإثبات النَّقص الَّذي أَصاب المخطوط ، مُعارِضاً الكتاب علىٰ أُصوله الَّتي نهلَ المؤلِّف منها ، مُجتهداً بتصويب التَّصحيف وإِصلاح الخلل ، وبما أَنَّه ٱعتمد علىٰ نسخةٍ ناقصةٍ وسقيمةٍ فلم تأتِ تصويباته كاملةً في معظم المواطن . بينما ٱعتمدنا نحن علىٰ مخطوطين كاملين ليس بهما أَيُّ نقصٍ أَو خرمٍ ، فجاء الكتاب أَكثر ضبطاً وأَقرب إلىٰ الصَّواب .

---

(١) كانت وفاة الشَّيخ عبد الله إبراهيم الأنصاريّ نهاية سنة ١٤١٠هـ . رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

(٢) كذٰلك ـ وقبل طبع هٰذا الكتاب المبارك ـ فإنَّنا قد ٱكتشفنا ما يزيل أَيَّ شكٍّ ربَّما يطرأُ ـ مع ما توفَّر من الأَدلَّة السّابقة ـ فقد عثرنا على كتاب « مولد النَّبيِّ ﷺ » للعلاَّمة (بحرق) محفوظاً في مكتبة الأَسد الوطنيَّة بدمشق ؛ من خلال ثلاث نسخ خطيَّة ، ذوات الأَرقام : (٨٥٧١) ، (١٠٧٩٩) ، (١١٣٧٢) ؛ وبعد ٱطلاعنا عليها وجدنا تطابقاً في بداية « المولد » مع فصل (خطبة في التَّعريف بمولده الشَّريف) من هذا الكتاب ، ص٥٣ وهٰذا التَّطابُق كلمة بكلمة وحرف بحرف ؛ ممَّا يؤكد دون أَدنى شكٍّ أَنَّ هٰذا الكتاب للعلاَّمة (بحرق) ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ ولله الحمد علىٰ ما أنعم وألهم . اهـ الناشر .

٢ ـ أَحال ـ رحمَهُ الله ـ نصوصَ الكتاب علىٰ أُصولها ما ٱستطاعَ ، وخرَّج معظم الأَحاديث فيه ، وقام بإتمام الأَخبار الَّتي ٱختصرها المؤلِّف ، ذاكِراً ذٰلك في الهامش ، ممّا زادَ في حجم الكتاب كثيراً ـ حتّىٰ وصل إِلىٰ ثلاثة مجلدات . بينما قمنا بإحالة نصوص الكتاب علىٰ مصادرها الأَصليّة ، وتخريج الأَحاديث كلِّها ، وذٰلك بشكلٍ مفيدٍ ومختصرٍ ، فجاءت طبعتنا في مجلدٍ واحدٍ . وقد ٱستفدنا من بعض تعليقاته فأَثبتناها بالهامش وميّزناها بـ (أَنصاريّ) .

٣ ـ ربَّما وجدنا تناقضاً لم يُجمع عليه أَهل السّير أَثناء معارضة الكتاب علىٰ مصادره ، فلم يعلِّق ـ رحمَهُ اللهُ ـ عليها بشيءٍ . بينما وجدنا من الأَمانة العلميَّة أَن نشير إِلىٰ ذٰلك بالهامش .

٤ ـ مرَّ معنا ـ في أَثناء الكتاب ـ بعض الرِّوايات الواهية السّاقطة سنداً ومتناً وعقلاً ونقلاً ـ كقصَّة زواج النَّبيِّ ﷺ بزينب بنت جحش ـ والَّتي وقعت في بعض كُتب القصص والتَّفسير والسِّيَر ، وقد تذرَّعَ بها أَعداء الإِسلام في التَّهجُّم علىٰ الإِسلام ونبيّه ، ونَسَجَ المستشرقون والمبشِّرون من هٰذه الرِّواية وغيرها أَثواباً من الكذب والخيال معتمدين بذٰلك علىٰ هٰذه الرِّوايات المُخْتَلَقة المدسوسة ـ عند أَئمَّة النَّقد وعلماء الرواية ـ فلم يشر الأَنصاريّ ـ رحمهُ اللهُ ـ إِلىٰ ذٰلك مطلقاً . فقمنا بالرَّد على هٰؤلاء في الأَماكن الَّتي تتطلَّبُ منّا ذٰلك .

٥ ـ أَجهد الأَنصاريُّ ـ رحمَهُ الله ـ نفسَهُ في صنع فهارس للكتاب ـ بلغت مجلّداً كاملاً !! ـ ممّا زاد في حجمه وثمنه ، ونرىٰ أَنَّ مثل هٰذه الكتب لا تحتاج إِلىٰ هٰذه الفهارس الكثيرة . وقد أشار إلى ذلك العلامة المحقق (عبد الفتاح أبو غدة) ـ رحمه الله تعالى ـ حول عدم جدوى هذه الفهارس مقارنة بالوقت الذي تستهلكه[1] .

---

(١) قال العلاَّمة المحقِّق (عبد الفتّاح أَبو غدَّة) ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في كتابه « الانتقاء في فضل الأَئمَّة الثَّلاثة الفقهاء » ، ص٣٥٢ ؛ تحت عنوان (حول صنع الفهارس للكتب المطبوعة وذهاب الوقت الثمين بها) :
جرت العادة في الأَيّام الأَخيرة أَن يُصنعَ للكتاب الكبير أَو النَّفيس الخطير فهارس عامَّة ، حتّىٰ يَسهُل الاتصالُ بمعلوماته دون عناءٍ طويلٍ وتردُّدٍ كثيرٍ بين صفحاته للوصول إلى طِلبة الباحث ، وفي ذلك نفع مشهودٌ وضبطٌ تامٌّ لأطراف المعلومات فتصاب لراغبها بأَقصر الطُّرق وأَقل الوقت .
ولٰكن هٰذا العمل فيه بذل جهدٍ كبيرٍ ، وتحمُّلُ مشقّاتٍ كثيرةٍ ؛ فقد صار نوعاً من أَنواع التأليف ، والإِتقانُ فيه صعبٌ وَعِرٌ ، ويَحتاجُ إِلى حَبْسِ النَّفس عليه مدَّةً طويلةً ، ولِذا يتردَّد طالبُ العلم بين الإِقدام عليه لتقريبه المطلوب بيُسرٍ وسهولةٍ ، والإِحجام عنه لِمَا يأكل من الذهن والزَّمن في معاناة ضبط الأَسماء وتمييزها ، وتصنيفها وعدم تعدُّدها أَو تداخلها سهواً وخطأً .
وقد تردَّدتُ كثيراً في صَنع فهارس هٰذا الكتاب نظراً لِما يذهب من الوقت في تأليف فهارسه وضبطها وإتقانها . . ، فقد أَخذ منّي صُنعُ هٰذه الفهارس وضبطُها ، ومقابلتُها بالكتاب أَكثرَ من ثلاثة أَشهر مع بعض أَعمال صغرىٰ خفيفة ، فتمنَّيتُ لو كنتُ صرفتُ ذٰلك الزَّمن في خدمة كتاب اخر ، ولكن ما كلُّ الأَماني تُرتضىٰ !
قال الأَخ الفاضل الأُستاذ المحقِّق محمود الطّناحي ، في كتابه النَّفيس « مدخل إِلىٰ تاريخ نشر التراث » في ص ٧٤ ، بعد أن أَشار إِلى فضل الأُستاذ الشيخ محمَّد محيي الدّين عبد الحميد ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيما نشره وحقَّقه من الكتب ، وبعد ذِكرِه ما ٱنتُقِد على الشَّيخ في إغفاله صنع الفهارس لكتبه النَّضِرة الميسَّرة ، =

فلم نعمد في عملنا هٰذا إلىٰ صناعة الفهارس ، سيَّما وأَنَّنا فَصَلْنا بين مواضيع الكتاب المتتابعة ووضعناها علىٰ هامش الكتاب . ولم نُدخلها في نصِّ المؤلِّف ـ كما يفعل بعض المحقِّقين ـ كيلا يتوهَّم القارئ الكريم أَنَّها من صُنع المؤلِّف ، وأَيضا من باب التّأدُّب مع الأَئمَّة السّابقين بالمحافظة علىٰ مصنَّفاتهم . وبالتالي أَصبح تناول الكتاب سهلاً وممتعاً .

٦ ـ أَلحقنا بالكتاب ثبتاً ضمَّنّاه أَهمَّ أَحداث السِّيرة النَّبويَّة العطرة والتشريعات ونحو ذٰلك ، وأَحلناها إلىٰ مكان وجودها في صفحات الكتاب . أَمَّا الحدث الَّذي لم يرد بعده رقمٌ يشيرُ إلىٰ مكان وجودِهِ داخل الكتاب ؛ فَلْيُعْلَمْ أَنَّ المؤلِّف ـ رحمَهُ اللهُ ـ لم يذكره . وإِنَّما ذكرناه إِتماماً للفائدة والنَّفع . كما أَلحقنا به أَيضاً بعض المصوَّرات والمخطَّطات الملوَّنة الَّتي تُعين علىٰ فهم بعض أَحداث السِّيرة النَّبويَّة الشَّريفة .

وفي الختام : نسألُ اللهَ أَن يجعلَ نيّاتِنا ومقاصِدَنا له وحده سبحانه ، خالصةً لوجهه الكريم . وأَن يعمّ النَّفع بهٰذا الكتاب الأُمَّة المحمَّديَّة في مشارق الأَرض ومغاربها ، وأَن يجزيَ القائمين علىٰ هٰذا العمل ، وكلّ من شارك أَو ساعد في إِخراج هٰذا الكتاب خير الجزاء ، إِنَّه سميعٌ مجيبٌ . وصلَىٰ اللهُ علىٰ سيّدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم . وآخر دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالَمين .

الناشر

= وحدّثني الأُستاذ فؤاد سيّد ؛ عالمُ المخطوطات بدار الكتب المصريَّة رحمَهُ اللهُ تعالىٰ قال : سألتُ ذات يوم الشَّيخ محيي الدّين عبد الحميد : لماذا لا تهتمّ بفهرسة ما تَنْشُرُ يا مولانا ؟! فأَجاب : أَمِنْ أَجْلِ خمسةَ عشر مستشرقاً أُضيّعُ وقتاً هو أَولىٰ بأَن يُصرفَ إِلىٰ تحقيق كتاب جديد ؟!! وقد صَدق الشيخ فإِنَّها تذهب بالوقت الثَّمين ، ولا يَشعُر به القارئ .

تمهيد

بقلم : عبد الله بن محمد الحبشي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالَمين ، وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم . أمّا بعد :

فأَطلعني الأُستاذ عمر سالم باجخيف ـ الناشر لهذا الكتاب المبارك ـ علىٰ مخطوطتين من هٰذا الكتاب القيّم . كِلاهما تحمل آسم العلاّمة المتبحِّر الكبير (محمَّد بن عمر بحرق الحضرميّ) المتوفّىٰ سنة ٩٣٠هـ .

وفي كلتيهما ما لا يدعُ مجالاً للشَّكِّ في نسبة الكتاب للمذكور .

ويصدق القول في ذٰلكَ الإهداءُ الَّذي صدَّر المؤلِّفُ مقدّمته بهِ ، وهو إلىٰ سُلطان الهند العالِم (شمسُ الدّين مظفَّر بن محمود شاه) ؛ ممّا يُعطي دليلاً آخرَ إلىٰ نسبة الكتاب إلىٰ (بحرق) ، حيث إنَّ المذكور دخل الهند وآستوطنَ بها ، وكانَ ممّا أَتحفَ به هٰذا الملك كتابنا هذا ، لشغف المذكور بالعلم وأَهله وتقريب العلماء .

وقد أشار إلىٰ صلة المؤلِّف بالمذكور صاحب « النّور السّافر » ؛ فقال : (ولمّا عزمَ إلىٰ الهند ، ووفدَ علىٰ السُّلطان مظفَّر ، فقرَّبَهُ السُّلطانُ وعظَّمَهُ ؛ ولمّا خَبرَ عِلمَهُ وفضلَهُ زادَ في تعظيمه وتبجيله ، وأَنزله المنزلة الَّتي تليقُ به)[1] .

ويزيدنا إِيضاحاً حول هٰذا الموضوع العلاّمة (عبد الحيّ اللكنوي) ، صاحب كتاب « نزهة الخواطر » ؛ يقول في أَثناء كلامه حول دخول العلاّمة (بحرق) الهند : (ووفدَ علىٰ سُلطانها (مظفَّر بن محمود بيكره) ـ بايقرا ـ ، فعظَّمَهُ وقام به ، وقدَّمَهُ ووسَّع عليه ، وآلتفت إِليه وأَدناه منه ، وأَخذ عنه ؛ فاشتهر بجاهه ، وصنَّف له « تبصرة الحضرة الشّاهيَّة الأَحمديَّة بسيرة الحضرة النَّبويَّة الأَحمديَّة »[2] .

(*) باحث يمني ، يعمل حالياً في (المجمَّع الثقافي) بأبو ظبي .

(١) تاريخ النّور السّافر عن أخبار القرن العاشر ، ص١٣٦ .

(٢) نزهة الخواطر ، ج٤/٣٠٦ .

فدلَّنا جميع هذا . . علىٰ صحّة نسبة الكتاب إلىٰ علاّمتنا (بحرق) . وبدليل أَنَّ جميع المخطوطات الموجودة تحمِلُ ٱسمَ العلاّمة (بحرق) .

ولكن يُشكِّكُ علىٰ ذٰلك التّواتر ، ويجعل هناك في نفس الباحث بعض السُّؤال أَنَّ النُّسخة المطبوعة من هٰذا الكتاب تحمِلُ ٱسمَ العلاّمة المحدِّث (أَبو محمَّد عبد الرحمٰن بن عليّ ابن الدَّيْبَع الزّبيديّ) المتوفّىٰ سنة ٩٤٤هـ . وقد قام بنشرها في سنة ١٤٠٣هـ العلاّمة الفاضل (عبد الله بن إبراهيم الأَنصاريّ) ، وقد بذلَ في تحقيقها جهداً يُشكر عليه ؛ إلاَّ أَنَّهُ لم يرجع في تحقيق المخطوطة إلاّ إلىٰ نسخةٍ واحدةٍ ، وأَوحىٰ كلامهُ في المقدّمة إلىٰ الشَّكِّ في نسبة الكتاب إلىٰ (ابن الدَّيْبَع) المذكور فقال : (ولم أَجد أَحداً ممَّن ترجمَهُ قد ذَكَرَ كتابَ سيرته « حدائق الأَنوار ومطالع الأَسرار » ، ولعلَّ هٰذا الكتاب قد غفل عن ذكره مترجموه ، أَو لم يشتهر أَمرُه) .

قُلْتُ : والرُّجوع في تحقيق كتابٍ مثل هٰذا إلىٰ مخطوطةٍ واحدةٍ لا يخلو من بعض المجازفة ، إضافةً علىٰ ذٰلك سقم النُّسخة الَّتي رَجَعَ إليها علاّمتنا (الأَنصاريّ) ـ رحمَهُ اللهُ ـ وكما أَشار إلىٰ ذٰلك هو بنفسه .

ولكن تبقىٰ أَمامنا الحقيقة الماثلة ، وهي أَنَّ جميع المخطوطات المتوفِّرة لدينا الآن تُجْمِعُ علىٰ نسبة الكتاب إلىٰ العلاّمة (بحرق) ، باستثناء تلك النُّسخة السَّقيمة الَّتي رَجَعَ إليها (الأَنصاريّ) ، والَّتي تشير إلىٰ نسبة تأليفها إلىٰ (ابن الدَّيْبَع) .

ولا يخلو الأَمر من أَنَّ هناك يداً عابثةً أَو تعمُّداً أَدخل تلك النّسبة إلىٰ المخطوطة المذكورة ، حيث إنَّ هناك أَسطر بقيت فارغة ، تركَ فيها ناسخها عنوان الكتاب وٱسم المهدىٰ إليه الكتاب المذكور ؛ وهو سُلطان الهند ، الَّذي اتَّصل به العلاّمة (بحرق) وٱجتمع به ، ولا يُعْرَفُ لابن الدَّيْبَع رحلة إلىٰ الهند ، بل بقي أَثرٌ من ٱسم المهدىٰ إليه في الأَبيات الَّتي أَوردها المؤلِّف في مدح السُّلطان المذكور ، وهي قوله :

فَأَحْمَدُ أَسْمىٰ مَنْ بَنىٰ ٱسماً وَكُنْيَةً ... وَفِعْلاً وَوَصْفاً مُلْكُهُ مِنْ أَساسِهِ
شِهابٌ فَخُذْ مِنْ عِلْمِهِ وَٱقتِباسِهِ ... سَنا النّورِ وَٱخشَ النّارَ في وَقْتِ باسِهِ

إلىٰ قوله :

فَلا زالَ مَحْموداً حَميداً مُظَفَّراً ... شِهاباً عَلىٰ أَعدائِهِ كَأُناسِهِ

وأَيضاً بقيَّةٌ من ٱسم الكتاب ، حيثُ جاء في طبعة (الأَنصاريّ) قوله : (فوسمتُ بٱسمه هٰذا الكتابَ الكريمَ ، ورسمتُهُ برسمِهِ . . . فسمَّيتهُ تبصرة ـ (في مطبوعة الأَنصاريّ بصيرة . . خطأً) ـ

الحضرة ، ثمَّ تأتي نقط في المطبوعة هي موضع السّقط المتعمَّد من قبل النّاسخ أَو غيره .

وإِذا كان طرأ التشكيك ـ عند من يرىٰ هذا ـ في نسبة الكتاب إِلىٰ (بحرق) ، فإِنَّ العنوان كذٰلك يختلفُ عمّا أَوردَهُ العلاّمة (العيدروس) في « النّور السّافر » ، حيث ذكر أَنَّ عنوانه هو كتاب « تبصرة الحضرة الشّاهيَّة الأَحمديَّة بسيرة الحضرة النَّبويَّة الأَحمديَّة »[1] .

وأَيَّدَ هٰذا المؤلِّف نفسه ، حيثُ نصَّ صراحةً علىٰ هٰذا العنوان في مقدّمة كتابه فقال : (فوسمتُ باسمه هٰذا الكتابَ الكريمَ ، ورسمتُهُ برسمِهِ ، وإِنَّه بسم اللهِ الرَّحمٰن الرَّحيم ؛ فسمَّيتُهُ : « تبصرة الحضرة الأَحمديَّة الشّاهيَّة بسيرة الحضرة الأَحمديَّة النَّبويَّة » .

ولكنَّ المخطوطات الَّتي بأَيدينا تحملُ عنوانا مُغايراً للعنوان الَّذي ٱرتضاهُ المؤلِّف ، بما فيها تلك المخطوطات الَّتي نصَّ فيها المؤلِّفُ علىٰ عنوانه الأَوّل . وهٰذا يدخل أَيضاً في باب الاستفهام حول العنوان والمؤلِّف ، ولكن يقع لبعض المؤلِّفين أَن يغيّروا في أَسماء كتبهم ، بل وفي المؤلّفات نفسها ؛ إِمّا بالزّيادة أَو النّقصان ، ولا يستبعد أَن العلاّمة (بحرق) ـ رحمَهُ اللهُ ـ لمّا كتبَ كتابَهُ أَوَّل مرَّةٍ وأَهداه إِلىٰ السُّلطان السّابق ذِكْرُه جعله يحمل ٱسمه ، لشرف هٰذا السُّلطان وورعه ، حيثُ عُرِفَ عند من ترجم له بالصَّلاح وكثرة العبادة ، ولكن رأىٰ بعد ذٰلك تكريماً للمقام الشَّريف أَن يحمل عنواناً آخرَ يتناسب مع عظيم الموضوع ، ومع أَذواق طلبة العلم ، فأَسماه : « حدائق الأَنوار ومطالع الأَسرار في سيرة النَّبيِّ المختار ﷺ » .

وهو الاسم الَّذي تحمله طبعتنا هٰذه وطبعة الشَّيخ (الأَنصاريِّ) ـ رحمَهُ اللهُ ـ

وهٰذا ما أَردنا التَّنبيه عليه ، وفوق كلِّ ذي علمٍ عليم . . .

عبد الله بن محمد الحبشي
أَبو ظبي
في ٢٥/٧/١٤١٨هـ
٢٥/١١/١٩٩٧م

---

(١) تاريخ النّور السّافر عن أَخبار القرن العاشر ، ص١٣٦ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة التّحقيق

إنَّ الحمدَ لله نحمدهُ ، ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله مِنْ شُرور أَنفسنا ، ومن سيّئات أَعمالنا ، مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ ، ومَنْ يُضلِلِ فلا هاديَ لَهُ .

وأَشهدُ أَن لا إِلٰه إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ . وأَشهدُ أَنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ١] .

﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٧١ ـ ٧٢] .

أَمّا بعد :

فإِنَّ خيرَ ما يتدارسهُ النّاشئة وطُلاّب العلم ، ويُعنىٰ به الباحثون والمؤلِّفون دراسة السِّيرة النَّبويَّة ، إذ هيَ خيرُ وسيلةٍ للتَّعلُّم والتَّهذيب والتَّأديب ، وفيها ما يرجوهُ المؤمن من دينٍ ودنيا ، وعلمٍ وعملٍ ، وآدابٍ وأَخلاقٍ ، ورحمةٍ وعدلٍ ، وجهادٍ وٱستشهادٍ في سبيل الله ، ثمَّ نشر العقيدة والشَّريعة ، والقِيَم الإنسانيَّة النَّبيلة .

إنَّ السّيرةَ النَّبويَّةَ نورٌ ساطعٌ وهّاجٌ ، أَفضىٰ إِلىٰ ظُلمات الجهل والوثنيَّة ، فٱنجابت كما ينجابُ الغمام ، وهُدىً مِنَ الله أَرسلَهُ إِلىٰ الإِنسانيَّة الضّالَّةِ ، فٱنتشلها من ضياعٍ ، وٱنتاشها مِنْ هلاكٍ ، وأَنقذها ممّا كانت تتخبَّطُ فيه من دياجير الظَّلام ، وعقابيل الضَّلال .

وإذا كانت السّيرة في اللُّغة بمعنىٰ : الطَّريقة والسُّنَّة ، فإِنَّها يُراد بها التَّعرُّف علىٰ حياة الرَّسول ﷺ قرّة العين وريحانة القلب ؛ منذ ظُهور الإِرهاصات الَّتي مهَّدت لرسالته ، وما سبقَ مولده مِنْ ظواهرَ وأَحداثٍ تلقي أَضواءً رحمانيَّةً علىٰ طريقة الدَّعوة المُحمَّديَّة ، ثمَّ مولده ﷺ ،

ونشأته حتّىٰ مبعثه ، وما جاء بعد ذٰلك مِنْ دعوة النّاس إلىٰ الدّين القيّم ، وما لقيَ ﷺ في سبيل نشر هٰذا الدّين من عَنَتٍ ومُعارضةٍ ، وما جرىٰ بينَهُ عليه الصّلاةُ والسّلامُ وبينَ مَنْ عارضوهُ مِنْ صراعٍ بالبيان والسِّنان ، وذكر من آستجابَ لَهُ ، حتّىٰ علت رايةُ الحقِّ ، وأَضاءت شعلةُ الإيمان .

تاريخ التّأليف في السّيرة وأَشهر كُتبها :

إنَّ أَوّل ما يلفتُ الانتباه في سِيَرِ الأنبياء أَنَّ السّيرة النّبويّة أَصحُّ سيرةٍ لتاريخ نبيٍّ مُرسَلٍ ، ولم نعرف علىٰ مدىٰ التّاريخ البشريّ كلِّه أُمّةً مِنْ أُمم الرُّسل عليهم الصّلاةُ والسّلامُ ، سعدت بمثل ما جاء في القرآن الكريم عن الرّسالة والرّسول ، ولا حظيت بمثل تلك المجموعة الثّمينة من الأَحاديث النّبويّة ، ذٰلك السّجل الخالد ، بل كانت هناك حلقاتٌ مفقودة في حياة رُسُلها ، لا يمكن البحث عنها ، والاهتداء إليها .

أَمّا خاتم الرُّسل محمّدٌ ﷺ فهو الرّسول الّذي نعرفُ عنه كلَّ دقيقٍ وجليلٍ ، ونعرفُ عنهُ مِنْ دقائق الأَخلاق والصِّفات ، والميول والرّغبات ، والقول والعمل ، ما لا نعرفه عن غيره من النّبيّين عليهم الصّلاةُ والسّلامُ .

ومن رحمةِ الله تعالىٰ أَنْ كانت هٰذه الأُمّة تملكُ قوّةَ الذّاكرة ، وسرعةَ الحفظ والاستظهار ، ممّا يسَّرَ لها الجمعَ والاستحضار ، ولا عجب في ذٰلك فقد بَهرهم الوحي بقوّة بيانه ، وأَخذ عليهم مشاعرهم بسطوة سلطانه ، وآستأثر بكريم مواهبهم في لفظه ومعناه ، فكانَ الحفظ في الصّدور ، والتّدوين في السُّطور ، وكانت الصّبغة الّتي شاء الله أَنْ تكون .

لقد آهتمَّ المسلمونَ الأَوائل آهتماماً كبيراً بأَحاديث رسول الله ﷺ وسننه الفعليّة والقوليّة ، قبل أَن تدوَّن الأَحاديث تدويناً عامّاً في آخر القرن الأَوّل الهجري ـ ولم يكُن قد دُوِّنَ في تاريخ العرب أَو السّيرة شيءٌ إلىٰ أَن مضت أَيّام الخلفاء الرّاشدين ـ فكتبَ الخليفة عُمر بن عبد العزيز إلىٰ عامله علىٰ المدينة أَبي بكر بن محمّد بن حزم ـ وهو من كبار المُحدِّثين ـ طالباً منه أَن يدوِّن أَحاديث رسول الله ﷺ في كتابٍ وزّعَهُ علىٰ البلاد الإسلاميّة .

وقد قامَ المُحدِّثون بعدها بجمع أَحاديث رسول الله ﷺ في كُتبٍ لا تلتزمُ منهجاً معيّناً في التّرتيب والتّصنيف ، ولم تخلُ كتبهم من ذكر ما يتعلّق بسيرة النّبيِّ ﷺ وحياته ومغازيه ومناقبه وما إلىٰ ذٰلك . وقد آستمرَّ هٰذا المنهج حتّىٰ بعد آنفصال السّيرة عن الأَحاديث في التّأليف .

ثمَّ صُنِّفت في السّيرة النّبويّة مصنّفاتٌ خاصّةٌ بها . وقد كان في مقدّمة المؤلّفين في السّيرة أَربعةٌ :

١ ـ عروة بن الزّبير (المتوفّىٰ سنة ٩٣هـ) ، وكان فقيهاً ، مُحدِّثاً ، عالِماً بالحديث ، معروفاً

بتدوينه العلم والحديث ، أَسلم قديماً ، وشهد الغزوات والمشاهد كلّها . ولم يصل كتابه إِلينا .

٢ ـ أَبان بن عُثمان بن عفّان (المتوفّىٰ سنة ١٠٥هـ) ، كان فقيهاً ، مُحدِّثاً . وقد كتبَ ما سمعَ من أَخبار السّيرة في مصنَّفٍ لم يصل إِلينا .

٣ ـ وهب بن مُنبِّه (المتوفّىٰ سنة ١١٤هـ) ، كانَ مؤرِّخاً ، وكانت لَهُ معرفةٌ بأَخبار الأَوائل ، وأَحوال الأُمم السّابقة . وقد أَكثر من الرّواية عن الإِسرائيليات .

٤ ـ شرحبيل بن سعد الخطمي المدني (المتوفّىٰ سنة ١٢٣هـ) ، كان عالِماً بالمغازي والبدرييّن .

ويعدُّ هٰؤلاء الأَربعة الطَّبقة الأُولىٰ الَّتي صنَّفت في السّيرة النَّبويَّة .

ثمَّ جاء بعدَ هٰؤلاء طبقةٌ أُخرىٰ ، عاشت في العصر الأُموي ، ٱشتهر منها في كتابة السّيرة النَّبويَّة ثلاثةٌ :

١ ـ عاصِم بن عُمر بن قَتادة (المتوفّىٰ سنة ١٢٠هـ) ، وهو راويةٌ للعلم ، عالِمٌ بالمغازي والسّيرة ، وقد أَمَرَهُ الخليفة عُمر بن عبد العزيز أَن يجلس في مسجد دمشق فيُحدِّث النّاس بالمغازي ومناقب الصَّحابة ، ففعل . وقد ٱعتمد ٱبن إِسحاق والواقدي علىٰ مصنَّفاته ، وجعلوها من مراجعهم المهمَّة .

٢ ـ محمَّد بن شهاب الزُّهريّ (المتوفّىٰ سنة ١٢٤هـ) ، عالِمٌ مُحدِّثٌ ، وهو أَوَّلُ من دوَّنَ الحديث ، وقيل : إِنَّ سيرته أَوّل سيرة صُنِّفت في الإِسلام ، وهيَ من أَوثق السِّيَر وأَفضلها ، وقد ٱعتمد ٱبن إِسحاق عليها في سيرته .

٣ ـ عبد الله بن أَبي بكر بن حزم الأَنصاريّ (المتوفّىٰ سنة ١٢٥هـ) ، وقد كان عالِماً ، مُحدِّثاً ، ثبتاً ، وكان من أَهل العلم والبصر ، وقد نُقِلَتْ عنه رواياتٌ كثيرةٌ ، ٱعتمدها ٱبن إِسحاق وٱبن سعدٍ والطَّبريُّ في كتبهم .

ثمَّ جاء بعد هٰؤلاء طبقةٌ أُخرىٰ ، عاشت في العصر العبّاسيّ الأَوّل ، وكان من أَشهرهم أَربعةٌ :

١ ـ موسىٰ بن عُقبة (المتوفّىٰ سنة ١٤١هـ) ، كان عالِماً بالسّيرة النَّبويَّة ، وقد صنَّف كتاباً في المغازي ، ٱعتمد عليه ٱبن سعدٍ والطَّبريُّ في كتبهم . ولم يصل كتابه إِلينا .

٢ ـ محمَّد بن إِسحاق المَطلبي (المتوفّىٰ سنة ١٥١هـ) ، وهو من أَصلٍ فارسيّ ، صنَّف كتابه « المغازي » بناءً علىٰ طلب الخليفة المنصور ، جمع فيه تاريخ الخليقَة من آدم عليه السَّلامُ إِلىٰ

زمنه ، وقد أَطال فيه فلم يرضَهُ المنصور وأَمره بآختصاره فآختصره . وهو أَوَّل كتابٍ وصل إِلينا .

٣ ـ مَعْمَر بن راشد (المتوفّىٰ سنة ١٥٠هـ) ، فقيهٌ ، حافظٌ ، مُتقنٌ . صنَّف كتاباً في المغازي لم يصل إِلينا ، ما خلا نقولاً أَوردها الواقديُّ وآبن سعدٍ في كتبهم .

٤ ـ محمَّد بن عُمر الواقديّ (المتوفّىٰ سنة ٢٠٧هـ) ، وقد كان عالِماً بالمغازي وآختلاف النّاس وأَحاديثهم . صنَّف كتاب « المغازي » ، ونهج فيه منهجاً تاريخياً علميّاً جغرافياً . وقد كان هٰذا الكتاب الأَساس الَّذي بنىٰ عليه المؤلِّفون في السِّيرة كتبهم .

ثمَّ جاء بعدهم طبقةٌ أُخرىٰ ، من أَشهرهم :

١ ـ أَبو محمَّد عبد الملك بن هشام (المتوفّىٰ سنة ٢١٨هـ) ، كان مؤرِّخاً ، عالِماً بالسّير والأَنساب واللُّغة وأَخبار العرب ، روىٰ لنا سيرة آبن إِسحاق بعد أَن هذَّبها ، وحذف منها الكثير ممّا ليس فيه صلة بسيرته ﷺ ، فجاء علىٰ نحوٍ مخالف تماماً لِما وضعه آبن إِسحاق ، لكن دونَ أَن يُغيّرَ منه كلمةً واحدةً . ولهٰذا فقد نُسِيَ آبن إِسحاق ، وذكر آبن هشام . ولم يَعُدِ الكتابُ مقروناً إِلاّ بآسم آبن هشام .

ثمَّ جاء بعد هٰؤلاء الأَعلام علماءُ كثيرونَ صنّفوا في السّيرة ، منهم من أَطال ، ومنهم من آقتصر ، ومنهم من آعتنىٰ بذكر الأَسانيد ، ومنهم مَن حذفها .

ومن أَشهر هٰذه المصنَّفات :

١ ـ عيون الأَثر في فنون المغازي والشّمائل والسِّير ، لابن سيّد النّاس الأَندلسيّ ، (المتوفّىٰ سنة ٧٣٤هـ) .

٢ ـ جوامع السّيرة ، لابن حزم الأَندلسي ، (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) .

٣ ـ المواهب اللَّدُنيَّة . للقُسْطُلاّنيّ ، (المتوفّىٰ سنة ٩٢٣هـ) .

٤ ـ سُبل الهدىٰ والرَّشاد في سيرة خير العباد ، للصّالحي ، (المتوفّىٰ سنة ٩٤٢هـ) .

٥ ـ إِنسان العيون في سيرة الأَمين المأمون ، المعروف بالسيرة الحلبية ، للحلبي ، (المتوفّىٰ سنة ١٠٤٤هـ) .

ومن بين هٰؤلاء الأَئمة الأَعلام ـ صاحب هٰذا الكتاب الَّذي بين أَيدينا ـ محمَّد بن عُمر بن مبارك (بحرق) الحضرمي . حيثُ نَهَجَ في تأليف هٰذا الكتاب نَهْجَ مَنْ سبقَهُ مِن علماء السّير ، فصنَّفَهُ في وقتٍ كَثُرَ فيه التّأليف في السّيرة . وكانت مؤلَّفات المُحدِّثين في السّيرة تحظىٰ بالقبول والتَّقدير ، لأَنَّها من أَفضل الكُتب صحَّةً ، وأَروعها تأليفاً ، وأَصدقها لهجةً ، علىٰ حين كانت

مؤلَّفات المؤرّخين وأَصحاب المغازي والملاحم لا تصلُ إِلىٰ تلك الرّفعة الّتي حظيت بها كتب المُحدِّثين ؛ ذٰلك لأَنَّ المُحدِّثين كانوا لا ينقلون في كتبهم إِلاّ عن الثِّقات ، ويطرحون ما لم يصحّ عندهم من الرّوايات ، ويذكرون الأَحاديث الصَّحيحة ، ويبتعدون عن تدوين الأَحاديث الضَّعيفة ، ويهجرون الرّوايات الموضوعة والمنحولة .

لقد كان المؤلِّف ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ أَحدَ أُولئك المُحدِّثين ، حيثُ نهجَ في كتابه هٰذا منهجَهُم ، فٱنتقىٰ الأَحاديث الصَّحيحة ، والأَخبار الثّابتة ، وٱختار موضوعاته من أُمَّهات كتب السّيرة النَّبويَّة الَّتي قرأَها وتعلَّمها . ولا عجبَ في ذٰلك ، فهو ممَّن عُرِفَ بطول اليد في علم الحديث وفنونه .

فجاء الكتابُ جليلَ النَّفع ، عظيمَ الفائدة ، غزيرَ المعلومات ، واضحَ الأُسلوب ، جزلَ العبارة .

نسخ الكتاب :

ٱعتمدتُ في تحقيق هٰذا الكتاب علىٰ نسختين خطّيتين :

الأُولىٰ : نسخة (دار الكتب المصرية) ، برقم (١٢٦١) ؛ وهيَ من كتب المرحوم (جعفر أَفندي بناسكجي) ، الَّذي آلَ الكتابُ إِليه من مكتبة المرحوم المبرور (موسىٰ بن السيّد جعفر مبرك) طاب ثراه ، تقع في ستٍّ وثلاثين ومئة ورقة ، في كلّ ورقة ثلاثة وعشرون سطراً ، خطُّها نسخيٌّ متقدِّمٌ ، ليس عليها ما يشير إِلىٰ ٱسم ناسخها ، كان الفراغُ من نسخها ظهر يوم الإِثنين من محرَّم ، سنة أَلف ومئة وأَربع للهجرة .

الثّانية : نسخة مكتبة الأَحقاف بتريم . عدد أَوراقها سبع ومئة ورقة ، ومتوسِّط عدد أَسطرها خمسة وعشرون سطراً ، خطُّها بين الثُّلث والنَّسخ المعتاد . ذات الرَّقم (٣٠١٠) . لم أَجد ما يشير إِلىٰ ٱسم ناسخها ، كانَ الفراغُ من نسخها يوم الأَربعاء سادس عشر ذي القَعدة سنة إِحدىٰ وأَربعين ومئتين وأَلف للهجرة .

منهج التَّحقيق :

١ ـ بعد نسخ المخطوط المعتمد أَصلاً ، قابلته علىٰ النُّسخة الأُخرىٰ ، فما كان بين النُّسختين أَدنىٰ خلاف ؛ أَثبتُّ ما في المخطوط المعتمد أَصلاً ؛ إِلا أَن يكونَ خطأً ظاهراً أَو زياداتٍ لم ترد في الأَصل ، فأَثبتُّ ما في النُّسخة الأُخرىٰ .

٢ ـ أَضفتُ ما كانَ مناسباً مِنَ العبارة ليستقيمَ المعنىٰ ، وميزته بـ [ ] ، وهٰذه الزّيادة ٱعتمدتُّها لدىٰ رجوعي إِلىٰ الأُصول الَّتي نهلَ المؤلِّف منها .

٣ ـ ضبطتُ النَّصَّ ضبطاً أَسأَلُ الله العليَّ العظيم أَن يكونَ صحيحاً ، قريباً إِلىٰ الصَّواب ، كما أَرادهُ المؤلِّف ـ رحمَهُ الله ـ .

٤ ـ أَثبتُّ أَرقام صفحات المخطوط المعتمد عند بداية كلِّ صفحةٍ ، ورمزت لها بـ [ق . . .] .

٥ ـ خرَّجت الآيات الكريمة بذكر ٱسم السّورة ، وترتيبها في القرآن ، ورقم الآية .

٦ ـ عزوت الأَحاديث النَّبوية الشَّريفة إِلىٰ مظانِّها من كتب السُّنَّة المطهَّرة .

٧ ـ أَحلتُ الموضوعات الرّئيسة إِلىٰ مصادرها .

٨ ـ وضَّحت ما كان مُغْلَقاً ومبهماً بالشَّرح والتِّبيان .

٩ ـ عنونتُ فِقَرَ الكتاب بعنواناتٍ مناسبةٍ ، ووضعتهما على هامش الكتاب ، وذٰلك للفصل بين موضوعات الكتاب المتتابعة ، بطريقةٍ تجعله سهلاً مُتناوَلاً في هٰذا العصر .

١٠ ـ ربَّما أَجدُ تناقضاً أَو مخالفةً لم يُجمع عليها علماء السّير أَثناء مقابلة المصادر الَّتي أَخذ عنها المؤلِّف مع مصادر السّيرة الأُخرىٰ ، لذٰلك وجدتُ من الواجب والأَمانة أَن أُنبِّهَ علىٰ ذٰلك وأُشير إِليه في الحاشية ، رامزاً لَهُ بـ (قلتُ) .

١١ ـ تعرَّضتُ أَثناء الكتاب للرَّدّ علىٰ بعض المستشرقين وأَبواقهم المقلِّدين لهم ، وذٰلك في المواضع الَّتي تحتاج لذٰلك .

يحسُنُ بي أَن أُشير إِلىٰ أَنني عدتُ إِلىٰ مُعظم كتب المغازي والسّير الَّتي كُتبت قديماً وحديثاً لمعارضتها بهٰذا الكتاب .

وإِنّي أَجد من البِرِّ والوفاء أَن أَتوقَّف عند أَهمِّ كتابين كانا لي عوناً ، فقد ٱستفدتُ منهُما وأَفدتُ .

أَوَّلهما : السّيرة النَّبويَّة في ضوء القرآن والسُّنَّة . للدُّكتور محمَّد بن محمَّد أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ الَّذي ٱعتمد علىٰ ذكر الآيات المتعلِّقة بحوادث السّيرة ووقائعها . وبذكر الأَحاديث الصَّحيحة ، وترك الأَحاديث الموضوعة أَو الإِسرائيليات المكذوبة . وٱعتمد أَيضاً علىٰ كتب التّاريخ والسّير قديمها وحديثها ، بعد الفحص والتَّمحيص والتَّحقيق ، والموازنة بين الرِّوايات ، والأَخذ بما يصلح للاحتجاج منها ، والرَّد علىٰ أَوهام المؤرّخين الَّذين بالغوا في مخالفة المحدِّثين ، وخاصَّةً إِذا عارضت روايتهم ما هو أَصحُّ منها كرواية صاحبي الصَّحيحين . ثمَّ تصدّىٰ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ لأُولئك الَّذين يُحاولون أن يتأَلكوا بالباطل من المبشّرين والمستشرقين الَّذين لا يجدون ثغرة ينفثون منها أَحقادهم وسمومهم إِلاّ نفذوا منها ، فكان لهم بالمرصاد . وكذٰلك فقد تصدّىٰ للكُتّاب المسلمين الَّذين تأَثَّروا بالمستشرقين ، وراحوا يلوكون أَقوالهم دون تثبُّتٍ ومعرفة . فجزاهُ الله عنّا وعن المسلمين كلَّ خيرٍ .

ثانيهما : الجامع في السّيرة النّبويّة . تأليف الأُخت سميرة الزّايد . فقد كانَ هٰذا الكتاب ـ الَّذي يقع في ستَّة مجلداتٍ من القطع الكبير ـ عملاً فريداً من نوعه ، ويَنمُّ عن جلالة هٰذا العمل ومدىٰ أَهميّته ، الجهد الكبير الَّذي بُذل في سبيل إِنجازه . أَمّا ثمرة هٰذا الجهد المبارك فتتجلّىٰ في فائدتين لا تقلّ إِحداهما عن الأُخرىٰ قيمةً وأَهمِّيَّةً :

الأُولىٰ : الإِحاطة بمعظم أَحداث السّيرة النَّبويَّة ، وتسجيلها في كتاب جامعٍ ، يطلُّ القارىءُ من خلاله علىٰ حياة الرَّسول ﷺ عامَّةً ، بكلِّ جوانبها ومراحلها ، وسائر ما فيها وما يتَّصل بها .

الثّانية : ربطُ سائر مرويات السّيرة النَّبويّة بمصادرها الأَصليَّة المتنوِّعة . مع بيان أَماكن كلٍّ منها من تلك المصادر علىٰ ٱختلافها .

وهٰذا الكتاب ، من خلال هاتين الفائدتين ؛ يعدُّ أَوَّل جهدٍ من نوعه في نطاق الكتابات الحديثة في السّيرة النَّبويَّة . أَرفع للأُخت سميرة الشُّكر الوفير لجهدها المبارك هٰذا الَّذي قلَّما يستطيعُ أَن ينهض به فردٌ واحدٌ .

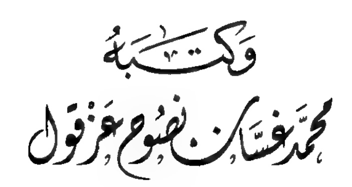
وإِنّي أَجدُ منَ البرِّ والوفاءِ أَيضاً ـ وتحقيقاً لقوله ﷺ : « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله » ـ أَن أُقدِّمَ جزيلَ الشُّكر والامتنان لمشايخنا وأَساتذتنا وإِخواننا من طلبة العلم ؛ الَّذينَ أَسهموا بمجهودٍ مشكورٍ وعملٍ مذكورٍ في مراجعة وتدقيقٍ وتصحيح نصِّ هٰذا الكتابِ المباركِ ، وكذٰلك لِما أَسدوهُ من ملاحظاتٍ وإِيضاحاتٍ لحواشي الكتاب ؛ مِمَّا أَغنىٰ الكتابَ وجعلَهُ من الكُتُب المخدومة بحقٍّ . ونحن لا نُزكّي عملنا هٰذا ؛ وإِنَّما هو من باب التَّحدُّث بنعمة الله ، ولسوفَ يلمسُ القارىء الكريم ذٰلكَ عند تصفُّحه لهذا الكتاب .

نسأَلُ اللهَ أَن يقبلَ ما بذلوهُ وعملوهُ ، وأَن يجزيهُم عنّا خيرَ الجزاء .

وإِليك أَيُّها القارئ الغالي أُقدم سيرةَ رسول الله ﷺ مبسَّطةً ، مبوَّبةً ، مرتَّبةً . بذلتُ فيها طوقي وٱستنفدت طاقتي ، فإِن أَصبتُ فمن الله تعالىٰ ، وإِن قصَّرتُ عن بلوغ الهدف فمن نفسي ، وحسبي بذل الجهد وحُسن النِّيَّة .

أَسأَلُ اللهَ العليَّ القدير أَن ينفعَ بهٰذا الكتاب الأُمَّة المحمَّديَّة ، وأَن يُكرمهم بٱتباع سيرة الرَّسول وسنَّته وأَقواله وأَفعاله وأَحواله ﷺ ، إِنَّهُ علىٰ ما يشاء قدير .

وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين .



نُبذةٌ يسيرةٌ عن حياة الإمام بَحْرَق رحمهُ اللهُ تعالىٰ

اسمه :

هو الشَّيخُ العلاّمةُ المحدِّثُ ، الإمامُ البارعُ ، اللُّغويُّ النَّحْويُّ الأَديبُ ؛ القاضي : جمالُ الدّينِ محمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُبارك بْنِ عبدِ الله بْنِ عليٍّ . الحِمْيَرِيُّ ، الحضرميّ ، الشّافعي . الشَّهير بـ(بَحْرَق) .

مولده :

وُلِدَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في ليلة النِّصف من شعبانَ ، سنة تسعٍ وستّينَ وثمانِ مئةٍ بحضرموت .

نشأته وطلبه العلم :

نشأَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ على أَحسن الأَوصاف والنُّعوت بحضرموت ؛ المشهودِ لها بوفرةِ العلماءِ ورسوخهم في كثيرٍ من فنون العلم ، فحفِظَ القرآنَ العظيمَ و« الجزريّةَ » ومعظَم « الحاوي الصَّغير » و« الشّاطبيَّةَ » ومنظومةَ « البرماوي » الأُصوليّة و« أَلفيَّةَ ٱبنِ مالك » النَّحْوِيَّة . وأَخذ عن الفقيه الشَّيخِ الجليلِ محمَّدِ بنِ أحمدَ باجرفيل الفقهَ .

رحلَ إِلىٰ (الشحر) ، فأَخذ عن العلاّمة الشَّهير عبدِ الله بن عبد الرَّحمن بافضل وقرأَ عليه في الفقه وأُصولِهِ .

ثمَّ إِلىٰ بندر (عدن) ، فأَخذ عن عبدِ اللهِ بنِ أَحمدَ بامخرمة الَّذي لازمه ملازمةً تامَّةً حتّىٰ تخرَّج به ، وقرأَ عليه الفقهَ وأُصولَه والعربيّة ، حتّىٰ كان جلُّ ٱنتفاعه به ، وقرأَ عليه « أَلفيَّةَ ٱبنِ مالك » وجميع « سيرةِ ٱبنِ هشام » وجملةً صالحةً من « الحاوي الصَّغير » في الفقه ، وسمعَ عليه جملةً من علومٍ شتّىٰ . وأَخذ عن الشَّيخ محمَّدِ بنِ أَحمدَ بافضل ، فقرأَ عليه أَيضاً الفقهَ وأُصولَهُ .

ثمَّ ٱرتحلَ إِلىٰ (زبيد) وأَخذ عن علمائها . فأَخذ علمَ الحديث عن المحدِّثِ الشَّيخِ

زين الدّين محمَّدِ بنِ عبد اللَّطيف الشرجي ، وعلمَ الأُصول عن الفقيه جمالِ الدّين محمَّدِ بنِ أَبي بكرٍ الصّائغ ، وأَخَذَ عنه التَّفسيرَ والحديثَ والنَّحْوَ ، وقرأَ عليه « شرحَ البهجة الورديَّة » لأَبي زرعة . وأَخذ أَيضاً عن السَّيِّد الشَّريف الحسينِ بنِ عبد الرَّحمن الأَهدل . وصحبَ الشَّيخَ أَبا بكرٍ العيدروس ، وأَخذ عنه ، وٱنتفعَ به ، وعادت عليه بركَتُهُ .

ثمَّ رحَلَ إِلىٰ (الحرمَيْن) سنة أَربعٍ وتسعينَ وثمانِ مئةٍ ، وأَدّىٰ النُّسكينِ العظيمينِ ، وٱجتمعَ بالحافظ السَّخاويِّ ، وسمعَ منه ، وأَخذَ عنه علمَ الحديث والمصطلح .

مكانته وحياته :

كانَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ ثقةً ، صالحاً ، حافِظاً للأَحاديث والآثار ، رجّاعاً إِلىٰ الحقِّ ، مُحِبّاً لأَهل العلم ، مُحسِناً إِلىٰ طلبته ، غايةً في الكرمِ ، مُؤْثِراً .

تولّىٰ القضاءَ (بالشحر) ، فكانَ قاضياً عادِلاً تُحمَدُ أَحكامُهُ . ثمَّ عَزَلَ نفسَهُ ، وقصدَ (عدن) فحصلَ له قبولٌ وجاهٌ عند أَميرها مرجان العامريّ .

ولمّا توفّي الأَميرُ مرجان سنةَ سبعٍ وعشرينَ وتسع مئةٍ قصدَ (الهندَ) ، فوفدَ علىٰ سُلطانها مظفَّر شاه أَحمدِ بنِ محمود بايقرا (الكجراتي) . فقرَّبَهُ السُّلطانُ وأَكرمَهُ وعظَّمَهُ ، وقامَ به وقدَّمَهُ ، ووسَّعَ عليه وٱلتفتَ إِليه ، وأَدناهُ منه وأَخذَ عنهُ ، فٱشتُهِرَ بجاهه . وصنَّفَ للسُّلطان كتابَنا هٰذا : « تَبصرةُ الحضرةِ الشّاهيَّةِ الأَحمديَّةِ بسيرةِ الحضرةِ النَّبويَّةِ الأَحمديَّةِ » .

قال السَّخاويُّ في « الضَّوء اللاَّمع » : وصاهرَ صاحبُنا ـ أَي : بحرق ـ حمزةَ النّاشريّ علىٰ ٱبنته وأَولَدها ، وتولَّعَ بالنَّظم أَيضاً ومدحَ ـ السُّلطانَ ـ عامرَ بنَ عبد الوهّاب حينَ شَرَعَ في بناء مدارسِ (زبيد) والنَّظر فيها ، فكان من أَولها فيما أَنشدنيه حينَ لَقِيْتُهُ (بمكَّة) ، وأَخذ عنّي ، وكانَ قدومه لها ليلةَ الصُّعود ، فحجَّ حجّةَ الإِسلام وأَقامَ قليلاً ، ثمَّ رَجَعَ ـ كان الله له ـ.

فمّما قالَ ـ مادِحاً السُّلطانَ عامرَ بنَ عبد الوهّاب ـ:

أَبىٰ ٱللهُ إِلاّ أَنْ تَحوزَ ٱلمَفاخِرا ... فَسَمّاكَ مِنْ بَيْنِ ٱلبَرِيَّةِ عامِرا
عَمَرْتَ رُسومَ الدِّينِ بَعْدَ دُروسِها ... وأَحْيَيْتَ أَثارَ الإِلٰهِ الدَّواثِرا
فأَنْتَ صَلاحُ الدِّينِ لا شَكَّ هٰذِهِ ... شَواهِدُهُ تَبْدو عَلَيْكَ ظَواهِرا

قال ـ أَي : السَّخاويُّ ـ وكذا أَنشدني ممّا ٱمتدحَ به المُشارَ إِليه بيتاً هو عشرُ كلماتٍ :

يا رَبِّ كُنْ أَبداً مُعيناً ناصِراً ... شَمسَ الملوكِ صلاحَ دينكَ عامِرا

وضمَّنه في أَربعة أَبياتٍ يستخرجُ منها الضَّمير من العشر فقال :

أَيَّـدْتَ دينَـكَ يـا رَبَّ ٱلعُـلا أَبـداً ... بنـاصـرٍ لِمُلـوكِ ٱلأَرْضِ قَـدْ ضَهَـدا
أَعني بِـهِ عـامِـراً شَمْسَ ٱلمُلـوكِ فَكُـنْ ... نَصيـرَهُ أَبـداً فـي كُـلِّ مـا قَصَـدا
وَنـاصِـراً وَمُعينـاً فَهُـوَ شَمْـسُ ضُحـىً ... أَخفـىٰ نُجـومَ مُلـوكِ ٱلأَرضِ مُنْـذُ بَـدا
سَمَّيْتَـهُ عـامِـراً لَمّـا أَرَدْتَ بِـهِ ... صَـلاحَ دينِـكَ إِرغـامـاً لِمَـنْ جَحَـدا

انتهىٰ كلام السَّخاويّ[1] .

قال عنه العيدروس في « النّور السّافر » : (ما رأيتُ أَحداً من علماء (حضرموت) أَحسنَ ولاأَوجزَ عبارةً منهُ، وله نظمٌ حسنٌ، وهو أَحدُ من جمع بين ديباجتي النَّظم والنَّثر ، فنثرُهُ منثورُ الرّياضِ جادَ بها السَّحائبُ، ونظمُهُ منظومُ العقودِ زانتها النُّحورُ والتَّرائبُ)[2] .

وهو الَّذي يقولُ هٰذه الأَبياتَ مُجيباً لبعض الفضلاء المُمْتَحِنينَ له من أَهل زمانه :

يـا مَـنْ أَجَـادَ غَـداةَ أَنْشَـدَ مِقْـوَلا ... وَأَفـادَ مِـنْ إِحسـانِـهِ وَتَفَضَّـلا
إِنْ كُنْـتَ مُمْتَحِنِـي بِـذاكَ فَـإِنَّنـي ... لَسْـتُ الهَيـوبَـةَ حَيْثُمـا قيـلَ ٱنْـزلا
وَإِذا تبـادَرَتِ ٱلجيـادُ بِحَلْبَـةٍ ... يَـوْمَ النِّـزالِ رَأَيْـتَ طَـرْفـي أَوَّلا
قَسَمـاً بِـآيـاتِ ٱلبَـديـعِ وَمـا حَـوىٰ ... مِـنْ صَنْعَتَيْـهِ مُـوَشَّحـاً وَمُسَلْسَـلا
لَـو كُنْـتُ مُفْتَخِـراً بِنَظْـمِ قَصيـدةٍ ... لَبَنَيْـتُ فـي هـامِ ٱلمَجَـرَّةِ مَنْـزِلا
مِـنْ كُـلِّ قـافِيَـةٍ يَـروقُ سَمـاعُهـا ... وَيُعيـدُ سُحبـانَ الفَصـاحَـةِ بـاقِـلا
وَتَـرىٰ لَبيـدَكُـمُ بَلبيـداً قَلْبُـهُ ... حَصْـراً وَيَنْقَلِـبُ ٱلفَـرَزْدَقُ أَخْطَـلا
وَعَلـىٰ جَـريـرٍ بحـرُ مِطْـرَفِ تيهنـا ... ومُهَلْهَـلاً نُبْـديـهِ نَسْـجَ مُهَلْهِـلا
وَلَئِـنْ تَنَبَّـىٰ ٱبْـنُ ٱلحُسَيْـنِ فَـإِنَّنـي ... سَـأَكـونُ فـي تِلْـكَ الصِّنـاعَـةِ مُـرْسَـلا
أَظَنَنْـتَ أَنَّ الشِّعْـرَ يَصْعُـبُ صَـوْغُـهُ ... عِنْـدي وَقَـدْ أَضْحـىٰ لَـدَيَّ مُـذَلَّـلا
أُبْـدي ٱلعجـائِـبَ إِنْ بَـرَزْتُ مُفـاخِـراً ... أَو مـادِحـاً لِلْقَـومِ أَو مُتَغَـزِّلا
لَكِنَّنـي رَجُـلٌ أَصـونُ بِضـاعَتـي ... عَمَّـنْ يُسـاوِمُ بَخْسَهـا مُتَبَـذِّلا
وَأَرىٰ مِـنَ ٱلجُـرْمِ ٱلعَظيـمِ خَـريـدةً ... حَسْنـاءَ تُهْـدىٰ لِلَّئيـمِ وَتُجْتَلـىٰ
مـا كُنْـتُ أَحْسَـبُ عَقْـرَبـاً تَحْتَـكُّ بِـٱلْـ ... أَفعـىٰ وَلا جَـذَعـاً يُـزاحِـمُ بُـزّلا
وَأَنـا ٱلغَـريـبُ وَأَنْـتَ ذاكَ وَبَيْنَنـا ... رَحِـمٌ يَحُـقُّ لِمِثْلِهـا أَنْ تـوصَـلا

ولقد أَجادَ فيها كلَّ الإِجادة ـ ولله درُّهُ ـ ولا يَبْعُدُ أَنَّ براعته في الشِّعر لمعنىً إِرثي من إِمامه

---

(١) الضوء اللاَّمع ، ج٨/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
(٢) تاريخ النّور السّافر عن أَخبار القرن العاشر ، ص١٣٣ .

الشّافعي رضيَ اللهُ عنهُ . انتهىٰ كلام العيدروس[1] .

وقد ذكر له كرامات ومرائي صالحاتٍ لا نطيل بذكرها .

وله مقاطيعُ شعريَّةٌ حسنةٌ ، منها :

أَنــا فــي سَلْــوَةٍ عَلــىٰ كُــلِّ حــالٍ   إِنْ أَبــانــي الحَبيــبُ أَو إِنْ أَتــانــي
أَغْنَــمُ ٱلْــوَصْــلَ إِنْ دنــا فــي أَمــانٍ   وَإِذا مــا نــأَىٰ أَعِــشْ بِــٱلأَمــانــي

وله قصيدةٌ عظيمةٌ سمّاها : « العروة الوثيقة في الجمع بين الشَّريعة والحقيقة » ، أَجاد فيها إلىٰ الغاية ، وشرحها شرحاً سمّاهُ : « الحديقة الأَنيقة » .

لقد كانَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ العالِمَ الَّذي يمشي تحتَ عَلَمِ فتياهُ العلماءُ الأَعلامُ وحملة الأَقلام ، وتخضعُ لفصاحته وبلاغته صيارفَةُ النَّثر والنّظام . شيخَ اللُّغة والنَّحْوِ والإِعراب ، وعمدةَ الفقهاء في نصوص الشّافعي والأصحاب .

مصنَّفاته :

صنَّفَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ مصنَّفاتٍ عديدةً في الأُصول والفروع والحديث والسّيرة والعقيدة والنَّحو وفي أَهل الأَحوال . وقد تلقّاها النّاسُ بالقبول نذكر منها :

١ ـ حدائق الأَنوار ومطالع الأَسرار في سيرة النَّبيِّ المختار ، المسمَّىٰ بـ « تبصرة الحضرة الشّاهيَّة الأَحمديَّة بسيرة الحضرة النَّبوية الأَحمديّة » . وهو كتابنا هٰذا ، الَّذي نتشرَّفُ بإخراجه إلىٰ الأُخوة القرّاء الكرام .

٢ ـ أُرجوزة في علم الحساب .

٣ ـ أُرجوزة في علم الطِّبِّ ، وشرحها شرحاً مفيداً .

٤ ـ الأَسرار النَّبويَّة في ٱختصار الأَذكار النَّوويَّة . (مطبوع) .

٥ ـ البهجة في تقويم اللَّهجة .

٦ ـ ترتيب السُّلوك إلىٰ ملك الملوك .

٧ ـ تحفة الأَحباب في شرح « ملحة الأَعراب » ، للحريري . (مطبوع) .

٨ ـ الحديقة الأَنيقة في شرح العُروة الوثيقة . (مطبوع) .

٩ ـ الحسام المسلول علىٰ مُنتقصي أَصحاب الرَّسول ﷺ . (مطبوع) .

---

(١) تاريخ النّور السّافر عن أَخبار القرن العاشر ، ص١٣٣ ـ ١٣٤ .

١٠ ـ حلية البنات والبنين فيما يُحتاج إليه من أَمر الدّين . (مطبوع) .

١١ ـ الحواشي المفيدة علىٰ أَبيات اليافعي في العقيدة . وذكر في كتابه « ترتيب السُّلوك » أَنَّ له علىٰ أَبيات الشَّيخ عبد الله بن أَسعد اليافعي ثلاثة شروح ، بسيط ووسيط ووجيز .

١٢ ـ ذخيرة الإِخوان ، (المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن) . (مخطوط) .

١٣ ـ رسالة في علم الميقات .

١٤ ـ رسالة في الفلك .

١٥ ـ شرح الجزريَّة .

١٦ ـ شرح علىٰ منظومة الشَّيخ أَبي الجبيش الأَندلسي في العروض .

١٧ ـ شرحان على لامية ٱبن مالك في التَّصريف ؛ مختصر وكبير .

١٨ ـ عقد الدُّرر في الإِيمان بالقضاء والقَدر . (مخطوط) .

١٩ ـ العقد الثَّمين في إِبطال القول بالتَّقبيح والتَّحسين . (مخطوط) .

٢٠ ـ فتح الأَقفال شرح أَبنية الأَفعال .

٢١ ـ فتح الرَّؤوف في معاني الحروف .

٢٢ ـ مختصر الخلاصة لابن مالك ، في عدَّة أهل بدر وشرحه .

٢٣ ـ مختصر نهاية النَّاشري في علم القراءات .

٢٤ ـ متعة الأَسماع بأَحكام السَّماع ، (المختصر من كتاب الإِمتاع) .

٢٥ ـ مختصر التَّرغيب والتَّرهيب ، للمنذريّ . (مخطوط) .

٢٦ ـ مختصر شرح لامية العجم ، للصَّفدي . (مخطوط) .

٢٧ ـ مختصر المقاصد الحسنة ، للسَّخاويّ .

٢٨ ـ مواهب القدّوس في مناقب العيدروس .

٢٩ ـ النّبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفِّرة للذُّنوب المقدّمة والمؤخّرة .

٣٠ ـ النّبذة المنتخبة من كتاب الأَوائل ، للعسكريّ .

لعلّ هٰذه المصنّفات هيَ الأَشهر .

وبالجملة : فجميعُ مؤلَّفاته رائقةٌ حسنةٌ ، محرَّرةٌ منقَّبةٌ مستحسنةٌ ، ولهٰذا تداولها أَبناء

الزَّمان ، وتناقلها المشاة والرّكبان ، وعُقدت عليها الخناصر ، وٱنعطفت عليها الأَواصر .

وفاته :

قال العيدروس في « النّور السافر »[1] : حُكي أَنَّه مات بالسّمّ ، وسببُ ذٰلكَ أَنَّهُ حظيَ عند السُّلطان إِلىٰ الغاية ، فحسدَهُ الوزراء علىٰ ذٰلكَ ، فوقعَ منهُم ما أَوجبَ لَهُ الشَّهادةَ ، وناهيكَ بها من سعادة .

ومِنْ أَحسنِ ما قيلَ فيه هٰذا الدوبَيْت لبعضهم يمدحُهُ :

لأَيِّ ٱلمَعاني زِيدتِ ٱلقافُ في ٱسْمِكُمْ ... وَما غَيَّرتْ شَيْئاً إِذا هِيَ تُذْكَرُ
لأَنَّكَ بَحْرُ العِلْمِ وَٱلبَحْرُ شَأْنُهُ ... إِذا زِيدَ فيهِ الشَّيْءُ لا يَتَغَيَّرُ

ومثلُهُ قولُ الآخَرِ فيه أَيضاً :

فَأَنْتَ بَحْرٌ وَقافٌ ما لَهُ طَرَفٌ ... مُحَمَّدٌ إِسْمُكَ ٱلمَعْروفُ مَوصوفا
سَمِيُّ خَيْرِ الأَنامِ الطّهِرِ مِنْ مُضَرٍ ... يَهْنَاكَ يَهْنَاكَ هٰذا ٱلفَخْرُ تَشْريفا

عاشَ ـ رحمهُ اللهُ تعالىٰ ـ إِحدىٰ وستّينَ سنةً ، وٱنتقلَ إِلىٰ جوار ربّه ليلةَ العشرين من شعبانَ سنةَ ثلاثين وتسعِ مئةٍ (بكجرات) ، فشيَّعَهُ خلقٌ كثيرٌ ، ودُفِنَ في مدينة (أَحمد آباد) .

تغمَّده اللهُ بالرَّحمة والرِّضوان ، وأَسكنَهُ فسيحَ الجِنان .

---

(١) تاريخ النّور السّافر عن أَخبار القرن العاشر ، ص١٤٠ .

ترجمة السُّلْطان
مظفَّر بن محمود بايقرا الكجراتي
المُهْدَىٰ إِلَيهِ هٰذا الكتاب

هو السُّلطان الفاضِلُ العادِلُ المحدِّثُ الفقيهُ مظفَّر بن محمود بن محمَّد بن أَحمد بن محمَّد بن المظفَّر الكجراتي ، أَبو النَّصر شمس الدّين مظفَّر شاه . صاحب الرّئاستين[1] .

وُلِدَ في العشرين من شوّال سنة خمسٍ وسبعين وثمان مئة في (كجرات) من بلاد الهند . ونشأ في مهد السَّلطنة ، ورضع من لبان العلم وترعرع . وقرأ علىٰ مجد الدّين الإيجي العلاّمة ، وأَخذ الحديث عنه . وعن الشَّيخ المحدِّث جمال الدّين محمَّد بن عُمر بن مُبارك الحِمْيَرِيّ الحضرميّ الشهير بـ(بحرق) ، وتدرَّب في الفنون الحربيَّة ، حتّىٰ فاقَ أسلافه في العلم والأدب ، وفي كثير من الفعال الحميدة .

قامَ بالمُلْك بعد والده في شهر رمضان سنة سبع عشرة وتسع مئة .

كان غاية في التَّقوى والعزيمة ، والعدل والسَّخاء ، والنَّجدة والجهاد ، والعفوِ والتَّسامح عن النّاس ؛ ولذٰلك لقَّبوهُ بالسُّلطان الحليم .

وكانَ جيّد القريحة ، سليمَ الطَّبع ، حسنَ المحاضرة ، خطّاطاً جيّد الخطِّ ، كان يكتب النَّسخ والثُّلث والرِّقاع بكمال الجودة ، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثمَّ يبعث به إِلىٰ الحرمين الشَّريفين ، وحفظ القرآن في أَيّام الشَّباب .

وكان يقتفي آثار السُّنَّة السَّنيَّة في كلِّ قولٍ وفعلٍ ، ويعمل بنصوص الأَحاديث النَّبويَّة ، وكثيراً ما يذكر الموت ويبكي ، ويُكرِم العلماء ويبالغ في تعظيمهم .

ولم يزل يحافظ علىٰ الوضوء ويصلّي بالجماعة ويصوم رمضان ، ولم يقرب الخمر قطُّ ، ولم يقع في عِرض أَحدٍ ، وكان يعفو ويسامح عن الخطّائين ، ويجتنب الإِسراف والتَّبذير ، وبذل الأَموال الطّائلة علىٰ غير أَهلها .

وكان كثير التفحُّص عن أَخبار النّاس ، عظيم التحسُّس عن أَخبار الممالك ، وربَّما يغيِّرُ زيَّه ولباسه ويخرج من قصره آناء اللَّيل والنَّهار ، ويطَّلع علىٰ الأَخبار ويستكشف الأَسرار .

---

(١) أَي : رئاسة السَّيف والقلم .

وله من الأَخبار والنَّوادر ما لا يُسْمَعُ بمثله في العدل وإِنصاف المظلومين ، ممّا يُذَكِّرنا بسير الأَوائل من الخلفاء الرّاشدين ومَن بعدَهم .

قال اللكنوي في « نزهة الخواطر » ، أَثناء ترجمته لهٰذا السُّلطان العادل :

قال الآصفي : وفي سنة إِحدىٰ وثلاثين وتسع مئةٍ خرجَ السُّلطان إِلىٰ مصلّىٰ العيد للاستسقاء ، وتصدَّق وتفقَّد ذوي الحاجة علىٰ طبقاتهم ، وسألهم الدُّعاء ، ثمَّ تقدَّم للصَّلاة ، وكان آخِرَ ما دعا به ـ كما يُقال ـ : (اللَّهُمَّ إِنّي عبدُكَ ولا أَمِلكُ لنفسي شيئاً ، فإِنْ تَكُ ذنوبي حبسَتِ القطرَ عن خلقك فها ناصيتي بيدك ! فأَغثنا يا أَرحم الرّاحمين) ، قال هٰذا ووضع جبهته علىٰ الأَرض ، وآستمرَّ ساجداً يكرِّر قوله : (يا أَرحم الرّاحمين) ، فما رفع رأسه إِلاّ وهاجت ريحٌ ونشأت بحرية ببرقٍ ورعدٍ ومطرٍ ؛ ثمَّ سجد لله شُكراً ، ورَجَعَ من صلاته بدعاء الخَلْقِ له وهو يتصدَّقُ وينفح بالمال يميناً وشمالاً .

وبعد الاستسقاء بقليل آعتراه الكسلُ ، ثمَّ ضعْفُ المعدة ، ومنه شَكا ضعف الجسد ، وفي خلال ذٰلك عقد مجلساً حافلاً بسادة الأُمَّة ومشايخ الدّين ، وآجتمع بهم ، وتذاكروا فيما يصلح بلاغاً للآخرة ، إِلى أَن تسلسل الحديث في رحمة الله سبحانه وما آقتضاه مَنُّهُ وإِحسانه ، فأَخذ يشرح ما منَّ اللهُ عليه من حسنة ونعمة ، ويعترف بعجز شكرها ، إِلىٰ أَن قال : (وما من حديث رويته عن أُستاذي المسند العالي مجد الدين بروايته له عن مشايخه إِلاّ وأَحفظه وأُسنده ، وأَعرف لراويه نسبته وثقته ، وأَوائل حاله إِلىٰ وفاته . وما من آيةٍ إِلاّ ومَنَّ الله عليَّ بحفظها وفهم تأويلها وأَسباب نزولها وعلم قراءتها . وأَمّا الفقه فأَستحضر منه ما أَرجو به مفهوم : « مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدّين » . ولي مدَّة أَشهر أَصرف وقتي باستعمال ما عليه الزُّهّاد ، وأَشتغل بما سنَّه المشايخ لتزكية الأَنفاس عملاً بما قيل : « مَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » ؛ وها أَنا أَطمع في شمول بركاتهم مُتعلِّلاً بعسىٰ ولعلَّ ، وكُنت شرعت بقراءة « معالم التَّنزيل » ، وقد قاربت إِتمامه ، إِلاّ أَني أَرجو أَن أَختمه في الجنَّة إِن شاء الله تعالىٰ ، فلا تنسوني من صالح دعائكم ، فإِنّي أَجد أَعضائي فقدت قواها ، وليس إِلاّ رحمة الله سبحانه دواها) .

فدعا له الحاضرون بالبركة في العمر .

قال : وفي سنة آثنتين وثلاثين وتسع مئةٍ علىٰ خروجه من (جانپانير) ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأَبد لها ولأَهلها ، وأَكثر من أَعمال البرِّ فيها .

وفي طريقه إلىٰ (أَحمد آباد) ، ولمّا نزل بها كان يكثر من التردُّد إلى المزارات المُتبَرَّكة ، ويكثر من الخير بها ، وكانَ له حسن الظَّنِّ بالعلاَّمة (خرم خان) ، فقال له يوماً : نظرت فيما أُوثر به أُولي الاستحقاق من الإِنفاق فإذا أَنا بين إِفراطٍ في صرف بيت المال وتفريطٍ في منع أَهله ، فلم أَدرِ إِذا سئلت عنهما بما أُجيب .

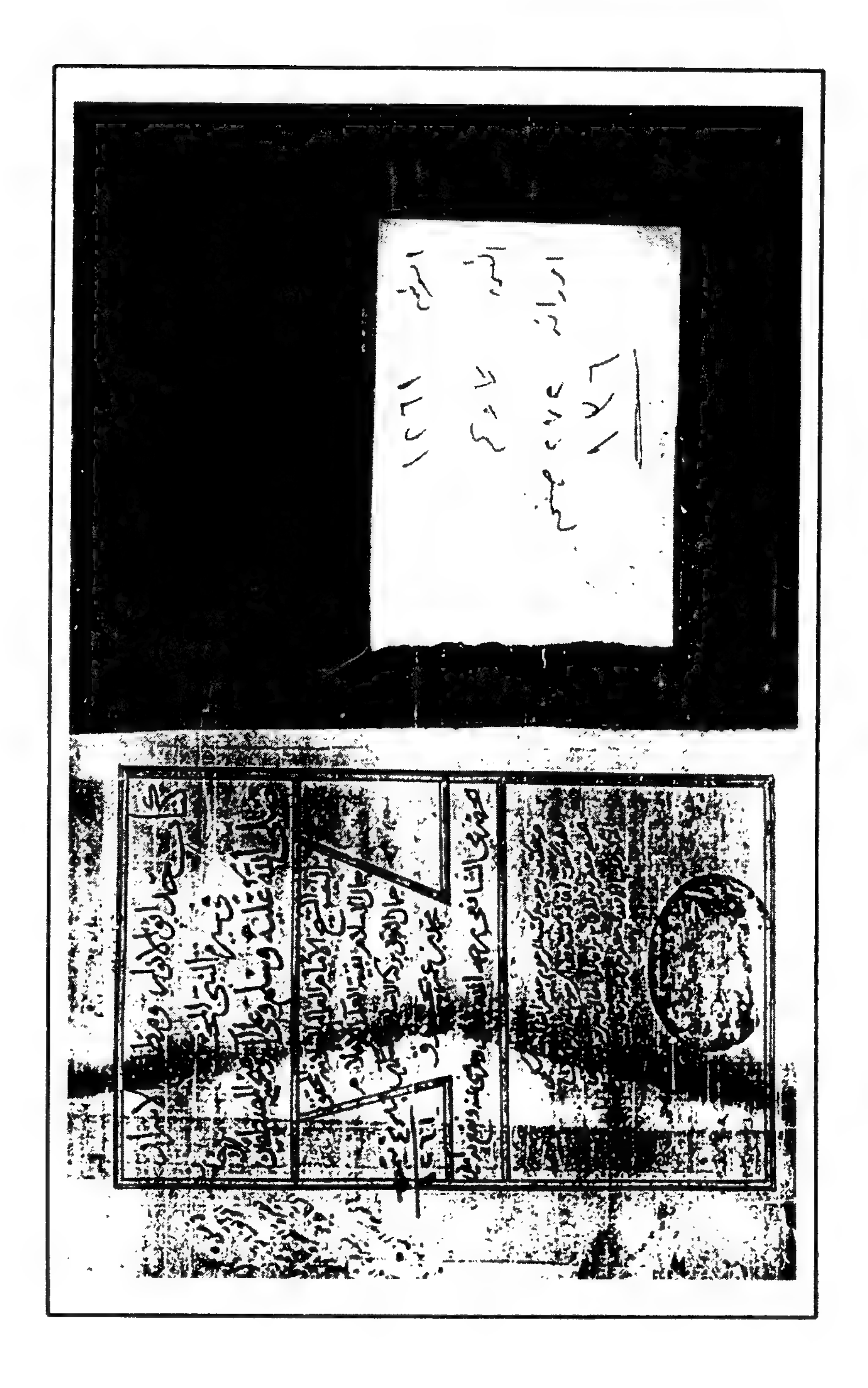
وفي آخر أَيّامه ـ وكان يوم الجمعة ـ قام إلىٰ المحل وٱضطجع إِلىٰ أَن زالَتِ الشَّمس ، فٱستدعىٰ بالماء وتوضّأَ وصلّىٰ ركعتي الوضوء ، وقام من مصلاّه إِلىٰ بيت الحرم ، وٱجتمعت النّسوة عليه آيساتٍ باكيات يندبنَ أَنفسهن حزناً علىٰ فراقٍ لا ٱجتماع بعده ، فأَمرهنَّ بالصَّبر المؤذن بالأَجر ، وفرَّق عليهنَّ مالاً ، ثمَّ ودَّعهن وٱستودعهن الله سبحانه ، وخرجَ وجلس ساعةً ، ثمَّ ٱستدنى منه راجه محمَّد حسين المخاطب بأَشجع الملك وقال له : قد رفع الله قدرك بالعلم وله وهي آخر خدمتك لي ، أُريدك تحضر وفاتي وتقرأ عليَّ سورة يٰس ، وتغسلني بيدك وتسامحني فيه ، فٱمتن بما أَهله به وفدّاه ودعا له ، ثمَّ وقد سمع أَذاناً قال : أَهو في الوقت ؟ فأَجاب أَسد الملك : هٰذا أَذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون في العادة قبل الوقت ، فقال : أَمّا صلاة الظُّهر فأُصليها عندكم ، وأَمّا صلاة العصر فعند ربّي في الجنَّة إِن شاء الله تعالىٰ، ثمَّ أَذن للحاضرين في صلاة الجمعة وٱستدعى مصلاّه وصلّىٰ، ودعا الله سبحانه بوجه مقبلٍ عليه وقلب مُنيبٍ إِليه، دعاء من هو مفارق للقصر مشرف علىٰ القبر، ثمَّ كان آخر دعائه: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ وقام من مصلاّه وهو يقول: أَستودعك الله ـ وٱضطجع علىٰ سريره وهو مجتمع الحواس، ووجهه يلتفت إِلىٰ القبلة، وقال: (لاإِلٰه إِلاّ الله محمَّد رسول الله)، وفاضت نفسه والخطيب علىٰ المنبر يدعو له ؛ وفي ذٰلك عبرة لمن أَلقىٰ السَّمع وهو شهيد .

وكان ذٰلك في ثاني جمادى الأُولى سنة ٱثنتين وثلاثين وتسع مئةٍ وحمل تابوته إِلىٰ (سركيج) ودفن عند والده . طيَّب الله ثراه .[١]

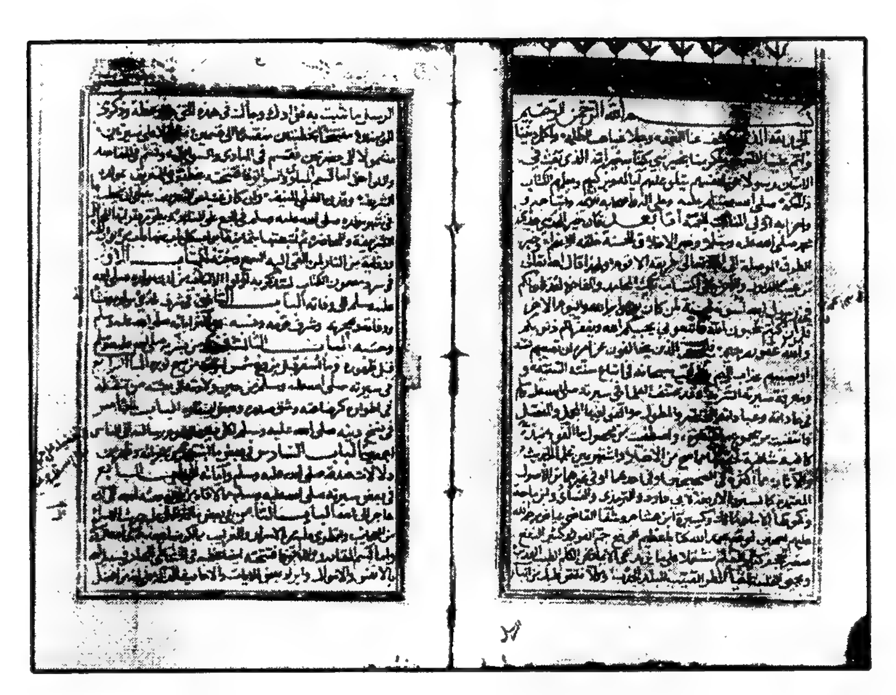
(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنَّواظر ، ج٤/ ٣٥٥ . ملخَّصاً .

صورة عن المخطوطات المستعان بها
في تحقيق هذا الكتاب

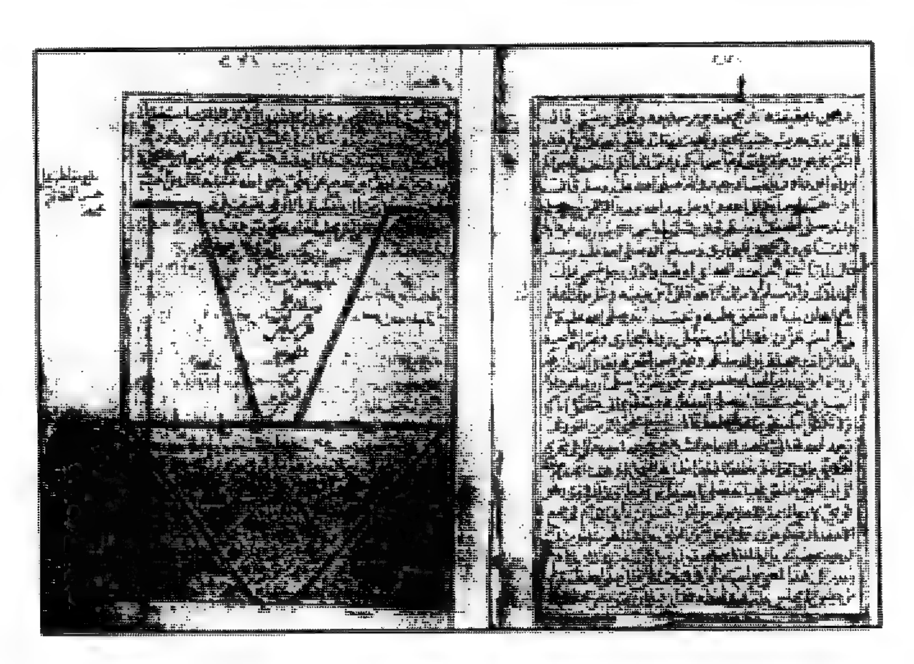




راموز ورقة العنوان لمخطوط (دار الكتب المصريَّة)



راموز الورقة الأولىٰ لمخطوط (دار الكتب المصريَّة)



راموز الورقة الأخيرة لمخطوط (دار الكتب المصريَّة)



راموز الورقة الأولىٰ لمخطوط (مكتبة الأَحقاف بتريم)



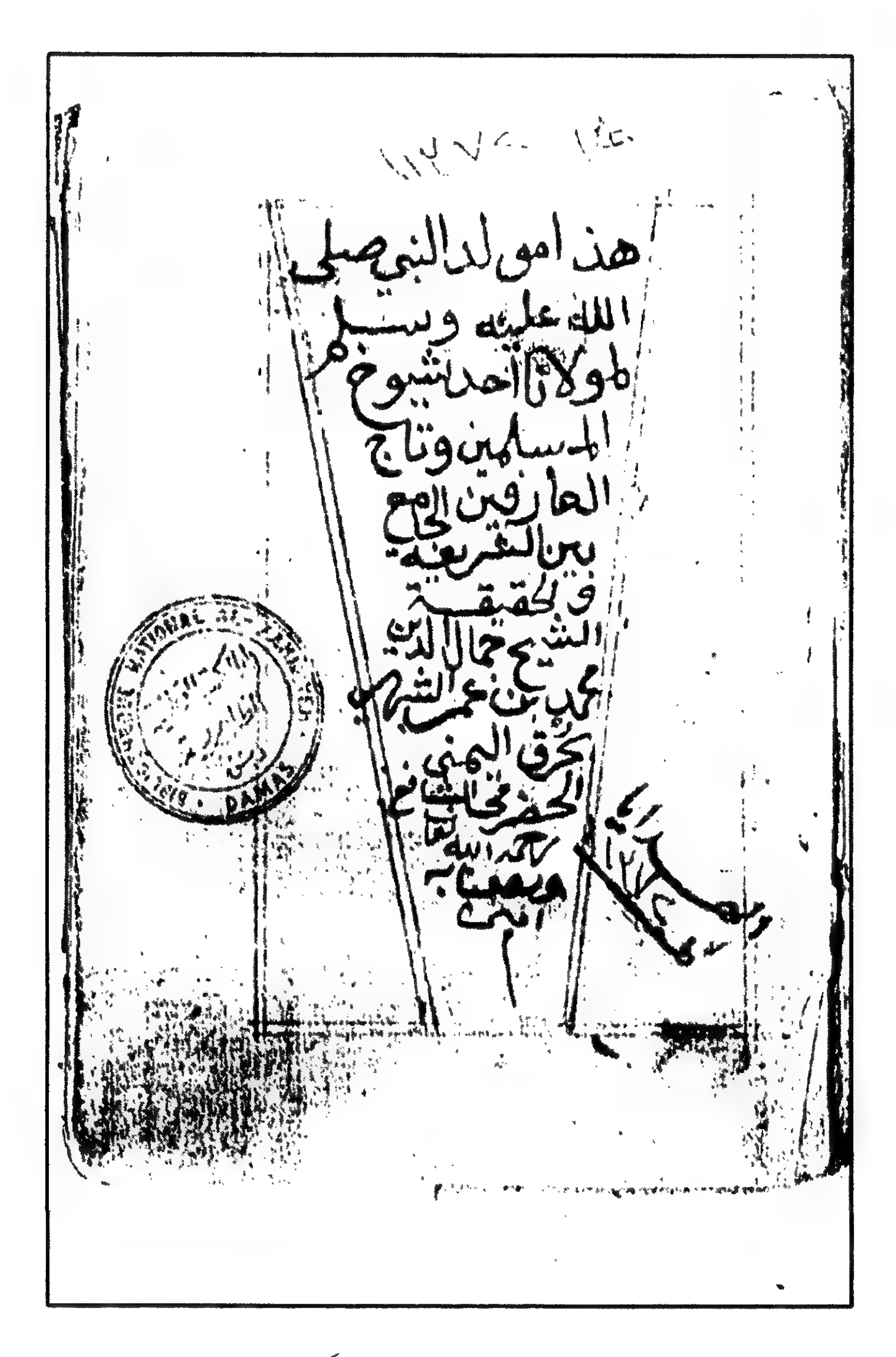
راموز الورقة الأخيرة لمخطوط (مكتبة الأَحقاف بتريم)



راموز ورقة العنوان لمخطوط (الأَنصاريّ)

راموز الورقة الثانية لمخطوط (الأنصاريّ) ، ويبدو فيها البياض الَّذي تركه النّاسِخُ ، ممّا فوَّت الفرصة علىٰ الأَنصاريّ ـ رحمه الله ـ معرفة ٱسم السُّلطان المُهدىٰ إِليه الكتاب ، ومعرفة ٱسمه أَيضاً .

راموز الورقة الأخيرة لمخطوط (الأنصاريّ)


هذا مولد النبي صلى
الله عليه وسلم
لمولانا أحد شيوخ
المسلمين وتاج
العارفين الجامع
بين الشريعة
والحقيقة
الشيخ جمال الدين
محمد بن عمر الشهير
بحرق اليمني
الحضرمي

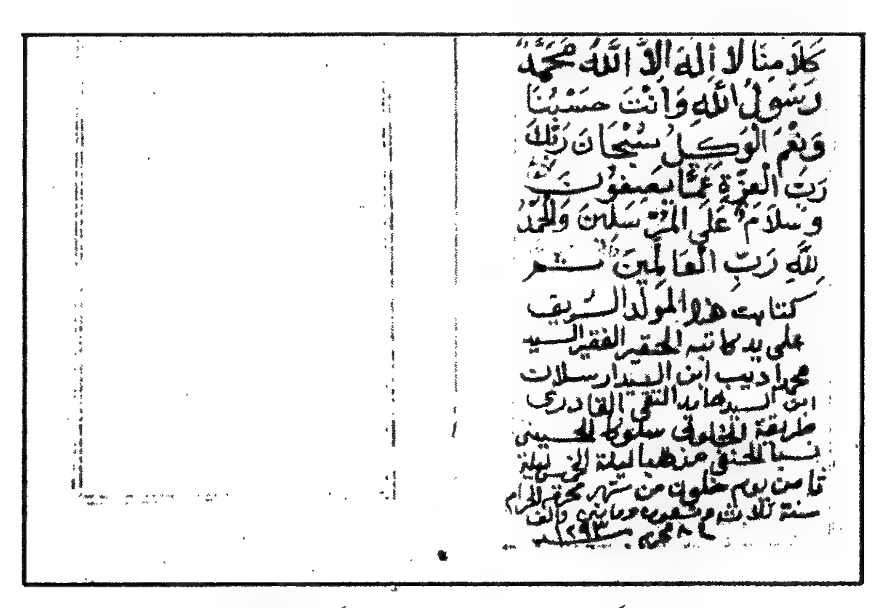
راموز ورقة العنوان لمخطوط (مولد النَّبيِّ) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم
باري أمشاج النسم
وفالق تاج الكمم ومولج
الأنوار في الظلم ومخرج الموجودات
من العدم خلق من صلصال
كالفخار آدم ونجى نوحاً في السفينة
من الغرق الذي عم وقال
للنار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم
وهي تضطرم وسلم موسى من
فرعون ونجاه من اليم
وأنطق عيسى في المهد ببراءة
وختم الأنبياء بنبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وجعله
أفضل الخلق وسيد ولد آدم
وخلق نوره من نوره قبل خلق
الأشياء ثم سلخ منه كل
عالم نحمده على أن من
علينا بهذا النبي الكريم
وأنقذنا به من العدم وأشكره
على ما رزقنا من اقتفاء سنته
السنية وأنعمه وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك

راموز الورقة الأُولى لمخطوط (مولد النَّبيِّ ﷺ) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية



كلامنا لا إله إلا الله محمد
رسول الله وأنت حسبنا
ونعم الوكيل سبحان ربك
رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد
لله رب العالمين تم
كتابة هذا المولد الشريف
على يد كاتبه الحقير الفقير السيد
محمد أديب ابن السيد ارسلان
ابن السيد حامد التقي القادري
طريقة الشافعي

راموز الورقة الأَخيرة لمخطوط (مولد النَّبيِّ ﷺ) للإمام بحرق

وضعت للفائدة العلمية



صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار



للعالم الفقيه القاضي علامة اليمن

محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي

رحمه الله تعالى

٨٦٩ - ٩٣٠هـ

[ق٢] بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمدُ للهِ الَّذي كشفَ عنّا الغُمَّة[١] ، وجلا غياهبَ الظُّلمةِ ، وأكملَ دينَنا وأتمَّ علينا النِّعمةَ ، وأكرمنا بخير نبيٍّ فكُنّا به خيرَ أُمَّةٍ ، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ [سورة الجمعة ٦٢/ ٢] .

صلّىٰ الله وسلَّم عليه ، وعلىٰ آله وأصحابه الأئمَّةِ ، وأتباعِه وأحزابه أُولي المناقبِ الجمَّة .

أما بعدُ : فإنَّ خيرَ الهَدْي هدْيُ محمَّدٍ ﷺ ، وخيرَ الأَخلاقِ الحسنةِ خُلُقُهُ الأعظمُ ، وخيرَ الطُّرقِ المُوصِلَة إلىٰ ٱلله تعالىٰ طريقُه الأقومُ .

ولهٰذا قالَ اللهُ تعالىٰ ترغيباً للأوَّلِ والآخرِ في اكتسابِ تِلْكَ المحامِد والمفاخِر : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٢١] . [وقالَ تعالىٰ] : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[سورة آل عمران ٣/ ٣١] . [وقالَ تعالىٰ] : ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة النور ٢٤/ ٦٣] .

فرغَّبَ سُبحانَهُ في اتّباع سُنَّته السَّنيَّة[٢] ، ومعرفة سيرته

---

(١) الغُمَّة : الكرب .

(٢) السَّنيَّةُ : المضيئة الرّفيعة القَدْر .

السَّرِيَّة(١) . وقد صنَّفَ العُلماءُ ـ رحمَهُم اللهُ تعالىٰ ـ في سيرته ﷺ وفي عاداته وعباداته المختصرَ والمُطَوَّلَ ، وأَلَّفوا فيها المُجْمَلَ والمُفَصَّلَ . فٱنتقيتُ مِنْ مجموعِ ما صنَّفوهُ ، وٱصطفيتُ مِنْ محصولِ ما أَلَّفوهُ ؛ نُبذةً كافيةً شافيةً ، لخَّصتُها ممّا صحَّ مِنَ الأَخبار ، وٱشتَهَرَ بينَ عُلماءِ الحديثِ والآثارِ ، مِمّا أَكثَرُهُ في «الصَّحيحين» ، أَو في أَحدِهما ، أَو في غيرِهما مِنَ الأُصول المعتمدَة ـ كالسُّنن الأَربعة ، لأَبي داوود والتِّرمذيّ والنَّسائيّ وٱبن ماجه ، وكموطأ الإِمام مالك ، وكسيرةِ ٱبن هشامٍ ، وشفاءِ القاضي عياض ـ رحمةُ اللهِ عليهم أَجمعين .

فوقعَ بحمد الله تعالىٰ كتاباً عظيمَ الوقْعِ ، جمَّ الفوائِد ، كثيرَ النَّفعِ ، صغيرَ الحَجمِ ، كثيرَ العِلْمِ ، مُشتمِلاً علىٰ ما يَزيدُ في الإِيمان مِنَ الكَلِم الطَّيِّبِ العَذْبِ ، ويُحيي القلبَ إِحياءَ المطر الصَّيِّب(٢) للبلد الجَدْبِ(٣) .

[ق٣] ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ/ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود ١١/ ١٢٠] .

مُفتَتَحاً بخطبتين ، مُنقسِماً إِلىٰ قسمين ، مُشتمِلاً علىٰ سيرتين ، مشمولاً إِلىٰ حضرتين .

فقسمٌ في المبادئ والسَّوابق ، وقسمٌ في المقاصد واللَّواحق .

أَمّا **قسمُ المبادىءِ والسَّوابق** : فٱفتتحتُهُ بخطبةٍ في التَّعريف بمولدِه الشَّريف ، وقدرِه العليِّ المُنيف ـ وإِنْ كانَ غنيّاً عن التَّعريف ـ

---

(١) **السَّرِيَّةُ** : الشَّريفة . سَرُوَ ، سَروَةً ، وَسَرْواً : شَرُفَ ، فهوَ سَرِيّ .
(٢) **المطرُ الصَّيِّبُ** : المطر بقَدْر ما ينفع ولا يؤذي . من الصَّوْبِ .
(٣) **البلدُ الجدبُ** : البلد الَّذي يَبِسَت أَرضه لاحتباس الماء عنها .

يَنبغي أَن يُخْطَبَ بها في شهر مولدِه ﷺ في الجُمَع علىٰ المنابر ، ويُطرَّزَ بقراءتها المحافلُ الشَّريفةُ والمحاضِرُ .

ثمَّ أَتبعتُها بثمانية أَبوابٍ ، كلُّ بابٍ منها بابٌ مِنْ أَبواب الجَنَّة ، ووقايةٌ مِنَ النّار لِمَن أَلقىٰ إِليه السَّمعَ وجُنَّة .

الباب الأَوَّل : في سرد مضمون الكتاب ، ليتذكَّر به أُولو الأَلباب ، مِنْ لدُن مولدِه ﷺ إلىٰ وفاتِه .

البابُ الثّاني : في شَرَفِ بَلَدَيْ مولدِه ونشأتِه ووفاتِه وهجرتِه ، وشرفِ قومِه ونسبِه ، ومآثِرِ آبائِه ﷺ وحسَبِهِ .

البابُ الثّالثُ : في ذكر مَنْ بشَّرَ به ﷺ قبلَ ظهورِه ، وما أَسفرَ قبلَ بزوغ شمس نبوَّته مِنْ صُبح نوره ﷺ .

البابُ الرّابعُ : في سيرته ﷺ مِنْ حين ولادَتِه إلىٰ بعثَتِه ، مِنْ تنقُّله في أَطواره ـ كرضاعه وشقِّ صدره ـ وبعض أَسفاره .

البابُ الخامسُ : في نسخ دينه ﷺ لكلِّ دينٍ ، وعموم رسالته إلىٰ النّاس أَجمعين ، وتفضيله علىٰ جميع الأَنبياء والمُرسلين ، صلّىٰ اللهُ وسلَّم عليه وعليهم أَجمعين .

البابُ السّادسُ : في بعض ما ٱشتهر مِنْ معجزاته ، وظهرَ مِنْ دلالات صِدْقِهِ ﷺ وآياته .

البابُ السّابعُ : في بعض سيرته ﷺ ؛ ممّا لاقاهُ مِنْ حين بعثَهُ الله إلىٰ أَن هاجرَ إلىٰ الله تعالىٰ .

البابُ الثّامنُ: في بعض ماٱشتملَ عليه حديثُ الإِسراءِ مِنَ العجائِب، وٱنطوىٰ عليه مِنَ الأَسرار والغرائب، ممّا أَكرمَهُ اللهُ به ﷺ .

وأَمّا **قسمُ المقاصد واللَّواحق** : فٱفتتحتُهُ أَيضاً بخطبةٍ في الحثِّ

علىٰ الجهاد في سبيل الله بالأَنفُسِ والأَموالِ ، وإيرادِ بعضِ الآيات والأَحاديث الدّالَّةِ علىٰ أَنَّهُ مِنْ أَفضلِ / الأَعمالِ ، لِيُخْطَبَ بها حيثُ [ق٤] تدعو الحاجةُ إِليها، لتحريض المُجاهدينَ، وتذكيرهم برفع درجاتهم يوم الدّين ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الذّاريات ٥١/ ٥٥] .

ثمَّ أَتبعتُها بذكرِ ما ٱشتهرَ مِنْ سيرته ﷺ - مِنْ هجرته إِلىٰ وفاته - ومِنْ تشريع أَحكام دينه وغزواته، وما في أَثناء ذٰلك مِنْ علامات نبوَّته ومعجزاته ، وأَسباب نزول سُوَرٍ مِنَ القرآن وآياته ، مُرَتِّباً لها علىٰ سِنيّ هجرته ﷺ العشر ، ناشراً لِما ٱنطوىٰ مِنْ مِسكها الطَّيِّب النَّشر .

ثمَّ ذيَّلتُ ذٰلك بفصولٍ في وجوب نصب الإِمام، وأَنَّ الإِمامَ الحقَّ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ : أَبو بكرٍ ، ثمَّ عُمَرُ ، ثمَّ عُثمانُ ، ثمَّ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين ، ومدَّةِ خلافة الخلفاء الأَربعة ، وذكر شيءٍ مِنْ فضائل الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين ؛ الَّذينَ جاهدوا في الله حقَّ جهادِهِ، وخلفائه الأَربعة، الموضِّحينَ سُبلَ رشادِه، مع ذكرِ ترتيبهم في الفَضْلِ، والرَّدِّ علىٰ من قدَحَ في أَحدٍ منهُم بالقولِ الفَصْلِ .

ثمَّ ختمتُ الكتابَ بشيءٍ مِنْ سيرته ﷺ في أَحوالِهِ النَّفيْسَةِ النَّفسيَّة ، وأَقوالِهِ المُقَدَّسَةِ القُدسيَّة ، إِذْ لا يَنطِقُ ﷺ عَنِ الهوىٰ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/ ٤] .

أَمّا أَحوالُهُ النَّفسيَّة : ففي حُسْنِ خَلْقِهِ وخُلُقِهِ ، ووُفور عقله ، وحُسْنِ عِشرته ، وسماحتِهِ ، وشجاعتِهِ ، وزُهدِهِ ﷺ .

وأَمّا أَقوالُهُ القُدسيَّة : ففي ذكره لربِّه في سوابق صَلاته ، ولواحِقها ، وفيها ، وفي صيامه ، وحجِّه ، وجهاده ، وسفره ، ومعاشه ، ومعاشرته ، ومرضه ، وعندَ موته ﷺ .

ناقلاً ذٰلك عن كُتب الحديث المُعتمَدة ، لِيَكونَ كتاباً جامعاً

للحضرتين ، شافعاً للجامع بينَ السّيرتين ، كالمَلِكِ المظفَّر واللَّيث الغضنفر : السُّلطان أَحمد بنُ السُّلطان محمود شاه[1] ، زادَهُ اللهُ ممّا آتاهُ مِنَ المُلْكِ والحِكمة ، وعلَّمَهُ ممّا يَشاءُ ، وأَوزَعه[2] أَن يَشكُرَ نعمتَهُ الَّتي أَنعمَ عليه ، وعلىٰ والديه ، وأَن يعملَ صالِحاً يرضاهُ ، وأَصلَحَ لَهُ في ذُرِّيَّته ، وأَدخلَهُ برحمته في عباده الصّالحين ، وإيّانا والمسلمين ، إنَّه جوادٌ كريم / [قالَ : مِنَ الطَّويل] : [ق٥]

فأَحمدُ أَسمىٰ مَنْ بَنىٰ ٱسماً وَكُنْيَةً
وَفِعْـلاً وَوَصْفـاً مُلْكُـهُ مِـنْ أَسـاسِـهِ

شِهـابٌ فَخُـذْ مِـنْ عِلْمِـهِ وَٱقْتِبـاسِـهِ
سَنا النّورِ وَٱخْشَ النّارَ في وَقْتِ بأْسِهِ

وَعَـنْ بيضِـهِ أَو سُمْـرِهِ أَو قيـاسِـهِ
سَلِ ٱلخَصْمَ عَنْ بُرْهانِهِ أَوْ قياسِهِ

فَتِلْـكَ رُجـومٌ ، قَـدْ أُعِـدَّتْ لِبَـأْسِـهِ
نُجـومَ هُـدىً فـي زِيِّـهِ وَلِبـاسِـهِ[3]

فَـلا زالَ مَحْمـوداً حَميـداً مُظَفَّـراً
شِهـابـاً عَلـىٰ أَعْـدائِـهِ كَـأُنـاسِـهِ[4]

يُنَكِّـسُ جـالـوتُ الصَّليـبُ صَـلابَـهُ
بِتَـأْييـدِ داوودٍ عَلــىٰ أُمِّ راسِــهِ[5]

---

(١) ذكرنا نبذةً يسيرةً عنه في المقدمة ، ص ٢٨ـ ٢٩ .

(٢) **أَوزَعَهُ** : أَلهمَهُ .

(٣) **الرُّجوم** : الشُّهب والأَنوارُ . مفردها : رَجْم .

(٤) المقصود : مثل سهام الرَّمي . **وإنسي القوس** : ما أَقبل عليك منها ، وقيل : ما ولي الرّامي .

(٥) **الصَّليب** : القويّ . **داوود** : النَّبيُّ داوود عليه السَّلام . **أُمُّ رأْسِهِ** : أَصلُ رأْسه .

وَيَحْظَىٰ بِمَا آتَاهُ مُلْكاً وَحِكْمَةً

بِأَجْنَادِهِ أَمْ نَفْسِهِ أَمْ مِرَاسِهِ[1]

فوسَمْتُ باسمه هٰذا الكتابَ الكريمَ ، ورسمتُه برسمه ، وإِنَّهُ بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، فسمّيتُه : (بصيرة الحضرة الأَحمديَّة الشّاهيَّة بسيرة الحضرة الأَحمديَّة النَّبوِيَّة) ؛ متوسِّلاً إِلىٰ الله تعالىٰ بصاحب الحضرة النَّبوِيَّة خير الأَنام عليه أَفضلُ الصَّلاة والسَّلام ؛ أَن يُمهِّدَ بصاحِبِ الحضرة الشّاهيَّة قواعدَ الإِسلام ، وأَن يَعْمُرَ ويَغمُرَ بوُجودِهِ وَجُودِهِ البلادَ والعبادَ ، وأَنْ يُلحِقَ الحَضرة بالحَضرة ، ويَحشُرَ الزُّمرة في الزُّمرة ، فالمرءُ مع مَنْ أَحبَّ[2] ، ومَنْ تشبَّه بقومٍ فهوَ منهُم[3] ، ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [سورة المائدة ٥/٥٦] .

---

(١) أَجناده : جنوده . المِراس : القوَّة . أَمْ : حرف عطف بمعنىٰ بل .

(٢) إِشارةً لقول النَّبيّ ﷺ الَّذي أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨١٦) عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال : « المرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

(٣) إِشارةً لقول النَّبيّ ﷺ الَّذي أَخرجه أَبو داوود ، برقم (٣٥١٢) عن ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما : « مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهوَ منهُم » .




القسم الأول

قسم المبادئ والسوابق






خطبة

في التّعريف بمولده الشّريف ، وقدره العليّ المنيف

الحمدُ لله بارئ أَمشاج النَّسم[1] ، وفاتِق رِتاج الكِمَمْ[2] ، ومولِج الأَنوار في الظُّلَم ، ومُخرِج الموجودات مِنَ العَدَم ، خَلَقَ مِنْ صلصالٍ[3] كالفخّار آدمَ ، ونَجّىٰ نوحاً في السفينة مِنَ الغرق الَّذي عمَّ ، وقالَ للنّار : ﴿ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/ ٦٩] وهيَ تَضْطَرِمُ ، وسَلَّمَ موسىٰ من سَطْوَة فِرعونَ ونجّاهُ مِنَ ٱلْيَمِّ ، وأَنطقَ عيسىٰ في المهد ببراءة مَريم ، وختمَ الأَنبياء بمُحمَّدٍ صلّىٰ اللهُ عليه وعليهم أَجمعين وسلَّم ، وجعلَهُ سيّدَ وَلَدِ آدمَ ، وأُمَّتَهُ خيرَ الأُمم .

أَحمَدُهُ علىٰ ما رزق وأَنعمَ ، وأُفوِّضُ أَمري إِليه تعالىٰ فيما قضىٰ وأَبرمَ .

وأَشهدُ أَنْ لا إِلٰه إِلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، شهادةَ مَنْ آمن به وأَسلَم . وأَشهدُ أَنَّ مُحمَّداً عبدُهُ المُصطفىٰ المكرَّم ، ورسولُهُ

---

(١) **المشيج** : كلُّ شيئين مختلطين . **النَّسم** : الخَلق والنّاس .

(٢) **الرّتاج** : الباب العظيم ، (ج) : رُتُج . **الكِمّ** : برعوم الثَّمرة . وأَيضاً : وعاءُ الطّلع ، (ج) : أَكمام . والكُمّ : بضمِّ الكاف : مدخل اليد ومخرجها من الثّوب ، (ج) : أَكمامٌ ، وكِمَمَةٌ .

(٣) **الصَّلصالُ** : طينٌ يابسٌ له صلصلة ، أَي : صوتٌ .

[ق٦] المُجتبىٰ المعظَّم ؛ أَرسلَهُ / إِلىٰ كافَّة العَرب والعَجم ، وٱختصَّهُ بأَحسن الأَخلاق والشِّيَم .

اللَّهُمَّ صلِّ علىٰ مُحمَّدٍ وعلىٰ آله أَهل الفَضْل والكَرَم ، وأَصحابه المُوَفِّين بالعهود والذِّمم .

أَمّا بعدُ : فحقيقٌ بيوم كانَ فيه وجودُ المُصطفىٰ ﷺ أَنْ يُتَّخذَ عيداً ، وخَليقٌ بوقتٍ أَسفرتْ فيه غُرَّتُهُ أَن يُعقَد طالِعاً سعيداً ، فٱتَّقوا اللهَ عبادَ الله ، وٱحذروا عواقبَ الذُّنوب ، وتقرَّبوا إِلىٰ الله تعالىٰ بتعظيم شأن هٰذا النَّبيِّ المحبوب ، وٱعرِفوا حُرمتَهُ عندَ علاّم الغيوب ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج ٢٢/ ٣٢] .

وٱعلموا أَنَّهُ ما أَكرمَ أَيّامَ مولده الشَّريفة عندَ مَنْ عرفَ قَدْرَها ! وما أَعظمَ برَكَتها عندَ مَنْ لاحظَ سِرَّها ! .

ففي شهر ربيعٍ الأَوَّل ٱنبثَقَتْ عن جوهرة الكون بيضةُ الشَّرف .

وفي يوم الإِثنين منه ظهَرت الدُّرَّةُ المَصونَةُ مِنْ باطن الصَّدَف .

وفي ثاني عَشَرِهِ أُبرِزَ سابقُ السَّعدِ مِنْ كُمُون[١] العَدم ، وبـ (مكَّةَ) المشرَّفةِ أُنجِزَ صادقُ الوعد بمضمون الكَرَم . حملَتْ به أُمّه في شهر رجبٍ الأَصمّ ، وماتَ أَبوه وحَمْلُهُ ماٱستتمَّ ، ثمَّ أَدَّت ما حملَتْهُ مِنَ الأَمانة آمِنَةُ ، وكانتْ ممّا تشكوهُ الحواملُ آمنةً .

فحينئذٍ أَسفرَ[٢] صبحُ السَّعادة وبدا ، وبشَّرت طلائِعُهُ بطلوع

---

(١) **الكُمون** : الاختفاء والكتمان . يُقال : كَمَنَ في المكان ، أَي : توارىٰ وٱختفىٰ . وكمَنت النّاقة لقاحها ، أَي : كتمتهُ .

(٢) **أَسفرَ** : ٱنجلىٰ وٱنكشف .

شمس الهُدىٰ ، وطُوِّق جِيْدُ الوجود بعقود الإفضال ، ودارت أَفلاكُ السُّعود بقطب دائرة الكمال ، فوضعَتْهُ ﷺ واضِعاً يديه علىٰ الأَرض ، رافعاً رأسَهُ إِلىٰ السَّماء ، مقطوعَ السُّرَّة ، مختوناً ، منزَّهاً عن قَذَرِ النِّفاس ، مُكرَّماً .

فأَضاءَتْ لَهُ قصورُ (بُصرىٰ) مِنْ أَرض الشّام . وخمدت نارُ الفُرس الَّتي يَعبُدونها ، ولم تخمُد منذُ أَلفِ عامٍ . وٱنشقَّ لِهَيْبَتِهِ حينَ وُلِدَ إِيوانُ كسرىٰ . وتواصلت مِنَ الرُّهبان والكهّان هواتِفُ البُشرىٰ ، وأَشرقت مطالعُ الأَنوار بميمون وِفادَتِهِ ، وتعبَّقت أَرجاءُ الأَقطار بطيب ولادته ، وخرَّتِ الأَصنامُ علىٰ وجوهها إِذعاناً لسيَادتِه .

فأَرضعته ثويْبَةُ ـ مولاة عمّه ـ أَيّاماً ، ثمَّ تولَّتْهُ حليمةُ السَّعديَّة رضاعاً وفطاماً ، فشمَلَتْها / البركاتُ بحضانتِهِ ، ولم تَزَلْ تتعرَّفُ منهُ [ق٧] الخيرات في مدَّتِهِ ، فدرَّ ثديُها عليه بعدَ أَنْ كانَ عاطِلاً ، وجادَتْ شارِفُها[١] باللَّبن بعدَ أَنْ كانَتْ لا تروي ناهِلاً[٢] ، وأَسرعَتْ أَتانُها[٣] في السَّير وقد كانت ثاقلاً ، وأَخصبتْ بلادُها وكانتْ قبلَ ذٰلكَ ماحِلاً .

ثمَّ فَصَلَتْهُ بعدَ أَنْ تمَّ لَهُ الحَوْلان ، وكانَ يَشِبُّ شباباً[٤] لا يَشِبُّهُ الغِلمان ، وظهرتْ لها في صِغَرِهِ مخائِلُ[٥] نبوَّته ، وأَخذَهُ المَلَكان مِنْ بين الصِّبيان ، فشقّا مِنْ تحتِ صدره إِلىٰ سُرَّته ، فاستخرجا منهُ علقةً سوداء ، وقالا : هٰذا حظُّ الشَّيطان ، وغسلاهُ بماء الكوثر ، ثمَّ ختماهُ بالحِكمة والإِيمان .

---

(١) **الشَّارفُ** : الناقةُ المُسِنَّةُ .

(٢) شارباً واحداً . نَهِلَ الشّاربُ : شرِبَ حتّىٰ رَوِيَ ، فهوَ ناهِلٌ .

(٣) **الأَتانُ** : الحمارة .

(٤) ينمو نمواً سريعاً . شبَّ يَشِبُّ شباباً وشبيبةً : الفتاء والحداثة .

(٥) **المخائلُ** : الدَّلائل . يُقال : أَخالَ فلانٌ للخير ، أَي : ظهرت دلائله فيه .

قُلْتُ : المشهورُ في الأَحاديث الصَّحيحة أَنَّهُما غسَّلاهُ بماء زمزم . فلذٰلك جزمَ البُلْقَينيُّ وغيرهُ من المتأَخِّرينَ أَنَّ ماءَ زمزمَ أَفضلُ من الكوثر .

ثمَّ ماتت لسنِّ تمييزه أُمُّه ، وكَفلَهُ جدُّهُ ، ثمَّ عمُّه ، ولم يَزل ﷺ يَنشأ وعينُ العناية ترعاهُ وتحفظُهُ ممّا يَحذرُهُ ويَخشاهُ ، ومنحَهُ اللهُ تعالىٰ منذُ نشأ كلَّ خُلُقٍ جميلٍ ، وأَحلَّهُ مِنَ القلوب بالمحلِّ الجليل ، وعُرِفَ مِنْ بين أَقرانِه بالعِفَّة والصّيانة ، وتميَّزَ عندَ أَهلِ زمانه بالصِّدق والأَمانة .

ولمّا أَخذَتْ مطالِعُ بعثتِه في أُفق سُموِّها ، وآنَ لشمس نبوَّته أَن تطلَعَ مِنْ عُلوِّها ؛ حُبِّبَتْ إِليه الخلوة للأُنس بربِّه . فكانَ يَخلو في (حِراء) ، ويتنعَّمُ بقربه ، وكانتْ تظهرُ لَهُ الأَضواءُ والأَنوارُ ، وتُسلِّمُ عليه بالرِّسالة الأَحجارُ والأَشجارُ .

ثمَّ كانَ وحيُه مناماً ، وتعليمُه إِلهاماً ، فكانَ لا يرىٰ رُؤْياً إِلاّ جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبح ، ولا ينوي أَمراً إِلاّ ظَفِرَ بالفوز والنُّجح .

فلمّا بلغَ الأَربعين ؛ جاءَهُ جبريلُ الأَمينُ مِنْ ربِّه ذي الجلالة ، بمنشور[1] النُّبوَّة والرِّسالة ، فأَقرأَهُ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق ٩٦/ ١ـ٥] .

فمكثَ ﷺ بـ (مكَّةَ) ثلاثَ عشرةَ سنةً ، يَدعوهُم إِلىٰ سبيل ربِّه بالحِكمة والموعِظَة الحَسنة ، فآمنَ به مَنْ سبقَتْ لَهُ السَّعادةُ في دار البقاء ، وكذَّبَ به مَنْ كُتِبَ عليه في الأَزل الشَّقاءُ .

---

(١) **المنشور** : بيان بأَمرٍ من الأُمور يُذاع بين النّاس ليعلموه . (أَنصاريّ) .

ولعشر سنينَ مِنْ مبعَثِه الكريم ؛ خصَّهُ اللهُ بالإسراء العظيم ، فسارَ وجبريلُ مُصاحبٌ لَهُ إِلىٰ أَعلىٰ السَّماوات العُلىٰ ، وجاوزَ سِدْرَةَ المُنتهىٰ ، وشَرُفَ بالمناجاة في المقام / الأَسنىٰ ، ونالَ مِنَ القُرب ما تُرجِمَ عنه : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/٩] . [ق٨]

ثمَّ هاجرَ إِلىٰ دار هجرتِهِ ، ومأْوىٰ أَنصارِهِ وأُسْرَتِهِ ، فسلَّ سيفَ الحقِّ مِنْ غِمده ، وجاهدَ في سبيل الله غايةَ جَهدِه ، حتّىٰ فتحَ اللهُ لَهُ أَقفالَ البلاد ، ومكَّنَهُ مِنْ نواصي العِباد[1] ، وأَظهرَ دينَهُ علىٰ الدّين كلِّه .

ثمَّ توفّاهُ عندَ حُضور أَجلِهِ ، إِلىٰ ما أَعدَّ اللهُ لَهُ في جنّات النَّعيم ، مِنَ الكرامة والفوز العظيم .

فسُبحانَ مَنْ حَباهُ بأَنواع الإِكرام ، وأَرسلَهُ رحمةً لجميع الأَنام ، وجعلَهُ سيّدَ ولدِ آدمَ ومُعَوَّلَهُم ، وخاتَمَ النَّبيّينَ وأَوّلَهُم ، ونسخَ بشرعِه الشَّرائعَ ، وملأَ بذكرِه المسامِعَ ، وشرَّفَ برسالته المنائِرَ[2] والمنابِرَ ، وقَرَنَ ذكرَهُ بذكرِهِ في لسان كلِّ ذاكِرٍ ، وذلَّل كُلَّ صَعبٍ لُطلاّبه ، وأَمدَّهُ بملائكته الكِرام تُجاهِدُ في رِكابه .

نسأَلُ اللهَ تعالىٰ الَّذي أَكرمنا بظهوره ، وأَخرجنا مِنْ ظُلمات الكُفْرِ بنورِه : أَنْ يَجعَلنا وإِيّاكُم مِمَّن شَمِلتهُ برحمته العناية ، ولاحظتهُ في جميع أَحواله عينُ الرِّعاية . وأَنْ يُشرِّفنا في هٰذه الدُّنيا بطاعته ، واتِّباع سُنَّته ، واغتنام زيارته ، ويَحشُرَنا يومَ القيامة في شفاعته وزُمرته .

---

(١) **النَّواصي** : النّاصيةُ ؛ مُقَدَّم الرّأس .

(٢) **المنائِرُ** : المآذن . وتجمع المنارة علىٰ القياس : منارات ، وعلىٰ غير قياس : منائر .

اللَّهُمَّ إنّا نتوجَّهُ إليكَ ، ونتشفَّعُ إليكَ بحقِّه عليكَ ، فهوَ أَوْجَهُ الشُّفعاء لديكَ ، وأَكرمُ الخَلق عليكَ : أَنْ لا تدعَ لنا ذنباً إلاّ غَفَرتَهُ ، ولا هَمّاً إلاّ فرَّجتَهُ ، ولا ضَرّاً إلاّ كشفتَهُ ، ولا عدوّاً إلاّ كفيتَهُ ، ولا شرّاً إلاّ صرفتَهُ ، ولا خيراً إلاّ يَسَّرتَهُ ، ولا واليّاً إلاّ أَصلحتَهُ ، ولا مُجاهداً في سبيلك إلاّ نصرتَهُ ، ولا طالباً للخير إلاّ أَعنتَهُ ، ولا حاجةً هيَ لكَ رِضىً إلاّ قضيتَها . يا أَرحَمَ الرّاحمين .

البابُ الأوَّل

في سَرْدِ مضمون هذا الكتاب

لِيتذكَّرَ به أولُوا الألْبابِ

مِنْ ذِكْرِ مَوْلِدِهِ ﷺ إلىٰ وَفاتِهِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُعْجِزاتِهِ وَغَزَواتِهِ، بِحَيْثُ لَوِ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ مُقْتَصِرٌ لأغْنَاهُ عَمَّا فَصَّلْنَاهُ في سَائِرِ الكِتَابِ وَقَرَّطْنَاهُ.

قالَ عُلَماءُ السِّيَرِ : وُلِدَ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ في ربيعِ الأوَّل ، / يومَ [ق٩] الإثنين ـ بلا خلافٍ ـ ، لثِنْتَي عشرةَ ليلةٍ خَلَتْ منه علىٰ الأَشهر[١] ، وأَرضعَتهُ حليمة السَّعديَّة ، وفَصَلَتْهُ لحولين كاملين ، وقَدِمَتْ به (مكَّةَ) ، ثُمَّ رجعَتْ به إلىٰ بلد (بني سَعدٍ) لِحرْصِها عليه ، وشُقَّ صدرُهُ ﷺ في العام الخامس وهوَ عندَهُم .

ثمَّ قَدِمَتْ به بعدَهُ لَمّا تخوَّفتْ عليه ، وكانت مُدَّةُ إقامتِهِ عندَهُم نحوَ خمسةِ أَعوامٍ .

وفي السَّنة السّادسة مِنْ مولدِهِ ﷺ : خَرَجتْ به أُمُّه معها إلىٰ (المدينة) ، فأَقامتْ به شهراً ، ثمّ رجَعَتْ به فماتَتْ بـ (الأَبْواء)[٢]

---

(١) ذكر محمود باشا الفلكي في «التَّقويم العربي قبل الإسلام» ، ص٣٦ ـ٣٩ : أَنَّ ولادة الرَّسول ﷺ كانت في صبيحة يوم اثنين التّاسع من شهر ربيع الأوَّل ، الموافق لعشرين من (نيسان) عام الفيل سنة إحدىٰ وسبعين وخمس مئة ميلاديَّة . (أَنصاريّ) .

(٢) **الأَبواء** : قرية من أَعمال الفرع من المدينة ، بينها وبين الجُحفة ممّا يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . (معجم معالم الحجاز ج١/ ٣٦) .

ـ بموحَّدةٍ ـ بينَ (مكَّةَ والمدينةِ) .

وفي السَّنة السَّابعة : وَفَدَ جَدُّهُ عبد المُطَّلب علىٰ سَيف بن ذي يَزَن الحِمْيَريّ ، فأَخبرَهُ سيفٌ والكُهّانُ بنبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ .

وفي السَّنة الثّامنة : توفّي جَدُّهُ عبد المُطَّلب ، وكَفَلَهُ عمُّهُ أَبو طالبٍ .

وفي الثّالثة عشرةَ : خرجَ به عمُّهُ أَبو طالبٍ إِلىٰ (الشّام) ، فلمّا بلغوا (بُصرىٰ) ، رَآهُ بَحِيرا الرّاهب ـ بفتح الموحَّدةِ وكسرِ المُهْمَلةِ ممدوداً ـ فتحقَّقَ فيه صفات النُّبوَّة ، فأَمرَ عمَّهُ بِرَدِّهِ ، فرجَعَ به .

وفي الرّابعة عشرةَ : كانتْ حرب الفِجار ـ بكسر الفاء ـ بين قُريشٍ وهَوازِنَ ، وكانتْ الدّائرةُ لهَوازنَ علىٰ قُريشٍ ، فشهِدَها النَّبيُّ ﷺ معَ قومِهِ يوماً ، فانْقلبتِ الدّائرةُ لقُريشٍ علىٰ هَوازِنَ .

ثمَّ عقدتْ قُريشٌ حِلْفَ الفُضول لنُصرة المظلوم ، فشهِدَهُ معَ قومِهِ .

وفي الخامسة والعشرين : خرجَ ﷺ معَ مَيْسَرَةَ ـ غُلام خديجة رضيَ اللهُ عنها ـ في تجارةٍ لها ، فرآهُ نَسْطورُ ـ بفتح النّون ـ الرّاهب ، فقالَ : (أَشهدُ أَنَّ هٰذا نبيٌّ ، وأَنَّهُ آخِرُ الأَنبياء) . فلمّا رجَعا أَخبرها مَيْسَرَةُ بذٰلكَ ، وبما شاهَدَ منهُ ﷺ ، فخَطَبتهُ إِلىٰ نفسِها ، فنكحها .

وفي الخامسة والثّلاثين : بَنَتْ قُريشٌ الكعبةَ ، ووضعَ ﷺ الحَجَرَ الأَسودَ في مكانِه .

وفي الثّامنة والثّلاثين : حَبَّبَ اللهُ إِليه الخَلْوَة ، فكانَ يَخلو بغار (حِراءٍ) ، ثمَّ كانَ يرىٰ الأَنوار ، ويَسمعُ الهواتفَ ، ثمَّ كانَ تُسلِّمُ عليه الأَحجارُ / والأَشجارُ . [ق١٠]

وقبلَ مبعَثِهِ ﷺ بستَّةِ أَشهرٍ كانَ وحيُهُ مناماً ، وكانَ لا يرىٰ رؤيا

إلاَّ جَاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبح ـ أَي : الصُّبح المَفلوق[1] ـ .

ولمّا بلغَ ﷺ أَربعين سنةً : جَاءَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ بالوحي مِنْ ربِّه عزَّ وجلَّ بِسُورة : إِقرأ ، ثمَّ [القَلم ، ثمَّ] المُدَّثِّر ، ثمَّ المزَّمِّل ، فكانَ في أَوَّل أَمرِهِ يَدعو النّاس إِلىٰ الله عزَّ وجلَّ سِرّاً حتّىٰ أَنزلَ اللهُ عليه : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ ﴾ [سورة الحِجر ١٥/ ٩٤] ـ أَي : شُقَّ جُموعَهُم بالتَّوحيد ـ فأَظهرَ الدَّعوةَ .

وفي السَّنة الخامسة مِنْ مبعَثِه ﷺ : هاجرَ جماعةٌ مِنَ الصَّحابة ، منهُم : عُثمان والزُّبير وعبد الرَّحمٰن وجعفر رضيَ اللهُ عنهُم ومَنْ معَهُم إِلىٰ (الحبشة) ، فأَقاموا بها عشرَ سنين .

وفي السَّنة السّادسة مِنْ مبعَثِه ﷺ : أَسلَمَ حمزةُ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُما ، فعزَّ بإِسلامِهِما الإِسلامُ .

وفي السَّنة السّابعة لمُستهلِّ المحرَّم منها : تعاهدت قُريشٌ علىٰ قطيعة بني هاشِمٍ ، إلاَّ أَن يُسْلِموا إِليهمُ النَّبيَّ ﷺ ويَبْرَؤُوا منهُ ، وكتبوا بذٰلكَ بينَهُم صحيفةً ، وعلَّقوها في الكعبة .

فٱعتزلَ بنو هاشِم بن عبد مَنافٍ ، وتبِعَهُم إِخوانُهُم بنو المُطَّلب بنِ عبد مَنافٍ معَ أَبي طالب إِلىٰ شِعْبِ أَبي طالبٍ ، فأَقاموا به نحوَ ثلاث سنين ، إِلىٰ أَنْ سعىٰ المُطْعِمُ بنُ عَديّ بنِ نَوْفل بنِ عبد مَنافٍ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسود بنِ [المُطَّلب بنِ] أَسدٍ في نقض الصَّحيفة ، فخرجَ بنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلب مِنَ الشِّعْبِ في أَواخِرِ السَّنة التّاسعة .

وفي السَّنة العاشرة : ماتَ أَبو طالبٍ ، ثمَّ ماتَتْ بعدَهُ خديجةُ رضيَ اللهُ عنها بثلاثة أَيّامٍ ، فَحَزِنَ ﷺ لموتِهما حُزناً شديداً ، ونالتْ

---

(١) رؤيا واضحة . فَلَقَ اللهُ الصُّبحَ : أَبداهُ وأَوضحهُ .

قُريشٌ منهُ ﷺ ما لَمْ تكن تنالُه في حياة عمِّه أَبي طالبٍ .

فخرجَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ (الطَّائِفِ) ، وأَقامَ بها شهراً يدعو ثَقيفاً إِلىٰ الله تعالىٰ ، فردُّوا عليه قولَهُ ، وأَغْرَوا[1] به عندَ انصرافه سفهاءَهُم ، فرَجعَ إِلىٰ (مكَّةَ) فلَمْ يَدْخُلْها إلاّ بجوار المُطْعِم بنِ عَديٍّ .

[ق١١] وفي السَّنة الحاديةَ عشْرةَ / : اجتهدَ ﷺ في عَرْضِ نفسِهِ علىٰ القبائِلِ في الموسِم ، فآمنَ به ستَّةٌ مِنْ رؤساء الأَنصار ، ورجَعوا إِلىٰ (المدينة) ، ففشا فيها الإِسلامُ .

وفي السَّنة الثَّانيةَ عشْرةَ ـ في رجبٍ منها أَو رمضانَ ـ : أَسرىٰ به مولاهُ مِنَ المسجد الحرام إِلىٰ المسجد الأَقصىٰ ، ثمَّ إِلىٰ سِدْرَة المُنتهىٰ . وفي تلك اللَّيلة فَرَضَ اللهُ عليه وعلىٰ أُمَّته الخَمسَ صلواتٍ .

وفي آخِرِ تلك السَّنة في الموسِم : وافاهُ اثنا عشرَ رجلاً مِنَ الأَنصار بـ(العَقَبة) ليلاً ، فبايعوه بيعة النِّساء المذكورة في قوله تعالىٰ : ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ﴾ الآية [سورة الممتحنة ٦٠/ ١٢] ، وبعثَ معَهُم مُصعبَ بنَ عُميرٍ يُقرِئُهُم القرآن ، فأَسلَمَ علىٰ يديه السَّعدان : سعدُ بنُ مُعاذٍ سيّدُ الأَوس ، وسعدُ بنُ عُبادةَ سيّدُ الخَزْرَج ، فأَسلَمَ لإِسلامِهِما كثيرٌ مِنْ قومِهما .

وفي السَّنة الثَّالثةَ عشْرةَ ـ في آخرها في الموسِم ـ : وافاهُ سبعونَ رجلاً مِنْ مُسلمي الأَنصار فبايعوه عند (العَقَبة) أَيضاً ، علىٰ أَن يَمنعوهُ إِنْ هاجرَ إِليهِم ممّا يَمنعونَ منهُ أَنفُسَهُم ونساءَهُم وأَبناءَهُم ، وأَخرجوا لَهُ اثني عشرَ نقيباً ؛ تسعةً مِنَ الخَزْرَج وثلاثةً مِنَ الأَوس ، ثمَّ رجَعوا إِلىٰ (المدينة) .

فأَمرَ النَّبيُّ ﷺ حينئذٍ أَصحابَهُ بالهجرة إِلىٰ (المدينة) ، فهاجروا

---

(١) أَغرىٰ به : أَولعَ ، وحرَّضَ عليه ، والمقصودُ : حرَّضوا عليه سُفهاءَهُم .

إِليها ، وأَقامَ ﷺ يَنتظرُ الإِذنَ مِنْ ربِّه تعالىٰ في الهجرة ، وحبسَ معَهُ عليّاً وأَبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

فٱجتمعتْ قُريشٌ في دار النَّدوة للمشاورَة في أَمر النَّبيِّ ﷺ ، فأَجمعوا علىٰ قتلِهِ ، فنزلَ جبريلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بالوحي مِنْ عندِ الله تعالىٰ ، فأَخبرَهُ بذٰلكَ ، وأَمرَهُ بالهجرة إِلىٰ (المدينة) ، فهاجرَ إِليها . وذٰلكَ في أَواخر صفرٍ مِنَ السَّنة المذكورة ـ الرّابعةَ عشْرة ـ لتمام ثلاثَ عشْرةَ مِنْ مبعَثِه ﷺ .

ودخلَ ﷺ مِنْ عوالي (المدينة) ، يوم الإِثنين ، الثّاني عشرَ مِنْ ربيع الأَوَّل ، فلبِثَ في (قُباء) عند بني عَمرو بن عَوفٍ أَربعَ عشْرة / ليلةً ، وبنىٰ فيها مسجد (قُباء) ، ثمَّ ٱنتقلَ فنزلَ في بني النَّجار ، [ق١٢] أَخوال جدِّه عبد المُطَّلب ؛ في منزل أَبي أَيّوب الأَنصاريّ شهراً ، إِلىٰ أَن بنىٰ مسجدَهُ الشَّريفَ ومساكِنَهُ .

وفي تلك السَّنة ، وهيَ الأُولىٰ مِنْ سِنيّ الهجرة : شُرِعَ الأَذانُ .

وفي أَوَّل السَّنة الثّانية أَو آخِرِ الأُولىٰ : نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآيات [سورة الصَّف ٦١/ ١٠ـ١١] ؛ فأَمرَ بالجهاد .

وفي السَّنة الثّانية في رجبٍ : نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٤٤] ؛ فَحُوِّلَتِ القِبلةُ إِلىٰ الكعبة ، بعدَ أَنْ صلّىٰ إِلىٰ بيت المَقْدِس نحوَ ستَّةَ عشرَ شهراً .

وفي شعبانَ منها ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ : نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ الآيات [سورة البقرة ٢/ ١٨٣] ؛ ففُرِضَ صومُ رمضانَ ، وفرَضَ فيه ﷺ صَدَقَةَ الفِطْر .

وفيها أَيضاً ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ في يوم الجُمعة السّابعَ عشرَ مِنْ رمضانَ : كانتْ وقعَةُ (بَدْرٍ) الكُبرىٰ ، وهيَ يوم الفُرقان ، يوم ٱلتقىٰ الجَمعان ، ونزلَتْ سورة الأَنفال في قِسمة غنائِمها .

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ بعدَ (بَدْرٍ) : أَمرَ النَّبيُّ ﷺ بقتل كعبِ ابن الأَشرف الطّائيّ وأُمُّهُ مِنْ بني النَّضير ، وهوَ في حِصْنٍ مِنْ (يثربَ) ، فقتلَهُ خمسةٌ مِنَ الأَوس ، عليهم محمَّد بنُ مَسْلَمَة ـ بفتح الميم واللاَّم ـ .

ثمَّ أَمرَ [ﷺ] بقتل أَبي رافع بن أَبي الحُقيق ، وهو في حِصْنٍ بـ (خيبرَ) ، فقتلَهُ سبعةٌ مِنَ الخَزْرَج ، عليهم عبدُ الله بن عَتيكٍ ـ بتقديم الفوقيَّة علىٰ التَّحتيَّة ، كعظيمٍ ـ .

وفيها ـ [أَي : السَّنةِ الثّانية] ـ : نقضت يهودُ (المدينة) ـ بنو قَيْنُقاعَ رَهْطُ عبد الله بنِ سَلامٍ الحَبْرِ الإِسرائيليّ ـ العهدَ ، فحاصرَهُم النَّبيُّ ﷺ حتّىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِهِ ، فٱستوهَبَهُم منهُ عبدُ الله بنُ أُبيّ ابنُ سَلولَ[١] ، وكانوا حلفاءَهُ ، فوهبَهُم لَهُ .

وفي السَّنة الثّالثة ، في شوّالٍ ، في اليوم الخامسَ عَشَرَ منه : كانت وقعَةُ (أُحُدٍ) ، فأَكرمَ اللهُ تعالىٰ فيها مَنْ أَكرمَ بالشَّهادة ؛ ومنهُم : حمزةُ رضيَ اللهُ عنهُ ، ونزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ / تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ إِلىٰ آخر السّورة [سورة آل عِمران ٣/ ١٢١] . [ق١٣]

وفيها ـ [أَي : السَّنةِ الثّالثة] ـ بعدَ (أُحُدٍ) : بعثَ النَّبيُّ ﷺ عاصمَ بن ثابتٍ في عشرةٍ عيناً[٢] ، فلمّا كانوا في بعض الطَّريق

---

(١) عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ؛ كتابةُ (ابن سلول) بالألف ، ويعرب بإِعراب عبد الله ؛ فإِنَّه وصفٌ ثانٍ له ، لأَنَّهُ عبد الله بن أُبيّ . وهو عبد الله بن سلول أَيضاً ، فأُبيٌّ أَبوه ، وسلول أُمُّه ، فنُسبَ إِلىٰ أَبويه . (أَنصاريّ) .

(٢) في ٱبن هشام : ستَّةُ نفر . والأَصحُّ ما أَثْبَتَهُ المُؤلِّف ـ رحمَهُ اللهُ ـ وهم ستَّةٌ من المهاجرين وأَربعة من الأَنصار ، (أَخرجه البُخاريّ ، برقم (٢٨٨٠) ؛=

بـ (الرَّجيع) وهوَ ماءٌ لهذيل بين (عُسْفان ومَرِّ الظَّهران)[١] ظَفِرَ بهم بنو لِحْيان بعدَ أَن أَعطوهُمُ العهدَ بالأَمان ، فقتلوا منهم ستَّةً ، وهرب ٱثنان ، وأَسروا ٱثنين ، وهُما : خُبيب بن عَديّ ، وزيد بن الدَّثِنَّة ، فباعوهما بـ (مكَّة) لقُريشٍ ، فٱشتروهُما وقتلوهُما .

وفيها أَيضاً ـ [أَي : السنةِ الثّالثة] ـ بعد (أُحُدٍ)[٢] : بعثَ النَّبيُّ ﷺ مع عامر بن مالِكٍ العامريّ مُلاعبِ الأَسِنَّة[٣] سبعينَ رجلاً ، وهم القُرّاء بجواره ، فقَتلَهُم قبائل سُليم عُصَيَّةُ وَرِعْلٌ وذَكْوانُ ، وأَخفروا[٤] جِوارَ عامر بن مالكٍ ، فقنتَ النَّبيُّ ﷺ يدعو

= عن أَبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ) ، وقد أَوردَ المؤلِّفُ بعثَ الرَّجيع ضمن أَحداث السَّنة الثّالثة للهجرة . والَّذي ترجَّح أَنّها من أَحداث السَّنة الرّابعة . واللهُ أَعلمُ .

(١) مرّ الظَّهران : وهو في معاجم الجغرافية العربيّة : (وادي فاطمة) ؛ يقع في الشّمال الشّرقي لمكَّة ، بعيداً عنها بـ ٢٨ كيلو متر منها ، وهو أكبر الوديان سعة ، وأكثرها خصباً وماءاً ، وأَوفرها قرىً وسكّاناً ومساكن ، يصب فيه تسعون وادياً من أَوديَةِ مكَّة الكبار والصِّغار ، فهو مجمع الأَوديَةِ ، وطوله نحو ثمانين كيلو متراً .
ويبتدىء وادي فاطمة من المناعمة شرقاً بجنوب ، وينتهي بجدّة غرب مكَّة ، وتهبط مياهه من جبل (برد) وهو أَعلىٰ فرع له من جهة الجنوب ، ويهبط بعض مياهه كذٰلك من وادي نخلة (اليمانيّة) من البوباة (البهيتة) .
وكذٰلك يصب فيه وادي نخلة (الشامية) من الناحية الغربيّة ، ويصبّ فيه وادي (حورة) أَيضاً ، وكذٰلك وادي (علاف) من ناحية الشّمال ، ووادي (العشر) ووادي (سَرِف) الذي به قبر السَّيِّدة ميمونة أُمِّ المؤمنين رضيَ اللهُ عنها ، كلاهما يفيضان علىٰ وادي فاطمة .
ولعل لإِقامة الأَشراف الهاشميين من بني فاطمة رضيَ اللهُ عنها أَثراً في تغليب اسم (وادي فاطمة) علىٰ اسم (مرّ الظهران) .

(٢) أَيضاً أَورد المؤلِّفُ وقعة بئر معونَةَ ضمن أَحداث السَّنة الثّالثة للهجرة . والَّذي ترجَّح أَنّها من أَحداث السَّنة الرّابعة . واللهُ أَعلمُ .

(٣) وسمّي عامر بن مالِك مُلاعب الأَسِنَّة يوم السُّوبان ، والأَسنَّةُ : جمع سِنان ، وهو : الرّمح ، فكان عامرٌ مُلاعب الرِّماح .

(٤) **أَخفروا** : نقضوا العهد وغدروا .

عليهم وعلىٰ بني لِحْيان .

وكانوا أَطلقوا عَمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ ، فلمّا رجَعَ وجدَ ٱثنين مِنْ بني عامرٍ فقتلَهُما ومعَهُما جِوارٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لَمْ يَعلَم به ، فَوَداهُما[١] النَّبيُّ ﷺ .

وفيها أَو في الرّابعة[٢] : قصد النَّبيُّ ﷺ بني النَّضير ليَستعينُهُم في ديَة الرَّجلين اللَّذين قتلَهُما عَمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ ، فٱستند إلىٰ جدار حِصْنٍ لَهُم ، فهمّوا بطرح حجرٍ عليه ، فنزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ فأَخبرَهُ بذٰلكَ ، فقامَ مُوهِماً لَهُم أَنَّهُ غيرُ ذاهبٍ ، ثمَّ صبَّحَهُم ﷺ بالجيش فجلاهُم[٣] إلىٰ (الشّام) .

وفيهِم نزلَتْ سورة الحَشر : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ٢] إلىٰ آخرها ، فجَلَوا إلىٰ (الشّام) ، إلاّ حُيَيَّ بن أَخْطَبَ فلحِقَ بـ (خَيْبَرَ) .

وفي السَّنة الرّابعة : خرجَ النَّبيُّ ﷺ بأَصحابه في شهر رمضانَ[٤] في مَوْعِدٍ [معَ] أَبي سُفيانَ لَهُ يوم (أُحُدٍ) إلىٰ (بَدْرٍ) ، فلَمْ يأته أَبو سُفيانَ وقومُهُ ، فرجَعَ النَّبيُّ ﷺ .

وفيها ـ [أَي : السَّنة الرّابعة] ـ : كانت غزوة ذات الرِّقاع ، فخرجَ ﷺ إلىٰ (نجدٍ) يُريد غَطَفان ، فٱلتقىٰ بهِم ولَمْ يَكُن قِتالٌ ، فنزلَتْ : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الآيات [سورة النِّساء ٤/ ١٠٢] .

---

(١) **وداهما** : دفعَ ديَتهما .

(٢) والصَّواب : الرّابعة ، لأَنَّ غزوة بني النَضير كانت بعدَ أُحُدٍ بستَّةِ أَشهرٍ . واللهُ أَعلمُ .

(٣) **جلاهُم** : أَخرجهم من ديارهم .

(٤) أَجمع أَهلُ السِّيَر علىٰ أَنَّ خُروج النَّبيِّ ﷺ كانَ في شعبان . ويُسمّىٰ بـ (غزوة بَدْرٍ الآخرة) . واللهُ أَعلمُ .

فصَلُّوا صلاةَ الخوف .

ولمّا قفلَ ﷺ منها ـ أَي : رجَعَ ـ نامَ تحتَ / شجرةٍ وقتَ القيلولَة ، [ق١٤]
وتفرَّقَ عنهُ النّـاسُ ، وعلَّقَ سيفَهُ بالشَّجرة ، فهَمّ غُوْرَثُ بنُ الحارث بقتله به ، فعصَمَهُ الله منه ، ونزَلَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [سورة المائدة ٥/ ١١] ، في ذٰلك أَو في قصَّة بني النَّضير[١] .

وفي السَّنة الرّابعة[٢] : بَلَغَهُ أَنَّ بني المُصْطَلِق مِنْ خُزاعةَ أَجمعوا لحربه ، فخرجَ ﷺ إِليهم حتّىٰ لقيَهُم بـ : (المُرَيسيع)[٣] ـ مصغَّراً بمهملاتٍ ـ وهوَ ماءٌ لَهُم مِنْ ناحية (قُدَيْدٍ)[٤] ـ مصغَّراً بقافٍ ومُهملةٍ مكرَّرة ـ وهوَ مكانٌ بينَ (مكَّة والمدينةِ) ، فهزمَهُم ، وسبىٰ أَموالَهُم وذراريَّهُم ، وٱصطفىٰ منهم أُمَّ المؤمنين جُوَيرِيَّةَ بنتَ الحارث المُصْطَلقيَّة رضيَ اللهُ عنها .

ولمّا قفلَ ﷺ منها ٱزدحمَ المُهاجرون والأَنصار علىٰ ماءٍ .

وكانَ مِنْ أَمر عبد الله بن أُبيّ بن سَلول ما كانَ مِنْ قوله : ﴿ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ [سورة المنافقون ٦٣/ ٨] ،

---

(١) قال القُشَيري : وقد تنزِلُ الآيةُ في قصَّةٍ ، ثمَّ ينزلُ ذكرُها مرَّةً أُخرىٰ لادِّكارِ ما سبقَ .

(٢) **قلتُ** : ترجَّح أَنّها في السَّنة الخامسة . واللهُ أَعلمُ .

(٣) **المريسيع** : قريةٌ من قرىٰ وادي القُرىٰ وهو من ناحية قُديد إلىٰ الشّام ، (الزَّهر المعطار ، ص ٥٣٢) .

(٤) **قُديد** : في الجنوب الشَّرقي عن رابغ ، تبعد عنها بمرحلة وربع (سبعة وعشرون ميلاً) . ويسكنها بنو زبيد ، وبها عيون ونخيل وبساتين ، ويقربها إلىٰ جهة البحر كان صنم (مناة) منصوباً .

فَنجَمَ نِفاقُهُ ـ أَي : ظَهَرَ ـ ونزلَتْ فيه سورةُ المُنافقين .

ولمّا دَنَا ﷺ مِنَ (المدينة) تخلَّفَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها عن الجيش ليلاً في قضاءِ حاجةٍ لها ، فَرحَلوا هَوْدَجَها ولم يشعروا بها ، فقالَ فيها أَهلُ الإفك ما قالوا ، ونزلَتْ العشرُ الآيات مِنْ سورة النّور : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ ﴾ [سورة النّور ٢٤/ ١١] .

وفيها ـ [أَي : السَّنة الخامسة] ـ : كانتْ وقعةُ الخندق ـ وهيَ الأَحزابُ أَيضاً ـ في شوّالٍ سنةَ [خمسٍ][1] بعدَ غزوة (بَدْرٍ) الصُّغرىٰ ، وكانَ المشركون فيها أَحدَ عشرَ أَلفاً ، وٱشتدَّ الحِصارُ علىٰ أَهل (المدينة) ، ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ١٠] كما حكىٰ اللهُ عنهُم ، وكانت مدَّةُ الحِصار نحوَ شهرٍ ، ثمَّ كشفَ اللهُ عنهُم بما ذكرَهُ في قولِهِ : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٩] ، ونزلَتْ سورة الأَحزاب .

ووقعَ في أَيّام (الخَندق) ما وقعَ مِنْ مُعجزاتِهِ ﷺ الباهِرة ، كحديثِ الكُديَةِ[2] ـ بضمِّ الكاف ـ الّتي ٱعترضَتْ ، فهدَّها النَّبيُّ ﷺ بالمِعْوَل .

[ق١٥] وحديثِ جابرٍ حيثُ دعا النَّبيَّ ﷺ خامسَ خمسةٍ / إِلىٰ عَناقٍ[3] وصاعٍ مِنْ شعيرٍ ، فأَشبعَ مِنْ ذٰلك جيشَ الخَندقِ كُلَّهُ ؛ وهُم أَلفٌ فأَكثرُ .

وحديثِ أَبي طلحةَ حيثُ بعثَ أَنَساً بأَقراصٍ تحتَ إِبْطِهِ فأَشبعَ منها ﷺ ثمانينَ رجلاً جِياعاً .

---

(١) في المخطوط : أَربع .
(٢) الكُديةُ : قطعةٌ صلبةٌ غليظةٌ ، لا تعملُ فيها الفأْسُ . (النِّهاية ، ج٤/ ١٥٦) .
(٣) العَناقُ : الأُنثىٰ من أَولاد الماعز مالم يتمّ لها سنة . (النِّهاية ، ج٣/ ٣١١) .

وكانتْ بنو قريظة مُعاهِدينَ لَهُ ﷺ فنقضتِ العهدَ في مدَّة الحِصار، وأَعانوا المُشركينَ .

فلمّا هزمَ اللهُ الأَحزابَ وٱنقضىٰ الحصار ، جاءَ جبريلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ وقتَ القيلولَة[1] ، فأَمرَهُ بالخروج إِليهِم ، فخرجَ ﷺ فحاصَرَهُم .

فأَرسلوا إِلىٰ أَبي لُبابة رضيَ اللهُ عنهُ يَستشيرونَهُ ، فكانَ مِنْ أَمره رضيَ اللهُ عنهُ ما كانَ ، فلمّا ٱشتدَّ بهِمُ الحِصارُ نزلوا علىٰ حُكْمِ سعدِ بن مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانوا حلفاءَهُ ، وكانَ قد أُصيبَ بسهمٍ يومَ (الخندق) ، فحَكَمَ فيهم بقتلِ رجالِهم وسبي نسائِهم وذرارِيِّهم وقِسمة أَموالِهم ، فقالَ ﷺ : « لَقَدْ وَافَقْتَ حُكْمَ اللهِ تَعالىٰ »[2] ثم ماتَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فٱهتزَّ العرشُ لموته رضيَ اللهُ عنهُ فرحاً بقدوم روحه .

وفي السَّنة الخامسة : زوَّجَهُ اللهُ تعالىٰ زينبَ بنتَ جَحْشٍ أُمَّ المؤمنين رضيَ اللهُ عنها ، كما نطقَ به القرآن : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ الآيات [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٣٧] .

وفيها : ـ [أَي : السَّنة السَّادسة] ـ خرجَ ﷺ مُعتمِراً في ذي القَعْدة ، فصدَّتْهُ قُريشٌ عن البيت ، فوقَعَتْ بيعةُ الرّضوان . ثمَّ صُلح الحُدَيْبيَة عشر سنين ، وفيه :

أَنَّهُ لا يأْتيه أَحدٌ مُسْلِماً إِلاّ ردَّهُ إِليهِم .

---

(١) **القيلولةُ** : الاستراحة نصف النَّهار ، وإِن لم يكن معها نومٌ . (النِّهاية ، ج٤/ ١٣٣) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٩٥) ، عن أَبي سعيد الخُدري رضيَ اللهُ عنهُ . بنحوه .

وأَنَّ بني بكرٍ في صُلحِهم ، وخُزاعةَ في صُلحِه ﷺ .

وألاّ يَدخُلَ (مكّةَ) إلاّ مِنْ عامٍ قابلٍ .

فنحرَ هَدْيَهُ وحلَقَ ورجَعَ ﷺ ، ونزلَتْ سورة الفَتح : ﴿ لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الآيات [سورة الفتح ٤٨/١٨] .

وفيها ـ [أي : السَّنة السّادسة] ـ : ٱنْفَلتَ أَبو بَصيرٍ ـ بموحَّدةٍ ومُهْمَلةٍ كعظيم ـ إلىٰ (المدينة) مُسْلِماً ، فردَّهُ النَّبيُّ ﷺ فقتلَ واحداً مِنَ الرَّجلين اللَّذَين رجعا به ، وٱنْفَلتَ ، فلحِقَ بسِيْف البحر[1] ، فٱنفلتَ إليه أَبو جندلٍ ـ بجيمٍ ونون ـ بنُ سُهيل بن عَمرو ورجالٌ مِنَ المُسلمينَ / المُستضعَفينَ بـ(مكّةَ) ، فٱجتمعتْ منهُم عصابةٌ ، فقطعوا سبيلَ قُريشٍ إلىٰ (الشّام) ، حتّىٰ سألتْ قُريشٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ أَنْ يَضمَّهُم إليه ، ومَنْ جاءَهُ فهوَ آمِنٌ ، فضمَّهُم إليه . [ق١٦]

وفيها ـ [أَي : السَّنة السّابعة] ـ أَسلم جماعةٌ مِنْ رؤساءِ قُريشٍ منهُم : عَمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُما ، بعدَ أَنْ أَسلَمَ عَمرو بـ(الحبشة) علىٰ يد النَّجاشيّ[2] .

وفيها ـ [أَي : السَّنة السّابعة] ـ أَرسلَ النَّبيُّ ﷺ رُسُلَهُ بكُتُبه إلىٰ ملوك الأَقاليم .

---

(١) سِيْف البحر : ساحله .

(٢) أَورد ٱبن هشام هذا الخبر إثر غزوة بني قُريظة ، لأَنَّ ذهاب عَمْرو بن العاص إلىٰ النَّجاشيّ كان بعد غزوة الخندق ، وقد ذُكِرَ هنا قبل فتح مكَّة ؛ لأَنَّ خالد بن الوليد كان في خيل المشركين يوم الحُديبية ، وقد ذكرَ البيهقي في « الدَّلائل » ، وابن سعد في « الطَّبقات » ، والهيثميّ في « مجمع الزَّوائد » ، وغيرهم أَنَّ إسلامَ هؤلاء الصَّحابة كانَ في أَوائل سنة ثمانٍ . واللهُ أَعلمُ .

ومنهم : عبد الله بنُ حُذافَةَ السَّهميُّ ، بعثَهُ بكتابه إِلىٰ كِسْرىٰ فمزَّقَهُ ، فدعا عليهِم أَنْ يُمَزَّقوا كلَّ مُمَزَّقٍ[١] .

ومنهم : دِحْيَةُ بنُ خَليفَةَ الكَلْبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، بعثَهُ بكتابه إِلىٰ قيصرَ [مَلِكِ الرّوم] ، فوجدَ عندَهُ أَبا سفيان ، فٱستدعاهُ قيصرُ ، فسأَلَهُ عنْ صِفات النَّبيِّ ﷺ وشرائع دينه ، فأَخبرَهُ أَبو سفيان بها ، فٱعترفَ قيصرُ بنبوَّتِهِ ﷺ ، ولَمْ يُوَفَّق للإِسلام ، لعدم مساعدَةِ جنودِهِ لَهُ مَعَ شقاوَتِهِ ، فوقعَ الإِسلامُ مِنْ يومِئِذٍ في قلب أَبي سفيان .

وفي السَّنة السّادسة[٢] في المُحرَّم منها : ٱفتتحَ النَّبيُّ ﷺ (خَيْبَرَ) بعدَ أَنْ حاصرَهُم سبَع عشْرةَ ليلةً ، ثمَّ قسمَ أَموالهم نصفين ، نصفاً لنوائبه[٣] ونصفاً بينَ المُسلمين[٤] .

وقَدِمَ عليه جعفرٌ فيمَن بقيَ مِنْ مُهاجِرَةِ (الحبشة) رضيَ اللهُ عنهُم ، فأَسهَمَ لَهُم .

وأَهْدَتْ إِليه اليَهوديَّةُ[٥] الشّاةَ المَصْلِيَّةَ ـ أَي : المشويَّةَ ـ المَسمومَةَ ، فأَخبرَهُ الذِّراعُ بذٰلكَ .

وٱصطفىٰ ﷺ مِنْ سبايا (خَيْبَرَ) أُمَّ المؤمنين صفيّةَ بنت حُيَيٍّ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٤) ، عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) **قلتُ** : ترجَّح أَنَّها في السَّنة السّابعة . واللهُ أَعلمُ .

(٣) **نوائبه** : جمع نائبة ؛ وهيَ ما ينوبُ الإِنسانَ ، أَي : ما يَنْزِلُ به من المُهِمّات والحوادث .

(٤) أَخرج البُخاريُّ ، برقم (٢٣٦٦) ، عن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أَعطىٰ رسولُ الله ﷺ خيبرَ اليهودَ ، أَن يَعمَلوها ويزرعوها ، ولهُم شَطْرُ ما يخرج منها .

(٥) وهيَ : زينب بنت الحارث ، ٱمرأة سلاّم بن مِشكَم ، وٱبنة أَخي مرحَبٍ . (أَنصاريّ) .

الإِسرائيليَّة الهارونيَّة رضيَ اللهُ عنها .

وفي ذي القَعْدَة منها ـ [أي : السَّنة السّابعة] ـ : اْعتمرَ ﷺ عُمرةَ القضاء ، وأَقامَ بـ (مكَّة) ثلاثاً ، ثمَّ رجعَ فدخلَ ﷺ بميمونةَ بنت الحارِث الهلاليَّة ، أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها خالةِ ابن عبّاسٍ ، وذٰلكَ ليلةَ مُنصَرَفِهِ مِنْ (مكَّة) بـ (سَرِف)[1] ـ ككَتِف ، بموحَّدةٍ وسين مُهْمَلةٍ ـ وهو بينَ (التَّنعيم[2] ومرّ الظَّهْران) ، وبذٰلكَ المكان كانَ مَوْتُها وقبرُها رضيَ اللهُ عنها .

[ق١٧] وفي السَّنة السّابعة : اْتُّخِذَ لَهُ المِنْبرُ ﷺ ، / وكانَ مِنْ قبلُ يَخطُبُ إِلىٰ جِذْعِ نخلةٍ ، فحنَّ إِليه الجِذعُ ، حتّىٰ مسحَ عليه وضمَّهُ إِليه .

وفيها ـ [أَي : السَّنة السّابعة] ـ في رجبٍ : قَدِمَ عليه وَفْدُ عبد القيس يسأَلونَهُ عن الإِسلام ، ورئيسُهُمُ الأَشجُّ[3] ـ بمُعجمةٍ وجيمٍ ـ فأَثنىٰ عليه النَّبيُّ ﷺ وعليهم خيراً .

وفي السَّنة الثّامنة في جماديٰ الأُولىٰ منها : كانتْ غزوةُ مُؤْتَة ـ بفوقيَّةٍ مَضمومَةِ الميم مهموزةِ [الواو] ـ وهيَ قريَةٌ مِنْ قُرىٰ (البلقاء) مِنْ أَرض (الشّام) ، فأَكرمَ اللهُ فيها جَعفراً وزيداً وابنَ رَواحة وجماعَةً رضيَ اللهُ عنهُم بالشَّهادة ، ثمَّ أَخذَ الرّايةَ خالد بنُ الوليد رضيَ اللهُ عنهُ ، ففتحَ اللهُ علىٰ يديه ، واْنحازَ بالمسلمين ، وكانوا ثلاثةَ آلافٍ ، وكانَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرّوم في مئتي أَلف .

---

(١) **سَرِف** : موضعٌ علىٰ ستَّة أَميالٍ من مكَّة شمالاً .

(٢) **التَّنعيم** : وادٍ يقع شمال مكَّة بقمَّة جبال بشم شرقاً وجبل الشهيد جنوباً . وهو ميقاتٌ لمن أراد العمرة من المكيين . وفيه مسجد عائشة رضيَ اللهُ عنها . يقع علىٰ مقربة ستَّة أَميال شمالاً من المسجد الحرام علىٰ طريق المدينة ، (معالم مكَّة ص ٥٠ـ٥١) .

(٣) واسمه : المنذر بنُ الحارث العَبديّ .

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثامنة] ـ في رمضان : كانَ فتحُ (مكَّة) .

وسببُ ٱنتقاضِ الصُّلحِ : أَنَّ قُريشاً أَعانَتْ حلفاءَهُم (بني بكرٍ) علىٰ (خُزاعة) حلفاء النَّبيِّ ﷺ ، فقَدِمَ أَبو سُفيان (المدينة) يَطلُبُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ صُلحاً ، فلَمْ يُجبْه إِليه ، فرجَعَ ، وقَدِمَ عَمرو بن سالِم الخُزاعي الكَعبيّ يَستنصِرُ النَّبيَّ ﷺ على قُريشٍ ، فأَجابَهُ إِلىٰ ذٰلك ، وتجهَّزَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ (مكَّةَ) في عشرةِ آلافٍ ، فلمّا بلغَ (الجُحْفَةَ)(١) ـ بجيمٍ مَضمومَةٍ ثمَّ حاءٍ مُهْمَلةٍ ساكنةٍ ـ علىٰ ثلاثِ مراحلَ مِنَ (المدينة) لقيَهُ عمُّهُ العبّاسُ رضيَ اللهُ عنهُ مُهاجِراً بأَهلِهِ ، فردَّهُ معَهُ ، وكانَ قد أَسلَمَ بعدَ (بَدْرٍ) ، وٱستأذَنَ النَّبيَّ ﷺ في أَن يُقيمَ : بـ (مكَّة) علىٰ سِقايَةِ الحاجِّ ، فأَذِنَ لَهُ . ولقيَهُ أَيضاً ابن عمِّه أَبو سُفيانَ بنُ الحارث بنِ عبد المُطَّلب قد أَقبلَ مُسْلِماً ، مُعْتذِراً ممّا كانَ جرىٰ منهُ ، فردَّهُ معَهُ . وأَخذَ اللهُ العيونَ علىٰ قُريشٍ بدعوتهِ ﷺ(٢) ، فلَمْ يَشْعُرْ أَحدٌ بخروجه ﷺ إِليهم .

فلمّا بلغَ (مرّ الظَّهْران) أَدْرَكَتِ العبّاسَ الرِّقَّةُ علىٰ قومِهِ ، فركِبَ بغلةَ النَّبيِّ ﷺ بإِذنِهِ ليُخبرَهُم أَنْ يأخذوا أَماناً منهُ ﷺ ، فلقيَ أَبا سُفيان بنَ حَربٍ في نفرٍ مِنْ قُريشٍ / خَرجوا يَتطلَّعونَ ، وذٰلك في اللَّيل ، فردَّهُم إِلىٰ (مكَّة) ، وأَتىٰ بأَبي سُفيانَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأَسلَمَ ، ثمَّ أَصبحَ ﷺ فدخَلَ (مكَّة) ضُحىً مِنْ أَعلاها ، وذٰلك لعشرٍ بقينَ مِنْ رمضانَ ، وأَقامَ بها ثمانيةَ عشرَ يوماً يَقصُرُ الصَّلاةَ . [ق١٨]

---

(١) **الجُحْفة** : وهو وادٍ يبتدىء من شرق رابغ من ناحية الجبال، ويصبّ جنوب رابغ في البحر، ببعد ثلاث ساعات. وهو ميقات حجّاج (مصر والشّام)؛ إن لم يمرّوا علىٰ (المدينة)، وكانت الجُحْفة قريةً تاريخيَّةً ، وهي الآن خربة ، وبها آثار القرية المعمورة ، وأَطلال قصر أَثريّ مبنيٍّ بالحجارة السوداء ؛ ٱسمه (قصر العلياء) .

(٢) ودعاؤه ﷺ : «اللَّهُمَّ خُذِ العيونَ والأَخبار عن قُريشٍ» .

ثمَّ بلغَهُ أَنَّ (هَوازن) ٱجتمعتْ لحربه في أَربعةِ آلافٍ ، عليهم مالك بن عَوفٍ النَّصْريُّ[١] ، فخرجَ ﷺ إليهم لعشرين [من] شوّالٍ ، في عشرةِ آلاف جيش الفتح ، وأَلفين مِمَّن أَسلَمَ يومَ الفتح ، فكانوا ٱثني عشرَ أَلفاً ، فأَعجبتهُم كَثْرَتُهم ، فقالوا : لَنْ نُغلَبَ اليومَ مِنْ قِلَّة ، فلم تُغْنِ عنهُم كَثْرَتُهم شيئاً ، ووجدوا المُشركينَ قد كَمَنوا لَهُم في شِعاب (حُنَيْنٍ) وهوَ وادٍ بينَ (مكَّة والطّائف) ، فلمّا توسَّطَ المُسلمونَ فيه شدّوا عليهِم ورشقوهُم بالنّبل ، وكانوا رُماةً ، فٱنهزمَ المُسلمونَ ، وثبتَ النَّبيُّ ﷺ في جماعةٍ ، فنزلَ عن بغلَتِهِ وأَخذَ كفّاً مِنَ الحصىٰ فرمىٰ به في وجوه المُشركين فٱنهزموا ، ونصرَ اللهُ المُسلمينَ ، فغنِموا ذراريَّهُم وأَموالَهُم ، وكانوا قد جعلوهُم معهُم ليُقاتلوا دونَهُم ، فٱنهزمَ منهُم طائفةٌ عليهِم : دُريد بنُ الصِّمَّة ، وساقوا المال والذّراريَّ ، فأَدركَهُم أَبو عامر الأَشعري في سَرِيَّة بـ (أَوْطاسٍ) فهزموهُم بعدَ أَن قُتِلَ أَبو عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ولَحِقَ أَكثرهُم بـ : (الطّائِفِ) ، فتوجَّهَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ (الطّائِفِ) وقاتلَهُم قتالاً شديداً ، وحاصرَهُم بضعاً وعشرينَ ليلةً ، فلَمْ يَظفرَ بهِم ، فدعا لَهُم بالهدايَةِ ورجَعَ ، فأَتوهُ بعدَ رجوعه إِلىٰ (المدينة) مُسلمينَ علىٰ يديّ مالك بن عوفٍ .

ولمّا قفلَ ﷺ مِنَ (الطّائِفِ) قَسَمَ غنائم (حُنَيْن) بـ (الجِعْرانة)[٢] ـ علىٰ مرحلتين مِنْ (مكَّة) ـ .

ثمَّ أَحرمَ منها بعُمرةٍ ، وذٰلِك في ذي القَعْدَة ، فدخلَ (مكَّة) فقضىٰ نُسكَهُ .

---

(١) في الأَصل : عوف بن مالك النَّصري ، وهو كذٰلك أَينما ورد في الأَصل .

(٢) الجعْرانة : قريةٌ صغيرةٌ في صدر وادي (سَرِف) ، فيها مسجد يعتمر منه أَهل مكَّة المكرَّمة ، تقع شمال شرقي مكَّة المكرَّمة ، علىٰ قرابة ٢٤ كيلاً . وتقع علىٰ ١١ كيلاً شمالاً عدلاً من طريق اليمانية ، (معالم مكَّة ص ٦٤ـ٦٥) .

ثمَّ رجَعَ إلىٰ (المدينة) فدخلَها في آخر ذي القَعْدَة ، فوُلِدَ لَهُ ﷺ في ذي الحِجَّة إبراهيمُ ، وعاشَ ثلاثةَ أَشهرٍ ثمَّ ماتَ ، وٱنكسفت الشَّمسُ يومَ موتِهِ ، وذٰلك وقتَ الضُّحىٰ في أَوّل ربيعٍ مِنْ سنة/ تسع[1] ، فقالَ [ق١٩] النّاسُ : ٱنكسفت الشَّمسُ لموت إبراهيمَ ، فجمعَ [ﷺ] النّاسَ وصلّىٰ بهِم صلاةَ الكسوفِ ، ثمَّ خطبَ بهم فقالَ : « إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتانِ مِنْ آياتِ ٱللهِ ، لاَ يَنْكَسِفانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ »[2] .

وفي السَّنة التّاسعة : دخلَ النّاسُ في دين الله أَفواجاً ، كما أَخبرَ اللهُ تعالىٰ بذٰلك ، وجعلَهُ عَلَماً علىٰ وفاته ﷺ .

ووفَدتْ عليه الوفودُ . فمنهُم : وَفْدُ (بني حَنيفَةَ) ، في جمعٍ كثيرٍ عليهِم : مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ ، وأَبىٰ أَنْ يُسْلِمَ إلاّ أَنْ يَجعلَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ الأَمرَ مِنْ بعدِهِ ، ورجعَ خائباً .

ومنهُم : وَفْدُ (نَجْرانَ) ، وكانوا نصارىٰ ، فحاجُّوه في عيسىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، أَنَّه ٱبنُ اللهِ لكونِهِ خَلَقَهُ مِنْ غيرِ أَبٍ، فنزلَتْ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٥٩] ـ أَي : مِنْ غيرِ أُمٍّ ولا أَبٍ ـ.

ونزلَتْ آيةُ المُباهَلة ـ أَي: المُلاعَنَة ـ: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ الآية [سورة آل عِمران ٣/ ٦١]، فقالَ لَهُم رئيساهُم ـ السَّيِّدُ[3] والعاقِبُ[4] ـ : لاتفعلوا ،

---

(١) والراجح أنَّها سنة عشرٍ . ٱنظر تعليقنا ص ٣٦٤ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٠٠١) . عن أَبي بَكْرَة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) **السَّيِّدُ** : رئيسهم ومفتيهم ، وٱسمُهُ : الأَيهم .

(٤) **العاقِبُ** : أَمير القوم . وٱسمُهُ : عبد المسيح .

ثمَّ صالَحوهُ علىٰ الجزيَةِ، وقالوا: ٱبعثْ معنا رجُلاً أَميناً مِنْ أَصحابِكَ، فقالَ: «لأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ [رَجُلاً] أَميناً حَقَّ أَمينٍ»، فبعثَ معَهُم أَبا عبيدة بنَ الجرّاح رضيَ اللهُ عنهُ، وقالَ: «هٰذا أَمينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ»[١].

ومنهُم: وفود (اليمن)، فأَسلَموا، فقالَ: «أَتاكُمْ أَهْلُ (اليَمَنِ)، هُمْ أَرَقُّ أَفئِدَةً، وَأَلْيَنُ قُلوباً، الإيمانُ يَمانٍ، والحِكْمَةُ يَمانيَةٌ»[٢] وبعثَ معَهُم معاذَ بنَ جَبَلٍ وأَبا موسىٰ الأَشعَريّ رضيَ اللهُ عنهُما.

وقَدِمَ عليه: كعبُ بنُ زهيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ قد أَهدرَ دمَهُ لشِعْرٍ عَرَّضَ فيه بالنَّبيِّ ﷺ، فأَسلَمَ وٱعتذرَ إِليه ممّا كانَ منهُ، وأَنشدَهُ في المسجد قصيدتَهُ المشهورة: (بانَتْ سُعادُ) فقَبلَ عُذرَهُ وكساهُ بُردَتَهُ ﷺ.

وفيها ـ [أَي: السَّنة التّاسعة] ـ: كانتْ غزوةُ (تبوك) إِلىٰ (الشام) لقتال الرّوم، فخرجَ ﷺ في سبعينَ أَلفاً مِنَ المُسلمين، وخلَّفَ علىٰ (المدينة) عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ، فقالَ: أَتخُلِّفُني في الصِّبيان والنِّساء؟ فقالَ ﷺ: «أَلا تَرْضىٰ أَنْ تكونَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسىٰ، إِلاّ أَنَّهُ لا نَبيَّ بَعْدي»[٣] / . [ق٢٠]

فلمّا بلغَ (تبوكَ) وهيَ أَدنىٰ بلادِ الرّومِ، أَقامَ بها بِضْعَ عَشْرَةَ ليلةً، ولم يَلْقَ عدوّاً، وصالَحَ جُملةً مِنْ أَهلِ تِلكَ النّاحية علىٰ الجزيَةِ.

ثمَّ رجَعَ إِلىٰ (المدينة) وجاءَهُ المنافقونَ يَعتذرونَ إِليه لتخلُّفِهم

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤١١٩). عن حُذيفة بن اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤١٢٧). عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ. وتتمَّته: «والفخرُ والخُيَلاءُ في أَصحاب الإبِلِ، والسَّكينةُ والوَقارُ في أَهل الغَنم».

(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٤٠٤/ ٣١). عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

عنهُ ، وقد سمّاهُ اللهُ : جيشَ العُسْرَةِ ، وحَلَفوا لَهُ بالكذب ، فقبلَ عُذرَهُم وَوَكَل سرائِرَهُم إلىٰ الله تعالىٰ ، ففضحَهُم اللهُ تعالىٰ بما أنزلَهُ في سورة براءَة ، كقولِهِ : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [سورة التوبة ٩/ ٧٥ـ٧٧] وغير ذٰلك ، فسمّيت الفاضِحة .

وأَمّا الثّلاثة الّذين خُلِّفوا وصَدَقوهُ ، وٱعترفوا بأَنَّهُم لا عذرَ لَهُم فخَلَّفَ أَمرَهم إلىٰ قضاء الله تعالىٰ فيهم ، وهُم : كعبُ بنُ مالِكٍ ، وهِلال بنُ أُميّةَ ، ومُرارَةُ ـ بالضَّم ـ ابنُ الرّبيع ، فتابَ اللهُ عليهِم ، فسمّيت سورة التَّوبة .

وفيها ـ [أَي : السَّنة التّاسعة] ـ في رجبٍ : نعىٰ لَهُم النَّبيُّ ﷺ النَّجاشيّ[1] ، وصلّىٰ عليه في المُصلّىٰ جماعةً .

وفي خاتمة هٰذه السَّنة : ـ [أَي : السَّنة التّاسعة] ـ أَمرَ النَّبيُّ ﷺ أَبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَن يحُجَّ بالنّاس ، فسارَ بهِم ، ثمَّ بعثَ بعدَهُ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ ليَبْرَأَ مِنَ المُشركينَ بصدر سورة براءَة يومَ الحجِّ الأَكبر ، فنبذَ إلىٰ كلِّ مُشركٍ عهدَهُ .

وفي السَّنة العاشرة : حجَّ ﷺ حَجَّةَ الوَداع ، وحجَّ بأَزواجه كلِّهِنَّ ، وبخَلْقٍ كثيرٍ ، فحضرها مِنَ الصَّحابة أَربعونَ أَلفاً رضيَ اللهُ عنهُم ، فودَّعَ [ﷺ] النّاسَ وحذَّرَهُم وأَنذرَهُم ، وقالَ : « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَموالَكُمْ وَأَعْراضَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذا ، في

---

(١) وٱسمه : أَصحَمَةُ .

شَهْرِكُمْ هٰذا ، في بَلَدِكُمْ هٰذا » ثمَّ قالَ : « أَلا هَلْ بَلَّغْتُ » قالوا : نعم . قالَ : « اللَّهُمَّ ٱشْهَدْ »[١] .

ثمَّ قفلَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ (المدينة) فدخلَها في أَواخر ذي الحجَّة ، فلبثَ بها المحرَّمَ وصفرَ .

ثمَّ أَمرَ النّاس في أَوَّل ربيعِ بالجهاد إِلىٰ (الشّام) ، وأَمَّرَ عليهم أُسامة بنَ زيد بنِ حارثةَ رضيَ اللهُ عنهُم ، فأَخذوا في جَهازِهِم ؟

فمَرِضَ النَّبيُّ ﷺ وثَقُلَ مرضُهُ ، فأَقاموا يَنتظرونَ أَمرَهُ ، فتُوفّي ﷺ لتمامِ عشرِ سنينَ مِنْ هجرتِهِ ، في السَّنة الحاديةَ عشرةَ ، ضحىٰ يوم الإِثنين ، ثاني عشرَ مِنْ ربيع الأَوَّل ، في الوقت واليوم والشَّهر الَّذي دخلَ فيه (المدينة)[٢] ، ودُفن يومَ الثُّلاثاء بعدَ العصر / صلّىٰ الله وسلَّم عليه ، وزادَهُ فضلاً وشرفاً لديه . [ق٢١]

فهٰذا جُملةُ ما ٱشتملَ عليه كتابُنا هٰذا مُلخَّصاً مِنْ سيرته ﷺ ، مِنْ مولِدِه إِلىٰ وفاتِهِ ، وسيأتي ذٰلك مفصَّلاً في موضعه إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، معَ ذِكْرِ ما سبقَ ذِكْرُهُ ممّا ٱشتملَ عليه الكتاب أَيضاً ، كالخُطبة البليغة السّابقة ، وخُطبة الجهاد اللاّحقة ، والأَحاديث الواردة في فضل الجهاد ، وشرفِ (مكَّةَ والمدينة) بَلَدَيْ مولِدِه ووفاتِهِ ﷺ ، وشرفِ نَسَبه ، ومآثر آبائِه وحَسَبه ، ومَنْ بَشَّر به قبلَ ظهورِه ، إِلىٰ ما ٱشتملَ عليه مِنْ قواعد الدّين الكُلِّيَّة ، كنسخِ دينه ﷺ لكلِّ دينٍ ، وتفضيله علىٰ جميع النَّبيّينَ والمُرسلينَ ، وجُملةٍ من معجزاتِهِ الباهرة ، وفضائِل الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم ، ثمَّ ذِكْرِ ما ٱشتملَ عليه الكتابُ أَيضاً مِنْ عباداتِهِ ﷺ لربِّه ، وشُكرِهِ لَهُ بلسانِهِ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٥٤) . عن أبي بَكْرَة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) انظر تعليقنا علىٰ ذٰلكَ ، ص٣٩٠ .

وقلبِهِ ، صلّىٰ الله عليه وسلَّم ، وشرَّفَ وكرَّمَ ومَجَّدَ وعَظَّمَ .

ولي مِنْ قصيدةٍ مُسَمَّطةٍ[1] هٰذه الأبياتُ ، [مِنَ الوافر] :

أَلا يَـا أَيُّهَـا الحَـادِي إِذا مَـا أَتَيْتَ قِبابَ طَيْبَةَ وَالخِيَاما[2]

فَخَيِّـمْ وٱقْـرِ سـاكِنَهـا السَّـلامـا

وَقَبِّـلْ مِـنْ مَنـازِلِـهِ العِتَـابـا[3]

هُنـاكَ فَهَـنِّ نَفْسَـكَ بِـالـوصـولِ وَقُلْ يَا نَفْسُ مأْمُولي وَسُولي

رَسولُ اللهِ يَا لَكَ مِنْ رَسولِ

قِفي وَرِدِيْ مَناهِلَهُ العِذابا[4]

وَمَـرِّغْ حَـوْلَ ذاكَ القَبْـرِ خَـدّاً وَقُـدَّ مَـرائِـرَ الأَشْـواقِ قَـدّا[5]

وَنَحِّ مِمّا ٱقْتَرَفْتَ أَسىً وَوَجْدا

لِما ٱجْتَرَحَتْ جَوارِحُكَ ٱكْتِسابا[6]

---

(١) **المُسَمَّطُ من الشّعر** : أَبياتٌ مشطورةٌ تجمعها قافيةٌ واحدةٌ . وأَشهر أَنواعه : المربَّع ؛ وهو أَن يبتدئَ الشَّاعرُ قصيدته ببيتٍ مُصرَّعٍ ، ثمَّ يأتي بثلاثة أَقسامٍ علىٰ رويٍّ واحدٍ ، ثمَّ يُعيد قسماً واحداً من مثلِ ما ٱبتدأَ به مقفًّى .

(٢) **الحادي** : الَّذي يسوق الإبل بالحُداء . **طيبةُ** : ٱسم لمدينة الرَّسول ﷺ ، يقال لها : طيبةُ وطابةُ ؛ من الطِّيب . وهي الرّائحة الحسنة لحُسن رائحة تُربتها فيما قيل . والطّاب والطّيب لُغتان . وقيل : من الشَّيء الطَّيّب ، وهو الطّاهر الخالص بخُلوصِها من الشِّرك وتطهيرها منه . وقيل : لطيبها لساكنيها ولأَمنهم ودِعتهم فيها . وقيل : من طيب العيش بها ، من طاب الشَّيء ؛ إذا وافقَ [معجم البلدان ٤/ ٥٣ (أَنصاريّ)] .

(٣) **العَتَبَة** : خشبةُ البابُ الَّتي يُوطأ عليها ، وكلُّ مِرقاة .

(٤) **المناهل** : مفردها : مَنْهَل ، وهو الموضع الَّذي فيه المشرَب . **والوِرد** : الإشراف علىٰ الماء وغيره . وأَيضاً : الماء الَّذي يُؤتى إليه .

(٥) **مرِّغ** : قلّب ونزّه خدَّك كي يكون لوجهك بريقٌ وضياءٌ . **المُرّة** : مؤنث المُرّ ، ضد الحُلوة . (ج) مرائِر ، علىٰ غير قياسٍ .

(٦) **ٱجترحت** : ٱكتسبت .

وَقُلْ يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ البُراقا[1]   وَأَكْرَمَ مَنْ عَلىٰ السَّبْعِ الطِّباقا

أَتَيْتُكَ كَيْ تَحُلَّ لِيَ الوِثاقا

ذُنوباً قَدْ دَهَتْ قَلبي المُصابا

فَأَنْتَ الشّافِعُ المَقْبولُ حَقّا   وَكَمْ لَكَ مُعْجِزاتٍ لَيْسَ تُرْقىٰ

قَدِ اتَّضَحَتْ لَنا غَرباً وَشَرقا

وَأَعْيَتْ كُلَّ ذي فَهْمٍ حِسابا

أَتَتْنا في وِلادِكَ كُلُّ بُشرىٰ   غَداةَ تَساقَطُ الأَصنامُ قَسْرا[2]

[ق٢٢] / وَزُلْزِلَ هَيْبَةً إِيوانُ كِسْرىٰ

وَأَضْحىٰ عَرْشُ دَوْلَتِهِ خَرابا

وَفي بِضْعِ السِّنينَ شُرِحْتَ صَدْراً   وَظَلَّلَتِ الغَمامَةُ مِنْكَ حَرّا

وَجاءَتْ مُعْجِزاتٌ مِنْكَ تَتْرىٰ

رَأىٰ الرُّهبانُ مِنْهُنَّ العُجابا

إِلىٰ أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ اليَقينِ   تَمامَ ٱلأَرْبَعينَ مِنَ السِّنينِ

وَأَزْهَرَ كَوْكَبُ ٱلحَقِّ ٱلمُبينِ

وَنَجْمُ الشِّرْكِ وَٱلبُهْتانِ غابا[3]

أَتاكَ ٱلحَقُّ مِنْ رَبِّ ٱلعِبادِ   فَقُمْتَ مُشَمِّراً ساقَ ٱلجِهادِ

تُبَيِّنُ لِلْوَرىٰ طُرُقَ الرَّشادِ

وَتَتْلُو ٱلوَحْيَ فيهِمْ وَٱلكِتابا

بِحَقِّكَ سَلْ إِلٰهَكَ أَنْ يَكونا   لَنا عَوْناً عَلىٰ ٱلأَعدا مُعينا

وَمِنْ كُلِّ ٱلأَذىٰ حِصْناً حَصينا

وَيَكْفينا بِرَحْمَتِهِ ٱلعَذابا

---

(١) **البراق** : دابّة ركبها رسولُ الله ﷺ ليلة المعراج .

(٢) **قسراً** : قهراً .

(٣) **البُهتان** : كذبٌ يُبهِتُ سامعهُ لفظاعته . (أَنصاريّ) .

البابُ الثّاني

في شرفِ مكّةَ والمدينةِ بلدَيْ مولده ونشأتِهِ ووفاتِهِ، وهجرتِهِ صلّى الله عليه وسلّم وشرفِ قومِهِ ونسبِهِ، ومآثرِ آبائِهِ وحسبِهِ

أَمّا شرفُ (مكّةَ والمدينةِ) اللّتين هُما مهبطُ الوحي والتّنزيل : فٱعلَمْ ـ طهَّرَ اللهُ قلبي وقلبَكَ ، ووفرَ في هٰذا النَّبيّ الكريم حبّي وحبّك ـ أَنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ قد أَكرمَ هٰذا النَّبيَّ الكريم بأَصنافِ الكرامة ، ووفرَ مِنْ كلِّ خيرٍ أَقسامَهُ ، وٱختارَ لَهُ مِنْ كلِّ شيءٍ خياره ، وأَعلىٰ علىٰ جميع الأَوّلينَ وٱلآخرينَ منارَهُ ، فجعلَهُ خيرَ الأَنبياء ، وأُمَّتَهُ خيرَ الأُمم ، ولغتَهُ خيرَ اللُّغات ، وكتابَهُ خيرَ الكتب ، وقبيلتَهُ خيرَ القبائِل ، وبلادَهُ أَفضلَ بلادِ الله وأَكرمَها عليه وعلىٰ عباده .

فَضلُ مكّةَ المكرَّمة

أَمّا (مكّةُ) البلدُ الحرامُ ، فقالَ اللهُ تعالىٰ في فَضْلِها : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ الآية [سورة آل عِمران ٣/ ٩٦ـ٩٧] .

ومِنَ الآياتِ البيّناتِ فيه : (الحَجَرُ الأَسودُ) ، و(الحَطيمُ)[1] ، وانفجارُ ماءِ زمزمَ بعَقِبِ جبريل عليه السَّلامُ ، وأَنَّ شُرْبَهُ شفاءٌ للأَسقام ، وغذاءٌ للأَجسام ، بحيثُ يُغني عن الماء والطَّعام .

ومِنْ فَضْلِها : ما ثبتَ في الحديث الصَّحيح : أَنَّ الصَّلاةَ

---

(١) **الحطيمُ** : وهو حِجْرُ الكعبة ؛ سُمّيَ الحطيم بذٰلك لأَنَّ البيت رُبِّع وترك محطوماً . ومكانه بين القوس الدّائري وجدار الكعبة من جهة الميزاب .

[ق٢٣] / الواحدةَ فيها ـ بل في سائِرِ الحَرَم ـ بمئةِ أَلفِ صلاةٍ في غيرها سوىٰ (المدينة)[١] .

فَائِدَةٌ

فضلُ الصَّلاة في مكَّة علىٰ الصَّلاة في غيرها

حَسَبَ العلماءُ ذٰلكَ فبلَغَتْ صلواتُ اليوم واللَّيلة بـ (مَكَّةَ) في مدَّة ثلاثةِ أَيَّامٍ ، وهيَ خمسَ عشرةَ صلاةً ، بأَلفِ أَلفِ صلاةٍ ، وخمسينَ أَلفَ أَلفِ صلاةٍ في غيرها ، وذٰلك كصلوات نحوِ أَلفِ سنةٍ ، فمَنْ أَقامَ بـ (مكَّةَ) ثلاثةَ أَيَّامٍ وهيَ أَقلُّ ما يُقيمُهُ الحاجُّ ، يَعبدُ اللهَ ، فكأَنَّهُ عَبَدَ اللهَ في غيرها أَلفَ سنةٍ ، وكأَنَّهُ عُمِّرَ عُمْرَ نوحٍ عليه السَّلامُ في طاعة الله تعالىٰ .

وهٰذه إحدىٰ المنافعِ الَّتي في قوله تعالىٰ : ﴿ لِيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ [سورة الحج ٢٢/ ٢٨] بصيغة الجَمْعِ ، فما ظَنُّكَ بالوقوف والطَّواف وغير ذٰلك ، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [سورة الحديد ٥٧/ ٢١] .

وقالَ ﷺ عندَ ٱنصرافِهِ مِنْ (مكَّةَ) بعدَ فَتْحِها : « وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ ٱللهِ ، وَأَحَبُّ أَرْضِ ٱللهِ إِلى [اللهِ] ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خَرَجْتُ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ [حسنٌ غريبٌ] صحيحٌ[٢] .

وكانتِ العربُ في الجاهليَّة تحترِمُ (الحَرَمَ) بحيثُ يَمشي القاتِلُ

---

(١) أَخرجه ٱبن ماجه في «سننه» ، برقم (١٤٠٦) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « صَلاةٌ في مَسْجِدي أَفْضَلُ مِنْ أَلفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ ، إلاّ المَسْجِدَ الحَرامَ . وَصَلاةٌ في المَسْجِدِ الحَرامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ » .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٩٢٥) . عن عبد الله بن عَديٍّ رضيَ اللهُ عنهُ .

فيه معَ وليِّ المقتول ، ويَقفُ السَّبُعُ عن الظَّبي ونحوه مِنَ الصَّيد إذا دخلَ (الحَرَمَ) ، وذٰلكَ بدعاء إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذ قـالَ : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٢٦] .

ومِنْ فَضْلِها : أَنَّها مَولِدُ المُصطفىٰ ﷺ ، ومَسْقَطُ رأسِهِ ، ومنشَؤُهُ ، وأَقامَ بها ثلاثاً وخمسينَ سنةً قبلَ هِجرتِهِ .

ومِنْ فَضْلِها : تحريمُها المُشارُ إليه بقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٦٧] وقوله تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [سورة القصص ٢٨/٥٧] . وقـولـهِ ﷺ : « إنَّ هٰـذا البَلَـدَ حَـرَّمَـهُ اللهُ يَـوْمَ خَلَـقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ ، فَهوَ حَرامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ ، لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ » الحديث ، متَّفقٌ عليه[1] .

فَضْلُ المدينةِ المنوَّرةِ

وأَمَّا (المدينةُ) الشَّريفةُ : فهيَ دارُ الهجرةِ ، وذاتُ الرَّوضةِ والحُجْرَةِ .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إنَّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ ـ أَي : يَنضمُّ ، بتقديم الرّاء علىٰ الزّاي ـ إلىٰ (المَدينَةِ) ، كَما تَأرِزُ الحَيَّةُ إلىٰ جُحْرِها » ، متَّفقٌ عليه[2] / . [ق٢٤]

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « (المَدينَةُ) حَرَمٌ مِنْ كَذا إلىٰ كَذا ـ ولِمُسْلِمٍ : « من عَيْرٍ إلىٰ ثَوْرٍ » ـ لا يُقْطَعُ شَجَرُها ، وَلا يُحْدَثُ فيها حَدَثٌ ، مَنْ أَحْدَثَ

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٥١٠) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .
لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ : لا يقطع . **لا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ** : يُزعَج من مكانه أَو يُصاد .

(٢) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٧٧) . ومُسلم ، برقم (١٤٧/ ٢٣٣) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ . **ليأْرِزُ** : ينضَمّ أَهلهُ ويجتمعونَ .

فيها حَدَثاً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعينَ » متَّفَقٌ عليه[1] .

وثَوْرٌ : جبلٌ صغيرٌ خلفَ (أُحُدٍ) مِنْ جِهَةِ الشّمال .[2] .

ولأَحمد : « ما بَيْنَ عَيْرٍ إِلىٰ أُحُدٍ »[3] وعَيْرٌ مُقابلٌ لأُحُدٍ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « (المَدينَةُ) تَنْفي النّاسَ كَما تَنْفي الكيرُ خَبَثَ الحَديدِ » ، متَّفقٌ عليه[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٦٨) . عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ . ورواية مُسلم ، برقم (١٣٧٠/ ٤٦٧) ، عن إِبراهيم التَّيميّ ، عن أَبيه .

(٢) إِنَّ تعريف المؤلِّف ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ جبلَ ثورٍ علىٰ هٰذا النَّحوِ يتَّفق مع الحقيقة الواقعيَّة ، وهو ما يتَّفق مع قول الرَّسول ﷺ في تحديد حرم المدينة في الحديث الَّذي أَخرجه مسلم : « المدينة حرمٌ ما بين عَيْرٍ وثَورٍ » . ولقد وَهِمَ أَبو عبيد البكري في كتابه « معجم ما استعجم » ، وابن الأَثير في كتابه « النِّهاية في غريب الحديث » ، وياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » بنكران وجود جبلٍ بهذا الاسم في المدينة ، وتأكيد وجوده في مكَّة ، وهو الجبل الَّذي يحتوي علىٰ غار ثورٍ الَّذي أَوىٰ إِليه الرَّسول ﷺ في طريق هجرته إِلىٰ المدينة . والحقيقة الَّتي لا لبس فيها ؛ أَنَّ في حدود حرم مكَّة جبلاً بهٰذا الاسم ، وفي حدود حرم المدينة جبل بالتَّسمية ذاتها ، ولذٰلك لا لزوم لكلِّ التَّأويلات الَّتي أَخذ بها بعضهم في شرح هٰذا الحديث . وقد أَولىٰ المرحوم محمَّد فؤاد عبد الباقي هذا الموضوع كلَّ العناية في البحث لدفع هٰذا الخطأ ، وجاء بشتَّىٰ الأَدلَّة والأَقوال الَّتي تزيل الارتياب وتثبت الحقيقة معتمداً علىٰ ما أَورده القدامىٰ في هٰذا الموضوع ، وما أَخذ به المُحْدَثون في دراساتهم الطبوغرافيَّة لحرمي مكَّة والمدينة ، ممَّا يصحّ الرُّجوع إِليه . (أَنصاريّ) .

(٣) أَخرجه أَحمد في «مسنده» ، برقم (٦١٦) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ . وليس عندَهُ : « إِلىٰ أُحُدٍ » .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٧٢) . ومُسلم برقم (١٣٨٢/ ٤٨٨) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا يَكيدُ أَهْلَ (المَدينَةِ) أَحدٌ إلاّ ٱنْماعَ ـ أَي : ٱنذابَ ـ كَما يَنْماعُ المِلْحُ في الماءِ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « عَلَىٰ أَنقابِ المَدينَةِ مَلائِكَةٌ لا يَدْخُلُها الطّاعونُ وَلا الدَّجّالُ » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « صَلاةٌ في مَسْجِدي هٰذا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاةٍ فيما سِواهُ ، إلاّ المَسْجِدَ الحَرامَ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما بَيْنَ بَيْتي وَمِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رِياضِ ٱلجَنَّةِ ، وَمِنْبَري عَلَىٰ حَوْضي » ، متَّفقٌ عليه[4] .

المُفاضلة بين مكّة والمدينة

ولا خلافَ بينَ العلماء في أَنَّ هٰذينِ البلدينِ أَفضلُ بلادِ الله علىٰ الإِطلاق ، وإنَّما ٱختلفوا في أَيّهما أَفضلُ . والجمهورُ علىٰ تفضيل (مكَّةَ) علىٰ (المدينة) ، إلاّ موضِعَ قبرِهِ الشَّريف ، فأَجمعوا أَنَّهُ أَفضلُ تُربةٍ في الأَرضِ ، لِما وَرَدَ أَنَّ كلاًّ يُدفَنُ في تُربته الَّتي خُلِقَ منها[5] ، وهوَ ﷺ أَفضلُ الخَلْقِ ، فتُربَتُهُ أَفضلُ تُربةٍ في الأَرض .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٧٨) . ومُسلم برقم (١٣٨٧/ ٤٩٤) . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٨١) . ومُسلم برقم (١٣٧٩/ ٤٨٥) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ . **أَنقاب** : (جمعُ تلَّةٍ للنقب) ؛ وهو الطَّريق بين الجبلين .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١١٣٣) . ومُسلم برقم (١٣٩٤/ ٥٠٥) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١١٣٨) . ومُسلم برقم (١٣٩١/ ٥٠٢) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) والَّذي وردَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : « ما قُبِضَ نبيٌّ إلاّ دُفِنَ حَيْثُ يُقْبَضُ » . أَخرجه ٱبن ماجة برقم (١٦٢٨) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وأَفضلُ موضِعٍ في (مكَّةَ) : (الكَعبةُ) ، ثمَّ (المسجدُ) ، ثمَّ (دار خديجة) رضيَ اللهُ عنها ، لأَنَّهُ أَقامَ فيها نحو ثمانيةً وعشرينَ عاماً .

وما أَحسنَ قولَ القاضي عياض ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في وصفِ تلك الرّياض ـ أَعني (مكَّةَ والمدينةَ) ـ : (وجديرٌ بمواطِنَ عُمِّرَتْ بالوحي والتَّنزيلُ ، وتردَّدَ في عَرَصاتها[1] جبريلُ ، وعرجتْ منها الملائِكَةُ والرّوحُ ، وضجَّت فيها بالتَّقديس والتَّسبيح ، [وانتشرَ عنها مِنْ دين الله وسنَّة رسولِهِ ما انتشرَ] ، مدارسُ وآيات ، ومشاهدُ الفضل والخيرات ، ومعاهدُ البراهين والمعجزات ، ومناسِكُ الدّين ، ومواقفُ سيّد المُرسلين ، حيثُ ٱنفجرت النُّبوَّة / والرِّسالة ، وفاضَ عُبابُها[2] ، وأَوَّلُ أَرضٍ مسَّ جِلدَ المُصطفىٰ [ق٢٥] ترابُها ؛ أَنْ تُعظَّمَ عَرَصاتُها ، وَتُتنَسَّمَ[3] نفحاتُها ، وتُقَبَّلَ ربوعُها وجدرانها)[4] .

وقال القاضي عياض ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في معنىٰ ذٰلك شِعْراً ، [مِنَ الكامل][5] :

يَـا دارَ خَيْـرِ ٱلْمُـرْسَليـنَ وَمَـنْ بِـهِ
هُـدِيَ ٱلأَنـامُ وَخُـصَّ بِـٱلآيـاتِ

---

(١) العَرَصات : (جمع عَرَصة)؛ وهي كلُّ موضعٍ واسعٍ لا بناءَ فيه. (أَنصاريّ).

(٢) العُباب : كثرةُ الماء والسَّيل .

(٣) تنسَّمَ : طلب النَّسيم واستنشقه . (أَنصاريّ) .

(٤) الشِّفا ، ج٢/ ١٣٢ـ١٣٣ .

(٥) ورويَ أَنَّ القاضي عياض ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ لم يحج ولم يزره ﷺ ، فقال هٰذه الأبيات متحسِّراً .

عِنْـدي لأَجْلِـكِ لَـوْعَـةٌ وَصَبـابَـةٌ
وَتَشَـوّقٌ مُتَـوَقِّـدُ ٱلجَمَـراتِ[1]

وَعَلَـيَّ عَهْـدٌ إِنْ مَـلأَتُ مَحـاجِـري
مِنْ تِلْكُمُ ٱلجُدْرانِ وَٱلعَرَصَاتِ[2]

لأُعَفِّـرَنَّ مَصـونَ شَيْبـي بِـالثَّـرىٰ
مِـنْ كَثْـرَةِ التَّقبيـلِ وَالـرَّشَفـاتِ[3]

لَكِـنْ سَـأُهْـدي مِـنْ حَفيـلِ تَحِيَّتـي
لِقَطِيـنِ تِلْـكَ الـدّارِ وَٱلحُجُـراتِ[4]

أَذْكَىٰ مِنَ ٱلمِسْكِ المُعَنْبَـرِ نَفْحَةً
تَغْشـاهُ بِـالآصـالِ وَٱلبُكُـراتِ[5]

وأَمّا شرفُ قومِهِ ونَسبُه ، ومآثِر آبائِهِ وحسَبُه ﷺ فهيَ دوحَةُ شرفٍ ، أَصلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السَّماء ، وعَمودُ نبوَّةٍ يَصدع بنوره حجاب الظَّلماء .

وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/١٢٨] . ومعنىٰ : ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ ـ بضم الفاء ـ أَي : مِنكُم ، و﴿ مِنْ أَنْفَسِكُم ﴾ ـ بفتحها ـ أَي : مِنْ خيارِكم .

---

(١) **اللَّوعَةُ** : حرقةٌ في القلب ، وأَلَمٌ يجده الإنسان من حبٍّ أَو همٍّ أَو حزنٍ . **الصَّبابة** : رقَّة الشَّوق وحرارته .
(٢) **المحْجَرُ** : ما أَحاط بالعين .
(٣) **التَّعفيرُ** : التَّمريغُ بالعين . **الرَّشفات** : جمع رشفة ـ وهي مصُّ الريق . وفُسِّرَ هنا بالتَّقبيل .
(٤) **الحفيلُ** : بمعنىٰ كثير .
(٥) في « الشفا » : (المفتَّق) بدل (المعنبر) .

قَالَ العُلَمَاءُ : لم تكن قبيلةٌ مِنَ العرب إلاّ ولها وُصْلَةٌ بالنَّبيِّ ﷺ ، إمّا ولادةً أَو قرابةً .

وقالَ ﷺ : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرونِ بَني آدَمَ ، قَرْناً فَقَرْناً ، حَتّىٰ كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذي كُنْتُ فيهِ » ، رواهُ البُخاريُّ[1] .

وقالَ ﷺ : « إنَّ ٱللهَ ٱصْطَفىٰ مِنْ وَلَدِ إبْراهيمَ إسْماعيلَ ، وَٱصْطَفىٰ مِنْ وَلَدِ إسْماعيلَ بَني كِنانَةَ ، وَٱصْطفىٰ مِنْ بَني كِنانَة قُرَيْشاً ، وَٱصْطَفىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَني هاشِمٍ ، وَٱصْطَفاني مِنْ بَني هاشِمٍ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ [حسنٌ] صحيح[2] .

النَّسبُ الأكبرُ لنبيّنا ﷺ

قالَ البُخاريُّ : (وهوَ ﷺ أَبو القاسِم مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ بنِ هاشِمِ بنِ عبدِ مَنافٍ ـ أَي : بفتح الميم ـ بنِ قُصَيٍّ ـ أَي : بضمِّ القاف مُصغَّراً ـ ابنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ ـ أَي : مُصغَّراً ـ ابنِ غالِبِ بن فِهْرٍ ـ أَي : بكسر الفاء ـ ابنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ ـ أَي : بضادٍ مُعجمةٍ ـ ابنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ ـ أَي : مُصغَّراً بالمُعجمتين ـ ابنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ)[3] / . [ق٢٦]

قُلْتُ : وهٰذا النَّسبُ متَّفَقٌ عليه بينَ العلماء ، وفيما بعدَهُ ـ مِنْ عدنانَ إلىٰ إسماعيلَ بنِ إبراهيم ، ثمَّ مِنْ إبراهيمَ إلىٰ نوحٍ ، ثمَّ مِنْ نوحٍ إلىٰ آدمَ عليهِمُ السَّلام ـ ٱختلافٌ وزيادةٌ ونقصانٌ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٦٤) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٦٠٥) . عن واثلةَ بن الأَسقَعِ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) ذكرهُ البُخاريُّ في « الصَّحيح » ، كتاب فضائل الصَّحابة ، باب : مبعث النَّبيِّ ﷺ ، (٥٧) .

وروىٰ ابن سعدٍ في « طبقاته » : أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا ٱنتسبَ لم يُجاوز في نسبِهِ مَعَدَّ بنَ عدنانَ بنِ أُدَدٍ ثُمَّ يُمْسِكُ ويقولُ : « كَذَبَ النَّسّابونَ » ويقولُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الفُرقان ٢٥/٣٨] [١] .

قالَ العُلماءُ : وبطونُ قُريشٍ هُم وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ ، وهُم قومُهُ الَّذين شرَّفَهُمُ اللهُ به في قوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [سورة الزُّخرف ٤٣/٤٤] ـ أَي : ثناءٌ وشرفٌ ـ وهُم عشيرتُهُ الأَقربون في قوله : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشُّعراء ٢٦/٢١٤] لِما في « صحيحيْ البُخاريِّ ومُسلم » أَنَّهُ ﷺ لمّا نزلَتْ هٰذه صَعِدَ علىٰ الصَّفا فجعلَ يُنادي : « يا بَني فِهْرٍ ، يا بَني عَديٍّ ، يا بني عبد مَنافٍ ـ لبطونِ قُريشٍ ـ : ٱشْتَروا أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لا أُغْني عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً » الحديث[٢] .

وٱتَّفقَ أَهلُ الجاهليّة والإِسلام علىٰ أَنَّ قُريشاً أَفضلُ العرب ، وأَنَّ بني عبد مَناف أَفضلُ قُريش ، وأَنَّ بني هاشِمٍ أَفضلُ بني عبد مَناف ، وأَنَّهُ ﷺ أَفضلُ بني هاشِمٍ ، وفي ذٰلك يَقولُ عمُّهُ أَبو طالبٍ ، [مِنَ الطَّويل] [٣] :

إذا ٱجْتَمَعَتْ يَوْماً قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ
فَعَبْدُ مَنافٍ سِرُّها وَصَميمُها[٤]

---

(١) ابن سعد ، ج١/٥٦ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٠٢) . ومُسلم برقم (٢٠٦) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ بنحوه .
(٣) ابن هشام ، ج١/٢٦٩ .
(٤) سِرّها : وسطها . صميمُها : خالصها .

وَإِنْ حُصِّلَتْ أَشْرافُ عَبْدِ مَنافِها
فَفي هاشِمٍ أَشْرافُها وَقَديمُها

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْماً فَإِنَّ مُحَمَّداً
هُوَ المُصْطَفىٰ مِنْ سِرِّها وَكَريمُها

صفة عبدِ الله بن عبد المطَّلب والدِ رسولِ الله ﷺ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وكانَ عبد الله بنُ عبد المُطَّلب والدُ النَّبيِّ ﷺ أَنهدَ فتىً في بني هاشِمٍ ـ أَي : أَرفعَهُم وأَصبحَهُم ـ وجهاً ، وأَحسنَهُم خَلْقاً وخُلُقاً ، وكانَ نورُ النَّبيِّ ﷺ يَلوحُ في وجهِهِ ، وهوَ أَوَّلُ مَنْ فُدِيَ بمئةٍ مِنَ الإِبل كما سيأتي .

صفةُ عبد المطَّلب جَدِّ رسولِ اللهِ ﷺ

وأَمّا عبدُ المُطَّلب : فٱسمُهُ : شَيْبَةُ الحَمْدِ[1] ، وإِنَّما سُمّيَ عبدَ المُطَّلب لأَنَّ عَمَّهُ المُطَّلبَ بنَ عبد مَناف أَخذَهُ مِنْ أُمّه سَلمىٰ الأَنصاريَّة النَّجاريَّة ، فقَدِمَ به (مكَّةَ) يُردِفُهُ خلفَهُ ، وكانَ / أَسمَرَ [ق٢٧] اللَّون ، فظنَّ النّاسُ أَنَّهُ عَبْدٌ ٱشتراهُ المطَّلبُ ، فقالوا : قَدِمَ المُطَّلبُ بعبدٍ ، فلزمَهُ ذٰلكَ الاسمُ ، وكانَ شريفاً في قومه ، مُبجَّلاً عندَهُم ، مُعظَّماً ، يوضَعُ لَهُ بِساطٌ في ظلِّ (الكعبة) ، لا يَجلسُ عليه غيرُهُ ، وكانوا يُسمّونَهُ : الفيّاض ؛ لسماحته وكرمه ، ولَهُ مَنقبَتان عظيمتان ، وهُما : حفرُ بئرِ زمزم ، وإِهلاكُ أَصحاب الفيل .

حفر بئرِ زمزم، ونذر عبد المطّلب بذبح ولده عبد الله

أَمّا بئرُ زمزم : فإِنَّها كانتْ قد دفنتها السُّيولُ ، وٱندرسَ أَثرُها ، فرأىٰ عبد المُطَّلب في نومه مَنْ نبَّهَهُ عليها ، فلمّا أَرادَ حفرها حسدتْهُ بطونُ قُريشٍ ، وهمّوا أَن يَمنعوهُ ، فكفاهُ اللهُ شَرَّهُم ، فنذرَ لئن رزقَهُ اللهُ عشرةً مِنَ الوَلَدِ يَمنعونَهُ ؛ أَنْ يَتقرَّبَ إِلىٰ الله تعالىٰ بذبح أَحَدِهِم ، فلمّا تمَّ العددُ عشرةً أَعلمَهُم بنذره ، فقالوا لَهُ : ٱقضِ فينا أَمرَكَ

---

(١) سُمِّيَ بذٰلك لأَنه كان في رأسه شيبةٌ . [تاريخ الطَّبري ٢/٢٤٦ . (أَنصاريّ)] .

وأَوفِ بنذرِك ، فأَسهَمَ بينهُم ، فخرجَ السَّهْمُ علىٰ عبد الله ، فلمّا أَرادَ أَن يَذبحَهُ منعته قُريشٌ ، لئلاّ يَكونَ فيهم سُنَّةً ، فأفتاهُ كاهنٌ أَن يُسهِمُ عليه وعلىٰ عشرٍ مِنَ الإِبل ـ وكانتْ العشرُ عندَهُم ديَةُ الرَّجلِ ـ ففعلَ ، فخرجَ السَّهْمُ علىٰ عبد الله ، فقالَ لَهُ الكاهنُ : زِدْ عشراً ، فإِنَّ ربَّكَ لَمْ يرضَ ، فزادَ عشراً ، فخرجَ السَّهْمُ علىٰ عبد الله ، فقالَ : زِدْ عشراً ، فزادَ عشراً ، فلَمْ يَزل يَخرجُ السَّهْمُ علىٰ عبد الله حتّىٰ بلغَ العددُ مئةً ، فخرجَ السَّهْمُ علىٰ الإِبل ، فقالَ لَهُ : أَعدِ القرعةَ ، فأَعادها ، فخرجَ السَّهْمُ علىٰ الإِبل ، ثمَّ أَعادها فخرجَ علىٰ الإِبل ، فقالَ لَهُ : قد رضيَ ربُّكَ ، فٱنحرها فداءً عن ٱبنكَ ، ففعلَ ، فٱستمرَّت الدِّيَةُ في قُريشٍ مئةً مِنَ الإِبل ، ثمَّ جاءَ الشَّرعُ فقرَّرها ديَةً لكلِّ مُسلمٍ مِنَ المُسلمينَ .

أَصحابُ الفيل وما جرىٰ لهُم

وأَمّا أَصحابُ الفيل : فإِنَّ الحبشة لَمّا مَلَكتِ (اليَمنَ) وعليهِم أَبرهةُ الأَشرم ، وكانوا بَنَوْا كنيسةً بـ(صنعاء) كالكعبة ، وصرفوا حجّاج (الكَعبة) إِليها ، فدخلَها ليلاً رجالٌ مِنْ قُريشٍ ولطَّخوها بالعَذِرَةِ[1] وهربوا ، فلمّا عَلِمَ بذٰلك أَبرهةُ عزمَ علىٰ هَدْمِ (الكعبة) ، فتجهَّزَ في جيشٍ عظيمٍ ، فلمّا شارفَ (مكَّةَ) أَغارَ علىٰ سَرْحِها[2] ، فٱستاقَ أَموال قُريشٍ ، ونزلَ بـ(عرفةَ) ، فخرجَ إِليه عبدُ المُطَّلب ، فلمّا رآهُ أَبرهةُ نزلَ لَهُ /عن سرير مُلْكِه إِجلالاً لَهُ ، وسأَلَهُ عن حاجته ، فذكرَ أَنَّ لَهُ نحو مئةٍ مِنَ الإِبل فردَّها عليه ، فقيلَ لعبد المُطَّلب : هلاّ كلمتَهُ في الانصراف عن (الكعبة) ؟ فقالَ : أَنا ربُّ إِبلي ، والكعبةُ لها ربٌّ يَحميْها .

[ق٢٨]

(١) العَذِرةُ : الغائط .

(٢) السَّرحُ : الماشيةُ من الغنم والإِبل .

وٱمتازَ بقريشٍ إلىٰ رؤوس الجبال ، وجعلَ يدعو الله ويَقول ، [مِنْ مجزوء الكامل] [1] :

لا هُـــمَّ إنَّ ٱلمَـــرْءَ يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فٱمنَع حِلالَكْ[2]

لا يَغْلِبَـــنَّ صَليبُهـــمْ وَمِحالُهُمْ غَدْواً مِحالَكْ[3]

أَي : مكرك ، ومنه : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [سورة الرَّعد ١٣/١٣] .

ثـمَّ سـارَ أَبـرهـةُ إلـىٰ (مكَّـة) ، فلمّـا كـانـوا بـ (مُحَسِّـرٍ)[4] ـ بمهملاتٍ ، وهوَ وادٍ بينَ (عرفةَ ومُزدلِفَةَ) ـ نَكَصَ الفيلُ علىٰ عقبيه ، فردّوه فأَبىٰ ، فأَدخلوا الحديدَ في أَنفه حتّىٰ خَرموهُ ، فلم يُساعدهُم علىٰ التَّوجُّه إلىٰ (مكَّةَ) .

فبينما هُم كذٰلك إذ أَرسلَ اللهُ عليهم طيراً ، يَحمِلُ كلُّ طيرٍ منها ثلاثةَ أَحجارٍ صِغارٍ ؛ حَجرين بينَ رجليه ، وحَجراً في منقارِه ، إذا وقعتِ الحجارةُ علىٰ رأس أَحدِهِم خَرجَت مِنْ دُبره ، فأَهلَكَهُمُ اللهُ جميعاً .

---

(١) ابن هشام ، ج١/ ٥٠ .

(٢) **لا هُمَّ** : أَصلها اللَّهُمَّ . **حِلاَلك** : جمع حلة : وهي جماعة البيوت ، والمرادُ هنا : القوم الحلول . والحلال أَيضاً : متاع البيت ، وجائزٌ أَن يكون هٰذا المعنىٰ الثاني مراداً هنا . (ابن هشام ، ج١/ ٥١) .

(٣) **غدواً** : غداً . وهيَ اليوم الَّذي يأتي بعد يومك ، فحذفت لامُهُ ، ولم يستعمل تامّاً إلاّ في الشِّعر . (ابن هشام ، ج١/ ٥١) .

(٤) **مُحَسِّر** : وادٍ صغير يأتي من الجهة الشرقية لثبير الأَعظم من طرف ثقبة ، ويذهب إلىٰ وادي عُرَنة ، فإذا مرَّ بين منىً ومزدلفة كان الحد بينهما . (معالم مكَّة ص ٢٤٨) .

وفي ذٰلكَ أَنزلَ اللهُ علىٰ نبيّه ﷺ مذكِّراً لَهُ بنعمته عليه وعلىٰ قومه ، لأَنَّهُ كانَ يومئذٍ حَمْلاً[1] ، وَوُلِدَ بعدَ الفيل بخمسينَ ليلةً : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴾ ـ أَي : إبطال ـ ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾ ـ أَي : عُصَباً عُصَباً ـ ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ ـ أَي : من قعر جهنَّم ، وهو أَيضاً سجّين ـ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ـ أَي : كزرعٍ أَكلَتْهُ البهائم ـ [سورة الفيل] .

ومِنْ يومِئذٍ ٱحترمتِ النّاسُ قُريشاً ، وقالوا : هُم جيرانُ الله ، يُدافعُ عنهُم .

خبرُ هاشِمٍ

وأَمّا هاشِمٌ : فٱسمهُ عَمْرو ، وإِنَّما سُمّيَ هاشِماً لكَثْرَةِ إِطعامه الثَّريدَ في المجاعة ، وفيه يَقول الشّاعرُ ، [مِنَ الكامل] [2] :

عَمْرو الَّذي هَشَمَ الثَّريدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجالُ مَكَّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ[3]

وبلَغَ في الكرم مَبلَغاً عظيماً حتّىٰ إِنَّهُ كانَ يُطعِمُ الوحشَ والطَّيرَ ، فيَنحرُ لها في رؤوس الجبال ، وكانَ إِذا وقعَ القحطُ جمعَ أَهلَ (مكَّةَ) وأَمرَ المُوْسِرين منهُم/ بالإِنفاق علىٰ فقرائِهم ، حتّىٰ يأتيَ اللهُ بالغيث . [ق٢٩]

ثمَّ إِنَّهُ وَفَدَ (الشّامَ) علىٰ قيصرَ فأَخذَ منهُ كتاباً بالأَمان لقُريشٍ ، وأَرسلَ أَخاهُ المُطَّلب إِلىٰ (اليَمن) ، فأَخذَ مِنْ مُلوكِهِم كتاباً أَيضاً ، ثمَّ أَمرَ تجّارَ قُريشٍ برحلتي الشِّتاء والصَّيف ، فكانوا يَرحَلونَ في

---

(١) أَي : عندما كان حَمْلاً في بطن أُمِّه .
(٢) من قول عبد الله بن الزبعرىٰ .
(٣) **المسنتون** : الّذين أَصابتهم السَّنةُ ، وهي الجوع والقحط . **العِجاف** : الضَّعف والهُزال . (ابن هشام ، ج١/١٣٦) .

الصَّيف إِلىٰ (الشّام) لشدَّة بردِها ، وفي الشِّتاء إِلىٰ (اليَمن) ، فٱتَّسعت مِنْ يَومئذٍ معيشتُهُم بالتِّجارة ، وأَنقذَهُم اللهُ مِنَ الخوف والجوع ببركة هاشِمٍ .

وفي ذٰلك أَيضاً أَنزلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ نبيه ﷺ : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ ـ أَي : لإنعام الله علىٰ قُريشٍ بإِيلافهم ـ ﴿ إِۦلَٰفِهِمْ ﴾ ـ أَي : ٱعتيادهِم ـ ﴿ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ ـ أَي : الكعبة ـ ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [سورة قريش] .

خبرُ عبد مَنافٍ

وأَمّا عبد مَناف : فكانَ يُسمّىٰ قمرَ البطحاء لصباحَتِه ، وهوَ الَّذي قامَ مقامَ أَبيه قُصَيّ بالسّيادة وسقاية الحاج ، وقامَ أَخوهُ عبد الدّار بسِدانَةِ البيت والرِّفادة ـ أَي : إِطعام الحجيج في (دار النَّدوة) الَّتي بناها قُصَيّ ـ وأَخوهُ عبد العُزّىٰ بآلات الحرب مِنَ السِّلاح والكُراع[1] ، بوصيَّةٍ إِليهم مِنْ أَبيهم قُصَي .

خبرُ قُصَيّ

وأَمّا قُصَيٌّ : فكانَ يُسمّىٰ مُجمِّعاً ، لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جمعَ قُريشاً مِنَ البوادي إِلىٰ سُكنىٰ (مكَّةَ) ، وأَخرجَ خُزاعةَ منها ، وفيه يَقولُ الشّاعرُ ، [مِنَ الطَّويل][2] :

أَبوكُمْ قُصَيٌّ كانَ يُدعىٰ مُجَمِّعاً
بهِ جَمَعَ اللهُ القَبائِلَ مِنْ فِهْرِ

وذٰلكَ أَنَّ سيِّدَ خُزاعة شَرِبَ ليلةً معَ جماعةٍ فنفِدَ شرابهُ ، فقالَ : مَنْ يَشتري منّي سِدانَةَ البيت بزقٍّ خَمْرٍ[3] ، فٱشتراها قُصَي وأَشهدَ

---

(١) الكُراعُ : اسمٌ يجمعُ الخيلَ والسِّلاح .
(٢) هو من قول حذاقة بن جمح . (ابن هشام ، ج١/١٢٦) .
(٣) الزِّقُّ : وعاءٌ من جلدٍ يُجَزُّ شعرهُ ولا ينتف ، للشراب وغيره .

عليه[1] ، وفي ذٰلك يَقولُ الشّاعرُ ، [مِنَ البسيط] :

باعَتْ خُزاعَةُ بَيْتَ اللهِ إذْ سَكِرَتْ
بِـزِقِّ خَمْـرٍ فَبِئْسَـتْ صَفْقَـةُ البـاديْ
بـاعَـتْ سِـدانتَهـا لِلْبَيْـتِ وَٱنْتَقَلَـتْ
عَـنِ المَقـامِ وَظِـلِّ البَيْـتِ وَالنّـاديْ

صِفَةُ آبائِهِ ﷺ

وآباؤه ﷺ كلُّهم ساداتٌ ، ما منهُم أَحدٌ إلاَّ وهوَ سيِّدُ قومه في عصره، مِنْ أَبيه عبد الله إلىٰ آدمَ عليه السَّلامُ، كما قيلَ، [مِنَ الكامل][2] :

فَـأُولئِـكَ السّـاداتُ لَـمْ تَـرَ مِثْلَهُـمْ
عَيْـنٌ عَلـىٰ مُتَتـابَـعِ الأَحْقـابِ
زُهْـرُ ٱلـوجـوهِ كَـريمَـةٌ أَحْسابُهُـمْ
يُعْطـونَ سـائِلَهُـمْ بِغَيْـرِ حِسـابِ
/ لَـمْ يَعْـرِفـوا رَدَّ العُفـاةِ وَطـالَمـا [ق٣٠]
رَدّوا أَعـادِيَهُـمْ عَلـىٰ ٱلأَعْقـابِ
حلمـوا إِلـىٰ أَنْ لا تكـاد تـراهُـمُ
يـومـاً علـىٰ ذي هَفْـوةٍ بِغِضـابِ
وتَكَـرَّمـوا حَتّـىٰ أَبـوا أَنْ يَجْعَلـوا
بَيْـنَ ٱلعُفـاةِ وَبَيْنَهُـم مِـنْ بـابِ
كـانَـتْ تَعيشُ الطَّيـرُ فـي أَكْنافِهِـمْ
وَٱلوَحْشُ حِينَ يَشِحُّ كُلُّ سَحابِ
وَكَفـاهُـمُ أَنَّ النَّبـيَّ مُحَمَّـداً
مِنْهُـمْ فَمَـدْحُهُـمُ بِكُـلِّ كِتـابِ

---

(١) الرَّوض الأُنف ، ج٢/ ٣٢ .

(٢) سبل الهدىٰ والرَّشاد ، ج ١/ ٢٨١ .

الباب الثالث

في ذكر من بشّر به قبل ظهوره ، وما أسفر قبل بزوغ شمس نبوّته من صبح نوره ﷺ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : وقد بَشَّرَ به ﷺ جميعُ النَّبيين عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ عُموماً .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٨١] .

روىٰ علماء التَّفسير في معناها ، عن عليّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّهُ قالَ : (الرَّسولُ هوَ محمَّدٌ ﷺ ، ما بعثَ اللهُ نبيّاً مِنْ لدن آدمَ إلاّ أَخذَ لَهُ عليه الميثاقَ لئن بُعِثَ مُحمَّدٌ وهوَ حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به وليَنصُرَنَّهُ)[١] ؛ إعلاماً لَهم بعلوِّ قَدْرِهِ ، معَ علمه سبحانَهُ أَنَّهُ آخِرُهُم بَعثاً .

وذكرَ جماعةٌ مِنْ علماءِ التَّفسير في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٣٧] . أَنَّ آدمَ توسَّلَ بمُحمَّدٍ ـ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ إلىٰ ربِّه في غُفران ذنبه ، فغفرَ لَهُ[٢] .

---

(١) تفسير الطَّبريِّ ، ج٦/ ٥٥٥ .

(٢) انظر تفسير الآية في «تفسير القُرطبي» ج ١/ ٣٢٣ـ ٣٢٥ .

عيسىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يبشِّرُ به ﷺ

وبشَّرَ به عيسىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ خصوصاً ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصَّف ٦١/٦] (١) .

كعبُ بن لؤي يبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به مِنْ غيرِ النَّبيّين جدُّهُ كعبُ بنُ لؤيٍّ .

قالَ علماءُ السِّيَرِ : كانَ كعبُ بنُ لؤيٍّ متمسِّكاً بدينِ إبراهيم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، مُصدِّقاً ببعْثَةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وهوَ الَّذي سمّىٰ يومَ الجُمعة جمعةً ، وكانت تُسمّيهِ العربُ ؛ العَرُوبَةُ ـ بعين وراء مُهملتين ـ لأَنَّهُ كانَ يُجمِّعُ النّاسَ في يَومها بعدَ الزَّوال ، يَخطبُهُم ، ويَعِظُهُم ، ويُبشِّرُهُم ببعْثَةِ مُحمَّدٍ ﷺ فيهم ، ويَقولُ : يا أَيُّها النّاسُ ، الدّارُ والله أَمامَكُم ، والظَّنُّ خِلافُ ظنّكم ، فزيّنوا حَرَمَكُم وعظِّموهُ / ، [ق٣١] وتمسَّكوا به ولا تُفارقوهُ ، فسيأتي لَهُ نبأٌ عظيمٌ ، وسَيَخرُجُ منهُ نبيٌّ كريمٌ ، ثمَّ يُنشدُ ، [مِنَ الطَّويل] (٢) :

نَهــارٌ وَلَيْــلٌ وَٱخْتِــلافُ حَــوادِثٍ
سَــواءٌ عَلَيْنــا حُلْــوهــا وَمَـريـرُهــا

عَلــىٰ غَفْلَــةٍ يَــأْتــي النَّبــيُّ مُحَمَّــدٌ
فَيُخْبِــرُ أَخْبــاراً صَـدوقــاً خَبيــرُهــا

تُبَّع يبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به ﷺ تُبَّع أَسعدُ الكاملُ المَلِكُ الحِمْيَريّ .

---

(١) أَخرج ٱبن سعد ، ج١/٣٦٣ ، بسنده عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، قالت : إِنَّ رسولَ الله ﷺ مكتوبٌ في الإنجيل لا فظٌّ ولا غليظٌ ، ولا صخّابٌ في الأَسواق ، ولا يَجزي بالسَّيِّئة مثلَها ، ولٰكن يَعفو ويَصفحُ .

(٢) دلائل النُّبوَّة ، ج١/١٠٦ .

قَالَ أَهْلُ السِّيَرِ : كانَ تُبّع أَسعدُ الكاملُ أَرادَ أَهلَ (المدينة النَّبويَّة) بسوءٍ ، مكيدةً كادَهُ بها بعض أَعدائه ليُهلِكَهُ ، فأَخبرَهُ الأَحبارُ أَنَّها دارُ هجرةِ مُحمَّدٍ ﷺ المَبعوث في آخر الزَّمان ، فٱنصرفَ عنهُم ، ثمَّ قرأَ التَّوراةَ وتعرَّفَ فيها صفةَ مُحمَّدٍ ﷺ ، فصدَّقَ بمبعَثِهِ ، وكانَ يقولُ ، [مِنَ المتقارب] (١) :

شَهِـدْتُ عَلـىٰ أَحْمَـدٍ أَنَّـهُ ... رَسـولٌ مِـنَ اللهِ بـارِي النَّسَمْ
فَلَـوْ مُـدَّ عُمْـري إِلـىٰ عُمْـرِهِ ... لَكُنْـتُ وَزيـراً لَـهُ وَابْـنَ عَـمْ

عبد المُطَّلب يبشِّرُ به ﷺ

وممَّنْ بشَّرَ به ﷺ جَدُّهُ عبدُ المُطَّلب .

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : إنَّ عبد المُطّلب كانَ قد ٱطَّلعَ علىٰ عجائبَ مِنْ أَمرِ مُحمَّدٍ ﷺ ، فرآىٰ في المنام أَنَّ سِلسلةً مِنْ فضَّةٍ خرجَتْ مِنْ ظَهرِهِ ، لها طرفٌ في السَّماء وطرفٌ في الأَرض ، وطرفٌ بالمَشرق وطرفٌ بالمَغرب ، فبينما هوَ مُتعجِّبٌ مِنَ الأَمرِ المُغْرِب(٢) ، إِذْ بها قد عادت كأَنَّها شجرةٌ عظيمةٌ مورِقةٌ ، وعلىٰ كلِّ ورقةٍ منها نورٌ مُشرقٌ ، وقد تعلَّقَ بها أَهلُ المَغرب والمَشرق ، فأُوِّلَتْ لَهُ بمولودٍ يَخرُجُ مِنْ صُلبه يَحمَدُهُ أَهلُ السَّماوات في كلِّ صنيعٍ ، ويَنقادُ لَهُ أَهلُ الأَرض ٱنقيادَ مُطيعٍ .

وذكروا أَنَّ عبدَ المُطَّلب رآهُ مرَّةً حَبْرٌ مِنَ الأَحبار ، فقالَ لَهُ : إِنَّ في أَحدِ مِنخَرَيكَ لمُلْكاً ، وفي الآخَرِ نبوَّةً(٣) .

حجبُ الشّياطين عَنِ ٱستراقِ السَّمعِ عندَ قُرْبِ مبعَثِهِ ﷺ

ومِنَ المبشِّرات به ﷺ ما ٱتَّفقَ عليه علماء التَّفسير : أَنَّ الشّياطينَ مُنعت قُبيلَ مَولِدِهِ مِن ٱستراقِ السَّمعِ .

---

(١) البداية والنِّهاية ، ج٢/ ١٣٠ .
(٢) **الخبرُ المُغْرِبُ** : الَّذي جاء غريباً حادثاً طريفاً .
(٣) دلائل النُّبوَّة ، ج٢/ ٧٨٠ .

ٱرتجاجُ إيوان كسرىٰ ليلةَ ولادته ﷺ

وما ظهرَ ليلةَ مَولِدِهِ مِن ٱرتجاسِ[1] إِيوانِ كسرىٰ ، وسقوطِ أَربعَ عشرةَ شرفَةً مِنْ شُرفاته ، وخمود نار فارس ٱلَّتي يَعبُدونها ، وما خمدت مُنذُ أَلفِ عامٍ .

ورؤيا المُوبَذَانِ ـ بفتح الموحَّدة وبذالٍ مُعجمةٍ ـ وهوَ عالمُ الفُرس[2] / : رأَىٰ إِبلاً صِعاباً[3] تقودُ خيلاً عِراباً[4] ، قد قَطَعَتْ [ق٣٢] (دِجْلَةَ) وٱنتشرتْ في بلادِها ، فخافَ [كسرىٰ] أَن يَكونَ ذٰلكَ لفسادِ دولَتِهِ وخرابها .

فأَرسلَ عبد المَسيح إِلىٰ خالِهِ سَطيحٍ الكاهن بـ (الشّام) فوجدَهُ قد أَشفىٰ علىٰ الموت ، فلمّا أَحسَّ به سَطيحٌ ، قالَ : عبدُ المَسيح ، علىٰ جمل مُشيحٍ ـ أَي : ضامرٍ ، بشين مُعجمةٍ ـ : أَرسلَكَ مَلِكُ بني ساسان ، ليسأَلَ عن ٱرتجاسِ الإِيوان ، وخمود النّيران ، ورؤيا الموبَذان ؟ يا عبد المَسيح : إِذا كَثُرَتِ التّلاوة ، وظهرَ صاحبُ الهِراوة ، وفاضَ وادي سمَاوة ، فليستْ (الشّامُ) لِسَطيحٍ شاماً ، ولا مُقامُ (العراق) لكسرىٰ وقومِهِ مُقاماً ، يملِكُ منهُم ملوكٌ ومِلِكاتٌ ، علىٰ عدد السّاقط مِنَ الشُّرفات ، وكلُّ ما هوَ آتٍ آتٍ .

ثمَّ قضىٰ سَطيحٌ مكانَهُ ، بعد ما أَبانَ مِنْ أَمرِ ظُهورِ رسولِ الله ﷺ ما أَبانَه[5] .

---

(١) في الأَصل : ارتجاج ، وهو تصحيف . **ٱرتجسَ** : ٱضطربَ وتحرَّكَ حركةً سُمِعَ لها صوتٌ . [النِّهاية ، ج٢/ ٢٠١ (أَنصاريّ)] .

(٢) **المُوبَذانُ** : هو للمجوس كقاضي القُضاة للمسلمين .

(٣) **صِعاباً** : شديدةً .

(٤) **عِراباً** : خيلٌ عربيةٌ .

(٥) دلائل النُّبوَّة ، ج١/ ١٢٦ .

عِيصاً يُبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به ما ذكرَهُ علماءُ السِّيَر : أَنَّهُ كانَ حولَ (مكَّةَ) راهبٌ يقالُ لَهُ : عِيْصا ـ بمهملتين بينهُما تحتيَّة ـ وكانَ قد أَحرزَ عِلماً كثيراً ، وأَنَّهُ كانَ يَدخلُ (مكَّةَ) كلَّ موسِمٍ ، فَيقومُ مبشِّراً بظهور رسولِ الله ﷺ فيقولُ : (يا معشرَ قُريشٍ ، إِنَّهُ سيَظهرُ فيكم نبيٌّ تَدينُ لَهُ العَجمُ والعربُ ، وهٰذا وقتُ ظهورِهِ قَدِ ٱقتربَ) .

فلمّا كانَ في اللَّيلة الَّتي وُلِدَ فيها رسولُ الله ﷺ كانَ عبدُ المُطَّلب طائِفاً بـ(الكعبة) ، فرأىٰ إِسافاً ونائلة[1] ـ وهُما صَنمان عظيمان ـ قد سقطا ، فأَذهلَهُ ذٰلكَ الشَّأن ، وجعلَ يَمسحُ عينيه ، ويَقولُ : أَنائمٌ أَنا أَم يَقظان ؟ فلمّا أُخبرَ بالمولود عَلِمَ أَنَّ ذٰلكَ مِنْ أَجْلِهِ ، لِما كانَ قد رأىٰ مِنَ الدَّلائل مِنْ قِبَله ، فخرجَ مِنَ الغد ، فوقفَ تحتَ صومَعَةِ عِيْصا وناداهُ ، فلمّا رآهُ أَكرمَهُ وَفَدّاهُ[2] ، وقالَ لَهُ : (كُنْ أَبَاهُ ، كُنْ أَباهُ ، قد طَلَعَ نجمُهُ البارحة ، وظهرَ سناهُ ، وقد كنتُ أُحبُّ أَنْ يَكونَ منكُم ، وقد كانَ ، وعلامةُ ذٰلكَ أَنَّهُ يَشتكي مِنْ بطنه ثلاثةَ أَيّامٍ ، ثمَّ يُعافىٰ مِنْ كلِّ الأَسقام ، فٱحفظه مِنَ اليهود فإِنَّهُم أَعداؤُهُ ، وقد تحقَّقتْ عندَهُم صفاتُه)[3] .

سيفُ بن ذي يَزن يُبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به ﷺ بعدَ مولِدِه : سَيفُ بنُ ذي يَزن ، المَلِكُ الحِمْيَرِيُّ ، وذٰلكَ أَنَّ عبد المُطَّلب وفَدَ عليه في السَّنة الثّامنة مِنْ مَولِدِ / النَّبيِّ ﷺ إِلىٰ (صنعاء) يُهنِّئُه بظَفره بـ (الحبَشة) لمّا أَزالَهُم اللهُ مِنَ (اليمن) ، فأَكرمَهُ وأَجلسَهُ علىٰ سريرِ مُلْكِه ، وأَعطاهُ عطايا [ق٣٣]

---

(١) **إِسافٌ ونائِلة** : صنمان كانا لقُريشٍ ، وضعهما عَمْرو بن لُحَيّ علىٰ الصَّفا والمَروة ، وكانَ يُذبحُ عليهما تجاه الكعبة .

(٢) أي قال له : جُعِلتُ فداك .

(٣) مختصر تاريخ دمشق ، ج٢/ ٥٠ـ٥١ .

جزيلةً ، وأَخبرَهُ أَنَّهُ يَجدُ في الكتب القديمة أَنَّ هٰذا أَوانُ وجود النَّبيِّ الأُمّيّ العربيّ القُرَشيّ الهاشميّ ، وأَنَّ صفتَهُ كذا وكذا ، فأَخبرَهُ عبدُ المُطَّلب أَنَّ عندَهُ غلاماً بتلك الصِّفة ، فأَوصاهُ به ، وحذَّرَهُ مِنْ كيد اليَهود والنَّصارىٰ . فماتَ عبدُ المُطَّلب في تلك السَّنة .

الرّاهبُ بَحيرا يُبَشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به ﷺ : بَحِيرا الرّاهب ـ بفتح الموحَّدة وكسر المُهملة ممدوداً ـ وذٰلكَ أَنَّ عمَّه أَبا طالب خرجَ به إِلىٰ (الشّام) في السَّنة الثّانيةَ عشرةَ مِنْ وِلادتِه ﷺ ، فلمّا بلغوا (بُصرىٰ) مِنْ أَرضِ (الشّام) رآهُ الرّاهبُ المذكورُ معَهُم ، فعرفَهُ بصفاته المذكورة عندَهُ في الإِنجيل ، فأَمرَ أَبا طالبٍ أَنْ يَردَّهُ ، وناشدَهُ الله في ذٰلكَ خوفاً عليه مِنْ كيد اليهود والنَّصارىٰ ، فرجعَ به ، وزوَّدَهُ الرّاهبُ شيئاً مِنَ الكعك والزّبيب .

ثَنيُ بحيرا نفراً من النَّصارىٰ عن قتل الرَّسول ﷺ

وروىٰ التِّرمذيُّ في « جامعه » أَنَّ نفراً مِنَ النَّصارىٰ أَتوا بَحِيرا الرّاهبَ بعدَ رجوع أَبي طالبٍ بالنَّبيِّ ﷺ وقالوا : إِنّا خرجنا في طلب النَّبيِّ الأُمّيِّ ، وإِنّا وجدنا في كُتبنا أَنَّهُ يَمرُّ بطريقِكَ هٰذه في هٰذا الشَّهر ، وإِنّا نُريدُ قتلَهُ ، فذكَّرَهُم اللهَ وقالَ : (أَرأيتُم أَمراً يُريدُ اللهُ أَن يَقضيَهُ أَيقدِرُ أَحدٌ أَنْ يَردَّهُ ؟ قالوا : لا ، وٱنصرفوا عنهُ)[1] .

الرّاهبُ نَسْطور يُبَشِّرُ به ﷺ

ثمَّ بشَّرَ به ﷺ : نَسْطورُ الرّاهبُ ـ بمهملاتٍ مع فتح النّون ـ وذٰلكَ أَنَّهُ ﷺ خرجَ في سنةِ خمسٍ وعشرينَ مِنْ مولدِه معَ مَيْسَرَةَ غلامِ خديجةَ رضيَ اللهُ عنها ، في تجارةٍ لها ، فلمّا نزلَ الرَّكبُ بقرب صومعة[2] الرّاهب المذكور ، نزلَ إِليهم منها ، وكانَ لا يَنزِلُ لأَحدٍ ، وطافَ فيهم حتّىٰ رأىٰ النَّبيَّ ﷺ ، فعرفَ فيه علامات

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٦٢٠) . عن أَبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) **الصَّومعةُ** : بيتٌ للنَّصارىٰ ، كالصَّومع ؛ لدقَّةٍ في رأسها . (أَنصاريّ) .

النُّبوَّة ، فأَكرمَهُ ، وأَضافَهُم لأَجلِهِ ، وعرَّفَهُم أَنَّهُ نبيُّ هٰذه الأُمَّة ، وأَنَّهُ خاتَمُ النَّبيّين ، وقالَ لَهُ : اِحذر علىٰ نفسِكَ مِنْ كيد اليهود والنَّصارىٰ ، وأَوصىٰ مَيْسَرَة به ، فقيلَ لَهُ : كيفَ عرفتَ أَنَّهُ فينا ؟ قالَ : إِنَّكُم لَمّا أَقبلتُم لم يَبقَ شجرٌ ولا حَجرٌ إِلاّ وسجدَ إِلىٰ جهتِكُم / ، وكانَ مَيْسَرَةُ يقولُ : (كانَ إِذا ٱشتدَّ الحرُّ ظلَّلتهُ غمامةٌ ، تسيرُ معهُ أَينما سارَ) . فلمّا رجَعا مِنَ (الشّام) أَخبرَ مَيْسَرَةُ خديجةَ بما رآهُ مِنْ كرامته ﷺ ، وصِدْقِهِ ، وأَمانته ﷺ ، وما أَخبرَ به الرّاهبُ ، وما رآهُ مِنْ تظليل الغَمامة لَهُ ، وغيرِ ذٰلك ، فرغِبَتْ خديجةُ في نكاحِهِ ، فخطبتهُ إِلىٰ نفسِها ، وكانَ كلٌّ مِنْ أَشراف قومِها حريصاً علىٰ ذٰلكَ ، فتزوَّج بها ﷺ[١] . [ق٣٤]

قُسُّ بن ساعدة الإياديّ يُبشِّرُ به ﷺ

ثمَّ بشَّرَ به ﷺ : قُسُّ بنُ ساعِدَة .

وقد روىٰ النَّبيُّ ﷺ قصَّتَهُ ؛ أَنَّهُ كانَ يقومُ بسوقِ عُكاظٍ خطيباً ، فقامَ مرَّةً والنَّبيُّ ﷺ وأَبو بكرٍ حاضِران ، فقالَ : (يا أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ للهِ ديناً هوَ خيرٌ مِنْ دينكُم الَّذي أَنتُم عليه ، وإِنَّ للهِ نبيّاً قد حانَ [حينُهُ ، وأَظلَّكُم][٢] أَوانُهُ ، [فطوبىٰ لمن آمنَ به فهداهُ ، وويلٌ لمنْ خالفَهُ وعصاه][٢] ، فبادروا إِليه .

فعمّا قليل ، وقد ظهرَ النّور ، وبطَلَ الزّور ، وبعثَ اللهُ محمَّداً بالحُبور ، صاحبَ النَّجيب الأَحمر[٣] ، والتّاج والمِغْفر[٤] ، والوجه الأَزهر ، [والحجاب الأَنور ، والطَّرْف الأَحوَر] ، وصاحبَ

---

(١) ابن هشام ، ج١/١٨٨ .
(٢) التكملة عن «عيون الأثر» ، ج١/٨٨ . (أَنصاريّ) .
(٣) **النَّجيبُ** : مفردُ النَّجائب ؛ وهي خيارُ الإبل .
(٤) **المِغْفَرُ** : الخوذة الَّتي توضعُ علىٰ الرَّأس لتقيَ من الضَّربات .

شهادة أَن لا إِلٰه إِلاّ الله ، فذٰلِكم مُحمَّدٌ المبعوث إِلىٰ الأَسود والأَحمر[1] ؛ [أَهل المدَر والوَبر] .

زيدُ بن عَمْرو بن نُفيل يُبَشِّرُ به ﷺ

ثمَّ بشَّرَ به ﷺ قُبيلَ مبعَثِه : زيدُ بنُ عَمْرو بنِ نُفَيل ، وكانَ خرجَ يَلتمسُ دينَ إِبراهيمَ ـ كما رواهُ البُخاريُّ في « صحيحه » ـ فأَخبرَهُ آخِرُ الأَحبار إِنَّهُ لم يَبقَ أَحدٌ عليه ، وأَنَّهُ قد أَظلَّ زمانُ خروج النَّبيِّ الأُمّيِّ بـ (مكَّةَ) . فرجَعَ وٱجتمعَ بهِ النَّبيُّ ﷺ مِراراً ، وكانَ يقولُ : (اللَّهُمَّ إِنّي أَعبدُك وحدَك ، وأَدينُ لكَ بدين إِبراهيمَ ، ولا أَعرفُ كيفَ أَعبدُك ؟!) .

ولَهُ أَشعارٌ في التَّوحيد . وماتَ شهيداً رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[2] .

وكانَ النَّبيُّ ﷺ يترحَّم عليه، ويقولُ: «إِنَّهُ يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ»[3] .

سلمان الفارسيُّ يُبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ بشَّرَ به ﷺ قبلَ مبعَثِه : سلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ يَتنقَّلُ مِنْ حَبْرٍ إِلىٰ حَبْرٍ ، حتّىٰ قالَ لَهُ آخِرُهُم عندَ موته : إِنَّهُ لم يَبقَ أَحدٌ علىٰ دين الحقِّ ، ولٰكن قد آنَ خروجُ النَّبيِّ الأُمّيِّ : بـ (مكَّةَ) ، وعرَّفَهُ بصفاته . فخرجَ معَ ركبٍ إِليها ، فأَخذَهُ قُطّاعُ الطَّريق ، فباعوه إِلىٰ يَهود (المدينة) ، فلم يَزل بها إِلىٰ أَن هاجرَ إِليها النَّبيُّ ﷺ ، فعرفَ الصِّفات الَّتي فيه فآمنَ / رضيَ اللهُ عنهُ به ، وصدَّقَهُ ، إِلىٰ أَنْ سعىٰ النَّبيُّ ﷺ في مُكاتبته بما سيأتي في مُعجزاته ﷺ[4] . [ق٣٥]

ورقةُ بن نوفل يُبشِّرُ به ﷺ

ومِمَّنْ عَرفَهُ بصفاته : وَرَقَةُ بنُ نوفل بنِ أَسدٍ ، ابنُ عمِّ خديجة

---

(١) عيون الأَثر ، ج١/ ٦٩ .

(٢) دلائل النُّبوَّة ، ج٢/ ١٢٢ .

(٣) أَخرجه البيهقي في « دلائل النُّبوَّة » ، ج٢/ ١٢٥ـ١٢٦ . عن زيد بن حارثةَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) ابن هشام ، ج١/ ٢١٩ . المستدرك ، ج٣/ ٦٠١ـ٦٠٣ .

رضيَ اللهُ عنها ، علىٰ ما في أَوَّل «صحيح البُخاريِّ» ، وكانَ قد تنَصَّرَ وقرأَ الإنجيل ، فلمّا نزلَ جبريلُ علىٰ مُحمَّدٍ ﷺ بالوحي ، ذهبتْ به خديجةُ إلىٰ وَرَقَةَ ، فتحقَّقَ أَنَّهُ النَّبيُّ الأُمّيُّ الَّذي بشَّرَ به عيسىٰ عليه السَّلامُ ، فآمنَ بِهِ وصدَّقَهُ ، وأَخبرَهُ أَنَّ قومَهُ سيُخرِجونَهُ مِنْ (مكَّةَ) ، وتمنّىٰ أَن يَكونَ حاضِراً يومئذٍ لينصُرَهُ نصراً مؤزَّراً .

ومِنْ شِعره في ذٰلك ، [مِنَ الوافر] (١) :

لَجِجْتُ وَكُنْتُ في الذِّكرىٰ لَجوجا
لِهَـمٍّ طـالَمـا بَعَـثَ النَّشيجـا(٢)

وَوَصْفٍ مِنْ خديجةَ بَعْدَ وَصْفٍ
فَقَـدْ طـالَ ٱنتِظـاري يـا خَـديجـا

بِـأَنَّ مُحَمَّـداً سَيَسـودُ فينـا
وَيَخْصِـمُ مَـنْ يَكـون لَـهُ حَجيجـا

فَيَلْقـىٰ مَـنْ يُحـارِبُـهُ خَسـاراً
وَيَلْقـىٰ مَـنْ يُسـالِمُـهُ فُلـوجـا(٣)

فَيـا لَيْتـي إِذا مـا كـانَ ذاكُـمْ
[شَهِـدْتُ] فَكُنْـتُ أَوَّلَهُـمْ وُلـوجـا

وُلـوجـاً فـي الَّـذي كَـرِهَـتْ قُـرَيْشٌ
وَلَـوْ عَجَّـتْ بمَكَّتِهـا عَجيجـا(٤)

ثمَّ إِنَّهُ لم يَلبث أَن ماتَ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ .

---

(١) ابن هشام ، ج١/ ١٩١ـ١٩٢ .

(٢) **النَّشيجُ** : بكاءٌ مع صوت .

(٣) **الفُلوجُ** : الغلبةُ علىٰ الخصم .

(٤) **عجَّتْ عجيجاً** : ٱرتفعت أَصواتُها .

الباب الرابع

في ذكر مولده الشّريف ، ورضاعته ونشأته إلى حين أوان بعثته صلّى الله عليه وسلّم

مولدُهُ ﷺ وتاريخُهُ ومكانُ ولادَتِهِ

قَالَ عُلمَاءُ السِّيَر : وُلِدَ النّبيُّ ﷺ في ربيع الأوّل ، يومَ الإثنين بلا خلافٍ . ثمَّ قالَ الأكثرونَ : ليلةَ الثّاني عشرَ منهُ . وقالَ بعضُهُم : العاشرُ . وقالَ آخرونَ : الثّامنُ .

وذٰلكَ بـ (مكَّة) المشرَّفةِ ، في شِعْبِ أَبي طالبٍ[1] ، وهوَ المَكانُ الَّذي يجتمعُ فيه أَهلُ (مكَّةَ) ليلةَ المَولِدِ الشَّريف ، للذِّكْرِ والدُّعاءِ والتَّبرُّكِ بمسقَط رأسه ﷺ[2] .

وأَفتىٰ جماعةٌ مِنَ المتأخِّرينَ بأَنَّ عملَ المَولِدِ علىٰ هٰذا القَصد حَسَنٌ محمودٌ .

صفةُ مولدِهِ ﷺ

قَالَ عُلمَاءُ السِّيَر : ووضعتهُ أُمُّهُ وهوَ مستقبلٌ القِبلَةَ ، واضِعاً يديه علىٰ الأَرض ، رافعاً رأسَهُ إِلىٰ السّماء ، مَختوناً ، مَسروراً ـ أَي :

---

(١) **الشِّعبُ** : ما انفرج بين جبلين فهو شِعبٌ .

(٢) **قلتُ** : قال محمَّد أَبو شهبة ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : قد صارت هٰذه الدّار إِلىٰ محمَّد بن يوسف الثّقفي ، أَخي الحجّاج . وذٰلك أَنَّ عقيل بن أَبي طالبٍ باع دور من هاجر من بني هاشمٍ ، ومنها هٰذه الدّار ، وقد أَدخلها محمَّد بن يوسف في داره الّتي يُقالُ لها : البيضاء ، ولم تزل كذٰلك حتّىٰ حجَّت الخيزران أُمُّ الرَّشيد ، فأفردت ذٰلك البيت وجعلته مسجداً ، وقيل : إِنَّ الّتي بنتهُ هيَ زبيدة زوجة الرَّشيد حين حجَّت . (السّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ١٧٤ـ١٧٥) .

مقطوعَ السُّرَّة ـ ، ليسَ عليه شيءٌ مِنْ قَذَرِ الوِلادة .

[ق٣٦] روىٰ / ابنُ إسحاقَ ، عن الشَّفّاء ـ بالتَّشديد ـ : أُمِّ عبد الرَّحمٰن بنِ عوفٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، وهيَ الَّتي تولَّت ولادَتَهُ ، أَنَّها قالتْ : لمّا سقطَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ يديَّ ، سمعتُ قائلاً يَقولُ : يَرحمُكَ اللهُ ، وأَضاءَ لي ما بينَ المَشرِقِ والمَغربِ ، حتّىٰ نظرتُ إلىٰ قصور (الشّام) .

الآياتُ الَّتي وقعَتْ ليلةَ مولِدِهِ ﷺ

وليلةَ ولادِهِ ﷺ خَمدتْ نارُ فارس الَّتي يَعبُدونها ، وكانَ وقودُها مستمرّاً مِنْ عهد موسىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وٱرتجسَ إيوانُ كسرىٰ ، وسقطتْ منهُ أَربعَ عشرة شُرفَةً ، وغاضتْ بُحيرةُ ساوَةَ[1] ، وتنكَّستْ جميعُ الأَصنام في جميع الآفاق ، وسقطَ عَرْشُ إبليسَ ، ورُميت الشّياطين بالشُّهب ، فمُنِعَتْ مِن ٱستراق السَّمع .

فَائِدَةٌ

في رمي الشّياطين بالشُّهُب

التحقيق أَنَّ الشّياطينَ كانت تُرمىٰ بالشُّهب لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الحِجر ١٥/١٨] ؛ لٰكنَّه رميٌ لا يَكثُرُ فيه إِصابتُهم بالرُّجوم[2] ، ولا يمنعهم عن مقاعدِهم للسَّمع . فلمّا وُلِدَ ﷺ كانَ الرَّمي بالرُّجوم أَشدَّ رَجماً ، فلمّا بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ ٱستمرَّ منعُهُم عَنْ مَقاعِدهم ، كما صرَّح بذٰلكَ فيما حكاهُ اللهُ تعالىٰ عنهُم :

---

(١) **غاضَت** : غارَ ماؤها وذهبَ . وهيَ بحيرةٌ كبيرةٌ بين همدان وقُم من إيران . وقد جفَّت ، ومكانها في إيران معروف .

(٢) **الرُّجوم** : وهيَ الشُّهب الَّتي تنقضُّ في اللَّيل ، منفصلةٌ من نار الكواكب ونورها ، لا أَنَّهم يرجمون بالكواكب أَنفسها ، لأَنَّها ثابتةٌ لا تزولُ ، وما ذاك إلاّ كقبسٍ يؤخذُ من نارٍ ، والنّار ثابتةٌ في مكانها [النّهاية ، ج٢/ ٢٠٥ (أَنصاريّ)] .

﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [سورة الجن ٧٢/٩] . وذٰلك لئلاّ يَلتبِسَ الوحيُ بالكهانة[1] .

وفي «الصَّحيحين» أيضاً ، أَنَّهُم قالوا : قد حِيلَ بيننا وبينَ خبرِ السَّماء[2] . واللهُ أَعلمُ .

رِضاعتُهُ ﷺ

وأَوَّلُ مَنْ أَرضعتهُ ﷺ ثُوَيْبَةُ ـ بمثلَّثةٍ ، مصغَّرةً ـ مولاةُ عمِّهِ أَبي لهبٍ ، وأَرضعتْ معَهُ عمَّهُ حمزةَ وأَبا سَلمةَ عبد الله بنَ عبد الأَسد المخزوميّ بلبن ابنها مَسروحٍ ـ بمُهملاتٍ ـ .

وفي «صحيح البُخاريِّ» أَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَرْضَعَتْني أَنا وَأَبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ » قالَ عُروة بنُ الزَّبير : وثويْبَةُ مولاةٌ لأَبي لهبٍ ، كانَ أَبو لهبٍ أَعتقَها ، فأَرضعَتِ النَّبيَّ ﷺ ، فلمّا ماتَ أَبو لهبٍ أُرِيَهُ العبّاسُ في أَسوء حالةٍ ، فقالَ لَهُ : ماذا لقيتَ ؟ قالَ : لم أَلقَ بعدَكُم خيراً ، غيرَ أَنّي خُفِّفَ عَنّيَ العذابُ بعتاقي / ثويْبَة[3] . [ق٣٧]

قُلْتُ : فتخفيفُ العذاب عنْهُ إِنَّما هوَ كرامةٌ للنَّبيِّ ﷺ كما خُفِّفَ عن أَبي طالبٍ ، لا لأَجلِ مجرَّدِ العِتْقِ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة هود ١١/١٦] .

رِضاعتُهُ ﷺ من حليمةَ السَّعديَّةِ

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : ثمَّ ٱحتملتهُ حليمَةُ السَّعديَّة بنتُ أَبي ذُؤَيب ـ مصغَّرُ ذئبٍ ـ من بني سعد بنِ بكر بنِ هَوازنَ ، ثمَّ قيس بنِ عَيْلانَ ـ بمُهملةٍ ـ ابن إِلياس بنِ مُضرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ ؛ حينَ قَدِمَتْ معَ قومِها يلتمسونَ الرُّضعاء ، لِما يَرجونَهُ مِنَ المعروف مِنْ أَهليهم .

---

(١) **الكهانةُ** : هي تعاطي الإِخبار عن الكائنات في مستقبل الزَّمان ، وٱدِّعاء معرفة الأَسرار . [النِّهاية ، ج٤/ ٢١٤ (أنصاريّ)] .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٣٧) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٨١٣) . عن أُمِّ حبيبة رضيَ اللهُ عنها .

وكانَ أَهلُ (مكَّةَ) يَسترضعونَ أَولادَهُم فيهم لفصاحَتِهم ، ولصحَّة هواء البادية ، فأَقامَ ﷺ فيهم نحوَ خمسِ سنينَ ، وظهرَ لَهُم مِنْ يُمنِهِ وبركَتِهِ في تلكَ المُدَّة أَنواعٌ مِنَ المُعجزات وخَوارق العادات .

رویٰ ابنُ إِسحاقَ عن عبد الله بنِ جعفر بنِ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالتْ حليمةُ : خَرجتُ في نسوةٍ مِنْ بني سعدٍ نلتمسُ الرُّضعاء ، علىٰ أَتانٍ لي قَمراء[1] ، في سنة شَهباء[2] ، ومعيَ زوجي الحارثُ بنُ عبد العزّىٰ مِنْ بني سعد بنِ بكر ، ومعنا شارِفٌ لنا ـ أي : ناقةٌ مُسِنّةٌ ـ ما تَبِضُّ[3] بقطرةٍ ، وما ننامُ ليلنا أَجمعَ مِنْ بكاء صبيّنا ، ما في ثديَيَّ ما يُغنيه ، ولا في شارِفنا ما يُغذّيه ، فخرجتُ علىٰ أَتاني تلك ، ولقد أَذَمَّتْ[4] بالرَّكب ـ أَي : ولقد أَزرَتْ بهم[5] ـ ضعفاً وعَجفاً[6] ، حتّىٰ شقَّ ذٰلك عليهم ، حتّىٰ قدمنا (مكَّةَ) ، فوالله ما مِنّا ٱمرأَةٌ إلاّ عُرِضَ عليها رسولُ الله ﷺ فتأباهُ إذا قيلَ لها : إنَّهُ يتيمٌ ، [وذٰلك أَنّا إِنَّما كُنّا نرجو المعروفَ من أَبي الصَّبيِّ ، فكُنّا نقولُ : يتيمٌ ! وما عسىٰ أَن تصنعَ أُمُّهُ وجدُّهُ ؟ ، فكُنّا نكرَهُهُ لذٰلكَ] ، فما بقيتْ ٱمرأَةٌ مِمَّنْ قَدِمَتْ معي إِلاّ أَخذتْ رضيعاً غيري ، [فلمّا أَجمعنا الانطلاقَ قلتُ لصاحبي : والله إِنّي لأكرهُ أَن أَرجعَ من بين صواحبي ، ولم آخُذ رضيعاً ، والله لأَذهبنَّ إِلىٰ ذٰلك اليتيم

---

(١) **القمراءُ** : شدَّة البياض أو بياضٌ إلىٰ الخُضرة .

(٢) **سنةٌ شهباء** : ذاتُ جدبٍ وقحطٍ .

(٣) **تبضُّ** : تدرُّ .

(٤) **أَذمَّتْ الرِّكاب** : أَعيت وتخلَّفت عن جماعة الإبل ، ولم تلحق بها ، تريد أَنَّها تأَخَّرت بالرَّكب ، أي : تأَخَّر الركب بسببها .

(٥) **أزرت** : قصَّرت وتهاونت .

(٦) **العَجَفُ** : الهُزال .

فلآخُذَنَّهُ ، قال : لا عليكِ أَن تفعلي ، عسىٰ اللهُ أَن يجعلَ لنا فيه بركةً . قالت] : فذهبتُ إِليه فأَخذتُهُ ، وما حمَلَني علىٰ أَخذه إِلاّ أَنّي لم أَجِدْ غيرَهُ .

قالتْ : فلمّا أَخذتُهُ رجعتُ به إِلىٰ رحلي ، فلمّا وضعتُهُ في حِجري ، أَقبلَ عليه ثَدْيايَ بما شاءَ مِنَ اللَّبن ، فشربَ حتّىٰ رَوِيَ ، وشربَ معَهُ أَخوه ضَمرةُ حتّىٰ رَوِيا ، ثمَّ ناما ، وما كنّا ننامُ معَهُ قبلَ ذٰلكَ ، وقامَ زوجي إِلىٰ شارفي فإِذا بها حافِلٌ[1] ، فحلَبَ منها ما شرِبَ ، وشربتُ ، حتّىٰ ٱنتهينا شِبَعاً ورِيّاً / [فَبِتْنا بخيرِ ليلةٍ] . [ق٣٨]

قالتْ : يقولُ صاحبي حينَ أَصبحنا : تَعلَّمي[2] يا حليمةُ ، والله إِنّي لأَراكِ قد أَخذتِ نَسَمةً مباركةً ، أَلم تَرَيْ إِلىٰ ما بِتْنا فيه مِنَ الخير والبَرَكة ؟ فلم يَزَلِ اللهُ يُرينا خيراً .

قالتْ : ثمَّ خرجنا وركبتُ أَتاني تلك ، وحملتُهُ عليها معي ، فوالله لقد قطعتُ بالرَّكب ، [ما يَقْدِرُ عليها شيءٌ من حُمُرِهم] . حتّىٰ إِنَّ صواحبي لَيَقُلنَ لي : يا بنت أَبي ذُؤَيب ، ويحكِ !! إِرْبَعي علينا ـ أَي : ٱرفُقي ـ أَليستْ هٰذه أَتانُكِ الَّتي كُنتِ خرجتِ عليها ؟ فأَقولُ لَهُنَّ : بلىٰ ، والله إِنَّها لَهِيَ هِيَ !! فَيَقُلْنَ : والله إِنَّ لها لشأناً .

قالتْ : ثمَّ قَدِمنا منازِلَنا [من بلاد بني سعدٍ] ، وما أَعلَمُ أَرضاً من أَرضِ اللهِ أَجدبَ منها ، فكانتْ غَنمي تروحُ عليَّ [حينَ قَدِمنا به معنا] شِباعاً لُبْناً[3] ، فنحلُبُ ونشرَبُ ، وما يحلبُ إِنسانٌ غيرنا منهُم قطرةَ لبنٍ ، [ولا يجدُها في ضرعٍ] ، حتّىٰ كانَ الحاضرونَ مِنْ قومنا

---

(١) ضرعٌ حافلٌ : ممتلىءٌ لبناً .
(٢) أَي : ٱعلمي .
(٣) أَلبنتِ النّاقةُ : إِذا نزل لبنُها في ضرعها .

يقولونَ لِرُعاتِهِم : ويحكُم !! اسرحوا حيثُ يسرحُ راعي بنتِ أَبي ذُؤَيب ، فيسرحونَ ، فتروحُ أَغنامُهُم جياعاً هُزْلاً ما تبضُّ بقطرةِ لبنٍ ، وتروح غنمي شُبْعاً لُبْناً ، فلم نَزَلْ نتعرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيادةَ والبركةَ حتّىٰ مضتْ سنتاهُ ، ففصلْتُهُ عن الرّضاعة .

قالتْ : وكنتُ لا أَدخلُ عليه باللَّيل إلاّ وجدتُ السَّقفَ قد ٱنفرجَ ، وقد نزلَ عليه القمرُ يُناغيه ـ أَي : يُحدِّثُهُ ـ .

وكانَ ﷺ يَشِبُّ شباباً لا يَشِبُّهُ الغِلمانُ ، [فلم يبلُغ] سنتَيْهِ حتّىٰ كانَ غُلاماً جَفْراً ـ أَي : مُمتلئَ الجنبين ـ[١] .

قالتْ : فقَدِمنا به علىٰ أُمِّه ، ونحنُ أَحرصُ شيءٍ علىٰ مُكْثِهِ فينا ، لِما كُنّا نتعرَّفُ مِنْ بركته ، فقلتُ لأُمِّه : دعينا نرجعُ به ، فإنّا نخشىٰ عليه وباءَ (مكَّةَ) ، ولم نزل بها حتّىٰ ردَّتهُ معنا . ٱنتهىٰ كلامُ ابنِ إِسحاق[٢] .

حادثةُ شقِّ صَدْرِهِ ﷺ

قالَ غيرهُ : وبعدَ حولين مِنْ مَرجعِها به ـ أَي : في العام الخامس مِنْ مولِدِه ﷺ ـ أَتاهُ مَلَكان فشقّا صدرَهُ ، وٱستخرجا قلبَهُ فشقّاهُ ، وٱستخرجا منه عَلَقةً سوداءَ ، وقالا : هٰذا حظُّ الشَّيطان مِنْكَ ، ثمَّ ملآهُ حكمةً وإِيماناً ، ثمَّ لأَماهُ ، فٱلتأمَ [الشَّقُّ] بإذن الله تعالىٰ ، ثمَّ ختماهُ بخاتَم النُّبوَّة بين كتفيه كالطّابع ، ثمَّ قالَ أَحدهُما لصاحبه : زِنْهُ بعشرةٍ مِنْ أُمَّته ، ففعلَ فوزَنَهُم / [ق٣٩] ، ثمَّ قالَ : زِنْهُ بمئةٍ [من أُمَّته] ، ففعلَ فوزَنَهُم ، ثمَّ قال : زِنْهُ بأَلفٍ [من أُمَّته] ، ففعلَ فوزَنَهُم ، حتّىٰ قالَ : والله لو وزَنَتهُ بأُمَّته كلِّها لوزَنَهُم ، ثمّ قبَّلا رأسَهُ

---

(١) **استجفر الصَّبيُّ** : إذا قويَ علىٰ الأَكل ، وكنز لحمه .

(٢) ابن هشام ، ج١/ ١٦٢ـ١٦٤ .

وما بين عينيه ، وقالا : يا حبيبُ ، لم تُرَعْ ، إِنَّكَ لو تدري ما يُرادُ بكَ [مِنَ الخير] لقرَّت عيناكَ .

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قالَ : « فما هوَ إِلاّ أَنْ وَلَّيا عَنّي ، وَكأَنَّما الأَمْرُ مُعايَنَةٌ »[1] .

وفي «صحيح البُخاريِّ» عن السّائبِ بنِ يَزيدَ قالَ : قمتُ خلفَ ظهرِهِ ﷺ فنظرتُ إِلىٰ خاتم النُّبوَّة بين كتفيه[2] . ولمُسلمٍ : أَنَّ الخاتمَ كانَ إِلىٰ جهة كَتِفه اليُسرىٰ[3] .

خوفُ حليمةَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ وردُّه إِلىٰ أُمِّه

قالَ ابنُ إِسحاق : فتخوَّفتْ عليه حليمةُ بعدَ ذٰلك ، فردَّتْهُ إِلىٰ

---

(١) أَخرجه الطَّبريُّ ، ج٢/ ١٦٠ ، عن شدّاد بن أَوس رضيَ اللهُ عنهُ .
قلتُ : وقد تكرَّر شقُّ الصَّدر الشَّريف غير هٰذه المرَّة ، فقد حصل مرَّةً ثانيةً عند المبعث ، ومرَّةً ثالثةً عند الإسراء والمعراج . أَمّا الأُولىٰ : فقد كانت لنزع العلقة السَّوداء ، الَّتي هيَ حظُّ الشَّيطان من كلِّ بشرٍ . وأَمّا الثّانيةُ : فليتلقّىٰ ما يوحىٰ إِليه من أُمور الرِّسالة بقلبٍ قويٍّ وهو علىٰ أَكمل الأَحوال وأَتمِّ الاستعداد . وأَمّا الثّالثةُ : فكانت ٱستعداداً لِما يُلقىٰ إِليه في هٰذه اللَّيلة من أَنواع الفيوضات الرَّبّانيَّة ، وما سيُريه ربُّه فيها من الآيات البينات ، وإِدراك المثل الرّائعة الّتي ضربت له في مسراه وفي معراجه ، وكلُّها تحتاج إِلىٰ شرح الصَّدر وثبات القلب . وقد تطاولَ بعضُ المستشرقينَ في التَّشكيك في حادثة شقِّ الصَّدر ، وقد تأَثَّر بهٰذا الرأي بعض الكاتبين في السّيرة من المسلمين !! وقد قام الشَّيخ محمَّد بن محمَّد أَبو شهبة بالرَّد عليهم ، فليراجع . (ٱنظر السّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ١٩٩ـ٢٠٣) .
وما أَحسنَ ما قيل :
وما أَخرجَ الأَملاكُ من صدره أَذىٰ ولكنَّهم زادوه طهراً علىٰ طهرِ

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٤٨) .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٣٤٦/ ١١٢) . عن عبد الله بن سَرْجِسَ رضيَ اللهُ عنهُ .

أُمِّه ، فقالتْ لها : ما أَقدَمَكِ به يا ظِئْرُ[١] وقد كنتِ حريصةً عليه ؟ فأَخبرَتها ، قالتْ : أَفتخوَّفتِ عليه ؟ والله ما للشيطان علىٰ ابني هٰذا مِنْ سبيلٍ ، وإِنَّ لَهُ لشأناً ، ولقد رأيتُ حينَ حملتُ به أَنَّهُ خَرجَ منّي نورٌ أَضاءَ لي قصورَ (بُصْرىٰ) مِنْ أَرضِ (الشّام)[٢] .

وفاةُ آمنة

وفي السَّنة السّادسة مِنْ مولِدِه ﷺ خرجَتْ به أُمّه إِلىٰ (المدينة) لتُزيرَهُ أَخوالَ جدِّه عبد المُطَّلب ، وهُم بنو عَديّ بنِ النَّجّار مِنَ الخَزرج ، وأَقامتْ به شهراً .

ورُويَ عنهُ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَحْسَنْتُ السِّباحَةَ في بِئْرِ بَني عَديّ بنِ النَّجّارِ مِنْ يَومَئِذٍ »[٣] .

وكان يَهودُ (المدينة) يومئذٍ يَختلفونَ إِليه[٤] ، ويَتعرَّفونَ فيه علامات النُّبوَّة .

ثمَّ رجَعَت به ، فماتتْ بـ (الأَبواء)[٥] ـ بالموحَّدة ـ وهوَ مكانٌ بينَ (مكَّةَ والمدينة) .

أُمُّ أَيمنَ تحتضنُ النَّبيَّ ﷺ

وبقيَ بـ (الأَبواء) حتّىٰ أنتهىٰ الخبرُ إِلىٰ (مكَّةَ) ، فجاءَتهُ حاضِنَتُهُ أُمُّ أَيمن[٦] ـ مولاةُ أَبيه عبدِ الله بنِ عبد المُطَّلب وأُمُّ أُسامة بنِ زيدٍ ـ فأحتملتهُ .

---

(١) **الظئر** : العاطفةُ على ولد غيرها ، المُرضعة له .

(٢) ابن هشام ، ج١/ ١٦٥ .

(٣) ابن سعد ، ج١/ ١١٦ .

(٤) أَي : يأتون واحداً بعد آخر يَنظرون إِليه .

(٥) يُقال : إِنَّها ماتت في حدود العشرين عاماً تقريباً . (شرح المواهب اللَّدُنيَّة ، ج١/ ١٦٦) .

(٦) وأسمها : بَرَكَة الحبشيَّة .

والصَّحيحُ أَنَّ أَباهُ عبدَ الله ماتَ وهوَ حَمْلٌ[1] .

وأَمّا أُمُّه : فهيَ آمنةُ بنتُ وَهْبِ بنِ عبد مَنافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاب بنِ مُرَّةَ [ابنِ كعبِ بنِ لؤيّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرٍ] ، وكانتْ سيّدةَ قومِها بني زُهْرَةَ ، وكانَ أَبوها سيّدَهُم ولم يَلدا ـ أَعني أبويه ـ غيره ﷺ .

فائدة عظيمة

ما يتعلّقُ بأبويه ﷺ

قالَ القُرطبيُّ في « تذكرته »[2] : خرَّجَ الحافظُ أَبو بكر الخطيب في كتابه « السّابق واللاّحق » والحافظُ أَبو حفص / عُمر بنُ شاهين [ق٤٠] في كتابه « النّاسخ والمنسوخ » أَنَّه ﷺ قالَ في حجّة الوداع : «ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمّي، فَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُحْيِيَها لي، فأَحياها ، فآمَنَتْ بي»[3] .

في إحياء والدي النّبيّ ﷺ لَهُ

وكذا ذكَرَهُ السُّهيلي في «الرَّوض الأُنُف» : أَنَّ مِنْ خصائِصه ﷺ أَنَّ الله تعالىٰ أَحيا له أَبويه فآمنا به[4] .

---

(١) قلت : ذهب ابن إسحاق إلىٰ أَنَّ عبد الله توفّي والنَّبيُّ ﷺ لا يزال حَمْلاً في بطن أُمّه ، وقد تابعه عليه ابن هشام ، وهو الرأي المشهور بين كُتّاب السِّيَر والمؤرخين ، وكان عمر عبد الله حينذاك ثماني عشرة سنةً ، وقد صحّحه الحافظ العلائي ، وابن حجر . ويرى بعض العلماء أَنَّ والد النَّبيّ توفّي بعد ميلاده وهو لا يزال في المهد ، قيل : ابنُ شهرين ، وقيل : أَكثر من ذلك . والأَوّل هو الرّاجح ، وإن قال السهيلي : إنَّ الرّأي الثّاني قول أَكثر العلماء . واللهُ أَعلمُ . (انظر السّيرة النَّبويّة ، ١/١٦٦) .

(٢) التّذكرة ، ص١٥ .

(٣) قال الزَّرقاني في « شرح المواهب اللَّدنيَّة » للقسطلانيّ ، ج١/١٦٧ : أَخرجه الدّارقطني من هٰذا الوجه ، وقال : باطلٌ . وابن عساكرَ ، وقال : منكرٌ . وذكره ابن الجوزي في الموضوع .

(٤) الرَّوض الأُنف ، ج١/١٩٥ . قال السُّهيليّ : (حديثٌ غريبٌ لعلَّه أَنْ=

قالَ القُرطبيُّ : فهٰذا ناسخٌ لِما في صحيح مُسلمٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ زارَ قبرَ أُمِّه وقالَ : « ٱسْتَأْذَنْتُ رَبّي أَنْ أَزورَ قَبْرَها فَأَذِنَ لي ، فٱسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَها فَلَمْ يَأْذَنْ لي »[1] .

= يصحَّ ، وجدته بخطِّ جدّي أبي عمران أحمد بن أبي الحسن القاضي ـ رحمَهُ اللهُ ـ بسندٍ فيه مجهولون ، ذكر أَنَّه نقله من كتاب ، ٱنتسخ من كتاب مُعَوِّذ بنِ داود الزّاهد ، يرفعه إِلىٰ ابن أبي الزناد عن عروة) . وأنكر ابن كثير في « البداية والنِّهاية » ، ج٢/ ٢٨١ ما رواهُ السُّهيلي ، وقال : (حديثٌ منكرٌ جدّاً ، وإِن كان مُمكناً بالنَّظر إِلىٰ قدرة الله تعالىٰ ، لكنَّ الَّذي ثبت في الصَّحيح يعارضُهُ ، والله أَعلمُ) . وقال السُّيوطيُّ : ذكر كثيرٌ من الحُفّاظ أَنَّ الحديث ضعيف ، تجوز روايته في الفضائل والمناقب ، لا موضوع ، كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسُّهيلي والمحبّ الطَّبري والعلاّمة ناصر الدّين ابن المنيّر وابن سيّد النّاس ، ونقله عن بعض أهل العلم . . . وقد جعل هٰؤلاء الأئمة هٰذا الحديث ناسخاً للأَحاديث الواردة بما يُخالفه ، ونصّوا علىٰ أَنَّه متأخِّرٌ عنها ، فلا تعارُضَ بينه وبينها . وقال في « الدرج المنيفة » : جعلوه ناسخاً ، ولم يبالوا بضعفه ، لأَنَّ الحديث الضَّعيف يُعمل به في الفضائل والمناقب ، وهٰذه منقبة ، ولذٰلك جزم بعض العلماء بأَنَّ أَبويه ﷺ ناجيان وليسا في النار تمسُّكاً بهٰذا الحديث وغيره . (انظر شرح الزرقاني علىٰ المواهب اللَّدنيَّة ، ج١/ ١٦٨ـ١٦٩) .

وبصرف النَّظر عمّا تقدَّم فأَبواه ناجيان نجاة أَهل الفترة ؛ وأَهل الفترة ناجون إِلاّ من ٱستثني ، كما حقَّق ذٰلك العلماء .

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٩٧٦/ ١٠٨) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

قلتُ : إِنَّ عدم الإِذن في الاستغفار لا يلزم منه الكفر ، بدليل أَنَّه ﷺ كان ممنوعاً في أَوَّل الإِسلام من الصَّلاة علىٰ من عليه دَين لم يترك له وفاء ، ومن الاستغفار له وهو من المسلمين ، وتعليله أَنَّ ٱستغفار النَّبيّ ﷺ مجابٌ علىٰ الفور ، فمن ٱستغفر له وَصَل عقب دعائه إِلىٰ منزله في الجنَّة ، والمديونُ محبوسٌ عن مقامه حتّىٰ يقضيَ دينه كما في الحديث ، =

قالَ القُرطبيُّ: فإيمانُهُما به بعدَ الرَّجعة ينفعُهُما كرامةً لَهُ ﷺ، كما وقعت صلاةُ سليمانَ عليه السّلامُ أَداءً، لَمّا ردَّ اللهُ عليه الشَّمسَ بعدَ غروبها كرامةً لَهُ، واللهُ يختصُّ برحمته مَنْ يَشاءُ، ويُكْرِمُ بكرامته مَنْ يَشاءُ[1].

تنبّؤ سيف بنِ ذي يَزن والكُهّان بمبعث النّبيِّ ﷺ

وفي السَّنة السّابعة : وَفَدَ جدُّهُ عبد المُطَّلب علىٰ سَيف بن ذي يَزن الحِمْيَريّ ، لِتهنئَتِهِ بأَخذه (صنعاءَ) وبظفَرِهِ بـ (الحبشة) ، فأَكرمَهُ وأَخبرَهُ هوَ والكُهّانُ الوافدونَ عليه بنبوَّة مُحمَّدٍ ﷺ ، وأَنَّهُ أَبوهُ ، وأَنَّهُ سيكونُ لَهُ شأنٌ عظيمٌ .

وفاةُ جدِّه عبد المُطَّلب وكفالَةُ أَبي طالبٍ للنَّبيِّ ﷺ

وفي السَّنة الثّامنة : توفّيَ جدُّهُ عبد المُطَّلب ، فكَفَلَهُ عمُّهُ أَبو طالبٍ ، وٱسمُهُ : عبدُ مَنافٍ؛ لأَنَّهُ شقيقُ عبد الله ، فأَحسنَ كفالتَهُ ، وتعرَّفَ منهُ اليُمْنَ والبركةَ ، ودافعَ عنهُ بعدَ مبعَثِهِ بيده ولسانه ، وكانَ إِذا أَكلَ هوَ وأَولادُهُ فأَكلَ معَهُمُ النَّبيُّ ﷺ شَبِعوا ، وإِذا لم يأكل معَهُم لم يَشبعوا .

خروجُ النَّبيِّ ﷺ إِلىٰ الشّام مع عمِّه أَبي طالبٍ وقصَّةُ الرّاهب بَحِيرا

وفي السَّنة الثّالثة عشرةَ : خرجَ به عمُّهُ أَبو طالبٍ في تجارةٍ إِلىٰ (الشّام) ، فلمّا بَلَغوا (بُصرىٰ) ، رآهُ الرّاهبُ بَحِيرا ـ بفتح الموحَّدةِ وكسر المُهملةِ ممدوداً ـ فتحقَّقَ فيه صفات النُّبوَّة ، فأَمرَ أَبا طالبٍ أَن يرُدَّهُ إِلىٰ (مكَّةَ) خوفاً عليه مِنَ اليهود والنَّصارىٰ ، فرجَعَ بِهِ .

ورویٰ التِّرمذيُّ في « جامعه » أَنَّ نفراً مِنَ الرّوم أَرادوا به سوءاً ، فمنعَهُم بَحِيرا وذكَّرَهُمُ اللهَ ، وقالَ : أَفرأَيتُمْ أَمراً أَرادَ اللهُ أَن يقضيَهُ ، أَيقدِرُ أَحدٌ مِنَ النّاسِ أَن يرُدَّهُ؟ فقالوا : لا ، وٱنصرفوا[2] .

= فقد تكون أُمُّه ﷺ مع كونها متحنفةً كانت محبوسةً في البرزخ عن الجنَّة لأُمور أُخرىٰ غير الكفر ٱقتضت أَن لا يؤذنَ له في الاستغفار . (ٱنظر شرح الزَّرقاني علىٰ المواهب اللَّدنيَّة ، ج١/١٧٨) .

(١) التَّذكرة ، ص١٦ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٦٢٠) . عن أَبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ .

[ق٤١]

شُهودُ النَّبيِّ ﷺ حربَ الفِجار

وفي السَّنة الرّابعةَ عشرةَ / : كانت حربُ الفِجار ـ بكسر الفاءِ وجيمٍ ـ بين قُريشٍ وهَوازِنَ ، وسمّيت بذٰلكَ لوقوعها في الشَّهر الحَرام ، وتطاولت الحَربُ بينَهُم ، وكانَتِ الدّائِرَةُ لهَوازِنَ علىٰ قُريشٍ ، حتّىٰ شَهِدَها ﷺ يوماً معَ قومه ، فٱنقلبتِ الدّائرةُ لَهُم علىٰ هَوازِنَ .

شُهودُ النَّبيِّ ﷺ حِلْفَ الفُضول

ثُمَّ عقدتْ قُريشٌ حِلْفَ الفُضول لنُصرةِ المَظلوم[1] ، فشهدَهُم ﷺ . وكانَ سببُهُ أَنَّ رجلاً قَدِمَ (مكَّةَ) بمتاعٍ ، فٱبتاعَهُ منهُ العاصُ بنُ وائلٍ السَّهميُّ ، وظلمَهُ الثَّمنَ ، فشكاهُ ، فلم يُنصِفْهُ أَحدٌ ، فأَوفىٰ علىٰ جبل أَبي قُبيسٍ وأَنشدَ بأَعلىٰ صوته ، [مِنَ البسيط][2] :

يـا آلَ فِهْـرٍ لِمَظْلـوم بِضـاعَتُـهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نائي الدّارِ والنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يا لَلرِّجالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ وَالحَجَرِ

فقالَ الزُّبيرُ بنُ عبد المُطّلب بن هاشمٍ : والله لا صبرَ لي علىٰ هٰذا الأَمر ، فجمعَ بني عبد مَنافٍ وبني زُهْرَةَ وبني أَسدٍ وتَيماً في دار عبد الله ابنِ جُدْعان التَّيميّ ، وقد صنعَ لَهُم ابنُ جُدْعان طعاماً ، فتحالفوا لَيكونُنَّ عوناً للمظلوم علىٰ الظّالم ، ثمَّ أَتوا العاصَ بنَ وائلٍ فٱنتزعوا سلعةَ الرَّجُلِ منهُ قهراً .

وفي الحديث أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « شَهِدْتُ مَعَ عُمومَتي في دارِ ابنِ جُدْعانَ مِنْ حِلْفِ الفُضولِ ما لَو دُعيتُ إِليهِ اليومَ لأَجَبْتُ »[3] .

خروجُ النَّبيِّ ﷺ إلىٰ الشّام في تجارةٍ لخديجةَ رضيَ اللهُ عنها

وفي السَّنة الخامسة والعشرين : خرجَ ﷺ معَ مَيْسَرَةَ غلامِ

---

(١) قيل : إِنَّما سُمّيَ حلفَ الفُضول لأَنَّهم أَخرجوا فُضول أَموالهم للأَضياف . (أَنصاريّ) .

(٢) ابن هشام ، ج١/ ١٣٣ .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في « السُّنن الكبرىٰ » ، ج٦/ ٣٦٧ . عن طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

خديجةَ في تجارةٍ لها بأُجرةٍ ، فربحا أَضعافَ ما يَرْبَحُ النّاسُ ، فلمّا رجَعا أَضعَفَتْ لَهُ خديجةُ الأُجرةَ ، وشاهدَ منه مَيْسَرَةُ في تلك السَّفرة أَنواعاً مِنْ علامات النُّبوَّة ، منها : أَنَّهُ كان إِذا ٱشتدَّ الحرُّ ظلَّلتهُ غَمامةٌ ، تسيرُ بسيره ، وتقفُ في وقوفه .

فَائِدَة

في تظليل النَّبيِّ ﷺ بالغمام

الظّاهرُ أَنَّ تظليلَهُ بالغمام كانَ قبلَ البِعْثَة ، ففي حديث الهِجرة أَنَّ أَبا بكرٍ ظلَّلَهُ بثوبٍ . وفي قصَّة غَوْرَثٍ كنّا إِذا رأَينا شجرةً ظليلةً تركناها لرسول الله ﷺ .

[ق٤٢] ومنها ـ [أَي : مِنْ علامات النُّبوَّة] ـ : أَنَّهُم مرّوا براهبٍ / يقالُ لَهُ نَسطور ـ بفتح النّون ـ فقالَ لمَيْسَرَةَ : مَنْ هٰذا الفتىٰ ؟ فقالَ : هوَ مِنْ أَهل (مكَّةَ) ، مِنْ أَهل الحَرم ، فقالَ : أَشهدُ أَنَّهُ نبيٌّ ، وأَنَّهُ آخِرُ الأَنبياء .

مـرورُ النَّبـيِّ ﷺ بالرّاهب نَسطور

ومنها : ما شاهدَهُ مِنْ صِدْقِه وأَمانته وخُلُقه العظيم ، فأَخبرَ مَيْسَرَةُ خديجةَ بما شاهدَهُ مِنْ مُعجزاته ﷺ وخُلُقه وبركته ، فخطبته إِلىٰ نفسها .

خطبـةُ خـديجـةَ لرسول الله ﷺ وزواجُهُ منها

وهيَ خديجةُ بنتُ خُويلدِ بنِ أَسدِ بنِ عبدِ العُزّىٰ بن قُصيٍّ .

وكانتْ خديجةُ مِنْ أَفضلِ نساءِ قُريشٍ حَسباً ونسباً وجمالاً ومالاً ، وقد كانَ كلٌّ مِنْ قومِها حريصاً علىٰ نِكاحها ، فأَكرمَها اللهُ بأَكرم الخَلْق علىٰ الله ، لِما سبقَ في الأَزل مِنَ الكرامة ، فنكَحَها ، وبقيتْ معَهُ خمساً وعشرينَ سنةً ، عشراً بعدَ المَبْعَثِ وخمسَ عشرةَ قبلَهُ ، وكانتْ لَهُ عَوناً علىٰ الحقِّ ، وهيَ أَوَّلُ مَنْ أَسلَمَ علىٰ يديه مِنَ النِّساء ، وهيَ أُمُّ أَولادِهِ كلِّهم : القاسِمُ وعبد الله الطّاهر ، ورقيَّةُ ، وزينَبُ وأُمُّ كلثومٍ ، وفاطمةُ ، إِلاّ إِبراهيمَ فإِنَّ أُمَّهُ ماريَّةُ القبطيَّة .

وفي « الصَّحيحين » أَنَّهُ ﷺ قالَ : « خَيْرُ نِسائِها مَرْيَمُ [ٱبْنَةُ عِمْرانَ] ، وَخَيْرُ نِسائِها خَديجَةُ »(١) ـ أَي : مريمُ خيرُ نساءِ زمانِها ، وخديجةُ خيرُ نساء زمانها ـ.

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَتاني جبريلُ فقالَ : هٰذهِ خديجةُ ، فإذا أَتَتْكَ فٱقْرَأْ عَلَيْها السَّلامَ مِنْ رَبِّها وَمنّي ، وَبَشِّرْها بِبَيْتٍ في ٱلجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ـ أَي : لُؤْلُؤٍ مُجوّفٍ ـ لا نَصَبَ فيهِ ـ أَي : تعبٍ ـ ولا صَخَبَ ـ أَي : صُراخَ ـ »(٢) . زاد الطَّبرانيُّ أَنَّها قالتْ : هُوَ السَّلامُ ، ومنهُ السَّلامُ ، وعلىٰ جبريلَ السَّلامُ .

فَائِدَةٌ

في التفاضل بين خديجة وعائشة رضيَ اللهُ عنهما

ٱحتجَّ بعضُ الأَئمَّة بهٰذا الحديث علىٰ تفضيل خديجةَ علىٰ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهما مِنْ حيثُ أَنَّ جبريلَ أَقرأَ خديجةَ السَّلامَ عن الله وعن نفسِه ، وإِنَّما أَقرأَ عائشةَ السَّلامَ عن نفسِه ، وبقولِهِ ﷺ ـ لمّا قالت لَهُ عائشةُ : قد أَبدلَكَ اللهُ خيراً منها ـ : « ما أَبْدَلَني اللهُ خَيْراً مِنْها ، آمَنَتْ بي إِذْ كَفَرَ النّاسُ »(٣) .

وأُجيبَ عن الأَوَّل : بأَنَّ تسليمَ الله علىٰ خديجةَ لا يَقتضي تفضيلَها ، / كما لا يَقتضي تسليمُهُ علىٰ إبراهيمَ وغيرِهِ مِنَ الأَنبياء تفضيلَهُم علىٰ مُحمَّدٍ ، الَّذي أَمرَ اللهُ أُمَّتَهُ بالتَّسليم عليه . وعن الثّاني : بأَنْ مُرادَ عائشةَ خيراً منها في السِّنِّ ـ كما في الحديث ـ فقابلَ [ق٤٣]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٢٤٩) . ومُسلم برقم (٢٤٣٠/٦٩) ، عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦١٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه أَحمد في «المُسند»، برقم (٢٤٣٤٣)، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

ذٰلكَ ﷺ بخيريَّةِ خديجةَ في الدّين الَّذي هوَ أَفضلُ مِنْ حداثةِ السِّنِّ . واللهُ أَعلمُ .

بُنيانُ الكعبة ومشاركةُ النَّبيِّ ﷺ

وفي السَّنة الخامسة والثَّلاثين : بَنَتْ قُريشٌ (الكعبةَ) وتقاسمتها أَرباعاً[1] ، فلمّا ٱنتهوا إِلىٰ موضع الحَجرِ الأَسودِ ، تنازعت القبائلُ أَيُّها يَضعُهُ موضِعَهُ ، حتّىٰ كادوا يَقتتِلونَ ، ثمَّ ٱتَّفقوا علىٰ أَنْ يُحكِّموا أَوَّلَ داخلٍ عليهِم مِنْ بني هاشِمٍ . فكانَ ﷺ هوَ أَوَّلَ داخلٍ ، فقالوا : هٰذا مُحمَّدٌ ، هٰذا الصّادقُ الأَمينُ ، رضينا به ، فحكَّموهُ ، فبسطَ ﷺ رداءَهُ ووضعَ الحَجرَ فيه ، وأَمرَ أَربعةً مِنْ رؤساءِ القبائلِ الأَربعِ ، أَنْ يأخذوا بأَرباع الثَّوب ، فرفعوه إِلىٰ موضِعِه ، فتناوَلَهُ ﷺ بيده المُباركة ، فوضعَهُ في موضِعِه .

وفي «الصَّحيحين» : أَنَّهُ ﷺ حضَرَهُم يوماً في بناء الكعبة فذهبَ هوَ وعمُّهُ العبّاسُ يَنقُلانِ الحِجارَةَ ، فقالَ لَهُ العبّاسُ : ٱجعل إِزاركَ علىٰ عاتِقِكَ كما يَفعلونَ ، ففعلَ ، فخرَّ إِلىٰ الأَرض مغشيّاً عليه ، وطَمَحَتْ عيناهُ إِلىٰ السَّماء ، وقالَ : « أَرِني إِزاري » ، فشدَّهُ عليه[2] .

ترادفُ علاماتِ النُّبوَّة عليه ﷺ

وفي الثّامنة والثَّلاثين : ترادفَتْ علاماتُ نبوَّتِهِ ﷺ ، وتحدَّثَ بها الرُّهبانُ والكُهّانُ .

---

(١) **قلتُ** : فكان جانِبُ الباب لبني عبد مناف وزهرة . وكانَ ما بين الرُّكن الأَسود واليمانيّ لبني مخزومٍ وقبائِلَ من قُريشٍ ٱنضمّوا إِليهم . وكانَ ظهرُ الكعبة لبني جمح وسَهْم . وكانَ جانِبُ الحِجْر لبني عبد الدّار ولبني أَسد ابن عبد العُزّىٰ ولبني عديٍّ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٥٠٥) ، عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما . **طمَحَتْ** : شَخَصت وٱرتفعت . **أَرني** : أَعطني .

حبُّ النَّبيِّ ﷺ للخلوة

وفي التّاسعة والثَّلاثين : حُبِّبَتْ إِليه الخَلوةُ ، فكانَ يَخلو بغار (حِراءَ) أيّاماً بعدَ أيّامٍ ، يَتزوَّدُ لها . وكانَ في تلكَ المدَّة يَرىٰ أنواراً ، ويَسمعُ أَصواتاً .

الرُّؤيا الصّادِقَةُ

وفي السَّنةِ الأَربعين قبلَ مبعَثِه بستَّةِ أَشهرٍ : كانَ وحيُهُ ﷺ مناماً ، وكانَ لا يَرىٰ رؤيا إِلاّ جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبح . أَي : مِثْلَ الصُّبح المَفلوق ، أَي : المُنشقِّ . ومنهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ [سورة الفلق ١/١١٣] .

تسليمُ الحَجَرِ والشَّجرِ عليه ﷺ

وكانت الأَحجارُ والأَشجارُ تُسلِّمُ عليه بالرِّسالة .

[ق٤٤]

وفي الحديث الصَّحيح أَنَّهُ / ﷺ قالَ : « إِنّي لأَعرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كانَ يُسَلِّمُ عَليّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَث »[1] .

وفي « الصَّحيحين » أَنَّهُ ﷺ قالَ : « رُؤْيا ٱلْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعينَ جُزْءاً مِنَ النَّبوَّةِ »[2] .

قَالَ العُلَمَاءُ : لأَنَّ مُدَّةَ النُّبوَّة ثلاثٌ وعشرونَ سنةً ، ونصفُ السَّنة منها ، جُزْءٌ مِنْ ستَّةٍ وأَربعينَ جُزءاً .

وما أَحسنَ قولَ صاحب البُردة ـ رحمَهُ الله ـ فيها ، [مِنَ البسيط][3] :

أَبانَ مَولِدُهُ عَنْ طيبِ عُنْصُرِهِ ... يا طيبَ مُبتَدَإٍ مِنْهُ ومُخْتَتَمِ
يَوْمٌ تَفَرَّسَ فيهِ ٱلفُرْسُ أَنَّهُمُ ... قَدْ أُنْذِروا بِحُلولِ ٱلبُؤْسِ والنِّقَمِ

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٢٧٧) ، عن جابر بن سمُرة رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٥٨٦) . ومُسلم برقم (٢٢٦٤) ، عن عُبادة بن الصّامت رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) البُردة ، ص١٩ـ٢٠ .

وَباتَ إِيوانُ كِسرىٰ وَهُوَ مُنْصَدِعٌ

كَشَمْلِ أَصْحابِ كِسرىٰ غَيْرَ مُلْتَئِمِ

وَالنّارُ خامِدَةُ ٱلأَنفاسِ مِنْ أَسَفٍ

عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ ساهي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ[1]

وَساءَ ساوَةَ أَنْ غاضَتْ بُحَيْرَتُها

وَرُدَّ وَارِدُها بالغَيْظِ حينَ ظَمي[2]

كَأَنَّ بِالنّارِ ما بِالماءِ مِنْ بَلَلٍ

حُزْناً وَبالماءِ ما بالنّارِ مِنْ ضَرَمِ[3]

وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَٱلأَنوارُ ساطِعَةٌ

وَٱلحَقُّ يَظْهَرُ مِنْ مَعنىً وَمِنْ كَلِمِ

عَمُوا وَصَمّوا فإِعْلانُ البَشائِرِ لَمْ

تُسْمَعْ وَبارِقَةُ ٱلإِنْذارِ لَمْ تُشَمِ

مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ ٱلأَقوامَ كاهِنُهُمْ

بِأَنَّ دينَهُمُ ٱلمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

وَبَعْدَ ما عايَنوا في ٱلأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ

مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ ما في ٱلأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

حَتّىٰ غَدا عَنْ طَريقِ ٱلوَحْيِ مُنْهَزِمٌ

مِنَ الشَّياطينِ يَقْفو إِثْرَ مُنْهَزِمِ

لا تُنكِرِ ٱلوَحْيَ مِنْ رُؤْياهُ إِنَّ لَهُ

قَلْباً مَتىٰ نامَتِ ٱلعَيْنانِ لَمْ يَنَمِ[4]

---

(١) **ساهي** : ساكن عن الجريان . **السَّدَم** : الحزن .

(٢) **ساوةَ** : مدينةٌ في بلاد فارس بين همذان وقُم .

(٣) **الضَّرَم** : اللَّهب .

(٤) **الرُّؤيا** : المنام .

وَذاكَ حيـنَ بُلـوغٍ مِـنْ نُبـوَّتِـهِ[1]
فَلَيْـسَ يُنْكَـرُ فيـهِ حـالُ مُحْتَلِـمِ
تَبـارَكَ اللهُ مـا وَحْـيٌ بِمُكْتَسَـبٍ[2]
وَلا نَبـيٌّ عَلـىٰ غَيْـبٍ بِمُتَّهَـمِ[3]

---

(١) يعني : أَنَّ الوحيَ ثابتٌ في المنام للأَنبياء بعد إِدراك النُّبوَّة .

(٢) ما وحيٌ بمكتسب : أَي لا تُدرَك النُّبوَّة باجتهاد صاحبها وسعيه ، وإِنَّما فضلُ الله عزَّ وجلَّ يختصُّ به من يشاء .

(٣) أَي : غير متَّهم بالكذب فيما يخبر به من الأُمور الغيبيَّة .

الباب الخامس

في إثبات أنّ دينه صلى الله عليه وسلم ناسخٌ لكلّ دين، وأنه خاتم النبيّين وعموم رسالته ﷺ إلى النّاس أجمعين وتفضيله على جميع النبيّين والمرسلين

اعلم أَنَّ إثباتَ النُّبوَّة هوَ الشَّطرُ الثّاني مِنَ التَّوحيد ، فإِنَّهُ ﷺ قال : «مَبْنىٰ الإِيمانِ عَلىٰ قولِ : لا إِلٰه إِلاّ اللهُ / ، وَهُوَ شَطْرٌ ـ أي : نِصْفٌ ـ والشَّطرُ الثّاني : مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ» . [ق٤٥]

وقد ذَكرنا نُبَذاً مِنْ مبادئ نبوَّتِهِ ﷺ قبلَ البِعْثَةِ مِنَ المُبشِّرات ، الَّتي يَتذكَّرُ بها مَنْ يَخشىٰ ، ويَتجنَّبُها الأَشقىٰ .

وسنذكُرُ أَيضاً في الباب السّادس بعدَ هٰذا مِنْ مُعجزاته ﷺ ، البالغةِ مبلغَ التَّواتر ما يَستيقِنُ به الَّذينَ أُوتوا الكِتابَ ، ويَزدادَ الَّذين آمنوا إيماناً .

ولٰكنَّ التَّذكيرَ والتَّبشيرَ إِنَّما هوَ لِمنْ تقرَّرَ في قلبه التَّصديقُ والإِيمانُ برسالته ﷺ .

وأَمّا المُنكِرُ الجاحدُ لها : فلا يَدْحَضُ حُجَّتَهُ ولا يُبطِلُ شبهتَهُ إِلاّ البراهينُ العقليَّةُ القاطعةُ لحجَّته ، المُبطِلةُ لشُبهته .

فنقولُ وبالله التَّوفيق ، علىٰ سبيل التَّمهيد والتَّحقيق ، في إِدراك النُّبوَّة بطريق الذَّوق ، ثمَّ بيانِ أَصلِها ، ثمَّ إِمكانِها ، ثمَّ وجودِها ، ثمّ صحّتِها .

أَمّا طريق الذَّوق : فاْعلم أَنَّهُ لا يُدرِكُ بالذَّوق شيئاً مِنَ المعرفة

بحقيقة النُّبوَّة مَنْ لَم يَذُق شيئاً مِنْ سلوك طريق أَهل الله تعالىٰ ، وأَولياء الله تعالىٰ ، برياضة الأَنفُس وتزكيَتِها ، وتصفية القلوب ، وتهذيب الأَخلاق .

لأَنَّ كراماتِ الأَولياء علىٰ التَّحقيق بداياتُ الأَنبياء ، وقد كانَ ذٰلكَ أَوَّلَ حال نبيّنا ﷺ ، حيثُ كانَ يَتعبَّدُ في (حِراء) ، وكانَ يُؤثرُ العُزلة للخلوة بربِّه ، والتَّجرُّد والتَّبتُّل ؛ وهوَ الانقطاع عن الخلائق إِلىٰ الخالق ، وهوَ الذَّهابُ إِلىٰ الله تعالىٰ ، الَّذي أَشارَ إِليه الخليلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بقوله : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [سورة الصّافّات ٣٧/ ٩٩] .

فمَنْ مارسَ تلكَ الطَّريقَ ، اتَّضحَ لَهُ طرفٌ مِنْ حقيقة النُّبوَّة ، ما هيَ وخاصّيَّتُها بالكَشف والعيان ، ومَنْ لم يَبلغ هٰذه الرُّتبةَ فلا بدَّ لَهُ مِنَ التَّنبيه علىٰ أَصلِها وإمكانِها ، ثمَّ وجودِها عُموماً ، ثمَّ لشخصٍ معيَّنٍ ، بإِقامَةِ البُرهانِ ، لشدَّة مَسيسِ الحاجة إِليها .

وأَمّا دليلُ أَصلها : فكلُّ عاقلٍ قاطِعٌ بأَنَّ الإِنسانَ أَوَّلُ ما يُدرِكُ مِنْ مراتِب العِلم في صِغره / وطفوليَّته العلمَ بالحواسِّ الخَمس ، الَّتي هيَ : السَّمعُ ، والبصرُ ، والشَّمُّ ، والذَّوقُ ، واللَّمسُ . [ق٤٦]

فيُدرِكُ بكلِّ واحدةٍ مِنْ هٰذه عالَماً لا يُدرِكُهُ بالأُخرىٰ ، ومَنْ تعطَّلت عليه حاسَّةٌ منها ـ كالبصر مثلاً ـ لَم يُدرك ما حقيقةُ الأَلوان ، إلاّ بسماعها بالتَّواتر ، فإِنكارُهُ لها مكابرةُ جاهلٍ بما لَم يَعلم ، وتكذيبٌ بما لَم يُحِطْ بعلمه ، وقد أَحاطَ به غيرُهُ ، فيحتجُّ عليه المُبصرُ بأَنَّ عندكَ حاسَّة الشَّمِّ وزيدٌ أَخشمُ[1] لا يُفرِّقُ بين رائِحة المِسْك والجيفة ، فماذا نقولُ لَهُ لو زَعَمَ التَّسويةَ بينَ المِسْك والجيفة؟

---

(١) **الأَخشمُ** : مَنْ أَصابه داءٌ في أَنفه فأَفسدَهُ ، فصار لا يَشمُّ .

فإن زعمتَ أَنَّهُ مُكَذِّبٌ بما لَم يُحِط بعلمه مِنَ المشمومات ، فهوَ أَيضاً يَزعُمُ أَنَّكَ مُكَذِّبٌ بما لَم تُحط به مِنَ الأَلوان المُبصَرات ، ولا يَسعُكَ إلاّ أَنْ تُؤْمن لَهُ بوجود الأَلوان وتنوُّعِها ، ويُؤْمِنَ لك بوجود المشمومات وتنوُّعِها . وهٰكذا في المطعومات والملموسات والمسموعات .

وهٰذا الإِدراكُ حاصِلٌ للطِّفل ، لا يُدرِكُ غيرَهُ مِنَ العوالِم إلىٰ سنِّ التَّمييز ، فإِذا بلغَ سنَّ التَّمييز خَلَقَ اللهُ فيه أُموراً عقليَّةً زائدةً علىٰ تلكَ الحسّيَّة ؛ كالتَّمييز بينَ الجائزات والمُستحيلات والواجبات .

فإِذا قُلتَ مثلاً للطفل : رُشَّ هٰذا الحَجرَ ليَصيرَ ليّناً كالطين ، اِعتقدَ جوازَ ذٰلكَ دونَ المُمَيّزِ ، ولو قُلتَ للمُمَيّز الَّذي سقطَ مِنْ يده القدَحُ الَّذي فيه الشَّرابُ : هٰذا القدحُ ٱنكسرَ والشَّرابُ لَم يَتبدَّد ، لَعَلِمَ أَنَّكَ تهزَأُ به ، إِذْ مِنْ لَوازم ٱنكسارِ القدحِ تبدُّدُ الشَّرابِ الَّذي هو فيه . وهٰكذا لو قُلتَ لَهُ غيرَ ذٰلكَ . وهوَ في هٰذا العالَم إلىٰ بلوغ سنِّ التَّكليف الَّذي يَتحمَّلُ به الأَمانَةَ الشَّرعيَّةَ فيكمُلُ تمييزُهُ ، فيَخلُقُ اللهُ فيه طَوراً آخَرَ مِنَ العقل ، بحيثُ يُوثَقُ بأَقواله وأَفعاله ، وتطمئِنُّ النَّفسُ لمعظم أَحواله ، ولا يزالُ يَزدادُ بالتَّجربة عقلاً . فكلُّ عاقلٍ يَقطعُ بأَنَّ سنَّ التَّمييز طَورٌ وراءَ سنِّ الطُّفوليَّة ، وسنُّ العقل طَوْرٌ وراءَ سنِّ التَّمييز .

وإِذا قطعَ العاقلُ / بذٰلكَ قُلنا لَهُ : ليسَ في العقل أَيضاً ما يُحيلُ [ق٤٧] أَنَّ فوقَ طَوْرِهِ طوراً آخَرَ ، وفوقَ ذٰلك الطّور طوراً آخرَ ، وهَلُمَّ جَرّاً .

فكما أَنَّ قُدرةَ الله صالِحَةٌ لأَنْ يَخْلُقَ في المُمَيِّز ما لَم يُدرِكْهُ الطِّفلُ مِنَ العِلم ، وفي العاقل ما لَم يُدرِكْهُ المُمَيِّزُ ؛ فهوَ سبحانَهُ قادرٌ علىٰ أَنْ يَخلُقَ في بعضِ العُقلاء طَوْراً لا يُدرِكُهُ العُقلاء ؛ مِنَ الاطلاع علىٰ الغيب ، وفتح عينٍ في القلب تسمىٰ : البصيرةَ الباطنةَ ، بمثابة البصر لعين الرأس الظّاهرة ، والعقلُ عن هٰذا الطَّوْر معزولٌ ، كعزل قوّة الحواسّ عن التَّمييز ، وعزلِ التَّمييز عن المَعقولات ،

فإنكارُ بعضِ العُقلاء لطَوْر النُّبوَّة ، كإنكارِ المُمَيّز لطَوْر العَقل، وإنكارِ الأَعمىٰ للمُبصرات، والأَخشم للمشمومات، وذٰلك عينُ الجَهل ، إذ لا مُستندَ لَهُ إلاّ أَنَّ هٰذا طَوْرٌ لَم يَبلغْهُ عقلهُ إدراكاً .

فنقولُ لَهُ : إنْ لَم يُدرِكْهُ عقلُكَ بمباشرةٍ فلا تُحِلْ جوازه ، كما لا يُحيل الأَعمىٰ وجودَ المُبصَرات ، ويَجبُ عليه أَنْ يَقولَ : إنَّ الحاسَّةَ الَّتي تُدرَكُ بها المُبصَراتُ وُجِدت في غيري فأَدرَكها ، ولم توجد فيَّ فلم أُدْرِكْها .

فحينئذٍ الشَّكُّ في النُّبوَّة إمّا أَنْ يكونَ في إِمكانها ، أَو في وجودها في العالَم ، أَو في وقوعها مُطلقاً ، أَو في إثباتها لشخصٍ معينٍ .

أَمّا دليلُ إمكانها : فظاهرٌ مِمّا تقرَّرَ مِنْ أَنَّ العقلَ لا يُحيل مِنْ أَن يَترقّىٰ الإنسانُ الكاملُ إلىٰ طَوْرٍ فوقَ طَوْرِ العقلِ ، يَفتحُ اللهُ لقلبه عيناً يُدرِكُ بنورها ما لَم يُدركهُ العَقلُ ، كما ترقّىٰ المُمَيّزُ إلىٰ طَوْرِ العَقلِ ، والطِّفلُ إلىٰ طَوْرِ التَّمييز ، وكما أَنَّ اللهَ سبحانَهُ قادرٌ علىٰ أَنْ يَخلُقَ في قلوب عبادِه المَعرِفَةَ به ، وبأَسمائِهِ الحُسنىٰ ، وصفاتِهِ العُلىٰ ، وجميعَ تكليفاته الشَّرعيّة ، ابتداءً بغير واسطةٍ ، كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [سورة البقرة ٢/٣١] وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/ ٦٥] . وآدمُ نبيٌّ ، والعبدُ وليٌّ ، وكلاهُما ٱشتركا في تعليم العِلم اللَّدُنّيّ بغير واسطةٍ .

[ق٤٨] وطَوْرُ النُّبوَّة / أَيضاً فوقَ طَوْرِ الولايَةِ ، يَعلمُهُ الوليُّ ويُؤْمِنُ به ، كما يَعلَمُ أَنَّ طَوْرَ الولايَةِ فوقَ طَوْرِ العقلِ ذوقاً ومُباشرةً ، وكذٰلكَ العقلُ لا يَمنعُ أَنْ يُوصِلَ اللهُ إلىٰ مَنِ ٱرتضاهُ مِنْ رُسُلِهِ العِلمَ بما سبقَ

مِنَ المعرفة به وبأَحكامه ، بواسطةٍ بينَهُم وبينَهُ ، يُبلِّغُهُم عنه سبحانَهُ وتعالىٰ ، سواءٌ كانَ ذٰلكَ الواسطةُ مِنْ جِنسهِم ـ كالأَنبياء في حقِّ سائِرِ البَشر ـ أَم مِنْ غير جِنسهِم ـ كالملائكة في حقِّ الرُّسل ـ وإذا جَوَّزَ العقلُ ذٰلك ، وجاءَت الرُّسلُ بما تُثَبِّتُ بأَمثاله الرِّسالة ، مِنَ المُعجزات الدّالَّة علىٰ صِدقِهِم ، وجبَ تصديقُهُم ، والإيمانُ بهم ، وبجميع ما أَتوا به .

[وأَمّا دليلُ وجودِها] : فإذا وقعَ الشَّكُّ في شخصٍ معينٍ ، هل هوَ نبيٌّ أَم لا ؟ فسبيلُ تحصيل اليقين بما يَدَّعيه مِنَ النُّبوَّة ، بأَمرين :

أَحدُهُما : مشاهدةُ ما أَقامَهُ مِنَ المُعجزات الخارقة للعادات ، كما سنذكُرهُ ، وهٰذا خاصٌّ بمَنْ عاصرَهُ .

وثانيهما : معرفة خاصّيَّة النُّبوَّة أَوّلاً ، من إدراك الأَنبياء ما لا يُدركُهُ العُقلاء ، ثمَّ التَّسامُعُ بالتَّواتر .

كما أَنَّ مَنْ أَرادَ أَن يعرفَ مَثلاً أَنَّ الإمامَ أَبا حنيفة ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ فقيهٌ أَم لا ؟ فسبيلُهُ أَن يَعرفَ أَوّلاً حقيقةَ الفِقه ما هوَ ؛ وهوَ ٱستنباطُ الأَحكام الفَرعيَّة مِنَ الأَدلَّة الأَصليَّة ، ثمَّ يَنظرَ ثانياً فيما نُقِلَ عنه ، ممّا ٱستنبطَهُ مِنَ الفِقه ، مِنْ كتاب الله تعالىٰ ، وحديث رسول الله ﷺ ، فإنَّهُ يَحصُلُ لَهُ العِلم الضَّروريُّ بأَنَّهُ في أَعلىٰ مراتب الفِقه .

وكذٰلك مَنْ عَلِمَ خاصّيَّة النُّبوَّة ، ثمَّ نظرَ إلىٰ ما قرَّرَهُ نبيُّنا ﷺ مِنَ الشَّرع ، حصلَ لَهُ لا مَحالةَ العِلمُ القطعيُّ ، والإيمانُ القويُّ بكونه ﷺ في أَعلىٰ درجات النُّبوَّة .

هٰذا كلُّهُ لِمَنْ أَرادَ مِنَ المؤمنينَ تقويَةَ اليقين .

وأَمّا الجاحد المُلحِدُ : فيُقرَّرُ عليه أَوَّلاً مِنْ دليل العقل عدمُ ٱستحالة وقوع النُّبوَّة ـ كما سبق ـ ثمَّ يُقرَّرُ حقيقةُ المعجزة / الَّتي بها [ق٤٩] تَثْبُتُ النُّبوَّة لِمُدَّعيها . فنقولُ : المعجزةُ عبارةٌ عن إيجادِ الله تعالىٰ أَمراً

خارقاً للعادة علىٰ يدي مُدَّعي الرِّسالة ، للدَّلالة علىٰ تصديق الله لَهُ .

فكلُّ ما أَظهرَهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ علىٰ أَيدي الأَنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ مِمّا يَعجَزُ البَشر عن الإتيان بمثله ؛ فهوَ مِنْ مُعجزاتِهِمُ الدّالَّةِ علىٰ نبوَّتِهِم ، لأَنَّهُ لَمّا كانَ لا يَقدِرُ أَنْ يوجِدَ ذٰلكَ الفِعلَ إلاّ الله تعالىٰ ، كانَ إِيجادُهُ علىٰ أَيديهم قائماً بلسان الحال ، مقامَ التّصديق بلسان المَقال : صدقَ عبدي في ما ٱدّعاهُ[1] .

كما لو قالَ شخصٌ عاقلٌ بحضرة المَلِكِ : معاشرَ المُسلمينَ !! إنَّ السُّلطانَ قد نصبَ فلاناً عليكُم حاكِماً ، فٱسمعوا لَهُ ، وأَطيعوا ، ولم يُنكِر عليه المَلِكُ ، عَلِمَ الحاضرونَ بتقرير المَلِكِ صِدْقَ ذٰلكَ القائل .

فالمعجزةُ مع التّحدّي قائمةٌ مقامَ قولِ الله تعالىٰ : صدقَ عبدي فٱتّبعوهُ ، وذٰلكَ عندَ عجزِهِم عن مُعارضَته تلك المُعجزة ، وٱعترافُ أَعلمَ أَهلَ ذٰلكَ العصرِ أَنَّ مثلَ هٰذا غيرُ داخلٍ في طوق البَشر .

ولهٰذا فإِنَّهُ لَمّا كانَ زمنُ موسىٰ عليه السَّلامُ غايةُ عِلْمِ أَهلِهِ التَّفَنُّنُ في السِّحر ، بعثَهُ الله إِليهم بمُعجزةٍ تُشبهُ ما يَدَّعونَ كمالَ المَعرفة فيه ، ثمَّ جاءَهُم بما خرقَ به عادتَهُم ، وأَبطلَ سِحرَهُم .

ولَمّا كانَ زمنُ عيسىٰ عليه السَّلامُ غايةُ عِلْمِ أَهلِهِ التَّفَنُّنُ في الطِّب ، جاءَهُم بما لا يَقدِرونَ عليه ، من إِحياء الموتىٰ ، وإِبراء الأَكْمَهِ والأَبرص ، دونَ معالجَتِهِ .

وهٰكذا سائرُ معجزات الأَنبياء عليهمُ السَّلامُ ، إِنَّما تكونُ بأَمرٍ شائعٍ بينَ أَهلِ ذٰلكَ العصرِ . العلمُ به والتَّفَنُّنُ في المعرفة به ، علىٰ أَقصىٰ درجات الكمال عندَهُم ، لِتقوىٰ عليهمُ الحُجَّةُ ، ويَعترِفونَ

---

(١) أَي : إيجاد الله تعالىٰ المعجزةَ على أَيدي الأَنبياء صلوات الله عليهم أَجمعين قائمةٌ مقامَ قول الله تعالىٰ في الحديث القدسيّ : (صدقَ عبدي فيما ٱدَّعاهُ) .

بعجزِهِم وعجزِ مَنْ سِواهُم عن مُقاوِمَتِهِ .

[وأمّا صحّتها] : ولَمّا بعثَ اللهُ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ كانَ مُنتهىٰ عِلم أَهل عصرِهِ ، وغايةَ المعرفة والكمال عندَهُم أَمران :

أَحدهُما : فصاحةُ المَنطق ، وبلاغةُ الكلام ، والتَّفَنُّنُ فيه نثراً ونظماً ، في خُطبهم / وأَشعارِهم . [ق٥٠]

وثانيهما : علمُ الكهانة والزَّجْرِ[1] ، والإخبار عن الحوادث .

فجعلَ الله معجزتَهُ العُظمىٰ ما أَنزلَ عليه مِنَ الكتاب الحكيم ، علىٰ هٰذا الأُسلوب الغريب ، الَّذي لَم يَهتدوا إلىٰ طريقه ، ولا سلكوا سبيله ، وتحدّاهُم أَنْ يأتوا بمثلِهِ ، ثمَّ بعشرِ سورٍ منهُ ، ثمَّ بسورةٍ ، فعجَزوا ، وجعلَهُ مُشتمِلاً علىٰ الإخبار بالمغيَّبات ، وكشف المخبّآت الَّتي ٱعترفَ بصِحَّتها وأَذعنَ لصدقِها أَعدىٰ الأَعداء لَهُ ، وأَبطلَ بذٰلك ماكانوا عليه مِنَ الكهانة ، الَّتي تصدُقُ مرَّةً وتكذِبُ أَلفاً .

فلمّا ٱدّعىٰ ﷺ النُّبوَّة والرِّسالة إلىٰ النّاس كافَّةً ، وأَظهرَ المُعجزات ، وعظيمَ الآيات ، الَّتي لَم تُعارَضْ في جميع الأَوقات ؛ دلَّ ذٰلكَ قطعاً علىٰ صِدْقِ ما ٱدّعاهُ .

أَمّا دعواهُ النُّبوَّةَ والرِّسالة : فمعلومٌ بالتَّواتر بينَ البَرِّ والفاجر ، لا يَختلفُ فيه مؤمنٌ وكافرٌ .

وأَمّا إقامتُهُ علىٰ ذٰلك الدّلائل الظّاهرة ، والمُعجزات الباهرة ؛ فلِما نقلَهُ الخَلفُ عن السَّلف ، مِنَ الأُمور الخارقة ـ كانشقاق القمر ، وتسليم الحَجر ، وإجابة الشَّجر ، وحنين الجِذْع ، وتسبيح الحصىٰ ، وتفجير الماء مِنْ بين أَصابعه ، وتكثير الطَّعام القليل ببركته ـ وغيرِ ذٰلكَ

---

(١) الزَّجْرُ : النَّهيُ . وإنَّما سمّيَ الكاهن زاجِراً لأَنَّهُ إذا رأىٰ ما يظنُّ أَنَّه يتشاءم به زَجَرَ بالنَّهي عن المُضيّ في تلك الحاجة .

مِمّا ستأتي الإشارة إلىٰ بعضه تصريحاً وتلويحاً ، إلىٰ غير ذٰلكَ مِنْ عظيم الآيات المعلومة بالقطع بينَ عُلماء السِّيَر ، ونَقَلَةِ الأَخبار ، ورواها العددُ الكثيرُ في جميع الأَعصار ، مِنَ الصَّحابة والتّابعين ، فمَن بعدَهُم ، ولم تزدد علىٰ مرِّ الأَيّام إلاّ ظُهوراً . ومجموعُ معناها بالغٌ مبلغ التَّواتر بينَ البَرِّ والفاجر ، كما يُعلَمُ جودُ حاتمٍ ، وشجاعةُ عليٍّ بالضَّرورة . وإِنْ لم تبلُغ كلُّ واقعةٍ منها بعينها مبلغَ التَّواتر ، بل وأَكثرها كانَ في المَجامع الحَفْلَة ، والعساكر الجمّة مِنَ الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم ، ثمَّ رواها عنهُم الكافَّةُ ، ولم يُرْوَ عن أَحدٍ منهُم مخالفةٌ للرّاوي فيما رواهُ ، والإنكار لِما نسبه إليهم مِنَ المُشاهدة لها وحكاهُ .

[ق٥١] فسكوتُ السّاكتِ منهُم / كنُطْقِ النّاطق ، وكثيراً ما يَحصُلُ العِلمُ الضَّروريُّ بشيءٍ لإنسانٍ دونَ آخَرَ ، كمن يعلمُ جملةً مِنْ أَخبار الملوك الماضية ، والبلدان النّائية ، وآخَرُ لا يَعرِفُ وجودها ، فضلاً عن تحقُّق أَخبارها .

ثمَّ إنَّ مِنْ أَعظَمِ مُعجزاته ﷺ الباهرة ، وآيات نبوَّته الظّاهرة ، ودلائل صِدْقِهِ : معجزةَ القرآن العظيم ، المستمرَّةَ علىٰ مرِّ الدُّهور والأَزمان ، المُشاهَدَةَ لجميع الإِنس والجانِّ ، وقد ٱنطوىٰ علىٰ وجوهٍ مِنَ الإِعجاز ـ ستأتي الإِشارة إليها في الباب السّادس ـ لا يحصُرُها عدٌّ ، ولا يُحيط بها حدٌّ .

فلمّا أَظهرَ ﷺ هٰذا الكلامَ البليغَ ، الَّذي أَعجزَ به البُلغاءَ ، واللُّدَّ[١] الفُصحاءَ ، معَ ما ٱشتملَ عليه مِنْ نبأ القرون السّالفة ، والشَّرائع الدّاثِرة ، ممّا كانَ لا يوجد في القصَّة الواحدة ، إلاّ عندَ الفَذِّ مِنَ الأَحبار والرُّهبان ، ولا يَنالُها بالتَّعلُّم إلاّ مَنْ قطعَ

---

(١) **اللُّدّ** : المُجادلين .

العُمُرَ ، وأَفنىٰ في طلبها الأَزمان .

[قالَ تعالىٰ] : ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٤٤] .

[وقالَ تعالىٰ] : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ * وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة النمل ٢٧/ ٧٦ـ٧٧] .

هٰذا معَ ما ٱنطوىٰ عليه مِنَ المغيَّبات ، والإخبار بما كانَ وما هوَ آتٍ ، ومعَ ما ٱحتوىٰ عليه مِنْ بليغ المَواعِظ والحِكَم ، وكريم الأَخلاق والشِّيَم ، والتَّرغيب والتَّرهيب ، والوعد والوعيد ، وإثبات النُّبوّات والتَّوحيد ، وتحدّاهُم بأَنْ يأتوا بسورةٍ مِنْ مثلِهِ ، فعجَزوا بعدَ أَنْ أخبرَهُم أَنَّهُم لن يفعلوا ، ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/ ٨٨] .

فلمّا عَجَزوا كُلُّهُم عن مُعارضَتِه ، معَ كمال بلاغَتِهم ، وشدَّة حِرصِهم ، وتوفُّر دواعيهم ، وتهالكهم علىٰ إفحامه ، وأَلقوا بأَيديهم مُذعنينَ ، وأَحجموا عن معارضَته صاغرينَ ، دلَّ ذٰلكَ علىٰ / صِدْقِهِ قطعاً فيما ٱدّعاهُ ، وأَنَّ كتابَهُ منزَّلٌ مِنْ عندِ الله ، هٰذا معَ ما قد [ق٥٢] تواتَر عنهُ قبلَ دعوىٰ النُّبوَّة وبعدها ، مِنْ مُلازمَةِ الصِّدق والأَمانة ، والعِفَّة والصِّيانة ، والأَحوال الكريمة ، والأَخلاق العظيمة ، والسِّيرَة الحَسَنة ، والإِعراضِ عن زَهرَةِ الدُّنيا ، والمُداومَةِ علىٰ الجَدِّ والتَّشمير للأُخرىٰ ، إلىٰ أَنْ توفّاهُ اللهُ .

إذاً العقلُ يَقطعُ بٱمتناع ٱجتماع هٰذه الأُمورِ ، إلاّ في الأَنبياء المؤيَّدينَ بتأييد الله تعالىٰ وأَمرِهِ ، ويَستحيلُ أَنْ يَجمعَ اللهُ هٰذه الكمالات فيمَنْ يَفتري علىٰ الله الكذبَ والبُهتانَ ، ثمَّ يُظهِرُ دينَهُ ،

كما أَخبرَ به علىٰ سائر الأَديان .

وهل للنُّبوَّة والرِّسالة معنىً غيرُ هٰذا في الاستدلال ؟ وماذا بعدَ الحقِّ إلاّ الضَّلال ؟

ثمَّ إِذا ثبتَتْ نبوَّته ﷺ ـ وقد دلَّ كلامُ ربِّه المنزَّل علىٰ أَنَّهُ خاتم النَّبيين ، وأَنَّهُ مبعوثٌ إِلىٰ النّاس أَجمعين ـ ثبتَ بذٰلكَ عمومُ رسالته ، ونسخُ شريعته لسائر الشَّرائع ، لوجوب طاعته واْتِّباعه علىٰ الكُلِّ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٨٥] .

وفي « صحيحيْ البُخاريِّ ومُسلمٍ » : « مَثَلي وَمَثَلُ الأَنبياءِ ، كَرَجُلٍ بَنىٰ داراً ، فَأَكْمَلَها وَأَحْسَنَها إِلاّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فيها ، فَجَعَلَ النّاسُ يَدْخُلونَها وَيَتَعَجَّبونَ وَيَقولونَ : لَوْلا مَوْضِعُ هٰذهِ اللَّبِنَةِ ، فَأَنا اللَّبِنَةُ ، وأَنا خاتَمُ النَّبيّينَ »(١) .

فإِنِ اْدّعىٰ مدَّعٍ خصوصَ رسالَتِه إِلىٰ العَرب فقط ، فقد اْعترفَ بنبوَّتِهِ ، والكذبُ مُمتنعٌ علىٰ الأَنبياء اْتِّفاقاً .

وقد حصلَ العِلمُ القطعيُّ أَنَّهُ ﷺ جاءَ بكتابٍ مِنْ عندِ الله ، ناطقٍ بعموم رسالته إِلىٰ النّاس أَجمعين ، كقوله تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [سورة الأَعراف ٧/ ١٥٨] . وبأَنَّهُ اْدّعىٰ عمومَ الرِّسالة إِلىٰ الأَحمر والأَسود ، والبعيد والقريب : ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [سورة الأَنعام ٦/ ١٩] ـ أَي : من بلغَهُ القرآنُ ـ .

[ق٥٣] / وتواترَ النَّقلُ عنهُ أَنَّهُ ﷺ دَعَا اليَهودَ والنَّصارىٰ وغيرَهُمْ إِلىٰ الإِيمان ، وأَرسلَ كُتُبَهُ إِلىٰ ملوكِ الفُرْسِ والرّوم وغيرِهِم ، وأَلزمَهُم

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٤١ـ٣٣٤٢) . ومُسلم برقم (٢٢٨٧) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وجوبَ طاعتِهِ ، وٱتِّباعِهِ على وَفْقِ ما يَجدونَهُ في كُتبِهِم : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِى ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [سورة الأعراف ١٥٧/٧] ﴿ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ ﴾ [سورة البقرة ١٤٦/٢] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٨٩/٢] .

فكيفَ يَعترفُ هٰذا بنبوَّتِهِ ثمَّ يُناقضُ وجوبَ عصمَتِهِ بتكذيبه ؟ [قالَ تعالىٰ] : ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [سورة النِّساء ١٥٠/٤ـ١٥١] .

فهٰذا القَدْرُ كافٍ في تحقيق نبوَّتِهِ ، وعُمومِ رسالَتِهِ ﷺ ، ونسخِ دينهِ لكُلِّ دينٍ .

تفضيلُ النَّبيِّ ﷺ على الأنبياء والمُرسلين

وأمّا تفضيلُهُ ﷺ على جميع النَّبيّينَ والمُرسلينَ ؛ فَلِما صحَّ مِنْ قولِهِ ﷺ : « أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ وَلا فَخْرٌ »[1] .

فتحدَّثَ بنعمَةِ ربِّهِ ٱمتثالاً لأَمرِهِ ، نافياً للفخر والخُيلاء ، وبلَّغَ ذٰلكَ إلىٰ أُمَّتهِ ليَعرِفوهُ ويَعتقِدوهُ ، ولقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عِمران ١١٠/٣] .

ولا شكَّ أَنَّ خيريَّةَ الأُمَّةِ بحَسَبِ كمالِها ، وذٰلكَ تابعٌ لكمال نبيِّها ، لأَنَّ كمالَ التّابعِ مِنْ كمالِ المَتبوعِ . هٰذا إلىٰ ما وردَ في الأَخبار الصَّحيحة مِنِ ٱختصاصِهِ ﷺ بالشَّفاعَةِ العُظمىٰ في أَهل المَوقِف يومَ الدِّين ، وهوَ المَقامُ المحمودُ الَّذي يَحمَدُهُ فيه الأَوَّلونَ والآخِرونَ ، بعدَ رجوعِ الخلائِق إليه في الشَّفاعَةِ العُظمىٰ ، وٱعترافهم لهُ بالمزيَّةِ .

وفي « الصَّحيحين » : «أُعْطيتُ خَمْساً ، لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ ٱلأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً ،

---

(١) أخرجه ٱبن ماجة ، برقم (٤٣٠٨) . عن أَبي سعيد الخُدري رضيَ اللهُ عنهُ

وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلي ، وَأُعْطيتُ الشَّفاعَةَ ، وَبُعِثْتُ إِلىٰ النّاسِ عامَّةً ، وَكانَ النَّبيُّ يُبْعَثُ إِلىٰ قَوْمِهِ خاصَّةً »[1] .

[ق٥٤] وقالَ بعضُ العارفينَ / بالله : لمّا أخرجَ اللهُ : ﴿ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [سورة الأعراف ٧/١٧٢] تفاوَتوا في الإجابَةِ ، فأَوَّلُهُم الرُّسلُ ، وأَوَّلُ الرُّسلِ مُحمَّدٌ صلّىٰ اللهُ عليه وسلَّم وعليهم أجمعين .

هٰذا معَ أَنَّهُ لا تفاضُلَ بينَ جميع الأَنبياء في درجة النُّبوَّة ، وإِنَّما يَكونُ التَّفاضُلُ بينَهُم بأُمورٍ أُخَرَ زائدةٍ علىٰ ذٰلكَ ؛ كأَنْ تكونَ مُعجزاتُ أَحدِهِم أَشهرَ وأَظهرَ ، أَو تكونَ أُمَّتُهُ أَكثرَ وأَظهرَ ، أَو غيرَ ذٰلكَ مِمّا يَخصُّهُمُ اللهُ به مِنَ الكرامة .

فمنهُم : أُولوا العَزْمِ[2] ، ومنهُم : أُولوا الأَيدي والأَبصار[3] ، ومنهُم : المُصطفَونَ الأَخيار[4] ، ومنهُم : مَنْ رفعَهُ اللهُ مكاناً عليّاً[5] ، ومنهُم : مَنْ آتاهُ اللهُ الحُكْمَ صبياً[6] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٢٨) . ومُسلم برقم (٥٢١/٣) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) **أُولوا العزم** : ذوو الحزم والصَّبر . وفيهم عشرة أَقوالٍ ؛ أَحدُها : أَنَّهم (نوحٌ ، وإِبراهيمُ ، وموسىٰ ، وعيسىٰ ومحمَّدٌ ﷺ) . [زاد المسير ، ج٧/ ٣٩٢ (أَنصاريّ)] وهذا القول هو المعتمد المشهور عند المحققين .

(٣) **أُولي الأَيدي** : القوَّة في الطّاعة . **والأَبصار** : البصائر في الدين والعلم . قال ابن جرير : وذِكْرُ الأَيدي مثلٌ ، وذٰلكَ لأَنَّ باليد البطشَ ، وبالبطش تُعرَفُ قوَّة القويّ ، فلذٰلك قيل للقويّ : ذُوْ يَدٍ . وعنىٰ بالبصر : بصرُ القلب ، وبه تُنالُ معرفةُ الأَشياء . [زادالمسير ، ج٧/ ١٤٦ (أَنصاريّ)] .

(٤) وهم : إِبراهيمُ ، وإِسحاقُ ، ويعقوبُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ . (أَنصاريّ) .

(٥) وهو : إِدريس عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .

(٦) وهو : يحيىٰ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .

[قالَ اللهُ تعالىٰ] : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٣] .

[وقالَ تعالىٰ] : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/١٦٤] .

ثمَّ إِنَّهُ ليسَ يَخفىٰ علىٰ مَنْ لَهُ أَدنىٰ مُمارسةٍ بالعِلم أَنَّ مُعجزات نبيّنا مُحمَّدٍ ﷺ أَشهرُ وأَكثرُ مِنْ مُعجزات سائِر المُرسلينَ عليهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ أَجمعين ـ كما سيأتي ذِكْرُ بعضِها ـ وإِنَّها أَبلغُ وأَتمُّ في باب الإِعجاز .

إِذْ مِنَ المعلوم أَنَّ ٱنفجارَ الأَصابع بالماء الغزير أَبلغُ في باب الإِعجاز مِنِ ٱنفجاره مِنَ الحَجر ، لأَنَّهُ شيءٌ ما شُوهِدَ مثلُهُ قطُّ ولا عُهِدَ ، بخلاف ٱنفجار الحَجر بالماء ، فإِنَّهُ بالجملة معهودٌ ، وإِنْ كانَ علىٰ غير الوجه الَّذي شوهِدَ في عهد موسىٰ عليه السَّلامُ .

وكذٰلكَ إِشباعُ الجَيش الكثير مِنْ أَقراصٍ مِنْ شعيرٍ ، أَتمُّ في باب الإِعجاز مِنْ إِنزالِ المنِّ والسّلوىٰ ، والمائدة علىٰ عيسىٰ [عليه السَّلامُ] مِنَ السَّماء .

وكذٰلك ردُّ العين السّائِلَة وإِعادَتُها في الحال إِلىٰ صِحَّتِها حتّىٰ كانتْ أَحسنَ مِنَ الأُخرىٰ الصَّحيحة ، أَعجبُ مِنْ إِبراء الأَكْمَهِ والأَبرص .

وكذٰلك نُطْقُ مالَمْ يُعهَد نُطقُهُ أَصلاً ـ كالجِذع ، والحَجر ، والشَّجر ، والضَّبِّ ، والذِّئب ، والذِّراع ـ أَغربُ مِنْ إِحياء الموتىٰ ، فإِنَّ الميّتَ قد كانَ يَنطِقُ / ، فقد عُهِدَ منهُ الحياةُ والنُّطقُ في الجملة ، ولم يُعهَد في حالٍ مِنَ الأَحوال نُطقُ شيءٍ مِنْ تلكَ الأَجناسِ . [ق٥٥]

علىٰ أَنَّ جميعَ مُعجزات المُرسلينَ عليهم السَّلامُ تصلُحُ أَنْ تكونَ

معجزةً لنبيّنا ﷺ ، لأَنَّ حقيقةَ المُعجزةِ ما دلَّ علىٰ صِدْقِ الرَّسول ، وكلٌّ مِنَ المُرسلينَ قد بَشَّرَ به ، فمُعجزاتُهُمُ الدّالّةُ علىٰ صِدْقِهِم ، معجزاتٌ دالَّةٌ علىٰ صِدْقِهِ ، وبراهينُ شاهدةٌ بصحَّة نبوَّته .

ثمَّ إنَّ مُعجزات سائِرِ المُرسلينَ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ٱنقرضَتْ بٱنقراضِهِم ، وٱنعدمَتْ بمَوتِهِم .

وأَمّا نبيُّنا مُحمَّدٌ ﷺ فأَعظمُ مُعجزاته : القُرآنُ ، وهوَ مُعجزةٌ مستمِرَّةٌ علىٰ مرِّ الأَزمان ، لا تبيدُ ولا تنقطعُ ، ولا تذهبُ ولا تضمحِلُّ ، بل هيَ ثابتةٌ إِلىٰ الأَبد ، واضحةُ الحُجَّة لكلِّ قَرْنٍ ، فلا يَمرُّ عصرٌ ، ولا يظهرُ قرنٌ ، إِلاّ وهُم مُستدلّونَ علىٰ الخَصم بوجوه إِعجازه ، محتجّونَ عليه بما ٱحتجَّ مَنْ قبلَهُم علىٰ الخَصم مِنْ قبله ، قائلينَ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢٣] .

فَائِدَةٌ

في الفرقِ بينَ المُعجزة والكرامة والسِّحر

أَجمعَ أَهلُ السُّنَّة علىٰ أَنَّ كرامات الأَولياء حقٌّ .

قالَ الشَّيخُ الرَّبّانيُّ مُحيي الدّين النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في « شرح صحيح مُسلم » ، في الكلام علىٰ حديث جُريجٍ الرّاهبِ : (فيه إِثباتُ كرامات الأَولياء ، وأَنَّها تكونُ بجميع خوارق العادات ، وأَنَّ كلَّ ما جازَ أَن يَكونَ مُعجزةً للأَنبياء ، جازَ أَنْ يَكونَ كرامةً للأَولياء ، وأَنَّ كرامات الأَولياء يَجوزُ أَنْ تقعَ بٱختيارِهم وطلبِهِم وبغير ٱختيارِهم ، لأَنَّ جُريجاً توضّأ ، وصلّىٰ ، ودعا اللهَ تعالىٰ ، وقالَ للغلام : مَنْ أَبوكَ ؟ فقالَ : فلان الرّاعي)[1] . ٱنتهىٰ .

---

(١) شرح صحيح مُسلم ، للنَّوويِّ ، ج١٦/ ٨٨ ، بتصرُّف مِنَ المؤلِّف .

قُلْتُ : وجميع ما ذكرَهُ ـ رحمَهُ الله تعالىٰ ـ هوَ مذهبُ أَهلِ السُّنَّةِ ، لأَنَّ خرقَ العادة لا يَحيلُهُ العقلُ ، وقد تظاهرت أَدلَّةُ الكتاب والسُّنَّة ، والأَخبار والآثار ، الَّتي ملأَتِ الآفاقَ ، وضاقَتْ عن حصرِها الأَوراق ؛ علىٰ وقوع / كرامات الأَولياء في كلِّ عصرٍ وزمانٍ ، كقولِهِ [ق٥٦] تعالىٰ في مَريم : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/٣٧] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [سورة مَريم ١٩/٢٥] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مَريم ١٩/١٧] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ [سورة النَّمل ٢٧/٣٩] .

وكحديثِ جُريجٍ ، وأَصحابِ الغار الثَّلاثة ، وكذا حديثُ بَرَكَةِ قصعةِ الصِّدّيق [(١)] ، وحديثِ نداء الفاروق : يا ساريةُ الجبلَ ، ومشيُ العلاء بن الحَضرميّ علىٰ الماء ، وتسبيحِ قَصْعَةِ أَبي الدَّرداء وسَلمان [(٢)] ، وتسليمُ الملائكة علىٰ عِمران [بنِ حُصَين] .

---

(١) وذٰلك أَنَّ ثلاثةً من أهل الصفَّة نزلوا عنده ليتعشَّوا ، فأَمر أَبو بكر ٱبنه عبد الرَّحمٰن ، وقال له : دُونكَ أَضيافَكَ ، فإنِّي منطلِقٌ إلى رسول الله ﷺ ، فٱفرغ من قِراهُم قبل أَن أَجيءَ ، ثمَّ ذهب أَبو بكر إلى أَمره وعاد بعد ما مضىٰ من الليل ما شاءَ اللهُ . فوجدهم ينتظرونه ولم يأكلوا شيئاً ، فأَحضر القدر ، فأكلوا ، فكان كلَّما أكلوا لقمةً زاد من أَسفلها أَكثر منها ، فأكلوا وهي تزداد ، حتى شبعوا ، وإذا بالطعام في القدر قد زاد ثلاث مرَّات ، فأَرسل أبو بكر القدر إلى النبي ﷺ ، فأكل منها ، وأكل معه جمع كبير من الناس ، الله أَعلم بعددهم « رياض الصالحين » ، رقم (١٥٠١) .

(٢) وذلك أَنَّه بينما أَبو الدَّرداء يوقد تحت قدرٍ له ، وسلمان ـ رضي الله عنهما ـ عنده ، إذ سمع أَبو الدَّرداء في القدر صوتاً ، ثمَّ ٱرتفع الصوت بتسبيحٍ كهيئة صوت الصَّبيِّ ، قال : ثمَّ ندرت فٱنكفأت ، ثمَّ رجعت إلى=

ولو لم يكُنْ إلاّ قولُهُ ﷺ : « إِنَّ مِنْ عِبادِ ٱللهِ ، مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ ٱللهِ لأَبَرَّهُ»[1] ـ أَي : لأكرمَهُ ـ لكفىٰ .

وسُئِلَ الإمامُ أَحمد ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : ما بالُ الصَّحابة لَمْ يُنقل عنهُم مِنَ الكرامات مانُقِلَ عمَّن بعدَهُم؟ فقالَ : لقوَّة إِيمانِهِم .

وسُئِلَ النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: ما بالُ العُلماء لايَظهَرُ عليهم مايظهرُ علىٰ العُبّاد؟ فقالَ : لعزَّةِ الإخلاص في العِلم دونَ العبادة .

ولافرقَ بينَ الكرامة والمُعجزة إلاّ ٱقترانُ المُعجزة بدعوىٰ النُّبوَّة .

نعم ، قد تلتبسُ الكرامَةُ بالسِّحر ، فإِنَّهُ أَيضاً أَمرٌ خارقٌ للعادة ، وإِنَّما الفرقُ بينَ الكرامة والسِّحر بٱتِّباع الولي للرَّسول ، ومُخالفة السّاحِر لَهُ .

فالكرامةُ الَّتي لا يَتطرَّقُ إِليها تلبيسٌ[2] هيَ الاستقامَةُ .

قَالَ العُلَمَاءُ : ويَستحيلُ أَنْ يظهرَ الخارقُ معَ دعوىٰ النُّبوَّة علىٰ يد الكاذِب ، وكلُّ كرامةٍ لوليٍّ معجزةٌ لنبيّه ، لدلالَةِ صِدْقِ التّابع علىٰ صِدْقِ المَتبوع . واللهُ أَعلمُ .

= مكانها لم ينصبَّ منها شيء ، فجعل أَبو الدَّرداء ينادي : يا سلمان ؛ ٱنظر إلىٰ العجب !! ٱنظر إلىٰ ما لم تنظر مثله أنت ولا أَبوك !! فقال سلمان : أَما إِنَّك لو سكت لسمعت منا آيات الله الكبرىٰ

وكان أبو الدَّرداء إذا كتب إلىٰ سلمان ، أَو سلمان كتب إلى أبي الدَّرداء ؛ كتب إليه يذكِّره بآية القصعة . « حلية الأولياء » ، ج١/ ٢٢٤ .

(١) أخرجه البُخاريُّ ، رقم (٢٥٥٦) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ الله عنهُ .

(٢) **تلبيسٌ** : ٱختلاطٌ أَو شبهةٌ .

البابُ السّادسُ

في ذكرِ بعضِ ما اشتُهرَ مِن معجزاتِه ، وظهرَ من علاماتِ نبوّتِه في حياتِه صلّى الله عليه وسلّم

مِن ٱنشقاقِ القمر ، وردِّ الشَّمس وحبسِها لَهُ ، ونبعِ الماء مِنْ بين أَصابعه ، وتكثيرِ الطَّعام اليَسير ببركته ، وكلام الشَّجر والحَجر ، وشهادتها لَهُ بالنُّبوَّة ، وشهادة الحيوانات لَهُ بالرِّسالة ، وشفاء العِلل بريقه وكفِّه المُباركة ، وإِجابة دعائه لِمن دعا لَهُ ، وصلاح ما كانَ فاسداً بلمسه، وما أَخبرَ به مِنَ المغيَّبات، ممّا كانَ، وممّا هوَ آتٍ/ . [ق٧٣]

وأَعظمها مُعجزةً: القُرآنُ العظيمُ، والذِّكرُ الحكيم.

فهٰذه عشرةُ أَنواعٍ مِنَ المُعجزات الباهرة ، والآيات الظّاهرة ، كلُّ نوعٍ منها مُنطوٍ علىٰ ما لا يَحصُرُهُ عَدٌّ ، ولا يُحيط بِهِ حَدٌّ ، ولكنّا نُشيرُ مِنْ كلِّ نوعٍ منها إِلىٰ شيءٍ منهُ : ﴿ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [سورة المدّثّر ٣١/٧٤] . فنقولُ :

أنشقاقُ القمرِ، وردُّ الشّمسِ

أَمّا النَّوعُ الأَوَّلُ : وهوَ ٱنشقاقُ القمر ، وردُّ الشَّمس وحبسُها لَهُ ﷺ ، فقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر ١/٥٤] .

وروىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » عن عبد الله بنِ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ٱنشقَّ القمرُ علىٰ عهد رسول الله ﷺ فِرْقَتينِ : فِرْقَةٌ فَوْقَ الجَبَلِ ، وَفِرْقَةٌ دونَهُ ، فقالَ رسولُ ﷺ ـ أَي لِمَنْ معَهُ مِنَ

المُسلمينَ ـ : « اشْهَدوا »[1] . وفي روايةٍ ـ : « حتّىٰ رَأَيْتُ الجَبَلَ بَيْنَ فِرْقَتَيْ القَمَرِ »[2] .

فقالَ كفّار قُريشٍ : سَحَرَكُمْ مُحمَّدٌ ؟ فقالَ رجلٌ منهُم : إنَّ محمَّداً إنْ كانَ سَحَرَكُم ، فإنَّهُ لا يَبلُغُ مِنْ سِحرِهِ أَن يَسحَرَ أَهلَ الأَرضِ كلّها ، فٱسألوا مَنْ يأتيكُم مِنْ بلدٍ آخَرَ ، هل رأوا مثلَ هٰذا ؟ فأَتَوْا فسأَلوهُم ، فأَخبروهُم أَنَّهُم رأَوْا مِثْلَ ذٰلكَ ، فقالَ أَبو جهلٍ : هٰذا سِحْرٌ مُستمِرٌّ .

ردّ الشمس وحبسها له ﷺ

وخرَّجَ الطَّحاويُّ في « مشكل الحديث » بإسنادين صحيحين ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يوحىٰ إليه ورأسُهُ في حِجْرِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فلم يُصَلِّ عليٌّ العصرَ حتّىٰ غَرَبَتِ الشَّمسُ ، فقالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ : « أَصليتَ العصرَ يا عليّ ؟» قالَ : لا ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « اللّٰهُمَّ إنَّهُ كانَ في طاعَتِكَ ، وطاعَةِ رَسولِكَ ، فٱردُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ »[3] فطلَعَتْ بعدما غَرَبَتْ ، وأَشرقَتْ علىٰ الجِبال ، وكانَ ذٰلكَ بـ (الصَّهباء) في غزوة (خَيْبَرَ) .

ورویٰ الحافظُ يونُسُ بنُ بُكيرٍ ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا أُسريَ به ليلةَ الإثنين ، وأَخبرَ قومَهُ بالرُّفقة الَّتي وجدَهُم في طريق (الشّام) ، في العِير الآتية إليهم ، فقالوا لَهُ : متىٰ تجيءُ العيرُ ؟ فقالَ : /« يَوْمَ الأَربِعاء » فلمّا كانَ ذٰلكَ الوقتُ ٱحتبسَتِ العِيرُ ، وأَشرفَتْ قُريشٌ يَنتظرونَ ، ودنَتِ الشَّمسُ للغروب ، فحبسَ اللهُ الشَّمسَ ساعةً ، [ق٧٤]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥٨٣) .
(٢) أَخرجه أَحمد ، برقم (٤٣٤٧) . عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه الطَّحاويُّ في «مُشكل الآثار» ، ج٢/ ٩ .

حتّىٰ قَدِمَتِ العِيرُ ، بعدَ أَنْ دعا النَّبيُّ ﷺ ربَّهُ أَنْ يَحبِسها لَهُ[1] .

نبعُ الماءِ مِنْ بينِ أصابِعهِ ﷺ

وأمّا النَّوعُ الثّاني : وهوَ نبعُ الماءِ مِنْ بين أَصابعه ﷺ ، فالأَحاديثُ فيه كثيرةٌ .

ففي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وقد حانَتْ صلاةُ العَصر ، فالتمسَ النّاسُ الوَضوءَ[2] ، فلم يَجدوه ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بوَضوءٍ ـ وفي روايةٍ : بإناءٍ لا يَكادُ يَغمُرُ أَصابِعَهُ ـ فوضعَ [رسولُ الله ﷺ] يدَهُ في ذٰلكَ الإِناء ، وأَمرَ النّاسَ أَنْ يتوضَّؤوا منهُ .

قالَ: فرأيتُ الماءَ يَنبُعُ مِنْ بين أَصابعه، حتّىٰ توضَّؤوا عن آخِرِهم[3] .

وفي « الصَّحيحين » أَيضاً ، عن ٱبنِ مَسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بينما نحنُ معَ رسولِ الله ﷺ وليسَ معنا ماءٌ ، فقالَ [لنا رسول الله ﷺ] : « ٱطْلُبوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ ماءٍ » ، فأُتِيَ بقليلِ ماءٍ فصبَّهُ في إِناءٍ ، ثمَّ وضعَ كفَّهُ فيه ، فجعلَ الماءُ يَنبُعُ مِنْ بين أَصابعه ﷺ[4] .

فَائِدَةٌ

في طلَبه ﷺ فَضْل ماءٍ

قَالَ العُلَمَاءُ : وإنَّما طلبَ فَضْلَ الماء ليَكونَ مِنْ بابِ تكثير القليل، لا مِنْ بابِ الإيجاد مِنَ العَدم ، لئلاّ يَتوهَّمَ أَحدٌ أَنَّهُ المُوجِدُ للماء .

---

(١) ذكره الزَّبيديّ في «الإتحاف» ، ج٧/ ١٩٢ ، وعزاهُ لابن بُكير في «زيادة المغازي» ، عن ٱبن إِسحاق .
(٢) الوَضوءَ : (بفتح الواو) : الماءُ الَّذي يُتَوَضّأ به (أَنصاريّ) .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٨٠) .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٨٦) .

وفي « الصَّحيحين » أَيضاً ، عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : عَطِشَ النّاسُ يومَ (الحُديبية) ، ورسولُ الله ﷺ بينَ يديه رَكْوَةٌ ، فتوضّأَ منها ، وأَقبلَ النّاسُ نحوَهُ ، فقالوا : ليسَ لنا ماءٌ إلاّ ما في رَكْوَتِكَ هٰذه ، فوضعَ يدَهُ في الرَّكوة ، فجعلَ الماءُ يَفورُ مِنْ بين أَصابعه ﷺ ، كأَمثال العيون[1] .

وفي « الصَّحيحين » عن البراء بنِ عازبٍ ، وسَلَمةَ بنِ الأَكوعِ رضيَ اللهُ عنهُما ، أَنَّهُم نزَحوا بئرَ (الحُديبية) فلم يَتركوا فيها قطرةً ، وكانت قليلةَ الماء ، لا تروي خمسينَ شاةً ، فنزحَ ﷺ منها دلواً وبَصقَ فيه ، وأَعادَهُ إِليها / ، فجاشت بالماء الغزير ، حتّىٰ أَروىٰ الجيشَ أَنفُسَهُم ورِكابَهُم[2] . [ق٧٥]

وفي « الصَّحيحين » عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : أَصابَ النّاسَ عَطَشٌ شديدٌ ، وهُمْ معَ النَّبيِّ ﷺ في بعضِ أَسفارِه ، فوجَّهَ رجلين مِنْ أَصحابه ، وهُما : عِمران بنُ حُصَينٍ ، وعليّ بنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، وأَعلمَهُما أَنَّهما يَجدانِ ٱمرأةً بمكان كذا ، معها بعيرٌ عليه مَزادتان ، فوجداها ، فأَتيا بها إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، [فجعلَ في إِناءٍ مِنْ مزادتيها ، وقالَ فيه ما شاءَ اللهُ أَن يقولَ ، ثمَّ أَعادَ الماءَ في المزادتين ، ثمَّ فُتِحَتْ عَزاليهما][3] فأَمرَ النّاسَ أَنْ يَستقوا مِنْ مزادَتيها ، فملؤوا أَسقيتَهُم حتّىٰ لم يَدَعوا سِقاءً إلاّ ملؤوهُ ، قالَ عِمرانُ بنُ حُصَينٍ : ثمَّ أَوْكَيْتُهُما] ، وتخيَّل لي أَنَّهُما لم يزدادا إِلاّ ٱمتلاءً ، ثمَّ أَمرَ فجمعَ لها مِنَ الأَزواد حتّىٰ ملأَ ثوبها ،

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩٢١) . ومسلم برقم (١٨٥٦) . **الرَّكوة** : إِناءٌ من جلدٍ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩٢٠) .

(٣) **العزالىٰ** ـ مفردها عزلاء ـ وهي : مصب الماء من القِربة ونحوها . [الأنصاري] .

وقالَ : « اِذْهَبي فَإِنّا لَمْ نَأْخُذْ مِنْ مائِكِ شيئاً ـ أَي : لم نُنقِصْهُ ـ وَلٰكِنَّ ٱللهَ سَقانا »[1] .

وفي « الصَّحيحين » ، عن عُمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كُنّا معَ رسولِ الله ﷺ في جيش العُسرَةِ ، فَعطِشَ النّاسُ عَطَشاً شديداً ، حتّىٰ إِنَّ الرَّجلَ منّا لينحَرُ بعيرَهُ ، فيعصِرُ فَرْثَهُ فيشربُهُ ، فرغِبَ أَبو بكرٍ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ في الدُّعاء ، فرفعَ يديه ، فلم يُرجِعْهُما حتّىٰ قالَتِ السَّماءُ ، فٱنسكبت ، فملؤوا ما معهم مِنَ الأَسقية ، ولم يُجاوز المطر العسكر[2] .

وفي « صحيح مُسلم » عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كُنّا مع النَّبيِّ ﷺ في غزوةٍ ، فقالَ : « يا جابرُ نادِ الوَضوءَ » ، فلم يَجدوا ماءً إِلاّ قطرةً في فم مَزادَةٍ ، فقالَ : « ٱئتِنِيْ بِجَفْنَةِ الرّاكِبِ » ، فأَتيتُهُ بها ، فوضعَ النَّبيُّ ﷺ كفَّهُ فيها ، وصبَّ عليه ذٰلكَ الماء ، فقالَ : « بٱسم الله » ، فرأيتُ الماءَ يَفورُ مِنْ بين أَصابعه ، حتّىٰ ٱمتلأَتِ الجَفْنَةُ ، وٱستدارت ، فأَمرَ النّاسَ بالاستقاء منها ، فٱستقَوا ، وأَسقَوا رِكابَهُم ، فرفعَ يدهُ مِنَ الجَفْنَة ، وإِنّها لملأىٰ[3] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٣٣٧) و(٣٣٧٨). ومُسلم برقم (٦٨٢/ ٣١٢).
المزادة: إناءٌ من جلدٍ كالرّاوية لها فمٌ، تُملأ ماءً للشُّرب، فالمزادة والرّاوية والقِربة كلُّها تُصنع من الجلد، لٰكنَّ بعضها أَكبرُ من بعضٍ، وأَكبرها الرّاوية. **العزلاءُ**: مصبُّ الماء من القِربة ونحوها. **أَوكأ**: ربط. أَو شدَّ بالوِكاء، وهوَ ما يشدّ به رأس القُربة ونحوها.

(٢) أَخرجه البزّار في «المُسند» ، ج٦/ ١٩٥ . **فَرْثَه** : ما في كرشه . **قالَتِ السَّماءُ** : غيّمت وظهر فيها سحاب . **الأَسقية** : مفردها : سِقاء ؛ وعاءٌ من جلدٍ يكونُ للماء واللَّبن .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٣٠١٣) . **الجَفْنَةُ** : الإناءُ للماء والطَّعام .

[ق٧٦] ورَوىٰ الإمامُ مالِك في « الموطّأ » ، / عن مُعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كُنّا معَ النَّبيِّ ﷺ في غزوةِ (تبوكَ) ، فوردْنا العينَ ، فوجدناها تبضُّ بشيءٍ مِنْ ماءٍ مِثْلَ الشِّراكِ ، فغرفوا منها شيئاً في إناءٍ ، فغسلَ به النَّبيُّ ﷺ وجهَهُ ويديه ، وأَعادَهُ فيها ، فجَرَت بماءٍ كثيرٍ ، لَهُ حِسٌّ كحسِّ الصَّواعق ، ثمَّ قالَ : « يوشِكُ أَنْ يَكونَ ما ها هنا جِنَاناً » ـ أَي : بساتينَ ـ فكانَ كذٰلكَ[1] .

إكثارُ الطَّعامِ

وأَمّا النَّوعُ الثّالثُ : وهوَ تكثيرُ الطَّعامِ اليَسير ببركته ﷺ فكثيرٌ أَيضاً . فمن ذٰلكَ :

حديثُ أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ أَبا طلحةَ بعثَهُ بأَقراصٍ مِنْ شعيرٍ تحتَ إِبطه ، ففتَّها ﷺ وأَشبعَ منها ثمانينَ رجُلاً . متَّفقٌ عليه[2] .

وحديثُ جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّهُ صنعَ للنَّبيِّ ﷺ صاعاً مِنْ شعيرٍ وعَناقاً ، وطلبَ خامسَ خمسةٍ ، فنادىٰ في أَهل (الخَنْدَقِ) ، وكانوا أَلفاً جياعاً ، فأَكلوا مِنْ ذٰلكَ كلُّهُم ، حتّىٰ ٱنصرفوا ، قالَ جابرٌ : وأُقسِمُ بالله إِنَّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كما هيَ ، وإِنَّ عَجيننا لَيُخبَزُ ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ بَصَقَ في البُرْمَة والعَجين . متَّفقٌ عليه[3] .

---

(١) أَخرجه مالك في «الموطّأ»، كتاب: قصر الصَّلاة في السَّفر، رقم (٢) . ومُسلم برقم (٧٠٦/ ١٠) . **تبضُّ** : تسيلُ . **الشِّراكُ** : سير النّعل ، ومعناهُ : ماءٌ قليلٌ جدّاً .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٣١٠) . ومُسلم برقم (٢٠٤٠) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٧٦) . ومُسلم برقم (٢٠٣٩/ ١٤١) . **عَناق** : الأُنثىٰ من ولد المعز . **البُرمة** : القِدْر . **بُرمَتَنا لَتغطُّ** : إِنَّ قِدرنا ليَغلي ويفور من الامتلاء ، فيُسمع غطيطها ، أَي : صوت غليانها . **الغطيط** : صوت النّائم أَيضاً .

وحديثُ جابرٍ أَيضاً المتَّفق عليه ، أَنَّهُ حينَ ماتَ أَبوهُ أَبىٰ غُرماؤُهُ أَنْ يَقبلوا ثمرةَ نخيله بدَيْنِهِ ، فجاءَ النَّبيُّ ﷺ وجلسَ علىٰ بيدرٍ واحدٍ منها ، فكالَ لَهُم حتّىٰ أَوفاهُم منهُ ، وسَلِمَتْ لَهُ منهُ بقيَّةٌ معَ سائِرِ البيادر[1] .

وحديثُ أَبي أَيّوبَ الأَنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّهُ صنعَ لرسولِ الله ﷺ ولأَبي بكرٍ عندَ قدومِهما في الهجرة ما يكفيهما ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « اِدْعُ ثلاثينَ مِنْ أَشرافِ الأَنصارِ » ، فدعاهُم ، فأَكلوا حتّىٰ تركوهُ ، فقالَ : « اِدْعُ ستّينَ » ، فدعاهُم ، فأَكلوا حتّىٰ تركوهُ ، فقالَ : « اِدْعُ سبعينَ » ، فدعاهُم ، فأَكلوا حتّىٰ تركوهُ ، قالَ أَبو أَيّوبَ : فأَكلَ مِنْ طعامي ثمانونَ ومئة رجلٍ ، وما خَرَجَ رجلٌ منهُم حتّىٰ أَسلَمَ وبايعَ[2] / . متَّفقٌ عليه . [ق٥٧]

وحديثُ أَنسٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حينَ ٱبتنىٰ بزينبَ رضيَ اللهُ عنهُا ، أَمرَهُ أَنْ يَدعوَ لَهُ كلَّ مَنْ لقيَ ، حتّىٰ ٱمتلأَ البيتُ ، فقدَّمَ إِليهم مُدّاً مِنْ تمرٍ ، قد جُعِلَ حَيْساً ، فجعلَ القومُ يَتغدَّونَ ويَخرجونَ ، وبقيَ التَّمرُ كما هوَ . متَّفقٌ عليه[3] .

وحديثُ عبد الرَّحمٰنِ بنِ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : كُنّا

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٢٧) . **الغريم** : صاحب الدَّيْن . **قلتُ** : والحديث وإن كان معجزةً للنَّبيِّ ﷺ فهو يدلُّ علىٰ صِدق المؤمنين مع فقرهم ، ويدلُّ علىٰ شدّة رحمته ﷺ بهم ومواساته إيّاهم .

(٢) أَخرجه الأَصفهانيُّ في «الدّلائل» ، ص١٥٢ ـ١٥٣ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٣٦) . ومُسلم برقم (١٣٦٥) . **حَيْساً** : تمرٌ خُلِطَ بسمنٍ أَو دقيقٍ . **قلتُ** : إِنَّ من المعروف أَنَّ هٰذه القصَّة ٱتَّفقت في بنائه ﷺ بصفيَّة ، وفي « شرح مسلم » ، للخفاجيّ : أَنَّ الرّاوي أَدخل قصَّةً في قصَّةٍ . وقالَ بعضهم : يُحتمل أَنَّه ٱتَّفق الشَّيئان ـ يعني : الشّاة والحَيْس ـ .

معَ النَّبيِّ ﷺ ثلاثينَ ومئةً ، فعُجِنَ صاعٌ مِنْ طعامٍ ، وذبحت شاةٌ ، فَشُوِيَ سوادُ بطنِها ـ أَي : كبِدُها ـ وأَمرَهُ النَّبيُّ ﷺ أَن يَحُزَّ لَهُم مِنها ، قالَ : وَايْمُ اللهِ ما مِنَ الثَّلاثينَ وَالمِئَةِ إِلاَّ وقد حَزَّ لَهُ حُزَّةً مِنْ كبدِها ، ثمَّ جعلَ منها الطَّعامَ واللَّحمَ قَصعتين ، فأَكلنا منهُما أَجمعونَ ، وفَضَلَ منهُما فَضلةٌ ، فحملْتُهُ علىٰ البعير . متَّفقٌ عليه(١) .

وحديثُ سلمةَ بنِ الأَكوعِ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : أَصابَتِ النّاسَ مخمصَةٌ شديدةٌ في بعضِ مغازي النَّبيِّ ﷺ ، فدعا ببقيَّةِ الأَزوادِ ، فجاءَ الرَّجلُ بالحَثْيَةِ مِنَ الطَّعام ، وفوق ذٰلكَ وأَعلاهُمُ الَّذي أَتىٰ بالصّاعِ مِنَ التَّمر ، فجمعوهُ علىٰ نِطْعٍ ـ زاد مُسلمٌ : قالَ سَلَمة : فحزرْتُهُ كَرَبْضَةِ العَنْزِ ـ قالَ : ثمَّ دعا النّاسَ بأَوعيَتِهِم ، فما بقيَ في الجيش وعاءٌ إِلاّ ملؤوهُ ، وبقيَ منهُ بقيَّةٌ . متَّفقٌ عليه(٢) .

وحديثُ أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : أَصابني جوعٌ شديدٌ ، فلمّا خرجَ النَّبيُّ ﷺ مِنَ المسجد تبعتُهُ ، فوجدَ عندَ أَهلِهِ قدحَ لبنٍ قد أُهديَ لَهُ ، فأَمرَني أَنْ أَدعوَ لَهُ أَهلَ الصُّفَّة ، وكانوا سبعينَ ، فدعوتُهُم ، فأَمرَني النَّبيُّ ﷺ أَنْ أَسقيَهُم منهُ ، فجعلتُ أُعطي الرَّجلَ القدحَ ، فيَشربُ حتّىٰ يرویٰ ، حتّىٰ رَوُوا جميعُهُم ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « بقيتُ أَنا وأَنتَ ، فٱشرب » ، فشَرِبْتُ حتّىٰ رَوِيتُ ، فقالَ : « اِشْرَبْ » فشرِبْتُ ، فما زالَ يقولُ : « اِشْرَبْ » ، حتّىٰ قلتُ : والَّذي بعثكَ بالحقِّ نبيّاً لا أَجدُ لَهُ مَسلكاً ، فأَخذَ القدحَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٠٦٧) . ومُسلم برقم (٢٠٥٦/١٧٥)
الحُزَّةُ : قطعةٌ من اللحم قُطِعَتْ طولاً .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٢٠) . ومُسلم برقم (١٧٢٩/١٩) .
حزرته : قدَّرته بطريق التّخمين والحدس . **ربضة العنز** : مبركها .

فحمدَ الله وسمّىٰ وشَرِبَ . متَّفقٌ عليه[1] / . [ق٥٨]

تكليمُ الحَجر والشّجر لَهُ ﷺ

وأَمّا النَّوعُ الرّابعُ : وهوَ كلامُ الشَّجرِ والحَجرِ ، وشهادتُهُما لَهُ بالنُّبوّة ﷺ . فمِنْ ذٰلكَ :

حديثُ ٱبنِ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : كُنّا معَ رسولِ الله ﷺ في سفرٍ ، فدنا منهُ أَعرابيٌّ ، فقالَ [لَهُ رسولُ الله] : « يا أَعرابيُّ ، أَينَ تُريدُ » ؟ ، قالَ : إلىٰ أَهلي ، قالَ ﷺ : « هَلْ لَكَ إلىٰ خَيْرٍ ؟ » ، قالَ : وما هوَ ؟ قالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إلاّ اللهُ ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ » قالَ : مَنْ يَشهد لكَ علىٰ ما تقولُ ؟ قالَ : « هٰذِهِ السَّمُرَةُ » وهيَ بشاطئ الوادي ، فأَقبلتْ تَخُدُّ الأَرضَ حتّىٰ قامَتْ بين يديه ، فٱستشهَدَها ، فشهِدَتِ الشَّهادتين ، ثمَّ أَمرَها فرجَعت إلىٰ مكانها[2] .

وفي « الصَّحيحين » ، عن جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : ذهبَ رسولُ الله ﷺ ليقضيَ حاجتَهُ ، فلم يَرَ شيئاً يستَتِرُ به ، فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي متباعدتين ، فأَخذَ بغصنٍ مِنْ أَغصانِ أَحدِهما ، فٱنقادت لَهُ كالبعير المخشوش ـ أَي : المَجعول في أَنفه حلقةٌ فيها الخِطام ـ حتّىٰ إذا كانت بِالمَنْصَفِ[3] ، وفعلَ بالأُخرىٰ كذٰلكَ ، فٱلتأمتا بإذن الله تعالىٰ ، فلمّا قضىٰ حاجتَهُ ٱفترقتا ، وعادت كلُّ واحدةٍ منهُما إلىٰ مَنبَتِها[4] .

وعن بُريدةَ بنِ الحُصَيْبِ ـ مُصغَّرَيْنِ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ :

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠٨٧) .
(٢) أَخرجه الدّارميُّ ، برقم (١٦) . **تخدُّ الأَرضَ** : تشقُّها .
(٣) **المَنْصَفُ** : نصفُ المسافة أَو نصفُ الطَّريق .
(٤) أَخرجه مُسلم برقم (٣٠١٢) .

سألَ أعرابيٌّ النَّبيَّ ﷺ آيةً ـ أَي : علامةً على نبوَّتِه ـ فقالَ لَهُ : « قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ ؛ رَسولُ اللهِ ﷺ يَدْعوكِ » ففعلَ ، فمالَتِ الشَّجرةُ يميناً وشِمالاً ، فتقطَّعت عروقها ، ثمَّ جاءَت تجرُّ عروقها ، حتّىٰ وقفت بينَ يديه ﷺ ، فقالَتْ : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله ، فقالَ لَهُ الأَعرابيُّ : ٱئذن لي أَسجُدْ لكَ ، قالَ : « لا ينبغي السُّجودُ إلاّ لله » قالَ : ٱئذن لي أُقبِّلْ يديْكَ ورجليْكَ ، فأَذِنَ لَهُ[1] .

وعن يَعلىٰ بنِ مُرَّةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كانَ رسولُ الله ﷺ قاعِداً / ، فأَتت شجرةٌ عظيمةٌ ، فأَطافت به ، ثمَّ رجَعت إلىٰ مَنبَتِها ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : «إِنَّها ٱسْتَأْذَنَتْ رَبَّها أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ»[2] . [ق٥٩]

وذكرَ الإمامُ أَبو بكرِ بنُ فُوْرَكٍ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يَسيرُ ليلاً في غزوة (الطّائِفِ) وهوَ وَسِنٌ ـ أَي: به سِنَةُ نوم ـ فٱعترضَتْهُ شجرةُ سِدْرٍ، فٱنفرجت لَهُ نصفين حتّىٰ مرَّ بينهُما ، قالَ: وبقيت علىٰ سَاقين إِلىٰ وقتنا هٰذا، قالَ: وهيَ هناك معروفة مُعظَّمةٌ[3] .

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ الجِذْعِ المَشهور في « الصَّحيحين » ، عن جماعةٍ مِنَ الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم ، قالوا : كانَ المسجدُ مسقوفاً بجذوع النَّخل ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ إذا خَطَبَ يَقومُ إِلىٰ جِذْعٍ منها ، فلمّا صُنِعَ لَهُ المِنبرُ سمعنا لَهُ صَوتاً كصوتِ العِشار مِنَ الإبل[4] ـ وفي

---

(١) أَخرجه البزار ، انظر «كشف الأَستار» ، برقم (٢٤٠٩) .
(٢) أَخرجه البَغويُّ في «شرح السُّنَّة» ، برقم (٣٧١٨) . وأَبو نُعيم في «الدَّلائل» ، (١٣٦ ـ ١٣٩) .
(٣) الشِّفا ، ج١/ ٥٧٨ .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٧٦) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما . **العِشار** : النّاقة الَّتي أَتىٰ عليها الفحل عشرة أَشهر وزال عنها ٱسم =

روايةٍ : حتّىٰ ٱرتجَّ المَسْجدُ لِشِدَّةِ خُوَارِهِ[1] ـ .

وفي روايةِ سهلِ بنِ سعدٍ : وكَثُرَ بكاءُ النّاس[2] .

وفي روايةِ المُطَّلبِ بنِ أَبي وَدّاعَةَ : حتّىٰ ٱنشقَّ الجِذْعُ وجاءَهُ النَّبيُّ ﷺ فوضعَ يدَهُ عليه فسكَتَ[3] .

زادَ غيرُهُ : فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنَّ هٰذا بكىٰ لِما فَقدَهُ مِنْ ذِكْرِ الله تعالىٰ »[4] ، وقال : « والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هٰكذا إِلىٰ يَوْمِ القِيامَةِ » . ثمَّ أَمرَ به النَّبيُّ ﷺ فدُفِنَ تحتَ المِنبر[5] .

وفي رواية بُريدةَ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لَهُ : « إِنْ شِئْتَ أَنْ أَرُدَّكَ إِلىٰ البُستانِ الَّذي كُنْتَ فيه ، تَنْبُتُ لَكَ عُروقُكَ ، ويَكمُلُ خَلْقُكَ ، ويُجَدَّدُ لَكَ خوصٌ وثمرٌ ، وإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغرِسَكَ في الجنَّة ليأكلَ أَولياءُ الله مِنْ ثَمَرِكَ » ، فقالَ : بل تغرِسُني في الجنَّة ، لأَكونَ في مكانٍ لا أَبلىٰ فيه ، فسمعَهُ الحاضرونَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « قَدْ فَعَلْتُ » ثمَّ قالَ : « إِنَّه ٱختارَ دارَ البقاءِ عَلىٰ دارِ الفَناءِ »[6] .

وكان الحسنُ البصريُّ ـ رحمَهُ الله ـ إِذا حدَّثَ بهٰذا الحديث

= المخاض ، ثمَّ لا يزال ذٰلك ٱسمها حتّىٰ تضع ، وبعد وضعها أيضاً . **والمُراد هنا** : خوارها عند وضعها أَو عقبه .

(١) أَخرجه الدّارميُّ ، برقم (٤١) . **الخُوار** : صوت البقر ، ثمَّ توسَّعت العرب فيه على أَصوات جميع البهائم .

(٢) الشِّفا ، ج١/٥٨٣ .

(٣) أَخرجه ٱبن ماجة ، برقم (١٤١٤) .

(٤) أَخرجه أَحمد ، برقم (١٣٧٩٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه الدّارميُّ ، برقم (٤١) .

(٦) أَخرجه الدّارميُّ ، برقم (٣٢) . بنحوه . **الخوصُ** : واحده خوصة ؛ وهيَ ورق النّخل .

[ق٦٠] بكىٰ ، وقالَ : يا عبادَ الله / ، الخشبةُ تَحِنُّ شوقاً إِلىٰ رسولِ الله ﷺ لَمّا فارَقَها ، فأَنتُم أَحقُّ أَنْ تشتاقوا إِلىٰ لقائه(١) .

وفي « صحيح البُخاريِّ » عن ٱبن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كُنّا نسمَعُ تسبيحَ الطَّعامِ معَ رسولِ الله ﷺ وهوَ يُؤْكَلُ(٢) .

وفي « الصَّحيحين » عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : صَعِدَ النَّبيُّ ﷺ جبلَ (أُحُدٍ) ومعَهُ أَبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ رضيَ اللهُ عنهُم ، فرَجَفَ بهِمُ الجبلُ ، فقالَ : « ٱثْبُتْ أُحُدُ ، فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبيٌّ وَصِدّيقٌ ، وَشَهيدانِ »(٣) .

وفيهما ـ [أي : الصَّحيحين] ـ عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : كانَ حولَ الكعبة لقُريشٍ ثلاثُ مئةٍ وستونَ صنماً ، مُثْبَتَةً علىٰ الرُّخام بالرَّصاص ، فلمّا دخلَ رسولُ الله ﷺ عامَ الفتح ، جعلَ يُشيرُ إِليها بقضيبٍ كانَ في يدِهِ ، ويقولُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ـ أَي : ذاهباً ـ [سورة الإسراء ١٧/ ٨١] فما أَشارَ لوجه صنمٍ إِلاّ وقعَ لقفاهُ ، ولا لقفاهُ إِلاّ وقعَ لوجهِهِ ، حتّىٰ ما بقيَ منها صنَمٌ ، فأَمرَ بإِخراجها(٤) .

شهادةُ الحيواناتِ لهُ ﷺ

وأَمّا النَّوعُ الخامسُ : وهوَ شهادةُ الحيوانات لَهُ بالرِّسالة ﷺ .

فمِنْ ذٰلكَ : حديثُ الضَّبِّ .

شهادةُ الضَّبِّ

عن عُمرَ بنِ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : كانَ النَّبيُّ ﷺ جالِساً في مَحْفِلٍ مِنْ أَصحابه إِذْ جاءَ أَعرابيٌّ معَهُ ضَبٌّ قد صادَهُ ،

---

(١) الشِّفا ، ج١/ ٥٨٤_٥٨٥ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٨٦) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٧٢) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٣٤٦) . ومُسلم برقم (١٧٨١/ ٨٧) .

فعرضَ عليه النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ ، فقالَ : واللاّت والعُزّىٰ لا آمنتُ بكَ إلاّ أَنْ يؤمنَ بكَ هٰذا الضَّبُّ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « يا ضَبُّ » ، فأَجابَهُ بلسانٍ فصيحٍ سمِعَهُ القومُ جميعاً : لبّيكَ وسعديكَ يا زَيْنَ مَنْ وافىٰ القيامةَ ، قالَ : « مَن تعبُدُ ؟ » قالَ : اللهُ الَّذي في السَّماء عرشُهُ، وفي الأَرض سُلطانُهُ، وفي الجنَّة رحمتُهُ، وفي النّار عذابُهُ، قالَ: «فمَنْ أَنا؟» قالَ: أَنتَ رسولُ ربِّ العالَمينَ، وخاتَمُ النَّبيّينَ، قد أَفلحَ مَنْ صدَّقكَ، وخابَ مَنْ كذَّبكَ[1] [فأَسلَمَ الأَعرابيُّ].

ومن ذٰلك : حديثُ الذِّئب / ، عن أَبي سعيدٍ الخُدريّ وأَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالا : بينما راعٍ يَرعىٰ غنماً لَهُ ، إِذْ عَرَضَ الذِّئبُ لشاةٍ منها فأَخذَها ، فأَدركَهُ الرّاعي ، فٱستردَّها منهُ ، فأَقعىٰ الذِّئب[2] ، فقالَ : أَفلا تتَّقي اللهَ تعالىٰ ، حُلْتَ بيني وبينَ رِزقي ؟ فقالَ الرّاعي : عجبٌ !! لِذِئبٍ يَتكلَّمُ ؟ فقالَ الذِّئبُ : أَنتَ أَعجبُ منّي ، واقفٌ علىٰ غَنَمِكَ وتركتَ نبيّاً لم يَبعَثِ اللهُ نبيّاً قطُّ أَعظَمَ منهُ قَدْراً عندَهُ ، قد فُتحت لَهُ أَبوابُ الجنَّة ، وأَشرفَتْ الحورُ العينُ علىٰ أَصحابه ، يَنظرونَ قِتالَهُم ، وما بينَكَ وبينَهُ إلاّ هٰذا الشِّعبُ ، فتصيرُ في جنود الله تعالىٰ ـ وكانَ ذٰلكَ يومَ (أُحُدٍ) ـ قالَ الرّاعي : فمَنْ لي بغنَمي ؟ قالَ الذِّئبُ : أَنا أَرعاها حتّىٰ ترجِعَ ، فمضىٰ الرَّجلُ ووجدَ النَّبيَّ ﷺ يُقاتلُ ، فأَسلَمَ ، وأَخبرَهُ الخبرَ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « قُمْ فَحَدِّثهُم » ، ثمَّ قالَ لَهُ : « عُدْ إلىٰ غَنَمِكَ تَجِدْها بِوَفْرِها » ، فرجَعَ فوجدها كذٰلك ، فذبحَ للذِّئب شاةً[3] .

[ق٦١]

حديثُ الذِّئب للرّاعي

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في «الدّلائل» ، ج٦/ ٣٦ .

(٢) أَقعىٰ : جلسَ علىٰ إليتيه ونصبَ ساقيه وفخذيه .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في «الدّلائل»، ج٦/ ٤١ـ٤٣ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

سجودُ الغَنَمِ لَهُ ﷺ

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ الغَنَم ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : دخلَ النَّبيُّ ﷺ حائِطاً لبعض الأَنصار ، ومعَهُ أَبو بكرٍ وعُمَرُ ، وفي الحائِط غَنَمٌ ، فسجدت لَهُ ﷺ ، فقالَ أَبو بكرٍ : نحنُ أَحقُّ بالسُّجود لكَ مِنها ، فقالَ : « إِنَّهُ لا يَنْبَغي السُّجودُ إِلاّ للهِ تعالىٰ »[1] .

خضوعُ الجَمَلِ لَهُ ﷺ

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ البَعير ، عن جماعةٍ مِنَ الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم ، قالوا : دخلَ النَّبيُّ ﷺ حائِطاً وكانَ فيه جَمَلٌ لا يَدَعُ أَحداً يدخُلُ الحائِطَ إِلاّ صالَ عليه ، فلمّا دخلَ النَّبيُّ ﷺ دعاهُ فجاءَهُ ، ووضعَ مِشْفَرَهُ في الأَرض ، وبركَ بينَ يديه ، فخطَمَهُ ، وقالَ للحاضرينَ : « وَالَّذي نَفْسي بيَدِهِ ، ما مِنْ شَيْءٍ بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ إِلاّ يَعْلَمُ أَنّي رَسولُ اللهِ ، ما خَلا عُصاةَ الإِنْسِ وَالجِنِّ »[2] . فسأَلَهُم عن شأن الجَمَلِ ؟ فأَخبروه أَنَّهُم أَرادوا ذبحَهُ .

[ق٦٢]

وفي روايةٍ : أَنَّهُ ﷺ قالَ لَهُم : « إِنَّهُ شَكَا / كَثْرَةَ العَمَلِ ، وَقِلَّةَ العَلَفِ ، وأَنَّكُمْ أَرَدْتُمْ ذَبْحَهُ بَعْدَ أَنِ ٱسْتَعْمَلْتُموهُ في العَمَلِ الشّاقِّ مِنْ صِغَرِهِ » فقالوا : نَعم يا رسول الله[3] .

قصَّةُ الظَّبية

ومن ذٰلك : حديث الظَّبية ، عن أُمِّ سلمةَ أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها ، قالت : كانَ النَّبيُّ ﷺ في الصَّحراء ، فنادتهُ ظَبيَةٌ : يا رسولَ الله ، قالَ : «ماحاجَتُكِ؟» قالت : صادني هٰذا الأَعرابيُّ ، ولي خِشْفانِ في

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في «الدَّلائل» ، ج٦/٢٨ . والبزار كما في «كشف الأَستار» ، برقم (٢٤٥١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ . **الحائِطُ** : بستانٌ من النَّخل .

(٢) أَخرجه أَحمد ، برقم (١٣٩٢٣) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما . **المِشْفَرُ** : كالشفة في الإِنسان .

(٣) أَخرجه أَحمد ، برقم (١٧١١٥) . عن يعلىٰ بن مُرَّة رضيَ اللهُ عنهُ .

ذٰلك الجبل، وكانَ الأَعرابيُّ نائِماً، فأَطلقها النَّبيُّ ﷺ، فذهبت ورجَعت، فأَنتبهَ الأَعرابيُّ، فقالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَلكَ حاجةٌ؟ قالَ: «نعم، تُطْلِقُ هٰذه الظَّبيةَ»، فأَطْلَقَها، فذهبت تعدو في الصَّحراء، وتقولُ: أَشهدُ أَنْ لاإِلٰه إِلاّ الله، وأَنَّكَ مُحمَّدٌ رسولُ الله[1].

ذراعُ الشّاةِ المسمومَةِ

ومن ذٰلك: حديثُ الذِّراع المشهور في «الصَّحيحين»، عن جماعةٍ مِنَ الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم: أَنَّ يهوديَّةً[2] أَيّامَ فتح (خَيْبَرَ) أَهدَتْ للنَّبيِّ ﷺ شاةً مصليَّةً ـ أَي: مشويَّةً ـ سمَّتها، فأَكلَ منها النَّبيُّ ﷺ، ثمَّ قالَ للقوم: «ارْفَعوا أَيديَكُمْ، فإِنَّها أَخبرَتني أَنَّها مَسمومَةٌ»[3].

وفي روايةِ جابرٍ: «أَخبرتني هٰذه الذِّراعُ»، وقالَ لليهوديَّةِ: «ما حَمَلَكِ عَلىٰ ما صَنَعْتِ؟»، فقالَتْ: إِنْ كُنْتَ نبيّاً لم تضرّك، وإِن كُنْتَ مَلِكاً أَرَحْتُ النّاسَ منكَ، فعفا عنها. فماتَ بِشْرُ بنُ البراء مِنَ السُّمِّ، فقتلها به قِصاصاً[4].

وفي روايةِ أَنسٍ: فما زِلْتُ أَعرفُها في لَهَوات رسولِ الله ﷺ[5].

وفي حديث أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ في وجعِهِ الَّذي ماتَ فيه: «ما زالَتْ أُكْلَةُ (خَيْبَرَ) تُعادُني ـ أَي: تعاودني ـ

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في «الدَّلائل»، ج٦/ ٣٤ـ٣٥. وأَبو نُعيم في «الدَّلائل»، برقم (٢٧٣). عن زيد بن أَرقم رضيَ اللهُ عنهُ. **خِشْفان ـ الخشف ـ**: الظَّبيُ الصَّغير أَوَّل ما يولد.

(٢) وهيَ: زينب بنت الحارث، امرأة سلاّم بن مِشكم.

(٣) أَخرجه أَبو داوود، برقم (٤٥١٢). عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٤) أَخرجه أَبو داوود، برقم (٤٥١٢).

(٥) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٢٤٧٤). **فما زلتُ أَعرفها**: أَي العلامة. كأَنَّه بقيَ للسُّمِّ علامةٌ وأَكثرُ من سوادٍ أَو غيره. **لهوات**: اللحمة المعلقة في أَعلىٰ الحنَك.

فالآنَ قَطَعَتْ أَبْهَرِي ـ أَي: عرق الظَّهر المتعلِّق بالقلب ـ»[1] .

وفي حديث أَبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّه ﷺ قالَ : « كُلوا بٱسمِ الله » ، فأَكلنا[2] .

وعند ابنِ إسحاقَ : إنْ كانَ المؤمنونَ ليَرَوْنَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ مات شهيداً ، معَ ما أَكرمَهُ اللهُ به مِنَ / النُّبوَّة[3] . [ق٦٣]

الأَسدُ يدلُّ رسولَ النَّبيّ ﷺ علىٰ الطَّريقِ

ومِنْ ذٰلكَ : حديثُ الأَسد ، معَ سَفينةَ مولىٰ النَّبيِّ ﷺ ، وكانَ أَرسلَهُ النَّبيُّ ﷺ برسالةٍ إلىٰ مُعاذِ بنِ جبلٍ إلىٰ (اليَمَنِ) ، فضلَّ الطَّريقَ ، فٱعترضَهُ الأَسدُ فقالَ لَهُ سَفينةُ : يا أَبا الحارث ، أَنا مولىٰ رسولِ الله ، ومعي كتابُهُ ، فهَمْهَمَ وتنحّىٰ عن طريقه ، وجعل يَغمِزُهُ بمنكبيه حتّىٰ أَدَلَّهُ الطَّريقَ[4] .

إبراءُ المرضىٰ وذوي العاهات

وأَمّا النَّوعُ السّادسُ: وهوَ شفاءُ العِلل بريقه وكفِّه المُباركَة ﷺ .

ردُّ عينٍ بَعْدَ قَلْعِها

فمِنْ ذٰلكَ : ما رواهُ ٱبنُ إسحاقَ ، أَنَّ قَتادةَ بنَ النّعمانِ أُصيبت عينُهُ يومَ (أُحُدٍ) حتّىٰ وقعتْ علىٰ وجنَتِه ، فردَّها رسولُ الله ﷺ ، فكانت أَحسن عينيه . وفي ذٰلكَ يقولُ ٱبنه ، [مِنَ الطَّويل][5] :

أَنا ٱبنُ الَّذي سالَتْ علىٰ الخَدِّ عَيْنُهُ

فَرُدَّتْ بِكَفِّ ٱلمُصْطَفىٰ أَحْسَنَ الرَّدِّ

---

(١) أَخرجه أَبو داوود ، برقم (٤٥١٢) ، بنحوه .

(٢) أَخرجه الهيثميُّ في «كشف الأَستار» ، برقم (٢٤٢٤) .

(٣) الشِّفا ، ج١/ ٦٠٩ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في «الدَّلائل» ، ج٦/ ٤٥ . وأَبو الحارث : اسمٌ من أَسماء الأَسد .

(٥) دلائل النُّبوَّة ، ج٣/ ٢٥٢ .

شفاءُ عيني عليّ

وفي «الصَّحيحين»، أَنَّهُ ﷺ تفلَ في عَيْنَيْ عليّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ (خَيبرَ) وكانَ رَمِداً، فَبَرَأَ حتّىٰ كأنْ لم يَكُن به وَجَعٌ[1] .

ردُّهُ يداً بعدما قُطِعَتْ

وروىٰ ٱبنُ وَهْبٍ: أَنَّ أَبا جهلٍ قطعَ يدَ مُعَوَّذِ بنِ عفراءَ يومَ (بَدْرٍ)، فجاءَ يَحمِلُ يدَهُ ، فبصَقَ عليها رسولُ الله ﷺ وأَلصقَها ، فلصِقَت[2] .

وأَتتهُ ٱمرأَةٌ مِنْ خَثْعَم بصبيٍّ لا يَتكلَّمُ ، فتمضمَضَ بماءٍ وأَعطاهُ إِيّاها ، فسقتهُ إِيّاهُ ، فنطقَ وعقَلَ عقلاً يَفضُلُ عقول الرِّجال[3] .

حياءٌ في الجارية مِنْ أَثرِ لُقمته ﷺ

وسأَلتهُ جاريةٌ وهوَ يأكلُ طعاماً ـ وكانت قليلةَ الحياء ـ أَن يُطعِمَها مِنَ الَّذي في فيهِ ، فناولها الَّذي في فيهِ ـ ولَمْ يَكُن يَمنعُ شيئاً يُسأَلُهُ ـ فلمّا ٱستقرَّ في جوفها ، أَلقىٰ الله عليها الحياء ، حتّىٰ لم يَكُن بـ (المدينة) أَشدُّ حياءً منها[4] .

إجابةُ دعائِهِ ﷺ

وأَمّا النَّوع السّابع : وهوَ إِجابةُ دعائِهِ ﷺ لِمَن دعا لَهُ .

فمنهُ : ما رواهُ حُذيفةُ بنُ اليَمان رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : كانَ رسولُ الله ﷺ إِذا دعا لرجلٍ ، أَدركَتِ الدَّعوةُ ولَدَهُ وولَدَ ولَدِهِ[5] .

دعاؤهُ ﷺ للمدينة

وفي « الصَّحيحين » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ / قَدِمَ (المدينَة) وهيَ أَوْبَأُ أَرضِ الله ، فَقالَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنا المَدينَةَ ، كَحُبِّنا مَكَّةَ ، أَوْ أَشَدَّ ، وصَحِّحْها لَنا ، وَٱنْقُلْ حُمّاها إِلىٰ الجُحْفَةِ »[6] . [ق٦٤]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٤٧) . ومُسلم برقم (٢٤٠٦/ ٣٤) . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) الشِّفا ، ج١/ ٦٢٢ .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في «الدَّلائل» ، ج٣/ ٦١ .

(٤) أَخرجه الطَّبرانيُّ عن أَبي أُمامة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه أَحمد ، برقم (٢٢٧٦٦) .

(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٩٠) . ومُسلم برقم (١٣٧٦/ ٤٨٠) .

دعاؤهُ لأنسِ بنِ مالكٍ

وروىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالتْ أُمّي : يا رسولَ الله ، خادِمُكَ أَنسٌ ٱدْعُ اللهَ لَهُ ، فقال : « اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مالَهُ وَوَلَدَهُ ، وَبارِكْ لَهُ فيما أَعْطَيْتَهُ »[١] .

قالَ أَنسٌ : (فوالله إِنَّ مالي لَكَثيرٌ ، وما أَعلمُ أَنَّ أَحداً أَصابَ مِنْ رَخاءِ العَيْشِ ما أَصَبْتُ ، وإِنَّ وَلَدي وَوَلَدَ وَلَدي لَيَتَعادّونَ اليَوْمَ عَلىٰ نَحْوِ المِئَةِ ، وَلَقَدْ دَفَنْتُ إِلىٰ اليَوْمِ مِئَةً مِنْ وَلَدي ، لا أَقولُ سِقْطاً ، وَلا وَلَدَ وَلَدٍ)[٢] .

البركةُ في مالِ عبدِ الرَّحمٰنِ بن عَوْفٍ

ودعا ﷺ لعبد الرَّحمٰن بنِ عَوْفٍ [رضي الله عنه] بالبركةِ ، فقالَ عبدُ الرَّحمٰن : فلو رَفَعتُ حجراً لرَجوتُ أَنْ أُصيبَ تحتَهُ ذهباً .

ولا يَخفىٰ كثرَةُ أَمواله وصدقاته الجزيلة ، حتّىٰ إِنَّه أَعتق في يوم واحدٍ ثلاثينَ عَبْداً ، وتصدَّق مرَّة بِعِيرٍ[٣] قَدِمَتْ مِنَ (الشّام) تحمِلُ كلَّ شيءٍ ، وكانَ النّاسُ في مجاعةٍ ، فٱرتجَّتِ (المَدينة) لقدومها ، فتصدَّق بها وبما عليها ، حتّىٰ بأَقتابِها[٤] وأَحلاسِها[٥] ، وكانت سبعَ مئةِ جملٍ ، عليها سبعُ مئةِ حِملٍ ، ولمّا ماتَ أَخذت كلُّ زوجةٍ ثمانينَ أَلفاً ، وكُنَّ أَربعاً ، بعد أَنْ أَوصىٰ بخمسينَ أَلفاً[٦] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٨٤) .

(٢) أخرجه مُسلم مختصراً ، برقم (٢٤٨١/ ١٤٣) . وذكرها القاضي عياض في «الشِّفا» ، ج١/ ٦٢٥ـ٦٢٦ .

(٣) **العيرُ** : القافلة .

(٤) **القتبُ** : رحلٌ صغيرٌ علىٰ قدر سنام البعير .

(٥) **الحلسُ** : كساءٌ يلي ظهر البعير تحت القتب .

(٦) الشِّفا ، ج١/ ٦٢٦ .

دعاؤهُ ﷺ بالسُّقيا

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ أَعرابيّاً دخلَ المسجدَ يومَ الجُمعةِ ، والنَّبيُّ ﷺ يَخطُبُ ، فشكا إِليه القحطَ ، فدعا الله ، فسُقوا ، ولَم يَرَوُا الشَّمسَ إِلىٰ الجُمعة الأُخرىٰ ، حتّىٰ دخلَ عليه وهوَ يَخطُبُ ، فشكا كثرةَ المطر ، فدعا الله تعالىٰ فٱنكشف السَّحاب[1] .

دعاؤهُ ﷺ لابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ، أَنَّهُ دعا ﷺ لابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، حين حنَّكَهُ ، وهوَ مولودٌ : أَنْ يُفقِّهَهُ اللهُ في الدّين ، ويُعَلِّمَهُ التَّأويل[2] ، فكانَ يُسمّىٰ الحَبْرَ[3] والبحرَ لِسعَةِ علمِهِ .

دعاؤهُ ﷺ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ

ودعا [ﷺ] لعليّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَن يَكفيَهُ اللهُ الحَرَّ والقَرَّ . فكانَ في الشِّتاء يَلبسُ ثيابَ الصَّيف ، وفي الصَّيف يَلبسُ ثيابَ الشِّتاء ، ولا يُصيبُهُ حرٌّ ولا بردٌ[4] .

دعاؤهُ ﷺ لفاطمةَ رضيَ اللهُ عنها [ق٦٥]

ودعا [ﷺ] لفاطمة الزَّهراءِ ٱبنتِهِ رضيَ اللهُ عنها ، أَن لا يُجيعَها اللهُ ، فما وجدت بعدَ ذٰلك للجوع أَلماً[5] / .

دعاؤهُ ﷺ للنّابغة

وأَنشدَهُ النّابغةُ أَبياتاً ، فقالَ لَهُ [ﷺ] : « لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ » فما سقطتْ لَهُ سِنٌّ ، وكانَ مِنْ أَحسنَ النّاس ثغراً ، وعاشَ مئةً

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٩١) . ومُسلم برقم (٨٩٧/٨) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٤٣) . ومُسلم برقم (٢٤٧٧/١٣٨) : بلفظ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ في الدّين » . ولفظةُ : « وَعَلِّمْهُ التَّأْويل » ، أَخرجها أَحمد برقم (٢٣٩٣) .

(٣) **الحَبْرُ** : العالِمُ .

(٤) أَخرجه ٱبن ماجة ، برقم (١١٧) . عن عبد الرَّحمن بن أَبي ليلىٰ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) الشِّفا ، ج١/ ٦٣٠ .

وعشرينَ سنةً ، وقيلَ : كانَ إذا سقطتْ لَهُ سِنٌّ نبتتَ في مكانها سنٌّ أُخرىٰ[1] .

دعاؤهُ ﷺ علىٰ كِسرىٰ

وأَمّا دعاؤهُ ﷺ علىٰ الأَعداء ، فمنهُ : ما في « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ دعا علىٰ كسرىٰ حينَ مزَّقَ كتابَهُ : « أَنْ يُمَزِّقَ اللهُ مُلْكَهُ كُلَّ مُمَزَّقٍ »[2] . فتمزَّقوا حتّىٰ لَم يبقَ لَهُم باقيةٌ ، ولا بقيت للفُرسِ رِئاسةٌ في جميع أَقطار الدُّنيا .

دعاؤهُ ﷺ علىٰ عُتبةَ بن أَبي لهبٍ

ودعا ﷺ علىٰ عُتبةَ بنِ أَبي لهبٍ ، أَنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلابِهِ ، فجاءَهُ الأَسدُ ، وأَخذَهُ مِنْ وَسَطِ أَصحابه[3] .

دعاؤهُ ﷺ علىٰ مُحَلم بن جثّامةَ

[ودعا] ﷺ علىٰ رجلٍ آخرَ فأَصبحَ ميّتاً ، فدفنوهُ ، فلفظَتْهُ الأَرضُ ، فدفنوهُ مِراراً ، فلفظَتْهُ الأَرضُ ، فتركوهُ[4] .

وهٰذا الباب أَكثرُ مِنْ أَن يُحصرَ .

دعاؤه علىٰ بِشر بن راعي العير

وقالَ لرجلٍ آخرَ يأكُلُ بشمالِهِ : « كُلْ بيَمينكَ » ، قالَ : لا أَستطيعُ ، قالَ : « لا ٱسْتَطَعْتَ ما مَنَعَهُ إِلاّ الكِبْرُ » فما رفعها إِلىٰ فيه . رواهُ مُسلم[5] .

كراماتُهُ وبركاتُهُ فيما لَمَسَهُ وباشرَهُ ﷺ

وأَمّا النَّوع الثّامن : وهو صلاحُ ما كانَ فاسِداً بلمسه ﷺ .

فرسُ أَبي طلحةَ رضيَ اللهُ عنهُ

فمنْهُ : ما روىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، أَنَّ أَهل (المدينة) فَزِعوا مرَّةً ، فركِبَ النَّبيُّ ﷺ فرساً لأَبي طلحةَ ، بطيءِ السَّير ، فلمّا

---

(١) الشِّفا ، ج١/٦٢٨ـ٦٢٩ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٤) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) الشِّفا ، ج١/ ٦٣٢ .

(٤) الشِّفا ، ج١/ ٦٣٤ . وتتمَّةُ الخبر : أَنَّهُم أَلقوهُ بين جُبَّين وكوَّموا عليه بالحجارة .

(٥) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٠٢١/ ١٠٧) .

رجَعَ ، قالَ : وجدناهُ بَحْراً ، فكانَ بعد ذٰلك لا يُجاريه فرسٌ[1] .

نشاطُ جملِ جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ نَخَسَ جَملاً لجابرٍ ، قد أَعيا ، فَنَشَطَ حتّىٰ كانَ ما يُملَكُ زِمامُهُ[2] .

بئرُ دار أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وكانت في دارِ أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ بِئْرٌ مِلْحَةٌ ، [فبزقَ] ﷺ فيها ، فلَمْ يَكُن في (المدينة) أَعذبَ منها[3] .

بئرٌ رائحتُهُ المسكُ

ومجَّ في دلوٍ مِنْ بئرٍ ، ثمَّ أَعادَهُ إِليها ، فكانت أَبداً يفوحُ منها رائحةُ المِسْكِ[4] .

غرسُ النَّخيل لسلمان رضيَ اللهُ عنهُ

وكاتبَ سلمانُ الفارسيُّ مواليهِ علىٰ ثلاثِ مئةِ وَدِيَّةٍ ـ أَي : ولدٍ مِنْ أَولاد النَّخل ـ يغرِسُها لَهُم كُلَّها حتّىٰ تَعْلَقَ وتُثمِرَ ، وعلىٰ أَربعينَ أُوقيةً مِنْ ذهبٍ ، كلُّ أُوقيةٍ أَربعونَ دِرهماً ، فقامَ ﷺ وغرسها لَهُ بيده ، فعلَقت كُلُّها ، وأَثمرت لعامها . وأَعطاهُ / مثلَ بيضة الدَّجاجة [ق٦٦] مِنْ ذهبٍ بعدَ أَن أَدارها علىٰ لسانه ، فوزنَ منها لمواليه أَربعينَ أُوقيَّةً ، وبقيَ لَهُ مثلُ ما أَعطاهُم[5] .

فَائِدَةٌ

في وزن القطعة الَّتي أَعطاها النَّبيُّ ﷺ لسلمان

الأُوقية : أَربعونَ دِرهماً ، والدِّرهَمُ : قَفْلَةٌ ، وقَدْرُ بيضة

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٤٨٤) . عن أَنسٍ رضيَ الله عنه . **بَحْراً** : واسع الجري ، سريع العدو .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤٧٩١) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما . **نخسَ الدّابةَ** : طعن مؤخّرها أَو جنبَها بعنَزَةٍ لتنشط وتتهيَّج . والعَنَزَةُ : رمح قصير ، أطول من العصا .

(٣) الشِّفا ، ج١/ ٦٣٩ .

(٤) أَخرجه ٱبن ماجة ، برقم (٦٥٩) . عن وائل الحضرمي رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) الشِّفا ، ج١/ ٦٤٠ـ٦٤١ .

الدَّجاجة لا يكاد يَبلغُ ثمانينَ دِرهماً ، وقد وَزَنَ منها أَربعينَ أُوقيَّةً ، وهيَ مثلها عن ثمانينَ أُوقيَّةً ، كلُّ أُوقيَّةٍ أَربعونَ قَفْلَةً ، فذٰلك عن مِئتي قَفْلَةٍ وثلاثةِ آلافِ قَفْلَةٍ[1] .

سيفُ عُكّاشَةَ رضيَ اللهُ عنهُ

وٱنكسرَ سيفُ عُكّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ يوم (بَدْرٍ) ، فأَعطاهُ النَّبيُّ ﷺ عوداً مِنْ حطبٍ ، فعادَ في يدهِ سيفاً صارِماً ، يَشهَدُ به المَواقِفَ ، وكانَ هٰذا السَّيفُ يُسمّىٰ : العَوْنَ[2] .

ماءٌ يتحوَّلُ إلىٰ لبنٍ وزبدةٍ

وبَعَثَ [ﷺ] سريَّةً مِنْ أَصحابه ، فلَم يَجدوا لَهُم زاداً ، فأَعطاهُمْ سِقاءً مِنْ ماءٍ أَوكاهُ بيده ، فلمّا فَتحوهُ وجدوهُ لبناً خالِصاً ، وزبدةً في فَمِ السِّقاء[3] .

غُرَّةُ عائذ بن عَمْروٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وسَلَتَ [ﷺ] الدَّم عَنْ وجهِ بعضِ أَصحابهِ ، فكانتْ لَهُ غُرَّةٌ في وجهِهِ كغُرَّةِ الفَرسِ ، فكانَ يُدعىٰ الأَغرّ[4] .

بريقُ وجهِ قَتادةَ بن مِلْحان رضيَ اللهُ عنهُ

ومسحَ [ﷺ] وجهَ آخَرَ ، فما زالَ علىٰ وجهِهِ نورٌ ، حتّىٰ كانَ يُنظَرُ في وجهِهِ كما يُنظَرُ في المِرآة الصَّقيلة[5] .

ساقُ عبد الله بن عَتيك رضيَ اللهُ عنهُ

ومسحَ ﷺ علىٰ ساقِ عبد الله بنِ عَتيكٍ لَمّا ٱنكسرتْ عندَ قتلِ أَبي رافعٍ فقامَ وما بِهِ قَلَبَةٌ[6] .

---

(١) درهم **قَفلة** : درهمٌ وازِنٌ .

(٢) الشِّفا ، ج١/ ٦٤٢ . **العونَ** : للمبالغة ، أَي بمعنىٰ المُعين أَو المُعان والمُستعان .

(٣) الشِّفا ، ج١/ ٦٤٤ . **أَوكاهُ** : ربطه بيده ، وهو خيطٌ يُشَدُّ به الوعاء .

(٤) الشِّفا ، ج١/ ٦٤٥ . **سلتَ** : مسح ما علىٰ وجهه من الدَّم . **الغُرَّةُ** : بياضٌ منتشرٌ طولاً وعرضاً في الوجه .

(٥) الشِّفا ، ج١/ ٦٤٦ . والرَّجل هوَ : قَتادةُ بنُ مِلحان .

(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨١٣) . **القَلَبَةُ** : الإِصابة .

وأخذَ [ﷺ] المِعْوَلَ فضربَ به الكُدْيَةَ الَّتي ٱعترضت لَهُم في حَفْرِ الخَندَق ، وقالَ : « بٱسمِ اللهِ » ، فٱنهالَتْ[(١)] .

أمر الكُدْيَة

ومسحَ ﷺ علىٰ غيرِ واحدٍ مِنَ المرضىٰ والمجانين ، فشفاهُمُ اللهُ تعالىٰ .

وأَخذَ يومَ (بَدْرٍ) ويومَ (حُنينٍ) قبضةً مِنْ تُرابٍ ، ورمىٰ بها في وجوهِ الكفّار ، فما بقيَ منهُم أَحدٌ إِلاّ ودخلَ في عينه منها القَذىٰ ، وٱنهزموا[(٢)] .

يوم حُنينٍ

وكانتْ شعراتٌ مِنْ شَعْرِهِ ﷺ في قُلنسَوَةِ خالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُ ، فلَمْ يَشهَدْ بها قِتالاً إِلاّ رُزِقَ النَّصرَ ، فسقطَتْ منهُ في بعضِ المعارك ، فشدَّ عليها شَدَّةً وقعَ بسببها مقتلةٌ عظيمةٌ مِنَ الفريقين ، فعُوتِبَ في ذٰلك ، فقالَ / : خِفْتُ أَنْ يَفوتَني النَّصرُ ، وأَنْ تقعَ في أَيدي الكفّار ، وفيها جُزءٌ مِنْ أَجزاءِ رسولِ الله ﷺ[(٣)] .

خالدٌ وشعرةُ النَّبيّ ﷺ

[ق٦٧]

ولا يَخفىٰ أَنَّ هٰذا النَّوع أَكثرُ مِنْ أَن يُحصر .

وأَمّا النَّوع التّاسع : وهوَ ما أَخبرَ بهِ ﷺ مِنَ المُغيَّبات ، ممّا كانَ ، وممّا هوَ آتٍ ، فمِنْ ذٰلك ما هوَ في كتابِ الله تعالىٰ ، أَو سُنَّتِهِ ﷺ .

ما أَطْلعَ عليه ﷺ من الغيوب وما سيكون

أَمّا ما أَخبرَ بِهِ مِنَ المُغيَّبات في كتابِ الله تعالىٰ ، وهوَ مِنْ جُملة وجوهِ الإِعجاز .

---

(١) أَخرجه أَحمد ، برقم (١٣٧٩٩) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهما. **الكُدْيَةُ** : الأَرض الغليظة أَو الصُّلبة الَّتي لا تَعمل فيها الفأس ، أَو الحجرُ الكبيرُ القاسي .

(٢) أَخرجه أَحمد ، برقم (٣٤٧٥) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) الشِّفا ، ج١/٦٣٧ . **القلنسوةُ** : لباسٌ للرأس مختلف الأَنواع والأَشكال .

[فمِنْ] ذٰلك : إخبارُهُ بعجزِ الإنسِ والجنِّ عن : ﴿ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/٨٨] ، ثمَّ إخبارهُمْ بأَنَّهُمْ لن يَفعلوا ، بقولِهِ [تعالىٰ] : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٤] .

وإخبارُهُ : أَنَّه مَحفوظٌ مِنَ التَّبديل والتَّحريف ، بقولِه [تعالىٰ] : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر ١٥/٩] ، معَ كثرَةِ الملاحِدَةِ وأَعداء الدِّين ، فلَم يَقْدِرْ أَحدٌ علىٰ تشكيك المُسلمينَ بحمدِ الله تعالىٰ في حرفٍ واحدٍ مِنْ حُروفه ، بخلافِ التَّوراة والإنجيل وغيرِهما ، لأَنَّ اللهَ تعالىٰ تولّىٰ حِفظَ القُرآن بنفسه ، وَوَكلَ حِفظَ غيرِهِ مِنْ كُتبه إلىٰ أَهلها ، بقولِه [تعالىٰ] : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المائدة ٥/٤٤] ، بل : ﴿ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٧٥] .

ومِنْ ذٰلك : وقوعُ ما وعدَهُ اللهُ فيه ؛ مِنْ قولِه تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة المائدة ٥/٦٧] .

وقولِه تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ٨/٧] .

وقولِه تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [سورة التوبة ٩/٣٣] .

وقولِه تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [سورة النور ٢٤/ ٥٥] .

وقوله تعالىٰ: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ [سورة الفتح ٤٨/ ٢٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ [سورة القمر ٥٤/ ٤٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ [سورة النَّصر ١١٠/ ١-٢]. [ق٦٨]

فوقعَ جميعُ ذٰلِكَ، وَنصرَ اللهُ عبدَهُ، وصدَقَ وعدَهُ، وأَعزَّ جُندَهُ، وهزمَ الأَحزابَ وحدَهُ.

هٰذا معَ ماكَشَفَ فيه مِنْ أَسرارِ المُنافقينَ وإِضمارِ المُعاندينَ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ [سورة المُجادلة ٥٨/ ٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٩٤].

وَأَمّا ما أَخْبرَ به ﷺ مِنَ المغيَّبات في سُنَّتِهِ:

فمِنْ ذٰلك: ما هوَ في «الصَّحيحين»، أَو في أَحدِهما، أَو في غيرِهما، صحيحاً وحَسَناً.

جمعُ الأَرضِ لَهُ ﷺ

[فمنها] قولُه ﷺ: «زُويَتْ لِيَ الأَرْضُ -أَي: جُمعت في زاويةٍ- فأُريتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتي ما زُوِيَ لي مِنْها»(١).

لا يدخلُ المدينةَ من أَرادَها بسوءٍ ولا الدّجالُ ولا الطّاعونُ

وإِخبارُهُ ﷺ أَنَّ الطَّاعونَ لا يَدْخُلُ (المدينةَ)، ولا يَدْخُلُها رُعْبُ

---

(١) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٨٨٩/ ١٩). عن ثوبان رضيَ اللهُ عنهُ.

الدَّجال ، وأَنَّها لا يُريدها أَحَدٌ بِسوءٍ إِلاّ أَذابَهُ اللهُ ذوبَ المِلحِ في الماءِ[١] .

ظهورُ الأَمن والفُتوح

وإِخبارُهُ ﷺ بفتحِ (بيتِ المَقْدِس والشّامِ والعراقِ) ، وظهورِ الأَمنِ ، حتّىٰ تظعنَ المرأةُ مِنَ (الحِيرةِ[٢] إِلىٰ مكَّة) لا تخافُ إِلاّ الله[٣] .

ذهابُ دولةِ الفُرس والرّوم

وإِخبارُهُ ﷺ بذهابِ فارسَ حتّىٰ لا فارسَ بعدَهُ ، وذهاب قيصرَ حتّىٰ لا قيصرَ بعدَهُ ، وإِنَّ الرّومَ ذاتُ قرونٍ إِلىٰ آخرِ الدَّهرِ[٤] .

فتحُ الله علىٰ الأُمَّة

وإِخبارُهُ ﷺ بما يَفتحُهُ اللهُ علىٰ أُمَّته مِنَ الدُّنيا وزَهرتها ، وقسمَتِهِم كنوزَ كسرىٰ وقيصرَ ، حتّىٰ يروحَ أَحدهُمُ في حُلَّةٍ ، ويغدو في حُلَّةٍ أُخرىٰ ، ويوضعُ بين يديه قصعةٌ وترفعَ أُخرىٰ[٥] .

ٱختلافُ الأُمَّة مِنْ بعدِهِ وٱفتراقهم

وإِخبارُهُ ﷺ بما يَحدُثُ بينَهُم مِنَ الاختلاف والفِتَن ، وٱفتراقهِمْ علىٰ ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً ، وسلوكِ سبيل مَنْ قبلَهُم مِنْ أَهل الكِتاب[٦] .

ٱستحلالُ الزِّنا والرِّبا وشُرب الخمر

وإِخبارُهُ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ إِذا فشا فيهم الزِّنا والرِّبا وشربُ الخَمر رَدَّ اللهُ بأْسَهُم بينَهُم / [ق٦٩] ، وسلَّطَ عليهم أَعداءَهُم[٧] .

---

(١) أَخرجه أَحمد ، برقم (١٥٩٦) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) تبعد ثلاثة أميال عن الكوفة ، علىٰ موضعٍ يقالُ له : النَّجف . (الزَّهر المعطار ، ص٢٠٧)

(٣) الشِّفا ، ج١/ ٦٥١ . وأَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٠٠) . عن عدي بن حاتمٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، بنحوه .

(٤) الشِّفا ، ج١/ ٦٥٢_٦٥٣ . **القُرون** : جمع قرن ؛ وهم الجماعةُ في عصرٍ واحدٍ ، أَي : كلَّما مضىٰ قرنٌ خلفه قرنٌ مكانه .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٤٧٦) . عن عَلِيِّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٦٤٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٧) أَخرجه مالك في «الموطّأ» ، رقم (٩٩٨) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما بنحوه .

الفتنُ في آخرِ الزّمان

وإخبارُهُ ﷺ بظهورِ الفِتَنِ في آخِرِ الزَّمانِ ، وكثرَةِ الهَرجِ ـ وهوَ القتلُ ـ وقَبْضِ العِلم ، وظهورِ الجَهل ، وموتِ الأَمثل فالأَمثل ، وأَنَّهُ لا يأتي زمانٌ إلاّ والَّذي بعدَهُ شرٌّ منْهُ ، وأَنَّهُ سيَكونُ في أُمَّتِهِ دَجّالونَ ، كلُّهُم يَكذِبونَ علىٰ الله ورسولِهِ ، آخِرُهُم المَسيحُ الدَّجّالُ .

وإخبارُهُ ﷺ بأَنَّهُ لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظاهرينَ علىٰ الحقِّ ، قاهرينَ لعدوِّهِم ، حتّىٰ يأتيَ أَمرُ الله[1] .

وبخروجِ المَهديّ ، ونزولِ عيسىٰ ٱبنِ مريَمَ عليه السَّلامُ .

إلىٰ ما لا يُحصىٰ ولا يُستقصىٰ .

حتّىٰ قالَ حُذيفةُ بنُ اليَمانِ رضيَ اللهُ عنهُ : قامَ فينا رسولُ الله ﷺ مقاماً فما تركَ شيئاً يَكونُ إلىٰ قيام السّاعَةِ إلاّ حدَّثَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنسيَهُ مَنْ نَسيَهُ ، وإنَّهُ يَكونُ منْهُ الشّيءُ قد نسيتُهُ فأَراهُ فأَذكُرُهُ كما يَذكُرُ الرَّجلُ وجهَ الرَّجُلِ إذا غابَ عنهُ ، ثمَّ إذا رآهُ عَرَفَهُ . متّفَقٌ عليه[2] .

وفي حديثٍ آخَرَ عنْهُ ، قالَ : واللهِ ، ما تركَ رسولُ الله ﷺ مِنْ قائدِ فِتْنَةٍ إلىٰ أَن تَنقضيَ الدُّنيا ، إلاّ قد سمّاهُ لنا بٱسمِهِ وٱسمِ أَبيه وقبيلتِهِ[3] .

وقالَ أَبو ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : لقدْ تركنا رسولُ الله ﷺ وما

---

(١) أَخرجه البخاري ، برقم (٦٦٠٤) ، ومُسلم ، برقم (١٩٢٥/ ١٧٧) . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٨٩١/ ٢٣) .

(٣) أَخرجه أَبو داوود، برقم (٤٢٤٣) . عن حُذيفة بن اليمان رضيَ اللهُ عنهُ .

يُحَرِّكُ طائرٌ جَناحيهِ في السَّماءِ إلاّ ذكَّرَنا منْهُ عِلماً . قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة فُصِّلَتْ ٤١/٥٣] .

نزولُ عيسىٰ ٱبنُ مريمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فيكُمْ ٱبْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرَ الصَّليبَ ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ ـ أَي : فلا يَقبلُ مِنْ أَهلها إلاّ الإسلامَ ـ ، وَيَفيضَ المالُ حَتّىٰ لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، وحَتّىٰ تَكونَ السَّجْدَةُ الواحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنيا ومَا فيها »(١) .

ثمَّ يقولُ أَبو هُريرةَ : اِقرؤوا إنْ شِئْتُم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/١٥٩] .

[ق٧٠] وفي « مسند / الإمام أَحمد » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « يَخْرُجُ الدَّجّالُ ، فَيَنزِلُ عيسىٰ فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يَمْكُثُ عيسىٰ أَرْبَعينَ سَنَةً إماماً عادِلاً وَحَكَماً مُقْسِطاً »(٢) .

ووردَ من طُرُقٍ كثيرةٍ أَنَّ المهديَّ يَخرُجُ قبل الدّجّال بسبعِ سنين ، ويخرُجُ الدَّجّالُ علىٰ رأس مئةِ سنةٍ ـ أَي : رأس قرنٍ ـ

لٰكنَّ التَّحقيقَ : أَنَّ قرون هٰذه الأُمَّة ٱبتداؤها من مولد نبيّها كأَلف نوحٍ ، وبينَ مولده وهجرته ثلاثٌ وخمسونَ سنةً ، فيكونُ تمامُ الأَلف لسبعٍ وأَربعينَ سنةً بعد تسعِ مئةٍ من هجرته ﷺ ، وعند ذٰلك يتوقَّعُ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٢٦٤) . ومُسلم برقم (١٥٥/ ٢٤٢) .
(٢) أَخرجه أَحمد ، برقم (٢٣٩٤٦) .

خروج الدَّجّال إن كان . واللهُ أَعلمُ[1] .

في إعجاز القرآن

وأمّا النَّوع العاشر منهُ : وهوَ المُعجزةُ العُظمىٰ ، والآيةُ الكُبرىٰ ، معجزةُ القرآنِ العظيم ، المُستمرَّة إلىٰ آخر الدَّهر ، المُشتملة علىٰ وجوهٍ مِنَ الإعجاز .

فمنها : البلاغةُ الَّتي أَعجزَ بها الجنَّ والإنسَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/٨٨] .

قال القاضي عِياض ـ رحمَهُ الله تعالىٰ ـ : (ووجهُ إعجازه بحُسنِ نظمِهِ ، وفصاحَةِ كَلِمه الخارقَةِ عادةَ العربِ العَرْباء ، وهُم القومُ اللُّدُّ الفُصحاء ، لأَنَّهُم كانوا أَربابَ هٰذا الشّأن ، وفُرسانَ هٰذا المَيدان ، جعلَ اللهُ البلاغةَ لهم طبْعاً وخِلْقَةً ، وركَّبها فيهم جِبلَّةً وقوَّةً ، يأتونَ من ذٰلك علىٰ البديهة بالعَجب ، ويَرتجلون في المَحافل القصائدَ والخُطبَ ، ويَرْتَجِزونَ به في الحربِ ، بين الطَّعن والضَّرب ، فيَرفعونَ مَنْ مَدحوهُ ، ويَضعونَ مَنْ قَدحوهُ ، ويَجعلونَ النّاقصَ كاملاً ، والنَّبيهَ خاملاً ، ويَتغزَّلونَ فيأتون بالسّحر الحلال ، ويَتمثَّلونَ بما يُزري علىٰ عِقد اللآل[2] ، ويَخدعونَ الأَلباب إِنْ سألوا ، ويُذلِّلونَ الصِّعَاب إِنْ شَفَعوا ، لهُم في فنون البلاغة الحُجَّةُ البالغةُ ، والقوَّةُ الدّامغةُ ، لا يَشُكّونَ أَنَّ الكلامَ طوعُ مُرادِهم / ، وأَنَّ البلاغةَ مِلْكُ قِيادِهم ، قد حَوَوْا فنونَها ، وٱستنبَطوا عيونَها ، ودخلوا فيها مِنْ كلِّ بابٍ ، وتمسَّكوا فيها بأَوثق الأَسباب ، فما راعَهُم إلاّ رسولٌ كريمٌ ، قد جاءَهم بكتابٍ حكيمٍ : ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ [ق٧١]

(١) **قلتُ** : لم يصحّ شيءٌ من هٰذا التّأويل . واللهُ أَعلم .
(٢) **عقد اللآل** : اللآلئ .

﴿ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [سورة فصّلت ٤١/٤٢] ، قد أُحْكِمَتْ آياتُهُ ، وفُصِّلَت كلِماتُهُ ، وبَهَرتْ بلاغتُهُ العقولَ ، وظهرَت فصاحتُهُ علىٰ كلِّ مَقولٍ ، صارخاً بهم في كلِّ حينٍ ، ومقرِّعاً لهُم علىٰ مرِّ السِّنين ، قائلاً لهُم : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٣] .

ولَمْ يَزلْ يُقَرِّعُهُم به أَشدَّ التَّقريع ، ويوَبِّخُهُم بهِ غايةَ التَّوبيخ ، ويُسفِّهُ أَحلامَهُم ، ويَحُطُّ أَعلامَهُم ، وهُم في كلِّ ذٰلكَ ناكصونَ عن معارضتِهِ ، معترفونَ بالعجز عن مُماثلَته ، حتّىٰ أَعرضوا عن المُعارضةِ بالحروف ، إلىٰ المقارعة بالسُّيوف ، وقالوا علىٰ سبيل المُباهَتة[1] والرِّضىٰ بالدَّنيَّة : ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ﴾ [سورة فصّلت ٤١/٥] ، و : ﴿ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [سورة فصّلت ٤١/٢٦] .

ولمّا سَمِعَ الوليدُ بنُ المُغيرةِ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النَّحل ١٦/٩٠] ، قالَ : والله ، إنّ لَهُ لَحَلاوةً ، وإنَّ عليه لَطَلاوة[2] ، وإِنَّ أَسفلَهُ لَمُغْدِقٌ[3] ، وإِنَّ أَعلاه لمورِقٌ ، وما يقولُ هٰذا بشَرٌ)[4] .

---

(١) **المباهتةُ** : القذف بالباطل .

(٢) **الطَّلاوةُ** : الرَّونق والحُسن الفائق .

(٣) **المغدقُ** : كثير الماء .

(٤) الشِّفا ، ج١/ ٥٠٠ـ٥٠٧ . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .

فٱعترفَ بعجز البشر عن معارضتِه ، وقصورِهِم عن مُماثلته ، وأَصرَّ مع ذٰلك علىٰ العِناد ، وأَضلَّهُ اللهُ سبيلَ الرَّشاد ، وكان يَقولُ لقُريشٍ إِذا قالوا للنَّبيِّ ﷺ إِنَّه كاهنٌ ، أَو شاعرٌ ، أَو ساحرٌ : والله ، ما أَنتم بعاقلين مِنْ هٰذا شيئاً . إلاّ وأَنا أَعلمُ أَنَّهُ لباطلٌ ، ولقدْ سمِعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثلَهُ ، ولا يقولُهُ بَشرٌ .

إِخبارُ القُرآن عن القرون السّالفَة

ومِنْ وجوهِ إِعجازِهِ ما أَنبأَ بهِ مِنْ أَخبارِ القرونِ السّالفةِ ، والأُمَمِ الخالية ، ممّا كانَ لا يَعْلَمُ منْهُ / القصَّةَ الواحدةَ إِلاّ الفذُّ مِنْ أَحبار أَهل [ق٧٢] الكتاب ، وقد عَلِموا أَنَّهُ ﷺ أُمّيٌّ ، لا يقرأُ ولا يكتُبُ ، حتّىٰ كان علماءُ أَهل الكتاب يسأَلونَهُ عن كثيرٍ ممّا يَختلفونَ فيه ، فيوردُهُ لهُم علىٰ وجهه ، ويأتي به علىٰ نَصِّهِ ، فيَعترِفُ العالِمُ منهُم بذٰلك لَهُ بصدقِهِ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة النّمل ٢٧/ ٧٦] .

إِعجازُ النَّظم والأُسلوب

ويَقطعُ الموافِقُ والمُخالِفُ أَنَّهُ لَمْ ينل ذٰلك بتعليمٍ ، وإِنَّما هو بإِعلام العزيز العليم ، حتّىٰ لَمْ يَقْدِر أَحدٌ مِنَ أَحبارِ اليهودِ معَ شدَّةِ عداوتِهم لَهُ علىٰ تكذيبه فيما سأَلوهُ عنهُ مِنْ قصَّة يوسُفَ وإِخوته ، وذي القَرنين ، وموسىٰ والخَضِر ، ولُقمانَ وٱبنه ، وأَصحاب الكَهْف ، مع أَنَّ أَقربَ قصَّةٍ كانت بينَهُ وبينَ عيسىٰ عليه السَّلامُ ؛ قصَّةُ أَصحابِ الكهفِ ، وكانَ أَهلُ الكتاب فيها ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، وقالَ : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/ ٢٢] .

فٱعترفوا له بالصِّدقِ ، وأَقرّوا لَهُ بالحقِّ ، فإذا كانَ هٰذا شأنَهُم في أَقربِ القَصص إِلىٰ عصرِهِم ، فما ظَنُّكَ بقصَّة آدمَ وإِبليسَ ، وٱبنَيْ آدمَ ، وإدريسَ ، ونوحٍ وأَصحابِ السَّفينة ، وعادٍ وثمودَ ، وإِبراهيمَ وإِسماعيلَ ، وإِسحاقَ ويعقوبَ . وغيرِهِم ممَّن لا يَعلَمُهُم إلاّ اللهُ ؟

وكانوا إِذا نازعوهُ في شيءٍ ممّا أَخبرَهُم به ـ كحُكم الرَّجْم ، وما حَرَّمَ إِسرائيلُ علىٰ نفسه ـ ٱحتجَّ عليهم بأَنَّهُم يَجدونَهُ مَكتوباً عندَهُم في التَّوراة والإِنجيل ، وقالَ : ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٩٣ـ٩٤] ، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٨٩] .

وما أَحسن قول صاحب البُردة ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ [مِنَ البسيط][1] :

دَعْنـي وَوَصْفـيَ آيـاتٍ لَـهُ ظَهَـرَتْ
ظُهورَ نارِ ٱلقِرىٰ لَيلاً عَلىٰ عَلَمِ[2]

[ق٧٧] / فـالـدُّرُّ يَـزْدادُ حُسْناً وَهُـوَ مُنْتَظِـمٌ
وَلَيْـسَ يَنْقُـصُ قَـدْراً غَيْـرَ مُنْتَظِـمِ[3]

فَمـا تَطـاوَلُ آمـالُ ٱلْمَـديـحِ إِلـىٰ
ما فيهِ مِنْ كَرَمِ ٱلأَخْلاقِ والشِّيَمِ[4]

---

(١) البردة ، ص٢٦ - ٢٩ . في شرف القرآن ومدحه .
(٢) **آياتٌ** : مُعجزاتٌ . **نار القِرىٰ** : النّار الَّتي كانت توقد للضيافة . **العَلَم** : الجبل .
(٣) **مُنتَظِمٌ** : مرتَّبٌ ومنسَّقٌ في العقد .
(٤) **الشِّيَم** : الغريزة والطبيعة والجِبلَّة ، وهيَ الَّتي خُلِقَ الإِنسان عليها .

آياتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحمٰنِ مُحدَثَةٌ
قَديمَةٌ صِفَةُ ٱلمَوصوفِ بِٱلقِدَمِ[1]

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمانٍ وَهيَ تُخْبِرُنا
عَنِ ٱلمَعادِ وَعَنْ عادٍ وَعَنْ إِرَمِ[2]

دامَتْ لَدَيْنا فَفاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ
مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ[3]

مُحَكَّماتٌ فَما تُبقينَ مِنْ شُبَهٍ
لذي شِقاقٍ وَما تَبْغينَ مِنْ حَكَمِ[4]

ما حُورِبَتْ قَطُّ إِلاّ عادَ مِنْ حَرَبٍ
أَعْدىٰ ٱلأَعادي إِليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعوىٰ مُعارِضِها
رَدَّ ٱلغَيُورِ يَدَ ٱلجاني عَنِ ٱلحُرَمِ[5]

لها مَعانٍ كَمَوْجِ ٱلبَحْرِ في مَدَدٍ
وفَوقَ جَوْهَرِهِ في ٱلحُسْنِ وَٱلقِيَمِ

---

(١) **مُحْدَثَةٌ** : حديثة النُّزول عليه ﷺ . **قديمةٌ** : قديمة الوجود ، بقِدَمِ الله تعالىٰ ، لأنَّ الصِّفة تتبع الموصوف .

(٢) **عادٍ وإرم** : من الأَقوام الَّتي أَهلكها الله تعالىٰ . وهم قوم هود عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ .

(٣) تتميَّز معجزة القرآن عن كلِّ المعجزات الَّتي جاءت بها الرُّسل السّابقين ببقائها إلىٰ يوم القيامة ، بخلاف معجزاتهم الَّتي لم تَدُم .

(٤) **مُحكَّماتٌ** : متقناتٌ وبيّناتٌ ليس فيهنَّ شكٌّ . **شُبَه** : لم يبقَ لمن تتبَّعها مجالٌ للشُّبهة في توجيهاتها وأَحكامها .

(٥) إذ تحدّىٰ الله فصحاء العرب وبلغاءهم أَن يأتوا بمثل هٰذا القرآن ، أَو بمثل سورة منه . أَو بمثل آية .

فَمَـا تُعَـدُّ وَلا تُحْصـىٰ عَجـائِبُهـا
ولا تُسـامُ عَلـىٰ ٱلإكْثـارِ بـالسَّأَمِ[١]
قَـرَّتْ بِهـا عَيْـنُ قـارِيهـا فقُلْـتُ لَـهُ
لَقَـدْ ظَفِـرْتَ بِحَبْـلِ ٱللهِ فـٱعْتَصِـمِ
إنْ تَتْلُهَـا خِيفَـةً مِـنْ حَـرِّ نـارِ لَظـىٰ
أَطفَأْتَ حَرَّ لَظىٰ مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ[٢]
كأَنَّها ٱلحَوضُ تَبْيَضُّ ٱلوجوهُ بِهِ
مِـنَ ٱلعُصاةِ وَقَـدْ جـاؤوهُ كـٱلحُمَـمِ
وَكـالصِّـراطِ وَكـٱلميـزانِ مَعْـدِلَـةً
فٱلقِسْطُ مِنْ غَيْرِها في النّاسِ لَمْ يَقُمِ
لا تَعْجَبَـنْ لِحَسـودٍ راحَ يُنْكِـرُهـا
تَجاهُلاً وَهُوَ عَيْنُ ٱلحاذِقَ ٱلفَهِمِ[٣]
قَدْ تُنْكِرُ ٱلعينُ ضَوْءَ الشَّمسِ مِنْ رَمَدٍ
وَيُنْكِرُ ٱلفَمُ طَعْمَ ٱلماءِ مِنْ سَقَمِ[٤]

---

(١) **تُسامُ بالسّأم** : تصاب بالملل لكثرة قراءتها .

(٢) **نار لَظىٰ** : نار جهنَّم . **الشَّبِمُ** : البارد .

(٣) **الحاذِقُ** : العارفُ الخبير . وهو عُتبة بن ربيعة ، الَّذي جادلَ النَّبيَّ ﷺ فأَسمعَهُ مِنْ آيات القرآن ، فعاد إلىٰ قومه وقال : والله يا قوم ، ما هوَ بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة ؛ إنَّ أَعلاهُ لمثمرٌ ، وإنَّ أَدناهُ لمُغْدِقٌ ، وإنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وما هو بقول بشرٍ .

(٤) **الرَّمدُ** : مرض يُصيب العين يتأذّىٰ مِنَ الضَّوء . **السَّقَمُ** : المرض .

الْبَابُ السَّابِعُ

فِي بعضِ سِيرَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ممَّا لاقاهُ مِنْ حِينِ بعثَهُ اللهُ إلى أنْ هاجرَ إلى اللهِ تعالى

الفترةُ بينَ عيسىٰ ومحمَّد عليهما الصَّلاةُ والسَّلام

رَوىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، عن سلمانَ الفارسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : فترةٌ بينَ عيسىٰ ومُحمَّدٍ عليهما السَّلامُ سِتُّ مئةِ سنةٍ(١) .

زمنُ الرِّسالة

قالَ علماءُ السِّيَرِ : وكانت رسالتُهُ ﷺ علىٰ رأس الأَربعينَ مِنْ مولِده .

قصَّةُ بدءِ الوحي

ففي « صحيح البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن محمَّدِ بنِ شِهابٍ الزُّهريِّ ، عن عُروةَ بنِ الزُّبير / ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها ، [ق٧٨] قالتْ : أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ مِنَ الوحي : الرُّؤيا الصّالِحَةُ في النَّوم ، فكانَ لا يَرىٰ رؤيا إلاّ جاءَتْ مِثلَ فَلَقِ الصُّبح ، ثمَّ حُبِّبَ إليه الخلاءُ ، وكان يَخلو بغارِ (حراءٍ) ، فَيَتَحَنَّثُ فيه ـ (أي : بحاء مهملةٍ ثمَّ نونٍ ثمَّ مُثلَّثةٍ ، قالَ الزُّهريُّ : وهوَ التَّعبُّدُ) ـ اللَّياليَ ذَواتِ العددِ قبلَ أَنْ يَرجعَ إلىٰ أَهله ، ويَتزوَّدَ لذٰلكَ ، ثمَّ يَرجعُ إلىٰ خديجةَ رضيَ اللهُ عنها فيتزوَّدُ لمثلِها ، حتّىٰ جاءَهُ الحقُّ وهوَ في غار (حراءٍ) ، فجاءَهُ المَلَكُ فقالَ : اقرأ ، قالَ : « ما أَنا بِقارِئ » ، قالَ : « فأَخذني فَغَطَّني ـ أَي : حبسَ نَفَسي ـ حتَّىٰ بلغَ منّي الجَهْدَ ـ أَي : المَشقَّة ـ ثمَّ أَرسلَني » ، فقالَ : اقرأ ، قلتُ : « ما أَنا

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٣٢) . الفترة : هيَ المدَّة الَّتي لا يبعث فيها رسول من الله تعالىٰ .

بِقارِئ ، فأَخذني وغطَّني الثّانية حتّىٰ بلغَ منّي الجَهْدَ ، ثمَّ أَرسلني » ، فقالَ : اقرأ ، فقلتُ : « ما أَنا بِقارئ ، فأَخذني فغطَّني الثّالثة حتّىٰ بلغَ منّي الجَهْدَ ، ثمَّ أَرسلني » ، فقالَ : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ [سورة العَلق ٩٦/ ١-٣] ، فرَجَعَ بِها رسولُ اللهِ ﷺ يَرجُفُ فؤادُهُ[١] ، فدخلَ علىٰ خديجةَ ، فقالَ : « زَمِّلوني زَمِّلوني » - أَي : غَطّوني - فزمَّلوهُ حتّىٰ ذهبَ منهُ الرَّوعُ - أَي : الفَزَعُ - فقالَ لخديجةَ وأَخبرها الخبرَ : « أَي خديجةُ ؛ لَقَدْ خَشيتُ عَلىٰ نَفْسي »[٢] ، فقالتْ خديجةُ : كلاّ واللهِ ما يُخزيكَ اللهُ أَبداً - أَي : لا يُهينُكَ بل يُكرِمُكَ - ، إِنَّكَ لَتصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ - أَي : المُنقطعَ - ، وتَكْسِبُ المعدومَ - أَي : تُعطي الشَّيءَ مع قِلَّتِه وفَقْدِهِ - ، وتَقري الضَّيفَ - أَي : تُطعِمُهُ الطَّعامَ - ، وتُعينُ علىٰ نوائب الحقِّ - أَي : الحوادث المحمودة -[٣] .

تحقُّقُ خديجةَ رضيَ اللهُ عنها مِنَ الوحي

فٱنطلقتْ به خديجةُ حتّىٰ أَتتْ به وَرَقَةَ بنَ نَوفَلِ بنِ أَسدِ بنِ عبدِ العُزّىٰ ، ٱبنِ عمِّ خديجةَ ، وكانَ ٱمرأً - أَي : رجُلاً - قد تَنَصَّرَ في الجاهليّة ، وكانَ يَكتُبُ الكتابَ [العربي] ، فيَكْتُبُ مِنَ الإِنجيل

---

(١) **يرجفُ فؤادهُ** : يضطرب من الخوف .

(٢) أَي : المرض أَو الموت من شدَّة الضَّغطِ والضَّم . وقد كانَ ذٰلك قبلَ أَن يحصلَ لَهُ العلم الضَّروريُّ بأَنَّ الَّذي جاءهُ مَلَكٌ مِنَ الله . ولا يصحُّ تفسير الخشية هنا بغير هٰذا . (انظر السّيرة النَّبويَّة ، لأَبي شهبة ، ج١/ ٢٦٢) .

(٣) **قلتُ** : وفي ذكر هٰذه الأوصاف ما يدلُّ علىٰ كمال خُلُق النَّبيِّ في الجاهليّة ، وأَنَّ صنائع المعروف تقي مصارع السّوء ، كما يدلُّ علىٰ كمال عقل السَّيِّدة خديجةَ ، ووفور شفقتها ، ومحبَّتها للنَّبيِّ ﷺ . (ٱنظر السّيرة النَّبويَّة ، لأَبي شهبة ، ج١/ ٢٦٣) .

[بالعربيَّة] ما شاءَ اللهُ أَنْ يَكتُبَ ، وكانَ / شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، [ق٧٩]
فقالتْ لَهُ خديجةُ : يا بْنَ عمٍّ ، ٱسمَع مِنِ ٱبنِ أَخيكَ ، فقالَ لَهُ
وَرَقَةُ : يا بْنَ أَخي ماذا ترىٰ ؟ فأَخبرهُ النَّبيُّ ﷺ خبرَ ما رأىٰ ، فقالَ لَهُ
وَرَقَةُ : هٰذا هوَ النّاموسُ الأَكبرُ الَّذي نزَّلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ موسىٰ[1] ،
يا ليتَني فيها جَذَعاً[2] ، ليتَني أَكونُ حيّاً إِذ يُخْرِجُكَ قومُكَ ، فقالَ
رسولُ الله ﷺ : « أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ ؟» قالَ : نعم ، لَمْ يأتِ رجلٌ قطُّ
بمثلِ ما جئتَ به إِلاّ عُودِيَ ، وإِنْ يُدْرِكْني يومُكَ أَنصُرْكَ نصراً مؤزَّراً
ـ أَي : مُعاناً ـ .

ثمَّ لَمْ يَنشَبْ وَرَقَةُ ـ أَي : لَمْ يلبَث ـ أَنْ توفِّيَ ، وفَتَرَ الوحيُ[3] .

(حتّىٰ حَزِنَ النَّبيُّ ﷺ [فيما بَلَغَنا] حُزناً شديداً ، غدا منْهُ يَتردّىٰ
مِنْ رؤوسِ الجبالِ ، فكلَّما أَرادَ أَنْ يُلقيَ نفسَهُ تبدَّىٰ لَهُ جبريلُ ،
وقالَ : يا محمَّدُ ، إِنَّكَ رسولُ الله حقّاً)[4] .

---

(١) **النّاموسُ** : رسول الخير ، والمُرادُ به : جبريلُ عليه السَّلامُ . وخصَّ موسىٰ لأَنَّ شريعتهُ كانت أَعمّ وأَوفىٰ من شريعة عيسىٰ عليهُما السَّلامُ .

(٢) **الجَذَعُ** : الشّاب الحَدَثُ القويُّ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٥٨١) . ومُسلم برقم (١٦٠/ ٢٥٢) .

(٤) ما بين قوسين زيادةٌ ليست علىٰ شرط الصَّحيح ، لأَنَّها من بلاغات الزُّهريّ . وقد ذكرها البُخاريُّ ليُنبِّهَنا إِلىٰ مخالفتها لِما صحَّ عندهُ من حديث بدء الوحي ، الَّذي لم تُذْكَر فيه هٰذه الزّيادة ، وهي من قبيل المنقطع ، والمنقطع من أَنواع الضَّعيف . (فتح الباري ، ج١٦/ ١٢) .
قلتُ : إِنَّ ما ٱشتُهِرَ من سيرته ﷺ يردُّ ذٰلكَ ، فقد حدثَ لَهُ أَثناء دعوته النّاسَ أَشدُّ وأَقسىٰ من هٰذه الحالة ، ولم يُفكِّر رسولُ اللهُ ﷺ بالانتحار ، بأَن يلقي نفسه من شاهق جبلٍ . وسنرىٰ فيما يأتي من الكتاب أَنَّهُ لمّا=

فترةُ الوحي وما نزل مِنَ القُرآن بعدَ ذٰلك

قالَ ٱبنُ شِهابٍ : وأَخبرني أَبو سَلَمةَ بنُ عبد الرَّحمٰن بنِ عَوفٍ ، أَنَّ جابرَ بنَ عبد الله ـ رضيَ اللهُ عنهُما ـ أَخبرَهُ أَنَّه سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يُحدِّثُ عن فَترة الوحي ، قالَ : « ثُمَّ فَترَ الوحيُ عنّي فترةً ، فبَيْنَما أَنا أَمْشي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّماءِ ، فَرَفَعْتُ بَصَري قِبلَ السَّماءِ ـ أَي : في جِهتها ـ فإِذا المَلَكُ الَّذي جاءَني بـ (حِراءٍ) قاعدٌ علىٰ كُرْسيٍّ بين السَّماءِ والأَرْضِ ، فَرُعِبْتُ منهُ ـ أَي : فَزعتُ ـ حتّىٰ هَوَيْتُ إِلىٰ الأَرْضِ ـ أَي : سقطتُ ـ فَجِئْتُ أَهْلي ، فقلتُ : دَثِّروني دَثِّروني ، ـ أَي : غطّوني ـ فدثَّروني ، فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ * وَٱلرُّجۡزَ ﴾ ـ أَي : النَّجسَ ـ ﴿ فَٱهۡجُرۡ ﴾ ـ أَي : فٱترُك ـ[1] [سورة المُدَّثِّر ٧٤/ ١ـ٥] » .

شكوىٰ النَّبيّ ﷺ ونزول الضُّحىٰ

وفي روايةٍ : أَنَّه لمّا فترَ الوحيُ عنهُ ، قالت قُريشٌ : قَلاهُ ربُّهُ .

= عرضَ عليه عمُّهُ أَبو طالبٍ أَن يكفَّ عن قُريشٍ ، ويبقي عليه وعلىٰ نفسه ، قال قوله المشهور : « والله يا عمِّ ، لو وضعوا الشَّمس في يميني ، والقمر في يساري ، علىٰ أَن أَترُكَ هٰذا الأَمر حتّىٰ يُظهرهُ اللهُ أَو أَهلِكَ دونَهُ ، ما تركتهُ » . وليس أَدلّ علىٰ ضعف هٰذه الزّيادة من أَنَّ جبريل عليه السَّلامُ كانَ يقولُ لَهُ كلَّما أَشرف علىٰ ذروة جبلٍ : (يا محمَّدُ ، إِنَّكَ رسول الله حقّاً) ، وأَنَّهُ كرَّر ذٰلك مراراً . ولو صحَّ هٰذا لكانت مرَّة واحدة تكفي في تثبيت النَّبيِّ ﷺ وصرفه عمّا حدَّثته به نفسه كما زعموا . وقد ذهب جلّ العلماء وكُتّابُ السّير المحدِّثون إِلىٰ هٰذا ، بل ذهبَ بعضهم إِلىٰ أَنَّ مجرَّد سؤال ورقة إِنَّما هو من خديجةَ رضيَ اللهُ عنها ؛ لأَنَّ النَّبيِّ ﷺ يعلم أَنَّهُ سيكونُ رسولَ الله ، وأَنَّهُ أَجلّ من أَنْ يعرف نبوَّته ورسالته من حَبْر نصرانيٍّ ، أَو ممَّن قرأ كُتب النَّصارىٰ .

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٧١) .

فأنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلضُّحَىٰ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ إلىٰ آخرِ السّورة[1] .

حجبُ الشَّياطين عَن ٱستراقِ السَّمع عندَ مبعثه ﷺ

وفي « الصَّحيحين » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ ٱنطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ مِنْ أَصحابه ، عامدينَ إلىٰ سوقِ عُكاظٍ ، وقد حيلَ بينَ الشَّياطين وبينَ خبرِ السَّماء ، وأُرسلَتْ عليهِمُ الشُّهُبُ / ، فَرَجَعَتِ الشَّياطينُ ، فقالوا : ما لكُم ؟ قالوا : حيلَ بيننا وبينَ خَبَرِ السَّماءِ ، وأُرسِلَتْ علينا الشُّهُبُ ، فقالوا : ما حالَ بينكُم وبينَ خَبَرِ السَّماءِ إلاّ أَمرٌ حَدَثَ ، فٱضربوا مَشارِقَ الأَرضِ ومَغارِبَها ، فٱنطلقَ الَّذين توجَّهوا منهُم نحوَ (تِهامةَ) ، فإذا رسولُ الله ﷺ بـ(نَخْلَةَ)[2] ، يُصلّي بأَصحابه صلاةَ الفجرِ ، فلمّا سمِعوا القرآنَ عَجبوا لَهُ ، وقالوا : هٰذا الَّذي حالَ بينكُم وبينَ خَبَرِ السَّماءِ ، ورَجَعوا إلىٰ قومِهِم ، فقالوا : يا قومنا ، ﴿ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [سورة الجنّ ٧٢/ ١ـ٢] فأنزلَ اللهُ تعالىٰ علىٰ نبيّه : ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [سورة الجنّ ٧٢/ ١][3] .

[ق٨٠]

دعوةُ النَّبيِّ ﷺ قومَهُ إلىٰ الإسلام سِرّاً

ولَمّا بُعِثَ ﷺ أخفىٰ أَمرَهُ ، وجعلَ يدعو أَهلَ (مكَّةَ) ، ومَنْ أَتىٰ إليها سِرّاً ، فآمنَ به ناسٌ مِنْ ضُعفاء الرِّجال والنِّساء والمَوالي ، وهُم أَتباعُ الرُّسُلِ ؛ كما في حديث أَبي سُفيانَ عن هرقلَ ، فَلقُوا مِنَ المُشركينَ في ذاتِ الله تعالىٰ أَنواعَ الأَذىٰ ، فما ٱرتدَّ أَحدٌ منهُم عن دينه ، ولا ٱلتوىٰ ، ولذٰلكَ أَشارَ ﷺ بقولِهِ : « إِنَّ هٰذا الدّينَ

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٦٧) . عن جُندب بن سُفيان رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) موضعٌ بالحجاز قريبٌ من مكَّة فيه نخلٌ وكروم .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٣٩) . ومُسلم برقم (٤٤٩/ ١٤٩) .

بدأَ غريباً ، وسيعودُ غريباً كما بدأَ ، فطوبىٰ للغُرباء »[1] .

نعوذ بالله مِنَ الفِتن والمِحن ، ما ظهرَ منها وما بَطَنَ .

الجهرُ بالدَّعوة

وفي السَّنة الرّابعة مِنْ مبعَثِه ﷺ : نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [سورة الحِجر ١٥/ ٩٤ـ٩٥] .

فٱمتثلَ ﷺ أَمرَ ربِّهِ ، وأَظهرَ الدَّعوةَ إِلىٰ الله تعالىٰ ، فدخلَ النّاسُ في الإِسلام أَرسالاً ، حتّىٰ فشا ذِكْرُ الإِسلام بـ (مكَّةَ) ، ولٰكِنْ كانَ المسلمونَ إِذا أَرادوا الصَّلاةَ ذهبوا إِلىٰ الشِّعاب ، وٱستخفَوْا مِنْ قومِهم بصلاتِهم .

موقفُ المشركينَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ إِثرَ جَهْرِهِ بالدَّعوةِ

ولمّا أَظهرَ ﷺ دَعوةَ الخَلق إِلىٰ الحقِّ لَم يَتفاحش إِنكارُ قومه عليه ، حتّىٰ ذكرَ آلهتَهُم وسبَّها ، وضلَّل آباءَهُم ، وسفَّه أَحلامَهُم ، فحينئذٍ ٱشتدَّ ذٰلك عليهم ، وأَجمَعوا لَهُ الشَّرَّ ، فحَدِبَ[2] عليه عمُّه أَبو طالبٍ ، وعرَّضَ نفسَهُ للشَّرِّ دونَهُ ، مع / بقائه علىٰ دينه . [ق٨١]

فلمّا رأت ذٰلك قُريشٌ ، ٱجتمعَ أَشرافُهُم ومشَوا إِلىٰ أَبي طالبٍ ، وقالوا لَهُ : إِنَّ ٱبنَ أَخيكَ قد سبَّ آلهتنا ، وعابَ ديننا ، وسفَّه أَحلامنا ، وضلَّلَ آباءَنا ، فإِمّا أَنْ تكُفَّهُ عنّا ، وإِمّا أَنْ تُخلِّيَ بيننا وبينَهُ ، فإِنَّكَ علىٰ مِثلِ ما نحنُ عليه مِنْ خِلافِهِ .

أَبو طالبٍ بينَ نُصرته للرَّسول ﷺ وتخليه عنهُ

فعظُم علىٰ أَبي طالبٍ فِراقُ قومِهِ ، ولَمْ تَطِبْ نفسُهُ بخُذلانِ ٱبن أَخيه ، فكلَّم النَّبيَّ ﷺ ، فظنَّ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ عمَّهُ قد بدا لَهُ تركُهُ ، والعجزُ عن نُصرته ، فقالَ : « يا عمُّ ! وَاللهِ لَوْ وَضَعوا ٱلشَّمْسَ في

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٤٥/ ٢٣٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) حَدِبَ عليه : ٱنحنىٰ عليه وعَطفَ .

يَميني ، والقَمَرَ في يَساري ، عَلىٰ أَنْ أَتْرُكَ هٰذا الأَمْرَ ، حتّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ أَو أَهْلِكَ فيهِ ، ما تَركْتُهُ » ثمَّ ٱستعبرَ ﷺ باكياً[1] ، فقالَ لَهُ : يا ٱبنَ أَخي ، قُل ما أَحببتَ ، فوالله لا أُسْلِمُكَ لشيءٍ أَبداً[2] .

وفي ذٰلك يَقول أَبو طالبٍ ، [مِنَ الكامل] [3] :

وٱللهِ لَـنْ يَصِلـوا إِلَيْـكَ بِجَمْعِهِـمْ
حَتّـىٰ أُوَسَّـدَ فـي التُّـرابِ دَفينـا

فٱصْدَعْ بِأَمْرِكَ ما عَلَيْكَ غَضاضَةٌ
وٱبْشِـرْ وَقَـرَّ بِـذاكَ مِنْـكَ عُيـونـا[4]

وَدَعَـوْتَني وَعَـرَفْـتُ أَنَّـكَ نـاصِحـيْ
وَلَقَـدْ صَـدَقْـتَ وَكُنْـتَ ثَـمَّ أَمينـا

وَعَـرَضْـتَ دينـاً قَـدْ عَلِمْـتُ بِـأَنَّـهُ
مِـنْ خَيْـرِ أَديـانِ البَـرِيَّـةِ دِينـا

لَـوْلا المَـلامَـةُ أَو حِـذارُ مَسبَّـةٍ
لَـوجَـدْتَنـي سَمْحـاً بِـذاكَ مُبينـا

---

(1) ٱستعبَرَ : جرت دمعته . قلتُ : يا لقوَّة الإِيمان ، ويا لعظمة النَّفس البشريَّة ، ويا لجلال البطولة !! رجلٌ يظنُّ أَنَّه تخلّىٰ عنه ناصِرةُ الوحيد من أَهله ، وهو وأَصحابه في غمراتٍ متتابعة من الأَذىٰ والبلاء ، وتألّب رؤساء الشِّرك عليه ، ثمَّ يقف هٰذا الموقف الفذَّ العظيم !! إِنَّ هٰذا في منطق العقل يستحيل أَن يكون مدَّعياً أَو كاذباً أَو بشراً من عامَّة البشر ؛ ما هٰذا إِلاّ نبيٌّ كريمٌ، ورجلٌ بالغ أَسمىٰ درجات الثِّقة بالله ربِّ العالمين فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

(2) أَخرجه البيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» ، ج٢/ ١٨٧ .

(3) دلائل النُّبوَّة ، ج٢/ ١٨٨ .

(4) ٱصدعْ بأمرك : بيّنهُ وٱجهرَ به . أَمرك : ما أَمركَ الله به من دعوة المشركين إِلىٰ عبادته وحده سبحانه . غضاضةٌ : منقصةٌ أَو عيب . قرَّت عينُ فلانٍ : سُرَّ ورضيَ .

اشتدادُ قريشٍ علىٰ الرَّسول ﷺ وأصحابه

فعندَ ذٰلك نابذتهُ قُريشٌ وتزامَروا للحرب ، ووثبتْ كلُّ قبيلةٍ علىٰ مَنْ أَسلَم منهُم يُعذِّبونَهُم .

حشدُ أَبي طالبٍ مؤيديه من بني هاشِمٍ

وأَخذَ أَبو طالبٍ يَحشُدُ بطونَ بني عبد مَنافٍ ، وهُم أَربعةٌ : بنو هاشِمٍ ، وبنو المُطَّلب ، وبنو عبد شَمسٍ ، وبنو نوفَلٍ ، فأَجابهُ : بنو هاشِمٍ ، وبنو المُطَّلب ، وخذلَهُ : بنو عبد شَمسٍ ، وبنو نوفَلٍ ، وٱنسلخَ أَيضاً مِنْ بني هاشِمٍ : أَبو لهبٍ .

قصيدةُ أَبي طالبٍ اللاميَّة

وفي بني عبد شَمس وبني نوفَلٍ وحميَّته علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، ومدحه لَهُ ، يقولُ أَبو طالبٍ في قصيدته الطَّويلة ، [مِنَ الطَّويل] [1] : [ق٨٢]

جَزىٰ اللهُ عَنّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً
عُقُوبَةَ شَرٍّ عاجِلاً غَيْرَ آجِلِ

كَذَبْتُمْ وَبيتِ الله نُبْزَىٰ محمّداً
وَلَمّا نُطاعِنْ دُوْنَهُ وَنُناضِلِ [2]

ونُسْلِمُهُ حتّىٰ نُصَرَّعَ حَوْلَهُ
وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنائِنا وَٱلحَلائِلِ [3]

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ في ٱلحَديدِ إِلَيْكُمُ
نُهوضَ الرَّوايا تَحْتَ ذاتِ الصَّلاصِلِ [4]

بِكَفَّيْ فَتىً مِثْلِ الشِّهابِ سَمَيْدَعٍ
أَخي ثِقَةٍ حامِي [الحَقيقَةِ] باسِلِ [5]

---

(١) ابن هشام ، ج١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٩ .

(٢) **نُبْزَىٰ محمّداً** : نغلبه ونسلبه . **نناضلُ** : نتسابق في الرَّمي بالسِّهام .

(٣) **الحلائلُ** : الزَّوجات .

(٤) **الرَّوايا** : الإبل الَّتي تحمل الماء والأَسقية . **الصَّلاصلُ** : المزادات لها صلصلة بالماء .

(٥) **السَّمَيدعُ** : السَّيِّد . **الباسلُ** : الشُّجاع .

وَمـا تَـرْكُ قَـوْمٍ ، لا أَبـا لَـكَ سَيِّـداً
يَحوطُ الذِّمارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُواكِلِ[1]

وَأَبيَـضَ يُسْتَسْقـىٰ ٱلغَمـامُ بِـوَجْهِـهِ
ثِمـالُ ٱليَتـامىٰ عِصْمَـةٌ لِـلأَرامِـلِ[2]

يَلـوذُ بِـهِ ٱلهُـلاَّفُ مِـنْ آلِ هـاشِـمٍ
فَهُـمْ عِنْـدَهُ فـي نِعْمَـةٍ وَفَـواضِـلِ[3]

لَعَمْـري لَقَـدْ كُلِّفْـتُ وَجْـداً بِـأَحْمَـدٍ
وإِخْوَتِهِ دَأْبَ ٱلمُحِبِّ ٱلمُواصِلِ[4]

حَـدِبْـتُ بِنَفْسـيْ دونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ
وَدافَعْتُ عَنْهُ بالذُّرا وَٱلكَلاكِلِ[5]

فَمَـنْ مِثْلُـهُ فـي النّـاس أَيُّ مُـؤَمَّـلٍ
إِذا قاسَهُ ٱلحُكّامُ عِنْدَ التَّفاضُلِ ؟!

حَليـمٌ رَشيـدٌ عـادِلٌ غَيْـرُ طـائِـشٍ
يُـوالـي إِلٰهـاً لَيْـسَ عَنْـهُ بِغـافِـلِ

فَـــواللهِ لَـــوْلا أَنْ أَجِـــيءَ بِسُبَّـــةٍ
تُجَرُّ عَلىٰ أَشْياخِنا في ٱلمَحافِلِ

---

(١) **الذّمارُ** : ما يلزمُك حمايته . **الذَّربُ** : سليطُ اللِّسان . **المواكلُ** : الَّذي يَكِلُ أُمورَهُ إِلىٰ غيره .

(٢) **ثمال اليتامىٰ** : قام بأَمرهم وربّاهم .

(٣) **الهُلاّف** : الهِلَّوْف : الشّيخ القديم الهَرِم المسنُّ .

(٤) **وجداً** : محبَّةً .

(٥) **حَـدِبـتُ** : عطفتُ ومنعتُ . **الكـلاكِـلُ** : الجماعـات . مفـردهـا : الكِلكِلةُ ؛ وهيَ الجماعة . **ذُرُّ الشّيء** : أَعاليه ، والقوم : أَعلاهم وأَشرفهم ؛ والمقصودُ : دافعَ عن الرَّسول ﷺ بين عليّةَ القوم وأَشرافهم ، وعند عامَّة النّاس .

لَكُنّـا ٱتَّبَعْنـاهُ عَلـىٰ كُـلِّ حـالَـةٍ
مِنَ الدَّهْرِ جِدّاً غَيْرَ قَوْلِ التَّهازُلِ
لَقَـدْ عَلِمـوا أَنَّ ٱبْنَنـا لا مُكَـذَّبٌ
لَـدَيْنـا وَلا يُعْنـىٰ بِقَـوْلِ ٱلأَبـاطِـلِ
فَـأَصْبَـحَ فينـا أَحْمَـدُ فـي أَرومَـةٍ
تقـاصَـرُ عَنْهـا سَـوْرَةُ ٱلمُتَطـاوِلِ(١)

فَائِدَةٌ

في تشريف بني المُطّلب بتسميتهم أهل البيت

قَالَ العُلَمَاءُ : ولأَجلِ نُصرةِ بني المُطَّلب لبني هاشمٍ وموالاتِهم لهُم ، شاركوهُم في التَّشريف بتسميَتِهم أَهلَ البيتِ ، وفضلِ الكفاءَة علىٰ سائر قُريشٍ ، وٱستحقاقِ سهم ذَوي القُربىٰ ، وتحريم الزَّكاة دونَ البطنين الآخَرين ، إِذ لَمْ يَفترِقوا في جاهليَّةٍ ولا إِسلام .

ورَوىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، عن سعيد بن المُسَيَّب ، عن جُبيرِ بنِ مُطْعِمِ بنِ عَديِّ بنِ الحارثِ بنِ نَوفَلِ بنِ عبد مَنافٍ ، قالَ : مَشَيتُ أَنا وعُثمانُ بنُ عفّانَ ـ أَي : ٱبن أَبي العاص بنِ أُميَّة بنِ عبد شَمس بنِ عبد مَنافٍ ـ إِلىٰ رسول الله ﷺ ، فقُلنا : يا رسولَ الله أَعطيتَ / بني المُطَّلب ـ أَي : ٱبنِ عبدِ مَنافٍ ـ وتركتنا ، ونحنُ وهُمْ منكَ بمنزلةٍ واحدةٍ ؟ فقالَ : « إِنَّما بَنو ٱلمُطَّلِبِ وَبَنو هاشِمٍ شَيءٌ وَاحِدٌ » . [ق٨٣]

وفي روايةٍ : أَعطيتَ بني المُطَّلب مِنْ خُمسِ خيبرَ . وفي أُخرىٰ : ولم يَقْسِمِ النَّبيُّ ﷺ لبني عبدِ شَمسٍ ولا لبني نَوفَلٍ شيئاً .

قـالَ البُخـاريُّ : وقـالَ ٱبـنُ إِسحـاقَ : عبـدُ شَمـسٍ وهـاشِـمٌ

---

(١) **الأَرومةُ** : الأَصل والنَّسب والحسب هنا . **السَّورةُ** : المنزِلَة .

والمُطَّلبُ إخوة لأَبٍ وأُمٍّ ، وأُمُّهم : عاتِكةُ بنتُ مُرَّةَ ، وكانَ نوفَلُ أَخاهُم لأَبيهم . ٱنتهىٰ[1] .

دعوةُ النَّبيِّ ﷺ النّاسَ بالحكمة والموعظة الحسنة

قَالَ العُلَمَاءُ : وجعلَ النَّبيُّ ﷺ يَدعو إِلىٰ سبيل ربّه مرَّةً بالتَّرغيب ، ومرَّةً بالتَّرهيب ، ومرَّةً بالقولِ اللَّيِّن ، ومرَّةً بالخَشِنِ ، كما أَمرَهُ ربُّه بقوله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة النَّحل ١٦/ ١٢٥] .

تعذيبُ المُسلمينَ

وٱمتنعَ جماعةٌ مِمَّن أَسلمَ بعشائِرهم مِنْ أَذىٰ المُشركينَ ، وبقيَ قومٌ مستضعَفونَ في أَيدي المُشركينَ ، يُعذِّبونَهُم بأَنواع العذاب ؛ كعمّار بن ياسرٍ ، وأَبيه ، وأُمِّه ، وأُختِه ، وبلال بنِ حمامةَ ، وخبّابِ بنِ الأَرتِّ ، وغيرِهِم رضيَ اللهُ عنهُم .

تعذيبُ آل ياسرٍ رضيَ اللهُ عنهُم

فكانوا يأَخذونَ عمّاراً وأَباهُ وأُمَّهُ وأُختهُ فيُقَلِّبونَهُم ظهراً لبطنٍ ، فيَمُرُّ بهم رسولُ الله ﷺ فيقول : «صَبْراً آلَ ياسِرٍ ، فإِنَّ مَوْعِدَكُمُ ٱلجَنَّةُ»[2] .

أوّلُ شهيدٍ في الإسلام

وماتتْ سُمَيَّةُ أُمُّ عمّارٍ بذٰلك . فكانتْ أَوَّلَ قتيلٍ في الإِسلام في ذاتِ الله[3] . ثمَّ ماتَ ياسرٌ وٱبنتُهُ بعدها أَيضاً .

تعذيبُ بلالٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وأَمّا بلالٌ فكانَ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ يَخرُجُ به فيَضعُ الصُّخورَ علىٰ صدرِه ، ويَتركُها كذٰلك حتّىٰ يَكادَ يَموتُ ، فيَرفعُها ، وبلالٌ يَقولُ : أَحَدٌ ، أَحَدٌ . فمَرّ به أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لأُمَيَّةَ : أَلا تتَّقي اللهَ في هٰذا العبد ؟ فقالَ : أَنتَ الَّذي أَفسدتَهُ عليَّ ، فقالَ : بِعْنِيْهِ ، فباعَهُ منهُ ، فأَعتقَهُ[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٩٧١) . **لأَبٍ وأُمٍّ** : أي أشقاء ، وأبوهم عبد مناف ، ونوفل أخوهم لأَبٍ ؛ وأُمّه : واقدة بنت عمرو المازنيّة .

(٢) أَخرجه الحاكم في « المستدرك » ، ج٣/ ٣٨٣ .

(٣) وذٰلك أَنَّ أَبا جهلٍ طعنها بحربةٍ في قُبُلِها .

(٤) ابن هشام ، ج١/ ٣١٧ ـ ٣١٨ .

عُتقاءُ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وكان عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه ، يَقولُ : أَبو بكرٍ سيِّدُنا ، وأَعتقَ سيِّدَنا بلالاً[1] . وٱشترىٰ أَيضاً عامرَ بنَ فُهيرةَ في ستِّ رقابٍ أُخَرَ علىٰ مثل ذٰلك[2] .

[ق٨٤]

قَالَ المفسِّرون : وفي حقِّه رضيَ اللهُ عنهُ / نزلَت : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى * ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ * إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ [سورة اللَّيل ٩٢/ ١٧ـ٢١][3] .

فَائِدَةٌ

في أَنَّ الأَتقىٰ هوَ الأَفضلُ عند الله

ولا يَخفىٰ دلالَةُ الآية الكريمَة أَنَّ الأَتقىٰ هوَ الأَفضلُ عندَ الله ، لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحُجرات ٤٩/ ١٣] .

شكوىٰ المسلمين إلىٰ رسول الله ﷺ مِنَ التَّعذيب

وأَمّا خَبّابُ بن الأَرتِّ : ففي « صحيح البُخاريِّ » عنهُ ، قالَ : أَتيتُ النَّبيَّ ﷺ وهو مُتوَسِّدٌ بُردَةً ، وهوَ في ظلِّ الكعبةِ ، ولقد لَقينا مِنَ المُشركينَ شِدَّةً ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، أَلا تدعو الله لنا ؟ فقعدَ وهوَ مُحْمَرٌّ وجهُهُ ، فقالَ : « لَقَدْ كانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشاطِ الحَديدِ ، ما دونَ عِظامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ ، ما يَصْرِفُهُ ذٰلِكَ عَنْ دينهِ ، وَيوضَعُ المِنْشارُ عَلىٰ مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَيُشَقُّ بِٱثْنَيْنِ ما يَصْرِفُهُ ذٰلِكَ عَنْ دينهِ ، وَلَيُتِمَّنَّ اللهُ هٰذا الأَمْرَ حَتّىٰ يَسيرَ الرّاكِبُ مِنْ (صَنْعاءَ) إِلىٰ (حَضْرَمَوْتَ) ، ما يَخافُ إِلاّ اللهَ أَوِ الذِّئْبَ عَلىٰ غَنَمِهِ »[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٤٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .
(٢) ابن هشام ، ج١/ ٣١٨ .
(٣) أَسباب النُّزول ، للواحديّ ، ص٣٧٠ .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٣٩) .

فائدة

فضلُ من ثبتَ علىٰ إيمانه

قالَ العلماءُ : وهٰذا الحديثُ مِنْ أَحسنِ الأَحاديثِ النّبويّةِ الدّالّةِ علىٰ التّأسّي معَ قولِهِ سُبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/ ١ـ٣] وقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢١٤] وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [سورة آل عمران ٣/ ١٨٦] .

فأَعلمَهُم اللهُ سُبحانَهُ وتعالىٰ أَنَّ مبنىٰ الدّين علىٰ الصَّبر ، وأَنَّ مَنْ تجرَّدَ لإِظهار دين اللهِ ٱستقبلَتهُ المِحَنُ في نفسِهِ ومالِهِ وعرضِهِ وأَهلِهِ .

وإِنّما أَعلمَ المؤمنينَ بذٰلكَ أَوّلاً لِتَتَوطَّنَ نفوسُهُم عليه ، وأَعلمَهُم أَنَّ هٰذه سُنَّةُ الَّذينَ خَلوا مِنْ قبلِهم / ، ثمَّ كانت لَهُمُ العاقبةُ ، تعبوا قليلاً [ق٨٥] ثمَّ ٱستراحوا طويلاً ، وبذلوا حَقيراً فنالوا خَطيراً : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٥٧] .

ومع شدَّة حِرْصِهم علىٰ أَذاهُ ، فقد كانت عينُ الله ترعاهُ .

وفي «الصَّحيحين» ، أَنَّ أَبا جهلٍ ، قالَ : لئِنْ رأيتُ مُحمَّداً يُصلّي لأَطأَنَّ [علىٰ] عُنُقِهِ ، فبلغَ النَّبيَّ ﷺ ، فقالَ : « لَوْ فَعَلَ لأَخذَتْهُ ٱلمَلائِكةُ عُضْواً عُضْواً »(١) .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٧٥) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

زادَ مُسلمٌ والنَّسائيُّ : أَنَّه لَمّا هَمَّ بذٰلِكَ رأىٰ بينَهُ وبينَهُ خَنْدقاً مِنْ نارٍ ، وهَوْلاً وأَجنِحةً ، فنكَصَ علىٰ عَقبيه ، وهوَ يتَّقي بيديه ، وأَخبرَهُم بما رأىٰ ، فأَنزلَ الله تعالىٰ : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ إِلىٰ قولِهِ : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ ، ثمَّ توعَّدَهُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ﴾ إِلىٰ قولِهِ : ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ ، ثمَّ أَمرَ رسولَهُ بالسُّجود غيرَ مُكترِثٍ به ، فقالَ : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [سورة العلق ٩٦/ ٩ـ١٩] [١] .

الهجـرةُ الأُولـىٰ إلـىٰ الحَبشة

وفي السَّنة الخامسة من مبعثِهِ ﷺ : رأىٰ شِدَّةَ ما بأَصحابهِ مِنَ البلاءِ ، وما نالَهُم في دين الله مِنَ الأذىٰ ، فأَمرهُم بالمهاجَرةِ إِلىٰ (الحَبشةِ) ، وقالَ لهُم : « إِنَّ بِها مَعاشاً وَسَعَةً ، وَمَلِكاً عادِلاً لا يُسْلِمُ جارَهُ »[٢] .

فهاجر إِليها عُثمانُ بنُ عفّان ، ومعهُ ٱمرأَتُهُ رقيَّةُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ، والزُّبيرُ بنُ العَوّامِ ، وعبد الرَّحمٰن بنُ عَوفٍ ، وعبدُ الله بنُ مَسعودٍ ، وجماعةٌ مِنَ الصَّحابة رضيَ اللهُ عنهُم[٣] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٧٩٧) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، بنحوه . **سندعُ الزَّبانيَةَ** : سندعو لهُ مِنْ جنودنا القويَّ المتين ، الَّذي لا قِبَلَ لهُ بمُغالبته ، فيُهلِكُهُ في الدُّنيا أَو يُرْديه في النّار في الآخرة وهو صاغِرٌ (أَنصاريّ) .

(٢) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٢/ ٣٢٨ . بنحوه .

(٣) خبرُ هجرة ٱبن مسعودٍ في « الطَّبقات » لابن سعد ، ج٣/ ١٥١ ، وأَنَّه هاجر إِلىٰ أَرض الحبشة الهجرتين جميعاً في رواية أَبي معشر ومحمَّد بن عُمر . والصَّواب : أَنَّه إِنَّما كان في الهجرة الثّانية ، (انظر شرح المواهب اللَّدُنيَّة ، للزرقاني ، ج١/ ٢٧٠) . **قلت** : وعدد الَّذين هاجروا الهجرة الأُولىٰ حَسْبَما ذكر ابن هشام عشرة رجالٍ . عُثمان بن=

الهجرةُ الثّانية إلىٰ الحَبشة

ثمَّ تبعَهُم جعفر بنُ أَبي طالبٍ في جماعةٍ رضيَ اللهُ عنهُم ، حتّىٰ بَلَغوا ٱثنينِ وثمانينَ رجُلاً ، سوىٰ النِّساء والصِّبيان ، فلمّا وصلوا إِلىٰ (الحَبشةِ) أكرمَهُمُ النَّجاشيُّ ، وأَحسنَ جِوارَهُم ، وسَمِعَ القرآن مِنْ جعفرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فآمنَ به وصدَّقَ ، وأَمرَ قومَهُ بذٰلك فأَبَوْا ، فكتمَ إِيمانَهُ عنهُم .

وفدُ قريشٍ إلىٰ الحبشة لاسترداد المُهاجرينَ إليها

فلمّا شاعت بذٰلك الأَخبارُ ، وجَّهتْ قُريشٌ إِلىٰ النَّجاشيِّ عَمْرَو بنَ العاصِ في جماعةٍ ، ووجَّهوا معهُم بهدايا للنَّجاشيِّ ولخواصِّه ، فقدِموا علىٰ النَّجاشيِّ وقدَّموا ما عندَهُم مِنَ الهدايا ، وكلَّموهُ في شأنِهم ، ليُمَكِّنَهُم / منهُم ، فغضِبَ ، وردَّ هداياهُم [ق٨٦] عليهم ، فٱنقلبوا خائبينَ .

عودةُ بعض مُهاجري الحَبشة

ثـمَّ إِنَّ مُهـاجِـرَةَ (الحَبشـةِ) بلغَهُـم أَنَّ أَهـلَ (مكَّـةَ) أَسلمـوا ، فٱستخفَّ ذٰلك الخبرُ جماعةً منهم ، نحوَ ثلاثينَ رجلاً ، فأَقبلوا راجعينَ ، حتّىٰ إِذا كانوا بقُرب (مكَّةَ) بانَ لَهُم فسادُ الخبر ، فلَم يَـدخـل أَحـدٌ منهُـم (مكَّـةَ) إلاّ مُستخفيـاً أَو بجـوارٍ ، وأَقـامَ بقيَّـةُ المُهاجرين بـ (الحَبشةِ) إِلىٰ سنة [سبعٍ] مِنَ الهِجرة ، فمدَّة إِقامتهم نحوَ عشر سنين[(١)] .

= عفّان وٱمرأته ، وأَبو حُذيفة بن عُتبة وٱمرأته ، والزُّبير بن العَوّام ، ومُصعب بن عُمير ، وعبد الرَّحمٰن بن عَوف ، وأَبو سلمة بن عبد الأَسد وٱمرأته ، وعُثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة وٱمرأته ، وأَبو سَبْرَةَ بن أَبي رُهْم ، وسُهيل بن بيضاء .

(١) **قلت** : أَورد ٱبن هشام ما ذكره ٱبن إِسحاق عن عودة مهاجري الحبشة قبل خبرِ نقض صحيفة المقاطعة وبعد إِسلام عُمر بن الخطّاب ، وعنده ـ كما ورد أَعلاه ـ أَنَّ الَّذين عادوا إِثرَ ما بلغهم من إِسلام أَهل مكَّة كانوا ثلاثةً وثلاثين رجلاً ، وأَنَّ منهُم من أَقام بمكَّة إِلىٰ أَن هاجرَ وشهدَ بدراً ، =

قـــــدومُ جعفـــــر رضـــيَ اللهُ عنـــهُ مِـــنَ الحَبشة

فكتبَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ النَّجاشيّ ليُجهِّزهُم إِليه ، فجهَّزهُم ، فَقدِموا يومَ فتح (خَيبرَ) ، فأَسهَمَ لَهُم ، وقالَ ﷺ : « لا أَدْري بِأَيِّهما أُسَرُّ بِفَتْحِ خَيْبَرٍ ، أَمْ بِقُدومِ جَعْفَرٍ »[1] .

في حُكْمِ الهجرة

فَائِدَةٌ

قَالَ العُلَمَاءُ : وهٰذه الهجرةُ أَوَّلُ هجرةٍ في الإِسلام ، وبعدها الهجرةُ الكُبرىٰ إِلىٰ (المَدينة) ، وقد حازها أَيضاً مُهاجرو (الحَبشة) كجعفرٍ وعُثمانَ والزُّبيرِ وعبد الرَّحمٰنِ ، فَسُمّوا أَهلَ الهِجرتين .

وحُكمُ الهجرة باقٍ إِلىٰ يوم القيامة إِذا وُجِدَ معناها ؛ وهوَ الفِرارُ بالدّين عندَ خوف الافتتان فيه ، أَو عندَ العَجز عن الأَمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر ، أَو عن ردِّ البدع المُنكَرَةِ .

أَمّا عندَ خوف الافتتان : فمنْ بقيَ في دار الحرب عاجِزاً عن إِظهار دين الإِسلام عَصَىٰ معصيةً عظيمةً ، بل ٱختُلِفَ في صحَّة

= ومنهُم من مات فيها ، والباقون حَبَسَهم المشركون . ويبدو أَنَّ ٱبن إِسحاقَ لم يَفصِل بين خبرِ مَنْ عادوا إِثرَ الهجرة الأُولىٰ إِلىٰ الحبشة وخبرِ مَن عادوا إِثرَ الهجرة الثّانية إِليها . ولعلَّ هٰذا راجعٌ إِلىٰ أَنَّه لم يَنصَّ علىٰ حصول هجرتين ، والأَرجحُ : أَنَّ الَّذين عادوا إِثرَ سماعهم بإِسلام أَهل مكَّة وإِسلام عُمَرَ هم العشرة الَّذين هاجروا أَوّلاً ، وكانت عودتهم في السَّنةِ الَّتي خرجوا فيها بعد أَن أَقاموا في الحبشة شهرين ، وقد دخلوا مكَّة مُستخفين أَو بجوار ، ثمَّ هاجروا إِلىٰ الحبشة ثانيةً علىٰ الأَرجح مع جعفر بن أَبي طالبٍ وأَصحابه . وأَمّا الثّلاثةُ والثّلاثون الَّذين ذكرهم ٱبن إِسحاق فهٰؤلاء هم الَّذين عادوا من الحبشة إِثرَ الهجرة الثانية ، وذلك حين سمعوا بمهاجَرِ النَّبيّ ﷺ إِلىٰ المدينة كما ذكر ٱبن سعدٍ (ٱنظر الجامع في السّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ٤٢٢) .

(١) أَخرجه الحاكم في « المستدرك » ، ج٢/ ٦٢٤ .

إسلامِهِ ، لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ الآيات ، [سورة النِّساء ٤/٩٧] .

وكذٰلكَ يَعصي مَنْ أَقامَ ببلد البِدعِ والمُنكر ، الَّذي لا يَقدِرُ علىٰ تغييره فيها ، أَو بأَرضٍ غَلَبَ عليها الحَرامُ ، فإِنَّ طلبَ الحلال فرضٌ علىٰ كلِّ مُسلمٍ .

إِسلامُ حمزةَ وعُمرَ بنَ الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُما

وفي السَّنة السّادسة : أَسلمَ سيّدنا حمزةُ بنُ عبد المُطَّلب ، عمُّ رسول الله ﷺ ، ثمَّ أَسلَمَ بعدَهُ سيّدنا عُمَرُ بنُ الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُما . فعزَّ بإِسلامهما الإِسلامُ والمُسلمون .

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن / عبد الله بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ [ق٨٧] عنهُما ، قالَ : لمّا أَسلمَ عُمَرُ ٱجتمعَ النّاسُ عندَ داره ، وقالوا : صَبَأَ عُمَرُ ، وأَنا غلامٌ فوقَ ظهر البيت ، فجاءَ العاصُ بنُ وائلٍ ، وقالَ : أَنا لَهُ جارٌ . فتفرَّقوا[١] .

المُقاطعةُ وحَصْرُ قُريشٍ لبني هاشِمٍ

وفي أَوَّل ليلةٍ مِنَ المُحرَّم مِنَ السَّنة السّابعة : ٱجتمعتْ قُريشٌ بخَيْفِ بني كنانة ؛ وهوَ : (المُحَصّب)[٢] ، فتقاسَموا[٣] علىٰ الكُفر ، كما في « صحيحيْ البُخاريِّ ومُسلمٍ » وذٰلك أَنَّهم تعاهدوا

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٥٢) . صبأَ : خرجَ من دينٍ إِلىٰ دينٍ غيره . **أَنا له جارٌ** : أَي أَجرتُه مِن أَن يظلِمَهُ ظالمٌ .

(٢) خيف بني كِنانة والمحصَّبُ والحَصبَةُ والأَبطحُ والبطحاءُ : اسمٌ لشيءٍ واحدٍ . وأَصل الخيف : كلُّ ما ٱنحدر عن الجبل وٱرتفع عن المسيل . (أَنصاريّ) .

(٣) **تقاسموا** : أَقسموا فيما بينهم .

علىٰ قطيعة بني هاشِمٍ وبني عبد المُطَّلب ، ومقاطعتِهم في البَيع والشِّراء والنِّكاح وغير ذٰلك ، حتّىٰ يَهلِكوا عن آخِرهم ، أَو يُسْلِموا إليهم مُحمَّداً ﷺ ، وكتبوا بذٰلك صحيفَةً وعلَّقوها في سَقْفِ (الكعبة) تأكيداً لأَمرها .

مدَّةُ الحِصار وشدَّته

فٱنحازَ البَطنانِ[1] إلىٰ أَبي طالبٍ في الشِّعب ، وبقُوْا هنالكَ محصورينَ مدَّةَ ثلاثِ سنين ، وتضوَّروا بذٰلك جوعاً وعَطشاً وعُرياً ، ولحِقتهُم مشقَّةٌ عظيمةٌ بسبب النَّبيِّ ﷺ .

وفي ذٰلك يَقولُ أَبو طالبٍ ، [منَ الطَّويل] [2] :

أَلا أَبلغـا عَنّـي عَلـىٰ ذاتِ بَيْنِنـا
لُـؤَيّـاً وَخُصّـا مِـنْ لُـؤَيٍّ بَنـي كَعْـبِ
أَلَـمْ تَعْلَمـوا أَنّـا وَجَـدْنـا مُحَمَّـداً
نَبِيّاً كَموسىٰ خُطَّ في أَوَّلِ ٱلكُتْبِ
وَأَنَّ الَّـذي ٱلْتَفَّقْتُـمُ مِـنْ كِتـابِكُـمْ
لَكُمْ كائِنٌ نَحساً كَراغيَةِ السَّقْبِ[3]
أَفيقـوا أَفيقـوا قَبْـلَ أَنْ يُحْفَـرَ الثَّـرىٰ
وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنباً كَذي الذَّنْبِ
وَلا تَتْبَعـوا أَمْـرَ الـوُشـاةِ وَتَقْطَعـوا
أَواصِـرَنـا بَعْـدَ المَـوَدَّةِ وَالقُـرْبِ[4]

---

(١) أَي : بنو هاشِمٍ وبنو عبد المُطَّلب .

(٢) ابن هشام ، ج١/ ٣٥٢ـ٣٥٣ .

(٣) **راغيةُ السَّقب** : هو من الرُّغاء ، وهو أَصوات الإبل ، **السَّقبُ** : ولد النّاقة . **والمقصود هنا** : ولد ناقة صالح عليه السَّلام .

(٤) **الأَواصرُ** : ما عطفك علىٰ غيرك من رَحِمٍ ، أَو قرابة ، أَو مُصاهرة .

فَلَسْنـا وَرَبِّ البَيْـتِ نُسْلِـمُ أَحْمَـداً
لِعَزّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمانِ وَلا كَرْبِ[1]
وَلَمَّـا تَبِـنْ مِنّـا وَمِنْكُـمْ سَـوالِـفٌ
وَأَيدٍ أُتِرَّتْ بِٱلقُساسِيَةِ الشُّهْبِ[2]
أَلَيْـسَ أَبـونـا هـاشِـمٌ شَـدَّ أَزْرَهُ
وَأَوْصَـىٰ بَنيـهِ بِـالطِّعـانِ وَبِـالضَّـرْبِ
وَلَسْنـا نَمَـلُّ ٱلحَـرْبَ حَتّـىٰ تَمَلَّنـا
وَلا نَشْتَكي ما قَدْ يَنوبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلٰكِنَّنـا أَهْـلُ الحَفـائِـظِ وَالنُّهـىٰ
إِذا طارَ أَرْواحُ الكُماةِ مِنَ الرَّعْبِ[3]

نقضُ الصَّحيفة

فلمّا أَرادَ اللهُ تعالىٰ حلَّ ما عقدوهُ ، وإِبطالَ ما أَكَّدوهُ ، ٱجتمعَ في أَواخرِ السَّنةِ التّاسعةِ ستَّةٌ مِنْ ساداتِ قُريشٍ ليلاً بأَعلىٰ (مكَّة) / ، [ق٨٨] فتعاقدوا علىٰ نقضِ الصَّحيفة ، منهُم : المُطْعِمُ بنُ عَديٍّ النَّوفليّ ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسود بنِ أَسدٍ الأَسديّ ، فلمّا أَصبحوا قالَ قائِلُهُم : أَنأكلُ الطَّعامَ ، ونلبَسُ الثّيابَ وبنو هاشِمٍ هَلْكىٰ ، واللهِ لا أَقعُدُ حتّىٰ تُشَقَّ هٰذه الصَّحيفةُ الظّالِمةُ ، فقالَ أَبو جهلٍ : كذبتَ واللهِ [لا تُشَقُّ] ، فقالَ [زَمْعَةُ] : أَنتَ واللهِ الكاذبُ ، ووثبوا ، فقالَ أَبو جهلٍ : هٰذا أَمرٌ قد بُرِمَ بليلٍ ، ثمَّ قاموا إِلىٰ الصَّحيفة ليَشقّوها ، فأَخبرَهُم النَّبيُّ ﷺ أَنَّ الأَرَضَةَ[4] قد أَكلَت جميعها ، إِلاّ ما فيه ٱسمُ اللهِ ،

---

(١) **عضُّ الزّمان** : شدَّته .
(٢) **السَّوالفُ** : ما تقدَّم من عنق الفَرس ، **أُترّت** : قُطعت . **القُساسيَّةُ** : سيوفٌ تُنسب إِلىٰ قُساس ، وهو جبلٌ لبني أَسدٍ يحوي علىٰ معدن الحديد .
(٣) **الحفائظُ** : مفردها الحفيظة ؛ وهيَ الأَنَفة . **النُّهىٰ** ـ جمع نهية ـ : العقل . **الرَّعبُ** : الوعيد .
(٤) **الأَرَضَةُ** : دويبةٌ تأكلُ الخشبَ ونحوه .

فوجدوهُ كما ذكرَ النَّبيُّ ﷺ .

وخرجَ النَّبيُّ ﷺ وبنو هاشِمٍ وبنو المُطَّلب مِنَ الشِّعب ؛ في أَواخر السَّنة التّاسعة .

انشقاقُ القمر

وفي[١] موسم السَّنة التّاسعة سألتْ قُريشٌ النَّبيَّ ﷺ آيةً وهوَ بـ (منىً) ، فأَراهُمْ انشقاقَ القَمرِ شِقَّتين . رواهُ البُخاريُّ ومُسلم[٢] . وفي روايةٍ : حتّىٰ رَأَوْا حِراءَ بَيْنَهُما[٣] .

فَائِدَةٌ

في أَنَّ مُعجزة انشقاق القمـر لا تعـدِلُهـا مُعجزةٌ

قَالَ العُلَمَاءُ : وانشقاقُ القمرِ مُعجزةٌ عظيمةٌ لا يَكادُ يَعدِلُها شيءٌ مِنْ مُعجزات الأَنبياء عليهم السَّلامُ ، إذ لا يَطمَعُ أَحدٌ بحيلةٍ إِلىٰ التَّصرُّف في العالَم العُلْويّ ، فصارَ البُرهانُ بها أَظهرَ ، ولهٰذا نصَّ عليها القرآنُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ [سورة القمر ٥٤/١] .

وفاةُ أَبي طالبٍ

وفي السَّنة العاشرة : ماتَ أَبو طالبٍ ، فاشتدَّ حُزْنُ النَّبيِّ ﷺ .

حرصُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ إِسلام عمِّه

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، أَنَّ أَبا طالبٍ لَمّا حضرَتْهُ الوفاةُ ، دخلَ عليه النَّبيُّ ﷺ ، فوجدَ عندَهُ أَبا جهلٍ ، فقالَ : « أَيْ عَمِّ ، قُلْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ ، كَلِمَةٌ أُحاجُّ لَكَ بِها عِنْدَ اللهِ » ، فقالَ أَبو جهلٍ [وعبدُ الله بن أَبي أُميّةَ] : أَترغَبُ عَن مِلَّةِ عبد المُطَّلب ؟ [فلم يَزالا يُكلِّمانِهِ] ، حتّىٰ قالَ آخِرَ شيءٍ [كلَّمَهُم] به هوَ : علىٰ مِلَّةِ

---

(١) قلتُ : قال الحافظ ابن حَجر في « الفتح » ، ج٦/ ٦٣٢ : كان ـ أَي : انشقاق القمر ـ بمكّةَ قبل الهجرة بنحو خمس سنين .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٣٧) . ومُسلم برقم (٢٨٠٠/ ٤٣) . عن ابن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٥٥) . عن أَنسٍ رضيَ الله عنه .

عبد المُطَّلب . فقال النَّبيُّ ﷺ : « لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ما لَمْ أُنْهَ عَنْهُ » ، فنزلَتْ : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾[1] [سورة التَّوبة ٩/١١٣] ـ أَي : فلم يَزل يَستغفر لَهُ حتَّىٰ نزلت ـ / . [ق٨٩]

تخفيفُ العذاب عن أَبي طالبٍ

وفي « صحيح البُخاريِّ » أَيضاً ، أَنَّ العبّاسَ قالَ للنَّبيِّ ﷺ : ما أَغنيتَ عن عَمِّكَ ؟ فإِنَّهُ كانَ يَحوطُكَ ويغضَبُ لكَ ، فقالَ : « هُوَ في ضَحْضاحٍ مِنْ نارٍ ، وَلَوْلا أَنا لَكانَ في الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ »[2] . أَي : لأَنَّ كفرَهُ كُفرُ إِيثارٍ للباطِل علىٰ الحقِّ ، مع عِلمه بذٰلك وتيقُّنِهِ بذٰلكَ ، وما شاءَ اللهُ تعالىٰ كانَ ، وما لَمْ يشأْ لم يَكُن .

وفاةُ خديجةَ رضيَ اللهُ عنها

ثمَّ ماتتْ خديجةُ رضيَ اللهُ عنها ، بعدَ موتِ أَبي طالبٍ بثلاثة أَيّامٍ . فتضاعَفَ حُزنُهُ ﷺ ، ولٰكنْ كانَ اللهُ لَهُ خَلَفاً عن كلِّ فائتٍ .

أشتدادُ إيذاءِ قريشٍ للنَّبيِّ ﷺ بعدَ وفاة أَبي طالبٍ

ولمّا ماتَ أَبو طالبٍ نالَتْ قُريشٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ الأَذىٰ بعدَ وفاته ما لَمْ تنلْهُ به في حياته .

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن عُروةَ بنِ الزُّبير ، قالَ : سأَلتُ عبد الله بنَ عَمْرو بنِ العاص رضيَ اللهُ عنهُما عن أَشدِّ شيءٍ صنَعَهُ المُشركونَ بالنَّبيِّ ﷺ ؟ فقالَ : بينما النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي في (الحِجْرِ) ،

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٧١) .

(٢) أَخرجه البُخاري ، برقم (٣٦٧٠) . **يحوطُه** : يحفظه ، ويَتعهَّد بجلب ما ينفعه ويدفع ما يضرُّه ، **الضَّحضاحُ** : الموضع القريب القعر ، **والمعنىٰ** : أَنَّه خفَّف عنه شيءٌ من العذاب . قال أَهل العلم : إِسلامُ أَبي طالبٍ مختلفٌ فيه ، كما ذكر الحافظ ابن حجر في «الفتح» ، وأَما إِيمانه فلا خلاف فيه ؛ إِذا عرَّفنا الإِيمانَ بأَنَّه التَّصديق بالقلب فقط . والأَدلَّة متواترة علىٰ إِيمانه المجرَّد عن ربطه بالإِسلام .

إذ أَقبل عُقبةُ بنُ أَبي مُعَيْطٍ ـ أَي : مصغَّراً بمُهملتين ـ فوضعَ ثوبَهُ في عُنُقِهِ ، فخنقَهُ بهِ خَنقاً شديداً ، فأَقبل أَبو بكرٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُ ـ فأَخذ بمنكبيهِ ، ودفعَهُ عن النَّبيِّ ﷺ ، وقالَ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية ، [سورة غافر ٤٠/٢٨] (١) .

وفي « صحيحيْ البُخاريِّ ومُسلمٍ » عن ٱبن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : بينما النَّبيُّ ﷺ يُصلّي عندَ (الكعبة) ، وقريشٌ في مجالسِهم في المسجد ، إذ قالَ قائلٌ منهُم : أَلا تنظرونَ إِلىٰ هٰذا المُرائي ، أَيُّكُم يَقومُ إِلىٰ جَزورِ بني فُلانٍ ، فيجيء بسَلاها فيَضعُهُ بين كتفيه إذا سجدَ ؟ فٱنبعثَ أَشقاهُم ـ وفي روايةٍ : أَنَّه عُقبةُ بنُ أَبي مُعَيْط أَيضاً ـ ففعلَ ذٰلك ، فضحِكوا حتّى مالَ بعضُهُم علىٰ بعضٍ مِنَ الضَّحِكِ ، وثبتَ النَّبيُّ ﷺ ساجداً ، فٱنطلقَ مُنطلِقٌ إِلىٰ فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها ـ وهيَ يومئذٍ جويريةٌ ـ فأَقبلتْ تسعىٰ حتّىٰ أَلقتْهُ عنهُ ، / ثمَّ أَقبلتْ عليهم تَسُبُّهُمْ ، فلمّا قضىٰ رسولُ الله ﷺ الصَّلاةَ ، قالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيشٍ » ثلاثاً ، ثمَّ سمّىٰ رِجالاً(٢) . قالَ عبد الله : فواللهِ لقد رأيتُهُم صَرعىٰ يومَ (بَدْرٍ) ، ثمَّ سُحِبوا إِلىٰ (القَليب) ـ قليبِ بَدْرٍ ـ(٣) . [ق٩٠]

تحقيقٌ حولَ مولدِ فاطمةَ وأَخواتها

قُلْتُ : وهٰذا يدلُّ علىٰ أَنَّ مولدَ فاطِمةَ رضيَ اللهُ عنها مُتقدِّمٌ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٤٣) .

(٢) وهم : عمرو بن هشام ، وعُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة ، وأُميَّة بن خَلف ، وعُقبة بن أَبي مُعَيط ، وعُمارة بن الوليد .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٣٧ـ٤٩٨) . **سلاها** : الجلدة الَّتي يكون فيها ولدُ البهائم ، أَي : المشيمة . **جويريةٌ** : شابَّةٌ .

علىٰ ليلة الإسراء بمدَّة عشرِ سنينَ وأكثر ، وسبقَ أنَّ أُختها رقيَّةَ رضيَ اللهُ عنها من مُهاجِرَة (الحَبشة) ، فلعلَّ زينبَ وأُمَّ كلثومٍ كذلك ، أَو منعهُنَّ الحياءُ مِنَ الخروج . واللهُ أَعلمُ .

إسلامُ أَبي ذَرٍّ الغِفاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ وقومه

وفي « الصَّحيحين » أَيضاً ، أَنَّ أَبا ذرٍّ الغِفاريَّ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ لأَخيه أُنَيْسٍ : اِرْكبَ إِلىٰ هٰذا الرَّجل الَّذي يَزعُمُ أَنَّهُ نبيٌّ ، يأتيه الخبرُ مِنَ السَّماء ، واسمع مِنْ قولِهِ ، ثمَّ ائْتني ، فانطلقَ الأَخُ حتّىٰ قَدِمَ (مكَّة) ، وسَمِعَ مِنْ قولِ النَّبيِّ ﷺ ، ثمَّ رجَعَ ، فقالَ لأَبي ذرٍّ : رأيتُهُ يأمرُ بمكارم الأَخلاقِ ، وكلاماً ما هوَ بالشِّعر ، فقالَ : ما شَفيتَني مِمّا أَردتُ ، فتزوَّدَ وحملَ شَنَّةً[1] لَهُ ، فيها ماءٌ حتّىٰ قَدِمَ (مكَّة) ، فأَتىٰ المسجدَ ، فالتمسَ النَّبيَّ ﷺ وهوَ لا يَعرِفُهُ ، وكَرِهَ أَنْ يَسأَلَ عنهُ ، فلمّا أَدركَهُ اللَّيلُ اضطجعَ في المسجد ، فرآه عليٌّ فعَرَفَ أَنَّه غريبٌ فأَضافَهُ ، فتبعه ولم يسأَلْ واحدٌ منهُما صاحبَهُ عن شيءٍ حتّىٰ أَصبحَ ، ثمَّ احتملَ زاده وقِرْبَتَهُ إِلىٰ المسجدِ ، وظلَّ ذٰلك اليومَ ولم يَرهُ النَّبيُّ ﷺ حتّىٰ أَمسىٰ ، فعادَ إِلىٰ مضجَعِه ، فمرَّ عليه عليٌّ فقالَ : أَما آنَ للرَّجلِ أَنْ يَعرِفَ منزلَهُ ؟ فأَقامَهُ فذهبَ به معه ، لا يسأَلُ واحدٌ منهُما صاحبَهُ عن شيءٍ ، حتّىٰ إِذا كانَ يومُ الثّالثِ [فَعَلَ] عليٌّ مثلَ ذٰلكَ ، فأَقامَهُ عليٌّ معهُ ، ثمَّ قالَ لَهُ : أَلا تحدِّثُني ما الَّذي أَقدمَكَ ؟ قالَ : إِنْ أَعطيتَني عهداً وميثاقاً لَتُرْشِدَنَّني فعلتُ ، ففعلَ ، فأَخبرَهُ . قالَ عليٌّ : فإِنَّهُ حَقٌّ ، وإِنَّه رسولُ اللهِ ، فإِذا أَصبحتَ فاتَّبِعْني ، فإِنّي إِنْ رأيتُ شيئاً أَخافُ عليكَ قمتُ كأَنّي / أُريقُ الماءَ ، وإِنْ مَضيتُ فاتَّبِعْني حتّىٰ تدخُلَ مَدْخَلي ففعلَ ، [ق٩١] فانطلقَ يَقفُوهُ حتّىٰ دخلَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ فدخلَ معَهُ ، وسَمِعَ مِنَ

(١) الشَّنَّةُ : قربةٌ من جلدٍ ، يكون الماء فيها أبرد .

قولِهِ ، وأَسلمَ مكانَهُ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « ٱرْجِعْ إِلىٰ قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتّىٰ يَأْتِيَكَ أَمْرِي » .

وفي روايةِ مُسلمٍ : فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنِّي قَدْ وُجِّهَتْ لِيَ أَرْضٌ ذاتُ نَخْلٍ لا أَراها إِلاَّ يَثْرِبَ » .

فقالَ : والَّذي بعثكَ بالحقِّ ، لأَصْرُخَنَّ بها بينَ أَظْهُرِهِمْ ، فخرجَ حتّىٰ أَتىٰ المسجدَ ، فنادىٰ بأَعلىٰ صوته : أَشهدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ الله ، وأَنَّ مُحمَّداً رسولُ الله ، فقامَ القومُ فضربوهُ حتّىٰ أَضجَعوهُ ، فأَتىٰ العبّاسُ فأَكبَّ عليه ، ثمَّ قالَ : ويحَكُم : أَلَستُم تعلمونَ أَنَّهُ من غِفَارٍ ، وأَنَّ طريقَ تجارِكُم عليهم ، فأَنقَذَهُ منهُم ، ثمَّ عادَ لِمثلِها مِنَ الغد ، فبادروا إِليه فضرَبوهُ ، فأَكبَّ عليه العبّاسُ فأَنقَذَهُ منهُم . هٰذا لفظ البُخاريِّ[١] .

زاد مُسلمٌ في روايته عنه : قالَ : فأَتيتُ أَخي أُنَيْساً فقالَ : ما صنعتَ ؟ قلتُ : إِنّي قد أَسلمتُ وصدَّقتُ ، فقالَ : ما بيَ رغبةٌ عن دينكَ ، فإِنّي أَيضاً أَسلمتُ وصدَّقتُ . قالَ : فأَتَيْنا أُمَّنا ، فقالتْ : ما بيَ رغبةٌ عن دينِكُما ، فإِنّي قد أَسلمتُ وصدَّقتُ ، فأَتيْنا قومَنا غِفاراً ، فأَسلمَ نِصفُهُم ، وقالَ نصفُهُم : إِذا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ (المَدينةَ) قدمنا إِليه فأَسلمنا ، فلمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ (المَدينةَ) أَسلمَ نِصفُهُم الباقي ، وجاءَتْ أَسْلَمُ ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إِنّا أَسلمنا علىٰ ما أَسلمَ عليه إِخوانُنا ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « غِفارٌ غَفَرَ اللهُ لَها ، وَأَسْلَمُ سالَمَها اللهُ »[٢] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٤٨) .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٤٧٣/ ١٣٢) .

خروجُ النّبيّ ﷺ إلىٰ الطّائفِ

وفي هٰذه السَّنة وهيَ العاشرة : خرجَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ (الطّائفِ) ، إلىٰ ثقيفٍ ، وأقامَ فيهِم شهراً يَدعوهُم إلىٰ الله ، وسأَلَهُم أَن يَمنعوه ، فردّوا عليه قولَهُ ، وٱستهزؤوا به ، فسأَلَهُم أَن يَكتموا عنهُ لِئلاّ تَشْمَتَ به / قُريشٌ ، فَلَمْ يَفعلوا . [ق٩٢]

فلمّا ٱنصرفَ عنهُم أَغْرَوْا به سفهاءَهُم يصيحونَ خلفَهُ ويَسبّونَهُ ، حتّىٰ ٱجتمعوا عليه ، وأَلجؤوهُ إلىٰ حائطٍ[1] ، فٱشتدَّ كربُهُ لذٰلكَ ﷺ ودعا حينئذٍ بدعاءِ الكربِ : « لا إلٰه إلاّ اللهُ العظيمُ الحليمُ ، لا إلٰه إلاّ اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ ، لا إلٰه إلاّ اللهُ ربُّ السَّماواتِ وربُّ الأَرضِ ، ربُّ العَرْشِ الكَريم » ، ثمَّ قالَ : « اللّهُمَّ إنّي أَشْكو إلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتي ، وَقِلَّةَ حيلَتي ، وهَواني علىٰ النّاسِ يا أَرْحَمَ الرّاحمينَ ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفينَ ، وَأَنْتَ رَبّي ، إلىٰ مَنْ تَكِلُني ؟ إلىٰ بَعيدٍ يَتَجَهَّمُني[2] ، أَم إلىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْري ؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبالي ، وَلٰكنَّ عافِيَتَكَ هيَ أَوْسَعُ لي ، أَعوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنيا وَالآخِرَةِ [مِنْ] أَنْ تُنْزِلَ بي غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ العُتْبىٰ[3] حَتّىٰ تَرْضىٰ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِكَ » .

فنزلَ عليه جبريلُ عليه السَّلام ، وقالَ : إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَكَ وسَمِعَ قولَهُم ، وما ردّوا عليكَ ، وقد بعثَ اللهُ إليكَ مَلَكَ الجبالِ ، لِتأمُرَهُ فيهِم بما شِئْتَ ، فقالَ : « بَلْ أَرْجو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ

---

(١) **الحائطُ** : البستانُ .

(٢) **يتجهَّمُني** : يَلقاني بالغِلْظَة والوجه الكريه .

(٣) **العُتبىٰ** : الاسترضاء بالرُّجوع عن الذَّنب والإساءَة .

مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شيئاً »[١] .

وروىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ في « صحيحيهما » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالتْ : سأَلتُ رسولَ ﷺ هل أَتىٰ عليكَ يومٌ أَشدُّ عليكَ مِنْ يوم (أُحُدٍ) ؟ قالَ : « لَقَدْ لَقيتُ مِنْ قَوْمِكِ [ما لَقيتُ][٢] ، وَكانَ أَشَدَّ ما لَقيتُ مِنْهُمْ [يَوْمَ العَقَبَةِ] ، إِذْ عَرَضْتُ نَفسي عَلىٰ ٱبن عَبْدِ يَالِيلَ ـ أَي : بتحتيَّةٍ مكرَّرةٍ ـ ٱبنِ عَبْدِ كُلالٍ ـ أَي : بالضَّم ـ فَلَمْ يُجِبْني إِلىٰ ما أَرَدْتُ ، فٱنْطَلَقْتُ ، وَأَنا مَهْمومٌ عَلىٰ وَجْهي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاّ وَأَنا بِـ(قَرْنِ الثَّعالِبِ)[٣] ، فَرَفَعْتُ رَأْسي ، وَإِذا سَحابَةٌ قَدْ أَظَلَّتْني ، فَنَظَرْتُ فَإِذا فيها جِبْريلُ عليه السَّلام ، فَناداني وَقالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَما رَدّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ ، لِتَأْمُرَهُ بِما شِئْتَ فيهِمْ ، فَناداني مَلَكُ الجِبالِ ، فَسَلَّمَ عَليَّ ، ثُمَّ قالَ : /يا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ [ق٩٣] قَوْمِكَ ، وَأَنا مَلَكُ الجِبالِ ، وَقَدْ بَعَثَني رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَني بِأَمْرِكَ بِما شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ ؟ » أَي : جبلي

---

(١) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٦/ ٣٥ . وأَخرج مُسلم برقم (١٧٩٥/ ١١١) بعضه . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها .

(٢) **لقد لقيتُ من قومِكِ** : قال صاحب السِّيرة الحلبيَّة ، ج١/ ٣٥٧ : أَي : أهل ثقيفٍ كما هوَ المُتبادَرُ . ثمَّ رأيت الحافظ ٱبن حَجر قال : المُراد بقومِ عائشة في قوله : « لقد لقيتُ من قومِكِ » : قريشٌ لا أَهلُ الطّائف الَّذين هم ثقيف ، لأَنَّهم كانوا السَّببَ الحاملَ علىٰ ذهابه ﷺ لثقيفٍ ، ولأَنَّ ثقيفاً ليسوا قومَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها . (ٱنظر الجامع في السِّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ٥١٤) .

(٣) **قرنُ الثّعالب** : ٱسم موضع قرب مكَّة . **وأَصلُ القَرْن** : كلُّ جبلٍ صغيرٍ منقطع من جبل كبير . ولعلَّه سمّيَ بذٰلك لكثرة الثَّعالب فيه .

مكّة[1] فقالَ ﷺ : « فقلتُ : بَلْ أَرْجو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً »[2] .

قُلْتُ : وابنُ عبد كُلالٍ هٰذا هوَ وإخوتُهُ رؤساءُ أَهل (الطّائِفِ) .

فَائِدَةٌ

في أَنَّ الاستهـزاءَ والسَّبَّ أَشدُّ من الطَّعن والضَّرب

قَالَ العُلَمَاءُ : جعلَ ﷺ ما نالَهُ مِنَ الاستهزاءِ وشماتَةِ الأَعداءِ أَشدَّ مِمّا لاقاهُ يومَ (أُحُدٍ) ؛ مِنْ قتلِ حمزةَ في سبعينَ مِنْ أَصحابه ، معَ ما نالَهُ في نَفْسه مِنَ الجراحة ، وما ذاكَ إلاّ أَنَّ نَفْسَ الكريم تتأذّىٰ بالأَذىٰ وبالقَولِ والسَّبِّ أَشدَّ مِمّا تتأذّىٰ بهِ مِنَ الطَّعنِ والضَّرب .

ولهٰذا عفا ﷺ عن كلِّ مَنْ تعرَّضَ لقتلِه ، وأَهدرَ دمَ كلِّ مَنْ تعرَّضَ لشتمِهِ .

ومعَ ذٰلكَ فقد كانَ ﷺ صابراً علىٰ ما نالَهُ مِنَ الأَذىٰ في نَفْسِهِ أَو عِرْضِهِ أَو أَهلِهِ ، لعلمِهِ بأَنَّ الامتحانَ عنوانُ الإيمانِ الَّذي يُتبيَّن به جواهرُ الرِّجالِ ، كما قيلَ : عندَ الامتحان يُكْرَمُ المرءُ أَو يُهانُ . وأَنَّ أَشدَّ النّاسِ بلاءً الأَنبياءُ ثُمَّ الأَمثلُ فالأَمثلُ ، زيادةً في حسناتِهم ورفع درجاتِهم .

[قالَ تعالىٰ] : ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة آل عِمران ٣/ ١٦٣] .

دخولُ النَّبيِّ ﷺ مكّةَ في جوارِ المُطعِمِ بن عديّ

ولمّا بلغَ ﷺ في مَرجعِهِ مِنَ (الطّائفِ) (حراءَ) ، بعثَ إلىٰ الأَخْنَسِ بنِ شَريقٍ ليُجيرَهُ فٱعتذَرَ ، وقالَ : (إنَّما أَنا حَليفٌ والحَليفُ لا يُجيرُ) ، فبعثَ إلىٰ سُهيلِ بنِ عَمْرٍو فٱعتذرَ ، وقالَ :

---

(١) وهُما : جبل أَبي قُبيس ، ومقابله : قعيقعان .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٠٥٩) ، ومُسلم برقم (١٧٩٥/ ١١١) .

(إِنَّ بني عامرٍ ـ أَي : ابنِ لُؤَيٍّ ـ لا تُجيرُ علىٰ بني كَعبِ بنِ لُؤَيٍّ بنِ غالِبٍ) ، فبعثَ إِلىٰ المُطْعِمِ بنِ عَديٍّ النَّوفَليّ ، فلبِسَ سلاحَهُ ، هوَ وأَهلُ بيته ، وخرجوا إِلىٰ المسجدِ ، وبعثوا إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ أَنِ ٱدخُلْ ، فدخلَ ﷺ في جِوارِهِم ، فطافَ بـ(الكعبة) وٱنصرفَ .

فلمّا كانَ يومُ (بَدْرٍ) قالَ النَّبيُّ ﷺ : « لَوْ كانَ المُطْعِمُ بنُ عَديٍّ حَيّاً وَكَلَّمَني في / هٰؤلاءِ [النَّتْنىٰ] ـ يعني : الأَسرىٰ ـ لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ »[1] [ق٩٤] وكانوا سبعينَ أَسيراً .

عَرْضُ النَّبيِّ ﷺ نَفْسَهُ علىٰ القبائل

وفي[2] السَّنة الحاديةَ عَشْرةَ ، في المَوسِم منها : ٱجتهدَ النَّبيُّ ﷺ في عرضِ نفسِهِ علىٰ القبائلِ في مَجامِعهم بالمَوسم بـ (منىً ، وعرفاتٍ) أَيُّهُم يَمنَعُهُ ويؤويه .

وٱجتمعتْ قُريش إِلىٰ الوليد بنِ المُغيرة ليأمرَهُم بما يَرمونَ به النَّبيَّ ﷺ في المَوسِم ، لتكونَ كلمتُهُم واحدةً ، وعَرضوا عليه أَنْ يَقولوا ساحرٌ أَو شاعرٌ أَو كاهنٌ أَو مَجنونٌ ، فقالَ : (واللهِ ما هوَ بشاعرٍ ولا ساحرٍ ولا كاهنٍ ولا مَجنونٍ ، ولقد سمعتُ قولاً ما هوَ مِنْ كلام الإِنس ، ولا مِنْ كلام الجِنِّ) ، قالوا : فكيفَ نقولُ فيه ؟ ففكَّرَ في نفسه ، ثمَّ قالَ : (إِنَّ أَقربَ القولِ فيه أَنْ تقولوا ساحرٌ ، جاءَ بقولٍ هوَ سحرٌ يُفرِّقُ بينَ المَرءِ وزوجِهِ ، وبينَ المَرءِ وأَخيه ، فتفرَّقوا علىٰ ذٰلك ، وجَعلوا يُلقونَهُ إِلىٰ مَنْ قَدِمَ إِليهم مِنْ أَهلِ المَوسِمِ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٩٧٠) . عن جُبير بن مُطْعِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) **قلتُ** : وهٰذا بعد رجوعه مِنَ الطّائف في ذي القَعدة من السَّنة العاشرة للبعثة . وقد كان النَّبيُّ ﷺ يَعرِض الإِسلامَ علىٰ القبائل منذ السَّنة الرّابعة لبعثَته .

وكانَ أَبو لهبٍ يَقفو أَثرَ النَّبيِّ ﷺ ، فكلَّما أَتىٰ قوماً ودعاهُم إِلىٰ الله كذَّبَهُ عمُّهُ وحذَّرهُم منه .

وفي الوليد بنِ المُغيرة أَنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا * سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا * إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ * فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ * إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ * سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴾ [سورة المُدَّثر ٧٤/١٦ـ٢٦][1] .

ولمّا أَرادَ اللهُ تعالىٰ كرامةَ الأَنصار ، وإِعزازَ دينِه بِهم ، لقيَ النَّبيُّ ﷺ في ذٰلك المَوسِمِ ستَّةَ نفرٍ منهُم ، فعَرضَ عليهِم ما عَرضَ علىٰ غيرهِم ، فقالوا فيما بينَهُم : واللهِ إِنَّهُ لَلنَّبيُّ الَّذي تُواعِدُنا به اليَهودُ ، فلا يَسبقونا إِليه[2] .

ابتداءُ أَمر الأَنصار

وكانَ اليَهودُ يَقولونَ لَهُم : قَدْ أَظلَّ[3] زمانُ نبيٍّ سوف نتَّبِعُهُ ، ونقتُلُكُم معَهُ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ ﴾ ـ أَي : يَستنصِرونَ ـ ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٨٩] .

وكانوا قد وُضِعَتْ عليهِم تكاليفُ شاقَّةٌ ، وحُرِّمَتْ / عليهِم طيّباتٌ أُحِلَّت لَهُم مِنْ قَبْلُ ، فوُعِدوا بوضع التّكاليف وحِلِّ الطَّيِّبات علىٰ لسان مُحمَّدٍ ﷺ ، وهوَ معنىٰ قولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي [ق٩٥]

---

(١) **عنيداً** : معانداً مخالِفاً . **بسرَ** : كرّهَ وجهَهُ .
(٢) ابن هشام ، ج١/٤٢٨ .
(٣) **أَظلَّ** : قرُبَ .

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ ﴾ ـ أي : حِمْلَهُمُ الثَّقيل ـ ﴿ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الأعراف ٧/١٥٧] ؛ [وقولِهِ تعالىٰ] : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٨٦] .

إسلامُ النفرِ الَّذينَ لقيَهُمُ النَّبيُّ ﷺ في الموسمِ

فلمّا عَرَضَ نفسَهُ[١] علىٰ السِّتَّة النَّفر مِنَ الأنصارِ[٢] ، أَتوْهُ ليلاً فآمنوا به وصدَّقوهُ ، وقالوا : إِنَّ قومَنا بينَهُمُ العَداوةُ والبَغضاءُ ، فإِنْ جَمَعَنا اللهُ بِكَ فلا رَجُلَ أَعزُّ علينا منكَ .

فلمّا قَدِموا (المَدينَةَ) أَخبروا قومَهُم ، وفشا فيهِمُ الإِسلامُ ، فلم تبقَ دارٌ مِنْ دورِ الأَنصارِ إِلاّ وفيها ذِكْرُ رسولِ الله ﷺ .

وكانَ ذٰلكَ عَقيبَ يوم (بُعاثٍ)[٣] ـ بموحَّدةٍ مَضمومَةٍ ، ثمَّ مُهملةٍ ومُثلَّثةٍ ـ وهو يومٌ وقعتْ فيه مَقْتَلَةٌ عظيمةٌ بينَ الأَوسِ والخَزرج في شوّالٍ في هٰذه السَّنة .

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، كانَ يومُ (بُعاثٍ) يوماً قدَّمَهُ اللهُ لرسولِهِ ، فقدِمَ رسولُ اللهِ وقد ٱفترقَ مَلَؤُهُمْ ، وقُتِلَتْ سَرَواتُهُم ، وَجُرِّحوا ، فدخلوا في الإِسلام[٤] .

---

(١) **قلتُ** : كان ذٰلك في موسم الحجِّ من السَّنة الحادية عشرة من بعثته ﷺ .

(٢) وهُم : أَبو أُمامة أَسعد بن زُرارةَ ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقُطبة بن عامر ، وعُقبة بن عامر ، وجابر بن عبد الله بن رياب رضيَ اللهُ عنهُم . (ابن هشام ، ج١/ ٤٢٩) .

(٣) **بُعاث** : موضعٌ قرب المدينة .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٦٦) . **سَرَواتُهُم** : خيارهم وأَشرافهم وعظماؤهم .

زواجُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ عائِشَةَ رضي اللهُ عنها

وفي شوّالٍ مِنَ السَّنة الثَّانيةَ عَشْرَةَ[1] : عُقِدَ نكاحُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

وفي « صحيح البُخاريِّ » تُوفِّيتْ خديجةُ قبلَ الهِجْرَة بثلاثِ سنينَ ، ونكحَ عائشةَ بعدَ موتِ خديجةَ بسنتين أَو قريباً مِنْ ذٰلكَ ، وهيَ بِنْتُ سِتِّ سنينَ ، وبنىٰ بها وهيَ بِنتُ تسعٍ ـ أَي : بعدَ سنةٍ ونصفٍ مِنَ الهِجرة ، في شوّالٍ أَيضاً[2] ـ .

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ لِعائِشَةَ : « أُرِيتُكِ في المَنام مَرَّتَيْنِ ، رَأَيْتُ المَلَكَ يَحْمِلُكِ في سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ ، فقالَ : هٰذِهِ زَوْجَتُكَ ، فأَكْشِفُ ، فَإِذا هِيَ أَنْتِ ، فقلتُ : إِنْ يكُنْ هٰذا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ »[3] .

[ق٩٦]

بيعةُ العقبة الأُولىٰ

وفي المَوسمِ مِنَ السَّنةِ الثَّانيةَ عَشْرةَ : وافاهُ اْثنا عشرَ / رجلاً مِنَ الأَنصار ، فبايَعوهُ عندَ (العقبةِ) بيعةَ النِّساء[4] : ﴿ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ ، إِلىٰ آخر الآية ، [سورة المُمتحنة ٦٠/١٢] . ورَجعوا .

بَعْثُ مُصْعَبٍ رضيَ اللهُ عنهُ إِلىٰ المدينة واْنتشار الإِسلام فيها

وبعثَ معهُم النَّبيُّ ﷺ مُصعَبَ بنَ عُميرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، يُقرِئُهُم

---

(١) قلتُ : لعلَّ الصَّواب في الحادية عشرة ؛ حيث إِنَّ زواجه ﷺ منها كان في شوّالٍ من السَّنة الحادية عشرة للبعثة . وأَنَّ بناءه بها كان في شوّال من السَّنة الأُولىٰ للهجرة . واللهُ أَعلمُ . (الرحيق المختوم ، ص١٥٤) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٨٣) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٨٢) . ومُسلم برقم (٢٤٣٨/٧٩) .
سَرَقَة : قطعة حريرٍ فاخرة .

(٤) قلتُ : أَي يعني وفقَ ما نزلتْ عليه بيعة النِّساء بعد ذٰلك عامَ الحديبية . (البداية والنِّهاية ، ج٣/ ١٥١) . وقد تمَّت هٰذه البيعة ليلةَ العقبة في ذي الحجَّة من السَّنة الثَّانية عشرةَ للبعثة ، قبل مُهاجَرِ رسول الله ﷺ إِلىٰ المدينة بسنةٍ وثلاثةِ أَشهرٍ .

القرآنَ ، فأَسلمَ علىٰ يَديهِ السَّعدانِ : سَعدُ بنُ مُعاذٍ سيّدُ الأَوس ، وسَعدُ بنُ عُبادةَ سيّدُ الخَزرج ، فأَسلمَ لإِسلامهِما كثيرٌ مِنْ قومهِما .

بيعةُ العَقَبةِ الثانيةِ

وفي المَوسمِ مِنَ السَّنةِ الثَّالثةَ عشرةَ : خرجَ حُجّاجُ الأَنصارِ مِنَ المُسلمينَ معَ حُجّاج قومِهِم مِنَ المُشركينَ ، فلمّا قَدِموا (مكَّةَ) ، واعدوا رسولَ الله ﷺ في (العقبةِ) مِنْ أَوْسطِ لَيالي التَّشريق ؛ فلمّا كانَ ليلةَ الميعادِ باتوا مع قومِهِم ، فلمّا مضىٰ ثُلثُ اللَّيل خرجوا مُستخْفينَ ، فلمّا ٱجتمعوا بالشِّعب عندَ (العَقَبةِ) ، جاءَهُم رسولُ الله ﷺ ومعَهُ عمُّهُ العبّاسُ ، وهوَ يومئذٍ باقٍ علىٰ دينه ، لٰكنْ أَرادَ أَن يَتوثَّقَ لابنِ أَخيه ، فتكلَّمَ رسولُ الله ﷺ وقالَ : « أُبايِعُكُمْ علىٰ أَنْ تَمْنَعوني مِمّا تَمْنَعونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَنِساءَكُمْ وَأَبناءَكُمْ ؟ » ، قالوا : نعم ، فقالَ لَهُم : « أَخْرِجوا إِليَّ مِنْكُمْ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقيباً كُفَلاءَ عَلىٰ قَوْمِهِم » ، فأَخرجوهُم .

وهُم تسعةٌ مِنَ الخَزرج : أَسعدُ بنُ زُرارةَ ـ بضمِّ الزّاي ـ ، والبراءُ بنُ مَعْرورٍ ـ بمهملاتٍ ـ ، ورافِعُ بنُ مالكِ بن عَجلانَ ، وسَعدُ بنُ الرَّبيع ، وسَعدُ بنُ عُبادةَ ، وعُبادةُ بنُ الصّامِتِ ، وعبدُ الله بنُ رَواحةَ ، وعبدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرامٍ ـ والدُ جابرٍ ـ والمُنذرُ بنُ عَمْرٍو .

وثلاثةٌ مِنَ الأَوسِ ، وهُم : أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ ـ مصغَّرين ، وبحاءٍ مُهملةٍ وضادٍ مُعجمةٍ ـ ورفاعَةُ بنُ عبد المُنذرِ ، وسَعدُ بنُ خَيثمةَ ـ بمعجمةٍ مفتوحةٍ وتحتيَّةٍ ثُمَّ مُثلَّثةٍ ـ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين .

فقالَ لَهُم رسولُ الله ﷺ : « إِنْ أَنْتُم كُفَلاءُ عَلىٰ قَوْمِكُمْ كَكَفالَةِ الحَوارِيِّينَ[1] لِعيسىٰ ٱبنِ مَرْيَمَ ، وأَنا الكَفيلُ عَلىٰ قَوْمي ؟ » ،

---

(١) **الحواريّونَ** : المخلصونَ لأَنبيائهم ، المناصرونَ لهم .

قالوا : نعم ، فبايَعوهُ ، ووعدَهُم علىٰ الوفاء : الجنَّةَ . وجُملَتُهُم : ثلاثةٌ وسبعونَ رجلاً وٱمرأتانِ / . [ق٩٧]

ورويَ أَنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ كانَ إِلىٰ جنبِ النَّبيِّ ﷺ عندَ مبايعتِهِم ، وهو يُشيرُ إِليهم واحداً بعدَ واحدٍ[1] .

تحذيرُ إبليسَ قُريشاً مِنَ البيعةِ

ولمّا تمَّتِ البَيعةُ صاحَ إِبليسُ ـ لعنَهُ اللهُ ـ صيحةً مُنكَرةً ، مُشبِّهاً صوتَهُ بصوت مُنبِّه بنِ الحجّاج السَّهميّ : يا أَهلَ (مِنىٰ) : هٰذا مُحمَّدٌ وأَهلُ (يَثْرِبَ) قدِ ٱجتمعوا لحربِكُم ، فقالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ : « أَيْ عَدُوَّ اللهِ ، أَما وَٱللهِ لأَفْرُغَنَّ لَكَ »[2] ، ثمَّ تفرَّقوا .

ٱستجلاءُ قُريشٍ الحقيقةَ

فلمّا أَصبحوا غَدَتْ عليهِم رؤساءُ قُريشٍ ، وقالوا : يا معشرَ الخزرجِ ، بلَغَنا أَنَّكُم جِئتُم إِلىٰ صاحِبنا تستخرجونَهُ مِنْ بين أَظْهُرِنا ، وتُبايعونَهُ علىٰ حَرْبِنا ، وإِنَّه واللهِ ما حَيٌّ مِنَ العرب أَبغضُ علينا أَنْ تَنْشَبَ الحربُ بيننا وبينَهُم منكُم ، فحلفَ مُشركوا الأَنصار ما كانَ مِنْ هٰذا شيءٌ ولا عَلِمْناهُ ، وصَدَقوا ، فإِنَّهم لَمْ يَعلموا .

تأكُّدُ قُريشٍ مِنْ صِحَّةِ الخبرِ، ومـلاحقتهـا للمبايعين

فلمَّا تفرَّقَ النّاسُ مِنْ (مِنىً) فتَّشت قُريشٌ عن الخَبرِ فوجدوهُ قد كانَ ، فخرجوا في طلب القَوم ففاتوهُم ، إِلاّ أَنَّهُم أَدركوا سَعدَ بنَ عُبادةَ ، فرجَعوا به أَسيراً يَضربونَهُ ، فٱستنقَذَهُ منهُم مُطْعِمُ بنُ عديٍّ والحارثُ بنُ حربِ بنِ أُميَّةَ ؛ لصنائعَ كانت لسعدٍ في رِقابِهما ، وخوَّفوا قُريشاً مِنْ تعرُّض الأَنصارِ لَهُم علىٰ طريق (الشّام) .

إذنُ النَّبيِّ ﷺ لأَصحابهِ بالهجرةِ إلىٰ المدينة

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لأَصحابِهِ : « إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَاناً وَداراً تَأْمَنونَ بِها »[3] .

---

(١) دلائل النُّبوَّة ، ج٢/ ٤٥٣ .
(٢) ابن هشام ، ج٢/ ٤٤٧ .
(٣) ابن هشام ، ج١/ ٤٦٨ .

وأَمرَهُم بالهجرةِ إِلىٰ (المَدينة) ، فهاجروا إِليها ، فلَقُوْا عند الأَنصار خيرَ دارٍ وخيرَ جوارٍ ، آثروهُم علىٰ أَنفسِهم ، وقاسموهُم في أَموالِهِم .

وبذٰلك أثنَىٰ الله عليهم في مُحْكَم كتابه العزيز بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر ٩/٥٩] ، رضيَ اللهُ عنهُم .

ثناءُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ الأَنصار

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَوْلا ٱلهِجْرَةُ لَكُنْتُ ٱمْرَأً مِنَ الأَنْصارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وادياً وَسَلكَتِ الأَنْصارُ شِعْباً ، لَسَلَكْتُ واديَ الأَنصارِ وَشِعْبَهُمْ »[1] .

[ق٩٨]

وفيهما ـ [أي : الصَّحيحين] ـ أَنَّهُ ﷺ / قالَ قُبيلَ موتِهِ : « أُوصيكُمْ بِٱلأَنْصارِ خَيْراً ، فَإِنَّهُمْ كَرِشي وَعَيْبَتي ، قَدْ قَضَوْا الَّذي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ الَّذي لَهُمْ ، فٱقْبَلوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجاوَزوا عَنْ مُسيئِهِمْ »[2] .

ٱنتظارُ النَّبيِّ ﷺ الإِذْنَ بالهجرة

وأَقامَ ﷺ بـ(مكَّةَ) يَنتظرُ الإِذنَ في الهِجرة ، ولَمْ يَتخلَّفْ منهُم إلاّ مَن حَبَسَهُ المُشركونَ ، وإلاّ أَبو بكرٍ وعليٌّ رضيَ اللهُ عنهُما ؛ فإِنَّهما حَبسا أَنفُسَهُما علىٰ صُحبةِ رسولِ الله ﷺ .

وفي « صحيحيْ البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أَنَّه ﷺ قالَ : « رَأَيْتُ في المَنامِ أَنّي أُهاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلىٰ أَرْضٍ بِها نَخْلٌ ، فَذَهَبَ وَهَلي إِلىٰ أَنَّها

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٨١٨) . ومُسلم برقم (١٠٦١/١٣٩) . عن عبد الله بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم(٣٥٨٨) . ومُسلم برقم (٢٥١٠/١٧٦) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . كَرِشي : بطانتي وموضع سرّي . عَيْبَتي : موضع النُّصح له ، والأُمناء علىٰ سرِّه .

اليَمامَةُ [أَوْ هَجَرُ] ، فإِذا هِيَ المَدينةُ يَثْرِبُ »[١] .

قُلْتُ : هٰكذا سمّاها (يَثرِبَ) ، ثمَّ سمّاها (طيبةَ) ، ونهىٰ عن تسميتها (يَثربَ)[٢] .

المُهاجرونَ الأوائِلُ

[وفي « صحيح البُخاريّ »] ، عن البَراء بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : أَوَّلُ مَنْ قدِمَ علينا مُصْعبُ بنُ عُميرٍ ، وٱبنُ أُمِّ مَكتومٍ ، وكانوا يُقْرِئانِ النّاسَ ، ثمَّ قدِمَ سعدٌ ـ أَي : ٱبن أَبي وقّاصٍ ـ وبلالٌ ، وعمّارُ بنُ ياسرٍ ، ثمَّ قَدِمَ عُمرُ بنُ الخطّابِ في عشرينَ من أَصحاب النّبيِّ ﷺ ، ثمَّ قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ[٣] .

خوفُ قُريشٍ مِن خروجِ النَّبيِّ ﷺ وٱجتماعُهُم بدارِ النَّدوةِ

فلمّا رأتْ قُريشٌ ما لقيَ أَصحابُ رسولِ الله مِنْ طيبِ الدّار ، وحُسْنِ الجِوارِ ، خافوا خروجَ النَّبيِّ ﷺ ، فٱجتمعوا في أَوَّل المُحرَّم مِنَ السَّنة الرّابعةَ عشرةَ في (دار النَّدوةِ)[٤] ، وتشاوروا في أَمره ، وتصوَّرَ لَهُم إِبليسُ ـ [لعنهُ اللهُ] ـ في صورةِ شيخٍ نَجديٍّ ، مُشاركاً لَهُم في الرّأي .

---

(١) أخرجه البخاريُّ ، برقم (٣٤٢٥) . ومُسلم برقم (٢٢٧٢/ ٢٠) . عن أَبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ . **وَهَلي** : ظَنّي وٱعتقادي . **هَجَر** : قاعدة البحرين المدينة المعروفة ، وهي محافظة الأحساء اليوم ، تقع شرقي المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية .

(٢) وذٰلك لأَن معنىٰ **يثرب** : الفسادُ ، ومعنىٰ **طَيْبَةَ** : الطِّيبُ . ومنه : جعلت لي الأرضُ طيّبةً طهوراً ، أي : نظيفةً غيرَ خبيثةٍ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧١٠) .

(٤) **قلتُ** : صارت دار النَّدوة بعد قصيٍّ لولده عبد الدّار ، فبقيت في نسله حتّىٰ ٱشتراها معاوية بن أَبي سفيان من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدّار ، وجعلها دار الإمارة ، وقيل : لمّا حجَّ معاوية ٱشتراها من الزُّبير العبدري بمئة ألف درهم . ثمَّ صارت كلُّها في المسجد الحرام بعد توسعته .

فقالَ قائلٌ منهُم : أَرىٰ أَنْ تربِطوهُ في الحديد ، وتُغلقوا دونهُ الأَبوابَ حتّىٰ يَموتَ ، وقالَ آخَرُ : أَرىٰ أَنْ تُخرجوهُ مِنْ بينِ أَظهُركم ، فتستريحوا منهُ ، وإِنْ قتلَهُ غيرُكُمْ كفاكُم شرَّهُ ، وإِنْ ظفِرَ بالعرب فعِزُّهُ عن عزِّكُم ، فقالَ أَبو جهلٍ : الرّأيُ عندي أَن تُخْرِجوا لهُ مِنْ كلِّ قبيلةٍ رجُلاً ، فيقتُلوهُ دفعةً واحدةً ، فَيتفرَّقَ دمُهُ في القبائل ، فيَعجزَ قومُهُ عن طَلبِ الثّأرِ به . فقالَ الشَّيخ النَّجديُّ : هٰذا واللهِ هوَ الرّأيُ . فتفرَّقوا علىٰ ذٰلك .

الإِذنُ بالهجرةِ [ق٩٩] فأَخبرَ / جبريلُ النَّبيَّ ﷺ بما قَصدوا لَهُ ، وأَمرهُ بالهجرة ليلةَ كذا ، وهيَ اللَّيلةُ الَّتي عَلِمَ اللهُ سبحانَهُ أَنَّهُم يمكُرون به فيها .

وفي ذٰلك يَقول اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ ـ أَي : يَحْبِســوكَ ـ ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ ـ أَي : يُحارِبُهُم اللهُ ـ ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال ٨/ ٣٠] (١) .

الإِسرارُ إِلىٰ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بالهجرة وكانَ أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قد تجهَّزَ للهجرة إِلىٰ (المَدينة) ، فقال لهُ رسولُ الله ﷺ : « عَلىٰ رِسْلِكَ ـ أَي : أَمْهِلْ ـ فإِنّي أَرجو أَنْ يُؤْذَنَ لي فيها » . فعَلَفَ أَبو بكرٍ راحلتين كانتا عندَهُ ورقَ التَّمر (٢) .

---

(١) قلتُ : قد يقول قائلٌ : ما بال الترتيب في هٰذه الآية لم يأتي علىٰ حسب الواقع ، ولِمَ وسَّط اللهُ القتل مع أَنَّه كان في المشاورة بدار النَّدوة آخِراً ؟ . والجوابُ : أَنَّ هٰذا من عجيب أُسلوب القرآن ، وبديع طريقته ، ذٰلك أَنَّ الرّأي الَّذي اختاروه هو القتل ، فجاءت الآية علىٰ هٰذا النَّسق البديع من توسيط القتل بين الحبس والإِخراج ، لتدلَّ الآية بوضعها وترتيبها علىٰ الرّأي الوسط المختار ، وهو سرٌّ من أَسرار الإِعجاز . فللّه ربُّ التنزيل ما أَكرمه وما أَبلغه .

(٢) قلتُ : كان عند أَبي بكرٍ راحلتان ، فقال أَبو بكرٍ للنَّبيِّ ﷺ : خُذ بأَبي =

قالت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : فبينما نحنُ جلوسٌ في نَحْرِ الظَّهيرة ـ حينَ تبلغُ الشَّمسُ مُنتهاها مِنَ الارتفاع ، كأَنَّها وصلت إِلىٰ النَّحْر ، وهوَ أَعلىٰ الصَّدر ـ إِذْ أَقبلَ رسولُ الله ﷺ فقال أَبو بكرٍ : فِداهُ أَبي وأُمّي ، ما جاءنا في هٰذه السّاعة الَّتي لم يكُن يأتينا فيها إِلاّ لأَمرٍ قد حدثَ ، فلمّا دخلَ ﷺ قالَ لَهُ : « أَخْرِجْ مَنْ عِندَكَ » ، قالَ : فإِنَّما هُمْ أَهلُكَ . قالَ : « فَإِنّي قَدْ أُذِنَ لي في الخُروجِ »

وواعده وقتَ السَّحر ، وأَمرهُ بالتَّجهيز .

قالت عائشةُ : فجهَّزناهُما أَحثَّ الجهاز ـ بالمُثلَّثة ، أَي : أَسرعَهُ ـ وٱستأجرا رجُلاً دليلاً ماهراً[١] ، قد دفعا إِليه راحِلتَيْهِما ، وواعداهُ (غارَ ثَوْرٍ) بعدَ ثلاث ليالٍ .

خروجُ النَّبيِّ ﷺ وأَبي بكرٍ إِلىٰ الغار

ثمَّ لحقا بـ(الغار) ، فمكثا فيه ثلاثاً يَبيتُ عندَهُما عبدُ الله بنُ أَبي بكرٍ ، وهوَ يومئذٍ غلام فَطِنٌ ، ويَدَّلِجُ[٢] مِنْ عندِهِما بسَحَرٍ ، فيصبِحُ بـ (مكَّةَ) مع قُريشٍ كبائتٍ فيها ، فلا يَسمعُ أَمراً يُكادانِ به إِلاّ وعاهُ ، وأَتاهُما بذٰلك حينَ يَختلِطُ الظَّلامُ ، ويَرعىٰ عليهما عامرُ بنُ فُهيرةَ مولى أَبي بكرٍ منائحَ مِنْ غَنمٍ[٣] ، فيريحُها عليهما عشياً[٤] ،

= أَنت يا رسول الله إِحدىٰ راحِلتيّ هاتين ، فقال رسول الله ﷺ : « بالثَّمن » . فأَخذ إِحداهما ، وهيَ : القَصْواءُ . وإِنَّما ٱشترط النَّبيُّ ﷺ أَن يكون ذٰلك بالثَّمن مع أَنَّ أَبا بكرٍ أَنفق ماله في سبيل الله ورسوله ؛ لأَنَّهُ أَحبَّ أَلاّ تكون هجرته إِلاّ من مال نفسه . وكان ثمنها أَربع مئة درهم .

(١) وهو : عبد الله بن أُرَيْقِط . (ابن هشام ، ج١/ ٤٨٥) .

(٢) **يَدَّلجُ** : يخرج وقت السَّحر منصرفاً إِلىٰ مكَّة .

(٣) **منحةٌ من غنم** : غنماً فيها لبنٌ .

(٤) أَي : يأوي بها ليلاً .

وينعَقُ بها مِنْ عندهم(١) .

تطويقُ المشركينَ دارَ النَّبيِّ ﷺ

وكانَ المُشركونَ قبلَ خروج النَّبيِّ ﷺ منْ دارِهِ قد قَعدوا لَهُ علىٰ بابِهِ تلكَ اللَّيلةَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : « نَمْ علىٰ فراشي ، وتَسجَّ بِبُرْدي الحَضْرَميِّ الأَخضرِ فَنَمْ فيه ، فإنَّه لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تكْرَهُهُ مِنْهُمْ »(٢) / . [ق١٠٠]

وخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ وبيده حَفْنَةٌ مِنَ التُّراب ، وهوَ يَتلو فيها صدرَ سورة (يٓس) إلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يٓس ٣٦/ ٩] .

فأَعمىٰ اللهُ أَبصارَهُم عنهُ ، وجعلَ يَنْثُرُ علىٰ رؤوسِهِمُ التُّرابَ ، فأَتاهُم آتٍ ، فقالَ : ما تنتظرونَ؟ قالوا : مُحمَّداً ، قالَ : خيَّبَكُمُ اللهُ ! ! واللهِ لقد خرجَ عليكُم محمَّدٌ وما تركَ رجلاً منكُم إلاّ وقد وضعَ علىٰ رأسِهِ تُراباً ، فتفقَّدوا رؤوسَهُم فوجدوا التُّراب عليها كما قالَ .

ثمَّ نظروا إلىٰ الفِراش فوجدوا عليّاً مُسَجًّى بالبُرْد ، فبقُوْا مُتحيّرينَ ، وفترَ حِرْصُهُم علىٰ النَّبيِّ ﷺ .

جائزةُ قريشٍ لِمَنْ يَردُّ النَّبيَّ ﷺ وصاحبَهُ

فلمّا عَلِموا بخروجهم وقعوا في الأَسف ، فطلبوهُم بأَشدِّ وجوهِ الطَّلب ، وأَخذوا علىٰ الطُّرقات بالرَّصدِ ، وجعلوا دِيَةَ كلِّ واحدٍ منهُما لِمَن أَسرَهُ أَو قتلَهُ(٣) .

وصولُ المُشركين إلىٰ باب الغارِ

ومرّوا علىٰ (غارِهما) ، فأَعمىٰ اللهُ أَبصارَهُم عنهُما ، وأَلهَمَ اللهُ العنكبوت فنسجت علىٰ فمِ (الغار) ، وحمامتين فعشَّشَتا

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٩٢ ـ ٣٦٩٤) . **ينعَقُ الرّاعي بغنمه** : يصيح بها ويزجرها .

(٢) ابن هشام ، ج١/ ٤٨٢ ـ ٤٨٣ .

(٣) وهي مئة ناقة .

علىٰ فمه ، فلمّا رأَوْا ذٰلك قالوا : لو دخله أَحدٌ ما كان هٰكذا .

لا تحزن إنَّ اللهَ معنا

وفي « الصَّحيحين » ، من حديث أَنسِ بنِ مالكٍ ، عن أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : نظرتُ إلىٰ أَقدام المُشركينَ ونحن في الغار ، وهُم علىٰ رؤوسنا ، فقلتُ : يا رسول الله ، لو أَنَّ أَحدَهُم نظرَ إلىٰ قدميه لأَبصرنا تحتَ قدميه ، فقالَ : « يا أَبا بكرٍ ، ما ظنُّكَ بٱثْنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما »(1) .

وفي ذٰلك يَقولُ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٤٠] .

وما أَحسنَ قولَ صاحب البُردة ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيهما ، [مِنَ البسيط](2) :

أَقْسَمْتُ بِٱلْقَمَرِ ٱلْمُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ
مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرورَةَ ٱلْقَسَمِ(3)

وَما حَوىٰ ٱلغارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ ٱلْكُفّارِ عَنْهُ عَمِيَ

فَٱلصِّدْقُ في ٱلغارِ وَالصِّدّيقُ لَمْ يَرِما
وَهُمْ يَقولونَ ما بِٱلغارِ مِنْ أَرِمِ(4)

/ ظَنّوا ٱلحَمامَ وَظَنّوا ٱلعَنْكَبوتَ عَلىٰ [ق١٠١]
خَيْرِ ٱلبَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ وَلَمْ تَحُمِ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٥٣) .
(٢) البُردة ، في معجزاته ﷺ ، ص٣٤ .
(٣) يُريد أَنَّ للقمر المنُشقِّ نسبةً إلىٰ قلب النَّبيِّ ﷺ ؛ فقد كان يناغيه صغيراً .
(٤) **لم يَرِما** : لم يبرحا . **من أَرِم** : من أَحدٍ .

وِقـايَـةُ ٱللهِ أَغْنَـتْ عَـنْ مُضـاعَفَـةٍ
مِنَ الدُّروعِ وَعَنْ عالٍ مِنَ ٱلأُطُمِ[1]

مدّة إقامة النّبيِّ ﷺ في الغار

وبعد الثّلاثِ جاءَهُمُ الدَّليلُ[2] بالرّاحلتين فٱرتحلوا ، وأَردفَ النَّبيُّ ﷺ عامرَ بنَ فُهيرةَ ليخدُمَهُما ، فأَخذ بِهِم الدَّليلُ طريقَ السَّواحل .

خروجُ النّبيِّ ﷺ إلىٰ المدينة

وفي « الصَّحيحين » ، من حديث البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، عن أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : فأَسرينا ليلتَنا كلَّها ، حتّىٰ قامَ قائِمُ الظَّهيرة[3] ، وخلا الطَّريق فلا يَمُرُّ فيه أَحدٌ ، حتّىٰ رُفِعَتْ لنا صَخْرَةٌ[4] طويلةٌ لها ظِلٌّ ، لَم تَأْتِ عَلَيهِ الشَّمسُ بعدُ ، فنزلنا عندها ، فأَتيتُ الصَّخرةَ وسوَّيتُ بيدي مكاناً ينامُ فيه رسولُ الله ﷺ ، ثمَّ بسطتُ عليه فَروةً ، ثمَّ قلت : نَم يا رسولَ الله ، وأَنا أَنفُضُ لك ما حولكَ[5] ، فنامَ ، وخرجتُ أَنفُضُ ما حولَهُ ـ أَي : أَستبرئهُ ـ ، فإِذا أَنا براعٍ مُقبلٍ بغنمِهِ إِلىٰ الصَّخرة ، يُريد منها الَّذي أَردناهُ ، فلقيتُهُ ، فقلتُ ، لِمَن أَنتَ يا غلامُ ؟ ، فقالَ : لرجلٍ منْ أَهل المدينة ـ يعني : (مكَّةَ) ، فهوَ صِفَةٌ لا عَلَمٌ ـ فقلتُ : أَفي غنمكَ لبنٌ ؟ ، قالَ : نعم ، قلتُ : أَفتحلِبُ لي؟ ، قالَ : نعم ،

---

(١) **الأُطُمُ** : الحصن .

(٢) **قلتُ** : وهو عبد الله بن أُرَيْقِط ، وكان علىٰ دين كفّار قريشٍ ، ولم يعرف له إِسلام قطُّ . وهٰذا يدلُّ علىٰ مروءة العرب ، ووفائهم وأَمانتهم ، وإِلاّ فقد كان يمكنه أَنْ يدلَّ المشركين عليهما ، ويأخذ المكافأة .

(٣) **قائم الظهيرة** : نصف النَّهار ، وهو حال ٱستواء الشَّمس . سُمّي قائماً لأَنَّ الظِّلَّ لا يظهَرُ فكأَنَّهُ واقفٌ قائمٌ . (أَنصاريّ) .

(٤) **رفعت لنا صخرةٌ** : ظهرت لأَبصارنا ، (أَنصاريّ) .

(٥) أَي : أَحرُسُكَ وأَنظر جميع ما في المكان .

فأَخذَ شاةً ، فقلتُ لَهُ : ٱنْفُضِ الضَّرعَ مِنَ الشَّعر والتُّراب والقَذىٰ ، فحلبَ لي في قَعْبٍ معهُ ـ أَي : قدح ـ كُثْبَةً[1] من لبنٍ ، قالَ : ومعي إداوةٌ[2] أَرتوي فيها للنَّبيِّ ﷺ ، ليَشربَ منها ويَتوضَّأَ ، قالَ : فأَتيتُ النَّبيَّ ﷺ وكرهتُ أَنْ أُوْقِظَهُ مِنْ نومه ، فوقفتُ حتّىٰ ٱستيقظَ . ـ وفي روايةٍ : فوافقتُهُ حين ٱستيقظَ ـ فصببتُ علىٰ اللَّبن مِنَ الماء حتّىٰ بردَ أَسفَلُهُ ، فقلتُ يا رسولَ الله : ٱشرب منْ هٰذا اللَّبن ، فشرِبَ حتّىٰ رضيتُ ، ثمَّ قالَ : « أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحيل ؟ » ، قلتُ : بلىٰ ، قالَ : فٱرتحلنا بعدما زالَتِ الشَّمسُ ، فٱتَّبَعَنا سُراقةُ بنُ مالكٍ ، ونحنُ في جَلَدٍ مِنَ الأَرض /ـ أَي : موضعٍ صَلبٍ ـ فقلتُ : يا رسولَ الله [ق١٠٢] أُتينا ، فقالَ : « لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا » ، فدعا عليه رسولُ الله ﷺ ، قالَ : فٱرتطمتْ فرسُهُ إلىٰ بطنها[3] ، فقالَ : إِنّي قد علِمتُ أَنَّكما قد دعوتُما عليَّ ، فٱدْعُوَا لي ، فاللهُ لَكُما أَنْ أَرُدَّ عنكما الطَّلبَ ، فدعا لَهُ رسولُ الله ﷺ فنجا ، فجعلَ لا يَلقىٰ أَحداً إِلاّ قالَ : قد كَفَيْتُكُم ما هاهُنا ، ولا يَلقىٰ أَحداً إِلاّ ردَّهُ ، فوفّىٰ لنا[4] .

وصولُ النَّبيِّ ﷺ إلىٰ قُباءٍ

فأَقامَ ﷺ بـ (قُباءٍ) ، ثمَّ دخلَ (المَدينَةَ) يوم الإثنين أَيضاً[5] .

دخولُ النَّبيِّ ﷺ المدينة، ودعوةُ الأَنصار لَهُ بالنزُول عندَهُم

قالَ أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : فقدِمنا (المدينةَ) ليلاً ، فتنازعوا علىٰ أَيِّهم يَنزلُ عليه ، فقالَ ﷺ : « أَنزِلُ علىٰ بَني النَّجار ، أَخوالِ

---

(١) **الكُثبةُ** : هي قَدْرُ حلبةٍ خفيفةٍ .

(٢) **الإِداوةُ** : إِناءٌ صغيرٌ من جلدٍ .

(٣) أَي : غاصت قوائمها في تلك الأَرض الجَلَدِ . (أَنصاريّ) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤١٩) .

(٥) **قلتُ** : لقد كانَ دخول النَّبيِّ ﷺ إلىٰ قُباءٍ يوم الإثنين ، أَمّا وصوله إلىٰ المدينة فكان يوم الجمعة . وسيأتي ذٰلك فيما بعد ص٢٥٣ .

عَبْدِ المُطَّلب ، أُكْرِمُهم بذٰلكَ »[1] .

فصَعِدَ الرِّجالُ والنِّساءُ فوقَ البيوتِ ، وتفرَّقَ ٱلغِلْمانُ والخَدمُ يُنادونَ : جاءَ مُحمَّدٌ ، جاءَ رسولُ الله[2] .

خبرُ إسلامِ سُراقةَ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، أَنَّ سُراقَةَ قالَ : فسأَلتُهُ أَنْ يكتُبَ لي كتابَ أَمنٍ ، فأَمرَ عامرَ بنَ فُهيرةَ فكتبَ[3] .

زاد ٱبن إسحاق عنهُ ، قالَ : فلقيته بـ(الجِعْرانَةِ) فرفعتُ يدي بالكتاب ، فقلتُ : هٰذا كتابُكَ لي ، فقالَ : « نعم ، هٰذا يَوْمُ وَفاءٍ وَبِرٍّ ، أُدْنُ »[4] فدنوتُ ، فأَسلمتُ .

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : ولَمْ تَدْرِ قُريشٌ أَين توجَّهَ رسولُ الله ﷺ ، حتّىٰ سَمِعوا وقتَ الصُّبحِ هاتِفاً مِنْ مؤمني الجِنِّ يُنْشِدُ بـ(مكَّةَ) في الهواء ،[5] [مِنَ الطَّويل] :

جَزىٰ ٱللهُ رَبُّ [ٱلعَرْشِ] خَيْرَ جَزائِهِ
رَفيقَيْـنِ حَـلاّ خَيْمَتَـيْ أُمِّ مَعْبَـدِ[6]
هُمـا نَـزَلا بِـٱلبِـرِّ ثُـمَّ تَـرَحَّـلا
فَيـا فَـوْزَ مَـنْ أَمْسـىٰ رَفيـقَ مُحَمَّـدِ
فَيـالِ قُصَـيٍّ مَـا زَوىٰ اللهُ عَنْكُـمُ
بِـهِ مِـنْ فَخـارٍ لا يُجـارىٰ وَسُـؤْدُدِ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٠٠٩/ ٧٥) .
(٢) أَخرجه الحاكم في « المُستدرك » ، ج٣/ ١٢ .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٩٣) .
(٤) أَورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٦/ ٥٤ .
(٥) ابن هشام ، ج١/ ٤٨٧ .
(٦) وٱسمها : عاتكةُ بنت خالد بن منقذ الخزاعيَّة .

لِيَهْـنَ بنـي كَعْـبٍ مَكـانُ فَتـاتِهِـمْ
وَمَقْعَـدُهـا لِلْمُـؤْمِنيـنَ بِمَـرْصَـدِ

سَلـوا أُخْتكُـمْ عَـنْ شَـأْنِهـا وَإِنـائِهـا
فَـإِنَّكُـمُ إِنْ تَسْـأَلـوا الشَّـاةَ تَشْهَـدِ

أَتَتْـــهُ بِشـــاةٍ حـــائِـــلٍ فَتَحَلَّبَـــتْ
عَلَيْـــهِ بِـــدَرٍّ ضَـــرَّةُ الشّـــاةِ مُـــزْبِـــدِ

/ وكانوا قد مرّوا علىٰ خيمة أُمِّ معبدٍ الخُزاعيَّة الكعبيَّة ، فسألوها الزّاد ، فلم يَجدوا عندها إلاّ شاةً هَزيلةً ، قد تخلَّفت لضعفِها عن الغَنَمِ ، فمسحَ ﷺ بيدهِ المُباركَةِ علىٰ ضَرَّتِها ـ أَي : ضَرعِها ـ فدرَّتْ لَهُم بلبنٍ غزيرٍ ، شَرِبَ منهُ النَّبيُّ ﷺ وأَصحابُهُ حتّىٰ ٱرتَوَوْا ، وأَفضلوا لأَهل الخيمة ما يَرْويهم .

[ق١٠٣]

مرورُ النَّبيِّ ﷺ وأَبي بكر بأُمِّ مَعبدٍ بعدَ لحاقِ سُرَاقَةَ لَهُم

ثُمَّ أَتىٰ زوجها فأَخبرتهُ ، فقالَ : واللهِ إِنَّهُ لصاحبُ قُريشٍ ، فحينئذٍ عَلِمَت قُريشٌ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ توجَّهَ إِلىٰ (المدينة) ، وأَنَّ اللهَ ناصِرٌ عبدَهُ ، ومُظِهرٌ لا محالَةَ دينَهُ[١] .

---

(١) ابن هشام ، ج١/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ .

الباب الثامن

في ذكر ما اشتمل عليه حديث الإسراء من العجائب واحتوى عليه من الأسرار والغرائب

[وذلكَ] مِنَ العُروج به إلىٰ سِدْرَة المُنتهىٰ ، ثمَّ إلىٰ قابَ قوسين أَو أَدنىٰ ، وما رأىٰ مِنْ آيات ربِّه الكُبرىٰ ، والمُناجاة ، والرُّؤيَةِ ، وإمامَةِ الأَنبياءِ ، ممّا أَكرَمَهُ اللهُ تعالىٰ به ﷺ .

زَمنُ الإسراءِ

قالَ القاضي عياضُ : وكانَ قبلَ الهجرةِ بسنةٍ[1] ـ أَي : في السَّنة الثّانيةَ عَشْرةَ ـ . ثمَّ قالَ بعضُهُم : في رَمضانَ منها . وقالَ النَّوويُّ في « رَوضته » : في رَجَبٍ[2] .

والأَصلُ فيه مِنَ القُرآن قولُهُ تعالىٰ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ

---

(١) الشِّفا ، ج١/ ٣٤٧ .

(٢) قلتُ : لم يتَّفق العلماء علىٰ ضبط تاريخ الإسراء ، ولٰكن الثّابت الَّذي ظهر لنا بعد النَّظر في الرِّوايات أَنَّ حادثَ الإسراء وقعَ مُتأخِّراً ، لأَنَّ خديجة رضيَ اللهُ عنها توفِّيت في رمضان من السَّنة العاشرة للنُّبوَّة علىٰ الصّحيح ، وكانت وفاتها قبلَ أَن تُفرضَ الصَّلوات الخَمْسُ ، ولا خلافَ أَنَّ فرضَ الصَّلوات كان ليلة الإسراء . ولٰكنَّ العلماء متَّفقونَ علىٰ أَنَّ الإسراء والمعراج كان إكراماً مِنَ الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ وتسليةً وتعويضاً عمّا لقيَهُ في الطّائف من الأَذىٰ ، وعمّا أَصابه من الحزن علىٰ وفاة خديجةَ ، وعلىٰ وفاة عمِّه أَبي طالبٍ ، اللَّذَيْنِ بين وفاتيهما ثلاثة أَيّامٍ ، وسمّاهُ ﷺ عام الحزن . (أنظر الجامع في السِّيرة ، ج١/ ٥٣١) .

﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [سورة الإسراء ١/١٧] .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/٨-١١] ، إلىٰ قولِهِ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١٧-١٨] .

حديثُ الإسراء والمعراج

ولا خلافَ بينَ أئمةِ المُسلمينَ وعُلماءِ الدّين في صِحَّة الإسراء به ﷺ ، إذْ هوَ نصُّ القُرآنِ العظيم . ورواهُ جماعةٌ مِنَ الصَّحابة ، كما أَخرجَهُ الحُفّاظُ في أُصولِ الإسلامِ المَشهورة ، ولٰكنَّ أكملَها ترتيباً ووضعاً مارواهُ مُسلمٌ في «صحيحه» مِنْ حديثِ ثابتٍ البُناني .

عن أَنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « أُتيتُ بالبُراقِ ـ (وهوَ / دابّةٌ أَبيضُ طويلٌ ، فوقَ الحِمارِ ودونَ البغلِ ، يَضعُ حافِرَهُ عندَ مُنتهىٰ طَرْفِهِ) ـ قالَ : فَرَكِبْتُهُ حتّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ ٱلمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بالحَلقَةِ الَّتي تَرْبِطُ بها الأَنبياءُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فيه رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجاءَني جِبريلُ بإناءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإناءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَٱخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فقالَ جِبريلُ : اِخْتَرْتَ الفِطْرَةَ[1] . [ق١٠٤]

(١) قلتُ : قالَ أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ ـ : عبَّر عن اللَّبن بالفطرة ؛ لأَنَّهُ أَوَّل ما يدخل بطن المولود ويشقُّ أَمعاءه ، وهو الغذاء الَّذي لم يكن يصنعه غير الله ، والغذاء الكامل المستوفي للعناصر الَّتي يحتاج إِليها الجسم في بنائه ونموه ، مع كونه طيّباً سائغاً للشّاربين . وقد تكرَّر هٰذا العرضُ مرَّتين ، مرَّةً بعد الصَّلاة في بيت المَقْدِس ـ كما في صحيح مُسلم ـ ومرَّةً في السَّماء ـ كما في الحديث المتَّفق عليه ـ (انظر السّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ٤٢٦) .

ثُمَّ عَرَجَ بي إِلىٰ السَّماءِ ، فٱسْتَفْتَحَ[1] جِبريلُ ، فقيلَ : مَنْ أَنتَ ؟، قالَ : جِبريلُ ، فقيلُ : وَمَنْ مَعَكَ ؟، قالَ : مُحَمَّدٌ ، قيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِليه ؟، قالَ : قَدْ بُعِثَ إِليه ، فَفُتِحَ لَنا . فإِذا أَنا بِآدَمَ ـ عليه السَّلامُ ـ فَرَحَّبَ بي وَدَعا لِيَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلىٰ السَّماءِ الثّانيَةِ ، فٱسْتَفْتَحَ جبريلُ ، فقيلَ : مَنْ أَنتَ ؟، قالَ : جِبريلُ ، قيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟، قالَ : مُحَمَّدٌ ، قيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِليه ؟، قالَ : قَدْ بُعِثَ إِليه ، فَفُتِحَ لَنا . فإِذا أَنا بِٱبْنَي الخالَةِ[2] : عيسىٰ بن مَرْيَمَ ، وَيَحيىٰ بنِ زكريّا ـ عليهما السَّلامُ ـ فَرَحَّبا بي ودَعَوَا لِيَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلىٰ السَّماءِ الثّالثة ـ فذكَرَ مِثْلَ الأَوَّلِ ـ فَفُتِحَ لَنا . فإِذا أَنا بِيُوسُفَ ـ عليه السَّلامُ ـ وَإِذا هوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ـ أَي : نِصفَهُ ، ومِنَ النّاسِ مِنْ يُعطىٰ عُشْرَهُ أَو دونَهُ أَو فوقَهُ ، وفيه إِشارةٌ إِلىٰ أَنَّ منهُم مَنْ أُكمِلَ لَهُ الحُسْنُ ، ويَتعيَّنُ أَنَّه مُحمَّدٌ ﷺ ـ قالَ : فَرَحَّبَ بي وَدَعا لِيَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلىٰ السَّماءِ الرّابعة ـ وذكرَ مِثْلَهُ ـ فإِذا أَنا بِإِدْريسَ ـ عليه السَّلامُ ـ فَرَحَّبَ بي وَدَعا لِيَ بِخَيْرٍ ـ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [سورة مَريم ١٩/٥٧] ـ .

---

(١) استفتحَ : طلب فتح الباب . وللهِ ملائكة موكَّلون بكلِّ ما خلق ، وله الحكمة البالغة .

(٢) قلتُ : قالَ أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ ـ : وهٰذا علىٰ أَنَّ مريم وإيشاع أُمِّ يحيىٰ بن زكريا أُختان ، وقيل : إِنَّ إيشاع خالة مريم ، فيكون في العبارة تسامحٌ . ولا يزال هٰذا الأَمر عُرفاً في بعض البلاد العربيَّة تُعدُّ خالة الأُمِّ خالةً للابن . (أنظر السّيرة النَّبويَّة ، ج١/ ٤٢٤) .

ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلىٰ السَّماءِ الخامِسة ـ فذكَرَ مِثلَهُ ـ فإذا أَنا بهارونَ ـ عليه السَّلامُ ـ فَرَحَّبَ بي وَدَعا لِيَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلىٰ السَّماءِ السّادسة ـ فذكَرَ مِثلَهُ ـ فإذا أَنا بموسىٰ ـ عليه السَّلامُ ـ فَرَحَّبَ بي وَدَعا لِيَ بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنا إِلىٰ السَّماءِ السّابعة ـ فذكَرَ مِثلَهُ ـ فإذا أَنا بإبراهيمَ ـ عليه السَّلامُ ـ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلىٰ البَيْتِ المَعْمورِ ، وَإِذا هوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعونَ أَلفَ مَلَكٍ لا يَعودونَ إِليه .

ثُمَّ ذَهَبَ بي إِلىٰ سِدْرَةِ المُنْتَهىٰ ، فإِذا وَرَقُها / كآذانِ الفِيلَةِ[1] ، [ق١٠٥] وَإِذا ثَمَرُها كالقِلالِ[2] .

فَلمّا غَشِيَها مِنْ أَمْرِ ٱللهِ ما غَشِيَ تَغَيَّرَتْ ـ أَي : تلوّنت بأَلوانٍ مُختلفةٍ ـ فَما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطيعُ أَنْ يَنْعَتَها مِنْ حُسْنِها .

قالَ : فَأَوحىٰ اللهُ إِليَّ ما أَوحىٰ . فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسينَ صَلاةً في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلىٰ موسىٰ ـ عليه السَّلامُ ـ ، فقالَ : ما فَرَضَ رَبُّكَ عَلىٰ أُمَّتِكَ ؟، قُلْتُ : خَمْسينَ صَلاةً ، قالَ : اِرْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ وٱسأَلْهُ التَّخْفيفَ ، فإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطيقونَ ذٰلِكَ ، فإِنّي قَدْ بَلَوْتُ بني إِسرائيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، قالَ : فَرَجَعْتُ إِلىٰ رَبّي ، فقُلْتُ : يا رَبِّ ، خَفِّفْ عَلىٰ أُمَّتي . فَحَطَّ عَنّي خَمْساً ، فَرَجَعْتُ إِلىٰ موسىٰ ، فقُلْتُ : حَطَّ عَنّي خَمْساً ، فقالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطيقونَ ذٰلِكَ فٱرجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ فٱسأَلْهُ التَّخْفيفَ ، قالَ : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبّي عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَ موسىٰ ، حتّىٰ قالَ : يا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَواتٍ كُلَّ يَوْمٍ

---

(١) يعني في الشّكل والكبر .

(٢) **القِلالُ** : آنيةٌ مِنَ الفخّار يُشربُ منها . مفردها : قُلَّة .

وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ ، فَذٰلِكَ خَمْسونَ صَلاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْها لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً ـ وفي روايةٍ : كُتِبَتْ حَسَنَةً ـ فَإِنْ عَمِلَها كُتِبَتْ سَيِّئَةً واحِدَةً ، قالَ : فَنَزَلْتُ حَتّىٰ ٱنتَهيتُ إِلىٰ موسىٰ ـ عليه السَّلامُ ـ فَأَخْبَرْتُهُ ، فقالَ : ارْجِعْ إِلىٰ رَبِّكَ فٱسأَلْهُ التَّخْفيفَ ، فقالَ رَسولُ الله ﷺ فقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلىٰ رَبّي حَتّىٰ ٱسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ »(١) .

قُلْتُ : هٰذا معَ ما قد أَفهمَهُ ﷺ مِنَ الإلزامِ لَهُ بقولِهِ : « إِنَّهُنَّ خَمْسٌ » وفي روايةٍ أَيضاً : « لا يُبَدَّلُ القَولُ لَدَيَّ » .

قال القاضي عياض ـ رحمَهُ الله ـ : (جَوَّدَ ثابتٌ ـ رحمَهُ اللهُ ـ هٰذا الحديثَ عن أَنسٍ ما شاءَ ، ولم يأتِ عنهُ أَحدٌ بأَصوبَ مِنْ هٰذا . وقد خَلَّطَ فيه غيرُهُ عن أَنسٍ تخليطاً كثيراً ، لا سيَّما من رواية شَريكِ بنِ أَبي نَمرٍ)(٢) . ٱنتهىٰ .

قُلْتُ : وحديثُ شريكٍ مِمّا اتَّفقَ عليه الشَّيخان ، وإِنَّما لَمْ يُوردِ البُخاريُّ حديثَ ثابتٍ هٰذا لأَنَّ مُسلِماً إِنَّما رواهُ مِنْ طريق حَمّاد بنِ سَلَمةَ ، وهوَ متروكٌ عِندَ البُخاريِّ ، لم يَروِ لَهُ إِلاّ تعليقاً . وٱتَّفقَ عليه الشَّيخان أَيضاً مِنْ حديث أَبي / ذرٍّ وغيره . [ق١٠٦]

فَائِدَة

في بعض دقائق الإسراء

وفي قولِهِ ﷺ : « بِالحَلَقَةِ الَّتي تَرْبِطُ بِهِ الأَنبياءُ » إِشارةٌ إِلىٰ أَنَّ ركوبَ البُراق للإسراءِ غيرُ مُخْتَصٍّ بمُحمَّدٍ ﷺ ، ويُشيرُ إِلىٰ ذٰلكَ

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٦٢/ ٢٥٩) .

(٢) الشِّفا ، ج١/ ٣٤٧ .

قولُهُ في الرِّواية الآتية : « فما رَكِبَكَ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلىٰ اللهِ مِنْ مُحَمَّدٍ » ، لٰكِنْ في ظاهرِ قولِ أَهلِ كلِّ سماءٍ : (وَقَدْ بُعِثَ إِليه) ، إِشكالٌ لعدم عِلمِهم ببعثِهِ إِلاّ بعدَ مُضيِّ هٰذه المُدَّة ، معَ كثرةِ تردُّد جبريلَ فيها ، وٱنتشارِها عندَ أَهلِ الأَرضِ ، فضلاً عَنْ أَهلِ السَّماء . وأَجابَ بعضُهُم : بأَنَّهُ سؤالٌ عن البعثِ إِليه للعروج المتوقَّع عندَهُم لقولِهِ : (إِليه) ، وهوَ جوابٌ حَسنٌ .

وإِنَّما لَم يَفتَح لَهُ قبلَ مجيئه ليَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّما فُتِحَ مِنْ أَجله ، كما في قولِهِ ﷺ : « أَنا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّةِ »[1] .

والحكمةُ في الإسراء به إِلىٰ (بيت المَقْدِس) ما ذكرَهُ كعبُ الأَحبار : أَنَّ بابَ السَّماءِ الَّذي يُسمّىٰ (مَصعَدَ الملائكةِ) يُقابلُهُ (بيتَ المَقْدِسِ) ، كما أَنَّ (البيتَ المَعمورُ) مقابلُ (الكعبة) .

وأَيضاً ليَحوزَ ﷺ فضلَ شَدِّ الرّحالِ إِلىٰ المَساجدِ الثَّلاثَةِ .

وقولهُ ﷺ : « يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعودونَ إِلَيْهِ » يَحتمِلُ أَيضاً أَنَّهُم لا يَخرُجونَ مِنْهُ ، فيَكونُ في ذٰلك دلالةٌ علىٰ سَعَتِهِ ، وعلىٰ كثرةِ جُنودِ الله تعالىٰ ، والله أَعلمُ بالصَّواب .

وعندهُما ـ [أَي : البُخاريّ ومُسلم] ـ أَنَّ كلَّ نبيٍّ قالَ : مرحباً بالنَّبيِّ الصّالح والأَخ الصّالح ، إِلاّ آدمَ وإِبراهيمَ ـ عليهما السّلامُ ـ فقالا لَهُ : والابنِ الصّالح[2] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٩٦/ ٣٣١) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) وهٰذه رواية البُخاريِّ ومُسلمٍ من طريق ٱبن شهاب عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ . قلتُ : لقد ٱقتصر الأَنبياء الَّذين لقيهم ﷺ في السَّماء علىٰ وصفه بصفة الصَّلاح ، لأَنَّ فيها جماع الخير كلّه ، والصّالح هو الطَّيِّب في نفسه ، الَّذي يقوم بما عليه من حقوق الله وحقوق العباد .

في ٱجتماع النَّبيِّ ﷺ بالأنبياء

فَائِدَةٌ

الظّاهرُ أَنَّ أَرواحَ الأَنبياءِ تشكَّلَتْ لَهُ في العالَم الأَعلىٰ . ويَجوزُ نقلُ أَجسادِها تلكَ اللَّيلةَ إِكراماً لَهُم أجمعين .

ويؤيِّدُ الأَوّلَ قولُهُ في الحديث : « فصلّىٰ بأَهلِ السَّماءِ ، وَفيهِمْ أَرْواحُ الأَنبياء »[1] .

والظّاهرُ أَيضاً : أَنَّ ٱختصاصَ مَنْ لَقيَهُ منهُم في كلِّ سماءٍ ، وهُم : آدمُ ، وعيسىٰ ، ويُوسُفُ ، وإِدريسُ ، وهارونُ ، وموسىٰ ، وإِبراهيمُ ، بحَسَبِ تفاوتِهِم في الدّرجات ، فآدمُ في السَّماءِ الدُّنيا ، لأَنَّهُ أَوَّلُ الأَنبياءِ . ثُمَّ عيسىٰ في الثّانية ، لأَنَّهُ أَقربُ الأَنبياءِ عهداً بمُحمَّدٍ . ويُوسُفُ في الثّالثة ، لأَنَّ أُمَّةَ مُحمَّدٍ يَدخلونَ الجنَّة علىٰ صورتِهِ . وإِدريسُ في الرّابعة / ، لأَنَّها الوسطىٰ ، وقد رَفَعَهُ الله مَكاناً عليّاً . وهارونُ في الخامسة ، لِقُرْبِهِ مِنْ أَخيه موسىٰ . وموسىٰ في السّادسة ، لِفضْلِهِ بالتَّكليم . وإِبراهيمُ في السّابعة ، لأَنَّهُ أَفضلُ الأَنبياءِ بعدَ محمَّدٍ . صلّىٰ اللهُ عليهِ وعليهِم أَجمعينَ . [ق١٠٧]

والظّاهرُ مِنِ ٱختصاصِ مُراجَعَةِ موسىٰ لَهُ كونُهُ أَشبهَ الرُّسلِ بهِ في كثرةِ الأَتباعِ وشرَفِ الكتاب . واللهُ أَعلمُ .

رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ سِدْرةَ المُنتهىٰ

وفي[2] روايةٍ : « فَغَشيَها أَلوانٌ لا أَدْري ما هِيَ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ »[3] .

---

(١) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج١/ ٧١ـ٧٢ . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) **قلتُ** : سُمّيت سِدْرة المنتهىٰ بذٰلك : لأَنَّها ينتهي إِليها علم كلِّ نبيٍّ مرسلٍ ، وكلّ مَلَكٍ مقرَّبٍ ، ولم يجاوزها أَحدٌ إِلاّ نبيُّنا ﷺ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٢) .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ * إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/ ١٤ـ١٦] .

وفي أُخرىٰ : « إِلَيْها يَنْتَهي ما يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ ، فَيُقْبَضُ مِنْها . وَإِلَيْها يَنْتَهي ما يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِها ، فَيُقْبَضُ مِنْها »[١] .

وفي ثالثةٍ : هٰذه السِّدْرَةُ المنتهىٰ ينتهي إِليها كلُّ أَحدٍ مِنْ أُمَّتك ، خَلا علىٰ سبيلكَ ، وهيَ السِّدْرَةُ المنتهىٰ[٢] .

وفي رابعةٍ : « يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِها أَنْهارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشّارِبينَ ، وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفّىٰ ، وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسيرُ الرّاكِبُ في ظِلِّها سبعينَ عاماً [لا يَقْطَعُها] ، وأَنَّ ورقةً منها مُظِلَّةُ الخَلْقِ ، فَغَشِيَها نورُ [الخالِقِ] ، وَغَشِيَتْها المَلائِكَةُ »[٣] .

وفي خامسةٍ : « ثُمَّ عُرِجَ بي حَتّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوىٰ أَسْمَعُ فيهِ صَريفَ الأَقْلامِ »[٤] .

ما خُصَّ به النَّبيُّ ﷺ وأُمَّتُهُ

وفي سادسةٍ : « أَنَّ جِبريلَ لمّا جاءَ بالبُراقِ فذَهبَ ليَركَبَ ، فٱستعصَت عليه ، فقالَ لها جبريلُ : اِسكُني ، فواللهِ ما رَكِبَكِ عَبْدٌ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٣/ ٧٢٩) .

(٢) الشِّفا ، ج١/ ٣٤٨ .

(٣) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج١/ ٧١ . والبيهقيُّ في «دلائل النُّبوَّة» ، ج٢/ ٤٠٢ . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣١٦٤) . عن أَبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ . **صَريفُ الأَقلام** : هو صوتُ ما تكتبُه الملائكةُ من أَقضيَة الله تعالىٰ ووحيه ، وما ينسخونَه من اللَّوح المحفوظ ، أَو ما شاء اللهُ تعالىٰ أَنْ يُكتبَ ويُرفعَ لِما أَرادَهُ من أَمره وتدبيره .

أَكْرَمُ علىٰ اللهِ مِنْ مُحمَّدٍ ﷺ ، فركِبَها حتّىٰ أَتى بها الحِجابَ الَّذي يَلي عرشَ الرَّحمٰن . فبينما هوَ كذٰلك إذ خرجَ مَلَكٌ مِنَ الحِجاب ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ هٰذا يا جبريلُ ؟ » ، قالَ : وَالَّذي بَعثكَ بالحقِّ نبيّاً إنّي لأَقرَبُ الخَلْقِ مَكاناً ، وإنَّ هٰذا المَلَكَ ما رأيتُهُ مُنْذُ خُلِقتُ قبلَ ساعتي هٰذه ، فأَذَّنَ المَلَكُ وأَقامَ ، وَأَخذَ بيدِ مُحمَّدٍ ﷺ فقدَّمَهُ فصلّىٰ بأَهلِ السَّماء ، وفيهم أَرواحُ الأَنبياء ـ عليهِم السَّلام ـ ثُمَّ قالَ مُحمَّدٌ : « يا رَبِّ ، إِنَّكَ ٱتَّخَذْتَ إبراهيمَ خليلاً . وَكَلَّمْتَ موسىٰ تَكْليماً . وَآتيتَ داودَ المُلْكَ وَالحِكْمَةَ ، وَأَلَنْتَ لَهُ الحَديدَ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الجبالَ يُسَبِّحْنَ مَعَهُ وَالطَّيرَ . وَوَهَبْتَ سُلَيمانَ / مُلْكاً [ق١٠٨] لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَسَخَّرْتَ لَهُ الرّيحَ تَجري بِأَمْرِهِ رَخاءً ـ أَي : ليّنةً ـ حَيْثُ أَصابَ ـ أَي : قصد ـ وَالشَّياطينَ كلَّ بَناءٍ وغوّاصٍ ، وآخَرينَ مُقَرَّنينَ في الأَصفاد ـ أَي : القيود ـ وَعَلَّمْتَ عيسىٰ التَّوْراةَ وَالإنْجيلَ ، وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ ، وَجَعَلْتَهُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُحْيي المَوْتىٰ بِإِذْنِكَ » ، فقالَ اللهُ تعالىٰ : يا مُحَمَّدُ ؛ قَدِ ٱتَّخَذْتُكَ خليلاً وحَبيباً ، فَهُوَ مَكْتوبٌ في التَّوْراةِ أَنَّ مُحَمَّداً حَبيبُ الرَّحمٰن ، وَأَرْسَلْتُكَ إِلىٰ النّاسِ كافَّةً ، وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ هُمُ الأَوَّلونَ وهُمُ الآخِرونَ بَعْثاً ، وَالسّابِقونَ يَوْمَ القِيامَةِ ، وجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لا تجوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتّىٰ يَشْهَدوا أَنَّكَ عَبْدي وَرَسولي ، وَجَعَلْتُكَ فاتِحاً وخاتِماً ، وَأَعْطَيْتُكَ السَّبْعَ المَثاني ـ أَي : الفاتحة ـ وَخَواتيمَ سورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كِنْزٍ تَحْتَ عَرْشي ، وَلَمْ أُعْطِ ذٰلِكَ أَحَداً مِنْ خَلْقي »(١) .

---

(١) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج١/ ٧١ـ٧٢ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

فَائِدَةٌ

في الحكمة من رُكوب البُراق

الحكمَةُ في ركوبِ البُراقِ مَعَ قُدرَةِ الله تعالىٰ علىٰ طَيِّ المَسافَةِ لَهُ إكرامُهُ بِما جرت به العادةُ معَ خَرْقِها ، إذْ المُلوكُ يَبْعَثونَ لِمَن ٱستدعَوْهُ بمركوبٍ .

وجزمَ جماعةٌ مِنَ المُحقّقينَ بأَنَّهُ لَمْ يُجاوز سِدْرةَ المُنتهىٰ أَحدٌ إلاّ مُحمَّدٌ ﷺ ، ويُؤيِّدهُ قولُهُ [ﷺ] : « إِلَيْها يَنْتَهي ما يُعْرَجُ [بِهِ] مِنَ الأَرْضِ »[1] .

عَرضُ الآنيـة علىٰ النَّبيِّ ﷺ

وقولُهُ ﷺ : « فَأُتيتُ بِإِناءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِناءٍ مِنْ خَمْرٍ »[2] . زادَ في روايةٍ في « الصَّحيحين » : « وَإِناءٍ مِنْ عَسَلٍ »[3] وفي روايةٍ أُخرىٰ للبزّار : « وَإِناءٍ مِنْ ماءٍ »[4] .

قُلتُ : وبتمام الأَربعة يُعلَمُ أَنَّهُ أُتِيَ مِنْ كُلِّ نَهرٍ بإِناءٍ مِنَ الأَنهارِ الَّتي تَخرُجُ مِنْ أَصلِ سِدْرَة المُنتهىٰ المذكورةِ في الحديث السّابق . ثَمَّ في قولِهِ تعالىٰ فيها : ﴿ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ﴾ [سورة مُحمَّد ٤٧/١٥] . واللهُ أَعلمُ .

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « لَمّا عَرَجَ بي جبريلُ إِلىٰ سِدْرَةِ المُنتهىٰ دَنا الجَبّارُ رَبُّ العِزَّةِ ، فتَدَلّىٰ ، حَتّىٰ كُنْتُ مِنْهُ قابَ قَوسَينِ ـ أَي : قدر قوسين ـ أَو أَدنىٰ ،

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٣/ ٧٢٩) .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٦٢/ ٢٥٩) .

(٣) أَخرجه البُخاريّ، برقم (٣٦٧٤). عن مالك بن صَعصَعةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزّوائد» ، ج١/ ٦٩ . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

فَأَوْحىٰ إِليَّ بِما شاءَ »[1] .

[ق١٠٩] وعن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ/ عنهُما، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: « فارَقَني جِبريلُ، فٱنْقَطَعَتْ عَنّي الأَصواتُ، فَسَمِعْتُ كَلامَ رَبّي جَلَّ وَعلا يَقولُ: لِيَهْدَأْ رَوْعُكَ ـ أَي: لِيَسكُنْ خَوفُكَ ـ اُدْنُ يا محمّد، اُدْنُ»[2] .

رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ نهرَ الكوثر

وفي البُخاريِّ ، عن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « لَمّا عُرِجَ بي إِلىٰ السَّماءِ بَيْنَما أَنا أَسيرُ في الجَنَّةِ ، إِذا [أَنا] بِنَهرٍ حافَّتاهُ قِبابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ ، فَقُلْتُ : ما هٰذا يا جِبريلُ ؟، قالَ : هٰذا الكَوْثَرُ الَّذي أَعْطاكَ رَبُّكَ ، فإِذا طينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ »[3] .

رؤيةُ النَّبيِّ ﷺ لبعض أَهل النّار

وفي « سنن أَبي داودَ » ، عن أَنَسٍ أَيضاً ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لَمّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفارٌ مِنْ نُحاسٍ ، يَخْمِشونَ بِها وُجوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هٰؤلاءِ يا جِبريلُ ؟ قالَ : هٰؤلاءِ الَّذينَ يَأْكُلونَ لُحومَ النّاسِ وَيَقَعونَ في أَعْراضِهِمْ »[4] .

وصيَّةُ إبراهيمَ عليه الصَّلاة والسَّلامُ لأُمَّةِ النَّبيِّ ﷺ

وروىٰ التِّرمذيُّ في « جامعه » ، وقالَ : حديثٌ حسنٌ ، عن ٱبنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لَقيتُ إِبراهيمَ ـ عليه السَّلامُ ـ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بي ، فَقالَ : يا مُحَمَّدُ : أَقْرِىءْ أُمَّتَكَ عَنّي السَّلامَ ـ عليه وعلىٰ نبيِّنا السَّلامُ ـ ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الماءِ ، وَأَنَّها قِيعانٌ ، وَأَنَّ غِراسَها : سُبْحانَ ٱللهِ ، وَالحَمْدُ للهِ ، ولا إِلَهَ إِلاّ ٱللهُ ، وَٱللهُ أَكْبَرُ »[5] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٠٧٩) . قلتُ : وقد خالفَ الرّاوي شريكٌ غيرَهُ ، إذ المشهور في الحديث نسبةُ الدُّنوِّ والتَّدلّي إلىٰ جبريل عليه السَّلام .

(٢) الشِّفا ، ج١/ ٣٩٠ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٨٠ـ٦٢١٠) . مِسكٌ أَذْفَرُ : طيِّبُ الرّائحة .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٤٨٧٨) .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٦٢) . قيعان : وهو المكانُ المستوي =

ما رآهُ النَّبيُّ ﷺ لعُمرَ بنِ الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ

وروىٰ الطَّبرانيُّ بإسنادٍ حَسنٍ ، والحاكِمُ وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ الشَّيخين ، عن النَّبيِّ ﷺ قالَ : « لَمّا دَخلْتُ الجنَّةَ أتيْتُ علىٰ قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُربَّعٍ مُشْرِفٍ ، فقُلْتُ : لِمَنْ هٰذا القَصْرُ ؟ فقالوا : لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ ، ثُمَّ قالَ رسولُ الله ﷺ : مَنْ قرأَ بَعْدَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتوبَةٍ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ﴾ عَشْرَ مَرّاتٍ بَنىٰ اللهُ لَهُ قَصْراً في ٱلجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرأَها عِشْرينَ مَرَّةً بَنىٰ اللهُ لَهُ قَصْرَينِ في الجَنَّةِ » . فقالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : إذاً تَكْثُرُ قُصورُنا يا رسولَ الله ؟ ، قالَ : « فَضْلُ اللهِ أَوْسَعُ مِنْ ذٰلِكَ »(١) .

[ق١١٠] إخبارهُ بمَسْراهُ وموقفِ قُريشٍ في ذٰلكَ

وفي « الصَّحيحين » ، / أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَمّا كَذَّبَتْني قُرَيشٌ ، قُمْتُ في (الحِجْرِ) فَجلا اللهُ لي (بَيْتَ المَقْدِسِ) ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آياتِهِ ، وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ »(٢) .

وفي روايةٍ : « ثُمَّ رَجعتُ إِلىٰ خديجةَ وما تَحَوَّلَتْ عَنْ جانِبِها ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فأَخْبَرْتُ قُريشاً ، فَلَقَدْ رَأَيْتُني في (الحِجْرِ) ، وَقُرَيشٌ تَسأَلُني عَنْ مَسْرايَ ، فَسَأَلَتْني عَنْ أَشْياءَ مِنْ وَصْفِ (بَيْتِ المَقْدِسِ) لَمْ أُثْبِتْها ، فَكُرِبْتُ كَرْباً شَديداً ، فَجَلّىٰ اللهُ لِيَ (بَيْتَ المَقْدِسِ) »(٣) إِلىٰ آخرِهِ .

= الواسعُ في وطأةٍ من الأرض ، يعلوهُ ماءُ السَّماء فيُمسِكُهُ ويستوي نباتُهُ .

(١) أَخرجه أَحمد في «مسنده» ، ج٣/ ٤٣٧ . عن مُعاذ بن أَنس الجُهَنيِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٧٣) . ومُسلم برقم (١٧٠/ ٢٧٦) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ . **طفِقتُ** : أَخذتُ وشرَعتُ .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٢/ ٢٧٨) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ بنحوه . **لم أُثبِتْها** : لم أَحفظها وأَضبطها .

في تعليل مجيء المسجد الأقصىٰ للنبيِّ ﷺ

فَائِدَةٌ

وفي روايةٍ للإمام أَحمدَ : « فَجِيءَ بـ(المَسْجِدِ الأَقْصىٰ) وأَنا أَنظُرُ ، حَتّىٰ وُضِعَ عِنْدَ (دارِ عَقيلٍ) ، فَنَعَتُّهُ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ »[1] .

قَالَ العُلَمَاءُ : وهٰذا أَبلغُ مِنْ كشفِ الحُجُب الّتي بينَ (الحَرَم وبيتِ المَقْدِسِ) ؛ لأَنَّه نظيرُ إِحضارِ عَرْشِ بلقيسَ لسُليمانَ في طَرفةِ عينٍ .

قُلْتُ : وذٰلكَ بطريق ٱنزواءِ الأَرضِ ، بأَنْ تنقبضَ أَجزاؤها حتّىٰ يَصيرَ المَوضِعُ الّذي فيه (بيتُ المَقدِسِ) بـ(مكَّةَ) . ومِنْ ذٰلكَ قولُهُ ﷺ : « زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ »[2] . واللهُ أَعلمُ .

ومنهُ أَنّي قلتُ لبعضِ أَصحابنا : بلغَني أَنَّكَ تُصلّي أَيَّ فرضٍ شئت جماعةً بـ(حرمِ مكَّةَ) فعلىٰ أَيِّ كيفيّةٍ هذا ؟ ، فقالَ : بمجرَّدِ أَنْ يَخطُرَ ذٰلكَ ببالي ، صِرْتُ تجاه (الكعبة) ، ثُمَّ إِذا خطرَ ببالي العَوْدُ ، صِرْتُ بمكاني بـ(حَضْرَموتَ) . واللهُ أَعلمُ .

تصديقُ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وسببُ تسمِيَتِه بالصِّدّيق

وفي روايةٍ : فقيلَ لأَبي بكرٍ : إِنَّ مُحمَّداً يَزعُمُ أَنَّهُ بلغَ (بيتَ المَقْدِسِ) ورجعَ ، فقالَ : إِنّا لنُصَدِّقُهُ في نزولِ الوحي في طَرفةِ عينٍ .

فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ في أَبي بكرٍ : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزُّمر ٣٩/ ٣٣] ، فسمّاهُ اللهُ الصِّدّيقَ[3] .

وأَنزلَ اللهُ سبحانَهُ في تصديق نبيّه ﷺ وتنزيهِه عمّا نسبوهُ إِليه في ذٰلكَ مِنَ الغَيِّ والضَّلال والهَوىٰ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞

---

(١) أَخرجه أَحمد في «مسنده» ، برقم (٢٨١٥) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُ . **نعتُّهُ** : وصفتُه .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٨٨٩/ ١٩) . عن ثوبان رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج٣/ ٦٢ . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها .

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١ـ٤] ، إلىٰ قولِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١٨] .

فأَقسمَ تعالىٰ بالنَّجم ، وهوَ الثُّريا . إِذا هوىٰ ـ أَي : سقط للغروب ـ علىٰ نفي الضَّلال عنهُ ﷺ والغَيّ المُستلزَم ، لإِثبات / الهُدىٰ والرُّشد ، وعَلىٰ صِدقِه فيما أَخبرَ ، ونفي النُّطق عن الهوىٰ ، وأَنَّ ذٰلكَ وحيٌ يوحىٰ إِليه مِنَ الله سبحانَهُ ، عَلّمَهُ إِيّاهُ جبريلُ شديدُ القُوَىٰ . [ق١١١]

ثُمّ لَمّا كانَ ما أَوحىٰ إِليه في تلكَ اللَّيلة مِنْ عظيم ملكوتِه لاتُحيطُ بهِ العِبارَةُ رمزَ إِليه بالإِشارة ، فقالَ : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١٠] ، ثُمَّ أَخبرَ عن تصديق فؤادِه ـ وهوَ : قلبه ـ بما رأىٰ بصرُهُ مِنْ آيات ربِّهِ الكبرىٰ بقولِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١١] ـ أَي : بما رآهُ البَصرُ ـ ، وعن حُسنِ أَدبهِ ، وعدم ٱلتفاتِ قلبهِ إِلىٰ غير ربِّهِ بقولِهِ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١٧] فقدِ ٱشتملتْ هٰذه الآياتُ الكريمة علىٰ تزكيَةِ لسانِهِ ﷺ وبصرِهِ وفؤادِهِ ، فزكّىٰ لسانَهُ بقولِهِ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ ، وبصرَهُ بقولِهِ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، وفؤادَهُ ، بقولِهِ : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾ .

الخلافُ في رُؤيَةِ النَّبيِّ ﷺ ربَّهُ ليلةَ الإِسراء

وصحَّ عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في تفسير قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [سورة النَّجم ٥٣/١٣] أَنَّهُ قالَ : (رأَىٰ مُحمَّدٌ ربَّهُ بعينَيْ رأسِهِ وكلَّمَهُ مِنْ غيرِ حِجابٍ)(١) .

قَالَ العُلَمَاءُ : ولا يَقولُ ذٰلكَ ٱبنُ عبّاسٍ إِلاّ بتوقيفٍ ، فسبيلُهُ سبيلُ

---

(١) الشِّفا ، ج١/٣٧٦ . وبه قالَ أَنسٌ وعكرمة والرَّبيع .

المرفوع ، إذْ ليسَ للرّأي في هٰذا مَدْخَلٌ .

وعن كعبِ الأَحبارِ : (أَنَّ اللهَ تعالىٰ قَسَمَ كلامَهُ ورؤيَتَهُ بينَ موسىٰ ومُحمَّدٍ ـ عليهما السَّلامُ ـ فكلّمَهُ موسىٰ مِنْ وراءِ الحِجابِ بغيرِ واسطةٍ مرَّتين ، ورآهُ مُحمَّدٌ بعينيْ رأسِهِ مرَّتين) . نقلَهُ الماورديُّ عنهُ .

وقالَ كثيرٌ مِنَ العلماءِ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [سورة الشّورىٰ ٤٢/ ٥١] ـ أي : مِنْ غَيرِ واسِطَةٍ ـ بلْ معَ المُشاهدة ، وذٰلِكَ لِمُحمَّدٍ ﷺ خاصَّةً ليلةَ الإسراءِ .

قالوا : بدليل قولِهِ [تعالىٰ] : ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ ـ أي : كمناجاتِهِ لموسىٰ عليه السَّلامُ ـ ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [سورة الشّورىٰ ٤٢/ ٥١] ـ وهوَ جبريلُ ـ فيُوحي بإذنِهِ إلىٰ رُسله ما يشاءُ ـ كأَكثرِ أَحوالِ مُحمَّدٍ وموسىٰ عليهما السَّلامُ ـ وكسائرِ أَحوالِ غيرِهما مِنَ النَّبيّينَ عليهم السّلامُ أَجمعينَ .

[ق١١٢] وقالَ الإمامُ / أَبو الحسن عليُّ بن إسماعيل الأَشعريّ ـ رحمَهُ اللهُ ـ : (كلُّ آيةٍ أُوتِيَها نبيٌّ فقد أُوتيَ نبيُّنا مثلَها ، وخصَّه اللهُ بالرّؤيةِ ، قالَ : فمُحمَّدٌ رأىٰ ربَّهُ بعينيْ رأسِهِ . قالَ ٱبنُ عطاءٍ : أَي شرحَ اللهُ صدرَهُ للرّؤيةِ ، كما شرحَ صدرَ موسىٰ للتّكليم) .

قَالَ العُلَمَاءُ : ولا يَقدحُ في ذٰلكَ إنكارُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها لذٰلِكَ ، لأَنَّها لَمْ تَقُلْهُ إلاّ عن رأيها ، وأَمّا ٱحتجاجُها بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [سورة الأنعام ٦/ ١٠٣] ؛ فقالَ ٱبنُ عبّاسٍ : (معناهُ : لا تُحيطُ به)(١) .

---

(١) الشِّفا ، ج١/ ٣٨٣ . قال العلماء : إنَّ الإسراء وقع وعائشةُ كانت =

ولو قيلَ بإطلاقها لَزِمَ منهُ ٱمتناعُ رؤيتِهِ ـ سبحانَهُ وتعالىٰ ـ في الآخِرَةِ أَيضاً ، للأَبرار في دار القرار ، وهوَ خلافُ ما أَجمع عليه أَهلُ السُّنَّةِ .

قَالَ العُلَمَاءُ : والدَّليلُ علىٰ جوازِها في الدُّنيا سؤالُ موسىٰ عليه السَّلامُ لها ، إِذْ يَستحيلُ أَنْ يَجهلَ نبيٌّ ما يَجوزُ علىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ وما لا يَجوزُ عليه ، ومعنىٰ : ﴿ لَن تَرَىٰنِى ﴾ : لَنْ تُطيقَ رؤيَتي كما لا يُطيقُها الجَبَلُ .

قُلْتُ : ومعلومٌ أَنَّ الجَبلَ وجميعَ المَخلوقات جزءٌ مِنْ نور مُحمَّدٍ ﷺ ، فلا عجبَ أَنْ يُطيقَ مِنَ التّجلّي ما لا يُطيقُه الجَبلُ .

وإِذا لَمْ يَستَحِلْ شيءٌ من العقل ، ولَم يَدلّ دليلٌ قاطعٌ مِنَ النَّقلِ علىٰ ٱمتناعِهِ وَجَبَ قبولُهُ علىٰ ظاهرِهِ ، ومَنْ أَهّلَهُ اللهُ لشيءٍ تأَهَّلَ لَهُ ، ومَنْ لا ، فلا .

أَلا تراهُ يقولُ في حقِّه ﷺ عندَ رؤيتِهِ آياتِ ربِّهِ الكُبرىٰ : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ ، ويقولُ : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ [سورة الكهف ١٨/١٨] .

هٰذا وهُمْ بشرٌ مِنْ أَبناءِ جنسِهِ ، فسُبحانَ مَنْ خصَّ مَنْ شاءَ بِما شاءَ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢٥٥] .

ومِنْ أَحسنِ ما قيلَ في حديثِ الإِسراءِ قولُ صاحبِ البُردة ، [مِنَ البسيط] (١) :

= صغيرة . وكذٰلك فإِنَّ الإِدراك أَخص من الرّؤية والرّؤية أَعم ، وبهٰذا يتضح الأَمر .

(١) البُردة ، في إسرائه ومعراجه ، ص٤٣ .

يا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ ٱلعافونَ ساحَتَهُ
سَعْياً وَفَوْقَ مُتونِ ٱلأَيْنُقِ ٱلرُّسُمِ[1]

وَمَـنْ هُـوَ ٱلآيَـةُ ٱلكُبْـرىٰ لِمُعْتَبِـرٍ
وَمَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ ٱلعُظْمـىٰ لِمُغْتَنِـمِ

سَـرَيْـتَ مِـنْ حَـرَمٍ لَيْـلاً إِلـىٰ حَـرَمِ
كَما سَرىٰ البَدْرُ في داجٍ مِنَ الظُّلَمِ

[ق١١٣] / وبِـتَّ تَـرْقـىٰ إِلـىٰ أَنْ نِلْـتَ مَنْـزِلَـةً
مِنْ قابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تُدْرَكْ وَلَمْ تُرَمِ[2]

وَقَـدَّمَتْـكَ جَميـعُ ٱلأَنبيـاءِ بِهـا
والرُّسْلِ تَقْديمَ مَخْدومٍ عَلىٰ خَدَمِ

وَأَنْـتَ تَخْتَـرِقُ السَّبْعَ الطِّبـاقَ بِهِـمْ
في مَوْكِبٍ كُنْتَ فيه صاحِبَ ٱلعَلَمِ[3]

حَتّـىٰ إِذا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْواً لِمُسْتَبِـقٍ
مِـنَ الـدُّنُـوِ ولا مَـرْقـىٰ لِمُسْتَنِـمِ[4]

خَفَضْـتَ كُـلَّ مَقـامٍ بـٱلإِضـافَـةِ إِذْ
نُوديتَ بِٱلرَّفْعِ مِثْلَ ٱلمُفْرَدِ ٱلعَلَمِ

---

(١) **يمَّمَ العافون** : قصد طلاّب الرِّزق والعطاء . **الأَيْنُق** : النّياق ، جمع ناقة . **الرُّسُم** : المُعْلَمَة .

(٢) **ترقىٰ** : ترتفع . **قاب قوسين** : **القابُ** : المقدار . وقوله قاب قوسين : أَي : مقدار قوسين من قسِيّ العرب ، أَي : مقدارهما في القرب . وهو كناية عن شدَّةِ القُربِ . **تُدْرَكُ** : تُنال . **تُرَم** : تُطلَب .

(٣) **صاحب العَلَم** : أَمير الرَّكْب .

(٤) **المُسْتَنِمُ** : المرتفع .

كَيْمـا تَفـوزَ بِـوَصْـلٍ أَيِّ مُسْتَتِـرٍ

عَـنِ ٱلعُيـونِ وَسِـرٍّ أَيِّ مُكْتَتِـمِ[1]

فَحُـزْتَ كُـلَّ فَخـارٍ غَيْـرَ مُشْتَـرَكٍ

وَجُـزْتَ كُـلَّ مَقـامٍ غَيْـرَ مُـزْدَحَـمِ

وَجَـلَّ مِقْـدارُ مـا وُلّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ

وَعَـزَّ إِدْراكُ مـا أُوليتَ مِـنْ نِعَـمِ[2]

بُشْـرىٰ لَنـا مَعْشَـرَ ٱلإِسْـلامِ إِنَّ لَنـا

مِـنَ ٱلعِنـايَـةِ رُكْنـاً غَيْـرَ مُنْهَـدِمِ

لَمّـا دَعـا ٱللهُ داعينـا لِطـاعَتِـهِ

بِـأَكْـرَمِ الـرُّسْـلِ كُنّـا أَكْـرَمَ ٱلأُمَـمِ

---

(١) أَيّ مُستَتِر : مبالغة في الاستتار . أَيّ مكتَتِم : مبالغة في الكتمان .

(٢) أُوليتَ : أُعطيتَ .




القسم الثاني

قسم المقاصد واللواحق

وفيه خطبة بليغة في الحث على الجهاد في سبيل الله بالأنفس والأموال، وإيراد آيات وأحاديث صحيحة في كونه أفضل الأعمال، ثم شرح أحوال المجاهدين في سبيل الله، وهي سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وفضل الصحابة وترتيبهم في الفضل، والرد على من قدح في أحد منهم بالقول الفصل.




خُطبَةٌ

في الحَثِّ على الجهادِ في سبيلِ الله

الحمدُ لله الَّذي نزَّلَ الفُرقانَ علىٰ عبدِهِ ليكونَ للعالَمينَ نذيراً ، الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّماوات والأَرض ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلداً ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ شريكٌ في المُلْكِ ، وخلقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديراً .

وأَشهدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ذاته وصفاته وأَفعاله ، سبحانَهُ وتعالىٰ عمّا يقول الظّالمونَ علوّاً كبيراً ، تُسبحُ لَهُ السَّماوات السَّبعُ والأَرضُ ، ومَنْ فيهنَّ ، وإِنْ مِنْ شيءٍ إِلاّ يُسبِّحُ بحمدِهِ ، ولٰكن لا تفقهونَ تسبيحهُم ، إِنَّهُ كانَ حليماً غفوراً .

وأَشهدُ أَنَّ مُحمَّداً / عبدُهُ ورسولُهُ ، الَّذي أَرسلَهُ شاهِداً ومُبشِّراً [ق١١٤] ونذيراً ، وداعياً إِلىٰ اللهِ بإِذنِهِ وسراجاً مُنيراً .

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ مُحمَّدٍ ، وعلىٰ آلِ مُحمَّدٍ ، بأَفضلِ الصَّلواتِ كلِّها ، وسلِّم تسليماً كثيراً ، وعلىٰ آلِهِ الَّذينَ أَذهبَ اللهُ عنهُم الرِّجسَ ، وطهَّرَهُم تطهيراً .

وعلىٰ أَصحابِهِ وأَتباعِهِ الَّذينَ بشَّرَهُم بأَنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضْلاً كبيراً .

أَمّا بعدُ : فإِنَّ الجهادَ في سبيل الله هوَ الكنزُ الَّذي وفَّرَ اللهُ منه لِمَنْ أَحبَّهُ الأَقسامَ ، والعزُّ الَّذي أَظهرَ اللهُ به دينَ الإِسلام .

إِخْوَانِي : فجاهدوا في سبيل الله فقدْ دلَّكُمُ اللهُ به علىٰ المَتْجَرِ الرّابحِ ، فهل أَنتُم سامعونَ ؟ وساوَمَكُم في شراءِ أَنفسِكُم الَّتي هيَ مُلْكُهُ فهل أَنتُم لها بائعونَ ؟

فقالَ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة الصَّفِّ ٦١/ ١٠ـ١١] إلىٰ آخر السّورة .

وقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ١١١ـ١١٢] .

إخواني : يا لَها صَفقةً خطيرةً في بيع هٰذهِ الأنفُس الحقيرة ، المُشتريْ فيها ربُّ العالَمينَ ، والواسِطَةُ فيها سيِّدُ المُرسلينَ ، والثَّمنُ : جنَّةٌ عَرضُها السَّماواتُ والأَرضُ أُعِدَّتْ للمتَّقين .

فأَوجبوا ـ رحمَكُم اللهُ ـ صفقةَ هٰذا البيع الرّابح ، بالثَّمن الجزيل الرّاجح ، فَلِمِثْلِ / هٰذا فليَعملِ العاملونَ ، وفي ذٰلكَ فليتنافسِ المُتنافسونَ . [ق١١٥]

فالجهادَ الجهادَ أَيُّها المؤمنونَ ، والجنَّةَ الجنَّةَ أَيُّها الموقنونَ ، وقاتلوا دونَ أَنفُسِكُم وأَموالِكُم أَعداءَ اللهِ الفجّار ، وٱدْفعوا عن أَنفُسِكُم شؤمَ العارِ والنّارِ ، فقد جاؤُوْكُم يُحادّونَ اللهَ ورسولَهُ بكفرِهم ، ويَستأْصلونَ شأْفةَ(١) الإسلامِ والمُسلمينَ بمكرِهم ،

---

(١) **الشَّأْفَةُ** : قَرحةٌ تخرج بباطن القَدم ، فتقطع أَو تكوىٰ فتذهب ، وفي الحديث : « ٱستأَصلَ اللهُ شأْفتَهُم » ، أَي : ٱستأَصلَ أَصلهم ، وٱستأصل اللهُ شأفته : أَذهبَهُ كما تذهب تلك القَرحة .

و﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/١١٨] ، ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/٣٦] .

واْحذروا أَنْ تكونوا مِمَّن : ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/٤٦] ، ﴿ وَمَن جَـٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَـٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٦] .

ولقد ٱبتلاكُمُ اللهُ بالجهاد كما ٱبتلىٰ به أَفضلَ أَهلِ السَّماوات والأَرض : ﴿ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ﴾ [سورة مُحمَّد ٤٧/٤] ، ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/١٣] .

إِخواني : إذا كانَتِ المَنيَّةُ محتومةً ، فالشهادةُ في سبيل اللهِ هيَ الغنيمةُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [سورة مُحمَّد ٤٧/٧] . وإِن أَحجمتُم فلن يدفَعْ عنكُمُ الأَجلَ إحجامُكُم .

إِخواني : ما أَقبحَ عبداً يبخلُ علىٰ سيِّدِهِ ومولاهُ بنفسٍ هيَ مِنْ مواهبِهِ وعطاياهُ ، هٰذا معَ ما وعدَ ـ ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/١١١] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/١٢٢] ـ علىٰ ذٰلكَ ثناءً جميلاً وثواباً جزيلاً .

إِخواني : ما أَقبحَ عبداً يَقولُ بلسانِهِ : قد رضيتُ باللهِ ربّاً ، وبالإِسلام ديناً ، وبمُحمَّدٍ نبيّاً ، ثمَّ يَجْبُنُ عن قتالِ كافرٍ باللهِ وباليومِ الآخِرِ ، ولا يرجو ما يرجوهُ المؤمنُ مِنَ الجنَّة والثَّواب الوافرِ .

أَوَما سَمِعتُم مولاكُم سبحانَهُ يَقولُ : ﴿ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾ [سورة النِّساء ٤/١٠٤] .

إِخواني : أَيُّ عُذْرٍ لِمَن جَبُنَ عن قتالِ أَعداءِ اللهِ ؟ وبأَيِّ وَجْهٍ يوم القيامة يَلقَىٰ اللهَ ؟ هٰذا : (ومَنْ لَمْ يَمُتْ بالسَّيف / ماتَ بغيره)[1] . [ق١١٦]

ولا جُنَّةَ مِنَ القَدَرِ شرِّهِ وخيرهِ : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/١٦] ، ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٤] ، ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ٧٨] .

إِخواني : فجرِّدوا عزائِمَكُم في الجهادِ ، فقد وضحَ لكُمُ السَّبيلُ ، وكونوا كالذين قالَ لَهُم النّاسُ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٧٣_١٧٥] ، ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ٨٩] ، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ

---

(١) صدرُ بيتٍ لأَبي نصر بن نباتة التميمي .

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِٱلسَّيْفِ مات بِغَيْرِهِ ... تَنَوَّعَتِ ٱلأَسبابُ وَٱلمَوْتُ واحِدُ

ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة سورة آل عِمران ٣/ ١٦٩ـ١٧٢] .

بارَكَ اللهُ لي ولَكُم في القُرآن العظيم ، ونفعَني وإِيّاكم بالآيات والذِّكْرِ الحكيم ، ووفَّقنا وإِيّاكُم لاتباعِ سيّدِنا مُحمَّدٍ [ﷺ] النَّبيِّ الكريم ، آمين .

فَصْلٌ
في فضل الجهاد

اِعلَمْ أَنَّ الأَحاديثَ الوارِدة في فضلِ الجهادِ والمُجاهدينَ في سبيل الله كثيرةٌ مشهورةٌ ، ولكنّا نورِدُ بعضاً يُشيرُ إِلىٰ غيرِهِ .

فعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سُئِلَ رسولُ ﷺ : أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قالَ : « إِيمانٌ باللهِ وَرَسولِهِ » ، فقيلَ : ثمَّ ماذا ؟ قالَ : « الجِهادُ في سبيلِ اللهِ » ، قيلَ : ثمَّ ماذا ؟ قالَ : « حَجٌّ مَبْرورٌ » . متَّفقٌ عليه(١) .

وعن ٱبنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قلتُ : يارسولَ اللهِ : أَيُّ العَمَلِ أَحبُّ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ؟ قالَ : «الجِهادُ/ في سَبيلِ اللهِ» . متَّفقٌ عليه(٢) . [ق١١٧]

قُلْتُ : وأَجابَ العُلماءُ في الجَمعِ بينَ الحديثينِ بأنَّ ٱختلافَ الجواب بحَسبِ حالِ السّائلِ .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « لغُدْوَةٌ في سَبيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما فيها » . متَّفقٌ عليه(٣) .

وعن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أَتىٰ رجلٌ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦) ، ومُسلم برقم (٨٣/ ١٣٥) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٠٤) . ومُسلم برقم (٨٥/ ١٣٩) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٣٩) . ومُسلم برقم (١٨٨٠/ ١١٢) .
الغُدْوَةُ : الخروج أَوّل النَّهار . **الرَّوْحَةُ** : الخروج آخر النَّهار .

رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ : أَيُّ النّاسِ أَفْضَلُ ؟ قالَ : « مُؤْمِنٌ يُجاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ في سَبيلِ اللهِ » ، قالَ : ثمَّ مَنْ ؟ قالَ : « مُؤْمِنٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعابِ يَعْبُدُ اللهَ رَبَّهُ ، ويَدَعُ النّاسَ مِنْ شَرِّهِ » . متَّفقٌ عليه[1] .

وعن سهلِ بنِ سعدٍ السّاعِديِّ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « رِباطُ يَوْمٍ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما عَلَيها ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وَما عَلَيها » . متَّفقٌ عليه[2] .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « والَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيَدِهِ ، ما مِنْ كَلْمٍ - أَي : جِراحَةٍ - يُكْلَمُ في سَبيلِ اللهِ إلاّ جاءَ يَوْمَ القيامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وَريحُهُ ريحُ مِسْكٍ ، وَالَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ ، لولا أَنْ أَشُقَّ عَلىٰ المُسلِمينَ ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغزو في سَبيلِ الله أَبداً ، ولٰكِنْ لا أَجِدُ سَعَةً فأَحْمِلَهُمْ ، وَلا يَجِدونَ سَعَةً ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفوا عَنّي ، وَالَّذي نَفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ ، لَوَدِدْتُ أَنّي أَغزو في سَبيلِ اللهِ فأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغزو فأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَغزو فأُقْتَلَ » . متَّفقٌ عليه[3] .

وعن أَبي هريرةَ أَيضاً رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رجُلاً قالَ : يا رسولَ اللهِ : دُلَّني علىٰ عَمَلٍ يَعْدِلُ الجهادَ ، قالَ : « لا أَجِدُهُ » ، ثمَّ قالَ : « هَلْ تَسْتَطيعُ إذا خَرَجَ المُجاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ ، فتَقومَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٣٤) . ومُسلم برقم (١٨٨٨/ ١٢٢) . واللَّفظ لمُسلمٍ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٣٥) . ومُسلم برقم (١٨٨١/ ١٣١) . **الرِّباطُ** : ملازمة الثُّغور .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٢١٣) ، بنحوه . ومُسلم برقم (١٨٧٦/ ١٠٣) . **خِلافَ سريَّة** : خلف وبعد . **لا يجدون سَعَةً** : لا يجدون ما يُحْمَلون عليه من دواب .

وَلا تَفْتُرَ ، وَتَصومَ وَلا تُفْطِرَ ؟ » ، قالَ : ومَنْ يستطيعُ ذٰلكَ ؟ قالَ : « فذٰلِكَ مَثَلُ المُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ » . متَّفقٌ عليه ، وهٰذا لفظ البُخاريِّ(1) .

[ق118] وعن زيدِ /بنِ خالدٍ الجُهَنيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ جَهَّزَ غازياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزا ، وَمَنْ خَلَفَ غازياً في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزا » . متَّفقٌ عليه(2) .

وعن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : أَتىٰ النَّبيَّ ﷺ رجلٌ مقنَّعٌ بالحديد ـ أَي : مغطّي رأسَهُ به ـ فقالَ : يا رسولَ اللهِ أُقاتِلُ ثمَّ أُسْلِمُ ؟ فقالَ : « أَسْلِمْ ثُمَّ قاتِلْ » ، فأَسلَمَ ثَمَّ قاتلَ فقُتِلَ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « عَمِلَ قَليلاً وأُجِرَ كَثيراً » . متَّفقٌ عليه ، وهٰذا لفظُ البُخاريِّ(3) .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « ما أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ الدُّنيا ، وَلَهُ ما عَلىٰ الأَرْضِ مِنْ شَيءٍ ، إلاّ الشَّهيدُ ؛ فإِنَّهُ يَتَمَنّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلىٰ الدُّنيا ، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرّاتٍ ، لِما يرَىٰ مِنَ الكَرامَةِ وفَضْلِ الشَّهادَةِ » . متَّفقٌ عليه(4) .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إِنَّ في الجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّها اللهُ لِلْمُجاهِدينَ في سَبيلِ اللهِ ، ما بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَما بَيْنَ السّماءِ وَالأَرْضِ » . رواهُ البُخاريُّ(5) .

---

(1) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٣٣) .
(2) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٨٨) . ومُسلم برقم (١٨٩٥/ ١٣٥) .
خَلَفَ : ترك نائباً عنه في قضاء حوائج أَهله .
(3) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٥٣) . ومُسلم برقم (١٩٠٠/ ١٤٤) .
(4) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٦٢) . ومُسلم برقم (١٨٧٧/ ١٠٩) .
(5) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٣٧) .

وعن أَبي عَبْسٍ عبد الرَّحمٰن بنِ جَبْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما ٱغْبَرَّتْ قَدَما عَبْدٍ في سَبيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النّارُ » . رواهُ البُخاريُّ[1] .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنِ ٱحْتبَسَ فَرَساً في سَبيلِ اللهِ ، إيماناً باللهِ ، وتَصْديقاً بِوَعدِهِ ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوثَهُ وَبَوْلَهُ في ميزانِهِ يَوْمَ القيامَةِ » . رواهُ البُخاريُّ[2] .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنتَ البراءِ ـ وهيَ : أُمُّ حارثَةَ ـ وكانَ قُتِلَ يومَ (أُحُدٍ)[3] ، قالتَ يا رسولَ اللهِ : أَلا تُحدِّثُني عن حارثة ؟ فقالَ : « يا أُمَّ حارِثَةَ : إِنَّها جِنانٌ في الجَنَّةِ ، وَإِنَّ ٱبنَكِ أَصابَ الفِرْدَوْسَ الأَعلىٰ » . رواهُ البُخاريُّ[4] .

وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَينِ أَتياني . . فَصَعِدا بي الشَّجَرَةَ / . . فَأَدْخَلاني [ق١١٩] داراً هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ . . لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْها . . قالا لي : أَمّا هٰذِهِ الدّارُ فَدارُ الشُّهَداءِ » . رواهُ البُخاريُّ في حديثٍ طويلٍ[5] .

وعن ٱبنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أَرْواحُ الشُّهَداءِ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ، لَها قَناديلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْث شاءَتْ ، ثُمَّ تَأْوي إِلىٰ تِلْكَ القَناديلِ ، فاطَّلَعَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٥٦) .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٩٨) .
(٣) قلتُ : المعروف أَنَّ حارِثه بن سراقة قتل يومَ بدرٍ وهٰذا ما صرَّح به البُخاريُّ . واللهُ أَعلمُ .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٥٤) .
(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٣٢٠) .

إِلَيْهِمْ رَبُّهُم اطِّلاعَةً ، فقالَ : هَلْ تَشْتَهونَ شَيْئاً ؟ قالوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهي ؟ وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنا ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرّاتٍ ، يَقولُ : هَلْ تَشْتَهونَ شَيْئاً ؟ فَلَمّا رَأَوْا أَنَّهُم لَنْ يُتْرَكوا مِنْ أَنْ يَسْأَلوا ، قالوا : يا رَبِّ ، نَشْتَهي أَنْ تَرُدَّ أَرْواحَنا في أَجْسادِنا ، وَتُعيدَنا إِلىٰ الدُّنيا حَتّىٰ نُقْتَلَ في سَبيلِكَ مَرَّةً أُخْرىٰ . قالَ : إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ أَنَّهُم إِلَيها لا يُرْجَعونَ ، قالوا : فَأَبْلِغْ عَنّا إِخوانَنا ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآيات [سورة آل عِمران ٣/ ١٦٩] . رواهُ مُسلم[١] .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنازِلَ الشُّهَداءِ ، وَإِنْ ماتَ عَلىٰ فِراشِهِ » . رواهُ مُسلم[٢] .

وعن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رَضِيَ باللهِ رَبّاً ، وَبالإِسلامِ ديناً ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسولاً ؛ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ » ، ثمَّ قالَ : « وَأُخرىٰ يَرْفَعُ اللهُ العَبْدَ بِها مِئَةَ دَرَجَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَينِ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ » ، [قال : وما هيَ يا رسولَ الله ؟ قالَ] : « الجِهادُ في سَبيلِ اللهِ » . رواهُ مُسلم[٣] .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : لا يَجْتَمِعُ كافِرٌ وَقاتِلُهُ في النّارِ أَبداً » . رواهُ مُسلم[٤] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٨٨٧/ ١٢١) .
(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٩٠٩/ ١٥٧) .
(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٨٨٤/ ١١٦) .
(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٨٩١/ ١٣٠) .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأَصحابه يومَ /(بَدْرٍ) : « قُوموا إِلىٰ جَنَّةٍ عَرْضُها السَّماواتُ وَالأَرْضُ » . رواهُ [ق١٢٠] مُسلم(١) .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَقامُ أَحَدِكُمْ في سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ في بَيْتِهِ ستّينَ عاماً ، أَلا تُحِبّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ ؟ اُغْزوا في سَبيلِ اللهِ ، فَمَنْ قاتَلَ في سَبيلِ الله فُوَاقَ ناقَةٍ ـ أَي : قَدْرَ ما بينَ حَلْبَتيها ـ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ » . رواهُ الإِمامُ أَحمدُ والتِّرمذيُّ ، وقال : حديثٌ حسنٌ . والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ مُسلم(٢) .

وعن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَقامُ الرَّجُلِ في الصَّفِّ في سَبيلِ اللهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِبادَةِ الرَّجُلِ سِتّينَ سَنَةً » . رواهُ الحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ على شرطِ البُخاريِّ(٣) .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِذا وَقَفَ العِبادُ لِلْحِسابِ جاءَ قَوْمٌ واضِعو سُيوفِهِمْ عَلىٰ رِقابِهِمْ تَقْطُرُ دَماً ، فَأْزْدَحَموا عَلىٰ بابِ الجَنَّةِ ، وَالنّاسُ في المَوْقِفِ ، فَيُقال : مَنْ هٰؤلاءِ ؟ قيلَ : الشُّهَداءُ ، كانوا أَحْياءً مَرْزوقينَ » . رواهُ الطَّبرانيُّ بِإِسنادٍ حسنٍ(٤) .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٩٠١/ ١٤٥) .

(٢) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٠٤٠٧) . والتِّرمذيُّ برقم (١٦٥٠) .

(٣) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج٢/ ٦٨ .

(٤) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج١٠/ ٤١١ .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما يَجِدُ الشَّهيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاّ كَما يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ قَرْصَةِ النَّمْلَةِ » . رواهُ النَّسائيُّ ، وابن ماجه ، والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وابنُ حبّانَ في « صحيحه »[1] .

وعن أَبي الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يُشفَّعُ الشَّهيدُ في سَبْعينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ » . رواهُ أَبو داودَ ، وابنُ حبّانَ في « صحيحه »[2] .

وعن ٱبنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يَعْجَبُ رَبُّنا جلَّ وعَلا مِنْ رَجُلٍ غَزا في سَبيلِ اللهِ فٱنهَزَمَ أَصحابُهُ فَعَلِمَ ما عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ/ حَتّىٰ أُريقَ دَمُهُ ، فَيَقولُ اللهُ تباركَ وتعالىٰ لِمَلائِكَتِهِ : اِنظروا إِلىٰ عَبْدي هٰذا رَجَعَ رَغْبَةً فيما عِنْدي ، وَشَفَقَةً مِمّا عِنْدي » رواهُ الإمام أَحمدُ ، وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[3] . [ق١٢١]

وعن عبدِ الله بنِ عَمرو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لَيَدْعُو الجنة يَوْمَ القيامةِ ، فَتَأْتي بِزُخْرُفِها وَزينَتِها فَيَقولُ سُبْحانَهُ : أَينَ عِبادي الَّذين قَاتَلوا في سَبيلي وَجاهَدوا ؟ ٱدخُلوا الجَنَّةَ ، فَيَدْخُلونَها بِغَيْرِ حِسابٍ ، فَتَأْتي المَلائِكَةُ فَيَقولونَ : رَبَّنا ، نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ ، وَنُقَدِّسُ لَكَ ، مَنْ هٰؤلاءِ الَّذينَ آثَرْتَهُم عَلَيْنا ؟ فَيَقولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلا : هٰؤلاءِ عِبادي الَّذينَ قاتَلوا في سَبيلي ، وقُتِلوا وَأُوذوا في سَبيلي ، وَجاهَدوا ،

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٦٦٨) . وٱبن ماجه برقم (٢٨٠٢) .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٥٢٢) .

(٣) أَخرجه الإمام أَحمد في « مسنده » ، برقم (٣٩٣٩) . وأَبو داود برقم (٢٥٣٦) .

فَتَدْخُلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ مِنْ كُلِّ بابٍ ، سَلامٌ عَلَيْكُم بِما صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبىٰ الدّارِ » . رواهُ الأَصبهانيُّ بإِسنادٍ حسنٍ(١) .

وعن أَنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « قالَ اللهُ تعالىٰ : المُجاهِدُ في سَبيلي هُوَ ضامِنٌ عَلَيَّ ، إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ ، وإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَو غَنيمَةٍ » . رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ صحيحٌ(٢) .

وعن عُبادةَ بنِ الصّامتِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « جاهِدوا في سَبيلِ اللهِ ، فإِنَّ الجِهادَ في سَبيلِ اللهِ بابٌ مِنْ أَبوابِ الجَنَّةِ ، ويُنَجّي اللهُ بِهِ مِنَ الهَمِّ والغَمِّ » . رواهُ الإِمامُ أَحمدُ برُواةٍ ثِقاتٍ ، والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ(٣) .

وعن مُعاذِ بنِ جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ جُرِحَ جُرْحاً في سَبيلِ اللهِ ، أَو نُكِبَ نَكْبَةً ـ أَي : طُعِنَ ـ فإِنَّها تَأْتي يَوْمَ القيامَةِ كَأَغْزَرِ ما كانَتْ ، لَوْنُها لَوْنُ الزَّعْفَرانِ ، وَريحُها ريحُ المِسْكِ » . رواهُ أَصحابُ السُّنن الأَربعةِ : أَبو داودَ ، والنَّسائيُّ ، وأبنُ ماجه ، والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ / حسنٌ صحيحٌ(٤) . [ق١٢٢]

وعن عبد الله بنِ عَمرو بنِ العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « غَزْوَةٌ في البَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزواتٍ في البَرِّ ، وَمَنْ أَجازَ البَحْرَ فَكَأَنَّما أَجازَ الأَودِيَةَ كُلَّها ، والمائِدُ في البَحْرِ ـ وَهُوَ

---

(١) ذكره السُّيوطيُّ في «الدُّر المنثور» ، ج٢/ ١١٢ .
(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٦٢٠) .
(٣) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٢٢١٧٢) .
(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٦٥٧) . والنَّسائيُّ برقم (٣١٤١) . وأَبو داود برقم (٢٥٤١) .

الَّذي يَدُورُ رَأْسُهُ ـ كالمُتَشَحِّطِ في دَمِهِ » . رواهُ الحاكِمُ ، وقال : صحيحٌ علىٰ شرط البُخاريِّ[1] .

وعن أُمِّ حَرامٍ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « المائِدُ في البَحْرِ ـ الَّذي يُصيبُهُ القَيْءُ ـ لَهُ أَجْرُ شَهيدٍ ، والغَريقُ لَهُ أَجْرُ شَهيدَينِ » . رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ حسنٍ[2] .

وعن أَبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رَمىٰ بِسَهْمٍ في سَبيلِ اللهِ أَخْطأَ أَو أَصابَ ، كانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسماعيلَ » . رواهُ الطَّبرانيُّ برُواةٍ ثِقاتٍ[3] .

وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَوْقِفُ ساعَةٍ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةِ القَدْرِ بـ(مَكَّةَ) عِنْدَ (الحَجَرِ الأَسْوَدِ) » . رواهُ البيهقيُّ ، وٱبنُ حبّان في « صحيحه »[4] .

فَائِدَةٌ

في فضلِ مَنْ وقفَ في سبيلِ الله ساعةً

قَالَ العُلَمَاءُ : فيكونُ موقفُ ساعةٍ في سَبيلِ اللهِ خيرٌ مِنْ قيامِ مِئَةِ أَلفِ أَلفِ شهرٍ ، لأَنَّ قيامَ ليلةِ القَدْرِ بـ (مكَّةَ) بمئَةِ أَلفِ أَلفِ شهرٍ في غيرها .

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في «الشُّعب» ، برقم (٤٢٢١) . **المُتَشَحِّطُ في دَمِهِ** : المضرّج بالدَّم ، المضطرب فيه .

(٢) أَخرجه أَبو داوود ، برقم (٢٤٩٣) . **المائِدُ** : الَّذي يصيبُهُ دُوار البحر .

(٣) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج٥/ ٢٧٠ . عن أَبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في «الشُّعب» ، برقم (٤٢٨٦) . وٱبن حبّان برقم (٤٦٠٣) .

وعن أَبي الدَّرداءِ رضيَ الله عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « رِباطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صيامِ دَهْرٍ ، وَمَنْ ماتَ مُرابِطاً في سَبيلِ اللهِ أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ ، وغُديَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ ، ورِيْحٍ مِنَ الجَنَّةِ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ ، حَتّىٰ يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ » . رواهُ الطَّبرانيُّ برُواةٍ ثِقاتٍ[1] .

وعن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ رابطَ لَيْلَةً حارِساً مِنْ وَراءِ المُسلِمينَ ، كانَ لَهُ أَجْرُ مَنْ كانَ خَلْفَهُ مِمَّنْ صامَ وَصَلّىٰ » . رواهُ الطَّبرانيُّ بإِسنادٍ جيّدٍ[2] .

فَائِدَةٌ

في جزاءِ المرابطين في سبيلِ الله

قَالَ العُلَمَاءُ : وهٰذا الحديثُ دليلٌ علىٰ أَنَّ اللهَ يكتُبُ للوالي مثلَ أَعمالِ مَنْ عَبَدَ اللهَ آمناً في مَحَلٍّ ولايَتِهِ بحمايَتِهِ لَهُ ، وما أَجزلَ هٰذا الفَضْلَ / العظيمَ . [ق١٢٣]

وعن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ الله عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « عَيْنانِ لا تَمَسُّهُما النّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وعَيْنٌ باتَتْ تَحْرُسُ في سَبيلِ اللهِ » . رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حسنٌ[3] .

وعن أَبي بكرٍ الصِّديقِ رضيَ الله عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما تَرَكَ قَوْمٌ الجِهادَ إِلاّ عَمَّهُمُ اللهُ بالعَذابِ » . رواهُ الطَّبرانيُّ بإِسنادٍ حسنٍ[4] .

---

(١) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج٥/ ٢٩٠ .

(٢) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج٥/ ٢٨٩ .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٦٣٩) .

(٤) أورده الهيثميُّ ، ج٥/ ٢٨٤ .

وعن أَبي أُمامةَ رضيَ الله عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ لَمْ يَغْزُ في سَبيلِ ٱللهِ ، أَو يُجهِّز غازياً في سَبيلِ ٱللهِ ، أَو يَخْلُفْ غازياً في سَبيلِ ٱللهِ في أَهْلِهِ بخَيرٍ ، أَصابَهُ اللهُ تعالىٰ بِقارِعَةٍ ، قَبْلَ يَوْمِ القيامَةِ » . رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ حسنٍ[1] .

وعن أَنسٍ رضيَ الله عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « جاهِدوا المُشْرِكينَ بأَموالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وَأَلسِنَتِكُمْ » . رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ صحيحٍ[2] .

وعن عبد الله بن أَبي أَوفىٰ رضيَ الله عنهُما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ في بعضِ أَيّامِهِ الَّتي لقيَ العدوَّ فيها ، انتظرَ حتّىٰ مالَتِ الشَّمسُ ، ثمَّ قامَ في النّاس خَطيباً ، فقالَ : « أَيُّها النّاسُ : لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العَدُوِّ ، وٱسأَلوا اللهَ العافِيَةَ ، فإِذا لَقيتُموهُمْ فاصْبِروا ، وٱعلَموا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ » ، ثمَّ قالَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ ، وَمُجْرِيَ السَّحابِ ، وَهازِمَ الأَحزابِ ؛ ٱهْزِمْهُمْ ، وٱنصُرْنا عَلَيْهِم » . متَّفَقٌ عليه[3] .

فهٰذه أَربعونَ حديثاً ، عشرونَ منها في « الصَّحيحين » . عشرةٌ مِنَ المُتَّفق عليه ، وخمسةٌ مِنْ إِفرادِ البُخاريِّ ، وخمسةٌ مِنْ إِفرادِ مُسلمٍ . وعشرونَ حديثاً مِنْ غيرهما مِنْ كُتب الحديث المُعتمدة ، صحيحاً وحَسَناً .

---

(١) أَخرجه أَبو داوود ، . برقم (٢٥٠٣) . **القارعةُ** : المصيبة المُهْلِكة .

(٢) أَخرجه أَبو داوود ، برقم (٢٥٠٤) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٠٤) . ومُسلم برقم (١٧٤٢/ ٢٠) .

بَابٌ
في ما اشتهر من سيرته ﷺ إلى وفاته

ولنشرعَ الآنَ في سيرتِهِ ﷺ ، وأصحابِهِ المُجاهدينَ في سبيلِ اللهِ حَقَّ جهادِهِ ، علىٰ ترتيب سِنِيْ الهِجرة .

زَمَنُ وصول النَّبيِّ ﷺ إلى المدينة

[ق١٢٤]

قَالَ عُلَمَاءُ السِّيَرِ : دخلَ النَّبيُّ ﷺ (المَدينةَ) الشَّريفةَ ضُحىٰ يوم الاثنين ، ثاني عشرَ ربيعِ الأَوَّل ، وهوَ أَوَّلُ/ يومٍ مِنَ الهِجرة النَّبويَّة[(١)] .

إعتمادُ الهجرةِ بدايةَ التّاريخ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن سَهلِ بنِ سعدٍ السّاعِديِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ما عَدّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبيِّ ﷺ ولا مِنْ وفاتِهِ ، ما عَدّوا إلاّ مِنْ مَقْدَمِهِ (المدينة)[(٢)] .

عُمْرُ النَّبيِّ ﷺ حينَ قَدِمَ المدينة ، ومدَّة إقامته بمكَّة والمدينة

وفيه أَيضاً ـ [أَي : صحيح البُخاريِّ] ـ عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : أُنْزِلَ علىٰ رسولِ الله ﷺ وهوَ ٱبنُ أَربعينَ سنةً ، فمكَثَ بـ (مكَّةَ) ثلاثَ عَشْرةَ سنةً يوحىٰ إليه ، ثمَّ أُمِرَ بالهِجرةِ ، فهاجَرَ إلىٰ (المدينةِ) ، فمكَثَ بها عشرَ سنينَ ، ثمَّ توفِّيَ ﷺ وهوَ ٱبنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً[(٣)] .

---

(١) ذكر هنا عن ٱبن هشام : (أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدِمَ (المدينة) يوم الاثنين ، فلعلَّه يقصدُ بها مشارف (المدينة) . **قلتُ** : والَّذي ترجَّح أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل إلىٰ (قباء) يوم الاثنين، ووصل إلىٰ (المدينة) يوم الجُمعة، وقد ذكر ابن هشام في موضعٍ آخر من «سيرته»، ج١/ ٤٩٣ : أَنَّ النَّبيَّ ﷺ وصل إلىٰ (قباء) يوم الاثنين، لاثنتي عشرةَ ليلةً خلت من شهر ربيعِ الأَوَّل.

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧١٩) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٣٨) .

سُكنىٰ النَّبيِّ ﷺ في دار أَبي أَيّوب الأَنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « الصَّحيحين » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها أَنَّهُ لَمّا قَدِمَ (المدينةَ) ﷺ أَقامَ بـ (قُباءٍ) عندَ بني عَمْرو بنِ عَوْفٍ أَربعَ عشرةَ ليلةً ، وبنىٰ بها مَسجدَ (قُباءٍ) ، وهوَ المسجدُ الَّذي أُسِّسَ علىٰ التَّقوىٰ مِنْ أَوَّلِ يوم ، وأَوَّلُ مسجدٍ بُنيَ في الإِسلام ، ثمَّ ٱرتحلَ مِنْ (قُباءٍ) يومَ الاثنين أَيضاً ، راكباً راحلتَهُ ، وقد أَرخىٰ لها الزِّمامَ ، وكانَ كلَّما حاذىٰ داراً مِنْ دور الأَنصار ٱعترضوهُ ، وقالوا : هَلُمَّ يا رسولَ الله إِلىٰ القوَّة والمَنعة ، ولزِموا بزمام ناقته ، فيقولُ لَهُمْ : « خَلّوا سَبيلَها ، فإِنَّها مَأْمورَةٌ » ، وقد أَرخىٰ لها زِمامَها ، وما يُحرِّكُها ، وهيَ تنظُرُ يميناً وشمالاً ، والناسُ كَنَفَيْها ـ يعني : جانِبَيْها ـ حتّىٰ بركَتْ حيثُ بركَتْ ، علىٰ موضع بابِ مسجده ﷺ ، ثمَّ ثارتْ وهوَ عليها[1] ، فسارتْ حتّىٰ بركَتْ علىٰ باب أَبي أَيّوبَ الأَنصاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وهوَ أَحدُ بني النَّجّار ، ثمَّ ثارتْ وبركَتْ في مبركِها الأَوّل ، وأَلقت جِرانها[2] بالأَرض ، وأَرزمت[3] ، فنزلَ ﷺ عنها ، وقالَ : « هٰذا هُوَ المَنْزِلُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ »[4] .

فٱحتملَ أَبو أَيّوبَ الأَنصاريّ رَحْلَهُ ، وأَدخلَهُ بيتَهُ ، فنزلَ في أَخوالِ جدِّهِ عبد المُطَّلب بني النَّجّار ، وكانَ يُحِبُّ ذٰلكَ ، فٱختارَ اللهُ لَهُ ما كانَ يختارُهُ ، ولم يزل ﷺ في منزلِ أَبي أَيّوبَ حتّىٰ بنىٰ مسجدَهُ ومساكِنَهُ ، وكانتْ إِقامتُهُ عندَهُ شهراً .

[ق١٢٥] **قُلْتُ** : كذا / في « الصَّحيحين » .

---

(١) **ثارت** : وثبت من مبركها وتحوَّلت عنه . (أَنصاريّ) .

(٢) **الجِرانُ** : باطنُ العنق .

(٣) **أَرزمت** : صوَّتَتْ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٩٤) .

وبنىٰ بها مسجدَ (قُباءٍ) ، وهوَ المسجدُ الَّذي أُسِّسَ علىٰ التَّقوىٰ ، ولا يخفىٰ أَنَّهُ مِنْ تفسير عائشةَ رضيَ اللهُ عنها لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [سورة التَّوبة ٩ : ١٠٨] وهوَ نكِرَةٌ ، صادقٌ علىٰ كلِّ مسجدٍ بُنِيَ في ٱبتداءِ الهجرةِ ، لٰكن يُعارِضُ تفسيرَ عائشةَ تفسيرُهُ ﷺ كما في « صحيح مُسلمٍ والتِّرمذيِّ » ، أَنَّ رجلين ٱختلفا في المَسجدِ الَّذي أُسِّسَ علىٰ التَّقوىٰ ، فسأَلا النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « هُوَ مَسْجِدي هٰذا »[1] . وهوَ الصَّوابُ ، واللهُ أَعلمُ .

أَوَّلُ مولودٍ وُلِدَ بعدَ قدوم النَّبيِّ ﷺ المدينةَ

وفي « صحيح البُخاريِّ » عن أَسماءَ بنتِ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَتْ : وَلَدْتُ عبدَ الله بنَ الزُّبيرِ بـ (قُباءٍ) ، وكانَ أَوَّلَ مولودٍ وُلِدَ في الإسلام بعدَ الهِجرة[2] .

أَوَّلُ مَنْ ماتَ بالمدينة

وفيه ـ [أَي : صحيح البُخاريِّ] ـ عن أُمِّ العلاءِ : إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ماتَ بـ (المدينة) : عُثمانُ بنُ مظعونٍ ، وهوَ خالُ حفصةَ وعبد الله بنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما[3] .

بناءُ المسجد النَّبويّ

ولمّا بَنىٰ مسجدَهُ ﷺ كانَ ينقُلُ اللَّبِنَ[4] معَ أَصحابِهِ ويرتَجِزُ معَهُم .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٣٩٨/ ٥١٤) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٢٣) . عن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٩٧) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧١٤) . **قلت** : مات عُثمان بن مظعون ـ بعد أن شَهِدَ بدراً ـ في شعبان علىٰ رأس ثلاثين شهراً مِنَ الهجرة ، أَي : بعد سنتين من هجرة النَّبيِّ ﷺ ، وبذٰلك لا يكونُ أَوَّلَ من مات بالمدينة . أَمّا أَوَّلُ من مات بالمدينة : كلثوم بن الهِدْم وأسعد بن زُرارة رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) **اللَّبِنُ** : بكسر الباء وتسكينها ، وكذٰلكَ اللَّبِن : بفتح اللام وكسر الباء : ما يُضرب من الطِّين مُربَّعاً للبناء .

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لَمّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ (المدينةَ) ، نَزلَ في أَعلىٰ (المدينة) ، في حيٍّ يُقالُ لَهُم : بنو عَمْرو بنِ عَوْفٍ ، فأَقامَ النَّبيُّ ﷺ فيهم أَربعَ عشرةَ ليلةً ، ثمَّ أَرسلَ إِلىٰ ملإٍ مِنْ بني النَّجّار ـ لَمّا أُمِرَ ببناءِ المسجد ـ فقالَ : « يا بَني النَّجّارِ ، ثامِنوني بحائِطِكُم هٰذا »[1] ، فقالوا : لا ، واللهِ لا نطلُبُ ثمنَهُ إلاّ إِلىٰ اللهِ ، فأَبىٰ أَنْ يقبلَهُ منهُما هِبةً حتّىٰ ٱبتاعَهُ منهُما ، ثمّ بناهُ مسجداً ، وكانَ فيه قبورُ المُشركينَ ، وفيه خِرَبٌ ، وفيه نخلٌ ، فأَمرَ النَّبيُّ بقبورِ المشركينَ فنُبِشَتْ ، ثمَّ بالخِرَبِ فسُوِّيَتْ ، وبالنَّخلِ فقُطِعَ ، فصفّوا النَّخلَ قِبْلَةَ المسجدِ ، وجَعلوا عِضادَتَيْهِ الحِجارَةَ ، وجعلوا ينقلونَ الصَّخرَ وهُمْ يرتَجِزونَ ، والنَّبيُّ ﷺ معَهُم ، وهوَ يقولُ :

« اللّٰهُمَّ لا خَيْرَ إِلاَّ خَيْرُ الآخِرَهْ

فٱغْفِرْ لِلأَنْصارِ وَٱلْمُهاجِرَهْ »[2]

وفي روايةٍ : « فٱنْصُرِ الأَنصارَ وٱلْمُهاجِرَهْ »[3] .

[ق١٢٦] قال ٱبنُ شهابٍ : ولم يبلُغْنا أَنَّ رسولَ الله ﷺ / تمثَّلَ ببيتِ شعرٍ تامٍّ غيرَ هٰذه الأَبيات[4] .

تجديدُ بناءِ المسجد

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن نافعٍ عن ٱبنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما : أَنَّ المسجدَ كانَ علىٰ عهد رسول الله ﷺ مبنيّاً باللَّبِنِ ، وسقفُهُ الجريدُ ، وعُمَدُهُ الخشبُ ، فلم يَزِدْ أَبو بكرٍ فيه شيئاً ،

---

(١) **ثامنوني بحائِطكم** : قرِّروا معي ثمنَهُ وبيعونيه بالثَّمن . **والحائط** : البستانُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٨) ، ومُسلم برقم (٥٢٤/٩) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧١٧) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٩٤) .

وزادَ عُمَرُ وبناهُ علىٰ بُنيانِهِ في عهدِ النَّبيِّ ﷺ باللَّبِنِ والجَريدِ ، وأَعادَ عُمَدَهُ خشباً ، ثمَّ غيَّرَهُ عُثمانُ ، فزادَ فيه زيادةً كثيرةً ، وبنىٰ جِدارَهُ بالحِجارَةِ المنقوشَةِ والقَصَّةِ ـ أَي : النُّورَة ، وهيَ بقافٍ مفتوحةٍ ومُهملةٍ ـ وجعلَ عُمَدَهُ مِنَ حجارةٍ منقوشَةٍ ، وسَقَفَهُ بالسّاج[1] .

وفي « صحيح البُخاريّ » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أَنَّهُ قالَ : لتُزَخْرِفُنَّها كَما زخرفَتِ اليهودُ والنَّصارىٰ[2] .

إِخبارُهُ ﷺ عمّاراً بقتله علىٰ يد الفِئَةِ الباغِيَةِ

وفيه عن أَبي سعيدٍ الخُدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كنّا في بناءِ المسجدِ نحمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً ، وعمّارٌ لَبِنَتَينِ لَبِنَتَينِ ، فرآهُ النَّبيُّ ﷺ فنفضَ التُّرابَ عنهُ ، وهوَ يقولُ : « وَيْحَ عَمّارٍ ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ ، يَدْعوهُم إِلىٰ الجَنَّةِ وَيَدْعونَهُ إِلىٰ النّارِ »[3] .

فضلُ المسجد النَّبويِّ

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إِلاّ إِلىٰ ثَلاثَةِ مَساجِدَ : المَسْجِدِ الحَرامِ ، ومَسْجِدِ الرَّسولِ ، والمَسْجِدِ الأَقصىٰ »[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٣٥) . **القَصَّةُ** : هي ما يسمّيه أَهل الشّام : كِلْساً ، وأَهلُ مصر : جيراً ، وأَهل الحجاز : جصّاً . **السّاجُ** : خشبٌ جيدٌ ذو قيمة ، يؤتى به من الهند .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٣٤) . **قلتُ** : وكان أَوّل من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان ، ومن يومها والنّاس شرعوا يغالون في بناء المساجد والمبالغة في زخرفتها ، حتّىٰ غدا بعضها كالمتاحف ، يقصده النّاس للاستمتاع بزخرفته لا للصَّلاة والعبادة ، وكلُّ هٰذا خارجٌ عن سُنَّة النَّبيِّ ﷺ . ولو روعيت البساطة في بناء المساجد وعدم المغالاة في الزَّخرفة لكان خيراً وأَولىٰ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٣٦) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١١٣٢) ، ومُسلم برقم (١٣٩٧/ ٥١١) .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يزورُ مَسْجِدَ (قُباءٍ) راكِباً وماشياً [١] .

مشروعيّةُ الأذان

وفي السَّنة الأُولىٰ أَيضاً : شُرِعَ الأَذانُ والإقامةُ للصّلواتِ الخَمْسِ ، وذٰلكَ برؤيا مشهورةٍ ٱرتضاها النَّبيُّ ﷺ .

وفي « الصَّحيحين » ، عن نافعٍ ، عن ٱبنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : كانَ المُسلمونَ حينَ قَدِموا (المدينةَ) يجتمعونَ فيتحَيَّنونَ الصَّلاةَ[٢] ، ليسَ يُنادىٰ لها ، فتكلَّموا يوماً في ذلكَ ، فقالَ بعضُهُم : اِتَّخِذوا ناقوساً مِثْلَ ناقوسِ النَّصارىٰ ، وقال بعضُهُم : بلْ بُوقاً مِثْلَ بوقِ اليهودِ ، فقالَ عُمَرُ : أَوَلا تَبْعَثونَ رجُلاً منكُم يُنادي بالصَّلاة ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « يا بلالُ ، قُمْ / فنادِ بالصَّلاةِ »[٣] . [ق١٢٧]

وأَمرَهُ أَنْ يَشْفَعَ الأَذانَ ، وأَنْ يوتِرَ الإِقامَةَ[٤] .

وسبقَ في حديث الإسراء أَنَهُ ﷺ سَمِعَ الأَذانَ ، وأُمِرَ بالصَّلواتِ الخَمْسِ ، ولم يُؤْمر به .

والحديث رواهُ البزّارُ بِإسنادٍ حَسَنٍ ، عن عليِّ بنِ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن النَّبيِّ ﷺ : أَنَّهُ رَكِبَ البُراقَ ليلَةَ أُسريَ به ، حتّىٰ

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١١٣٤) . ومُسلم برقم (١٣٩٩/ ٥١٥) . عن ٱبن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) **يتحيَّنونَ الصَّلاة** : يُقدِّرون حينها ووقتها ليأتوا إليها فيه .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٧٩) ، ومُسلم برقم (٣٧٧/ ١) . **قلتُ** : والحكمةُ في تخصيص بلال بالأَذان حسنُ صوته ونداوته وقوَّته ، وأَيضاً فقد كان ذٰلك مكافأَةً علىٰ ما لقيَ في الله ، لقد كان إذا ٱشتدَّ به التَّعذيب لا يفتر عن قوله : (أَحَدٌ أَحَدٌ) ، فجوزيَ بالأَذان الَّذي أَوَّله تعظيمٌ وتوحيدٌ ، وآخره تعظيمٌ وتوحيدٌ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج١/ ٣٩٠ .

أَتىٰ بها الحِجابَ الَّذي يلي عَرْشَ الرَّحمٰن جلَّ وعلا ، فبينما هوَ كذٰلكَ إذْ خرجَ مَلَكٌ مِنَ الحِجابِ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ هٰذا يا جبريلُ ؟ » ، قالَ : والَّذي بعثَكَ بالحقِّ إنِّي لأقربُ الخَلْقِ مكاناً ، وإنَّ هٰذا المَلَكَ ما رأيتُهُ قطُّ منذُ خُلِقْتُ قبلَ ساعتي هٰذه ، فقالَ المَلَكُ : اللهُ أكبرُ ، اللهُ أكبرُ ، قالَ : فقيلَ لَهُ مِنْ وراءِ الحِجابِ : صَدَقَ عبدي ، أَنا أكبرُ ، أَنا أكبرُ ، ثمَّ قالَ المَلَكُ : أَشْهَدُ أَنْ لا إلٰهَ إلاّ اللهُ ، فقيلَ مِنْ وراءِ الحِجابِ : صَدَقَ عبدي ، أَنا لا إلٰهَ إلاّ أَنا ، وذكرَ مِثْلَ هٰذا في بقيَّةِ الأَذان إلىٰ آخر الحديث[1] .

فَائِدَةٌ

في قول القُرطبيّ والغزاليّ في الأذان

قال القُرطبيُّ : الأذانُ على قِلَّةِ ألفاظِهِ مُشتَمِلٌ على مسائلِ العقيدةِ .

وقال الغزاليُّ : إذا سَمِعتَ النِّداءَ فأَحضِرْ في قلبكَ النِّداءَ يومَ القيامة ، وٱعلَم أَنَّكَ إنْ وجدتَ قلبكَ عندَ هٰذا النِّداء مملوءاً بالفرحِ والاستبشارِ ، مشحوناً بالرَّغبة إلىٰ المُسارعَةِ وٱلابتدارِ ، فٱعلَمْ أنَّهُ سيأتيكَ النِّداءُ بالبُشرىٰ ، والفوزِ يومَ القضاء[2] .

---

(١) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج١/ ٣٢٨ . **قلتُ** : ذكر الحافظ ٱبن حجر في « الفتح » ، ج٢/ ٧٨ : إلىٰ أَنَّهُ ٱختُلف في السَّنة الَّتي فُرِضَ فيها الأَذان ، وأَنَّه وردت أَحاديثُ تدلُّ على أَنَّ الأَذان شُرِعَ بمكَّة قبل الهجرة ، وبيَّن أَنَّهُ لا يخلو طريقٌ من طرق هٰذه الأَحاديث من مجهولٍ أَو متروكٍ ، ثمَّ رجحَ أَنَّ ذٰلكَ كان في السَّنة الأُولىٰ من الهجرة . والحديثُ الَّذي أَوردَهُ المؤلِّفُ هنا تفرَّد به زياد بن المنذر أَبو الجارود ، وهو من المتهمين بالكذب . ثمَّ لو كان قد سمعه النَّبيُّ ﷺ ليلةَ الإسراء لأَوشك أَن يأمر به بعد الهجرة في الدَّعوة إلىٰ الصَّلاة .

(٢) إحياء علوم الدِّين ، ج ١/ ١٥٢ .

حُمّىٰ المدينة

قَالَ أَهْلُ السِّيَرِ : وكانَتِ (المدينةُ) كثيرةَ الوباءِ ، فتضرَّرَ بذٰلكَ أَصحابُهُ المهاجرونَ ، وشقَّ ذٰلكَ عليه ﷺ ، وخافَ أَن يكرهوها ، فدعا اللهَ أَن يرفعَ الوباءَ عنها ، فرفَعَهُ .

وفي « الصَّحيحين » ، عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : قَدِمنا (المدينةَ) وهيَ أَوْبَأُ أَرضِ اللهِ ، فَوُعِكَ أَبو بكرٍ ، وَوَعِكَ بلالٌ ، فكانَ أَبو بكرٍ إِذا أَخذتْهُ الحُمّىٰ يقولُ ، [مِنَ الرَّجز] :

كُـلُّ ٱمْـرِئٍ مُصَبَّـحٌ فـي أَهْلِـهِ
وٱلمَـوْتُ أَدْنـىٰ مِـنْ شِـراكِ نَعْلِـهِ

وكان بلالٌ إِذا أَقلعَ عنهُ الحُمّىٰ يرفَعُ عقيرَتَهُ ـ أَي : صوتَهُ ـ يقولُ/ ، [مِنَ الطَّويل] [1] : [ق١٢٨]

أَلا لَيْـتَ شِعْـري هَـلْ أَبيتَـنَّ لَيْلَـةً
بِـوادٍ وَحَـوْلـي إِذْخِـرٌ وَجَليـلُ [2]
وَهَـلْ أَرِدَنْ يـومـاً مِيـاهَ مَجَنَّـةٍ
وَهَـلْ يَبْـدُوَنْ لـي شـامـةٌ وطَفيـلُ [3]

وهُما جبلانِ بـ (مكَّةَ) ـ [أَي : شامة وطفيل] .

قالت : فأَخبرتُ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : « اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَينا (المدينةَ) ، كَحُبِّنا (مَكَّةَ) ، أَو أَشَدَّ ، وَصَحِّحْها لَنا ، وٱنقُلْ حُمّاها فٱجعَلْها بـ(الجُحْفَةِ) ، وبارِكْ لَنا في صاعِنا ومُدِّنا » [4] .

---

(١) ابن هشام ، ج٢/ ٥٨٩ .
(٢) **الإِذخرُ والجليلُ** : تُسقَّفُ بهما البيوتُ فوق الخشب .
(٣) **مَجَنَّةٌ** : اسم سوقٍ للعرب كان في الجاهليّة .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٩٠) . ومُسلم برقم (١٣٧٦/ ٤٨٠) .

فبعدَ دعوتِهِ ﷺ طابَ لَهُمُ المقامُ ، وٱنصرفَتْ عنهُمُ الأَسقامُ ، عندَ قومٍ كرامٍ .

وفي ذلكَ يقولُ أَبو قيسٍ صِرْمَةُ بنُ أَبي أَنسٍ ، أَحدُ بني النَّجّارِ رضيَ اللهُ عنهُ ، [مِنَ الطَّويل] [1] :

ثَوىٰ في قُريشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً
يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقىٰ صَديقاً مُواتيا[2]

ويَعْرِضُ في أَهْلِ ٱلْمَواسِمِ نَفْسَهُ
فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرَ داعيا

فَلَمّا أَتانا أَظْهَرَ اللهُ دينَهُ
فَأَصْبَحَ مَسْروراً بِطَيْبَةَ راضيا

وَأَلْفىٰ صَديقاً وَٱطمَأَنَّتْ بِهِ النَّوىٰ
وَكُنّا لَهُ عَوْناً مِنَ ٱللهِ باديا

يَقُصُّ لَنا ما قالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ
وَما قالَ مُوسىٰ إِذْ أَجابَ ٱلْمُناديا

فَأَصْبَحَ لا يَخْشىٰ مِنَ النّاسِ واحِداً
قَريباً وَلا يَخْشىٰ مِنَ النّاسِ نائيا[3]

بَذَلْنا لَهُ ٱلأَموالَ مِنْ كُلِّ مالِنا
وَأَنْفُسَنا عِنْدَ ٱلوَغىٰ والتَّآسيا[4]

---

(١) ابن هشام ، ج٢/ ٥١٢ .
(٢) **ثوىٰ** : أَقام . **مواتياً** : موافقاً .
(٣) **نائياً** : بعيداً .
(٤) **الوغىٰ** : الحرب . **التآسي** : التَّعاون .

نُعادي الَّذي عادىٰ مِنَ ٱلنّاسِ كُلِّهِمْ
جَميعاً وَإِنْ كانَ ٱلحبيبَ ٱلمُصافيا

الأذنُ بالقتال وفرضُ الجهاد

وفي أَوَّل السَّنة الثّانية مِنَ الهجرةِ : أَذِنَ اللهُ في الجهادِ ، بقولِهِ تعالىٰ في حقِّ المُهاجرينَ : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [سورة الحج ٢٢/ ٣٩ـ٤٠] .

وبقولِهِ تعالىٰ في حقِّ الأَنصار : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، إِلىٰ آخر السُّورة .

[سورة الصَّف ٦١/ ١٠ـ١١] .

[ق١٢٩] ثمَّ أَوجبَ اللهُ / ذٰلكَ علىٰ نبيّه ﷺ بقولِهِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ ﴾ الآية[1] [سورة التَّوبة ٩/ ٧٣] .

---

(١) قلتُ : قال أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ ـ ومن الأَكاذيب الَّتي يردِّدها أَعداء الإِسلام والمسلمين أَنَّ الإِسلام قام علىٰ السَّيف ، وأَنَّه لم يدخل فيه معتنقوه بطريقة الطَّواعيَة والاختيار ، وإِنَّما دخلوا فيه بالقهر والإِكراه ، وقد اتَّخذوا من تشريع الجهاد وسيلةً لهٰذا التَّجنّي الكاذب الآثم ، وشتّان ما بين تشريع الجهاد وإِكراه النّاس علىٰ الإِسلام . وهٰذه الدَّعوىٰ الباطلة الظّالمة كثيراً ما يردِّدها المبشِّرون والمستشرقون ، وإِنَّما الجهاد كان لِحكَمٍ ساميةٍ وأَغراضٍ شريفةٍ . (السّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٩٠ ـ١٠٢) .
وإِني أَنصح القارىء بالعودة إِلىٰ كتاب أَبي شهبة حيث أَفاض في الرَّدِّ علىٰ هٰذه الفرية الكبرىٰ .

فائدة

قال العلماء : كانَ الجهادُ في زَمَنِهِ ﷺ فرضاً على الكِفاية ، إلاّ أنَّ التَّخلُّف عنه مشروطٌ بإذنِهِ ﷺ ، وقيلَ : فرضَ عينٍ .

في أي وقتٍ يكونُ الجهادُ فرضَ عينٍ أو فرضَ كفايةٍ

وأمّا بعدَهُ فغزْوُنا الكفّارَ إلىٰ بلادِهم فرضُ كفايةٍ ، ودفعُنا لِمَنْ دخلَ بلادَنا منهُم فرضُ عينٍ ، وقد أَمرَ اللهُ به وأوعدَ علىٰ تركِهِ بقولِهِ : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ الآية [سورة التَّوبة ٩/ ٤١] ، وبقولِهِ : ﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الآية [سورة التَّوبة ٩/ ٣٩] .

وعَذَرَ أُولي الضَّرر بقولِهِ : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ الآية [سورة النُّور ٢٤/ ٦١] ، وبقولِهِ : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ الآية [سورة النِّساء ٤/ ٩٥] .

فائدة أخرى

في المكّيّ والمدنيّ من سور القرآن العظيم

قال العلماء : سورةُ الحجِ وسورة الصَّف مِنْ أَوائلِ السُّوَرِ المدنيّات ، ومُعظَمُ القرآن مكيٌّ ، نزلَ قبلَ الهِجرةِ ، والمَدنيُّ الّذي نزلَ بعدَها ، وهوَ نحوُ ثلاثينَ سورةً ؛ وهيَ : البقرةُ ، وآل عِمرانَ ، والنِّساءُ ، والمائِدةُ ، والأنفالُ ، وبراءةُ ، والحجُّ ، والنُّورُ ، والأَحزابُ ، وسورة مُحمَّدٍ ، والفتحُ ، والحُجراتُ ، والحديدُ إِلىٰ المُلكِ ، وهيَ عشرٌ متوالياتٌ ، والمطفِّفينَ ـ قيلَ : وهيَ أَوّلُ سورة مدنيّةٍ ـ ولم يَكُنِ ، والنَّصرُ ، والمعوذتانِ .

فهٰذه سبعٌ وعشرونَ . واختَلفَ العلماءُ في الرَّعدِ ، وهلْ أَتىٰ علىٰ الإنسانِ ، والكوثرِ . والرّاجحُ أَنّها مكيّةٌ . واللهُ أَعلمُ .

الإخاءُ بين المهاجرين والأنصار

قال علماءُ السِّيَرِ : فعندَ ذٰلكَ جمعَ النَّبيُّ ﷺ الأَنصارَ وأَسقطَ

الإِحَنَ[1] الّتي كانت بينَهُم ، ثمَّ آخىٰ بينَ المُهاجرينَ والأَنصار[2] ، ثمَّ وادَعَ اليهودَ[3] .

تجهيزُهُ ﷺ السَّرايا والبعوث

ثمَّ شمَّرَ عن ساقِ الجدِّ والاجتهاد ، وجاهَدَ في اللهِ حقَّ الجِهادِ ، فعقدَ الأَلويَةَ ، وأَمَّرَ الأُمراءَ ، وجهَّزَ السّرايا والبُعوثَ والجيوشَ ، وشنَّ الغارات علىٰ أَعداءِ الدّين ، بما سيأتي ذكرُ بعضِهِ والإِشارةُ إِلىٰ غيرِهِ معَ التَّرغيب في الجِهادِ والحثِّ عليه بقولِهِ وفعلِهِ ، وقد سبقَ في صدرِ هٰذا القِسم ما فيه كفايةٌ مِنَ الآيات والأَحاديث المُرغِّبة فيه[4] .

عدد غزواته ﷺ

وفي /[ق١٣٠] « صحيح البُخاريِّ » ، عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : غَزا رسولُ اللهِ ﷺ تَسْعَ عَشْرةَ غزوةً ، غَزوتُ معَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ غزوةً[5] .

صَرْفُ القِبلة

وفي رجبٍ مِنَ السَّنة الثانية : حُوِّلَتِ القِبلَةُ علىٰ رأسِ ستَّةَ عشرَ شهراً مِنَ الهِجرةِ .

---

(١) الإِحَنُ : الأَحقاد والبغضاء .

(٢) قلتُ : كانت المؤاخاة بعد قدوم النَّبيِّ ﷺ المدينة بخمسة أَشهرٍ من السَّنة الأُولىٰ للهجرة .

(٣) قلتُ : أَيضاً كانت الموادَعَةُ في السَّنة الأُولى مِنَ الهجرة .

(٤) قال ٱبن هشام : ثمَّ إِنَّ رسولَ الله ﷺ تهيَّأ لحربِهِ وقام فيما أَمرَهُ الله به من جهاد عدوِّه ، وقتالِ من أَمَرَهُ اللهُ به ، ممَّن يليه من المشركين ؛ مُشركي العرب .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٢٠١) . قلتُ : إِنّما أَخرجه البُخاريُّ عن زيد بن أَرقم وليس عن البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما . والثّابتُ : أَنَّ البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : غزوت مع النَّبيِّ ﷺ خَمْسَ عشرةَ غزوةً . أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٢٠٢) .

وكانَ ﷺ مِنْ قَبْلُ يُصلّي إِلىٰ (بيت المَقْدِس)، ويقولُ: «وَدِدْتُ لو حَوَّلَني رَبّي إِلىٰ (الكَعبة)، فإِنَّها قِبْلَةُ أَبي إِبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلامُ».

وكانَ يتوقَّعُ نزولَ الوحي عليه في ذٰلكَ، فيقلِّبُ وجهَهُ في السَّماء، فٱختارَ اللهُ لَهُ ما يختارُهُ، فنزلَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ ـ أَي: جهتَهُ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ الآيات [سورة البقرة ٢/ ١٤٤].

وفي «الصَّحيحين» عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ صلّىٰ نَحْوَ (بَيْتِ المَقْدِسِ) سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً، وَكانَ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلىٰ (الكَعبة)، فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، فتَوَجَّهَ نحوَ (الكعبة)، فقالَ السُّفهاءُ مِنَ النّاس ـ وهُم اليهود ـ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾، فقالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٤٢]، فصلّىٰ معَ النَّبيِّ ﷺ رجلٌ ثمَّ خرجَ بعدَما صلّىٰ، فمرَّ علىٰ قومٍ مِنَ الأَنصارِ في صلاةِ العصرِ يُصلّونَ نحوَ (بَيْتِ المَقْدِسِ)، فقالَ: هوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صلّىٰ معَ رسولِ الله ﷺ وأَنَّهُ توجَّهَ نحوَ (الكعبة)، فتوجَّهَ القومُ نحوَ (الكعبة)[1].

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٣٩٠). ومُسلم برقم (٥٢٥/ ١١). قلتُ: قال أَبو شهبة ـ رحمه ٱللهُ ـ (أَمّا قبلته بمكَّة، فقيل: كان النَّبيُّ يستقبلُ بيت المَقْدِس، ولٰكنَّهُ لا يستدبرُ الكعبة، بل يجعلها بينَهُ وبين بيت المَقْدِس، وذٰلك بأَن يقف بين الرُّكنين الأَسود واليماني، فلمّا هاجر ﷺ ٱستمرَّ علىٰ ٱستقبال بيت المَقْدِس حتّىٰ نسخ اللهُ ذٰلك بالتَّوجُّه إِلىٰ الكعبة. وقيل: كانت قبلته الكعبة، فلمّا هاجر أَمره اللهُ باستقبال بيت=

في أنَّ القِبلة أوّل منسوخٍ في الإسلام

فَائِدَةٌ

قَالَ العُلَمَاءُ : كانتِ القِبْلَةُ أَوَّلَ منسوخٍ في شريعَتنا[1] .

النّاسِخُ والمنسوخُ

ومعنى النَّسخ عندَ الأُصوليين : رفعُ الحُكْمِ الشَّرعي السّابقِ بخطابٍ لاحقٍ .

ويجوزُ النَّسخُ إلىٰ بَدَلٍ ؛ كنسخِ ٱستقبالِ (بَيْتِ المَقْدِسِ) إلىٰ ٱستقبال (الكعبة) .

وإلىٰ غيرِ بَدَلٍ ؛ كنسخِ وجوبِ تقديم صَدَقَةٍ بينَ يَدَيْ النَّجوىٰ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ بقولِهِ : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ / أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ﴾ الآية [سورة المُجادلة ٥٨/ ١٢ـ١٣] . [ق١٣١]

وإلىٰ بَدَلٍ أَخفَّ ؛ كنسخِ العدَّة عاماً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ بقولِهِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢٤٠ ، ٢٣٤] .

وإلىٰ أَغلظَ كنسخِ التَّخيير بينَ رمضانَ والفِدية في قولِهِ : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ بتعيّن الصّيام في قولِهِ : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥] .

= المَقْدِس حتّىٰ نسخ ذٰلك) . قال ٱبن عبد البر ـ عالِمُ المغرب ـ : (وهٰذا أَصحُّ القولين عندي) . ويؤيّدهُ حديث إمامة جبريل للنَّبيِّ غداة ليلة الإِسراء والمعراج ، فقد كان وقوفهما عند باب الكعبة ، وغير ممكن لمن كان عند بابها أن يستقبل الكعبة وبيت المقدس معاً . (ٱنظر السّيرة النَّبويّة ، ج٢/ ١٠٣) .

(١) أَخرج ذٰلك البيهقيُّ في «سننه» ، ج٢/ ١٢ . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وأَنكرَتِ اليهودُ جوازَ نسخِ حُكْمِ اللهِ السّابق بحُكْمٍ لاحقٍ ، ليتوصَّلوا بذٰلكَ إلىٰ تأييد شرعِ موسىٰ .

واْحتجَّ عليهم بعضُ العلماء : بأنَّ آدمَ عليه السَّلامُ إنْ كانَ زوَّجَ بنيه ببناته ، فقدِ اْعترفتُم إمّا بالنَّسخ وإمّا بجواز ذٰلكَ في شريعة موسىٰ عليه السَّلامُ ، وإنْ كانَ زوَّجَ بنيه ببناتِ إبليسَ وبَنَاتِهِ بأَبناء إبليسَ ؛ فأَنتم مِنْ ذُريّةِ إبليسَ . عليه وعليهم لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أَجمعينَ .

ما فعلَهُ اليهودُ عند صرفِ القِبلة

قَالَ العُلَمَاءُ : ولمّا نُسِخَ التَّوجُّهُ إلىٰ (بَيْتِ المَقْدِس) بالتَّوجُّهِ إلىٰ (الكعبة) أكثرَ اليهودُ في ذلكَ : ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ـ أي : اليهودُ ـ ﴿ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ـ أي : خياراً ـ ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ـ أَي : يومَ القيامة بتبليغ الرُّسل ـ ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ـ أَي : مُزكّياً ـ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ ـ أي : لننظُرَ ـ ﴿ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ ﴾ ـ أي : قصَّةُ التَّحويلِ ـ ﴿ لَكَبِيرَةً ﴾ ـ أي : ثقيلةً ـ ﴿ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ ـ أي : صَلاتَكُم إلىٰ (بيْتِ المَقْدِس) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ١٤٢ـ١٤٣] .

فرْضُ الصّيام

وفي شعبانَ مِنْ هٰذه السَّنةِ ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ : فُرِضَ صومُ رمضانَ ، ونُسِخَ صومُ عاشوراء / ، فنزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ الآيات [سورة البقرة ٢/ ١٨٣] . [ق١٣٢]

وفي «الصَّحيحين» عن اْبنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما قالَ : صامَ النَّبيُّ ﷺ عاشوراءَ ، وأَمرَ بصيامِهِ ، فلمّا فُرِضَ رمضانُ تُرِكَ(١) .

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٩٣) .

فَرضُ صَدَقَةِ الفِطرِ

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثانية] ـ في رمضانَ : فُرِضَتْ صَدَقَةُ الفِطر .

ففي « الصَّحيحين » ، عن آبنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : فَرَضَ رسولُ الله ﷺ زكاةَ الفِطْرِ صاعاً مِنْ تَمْرٍ ، أَو صاعاً مِنْ شعيرٍ ، علىٰ كُلِّ حُرٍّ أَو عَبدٍ ، ذَكَرٍ أَو أُنثىٰ مِنَ المُسلمينَ[1] .

غزوةُ بَدْرٍ الكُبرىٰ

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثانية] ـ في رمضانَ : غزا رسولُ اللهِ ﷺ غزوةَ (بَدْرٍ) الكُبرىٰ ، وكانَت الوقعةُ يومَ الجُمعة ، السّابعَ عشرَ مِنْ رمضانَ المعظَّمِ ، وهوَ يومُ الفُرقان ، يومَ ٱلتقىٰ الجَمعانِ ، وأَشارَ إِليها في القُرآن قبلَ وقوعِها بقولِهِ : ﴿ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ [سورة الفُرقان ٢٥/ ٧٧] ، وبقولِهِ : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [سورة الدُّخان ٤٤/ ١٦] .

وفضلُها أَشهرُ مِنْ أَن يُذكَرَ .

عِدَّةُ مَنْ خرجَ مِنَ المُسلمينَ إِلىٰ بَدْرٍ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما : إِنَّ عِدَّةَ أَصحابِ (بَدْرٍ) علىٰ عِدَّةِ أَصحابِ طالوتَ الَّذينَ جاوَزوا معَهُ النَّهرَ ، ولم يُجاوِز معَهُ إِلاَّ مؤمنٌ .

وهُمْ ثلاثُ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ ، معَهُم فارسٌ واحدٌ ، وهوَ المِقدادُ بنُ الأَسودِ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين[2] .

وعِدَّةُ المُشركينَ نحوُ الأَلف ، منهم ثمانونَ فارساً .

وٱستشهدَ مِنَ المُسلمينَ أَربعةَ عشرَ ، وقُتِلَ مِنَ المُشركينَ سبعونَ ، وأُسرَ سبعونَ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٤٣٣) . ومُسلم برقم (٩٨٤/ ١٢) .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٤١) .

إِمـداد الله المسلميـن بالملائكة وفضلهم

وشهِدَها جبريلُ الأمينُ في أَلفٍ مِنَ الملائكة مُردفِينَ ، وصارَ لَهُم فضلٌ عندَ أهلِ السَّماء كفضلِ أَهلِ (بَدْرٍ) عندَ أَهلِ الأَرض .

وفـي « صحيـح البُخـاريِّ » ، أَنَّ جبـريـلَ عليـه السـلامُ قـالَ للنَّبـيِّ ﷺ : مـا تعـدّون أَهـلَ (بَـدْرٍ) فيكـم ؟ قـالَ : « مِـنْ أَفْضَـلِ المُسْلِمينَ » ، قالَ : وكذٰلكَ مَنْ شَهِدَ (بَدْراً) مِنَ الملائِكةِ[1] . واللهُ أَعلمُ .

في المـزايـا الَّتـي منحها اللهُ لأَهل بَدْرٍ

فَائِدَةٌ

وفي « الصَّحيحين » أَيضاً ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لَعَلَّ اللهَ ٱطَّلَعَ علىٰ أَهْلِ (بَدْرٍ) فقالَ : / اِعْمَلوا ما شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم »[2] .

[ق١٣٣]

أَي : عَلِمَ اللهُ أَنَّهُم مِنْ أَهل الجنَّةِ ، لِما سبقَ أَنَّهُ لم يشهدها إِلاّ مؤمنٌ ، كما أَنَّهُ لم يُجاوِزِ النَّهرَ معَ طالوتَ إِلاّ مؤمنٌ ، ومَنْ سبقتْ لَهُ العنايةُ لم تضرَّهُ الجناية ، ولم يَمُتْ أَحدٌ منهُم بحمدِ الله إِلاّ علىٰ أَعمالِ أَهل الجنَّة ، ولا يُنافي ذٰلكَ معاقبتَهُم علىٰ هفواتِهم بعدَ ذٰلكَ ؛ كحاطبٍ وسعدٍ وأَبي لُبابَةَ ومِسطحٍ ومُرارةَ وهِلالٍ[3] .

والمُراد أَنَّ اللهَ عَلِمَ أَنَّ ذنوبَهُم مغفورةٌ بما ينالُهُم مِنَ البلاء والأَذىٰ في الدُّنيا ، وإِذا كانَ كذٰلكَ فلم يُغفَر حينئذٍ علىٰ القطع لأَحدٍ ما تأَخَّرَ من ذنبه ، إِلاّ لِمُحمَّدٍ ﷺ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٧١) . عن رفاعة بن رافعٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٦٢) . عن عليِّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) وهم : حاطب بن أَبي بَلْتَعَةَ ، وسعد بن خولة ، وأَبي لبابةَ بشير ابن عبد الله ، ومسطح واسمه عوف بن أَثاثة ، ومرارةَ بن الرَّبيع ، وهلال بن أُميَّة .

وما وردَ في بعضِ الأَخبارِ ـ كما ورد في حديث الشَّفاعة ـ مِنْ قولِهِ : « غَفَرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ » ، محمولٌ علىٰ غُفران أَوَّلِ ذنبِهِ وآخرِهِ ، لِقولِهِ : « ما قَدَّمْتُ وَما أَخَّرْتُ ، وَأَوَّلَهُ وآخِرَهُ » . واللهُ أَعلمُ .

سببُ غزوة بَدْرٍ

قَالَ أَهْلُ السِّيَرِ : وسببُها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سَمِعَ بأَبي سُفيانَ بنِ حربٍ في عِيرٍ لقُريشٍ أَقبلَتْ مِنَ (الشّام) ، فجعلَ العيونَ عليها[١] ، فلمّا جاءَهُ عينُهُ خرجَ بمن خَفَّ معَهُ مِنَ المُسلمينَ ، ولم يَكُن يَظنُّ أَنَّهُ يلقىٰ عدوّاً ، وكانَ أَبو سُفيانَ يتحسَّسُ الأَخبارَ خوفاً مِنَ النَّبيِّ ﷺ ، فجاءَهُ الخبرُ بمَخْرَجِهِ ، فبعثَ إِلىٰ قُريشٍ يستَنْفِرُهُم ، فأَوعَبَتْ[٢] قُريشٌ في الخروج ، وخرجت سائرُ بطونِها .

ٱستشـارةُ النَّبـيِّ ﷺ أَصحابَهُ بعدَ نجاةِ العير

فلمّا كانَ النَّبيُّ ﷺ ببعضِ الطَّريق ، بلغَهُ نَفْرُ قُريشٍ ، فٱستشارَ أَصحابَهُ في طلب العير أَو قِتال النَّفير ، وقالَ : « إِنَّ اللهَ وَعَدَني إِحدىٰ الطّائِفَتين »[٣] .

وكانت العيرُ أَحبَّ إِليهم ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ ﴾ ـ أَي : السِّلاح ، وهيَ العيرُ ـ ﴿ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ٨/٧] .

فتكلَّمَ أَبو بكرٍ فأَعرضَ عنهُ ، فتكلَّمَ عُمَرُ فأَعرضَ عنهُ ، وهوَ في كلِّ ذٰلكَ يقولُ : « أَشيروا عَلَيَّ » ، فعلِموا أَنَّهُ إِنَّما يريدُ / الأَنصارَ [ق١٣٤] لأَنَّهُ لم يَكُن بايَعَهُم علىٰ القِتال ، إِنَّما بايعَهُم علىٰ أَن يمنعوهُ ممّا

---

(١) **قلتُ** : بعثَ رسول الله بَسْبَسَ بنَ الجُهنيّ وعديّ بن أَبي الزَّغباء الجُهنيّ يتحسَّسان له الأَخبار .

(٢) **أَوعبتْ** : خرجت كلُّها إِلىٰ الغزوِ .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في « الدَّلائل » ، ج٣/ ٣٣ .

يمنعونَ منهُ أَنفُسَهُم ، مِمَّن دَهِمَهُ[1] إِلىٰ (المدينةِ) ، ولٰكن كانَ الإيمانُ قد تمكَّنَ في قلوبهم ، وٱعتقدوا وجوبَ طاعتِهِ ونُصْرَتِهِ ﷺ ، حتّىٰ لو أَمرَهُم بقتلِ آبائِهِم وأَبنائِهِم لامتثلوا أَمرَهُ .

فقامَ سعدُ بنُ عُبادةَ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ : إِيَّانا تُريدُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « نعم » ، قالَ : والَّذي بعثكَ بالحقِّ ، لو أَمرتَنا أَنْ نضرِبَ أَكبادَها إِلىٰ (بَرْكِ الغِماد)[2] ـ أَي : بالمُعجمة ـ لَفَعَلْنا ، ولو أَمرتَنا أَنْ نُخيضَها البحرَ لأَخَضْناها .

فَسُرَّ بذٰلكَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ : « سيروا عَلىٰ بَرَكَةِ اللهِ ، واللهِ لكأَنّي أَنظُرُ إِلىٰ مَصارِعِ القَوْمِ »[3] .

مُبادَرَةُ النَّبيِّ ﷺ قُريشاً إِلىٰ الماء وبناءُ العريش لَهُ

فساروا حتّىٰ نَزَلَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ أَدنىٰ ماءٍ من مياه (بَدْرٍ) إِلىٰ عسكرِهِ ، فأُشيرَ عليه أَنْ ينزلَ علىٰ أَدنىٰ ماءٍ إِلىٰ العدوِّ ، ويترُكَ المياهَ كلَّها خلفَهُ ، ففعلَ . وبُنِيَ لَهُ عريشٌ يستظلُّ فيه .

دعاءُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ قُريشٍ

ولمّا أَقبلَتْ قُريشٌ قالَ النَّبيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ هٰذِهِ قُريشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلائِها وَفَخْرِها ، تُحادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسولَكَ ، اللَّهُمَّ أَحِنْهُمُ ـ أَي : أَحضِرْ حَيْنَهُم وهوَ هلاكُهُم ـ الغَداةَ ، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هٰذِهِ العِصابَةَ ـ يعني : المُسلمينَ ـ لا تُعْبَدْ في الأَرْضِ »[4] .

وما زالَ يَهْتِفُ بربِّه ـ أَي : يدعوهُ ـ حتّىٰ سقطَ رداؤُهُ ، فأَخذَ

---

(١) **دَهِمَهُ** : فَجأَهُ .

(٢) **بَرْكِ الغِماد** : تقع في جنوب القنفذة بـ(١١١) كيلومتراً . **والقنفذة** : بلدة وميناء على ساحل البحر الأَحمر جنوب جدَّة . وبرك الغِماد قرية من قرى القنفذة .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٣/١٠٦ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في « الدَّلائل » ، ج٣/١١٠ .

أَبو بكرٍ بيده وقالَ : حَسبُكَ يا رسولَ الله ، فقدْ أَلحَحتَ علىٰ ربِّكَ ـ أَي : بالغتَ في سؤاله ـ فخرجَ ﷺ وعليه الدِّرعُ وهوَ يقولُ : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [سورة القمر ٥٤/ ٤٥ـ٤٦] .

تسويةُ النَّبيِّ ﷺ الصُّفوفَ

قُلْتُ : ينبغي نصبُ السّاعة الأُولىٰ في الحديث علىٰ الظَّرفيّة لٰكنّا رويناهُ بالرَّفع كلفظ التِّلاوة .

ثمَّ أَخذَ ﷺ يُعَدِّلُ صفوفَهُم ، وأَمرَهُم أَنْ لا يحملوا حتّىٰ يأمُرَهُم .

مُناشدةُ النَّبيِّ ﷺ ربَّهُ النَّصرَ [ق١٣٥]

ثمَّ رجعَ إِلىٰ العريش ومعَهُ أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فخَفَقَ[1] / خَفْقَةً ، ثمَّ ٱنتبهَ ، فقالَ : « أَبشِرْ يا أَبا بَكْرٍ ، أَتاكَ نَصْرُ اللهِ ، هٰذا جبريلُ آخِذٌ بعِنانِ فَرَسِهِ » .

ثمَّ خرجَ إِلىٰ صفِّ أَصحابه ، فلمّا تزاحفَ النّاسُ أَخذَ حَفنةً مِنَ الحصباء ورمىٰ بها في وجوهِ المُشركينَ ، وقالَ لأَصحابِهِ : « شُدُّوا باسمِ اللهِ » ، فكانت الهزيمةُ فيهم بإِذنِ الله تعالىٰ ، ونصرَ اللهُ عبدَهُ ، وأَعزَّ جندَهُ ، وأَنزلَ اللهُ تعالىٰ في قسمةِ غنائم (بَدْرٍ) سورةَ الأَنفالِ ، وفيها أَيضاً ليعلَموا أَنَّهُ النّاصرُ لَهُم : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [سورة الأنفال ٨/ ١٧] .

طرحُ بعض المُشركين في القَليب، ومخاطبةُ النَّبيِّ ﷺ لَهم

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ أَمرَ بقتلىٰ المُشركينَ فأُلقوا في قَليب ، ثمَّ قامَ علىٰ القَليبِ ، فجعلَ يُناديهم بأَسمائِهِم : « هَلْ وَجَدْتُم ما وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقّاً » ، ثمَّ قالَ : « والَّذي نَفْسي بيَدِهِ ، ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقولُ مِنْهُم »[2] .

---

(١) خَفقَ : نام نومةً خفيفةً .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٥٧) . ومُسلم برقم (٢٨٧٣) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

عودةُ النَّبيِّ ﷺ إلىٰ المدينة وتهنئتُه بالنَّصر

ثمَّ قفَلَ ﷺ راجعاً إلىٰ (المدينة) ، ولقيَهُ المُسلمونَ إلىٰ (الرَّوحاء)[1] يُهنِّئُونَهُ بالنَّصر والظَّفر : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام ٦/ ٤٥] .

فَائِدَةٌ

في سبب إلحاح النَّبيِّ ﷺ علىٰ ربِّه بالنَّصر في بَدْرٍ

قولُهُ : فأَخذَ أَبو بكرٍ بيدِهِ ، فقالَ : حسبُكَ يا رسولَ الله ، فقد أَلححتَ علىٰ ربِّك .

قَالَ العُلَمَاءُ : لا يجوزُ أَن يتوهَّمَ أَحدٌ أَنَّ أَبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ أَوثقَ بربِّه مِنَ النَّبي ﷺ في تلك الحالة وغيرها ، بل الحامِلُ لَهُ علىٰ ذٰلكَ تقويةُ قلوبِ أَصحابِهِ ، لأَنَّهم كانوا يعلمونَ أَنَّهُ شفيعٌ مُشفَّعٌ ، مُستجابُ الدَّعوة ، وكانَ ذٰلكَ اليومُ أَوَّلَ مشهدٍ شَهِدوهُ ، فبالغَ في الدُّعاءِ لتسْكُنَ نفوسُهُم ، فلمّا قالَ أَبو بكرٍ ما قالَ ، عَلِمَ أَنَّهُ قد ٱعتقد إجابةَ الدُّعاء ، ووقوعَ النَّصر ، فخرجَ النَّبيُّ ﷺ . واللهُ أَعلمُ .

بناؤه ﷺ بعائشةَ رضيَ اللهُ عنها

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثَّانية] ـ في شوّالٍ : بعدَ (بَدْرٍ) دخلَ النَّبيُّ ﷺ بعائشةَ بنتِ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، وهيَ بنتُ تسعِ سنينَ[2] .

---

(١) الرَّوحاء : وهيَ من الفُرْعِ ، علىٰ نحوِ أَربعينَ ميلاً من المدينة ، وهو الموضع الَّذي نزلَ به تُبَّعُ حين رجَعَ من قتال أَهل المدينة يريد مكَّة ، فأَقام بها وأَراحَ ، فسمّاها (الرَّوحاء) .

(٢) قلتُ : الرّاجحُ أَنَّهُ ﷺ دخلَ بعائشة رضيَ اللهُ عنها في شوّالٍ من السَّنة الأُولىٰ للهجرة . وعليه أَجمعَ المحدِّثون وعلماءُ السِّيَر . وما ذكرَهُ المؤلِّف ـ رحمَهُ الله ـ إنَّما رويَ عن جابر بن عبد الله في « تاريخ دمشق » ، ق١/ ١٦٤ . وفيه ضعفٌ . ولا يُقال إنَّها صغيرة لا تحتملُ الزِّفاف ؛ بل إنَّ كثيراً من بنات العرب تكون مؤهَّلة لذٰلك وهي في هٰذا السِّنِّ ، ثمَّ إنَّ زواجه ﷺ منها ليس لمجرَّد الرَّغبة الجنسيَّة وإنَّما لتكونَ =

وفيها ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ بعد (بَدْرٍ) : كانَ قتلُ كعبِ بنِ الأَشرفِ وأَبي رافعٍ .

سبب قتل كعب بن الأشرف

أَمّا[1] كعبُ بنُ الأَشرفِ فإِنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا ٱنتصرَ بـ (بَدْر) ٱشتدَّ حُزْنُ عدوِّ الله /كعبِ بنِ الأَشرفِ الطّائيِّ اليهوديِّ ، وأُمُّهُ مِنْ بني النَّضير ، فرثىٰ قتلىٰ المُشركينَ بقصائدَ ، وقَدِمَ (مكَّة) وحرَّضَ قُريشاً على الأَخذِ بالثّأْرِ ، ثمَّ رجعَ إِلىٰ (يَثْرِبَ) ، وكانَ لَهُ حِصْنٌ منيعٌ ، فأَظهرَ العداوةَ والبغضاءَ للنَّبيِّ ﷺ وأَصحابه ، وجعل يُشَبِّبُ في شِعْرِهِ بنساءِ المُسلمينَ ويؤذيهم[2] ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « مَنْ لكعبِ بنِ الأَشرفِ ؟ فإِنَّه قَدْ آذىٰ اللهَ وَرَسولَهُ » ، فٱنتدبَ لَهُ خمسةً مِنَ الأَنصارِ ثمَّ مِنَ الأَوس ، فقتلوهُ . [ق١٣٦]

سببُ قتلِ سلاّم بن أَبي الحُقَيق

وٱنتدبَ[3] أَيضاً لقتلِ أَبي رافعٍ بن أَبي الحُقَيق تاجرِ أَهلِ (الحِجازِ) ـ وكانَ لَهُ حِصنٌ بـ (خَيْبَرَ) ، وكانَ يؤذي رسولَ الله ﷺ ، ويُعينُ عليه ـ سبعةً مِنَ الخزرج ، فقتلوهُ .

= ـ رضيَ اللهُ عنها ـ مبلِّغةً عنه في كثيرٍ من الأَحوال والأَفعال والأَقوال . وهٰذا ما حصل فعلاً .

(١) قلتُ : قال ٱبن سعد في «الطَّبقات» ، ج٢/٣١ : ثمَّ سريَةُ قتلِ كعب بن الأَشرف اليهوديّ ، وذٰلك لأَربعَ عشرةَ ليلةً مضت من شهر ربيع الأَوَّل ، علىٰ رأس خمسةٍ وعشرين شهراً من مُهاجَرِ رسول الله ﷺ . واللهُ أَعلمُ .

(٢) يشبِّبُ : يتغزَّلُ بهن ويذكر حُسْنَهنَّ .

(٣) قلتُ : أَورد المؤلِّف ـ رحمَهُ الله ـ خبر قتل سلاّمٍ في أَحداث السَّنة الثّانية . وقد ٱختلفَ المؤرِّخون في تحديد سنة قتله ، فمنهم من قال : في شهر رمضان سنة ستٍّ للهجرة ، ومنهم من قال : في ذي الحجَّة سنة أَربع . قال الطَّبريُّ : إِنَّه قُتل سنة ثلاثٍ للهجرة في النِّصف من جمادىٰ الأُولى منها . وهو المرجَّح . واللهُ أَعلمُ .

تحريض النبيِّ ﷺ على قتلِ كعبِ بنِ الأشرفِ

وفي « الصَّحيحين » ، عن جابرِ بنِ عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ لِكَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ ؟ فإنَّهُ قَدْ آذىٰ اللهَ وَرَسولَهُ » . فقالَ محمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ : أَتحِبُّ أَنْ أَقتُلَهُ يا رسولَ الله ؟ قالَ : « نَعَمْ » ، قالَ : ٱئْذَنْ لي فَلأَقُلْ ، قالَ : « قُلْ » ، قال فأتاهُ فقالَ لَهُ : إنَّ هٰذا الرَّجُلَ قد أَرادَ الصَّدَقَةَ منّا ، وقد عنّانا - أي : أتعبنا - فقالَ كعبٌ : وأَيضاً واللهِ لتمَلُّنَّهُ ، قالَ : إنّا قد ٱتَّبعناهُ ، ونكرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حتّىٰ ننظُرَ إلىٰ أيِّ شيءٍ يَصيرُ أَمرُهُ ، وقد أَردتُ أَنْ تُسلِفَني سلفاً ، قالَ : فما تَرْهَنُني ؟ قال : ما تريدُ ؟ قال : تَرْهَنُني نساءَكُم ؟ قالَ : أَنتَ أَجملُ العربِ ، أَنَرْهَنُكَ نِساءَنا ؟ قالَ لَهُ : تَرْهَنُوني أَولادَكُم ؟ قالَ : يُسَبُّ ابنُ أَحدِنا فيُقالُ : رُهِنَ في وَسْقينِ مِنْ تمرٍ[1] ، ولٰكن نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ - يعني السِّلاح - قالَ : فنعم .

فواعدَهُ أَنْ يأتيَهُ بالحارثِ بنِ أَوسٍ ، وأَبي نائِلَةَ ، وأَبي عبسِ بنِ جَبْرٍ ، وعبّادِ بنِ بِشْرٍ ، قالَ : فجاؤوا ، فدَعَوهُ ليلاً ، فقالت لَهُ ٱمرأَتُهُ : واللهِ إنّي لأَسمَعُ صوتاً فيه الموتُ ، قالَ : إنَّما هٰذا مُحمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ ، ورضيعُهُ أَبو نائِلَةَ ، إنَّ الكريمَ لو دُعِيَ إلىٰ طَعْنَةٍ لأَجابَ ، فقالَ مُحمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ لأَصحابِهِ : إنّي إذا جاءَ / فسوفَ [ق١٣٧] أَمُدُّ يدي إلىٰ رأسِهِ ، فإذا ٱستمكَنْتُ منهُ فدونَكُم ، فنزلَ وهوَ متوشِّحٌ بالسَّيف ، فقالوا لَهُ : إنّا نجدُ منكَ ريحَ الطِّيبِ ، قالَ : نعم ، تحتي فلانةُ أَعطرُ نساءِ العربِ ، قالَ مُحمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ : أَفتأْذَنُ لي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ ؟ قالَ : نعم ، فَشُمَّ ، فتناولَ فَشَمَّ ، ثمَّ قالَ : أَتأْذَنُ لي أَن أعودَ ؟ قالَ : نعم ، وتمكَّنَ منهُ ، ثمَّ قالَ : دُونَكُم ، فَقَتَلوهُ . ثمَّ

---

(١) الوَسْقُ : حِمْلُ بعيرٍ ، وهو سِتّون صاعاً بصاعِ النَّبيِّ ﷺ .

أَتوْا النَّبيَّ ﷺ فأَخبروهُ[1] .

بعـــثُ النَّبـــيِّ ﷺ عبد الله بن عَتيك لقتل سلاّم بن أبي الحُقَيق

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ رجالاً مِنَ الأَنصارِ ، وأَمَّرَ عليهِمْ عبدَ الله بنَ عَتيكٍ ، وكانَ أَبو رافِعٍ يُؤْذي النَّبيَّ ﷺ ، ويُعينُ عليه ، وكانَ في حِصْنٍ لَهُ بأَرضِ (الحِجازِ) ، فلمّا دَنَوْا منهُ ، وقد غَرَبَتِ الشَّمسُ ، وراحَ النّاسُ بِسَرْحِهِمْ[2] ، قالَ عبدُ الله بنُ عَتيك لأَصحابِهِ : اِجلِسوا مكانَكُم ـ أَي : خارجَ السّور ـ فإِنّي مُنطَلِقٌ ، ومُتَلَطِّفٌ للبوّابِ ، لَعلِّي أَنْ أَدخُلَ ، ثمَّ أَقبلَ حتّىٰ دنا مِنَ البابِ ، ثمَّ تَقَنَّعَ بثوبه ـ أَي : غطّىٰ به رأسَهُ ـ كأَنَّهُ يقضي الحاجةَ ، وقد دخلَ النّاسُ ، فهتفَ به البوّابُ : يا هٰذا ، إِنْ كُنتَ تُريدُ أَنْ تَدْخُلَ فادْخُلْ ، فإِنّي أُريدُ أَنْ أُغلِقَ البابَ ، قالَ : فدخلتُ فكَمَنْتُ ـ أَي : ٱختفيتُ ـ فلمّا دخلَ النّاسُ أَغلقَ البوّابُ البابَ ، ثمَّ علَّقَ المفاتيحَ علىٰ وَتَدٍ ، قالَ : فقُمْتُ إِلىٰ الأَغاليقِ فأَخذتُها ، ففتحتُ البابَ ، وكانَ أَبو رافعٍ يَسْمُرُ مَعَ أَصحابِهِ في عُلِّيَّةٍ[3] لَهُ ، فلمّا ذهبَ عنهُ أَهلُ سَمَرِهِ ، صَعِدْتُ إِليه ، فجعلتُ كلَّما فتحتُ باباً أَغلَقْتُ عليَّ مِنْ داخِلٍ ، وقلتُ : إِن يَدْرِ بي القوم لَمْ يَخْلُص إِليَّ أَحدٌ منهُم حتّىٰ أَقتُلَهُ ـ أَي : وإِنْ قتلوني بعدَهُ ـ ، فٱنتهيتُ إِليه ، فإِذا هوَ في بيتٍ مُظلِمٍ وَسْطَ عيالِهِ ، لا أَدري أَينَ هُوَ ، فقلتُ : يا أَبا رافعٍ ، فقالَ : مَنْ هٰذا ؟ فأَهوَيْتُ نحوَ الصَّوتِ ، فضربته بالسّيف وأَنا دَهِشٌ ، فما

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨١١) . ومُسلم برقم (١٨٠١/١١٩) . واللَّفظ لمُسلمٍ .

(٢) **سرحُهُم** : مواشيَهُم .

(٣) **العُلّيَّةُ** : الغرفة .

أَغْنَيْتُ شيئاً[1] ، وصاحَ ، فخرجتُ مِنَ البيتِ ، فمكثتُ غيرَ بعيدٍ ، ثمَّ دَخلتُ إِليه ، فقلتُ : ما هٰذا / الصَّوتُ يا أَبا رافعٍ ؟ وغيّرتُ [ق١٣٨] صوتي كأَنّيّ أُغيثُهُ ، فقالَ : إِنَّ رجلاً في البيت ضربَني بالسَّيف ، قالَ : فضربتُهُ ضربةً فأَثخَنتُهُ ، ثمَّ وضعتُ ظُبَّةَ السَّيفِ[2] في بطنِهِ ، وٱعتمدتُ عليه حتّىٰ خرجَ مِنْ ظهرِهِ ، فعرفْتُ أَنّي قد قتَلْتُهُ ، فجعلتُ أَفتحُ الأَبوابَ باباً باباً ، حتّىٰ ٱنتهيتُ إِلىٰ دَرَجَةٍ لَهُ ، فوضعتُ رجلي ، وأَنا أَظنُّ أَنّي قَدِ ٱنتهيتُ إِلىٰ الأَرضِ ، فوقَعْتُ ، فٱنكسَرَتْ ساقي فعصَبْتُها ، ثمَّ جلستُ علىٰ البابِ ، وقلتُ : واللهِ لا أَخرجُ اللَّيلةَ حتّىٰ أَعلمَ أَنّي قتَلْتُهُ ، فمكثتُ إِلى أَن صاحَ الدّيكُ ، فقامَ النّاعي علىٰ السّورِ ، وقالَ : أَنعي أَبا رافعٍ تاجرَ أَهلِ (الحِجازِ) ، فٱنطلقتُ إِلىٰ أَصحابي ، فقلتُ : النَّجاءَ[3] ، فَقَدْ قتلَ اللهُ أَبا رافعٍ ، فٱنتهينا إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ فحدَّثتُهُ ، فقالَ : « ٱبسُطْ رِجْلَكَ » ، فبسطتُها فمسحها بيده ، فكأَنّيّ لَمْ أَشْكُها قطُّ[4] .

غزوةُ بني قَيْنُقاعَ

وفي هٰذه السَّنة أَيضاً ـ [أَي : السَّنة الثّانية] ـ : نقضَتْ بنو قَيْنُقاعَ يهودُ (المدينةِ) العهدَ ، فحاصرَهُم النَّبيُّ ﷺ حتّىٰ نزلوا علىٰ حُكْمِهِ فيهم ، فوَهَبَهُم لعبد الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلولَ ، وكانوا حلفاءَهُ ، وأَخذَ أَموالَهُم .

غزوةُ أُحُدٍ

وفي السَّنة الثّالثة : كانَتْ غزوةُ (أُحُدٍ) ، وكانَتْ وَقْعَتُها يومَ السَّبت للنِّصفِ مِنْ شوّالٍ .

---

(١) **فما أَغنيتُ شيئاً** : أَي لم أَقتله .

(٢) **ظُبَّةُ السَّيف** : حرفُ حدِّ السَّيف .

(٣) **النَّجاء** : أَي أَسرعوا وٱنجوا بأَنفسكم .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨١٣) .

خروجُ قُريشٍ

وكانَ مِنْ حديثِ (أُحُدٍ) أَنَّ قُريشاً تحاشدوا بعدَ (بَدْرٍ)، وٱجتهدوا في طلبِ الثّأر، وخرجوا بظُعُنِهِمْ ومَنْ أَطاعهم مِنَ الأَحابيش ـ أَي: جموع العرب ـ حتّىٰ نَزلوا بـ (أُحُدٍ)، وكانوا ثلاثةَ آلافٍ، منهُم مِئتا فارسٍ.

مُشاورَةُ النَّبيِّ ﷺ أَصحابَهُ في الخُروج

فلمّا عَلِمَ بهم رسولُ الله ﷺ ٱستشارَ أَصحابَهُ في الخروج إِليهم أَو الإِقامة، وقالَ لَهُم: «إِنّي رأيتُ في مَنامي كأَنَّ في سيفي ثُلْمَةً، وأَنَّ بقَراً تُذْبَحُ، وتأَوَّلْتُها أَنَّ نفَراً مِنْ أَصحابي يُقْتَلونَ، وأَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهلِ بَيتي يُصابُ، فَإِنْ رَأَيْتُم أَنْ تُقيموا بـ (المدينةِ) وتَدَعوهُم حيثُ نَزَلوا، فإِنْ أَقاموا أَقاموا بشَرِّ مُقامٍ، وإِنْ دَخَلوها قاتَلْناهُم فيها»[1].

فٱختلفَتْ آراؤهُم في ذٰلكَ، حتّىٰ غلبَ رأيُ مَنْ أَحبَّ الخُروجَ.

[ق١٣٩] وكانَ مَنْ لَمْ يَشهَدْ / (بَدْراً) حصلَ معَهُمُ مِنَ الأَسفُ علىٰ ما فاتَهُم مِنَ الفضيلةِ.

تهيُّؤ النَّبيِّ ﷺ للخروج

فدخلَ ﷺ فَلَبِسَ لأْمَتَهُ[2]، وخرجَ عليهِم فوجدَهُم قد رجَّحوا رأيَ القعودِ، فقالَ: «لا يَنْبَغي لِنَبيٍّ إِذا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَها حَتّىٰ يُقاتِلَ»[3]. فسارَ بِهِم، وكانوا نحوَ الأَلف، ليسَ فيهم فرسٌ[4].

ٱنخذال عبد الله بن أُبي بالمنافقين

فٱنخذلَ عبدُ الله بْنُ أُبيّ ابْنُ سَلولَ، وكانَ مُطاعاً بثُلُثِ النّاسِ.

تعبئةُ النَّبيِّ ﷺ المُسلمينَ للقِتال

فبقيَ نحوَ سبعِ مئة رجلٍ، فنزلَ ﷺ وجعلَ ظَهْرَهُ إِلىٰ (أُحُدٍ)، ورتَّبَ أَصحابَهُ كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

---

(١) أَخرجه الحاكم في «المستدرك»، ج٣/ ١٩٨ بنحوه.

(٢) لأْمَتَهُ: دِرْعَهُ.

(٣) أَخرجه أَحمد في «مسنده»، برقم (١٤٣٧٣).

(٤) في المخطوط: فارس. والتصويب من «مسند أَحمد».

ـ وكانَ غَدا مِنْ مَنْزِلِ عائشةَ ـ ﴿ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ الآيات [سورة آل عِمران ٣/ ١٢١] ، وأَقعدَ الرُّماةَ ، وهُمْ خمسونَ علىٰ جبلِ (عنين) ـ مُصَغَّراً بمهملةٍ ونونٍ مكرَّرةٍ ـ وقالَ لَهُمْ : « لا تبْرَحوا مَكانَكُمْ إِنْ غَلَبْنا أَو غُلِبْنا » .

أنتصارُ المُسلمين ودورُ الرُّماة فيه

وظاهرَ ﷺ يومئذٍ بينَ درْعين[1] ، وحَمَلَ هوَ وأَصحابُهُ علىٰ المُشركينَ فهزمَهُمُ اللهُ تعالىٰ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٢] . وقُتِلَ منهُم ٱثنانِ وعشرونَ رجُلاً .

الابتلاءُ بعدَ النَّصر

فقالَتِ الرُّماةُ : الغنيمةَ يا قومُ ، فقد ظَهَرَ أَصحابُكُم فما تنتظرونَ ؟ فأَبىٰ بعضُهُم فثبتَ مكانَهُ لقولِ رسولِ اللهِ ﷺ : « لا تبْرَحوا مَكانَكُم » ، وخالفَ الآخرونَ ، فأَقبلوا علىٰ الغنيمة ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ ـ أَي : الغنيمة ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ﴾ ، لٰكن عفا عنهُم بقولِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٢] .

فلمّا رأت خيلُ قُريشٍ ظهورَ المُسلمينَ خاليةً عَنِ الرُّماةِ ، حَمَلوا عليهم ، فقتلوا مَنْ بقيَ مِنَ الرُّماةِ ، وأَتوا المُسلمينَ مِنْ خلفِهم .

إِشاعةُ مَقْتَلِ النَّبيِّ ﷺ وما لقيَهُ مِنَ الأذىٰ

وصرخَ إِبليسُ ـ لعنَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : أَلَا إِنَّ مُحمَّداً قد قُتِلَ ، فٱنفضَّت صفوفُ المُسلمينَ ، وتراجَعَتْ قُرَيشٌ بعدَ هزيمتها ، وخَلَصَ العدوُّ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فرمَوْهُ بالحجارةِ ، حتّىٰ وقعَ لِشِقِّه ، وكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ اليُمنىٰ السُّفلىٰ ، وجُرِحَتْ شَفَتُه / السُّفلىٰ ، [ق١٤٠]

---

(١) ظاهرَ بين دِرْعين : لبِسَ إِحداهُما فوق الأُخرىٰ .

وضربَهُ ابنُ قَمِئَةَ اللَّيثي علىٰ وجهِهِ ، فدخَلَتْ حَلْقَتانِ مِنْ حَلقِ المِغْفَرِ[١] في وَجْنَتِه ، وضربَهُ آخرُ علىٰ رأسِهِ حتّىٰ هَشَمَ البيضةَ[٢] ، وكانوا أَحرصَ شيءٍ علىٰ قتلِهِ ، فعصمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ منهُم ، وهوَ ﷺ ثابتٌ يُنادي أَصحابَهُ ، فلم يَلوِ عليه أَحَدٌ ، إِذ لم يعرفوهُ ، وظنّوا أَنَّهُ قد قُتِلَ ، وهوَ في الحديدِ ؛ الدِّرع والمِغْفَر ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ فَأَثَٰبَكُمۡ ﴾ ـ أَي : جزاكُم ـ ﴿ غَمَّۢا بِغَمّٖ ﴾ ـ أَي : بعدَ غمٍّ ـ [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٣] .

أَوّلُ مَنْ عرفَ النَّبيَّ ﷺ بعدَ إِشاعَةِ مَقْتلِهِ

ثمَّ إِنَّ كعبَ بنَ مالكٍ الأَنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ عَرفَ النَّبيَّ ﷺ فصاحَ : يا معشرَ المُسلمينَ ، أَبشِروا ، فهٰذا رسولُ الله ﷺ فعطفَ عليه نفرٌ مِنَ المُسلمينَ ، ونهضوا إِلىٰ الشِّعْبِ .

أُبيّ بن خلف يبحث عن النَّبيِّ ﷺ ليقتله

فأَدركَهُم أُبيُّ بنُ خَلَفٍ فارِساً ، وهوَ يقولُ : أَينَ مُحمَّدٌ ؟ لا نجوتُ إِن نَجا ، وشدَّ عليه ، فٱعترَضَهُ رجالٌ مِنَ المُسلمينَ دونَ النَّبيِّ ﷺ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ بيدِهِ هٰكذا ـ أَي : خلّوا طريقَهُ ـ وتناولَ الحربةَ فهزَّها حتّىٰ تطايَروا مِنْ حَوْلِهِ لشِدَّةِ بأْسِهِ ، ثمَّ ٱستقبلَهُ فدقَّهُ في عنقه بطعنةٍ ، تدأْدَأَ[٣] لها عن فرسِهِ مِراراً ، ونفذَتْ مِنَ الدِّرع ، فرجَعَ إِلىٰ أَصحابِهِ فماتَ ، فهمَّ المُشركونَ أَنْ يَكُرّوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ وأَصحابه في الشِّعب ، فحماهُمُ اللهُ منهُم .

تغشيةُ النُّعاسِ المؤمنينَ

ثمَّ إِنَّهم لمّا ترادفَتْ عليهِمُ الغمومُ ممّا أَصابَهُم ، ومِنْ خوفِ كَرَّةِ العدوِّ عليهم ، أَلقىٰ اللهُ عليهم النُّعاسَ ، أَمَنَةً منهُ لَهُم ، إِلاّ المنافقينَ

---

(١) المِغفَرُ : زردٌ يُنسج مِنَ الدُّروع علىٰ قَدْر الرّأس ، يُلْبَسُ تحتَ القُلنسوة .
(٢) البيضةُ : الخوذةُ الّتي توضع علىٰ الرّأس .
(٣) تدأْدَأَ : تدحرجَ وسقطَ .

فلم يَغشَ النُّعاسُ أَحداً منهُم لظنِّهِمُ السوءَ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ :
﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ الآيات [سورة آل عِمران ٣/ ١٥٤] .

شماتةُ أَبي سُفيانَ بعدَ المعركة

ثمَّ إِنَّ أَبا سُفيانَ أَشرفَ فقالَ : أَفي القَومِ مُحمَّدٌ ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « لا تُجيبوهُ » ، فقالَ : أَفي القومِ ٱبنُ أَبي قُحافَة ؟ قالَ : « لا تُجيبوهُ » ، قالَ : أَفي القومِ ٱبنُ الخطّاب ؟ قالَ : / « لا تُجيبوهُ » ، فقالَ : إِنَّ هٰؤلاءِ قُتِلوا ، فلو كانوا أَحياءً لأَجابوا ، [ق١٤١] فلم يَملِك عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ نَفْسَهُ ، فقالَ : كَذَبتَ يا عدوَّ اللهِ ، قد أَبقىٰ اللهُ لكَ ما يُخزيكَ ، فقالَ أَبو سُفيانَ : أُعْلُ هُبَلُ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَجيبوهُ » ، قالوا : ما نقولُ ؟ قالَ : « قولوا : اللهُ أَعلىٰ وأَجَلُّ » ، قالَ أَبو سُفيانَ : لنا العُزّىٰ ولا عُزّىٰ لكُم ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « أَجيبوهُ » ، قالوا : ما نقولُ ؟ قالَ : « قولوا : اللهُ مولانا ولا مولىٰ لَكُم » ، قالَ أَبو سُفيانَ : يومٌ بيومِ (بَدْرٍ) ، والحربُ سِجالٌ ، وتَجِدونَ مُثْلَةً لم آمُرْ بها ولم تَسُؤْني . رواهُ البُخاريُّ عن البراءِ بنِ عازبٍ[1] .

فَائِدَةٌ

فيمن أَكرمَهُ اللهُ بالشَّهادة يوم أُحُدٍ

قَالَ العُلَمَاءُ : وكانَ يومُ (أُحُدٍ) يومَ بلاءٍ وتمحيصٍ[2] وإكرامٍ ، أَكرمَ اللهُ فيه مَنْ أَكرمَ بالشَّهادة ، فقُتِلَ حمزةُ في سبعينَ شهيداً مِنَ المُسلمينَ رضيَ اللهُ عنهُم ، ومثَّلَتْ بهِم نساءُ قُريشٍ ، فَبقَروا بطنَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٧٤) . سِجالٌ : أَي مرَّةً لنا ومرَّةً علينا .
(٢) يوم تمحيصٍ : يوم تطهيرٍ وتخليصٍ من الآثام والذّنوب . (أَنصاريّ) .

الحمزةَ ، وقطعوا كبدَهُ ، فلمّا نظرَ إليه ﷺ كذٰلكَ ترحَّمَ عليه وأثنى عليه ، ثمَّ قالَ : « واللهِ ، لَئِنْ أَظْفَرني اللهُ بهِم لأُمَثِّلَنَّ بسبعينَ مِنْهُم مَكانَكَ »(١) ، ثمَّ ذكرَ قولَ اللهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ * وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [سورة النَّحل ١٦/١٢٦_١٢٧] .

فٱختارَ الصَّبرَ كما أَمرَهُ اللهُ تعالىٰ ، وكانَ ينهىٰ عن المُثْلَةِ .

دفنُ الشُّهداء

ثمَّ إِنَّهُ ﷺ أَمرَ بدفنِ الشُّهداءِ بدمائِهِم ، ولَمْ يُغَسِّلْهُم ، ولَمْ يُصَلِّ عليهِم ، وقالَ : « أَنا شَهيدٌ علىٰ هٰؤلاءِ يومَ القيامَةِ » ـ أي : لَهُم ـ وكانَ يَجمعُ بينَ الرَّجلين في ثوبٍ واحدٍ ، ثمَّ يقولُ : « أَيُّهُم أَكْثَرُ أَخذاً للقُرآنِ ؟ » ، فإذا أُشيرَ لَهُ إِلىٰ أَحدِهِما قدَّمَهُ في اللَّحْدِ(٢) .

ما نزلَ من القُرآنِ في يومِ أُحُدٍ

وأَنزلَ اللهُ فيهم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ الآيات [سورة آل عِمران ٣/١٦٩ _١٧٠] .

وأَنزَلَ اللهُ تسليةً للمؤمنين وتقويةً لعزائِمِهم : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ ـ أَي : يوم (بَدْرٍ) ـ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/١٣٩_١٤٠] .

[ق١٤٢] ودلَّهُم علىٰ وجهِ الحِكْمَةِ فيما قضاهُ وقدَّرَهُ / عليهِم بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ـ أَي : يُظْهِرَ إِيمانَهُم ـ ويُميِّزَهُم

---

(١) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج٦/١١٩ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢٧٨) .

عَنِ ٱلمُنافقينَ ـ كعبد الله بن أُبيٍّ وذويه ـ ﴿ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ﴾ ـ كحمزةَ وأَصحابِهِ ـ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ ـ أَي : يُخَلِّصَ إيمانَهُم ـ ﴿ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٤٠ـ١٤١] .

غزوةُ حمراء الأَسد

[قالَ تعالىٰ] : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٧٢] .

وذٰلكَ أَنَّ قُريشاً لمّا بلغَتْ (الرَّوْحاءَ) همّوا أَيضاً بالرُّجوع لاستئصالِ مَنْ بقيَ مِنَ المُسلمينَ بزعْمِهم ، فلمّا عَلِمَ بهِم النَّبيُّ ﷺ ندبَ أَصحابَهُ للخروج للقائِهم ، وقالَ : « لا يَخْرُجُ مَعَنا إلاّ مَنْ حَضَرَ يَوْمَنا بالأَمْسِ »[1] ، فسارَ بهِم حتّىٰ بلغَ (حَمْراءَ الأَسَدِ)[2] ، فمرَّ بهِم مَعْبَدٌ الخُزاعيُّ ، وهُم نزولٌ ، فأَسرعَ إلىٰ قُريشٍ فأَخبرَهُم بمخرَجِ رسولِ الله ﷺ وأَصحابه إليهم ، فثنىٰ ذٰلكَ قُريشاً عن لقائِهم ، وأَلقىٰ اللهُ في قلوبِهم الرُّعْبَ ، فأَدبَروا إلىٰ (مكَّةَ) ، فمرَّ عليهم ركبٌ ، فجعَلوا لَهُم جُعْلاً علىٰ أَنْ يُخبروا مُحمَّداً وأَصحابَهُ أَنَّهُم يُريدونَ الكَرَّةَ عليهِم ، ولا يخبروهُم بأنصرافِهم إلىٰ (مكَّةَ) ، فلمّا مرَّ الرَّكبُ علىٰ المُسلمينَ وأَخبروهُم بذٰلكَ ، قالوا : ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٧٣] .

وأَقاموا ثلاثاً ينتظرونَ لقاءَ العدوِّ ، فبلغَهُم مسيرُهُم فرجعوا ، فأَنزلَ اللهُ سبحانَهُ : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ ﴾

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في «الدّلائل» ، ج٣/ ٣١٤ .
(٢) موضعٌ علىٰ ثمانية أَميالٍ من المدينة ، وإليه انتهىٰ النَّبيُّ ﷺ يومَ أُحدٍ في طلب المشركين .

ـ أَي : الرَّكب ـ ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ ﴾ ـ أَي : قُريشاً ـ ﴿ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾

[سورة آل عِمران ٣/ ١٧٢ـ١٧٤] .

موقفُ أَنس بن النَّضرِ رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : إِنَّ عَمِّي أَنسَ بنَ النَّضْرِ غابَ عن (بَدْرٍ) ، فقالَ : غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتال للنَّبيِّ ﷺ ، لَئِنْ أَشْهَدَني اللهُ قِتالاً معَ النَّبيِّ ﷺ لَيَرَينَّ اللهُ ما أَصنَعُ ، فلمّا ٱنهزمَ المُسلمون يومَ (أُحُدٍ) / ، قالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعتذِرُ إِليكَ ممّا صنَعَ هٰؤلاءِ ـ يعني : المُسلمينَ ـ وأَبْرَأُ إِليكَ ممّا جاءَ به المُشركونَ ، فتقدَّمَ بسيفه فلقيَهُ سعدُ بن مُعاذٍ ، قالَ : يا سعدُ إِنِّي أَجِدُ ريحَ الجنَّةِ دونَ (أُحُدٍ) ، فقُتِلَ ، ووجِدَ به بضعٌ وثمانونَ مِنْ طعنةٍ وضربةٍ[1] ورميةٍ بسهمٍ رضيَ اللهُ عنهُ[2] . [ق١٤٣]

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : كُنّا نرىٰ أَنَّ هٰذه الآيةَ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٢٣] ، نزلَتْ في أَنسِ بنِ النَّضْرِ وأَشباهِهِ مِنْ قَتلىٰ (أُحُدٍ)[3] .

حضورُ الملائكةِ ودفاعها عن النَّبيِّ ﷺ

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن سعدِ بنِ أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يُقاتِلُ يومَ (أُحُدٍ) ومعَهُ رَجُلانِ يُقاتِلانِ ، عليهِما ثيابٌ بيضٌ ، ما رأيتُهما قبْلُ ولا بَعْدُ[4] .

---

(١) أَي : طعنة رمحٍ ، وضربة سيفٍ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٥١) .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥٠٥) .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٢٨) . ومُسلمٌ برقم (٢٣٠٦/ ٤٦) .

قتالُ سعد بن أبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وقالَ : نَثَلَ النَّبيُّ ﷺ لي كِنانتَهُ يومَ (أُحُدٍ) ، وقالَ : « اِرْمِ فِداكَ أَبي وأُمّي »[1] .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن عليٍّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ما سمعتُ النَّبيَّ ﷺ جمعَ أَبويه لأَحدٍ إلاّ لسعد بن مالكٍ[2] ، فإنّي سمعتُهُ يقولُ لَهُ يومَ (أُحُدٍ) : « اِرْمِ فِداكَ أَبي وأُمّي »[3] .

تأثُّرُ النَّبيِّ ﷺ بما لقيَهُ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : اِشتَدَّ غضبُ اللهِ علىٰ مَنْ قتلَهُ نبيُّ اللهِ ، وٱشتَدَّ غضبُ اللهِ علىٰ مَنْ أَدمىٰ وَجْهَ نبيِّ اللهِ[4] .

بشارةُ النَّبيِّ ﷺ جابراً رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « الصَّحيحين » ، عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : لمّا قُتِلَ أَبي يومَ (أُحُدٍ) ، جَعَلْتُ أَبكي ، وأَكشِفُ الثَّوبَ عن وجهِهِ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « تَبْكيهِ أَو لا تَبكيهِ ، ما زالَتِ المَلائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجنِحَتِها حتّىٰ رُفِعَ »[5] .

وذٰلكَ فضلُ اللهِ يُؤْتيه مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم .

الرَّجيع وبئر معونة

وفي هٰذه السَّنة أَيضاً ـ [أَي : السَّنة الثّالثة] ـ بعد (أُحُدٍ) : أُصيبَ عاصمٌ وأَصحابه بـ (الرَّجيع) ، والقرّاءُ السَّبعونَ أَصحابُ (بئر مَعونَةَ) ، ليمتَحِنَ اللهُ الأَنصارَ بالصَّبرِ ، ويُضاعِفَ لَهُم عظيمَ الأَجرِ ، وقصَّةُ الفريقين مشهورةٌ في « الصَّحيحين » .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٢٩) . **نَثَلَ كِنانَتَهُ** : استخرجَ نَبْلها .

(٢) **مالكٌ** : كنيته أَبو وقّاص . وهو ٱبن أُهيب ، ٱبن عم آمنة بنت وهب .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٣٣) . ومُسلم برقم (٢٤١١/ ٤١) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٤٨) .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٥٢) . ومُسلم برقم (٢٤٧١/ ١٣٠) .

بعثُ الرَّجيع

أَمّا(١) أَصحابُ الرَّجيع : فإِنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ عاصِمَ بنَ ثابتٍ الأَنصاريَّ في عشرةٍ مِنْ أَصحابِهِ عيناً ، فلمّا / كانوا بـ (الرَّجيع) [ق١٤٤] ـ وهوَ : ماء لهُذَيلٍ ، بينَ (عُسْفانَ ومرِّ الظَّهران) ، وعُسفانُ علىٰ مرحلتين مِنْ (مكَّةَ) ـ ذكروا لبني لِحْيَانَ ـ وهُم بطنٌ مِنْ هُذَيلٍ ـ فتبعَهُم منهُم نحوَ مئةِ رامٍ ، فٱلتجأَ عاصمٌ وأَصحابُهُ إِلىٰ أَكمةٍ ، فأَحاطَ بهِمُ القومُ ، ولم يقدِروا علىٰ الوصول إِليهم ، فأَمَّنوهُم وأَعطَوْهُمُ العهدَ أَنَّهم إِنْ ٱستسلموا لا يقتُلونَهُم ، فقالَ عاصمٌ : أَمّا أَنا فلا أَنزلُ في ذمَّةِ كافرٍ بالله أَبداً ، اللَّهُمَّ أَخبر عنّا رسولَكَ ، فقاتلوهُم حتّىٰ قُتِلَ عاصِمٌ في ثمانيةٍ مِنْ أَصحابِهِ .

أَسرُ زيدٍ وخُبيبٍ

ونزلَ إِليهم خُبيبُ بن عَديٍّ ، وزيدُ بن الدَّثِنَّةِ بالأَمانِ ، فغدَروا بهِما ، فٱنطلقوا بِهما إِلىٰ (مكَّةَ) ، فباعوهُما .

فأَمّا زيدٌ : فٱشتراهُ صفوانُ بن أُميَّةَ بن خلفٍ ، فقتلَهُ بأَبيه ، وكانَ قتَلَ أَباهُ يومَ (بَدْرٍ) .

وأَمّا خُبيبٌ : فٱشتراهُ بنو الحارثِ بنِ عامرِ بنِ نوفَلٍ ، فقتلوهُ بأَبيهم ، وكانَ قتَلَ أَباهُم يومَ (بَدْرٍ) أَيضاً(٢) .

مقتلُ زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ

فلمّا خَرجوا بزيدٍ مِنَ (الحَرَمِ) إِلىٰ أَدنىٰ (الحِلِّ) ، وقرَّبوهُ

---

(١) ذُكِرَ هنا أَنَّ (بعثَ الرَّجيع) كان من أَحداث السَّنة الثالثة للهجرة .
قلتُ : كانَ بعثُ الرَّجيع في صفرٍ علىٰ رأسِ ستَّةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، وغزوة أُحُدٍ وقعت في شوّال من السَّنة الثالثة ، فيكون بعثُ الرَّجيع في السَّنة الرابعة ، وقد أَجمع أَهل السّير علىٰ ذلك ، عدا ٱبن هشام . واللهُ أَعلمُ .

(٢) **قلتُ** : قال ٱبن سيِّد النّاس في «عيون الأَثر» ، ج٢/٤١ : إِنَّ خُبيبَ بن عدي الأَوسيّ لم يشهد بدراً ، ولا قتلَ الحارثَ بن عامرٍ . إِنَّما الَّذي شهدها وقتلَهُ هو خُبيب بن أُسافٍ الخزرجي .

للقَتْلِ ، قالَ لَهُ أَبو سُفيانَ : أَنشُدُكَ اللهَ يا زيدُ ، أَتحبُّ أَنَّ مُحمَّداً مكانَكَ تُضرَبُ عُنُقُهُ ، وأَنتَ في أَهلِكَ ؟ قالَ : واللهِ ما أُحِبُّ أَنَّ مُحمَّداً تُصيبُهُ الآنَ في مكانِهِ شوكةٌ تؤذيه ، وأَنا جالسٌ في أَهلي ، فقتلوهُ ، ثمَّ أَرادوا أَخذَ رأسِهِ ، فحمَتْهُم عنهُ الدَّبْرُ ـ أَي : الزَّنابيرُ ـ فتركوهُ إِلىٰ اللَّيل ليأخذوهُ ، فجاءَهُ سيلٌ فٱحتَمَلَهُ ، وكانَ قد أَعطىٰ الله عهداً أَنْ لا يَمَسَّ مُشرِكاً ، ولا يَمَسَّهُ مُشرِكٌ ، فَأَتمَّ اللهُ لَهُ ذٰلكَ بعد وفاتِهِ ، كما وفّىٰ به هوَ في حياته[1] .

مقتلُ خُبيبٍ رضيَ اللهُ عنهُ

ولمّا خَرجوا بخُبيبٍ ليقتلوهُ دعا بماءٍ فتوضّأَ ، وصلّىٰ رَكْعَتين ، وأَوجزَ فيهما ، وقالَ : لولا أَنْ تظنّوا أَنَّ بي جَزَعاً لَزِدْتُ . فهوَ أَوَّلُ مَنْ سنَّ هاتينِ الرَّكْعَتينِ عندَ التَّقديم للقَتْلِ ، ثمَّ أَنشدَ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، [مِنَ الطَّويل][2] :

وَلَسْتُ أُبالي حِيْنَ أُقتَلُ مُسْلِماً
عَلىٰ أَيِّ جَنْبٍ كانَ في اللهِ مَصْرَعي
وَذٰلِكَ في ذاتِ ٱلإلٰهِ وَإِنْ يَشأْ
يُبارِكْ عَلىٰ أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[3]

[ق١٤٥] / فقتلوهُ ، ثمَّ صلبوهُ ، فلمّا بلغَ النَّبيَّ ﷺ أَنَّهُ مصلوبٌ ، قالَ ﷺ : « أَيُّكُم يَحمِلُ خُبَيْباً عَنْ خَشَبَتِهِ وَلَهُ الجَنَّة ؟» .

---

(١) قلتُ : والمعروف أَنَّ هٰذا الخبر جاء في حقِّ عاصم بن ثابتٍ وليس في حقِّ زيد بن الدَّثِنَّة ، لأَنَّ عاصِماً لم يقبل من مُشركٍ عهداً ولا عقداً أَبداً ، وقالَ : إِنّي نذرتُ أَنْ لا أَقبلَ جوارَ مُشركٍ أَبداً . فمنعَهُ الله بعد وفاته كما ٱمتنعَ منه في حياته . (انظر الطَّبري ، ج٢/ ٥٣٩ . ودلائل النُّبوَّة ، ج٢/ ٣٢٨) .
(٢) ذكرهُ البُخاريُّ في « صحيحه » ، برقم (٣٧٦٧) .
(٣) شِلْوٌ ممزَّعٌ : أَعضاءُ الإِنسان بعدَ البِلىٰ .

فٱنتدبَ لَهُ الزَّبيرَ بنَ العوّام ، والمِقدادَ بنَ الأَسودِ فارسين ، فسارا إِلىٰ (مكَّةَ) ، فحملَهُ الزُّبيرُ علىٰ فَرَسِهِ ، فأَغارَ عليهما أَهل (مكَّةَ) ، فلمّا أَرهقوهُما أَلقاهُ الزُّبيرُ ، فٱبتلعتهُ الأَرضُ ، فسمّي : بليعَ الأَرضِ .

وقعةُ بئر مَعونةَ

وأَمّا[1] أَصحابُ بئر مَعونَةَ ـ بالنّون ـ: فإِنَّ أَبا البراء عامرَ بنَ مالِكٍ العامريَّ مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ قَدِمَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فعرضَ عليه رسولُ الله ﷺ الإِسلامَ ، فلَمْ يُسْلِمْ ، ولَمْ يَبْعُدْ[2] ، وقالَ : يا مُحمَّدُ ، اِبعَثْ معي رجالاً مِنْ أَصحابِكَ إِلىٰ أَهلِ (نَجْدٍ) يدعونَهُم إِلىٰ أَمرِكَ ، وأَنا لَهُم جارٌ ، فبعثَ معَهُ رسولُ الله ﷺ سبعينَ رجُلاً مِنْ خيارِ المُسلمينَ .

قالَ أَنسٌ : كُنّا نُسمّيهِمُ القُرّاءَ ، وأَمَّرَ عليهِمُ المُنذرَ بنَ عَمْرٍو الأَنصاريَّ الخَزْرجيَّ السّاعديَّ ، أَحدَ النُّقباء الاثني عشرَ .

غدرُ عامر بن الطُّفيل بالمُسلمينَ

فلمّا نزلوا بـ (بئر مَعونَةَ) ، ٱنطلقَ حَرامُ بنُ مِلْحَان إِلىٰ عامرِ بنِ الطُّفيل رئيسِ المكانِ ليُبلِّغَهُ رسالةً مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، فأَمَّنَهُ عامرٌ ثمَّ غَدَرَ بِهِ ، فأَوْمَأَ إِلىٰ رجُلٍ خلفَهُ فطعنَهُ بالرُّمح حتّىٰ أَنفذَ الطَّعنةَ ، فقالَ حرامٌ : اللهُ أَكبرُ فُزْتُ وربِّ الكعبَةِ ، فقتلوهُ ، ثمَّ ٱستصرخوا علىٰ أَصحابِهِ بقبائِلِ سُليمٍ : (رِعْلٍ وذَكوانَ وعُصَيَّةَ) ، فقتلوهُم عن آخِرِهِم ، ما خلا رجلين ، وأَخفروا[3] ذمّةَ أَبي البراءِ عامرِ بنِ مالكٍ .

---

(١) ذُكِرَ هنا أَنَّ وقعة بئر معونة كانت من أَحداث السَّنة الثّالثة للهجرة .
قلتُ : كانت وقعة بئر معونةَ في صفرٍ علىٰ رأسِ ستَّةٍ وثلاثينَ شهراً للهجرة ، وبعد بعث الرَّجيع . واللهُ أَعلمُ .

(٢) أَي : من الإِسلام .

(٣) **أَخفروا** : نقضوا وغدروا .

والرَّجلان هُما : عَمْرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمْريُّ وأَنصاريٌّ[١] ، كانا في إبلِ أَصحابهم ، فلمّا راحا بهما وجدا أَصحابَهُما صرعىٰ ، والخيلُ واقفةٌ ، فقتلوا الأَنصاريَّ أَيضاً ، وتركوا عَمْراً حينَ أَخبرهُم أَنَّه مِنْ ضَمْرَةَ .

فرجَعَ عَمْرُو إلىٰ (المدينة) فوجدَ رجلين مِنْ بني عامرٍ فقتَلَهُما ، وكانَ معهُما جوارٌ مِنَ النَّبيِّ ﷺ لَمْ يعلَم به ، فلمّا قَدِمَ (المدينةَ) / أَخبرَ النَّبيَّ ﷺ الخبَر ، فقالَ : « لَقَدْ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لأَدِيَنَّهُما »[٢] . [ق١٤٦]

دعاءُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ قتلة أَصحابِ بئر معونةَ وحُزْنُهُ عليهم

وحَزِنَ ﷺ علىٰ أَصحاب (بئر مَعونَةَ) حُزْناً شديداً ، وقَنَتَ في الصَّلوات الخمسِ ، علىٰ قبائِل سُليمٍ : (رِعْلٍ وذكوانَ وعُصَيَّةَ) ، الَّذين عَصَوُا اللهَ ورسولَهُ وبني لِحْيانَ أَيضاً شهراً ، إلىٰ أَنْ نزَلَ عليه قولُهُ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/١٢٨] فتركَ القنوتَ[٣] .

أَمرُ عامرِ بن فُهَيْرَةَ رضيَ اللهُ عَنهُ

وممَّن قُتِلَ بـ (بئر مَعونَةَ) عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولىٰ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

---

(١) وهو من بني عَمْرِو بن عَوْفٍ ، وٱسمُهُ : المنذر بن محمَّد بن عُقبة .

(٢) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٦/١٢٩ . **أَدِيَنَّهُما** : أُؤَدي دِيَتيهُما .

(٣) **قلتُ** : قال ٱبن سيّد النّاس في « عيون الأثر » ج٢/٤٧ : وكذا وقعَ في هٰذه الرِّواية ، وهوَ يوهِمُ أَنَّ بني لِحْيانَ ممَّن أَصابَ القُرّاء يوم بئر معونَةَ وليس كذٰلك ، وإنّما أَصاب هؤلاء رِعْلٌ وذكوانُ وعُصيَّةُ ومن صحِبَهم من سُليمٍ ، وأَمّا بنو لِحْيانَ فهُم الَّذين أَصابوا بعثَ الرَّجيع ، وإنَّما أَتىٰ الخبر إلىٰ رسول الله ﷺ عنهم كلِّهم في وقتٍ واحدٍ ، فدعا علىٰ الَّذينَ أَصابوا أَصحابه في الموضعين دعاءً واحداً .

وروىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، عن عَمْرِو بنِ أُميَّةَ الضَّمْريِّ أَنَّ عامِرَ بنَ الطُّفيل قالَ لَهُ : مَنْ هٰذا؟ ـ وأَشارَ لَهُ إِلىٰ عامِرِ بنِ فُهَيْرَةَ ـ فقالَ لَهُ عَمْرُو : هٰذا عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ ، فقالَ : لقد رأيتُهُ رُفِعَ بعدَما قُتِلَ إِلىٰ السَّماءِ ، حتّىٰ إِنّي أَنظرُ إِلىٰ السَّماءِ بينَهُ وبينَ الأَرضِ[1] .

غزوةُ بني النَّضير

وفي هذه السَّنة أَو في الرّابعة[2] : كانت غزوةُ بني النَّضير .

وسببُها : ما رواهُ البُخاريُّ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ إِليهم يستعينُهُم في دِيَةِ الرَّجلينِ اللَّذين قتلَهما عَمْرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمْريُّ خطأً[3] ـ فهيَ علىٰ الصَّواب كما قال ٱبن إِسحاقَ : بعدَ (أُحُدٍ) وبعدَ (بئر مَعونَةَ) ـ فٱستندَ إِلىٰ جدارِ حصنٍ لهُم مِنْ حصونِهم ، فأَمروا رجُلاً بطرحِ حجرٍ علىٰ رأسِهِ مِنَ الحصنِ ، فأَخبرَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ بذٰلك ، فقامَ مُوهِماً لَهُم وتركَ أَصحابَهُ ورجَعَ إِلىٰ (المدينة) .

فأَنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة المائدة ٥/ ١١] وقيلَ : إِنَّها نزلَتْ في قصَّة غوْرثِ بنِ الحارثِ الَّذي هَمَّ بقتل النَّبيِّ ﷺ[4] .

حصارُ بني النَّضير

ثمَّ أَصبح غازياً عليهِم ، فحصرَهُم وقطعَ نخيلَهُم وحرّقها ،

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٦٧) .

(٢) قلتُ : إِنَّما وقعَتْ في السَّنة الرّابعة في شهر ربيع الأَوّل ، على رأس سبعةٍ وثلاثين للهجرة . واللهُ أَعلمُ . (ٱنظر : ابن هشام ، ج٣/ ١٩٢ . والبُخاريُّ ، ج٢/ ١١٢ . وابن سعد ج٢/ ٥٧) .

(٣) قلتُ : حيثُ ذكر البُخاريُّ أَنَّها كانت علىٰ رأس ستَّة أَشهرٍ من وقعة بَدْرٍ قبل أُحُدٍ ، وهو من قول الزُّهريّ .

(٤) أَسباب النُّزول ، للواحدي ، ص١٦٢ .

فدسَّ إليهم المُنافقون ما حكىٰ اللهُ عنهُم مِنْ قولِهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ / مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ الآيات [سورة الحشر ٥٩/ ١١] . [ق١٤٧]

فلمّا اشتدَّ الحِصارُ علىٰ أَعداءِ اللهِ ، وأَيسوا مِنْ نُصرةِ المُنافقينَ ، قذفَ اللهُ في قلوبِهم الرُّعْبَ ، فطلبوا الصُّلحَ ، فصالَحَهُمُ النَّبيُّ ﷺ علىٰ الجَلاء ـ أَي : الإِخراج مِنْ أَرْضٍ إِلىٰ أَرضٍ ـ وأَنَّ لَهُم ما أَقلَّتِ الإِبلُ إِلاّ السِّلاحَ ، فجَلَوْا إِلىٰ (الشّام) إِلاّ آلَ حُيَيّ بنِ أَخطَبَ وآلَ أَبي الحُقيق ، فإِنَّهُم جلَوْا إِلىٰ (خَيْبَرَ) .

وأَنزلَ اللهُ فيهم سورة الحَشْرِ ، وكانَتْ أَموالُهُم ممّا أَفاءَ اللهُ علىٰ رسولِهِ ، خالصةً لرسولِ اللهِ ﷺ ، فقَسَمَها بينَ المهاجرينَ خاصَّةً لشدَّةِ حاجَتِهم ، ولم يُعطِ الأَنصارَ منها شيئاً ، إِلاّ لثلاثةِ نفرٍ بهِم حاجةٌ[1] ، وطابت بذلكَ نفوسُ الأَنصارِ ، كما أَثنىٰ اللهُ عليهم بقولِهِ : ﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ٩] .

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن سعيد بن جُبيرٍ قالَ : قلتُ لابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : سورةُ الحَشْرِ ، قالَ : قُلْ سورةُ النَّضير[2] .

وفيه ـ [أَي : صحيح البُخاريِّ] ـ عن ٱبنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حرَّقَ نخلَ بني النَّضير وقَطَّعَ ، وهيَ البُوَيْرَةُ ،

---

(١) وهُم : سَهلُ بن حُنيف ، وأَبو دجانَة سِماكَ بن خَرَشَةَ ، أَعطاهم ﷺ مالاً ، وأَعطىٰ سعد بن مُعاذ سيفَ ابن أَبي الحُقيق .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٠٥) .

فعابَ ذٰلكَ المُشركونَ عليه ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ٥] (١) .

قالَ ابن عُمَرَ : ولها يقولُ حسّان بن ثابتٍ ، [مِنَ الوافر] (٢) :

وهانَ علىٰ سَراةِ بني لُؤَيٍّ
حَريقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطيرُ(٣)

فَأَجابَهُ أَبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبد المُطَّلب ، [مِنَ الوافر] :

أَدامَ اللهُ ذٰلِكَ مِنْ صَنيعٍ
وَحَرَّقَ في نَواحيها السَّعيرُ
سَتَعْلَمُ أَيَّنا مِنْها بِنُزْهٍ
وَتَعْلَمُ أَيَّ أَرْضَيْنا تَضيرُ(٤)

مآلُ أموالِ بني النَّضير

وفي «الصَّحيحين» ، عن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ : كانت أَموالُ بني النَّضير ممّا أَفاءَ اللهُ علىٰ رسولِهِ ، ممّا لم يُوجِفِ المُسلمونَ عليه خيلاً ولا ركاباً ، وكانَتْ لرسولِ اللهِ ﷺ خاصَّةً / [ق١٤٨] يُنْفِقُ علىٰ أَهلِهِ منها نَفَقَةَ سنةٍ ، ثمَّ يَجعَلُ ما بقيَ في السِّلاحِ والكُراع عُدَّةً في سَبيلِ اللهِ(٥) .

غزوةُ ذاتِ الرِّقاع، أو غزوةُ نجدٍ

وفي هٰذه السَّنة أَيضاً ـ وهيَ : الرّابعةُ ـ غزا النَّبيُّ ﷺ غزوةَ ذاتِ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٠٢) . **البويرةُ** : موضع منازل بني النَّضير .
(٢) ذكرهُ البُخاريُّ في «صحيحه» ، برقم (٣٨٠٨) .
(٣) **سراةُ** : أَشرافُ القوم . **المستطيرُ** : المنتشر .
(٤) **النُّزْهُ** : البُعْدُ . **تضيرُ** : ضرَّهُ .
(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٤٨) . **الإيجافُ** : سرعة السَّير ، وهوَ كنايةٌ عن الجهاد والقتال . **الكُراعُ** : اسمٌ يجمعُ الخيل ، وهيَ الَّتي تصلحُ للحرب .

الرِّقاع إلىٰ (نجدٍ) يُريدُ غَطَفانَ[1] ـ سمّيت بذٰلكَ لأَنَّ أَقدامَهُم نَقَبَتْ[2] مِنَ الحَفاء ، فكانوا يلفّونَ عليها الخِرَقَ ـ فٱنتهىٰ ﷺ إلىٰ (نجدٍ) ، فلقيَ جمعاً مِنْ غَطَفانَ ، فتقاربوا ولم يكن قِتالٌ ، فلمّا صلّىٰ الظُّهرَ بأَصحابه نَدِمَ المُشركونَ أَنْ لا يكونوا حَمَلوا عليهم في الصَّلاة ، ثمَّ قالوا : دعوهُم فإِنَّ لَهُم بعدَها صلاةً هيَ أَحبُّ إِليهم مِنْ آبائِهِم وأَبنائِهِم ـ يعنونَ : صلاةَ العصرِ ـ فإِذا قاموا إِليها فَشُدّوا عليهم ، فنزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ بصلاةِ الخوفِ ، وهيَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ

---

(١) ذكر المؤلِّفُ ـ رحمَهُ الله ـ غزوة ذات الرِّقاع ضمن أَحداث السَّنة الرّابعة .
قلتُ : قال ٱبن القيّم في « زاد المعاد » ، ج٣/ ٢٥٢ : صحَّ عنه ﷺ أَنَّهُ صلّىٰ صلاة الخوف بذات الرِّقاع ، فَعُلِمَ أَنَّها بعدَ الخندق وبعدَ عُسْفانَ ، ويؤيّدُ هٰذا أَنَّ أَبا هُريرة وأَبا موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُما شَهِدا ذات الرِّقاع ، كما في الصَّحيحين وغيرهما ؛ وأَنَّ مروانَ بن الحكم سأَلَ أَبا هُريرة ، هل صليتَ مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف ؟، قال : نعم ، قال : متىٰ ؟، قال : عام غزوة نجدٍ . وهٰذا يدلُّ علىٰ أَنَّ غزوة ذات الرِّقاع بعدَ خيبر ، وأَنَّ من جعلها قبل الخندق فقد وَهِمَ وهماً ظاهراً ، ولَمّا لم يفطن بعضهم لهٰذا ٱدَّعىٰ أَنَّ غزوة ذات الرِّقاع كانت مرَّتين ، فمرَّةً قبلَ الخندق ومرَّةً بعدها ، وهٰذا لا يصحُّ . ثمَّ قال : وممّا يدلُّ علىٰ أَنَّ غزوة ذات الرِّقاع بعدَ الخندق ، ما أَخرجه مُسلمٌ من حديث جابرٍ : أَنَّهم صلّوا صلاةَ الخوف بذات الرِّقاع ، وصلاةُ الخوف إِنَّما شُرِعَتْ بعدَ الخندق ، بل بعد عُسْفانَ ، لأَنَّه ورد في الحديث : أَنَّ أَوَّل صلاةٍ صلاّها للخوف بعُسْفانَ ، وعُسْفانُ كانت بعدَ الخندق بلا خلافٍ . لذٰلك يجب ذكر هٰذه الغزوة بعد خيبر ، مرجِّحاً رواية البُخاريّ في الصَّحيح ، ومخالفاً بذٰلكَ ما ذكرَهُ ٱبن إِسحاق ، الَّذي جعلها في السَّنة الرّابعة ، قبل غزوة الخندق . (ٱنظر الجامع في السّيرة النّبويّة ، ج٣/ ٢٧١) .

(٢) **نَقَبَتْ** : رَقَّتْ جلودها وقرِحت من المشي .

﴿ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ ﴾ الآية [سورة النّساء ٤/١٠٢] (١) .

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، خرجَ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ ذاتِ الرِّقاع مِنْ بطنِ (نَخْلٍ)، فلقيَ جَمْعاً مِنَ غَطَفانَ، فصلّىٰ بهم رَكْعَتَي الخوف(٢) .

وقولُ البُخاريِّ وهيَ غزوة مُحاربِ خَصَفَةَ مِنْ بني ثعلبةَ : صوابُهُ وثعلبةَ ـ بواو العطف(٣) ـ.

خبرُ غورثِ بنِ الحارثِ

ولمّا قفلَ ﷺ مِنْ هٰذهِ الغزوة نزلوا وقتَ القيلولة منزلاً وتفرَّقوا ، ونزلَ ﷺ تحتَ شجرةٍ وعلَّقَ بها سيفَهُ ونامَ ، فجاءَ أَعرابيٌّ يُسمّىٰ غَوْرَثَ بنَ الحارثِ ، فأَخذَ السَّيفَ فٱخترطَهُ(٤) ، فٱستيقظَ النَّبيُّ ﷺ ، فقالَ لَهُ الأَعرابيُّ : مَنْ يَمْنَعُكَ منّي ؟ قالَ : «اللهُ» ، فسقطَ السَّيفُ مِنْ يدِهِ، فأَخذَهُ النَّبيُّ ﷺ وقالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ منّي؟»، فقالَ: كُنْ خيرَ آخِذٍ، فتركَهُ ولم يعاقبهُ ، فذهبَ إِلىٰ قومِهِ(٥) .

غزوةُ بني المُصْطَلِقِ

وفي هٰذه السَّنة ـ وهيَ الرّابعةُ ـ: غزا النَّبيُّ ﷺ غزوةَ بني المُصْطَلِقِ / مِنْ خُزاعَةَ بـ (المُرَيسيع) ـ مصغَّراً بمُهْمَلاتٍ ـ. [ق١٤٩]

سَبَبُها

وذٰلكَ أَنَّهُ بلغَهُ أَنَّ بني المُصْطَلِقِ مِنْ خُزاعَةَ أَجمعوا لحربه .

---

(١) أَسباب النُّزول ، للواحديّ ، ص١٥٠ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٩٨) .

(٣) ذكره البُخاريُّ ، باب غزوة ذات الرِّقاع . **قلتُ** : والصَّوابُ الَّذي أَشارَ إِليه المؤلِّف معناهُ : أَنَّها غزوةُ مُحاربِ خصفَةَ وثعلبة . ومُحارب وخصفة من غَطَفانَ .

(٤) **اخترطَهُ** : سلَّهُ من غِمده .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩٠٨) ، بنحوه . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ .

التقاءُ الفريقين وهزيمتهم

فخرجَ إليهم فلقيَهُم بـ (المُرَيسيع) ـ وهوَ ماءٌ لَهُم مِنْ ناحيةِ (قُدَيْدٍ) ـ مُصغَّراً ـ أَيضاً . وهوَ ـ أَي : قُدَيْدٌ ـ مكانٌ بينَ (خُلَيصٍ ورابغٍ) ، بينَ (مكَّةَ والمدينةَ) . وخُلَيصٌ علىٰ ثلاثةِ مراحِلَ مِنْ (مكَّةَ) ، فهزمَهُمُ اللهُ ، وقتَلَ مَنْ قتَلَ منهُم ، وسبىٰ أَولادَهُم ونساءَهُم ، وغَنِمَ أَموالَهُم ، وٱصطفىٰ مِنْ سَبْيِهم لنفسهِ جُوَيْرِيَةَ بنت الحارثِ المُصْطَلِقيَّةَ ، أُمَّ المُؤمنينَ رضيَ اللهُ عنها .

ولمّا قفلَ ﷺ ٱتَّفقَ في قُفولِهِ حديثان . أَحدُهُما : حديثُ نزولِ سورة المنافقين ، وثانيهما : حديثُ الإفكِ .

سببُ نزولِ سورةِ المُنافقينَ

أَمّا نزولُ سورةِ المُنافقينَ : فذٰلكَ أَنَّهُ ٱزدحَمَ مُهاجريٌّ وأَنصاريٌّ[1] علىٰ الماء ، فتداعىٰ الفريقان ، فتكاثرَ المُهاجرونَ علىٰ

---

(١) وهُما : جَهْجاهُ بن مسعودٍ ، وسِنانُ بن وَبَرَ الجُهنيُّ . وقد ذُكِرَ هنا أَنَّ غزوةَ بني المُصْطَلِقِ من أَحداث السَّنة الرابعة ، وقد ٱختُلِفَ فيها ٱختلافاً يسيراً ؛ فذكر ٱبن إِسحاق ج٣/ ٣٣٣ : أَنَّ ـ غزوة بني المُصْطَلِقِ ـ وقعت في شعبانَ سنةَ ستٍّ ، وذكر البيهقيُّ في « دلائل النُّبوَّة » ، ج٤/ ٤٥ : أَنَّها وقعت في شعبانَ سنةَ خمسٍ ؛ وقالَ : هٰذا أَصحُّ ممّا رويَ عن ٱبن إِسحاق أَنَّ ذٰلكَ كانَ سنةَ ستٍّ . ورُوِيَ أَنَّ الواقديّ قالَ : إِنَّها كانت سنةَ خمسٍ . والخبر في « طبقات ابن سعد » ، ج٢/ ٦٣ ـ ج٨/ ٢١٧ . و« تاريخ الطَّبري » ، ج٢/ ٥٩٤ . و« عيون الأَثر » ، ج٢/ ٩١ . ورجَّحَ الحافظُ ٱبن حجرٍ أَنَّها كانت سنةَ خمسٍ في « الفتح » ، ج٧/ ٤٣٠ قال : قال الحاكم في « الإِكليل » : قولُ عُروةَ وغيره أَنَّها كانت في سنةِ خمسٍ أَشبهُ مِنْ قولِ ٱبن إِسحاقَ .
قلتُ : ويؤيّدُهُ ما ثبتَ في حديث الإِفكِ أَنَّ سعدَ بن معاذٍ تنازَع هوَ وسعد بن عبادةَ في أَصحاب الإِفك ، فلو كانت المُرَيْسيعُ في شعبانَ سنةَ ستٍّ معَ كونِ الإِفكِ كانَ فيها ، لكانَ ما وقعَ في الصَّحيح من ذكر سعدِ بن مُعاذٍ غَلَطاً ، لأَنَّ سعداً ماتَ أَيّامَ قُرَيظةَ ، وكانت سنةَ خمسٍ علىٰ =

الأَنصار ، فغلبوهُم .

مقالـةُ عبـد الله بـن أُبَيّ ابن سلول

فجعلَ عبدُ الله بنُ أُبَيّ ابنُ سَلولَ يؤَنّبُ أَصحابَهُ ـ أَي : يُوبِّخُهُم ـ ويقولُ : لا تُنْفِقوا علىٰ مَنْ عندَ رسولِ اللهِ حتّى ينفَضّوا عنهُ ـ أَي : لو تركتُمُ الإِنفاقَ علىٰ مَنْ عندَهُ مِنَ المُهاجرينَ لانفَضّوا عنهُ ، وتركوهُ وحيداً مُحتاجاً إِليكُم ـ ولٰكن واللهِ لَئِنْ رَجَعنا إِلىٰ (المدينة) لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ ، إِمّا تركوها لنا وإِمّا تركناها لَهُم ، في كلامٍ كثيرٍ .

زيـدُ بـن أَرقـم رضـيَ اللهُ عنـهُ يُخبـرُ النَّبـيَّ ﷺ بمـا سمـعَ، وتصديقُ الوحي لَهُ

وكانَ زيدُ بنُ أَرْقَمَ رضيَ اللهُ عنهُ حاضِراً عندَهُ ، فشقَّ عليه ذٰلكَ ، فحملَ كلامَهُ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، فشكاهُ النَّبيُّ ﷺ إِلىٰ قومِهِ ، فعاتبوهُ علىٰ ذٰلكَ ، فأَنكرَهُ وكذَّبَ زيدَ بنَ أَرقمَ ، وجاءَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ فحلَفَ باللهِ إِنَّهُ ما قالَ شيئاً مِنْ ذٰلكَ ، وإِنَّهُ يشهدُ أَنَّكَ لرسولُ اللهِ حقّاً ، فقَبِلَ منهُ علانيَتَهُ ووكَلَ سريرتَهُ إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ؛ فحزنَ لذٰلكَ زيدُ بنُ أَرقمَ حُزْناً شديداً ، وقالَ لَهُ قومُهُ : ما أَردتَ إِلاّ / أَنْ كذَّبكَ [ق١٥٠] رسولُ اللهِ ﷺ ، وكذَّبَكَ النَّاسُ .

فلمّا ٱرتحلَ ﷺ مِنْ ذٰلكَ المنزلِ أَردفَ زيدَ بنَ أَرقمَ خلفَهُ ، وكانَ يومئذٍ فتىً ، فنزلَ جبريلُ الأَمينُ بسورةِ (المُنافقون) ، فقالَ

= الصَّحيح ، وإِن كانت كما قيل سنةَ أَربعٍ فهيَ أَشدُّ . فيظهرُ أَنَّ المُرَيْسيعَ كانت سنةَ خمسٍ في شعبانَ ، لِتكونَ قد وقعت قبلَ الخندق ، لأَنَّ الخندقَ كانت في شوّالٍ من سنةِ خمسٍ أَيضاً فتكونُ بعدها ، فيكونُ سعدُ بن مُعاذٍ موجوداً في المُريسيع ، ورُميَ بعد ذٰلك بسهمٍ في الخندق ومات من جراحتِهِ في قُريظة . ويؤَيّدُهُ أَيضاً أَنَّ حديثَ الإِفكِ كان سنةَ خمسٍ إِذ الحديثُ فيه التَّصريحُ بأَنَّ القصَّةَ وقعت بعدَ نزولِ الحجابِ ، والحجابُ كانَ في ذي القعْدة سنةَ أَربعٍ عند جماعةٍ ، فيكونُ المُرَيْسيع بعد ذٰلكَ ، فيرجَّحُ أَنَّها سنةَ خمسٍ . واللهُ أَعلمُ . (انظر الجامع في السّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٦٢٥) .

النَّبيُّ ﷺ لزيدِ بنِ أرقمَ : « أَبْشِرْ ، فَقَدْ صَدَّقَكَ اللهُ »[1] .

وتلاها النَّبيُّ ﷺ على النّاسِ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً ﴾ ـ أي : وقايةً في الظّاهر بينَ كُفْرِهِمُ الباطِنِ وبينَ النّاسِ ـ الآيات [سورة المُنافقونَ ٦٣/ ١ ـ ٢] .

صورٌ من مواقفِ عبدِ الله بنِ أُبَيِّ ابنِ سَلول

وكانَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ يقومُ في كلِّ جُمعةٍ إذا قامَ النَّبيُّ ﷺ يَخْطُبُ يقولُ : يا معشرَ المُسلمينَ ، هٰذا رسولُ اللهِ بينَ أظهُرِكُم ، فٱنصروهُ ، فلمّا ٱنصرفَ يومَ (أُحُدٍ) بثُلُثِ النّاسِ وخذَلَ المُؤمنينَ ، فقُتِلَ منهُم مَنْ قُتِلَ ، أرادَ أَنْ يقومَ مقامَهُ ذٰلِكَ ، فأَقعدَهُ النّاسُ ، وقالوا : ٱسكُتْ يا عدوَّ اللهِ ، فٱنصرفَ مِنَ المسجدِ في حالِ الخطبةِ مُغاضِباً ، فقيلَ لَهُ : ٱرجِع يَستغفِر لكَ رسولُ اللهِ ، فلوىٰ رأسَهُ وقالَ : لا حاجةَ بي إِلىٰ ٱستغفارِهِ ، فعدَّدَ اللهُ في هٰذه السّورة قبائِحَهُ بقولِهِ : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المُنافقون ٦٣/ ٥ ـ ٨] .

[ق١٥١]

موقفُ ابنِ عبدِ الله بنِ أُبَيّ ابنِ سَلول رضيَ اللهُ عنهُ ، مِنْ أبيه

وكانَ لعبدِ الله بنِ أُبَيٍّ ٱبنٌ / يُسمّىٰ عبدَ اللهِ أيضاً ٱبنَ عبدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ ، وكانَ مؤمناً صادِقاً ، حسنَ الإيمانِ ، فلمّا أرادَ أبوهُ أَنْ يدخُلَ (المدينةَ) ، وكانَ قد تخلَّفَ قليلاً عنِ النّاسِ ، ردَّهُ ، وقالَ : واللهِ

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦١٧) .

يا عَدوَّ اللهِ ، لاتدخُلها إلاّ بِإذنٍ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ، حَتّىٰ تعلَمَ أَنَّهُ الأَعَزُّ وأَنتَ الأَذَلُّ ، ولَئِنْ أمرني رسولُ اللهِ لأَضرِبَنَّ عُنُقَكَ .

فأَرسلَ إِليه النَّبيُّ ﷺ أَنْ خَلِّ عنهُ ، فخلّىٰ عنهُ ، وأَتىٰ النَّبيَّ ﷺ وقالَ : يا رسولَ اللهِ إِنْ شِئْتَ أَنْ آتيَكَ برأسِهِ فَمُرْني بذٰلكَ ؟ فقالَ : « بَلْ نُعاشِرُهُ مُعاشَرَةً حَسَنَةً حتَىٰ يَموتَ أَو نموتَ ، لِئَلا يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحمَّداً يَقتُلُ أَصحابَهُ »[1] .

فعامَلَهُ ﷺ بالإِحسانِ مدَّةِ حياتِه ، وكفَّنَهُ في قميصه بعدَ وفاتِهِ ، وٱستغفر لَهُ قبلَ أَنْ يُنهىٰ عنهُ ، وقامَ علىٰ قبرِهِ وأَرادَ أَنْ يُصلّي عليه ، فنُهِيَ بنزول قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٨٤] .

حديثُ الإفكِ

وأَمّا حديثُ الإِفكِ فروىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : خرجتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ في غَزاةٍ ، فأَنا أُحمَلُ في هَوْدَجي ، فلمّا دنونا مِنَ (المدينة) ، آذَنَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةً بالرَّحيل ، فقُمْتُ لأَقضيَ حاجتي ، فأَبطَأْتُ ، فأَقبلَ الرَّهطُ الَّذينَ كانوا يُرَحِّلُوني[2] ، فٱحْتَمَلوا الهَوْدَجَ ، فَرَحَلوهُ علىٰ بعيري ، وهُمْ يَحْسِبونَ أَنّي فيه ، فجئتُ المنزِلَ فإِذا ليسَ فيه أَحَدٌ ، فجلستُ مكاني ، وكانَ صفوانُ بنُ المُعَطَّلِ قد تخلَّفَ عن الرَّكْبِ ، فأَصبح بالمنزِلِ ، فلمّا رآىٰ سوادي عَرَفَني ، فٱسترجَعَ[3] ، فواللهِ ما كلَّمني كلمةً ، ثمَّ أَناخَ راحِلَتَهُ لي ، فرَكِبْتُها ، وأَخذَ بزمامِها يَقودُ بي حتّىٰ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤٦٢٤). عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما.

(٢) رحَلَ البعير: جعل عليه الرَّحْلَ. والرَّحْلُ: مايوضعُ علىٰ ظهر البعير للرُّكوب.

(٣) أَي قال : إِنّا لله وإِنّا إِليه راجعون .

أَتىٰ الجيشَ ، فقالَ أَهلُ الإِفكِ ما قالوا ، وكانَ الَّذي تولّىٰ كِبْرَ[1] ذٰلكَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ .

/ فَقَدِمنا (المدينةَ) ، فٱشتكَيْتُ بها شهراً ، والنّاسُ يُفِيضونَ في قولِ أَهلِ الإِفكِ ، ولا عِلْمَ لي بذٰلكَ حتّىٰ نَقَهْتُ ـ أَي : شُفيتُ ـ فخرجتُ ليلةً أَنا وأُمُّ مِسْطَحٍ للبَراز ـ بفتح المُوحَّدةِ ، أَي : المكان البارز ـ وذٰلك قبلَ أَنْ نتَّخِذَ الكُنُفَ[2] ، فعثرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِها[3] ، فقالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ ، فقلتُ لها : بِئْسَ ما قُلْتِ لِرَجُلٍ شَهِدَ (بَدْراً) ، قالَتْ : أَلَمْ تسمَعي ما قالَ ؟ ـ وكانَ مِمَّن خاضَ في حديثِ الإِفكِ ـ فأَخبرتني بقولِ أَهلِ الإِفكِ ، فٱزدَدْتُ مرضاً علىٰ مَرَضي ، فلمّا رجَعْتُ إِلىٰ بيتي ، دخلَ عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فسلَّمَ ـ وقد رابَني منهُ أَنّي لا أَرىٰ منهُ اللَّطَفَ ـ أَي : بالتَّحريك ـ الَّذي كنتُ أَراهُ منهُ حينَ أَشتكي ، إِنَّما يدخلُ ويسلِّمُ ويسأَلُ عنّي ، ثمَّ ينصرفُ ، فقلتُ لَهُ : أَتأْذَنُ لي أَن آتي أَبَوَيَّ ؟ ، وأَنا أُريدُ أَنْ أَستيقنَ الخبرَ ، فأَذِنَ لي .

[ق١٥٢]

مرضُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها وإِخبارُ أُمِّ مِسْطَحٍ لها بالأَمر

فأَتيتُ أَبَوَيَّ فقُلْتُ لأُمّي : يا أُمّاهُ ، ماذا يتحدَّثُ النّاسُ به ؟ فقالَتْ : يا بُنَيَّةُ ، هَوِّني علىٰ نفسك الأَمرَ ، فقلَّما حظيتِ ٱمرأَةٌ عندَ زوجِها إِلاّ حُسِدَتْ ، فقُلْتُ : سبحانَ اللهِ أَوَلَقَدْ تحدَّثَ النّاسُ بهٰذا ؟ فبكيتُ تلكَ اللَّيلةَ ، لا يَرْقأُ[4] لي دمعٌ ، ولا أَكتَحِلُ بنوم .

مواساةُ أُمِّ رومان لابنتها رضيَ اللهُ عنهُما

فلمّا أَصبحَ النَّبيُّ ﷺ ٱستشارَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ وأُسامةَ بنَ زيدٍ في فِراقي .

ٱستشارةُ النَّبيِّ ﷺ أَصحابَهُ بشأنِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها

---

(١) **تولّىٰ كبرَهُ** : مُعظَمُهُ .
(٢) **الكُنُفُ** : الخلاءُ . كأَنَّهُ كُنِفَ في أَستر النّواحي .
(٣) **المِرْطُ** : كساءٌ من صوفٍ .
(٤) **يرقأُ الدَّمعُ** : يسكُن ويجفّ وينقطع جريانهُ .

فأَمّا أُسامَةُ فقالَ : يارسولَ اللهِ ، أَهْلُكَ ، واللهِ مانعلَمُ إلاّ خيراً .

وأَمّا عليٌّ فقالَ : يا رسولَ الله ، لَنْ يُضَيّقَ اللهُ عليكَ ، والنِّساءُ سِواها كثيرٌ ، وسَلِ الجاريَةَ تَصْدُقْكَ .

فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بَريرَةَ ، فقالَ : « يا بَريرَةُ ، هَلْ رَأَيْتِ في عائِشَةَ شَيْئاً يُريبُكِ ؟ » ، قالَتْ : لا ، والّذي بعثَكَ بالحقِّ .

فائدة

في حرصِ الصّحابة علىٰ إراحة خاطرِه ﷺ

قالَ العلماءُ : إنّما رأىٰ عليٌّ رضيَ الله عنهُ مِنَ النَّبيِّ ﷺ انزعاجاً وقلقاً ، فأَرادَ راحةَ خاطرِهِ .

قُلْتُ : وممّا يدلُّ علىٰ أَنَّهم كانوا يرونَ ٱنزعاجَ خاطرِهِ أَشدَّ عليهم مِنْ كلِّ أَمرٍ : أَنَّ عُمَرَ لمّا قالَ للأَنصاريّ : أَجاءَ الغسانيُّ ؟ قالَ : بل أَشدُّ ، ٱعتزلَ النَّبيُّ ﷺ نساءَهُ[1] .

[ق١٥٣]

خُطبةُ النَّبيِّ ﷺ بشأنِ الإفكِ

قالَتْ عائشةُ / : فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ في النّاسِ وٱستعذرَ مِنْ عبد الله بنِ أُبَيٍّ[2] ، فقالَ : « مَنْ يَعْذِرُني مِنْ رَجُلٍ بَلَغني أَذاهُ في أَهْلِ بَيتي ؟ فواللهِ ما عَلِمْتُ علىٰ أَهْلِ بَيتي إلاّ خَيْراً ، ولَقَدْ ذَكَروا

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٥٠٥) . **قلتُ** : ونصُّ الخبر في «البُخاريِّ» ؛ قال عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : (فخرجتُ من عندها وكان لي صاحبُ من الأَنصار إذا غِبتُ أَتاني بالخبر ، وإذا غابَ كنتُ أَنا آتيه بالخبر ، ونحنُ نتخوَّفُ مَلِكاً من ملوك غسّانَ ذُكِرَ لنا أَنَّهُ يريدُ أَن يسيرَ إلينا ، فلقد ٱمتلأَت صدورُنا منه ، فإذا صاحبي الأَنصاريُّ يدقُّ البابَ ، فقال : افتح . . . افتح ، فقلتُ : (جاءَ الغسّانيُّ؟) ، فقال : بل أَشدُّ من ذلك ؛ اعتزلَ رسول الله ﷺ أَزواجَهُ ، فقلتُ : رَغمَ أَنف حفصةَ وعائشة . . .) . (أَنصاريّ) .

(٢) **ٱستعذرَ** : طلب من يُنْصِفُهُ منه وينصرُهُ ، أو طلب العذرَ في قتله .

رَجُلاً ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاّ خَيْراً » .

فقامَ سعدُ بن مُعاذٍ سيِّدُ الأَوْسِ ، فقالَ : أَنا واللهِ أَعْذِرُكَ منهُ ، إِنْ كانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنا عُنُقَهُ ، وإِنْ كانَ مِنَ إِخوانِنا الخَزْرَجِ أَمرتَنا ففعَلْنا فيه أَمركَ ، فقامَ سعدُ بنُ عُبادةَ ـ وكانَ رجُلاً صالِحاً ، ولٰكنِ ٱحتمَلَتْهُ الحَميَّةُ ـ فقالَ لسعدِ بن مُعاذٍ : كذبتَ ، واللهِ لا تَقْتُلُهُ ولا تَقْدِرُ علىٰ ذٰلكَ ، فَتَثاوَرَ الحيَّانِ[1] في المسجد حتّىٰ هَمّوا أَنْ يقتَتِلوا ، فلم يَزَلْ رسولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُم حتّىٰ سكَتوا .

قالَتْ : وبكيتُ يَومي ذٰلكَ لا يَرْقأُ لي دمعٌ ، ولا أَكتحلُ بنومٍ ، ثمَّ بكَيتُ ليلتي المُقبلَةَ .

قالَتْ : وأَصبحَ عندي أَبوايَ ، وقد بكَيتُ ليلتين ويوماً[2] ، حتّىٰ أَظنُّ أَنَّ البُكاءَ فالِقٌ كَبِدي .

قالَتْ : فبينَما هُما عندي وأَنا أَبكي ، إِذْ دخلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فسلَّمَ ، ثمَّ جلسَ عندي ، قالَتْ : ولم يجلِسْ عندي مِنْ يومِ قيلَ ما قيلَ ، وقد مكثَ شهراً لا يُوحىٰ إِليه في شأْني بشيءٍ[3] ، فتشهَّدَ رسولُ اللهِ ﷺ ، ثمّ قالَ : « أَمّا بَعْدُ : يا عائِشَةُ ، فإِنَّهُ بَلَغَني عَنْكِ كَذا وكَذا ، فَإِنْ كُنْتِ بَريئَةً ، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ

---

(١) تثاور الحيّان : نهض بعضُهم إِلىٰ بعضٍ من الغضب .

(٢) قال الحافظ ٱبن حجر في «الفتح» ، ج٨/ ٤٧٤ : أَي : اللَّيلة الَّتي أَخبرتها فيها أُمُّ مِسْطَحِ الخبرَ ، واليومَ الَّذي خطبَ النَّبيُّ ﷺ النّاسَ ، واللَّيلة الَّتي تَليه .

(٣) قال السّهيليّ في « الرّوض الأنف » ، ج٤/ ٢٣ : كانَ نزولُ براءَةِ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها بعد قدومهم المدينةَ بسبعٍ وثلاثين ليلةً في قول بعض المفسِّرين ، وقال الحافظ ٱبن حجر في «الفتح» ، ج١/ ٤٧٥ : عن ابن حزمٍ : أَنَّ المدَّةَ كانت خمسين يوماً أَو أَزيد . واللهُ أَعلمُ .

بِذَنْبٍ ، فَٱسْتَغْفِرِي اللهَ ، وتوبي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذا ٱعتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تابَ ، تابَ اللهُ عَلَيْهِ » .

فقُلْتُ لأَبي : أَجِبْ عنّي رسولَ اللهِ ﷺ ، فقالَ : واللهِ ما أَدري ما أَقولُ لَهُ ، فقُلْتُ لأُمّي : أَجيبي عنّي رسولَ اللهِ ﷺ ، فقالَتْ : واللهِ ما أَدري ما أَقولُ لَهُ ، فقُلْتُ : والله لَئِنْ قُلْتُ لَكُم : إِنّي بَرِيئَةٌ ، واللهُ يَعْلَمُ ذٰلكَ ، لا تُصَدّقوني بذٰلكَ ، وقَدِ ٱستقرَّ في أَنفُسِكُم ما تحدَّثَ به النّاسُ ، ولَئِنِ ٱعترفتُ بذنبٍ واللهُ يَعْلَمُ أَنّي منهُ لبريئَةٌ لَتُصَدِّقُنّي ، فواللهِ ما أَجِدُ لي ولكُمْ مَثَلاً إِلاّ أَبا يوسُفَ ـ وٱلتمستُ ٱسمَ يعقوبَ فَدَهِشَتُ[1] ـ إِذْ قالَ / : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [سورة يوسف ١٢/١٨] . [ق١٥٤]

قالَتْ : ثمَّ تحوَّلْتُ وٱضطجعتُ علىٰ فِراشي ، وأَنا والله أَعلَمُ أَنَّ اللهَ سيُبَرِّئُني ، وما كنتُ أَظنُّ أَن يُنزلَ اللهُ في شأْني وحْياً يُتلىٰ ، ولَشَأْني في نفسي كانَ أَحقَرَ مِنْ ذٰلكَ ، ولٰكنْ كُنتُ أَرجو أَنْ يَرىٰ رسولُ اللهِ ﷺ رُؤْيا يُبَرِّئُني اللهُ بها ، فوالله ما قامَ مِنْ مجلسِهِ حتّىٰ أَخذَهُ ما كانَ يأْخُذُهُ مِنَ البُرَحاء[2] ، مِنْ ثِقَلِ الوحي ، ثمَّ سُرِّيَ عنهُ وهوَ يضحكُ ، وقالَ : « أَبْشِري يا عائِشَةُ ، فَقَدْ بَرّأَكِ اللهُ » ، فقُلْتُ : لا أَحْمَدُ إِلاّ اللهَ الَّذي أَنزَلَ براءَتي ، لقد سَمِعْتُموهُ فما أَنكَرْتُموهُ ولا غَيَّرْتُموهُ[3] .

قالَ العُلَماءُ : فبيَّنَت أَنَّهُم لا حَمْدَ لَهُم بالنِّسبة إِلىٰ براءَتِها لعلمِهِم بحُسْنِ سيرتِها .

---

(١) دَهِشَ المرءُ : ذهبَ عقلُهُ من وَلَهٍ أَو فزعٍ أَو حياءٍ .

(٢) البُرحاءُ : الشِّدَّة الَّتي كانت تُصيبه عند نزول الوحي .

(٣) أَخرج البُخاريُّ قصَّة حديث الإفك ، برقم (٣٩١٠ـ٤٤٧٣) .

وفي روايةٍ: وكُنْتُ أَشَدَّ ماكنتُ غَضَباً[(١)] . فأَظهرتُ وجهَ العُذْر .

قالَتْ : وأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ـ أَي : في الآخرة ـ [سورة النّور ٢٤/ ١١] .

فائدة

في طرق روايات حديث الإفك

روىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ حديثَ الإِفْكِ مِنْ طريقِ الزُّهْريِّ ، عن عُرْوَةَ وهشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أَبيه ، عن عائِشَةَ .

وٱنفردَ البُخاريُّ بروايته لَهُ من طريق مَسروق بنِ الأَجدعِ ، عن أُمِّ رُومان أُمِّ عائِشةَ ، مُصَرِّحاً بسماعِهِ منها ، وهوَ يَرُدُّ ما زعمَهُ أَبو بكرٍ الخطيبُ وجماعةٌ مِنَ الحفّاظ مِنْ أَنَّ أُمَّ رُومانَ ماتَتْ في حياة النَّبيِّ ﷺ ، وصلّىٰ عليها سنة ستٍّ ؛ بل حديثُ نزول آية التَّخيير وفيه : « لا تَعْجَلي حَتّىٰ تَسْتَأْمِري أَبَوَيْكِ »[(٢)] ـ أَي : أَبا بكرٍ وأُمَّ رُومانَ ـ كما صُرِّح به في رواية الإِمام أَحمد يَرُدُّ ما قالوهُ ، لأَنَّ التَّخييرَ سنةَ تسعٍ . واللهُ أَعلمُ[(٣)] .

موقفُ عائشة من حسّانَ رضيَ اللهُ عنهُما

قالَ عُرْوَةُ : لم يُسَمَّ مِنْ أَهلِ الإِفْكِ غيرُهُ إِلاّ حسّانَ بنَ ثابتٍ ، ومِسْطَحاً ، وحَمْنَةَ بنتَ جَحْشٍ ، غيرَ أَنَّهُم عُصْبَةٌ كما قالَ اللهُ تعالىٰ[(٤)] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣١٨٠) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٣٣٦) .

(٣) أَخرجه أَحمد في «مسنده» ، برقم (٢٥٧٣٩) . وآيةُ التَّخيير نزلت سنة تسعٍ للهجرة ، قبلَ غزوة تبوكَ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩١٠) .

قالَ ـ أَي : عُرْوَةُ ـ وكانَتْ عائِشَةُ تكرَهُ أَنْ يُسَبَّ عندَها حسّانُ ، وتقولُ إِنَّه الَّذي يقولُ ، [مِنَ الوافر] (١) :

فَـإِنَّ أَبـي وَوالِـدَهُ وَعِـرْضـي لِعِـرْضِ مُحَمَّـدٍ مِنْكُـمْ وِقـاءُ

[ق١٥٥] / وكانَ حسّانُ أَيضاً يعتذرُ عن ذٰلكَ . ومِنْ شِعْرِهِ فيه وفي مدحِ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها قولُهُ ، [مِنَ الطَّويل] (٢) :

حَصَـانٌ رزَانٌ مـا تُـزَنُّ بِـريبَـةٍ
وَتُصْبِحُ غَرْثىٰ مِنْ لُحومِ ٱلْغَوافِلِ[٣]

عَقيلَـةُ حَـيٍّ مِـنْ لُـؤَيٍّ بـنِ غـالِـبٍ
كِرامِ ٱلْمَساعي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زائِلِ[٤]

مُهَـذَّبَـةٌ قَـدْ طَيَّـبَ ٱللهُ خِيْمَهـا
وَطَهَّـرَهـا مِـنْ كُـلِّ سوءٍ وَبـاطِـلِ[٥]

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذي قَدْ زَعَمْتُمُ
فَـلا رَفَعَـتْ سَـوْطـي إِلـيَّ أَنـامـلـي

وَكَيْـفَ وَوُدّي مـا حَيِيْـتُ وَنُصْـرَتـي
لآلِ رَسـولِ ٱللهِ زَيْـنِ ٱلْمَحـافِـلِ

لَـهُ شَـرَفٌ عـالٍ عَلـىٰ النّـاسِ كُلِّهِـمْ
تَقـاصَـرُ عَنْـهُ سَـوْرَةُ ٱلْمُتَطـاوِلِ[٦]

---

(١) ابن هشام ، ج٣/ ٣٠٦ .

(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٣٠٦ .

(٣) **حصانٌ** : المرأة العفيفةُ . **رزانٌ** : ذاتُ ثباتٍ ووقارٍ وسكون . **ما تُزَنّ** : ماتُتَّهَمُ . **غرثىٰ** : جائعة .

(٤) **العقيلة**: الكريمة. **المساعي**: ما يُسعىٰ فيه من طلب المجد والمكارم .

(٥) **خيمَها** : طبعها .

(٦) **السَّورةُ** (بفتح السّين) : الوثبة ، (وبضمّ السّين) : المنزلة .

قالَتْ عائِشَةُ رضيَ اللهُ عنها : فلمّا أَنزلَ اللهُ تعالىٰ براءَتي ، قالَ أَبو بكرٍ ـ وكانَ يُنْفِقُ علىٰ مِسْطَحٍ لِقَرابَتِهِ منهُ ـ: واللهِ لا أُنْفِقُ علىٰ مِسْطَحٍ أَبداً بعدَ الَّذي قالَ لعائِشَةَ ما قالَ ، فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة النّور ٢٤/ ٢٢] .

فقالَ أَبو بكرٍ : بَلىٰ ، واللهِ إِنّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي ، فرجَعَ إِلىٰ مِسْطَحٍ الَّذي يُجرىٰ عليه(١) .

فَائِدَةٌ

في كُفْـرِ مَنْ يَعتقد أَنَّ عائِشَةَ رَضيَ اللهُ عنها لم تَكنْ بريئةً

لا يخفىٰ أَنَّ بينَ حديثِ نزولِ سورةِ المُنافقينَ وحديثِ الإِفْكِ مناسبةً من وجوهٍ :

منها : إِنَّهُما وقعا في الرُّجوعِ مِنْ غزوةٍ واحدةٍ .

ومنها : إِنَّ سورةَ المُنافقينَ في براءَةِ زيدِ بنِ أَرقمَ عن الإِفْكِ ، وهوَ الكذبُ المتَّهَمُ به ، وحديثَ الإِفْكِ في براءَةِ عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها عمّا قُذِفَتْ به ، فهيَ براءَةٌ قطعيَّةٌ بنصِّ القرآن ، حتّىٰ إِنَّ مَنْ يُشَكِّكُ في براءَتِها فهوَ كافرٌ بالإِجماع .

بل قالَ ٱبنُ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [سورة التَّحريم ٦٦/ ١٠] ـ أَي : ٱمرأةُ نوحٍ نوحاً ، وٱمرأةُ لوطٍ لوطاً ـ: لم تَزْنِ ٱمرأةُ نبيٍّ قطُّ .

وفي «الصَّحيحين»، أَنّ صفوانَ بنَ المُعَطَّلِ قالَ: واللهِ ما كَشَفْتُ

---

(١) ابن هشام ، ج٣/ ٣٠٤ .

عن كَنَفِ أُنثىٰ قطُّ ـ أي : أَنَّهُ كانَ حَصوراً لا يأتي النِّساءَ[(١)] ـ.

وسيأتي أَنَّ (الخندقَ) في شوّالٍ ، فيلزمُ أَنَّ حديثَ الإِفْكِ قبلَ شوّالٍ ، / لأَنَّ سعدَ بنَ مُعاذٍ أُصيبَ بـ (الخَنْدَقِ) وهوَ القائِمُ بعذرِ النَّبيِّ ﷺ في الإِفْكِ ، كما سبقَ . [ق١٥٦]

فضلُ عائِشَةَ ومنزلتها مِنَ العلم

وسبقَ أَنَّ عائِشَةَ دخلَ بها النَّبيُّ ﷺ في شوّالٍ بعدَ (بَدْرٍ)[(٢)] ، وهيَ بنتُ تسعٍ ، فيكونُ سِنُّها يومَ الإِفْكِ أَقلَّ مِنْ إِحدىٰ عشرةَ سنةً ، ومَنْ تأَمَّلَ ثباتَها فيه كقولِها : (ولَشَأْني في نفسي أَحقَرُ مِنْ أَنْ يُنزِلَ اللهُ فيَّ قُرآناً يُتلىٰ) ، عَلِمَ أَنَّ اللهَ يُزكّي مَنْ يشاءُ : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ [سورة النّور ٢٤/ ٢١] .

وأَمّا عُلوُّ درجتِها بعدَ ذٰلك في العِلْمِ فأَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ :

كقولِها لَمّا قالَ مَسْروقٌ : هل رأىٰ مُحمَّدٌ ﷺ ربَّهُ ؟ [فقالَتْ] : لقد قفَّ شَعَري[(٣)] .

وقولُها لَمّا قالَ لها عُرْوَةُ : وظنّوا أَنَّهُم قد كُذِبوا ـ مخفَّفةً ـ [فقالَتْ] : معاذَ اللهِ أَنْ تكونَ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذٰلك بِربِّها[(٤)] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩١٠) . ومُسلم برقم (٢٧٧٠/٥٦) . **الكنفُ** : الثَّوب الَّذي يسترُ . وهو هنا كناية عن عدم جماع النِّساء جميعهنَّ ومخالطتهنَّ . **الحصورُ** : الَّذي لا يأتي النِّساء ؛ سُمّيَ بذٰلكَ لأَنّه حُبسَ عن الجِماع ومُنِعَ . (أَنصاريّ) . **قلتُ** : وهو في هٰذا الحديث ـ أَي : الحَصور ـ مجبوبَ الذَّكر والأُنثيين .

(٢) **قلتُ** : كانَ دخولُ النَّبيّ ﷺ بعائِشَةَ في شوّال من السَّنة الأُولىٰ للهجرة ، وليسَ بعدَ بدرٍ . وقد تقدَّم الحديثُ عن ذٰلكَ ، ص٢٠٣ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥٧٤) . **قَفَّ شعري** : قامَ مِن الفَزَع .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٢٠٩) .

وبمثلِ ذٰلكَ يُعلمُ جلالَةُ قَدْرِها فيما يَجِبُ لله سبحانَهُ مِنَ التنزيه ، ولرسُلِهِ مِنَ العِصمَةِ .

ومنها : إنَّ الَّذي تولّىٰ كِبْرَ الحدثين معاً عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ ، المُنافقُ مرَّةً بعدَ أُخرىٰ ، معَ ما سبقَ مِنَ مُعاشرةِ النَّبيِّ ﷺ لَهُ مُعاشرةً حسنةً .

قَالَ العُلَمَاءُ : وكانَ تقريرُهُ ﷺ لَهُ مِنْ بابِ ترجيحِ المَصلحةِ العامَّةِ ، وهيَ تأْليفُ القلوبِ وخشيةُ التَّنفير عن الإسلام المُشار إليه بقولِهِ : « لا يَتَحَدَّثَ النّاسُ أَنَّ مُحَمَّداً يَقْتُلُ أَصحابَهُ »[1] .

معَ ما سبقَ مِنْ غضبِ قومِهِ لَهُ ، وأَنَّ سعدَ بنَ عُبادةَ حَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ ، هٰذا ولو لم يَكُنْ لسعدٍ بعدَ شهودِ (العَقبة وبَدْرٍ) إلاّ قولُهُ يومَ (بَدْرٍ) : (والَّذي بعثَكَ بالحقِّ ، لو أَمرتَنا أَنْ نضرِبَ أَكبادَها إلىٰ (برْكِ الغِمادِ)[2] لفعَلْنا ، أَو نُخيضَها البَحْرَ لأَخَضْناها مَعَك)[3] .

فترجَّحت هٰذه المَصلحةُ العامَّةُ علىٰ المَفسدَةِ الخاصَّة به ﷺ ، لأَنَّ الأَذىٰ راجعٌ إِليه وإِلىٰ أَهلِهِ ، فٱحتمَلَهُ لمصلحةِ المُسلمين العامَّة .

كما عفا عن غَوْرثِ بنِ الحارثِ الَّذي ٱخترطَ عليه السَّيفَ . وعن اليهوديّة الَّتي أَطعمتْهُ السُّمَّ ، وغير ذٰلكَ . واللهُ أَعلمُ .

[ق١٥٧]

غـزوةُ الخَنْـدَقِ أَو الأَحزاب

وفي هٰذه السَّنة ـ وهيَ الرّابعةُ[4] ـ: كانَتْ غزوةُ / (الخَنْدقِ) ، وتسمّىٰ غزوةَ الأَحزاب ، في شوّالٍ منها ، لحَوْلِ الحَوْلِ مِنْ غزوةِ (أُحُدٍ)[5] ، ثمَّ غزوةُ بني قُرَيظَةَ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤٦٢٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) **بَرْكِ الغِماد** : تقع في جنوب القنفذة بـ(١١١) كيلومتراً . **والقنفذة** : بلدة وميناء على ساحل البحر الأحمر جنوب جدَّة . وبرك الغِماد قرية من قرى القنفذة .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٧٩/ ٨٣) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) بل هي في السنة الخامسة .

(٥) **قلتُ** : قال ٱبن القيّم في «زاد المعاد» ، ج٣/ ٢٦٩ : (وكانت غزوة =

سبَبُها

أَمّا غزوةُ (الخَنْدَقِ) فسببُها : أَنّ رسولَ الله ﷺ لَمّا أَجلىٰ بني النَّضير ، ولَحِقَ رئيسُهُم حُيَيُّ بنُ أَخطَبَ بـ (خَيْبَرَ) ، ذهبَ بعدَ ذٰلك إِلىٰ (مكَّةَ) في رجالٍ مِنْ قومِهِ ، ودَعَوْا قُريشاً إِلىٰ حربِ رسولِ اللهِ ﷺ ، بعدَ أَنْ سأَلوهُم : أَيُّنا أَهدىٰ سبيلاً نحنُ أَم مُحمَّدٌ ؟ فقالوا : بل أَنتُم أَهدىٰ سبيلاً منهُ .

وفيهِم أَنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ ـ والجِبْتُ : الأَصنامُ ، والطّاغوت : طغاةُ المُشركينَ ـ ﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ٥١ ـ ٥٢] .

خُروجُ المُشركينَ

فلمّا أَجابتهُم قُريشٌ إِلىٰ ذٰلكَ تقدَّموا إِلىٰ قبائِلِ قيس عَيْلانَ ـ بمُهملةٍ ـ مِنْ أَهل (الطّائف) وغَطَفانَ وهَوازِنَ وغيرِهِم ، فدعوهُم إِلىٰ مِثلِ ذٰلكَ ، فأَجابوهُم .

مشـاورةُ النَّبـيِّ ﷺ أَصحابَهُ

فلمّا عَلِمَ بِهِمُ النَّبيُّ ﷺ ٱستشارَ أَصحابَهُ ، فأَشارَ عليه سَلمانُ الفارسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ بحفر الخَنْدَقِ ، فشرَعَ فيه ، وقسَّمَهُ بينَ المُهاجرينَ والأَنصار ، فٱجتهدوا في حفرِهِ متنافسينَ في رضا اللهِ ورسولِهِ ، بحيثُ لا ينصرفُ أَحدٌ منهم لحاجته حتّىٰ يستأذنَ النَّبيَّ ﷺ .

= الخندق في سنة خمسٍ من الهجرة في شوّال علىٰ أَصحِّ القولين ، إذ لا خلاف أَنَّ غزوة أُحُدٍ كانت في شوّال سنة ثلاثٍ ، وواعَدَ المشركون رسول الله ﷺ في العام المُقبل ، وهو سنة أَربعٍ ، ثمَّ أَخلفوا لأَجل جَدْبِ تلك السَّنة ، فرجعوا ، فلمّا كانت سنة خمسٍ ، جاؤوا لحربه) . وهٰذا قولُ أَهل السّير والمغازي .

مشاركةُ النَّبيِّ ﷺ أَصحابَهُ العملَ

وكانَ ﷺ ينقُلُ معَهُمُ التُّرابَ علىٰ عاتِقِه ، ويُكابدُ معهُمُ النَّصَبَ والجوعَ .

ٱرتجازُ النَّبيِّ ﷺ معَ أَصحابِهِ

ويرتجزُ معَهُم بأَبياتِ عبد الله بنِ رَواحةَ ، [مِنَ الرَّجز] [1] :

وَاللهِ لَـوْلا اللهُ مـا ٱهْتَـدَيْنـا ... وَلا تَصَـدَّقْنـا وَلا صَلَّيْنـا

فَـأَنْـزِلَـنْ سَكينَـةً عَلَيْنـا ... وَثَبِّـتِ ٱلأَقْـدامَ إِنْ لاقَيْنـا

إِنَّ الَّـذيـنَ قَـدْ بَغَـوْا عَلَيْنـا ... إِذا أَرادوا فِتْنَـةً أَبَيْنـا

ويمدُّ بها صَوْتَهُ : أَبينا أَبينا .

وكانوا يرتجزونَ ، [مِنَ الرَّجز] [2] :

نَحْنُ الَّـذيـنَ بـايَعـوا مُحَمَّـداً ... عَلـىٰ ٱلجِهـادِ مـا بَقينـا أَبَـدا

فيُجيبُهُم [ﷺ] :

« اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلاّ عَيْشُ / ٱلآخِرَهْ ... فَٱغْفِرْ لِلأَنْصارِ وَٱلْمُهاجِرَهْ » [ق١٥٨]

وأَصلُهُ : « اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَة ، فَٱغفِرْ لِلأَنْصارِ ـ بالنَّقْلِ ـ والمُهاجِرة » .

وفي « الصَّحيحين » ، عن البراءِ بنِ عازبٍ [رضيَ اللهُ عنهُما] : رأيتُ النَّبيَّ ﷺ ينقُلُ مِنْ تُرابِ الخَنْدَقِ حتّىٰ وارىٰ [عَنّي] الغُبارُ جِلْدَةَ بطنِهِ ، وكانَ كثيرَ الشَّعْرِ ـ أَي شعرَ أَعالي الصَّدرِ ـ لأَنَّهُ ﷺ كانَ دقيقَ المَسْرُبَةِ [3] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٧٨) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٠١) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٨٠) . ومُسلم برقم (١٨٠٣/ ١٢٥) . المَسْرُبَةُ (بضمِّ الرّاء وفتْحِها) : هو الشَّعرُ الدَّقيق ، الَّذي يأخذ من الصَّدر إلىٰ السُّرّة .

حِصارُ المُسلمينَ

ولمّا فَرغوا مِنَ الخَنْدَقِ وأَقْبلَتْ جموعُ الأَحزابِ في عشرةِ آلافٍ ، وأَحاطوا بـ (المدينة) مِنْ جميع جهاتِها ، وٱشتدَّ الحِصارُ علىٰ المُسلمينَ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ * هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ١٠ ـ ١١] .

ظُهورُ النِّفاق

وعند ذٰلكَ ظهرَ نِفاقُ المُنافقينَ ، وٱضطربَ إِيمانُ ضُعفاء الإِيمانِ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الآيات [سورة الأَحزاب ٣٣/ ١٢] .

وكانوا يقولون : يَعِدُنا مُحمَّدٌ أَنْ نفتحَ (مكَّةَ والشّامَ والعراقَ) ، وأَحَدُنا لا يَقْدِرُ أَنْ يَذهبَ إِلىٰ الغائِطِ . وٱمتدَّ الحِصارُ قريباً مِنْ شَهْرٍ .

ثمَّ زادَ الأَمرُ شدَّةً أَنَّ حُيَيَّ بنَ أَخطبَ تقدَّمَ إِلىٰ بني قُريظةَ فلمْ يزل بِهِم حتَّىٰ نقضوا العَهدَ .

نقضُ بني قُريظةَ العهدَ

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا رأىٰ ما أَصحابُهُ فيه مِنَ الشِّدَّةِ ، ٱستشارَ الأَنصارَ في أَنْ يُعطي عُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ الفَزاريَّ ، والحارِثَ بنَ عَوفٍ المُرّيَّ ـ قائِدَيْ غَطفانَ ـ ثُلُثَ ثمارِ (المدينة) ، علىٰ أَنْ يُفرِّقا الجمعَ ، فقالَ لَهُ سعدُ بنُ مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ : أَهذا أَمرٌ أَمركَ اللهُ به لا بدَّ منهُ ، فٱلسَّمعُ والطّاعةُ للهِ ولرسولِهِ ، أَم هوَ أَمرٌ تَصْنَعُهُ لنا ؟ قالَ : « لا ، بَلْ لأَنَّني رَأَيْتُ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ واحِدَةٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ شَوْكَتَهُم » ، فقالَ لَهُ سعدٌ : قد كُنّا ونحنُ وهٰؤلاء علىٰ الشِّرْكِ ، وهُم لا يَطْمَعونَ منّا بتمرةٍ إِلاّ قِرىً أَو بيعاً ، أَفحينَ

أَكرَمَنا اللهُ بالإِسلامِ وأَعزَّنا بكَ نُعطيهِم / أَموالَنا ؟! واللهِ لا نُعطيهِم [ق١٥٩] إلاّ السَّيفَ[١] .

دعاءُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ الأحزاب

فسُرَّ بذٰلكَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ ، سَريعَ الحِسابِ ، ٱهزِمِ الأَحزابَ ، اللَّهُمَّ ٱهزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُم »[٢] .

ولم يكُن بينَ القوم قِتالٌ إلاّ الرَّميُ بالنَّبل والحصىٰ ، فأَوقعَ اللهُ بينَهُمُ التَّخاذُلَ .

تأييدُ اللهِ نبيَّهُ ﷺ بالرّيح

ثمَّ أَرسلَ اللهُ عليهِمُ في ظُلمةٍ شديدةٍ مِنَ اللَّيل ريحَ الصَّبا الشَّديدة ، في بردٍ شديدٍ ، فأَسقطَتْ خيامَهُم ، وأَطفأَتْ نيرانَهُم وزلزلتهُم ، حتّىٰ جالَتْ خيولُهُم بعضها في بعضٍ في تلكَ الظُّلمَةِ ، فٱرتحلوا خائبينَ .

بعثُ النَّبيِّ ﷺ حُذيفةَ بنَ اليمان ليتحسَّسَ أخبارَ المُشركين

وفي[٣] « الصَّحيحين » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ يَأْتيني بِخَبَرِ القَوْمِ ؟ » ، فقالَ الزُّبيرَ : أَنا ، ثمَّ قالَ : « مَنْ يَأْتيني بِخَبَرِ القَوْمِ ؟ » ، فقالَ الزُّبيرُ : أَنا ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنّ لِكُلِّ نبيٍّ حَوارِيّاً وحَوارِيّ الزُّبيرُ »[٤] .

زادَ ٱبنُ إسحاقَ أَنَّ الزُّبيرَ قالَ : فذهبتُ ، فدخَلْتُ بينَهُم ، فنادىٰ أَبو سفيانَ : إن هٰذهِ الظُّلْمَةَ ظُلْمَةٌ شديدةٌ ، فليَسأَل كُلٌّ منكم

---

(١) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٢/ ١٣٢ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٧٥) .

(٣) ذُكِرَ هنا أَنَّ الزُّبير بن العوّام هو الَّذي تحسَّسَ خبر المُشركين بعد ٱنتهاء المعركة . قلتُ : أَمّا الزُّبير فأَرسلَهُ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ بني قريظة ليتأكَّد من صدق خبر نقض بني قريظة العهد . أَمّا الَّذي تحسَّسَ خبرَ المُشركين عقبَ تأييد الله نبيَّهُ بريح الصَّبا الَّتي هزمت المشركين ؛ إنَّما هوَ : حُذيفةُ بن اليمان رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٩١) .

جليسَهُ مَنْ هوَ ؟ قالَ : فبدأتُ بجليسي ، وقلتُ : مَنْ أَنتَ ؟ ومكثتُ إِلىٰ أَنِ ٱرتحلوا .

ثمَّ أَتيتُ النَّبيَّ ﷺ بخبَرِهم . فحَمِدَ اللهَ وأَثنىٰ عليه .

فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ مُذكِّراً لعبادِهِ ما منَّ به عَلَيْهِم قولَهُ تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ ـ أَي : المَلائِكة ـ إِلىٰ قولِهِ : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٩ ـ ٢٥] .

ما ظهرَ لِلنَّبيِّ ﷺ مِنَ الآياتِ في حَفْرِ الخَنْدَقِ

ووقعَ في أَيّامِ حفرِ (الخَنْدَقِ) معجزاتٌ باهرةٌ مِنْ علاماتِ نبوَّتِه ﷺ .

أَمرُ الكُدْيَة

كحديث الكُدْيَةِ : وهيَ قطعةٌ مِنَ الجبل الَّتي ٱعترضَتْ لَهُم في حفرِ (الخَنْدَقِ) ، فلَمْ يعمَل فيها المِعْوَلُ ، وأَعيت فيها الحِيَلُ ، فأَخذَ ﷺ المِعْوَلَ وسمّىٰ اللهَ فضربها ، فٱنهالَتْ كالكَثيب[1] .

[ق١٦٠]

تكثيرُ طعام أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وكحديث أَبي طلحةَ : حيثُ بعثَ / أَنساً بأَقراصٍ مِنْ شعيرٍ تحتَ إِبطه ، ففتَّها ﷺ وأَطعمَ منها ثمانينَ[2] .

تكثيرُ طعام جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما

وكحديث جابرٍ : حيثُ دعا النَّبيَّ ﷺ خامسَ خمسةٍ ، علىٰ صاعٍ مِنْ شعيرٍ وعَناقٍ ذبحها لَهُم ، لمّا رأىٰ النَّبيَّ ﷺ قد ربطَ حجَراً علىٰ بطنِهِ مِنْ شِدَّةِ الجوعِ ، فبصقَ ﷺ في البُرْمَةِ وفي العجين ، ونادىٰ في أَهلِ (الخَنْدَقِ) وكانوا أَلفاً علىٰ ما بهم مِنَ الجوعِ ، فأَشبَعَهُم جميعاً خُبزاً وثريداً ولحماً .

---

(١) **الكَثيب** : الرَّملُ المستطيلُ المحدودب . وأَخرج الخبر البُخاريُّ ، برقم (٣٨٧٥) .

(٢) ذكر القصَّة مُسلم ، برقم (٢٠٤٠/ ١٤٢) .

وقالَ جابرٌ : فأُقْسِمُ ، باللهِ لَقَدِ ٱنصَرفوا وإِنَّ بُرْمَتَنا لَتَغُطُّ كما هيَ ، وإِنَّ عَجينَنا لَيُخْبَزُ كما هوَ[1] .

إخبارهُ ﷺ بٱنتهاءِ غزوِ قُريشٍ لَهُم

وكقولِهِ ﷺ لمّا ٱنصرفَتِ الأَحزابُ : « لَنْ تَغْزوَنا قُريشٌ بَعْدَها أَبداً ، بَلْ نَغْزوهُم ولا يَغْزونَنا »[2] .

فكانَ كما قالَ ، وكانت تلكَ الشِّدَّةُ خاتِمةَ الشَّدائِدِ .

غزوةُ بني قُريظَةَ

وأَمّا غزوةُ بني قُريظَةَ : فسببُها ما سبقَ مِنْ نقضِهِمُ العهدَ .

أمرُ الله تعالىٰ نبيَّهُ ﷺ بالمسيرِ إلىٰ بني قُريظَةَ

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا رجعَ مِنَ (الخَنْدَقِ) ، ووضعَ السِّلاحَ ، وٱغتسلَ ، أَتاهُ جبريلُ عليه السَّلامُ ، فقالَ : قد وضعتَ السِّلاحَ ؟، واللهِ ما وضعناهُ[3] ، فٱخرُجْ إِليهم ، قالَ : « فإِلىٰ أَينَ ؟ » ، قالَ : هاهُنا . وأَشار بيده إِلىٰ بني قُريظَةَ ، فخرجَ إِليهم النَّبيُّ ﷺ[4] .

النَّبيُّ ﷺ يأمُرُ أَصحابَهُ بالخُروجِ

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلاّ في بني قُرَيظَةَ » ، فأَدركَ بعضَهُمُ العصرَ في الطَّريق ، فقالَ بعضُهُم : لا نُصلّي حتّىٰ نأتيها ـ أَي : ولو غربَتِ الشَّمسُ مُتمسِّكاً بظاهرِ اللَّفظِ ـ وقالَ بعضُهُم : بل نُصلّي ، لم يُرِدْ منّا ذٰلكَ ـ ففهِمَ مِنَ النَّصِّ معنىً خصَّصَهُ بهِ ـ فَذُكِرَ ذٰلكَ للنَّبيِّ ﷺ ، فلم يُعَنِّفْ واحداً منهُم[5] .

---

(١) ذكر القصَّة البُخاريُّ ، برقم (٣٨٧٦) . **العَناق** : الأُنثىٰ من وَلَدِ المعز .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٨٤) ، بنحوه .

(٣) أَي : لم تضع الملائكةُ السِّلاحَ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٩١) . ومُسلم برقم (١٧٦٩/٦٥) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٩٠٤) . ومُسلم برقم (١٧٧٠/٦٩) . عن ٱبن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

قُلْتُ : وفي ذٰلكَ فسحةٌ للأئمة المُجتهدينَ رضيَ اللهُ عنهُم ، وأَنَّ كلَّ مُجتهدٍ مُصيبٌ ـ أَي : في الفروع ـ إِذْ لم يَخُصَّ النَّبيُّ ﷺ أَحداً مِنَ الفريقين بصوابِ ما ذهبَ إليه .

[ق١٦١] فلمّا نزلَ ﷺ بساحتِهم ، وحاصرَهُم / وٱشتدَّت عليهم وطْأَتُهُ ، أَرسلوا إِليه أَنْ أَرسل إِلينا أَبا لُبابَةَ ـ بموحَّدةٍ مكرَّرةٍ ـ ٱلأَنصاريَّ ٱلأَوسيَّ ، وكانوا حُلفاءَ الأَوس ، فأَرسلَهُ إِليهم ، فلمّا أَقبلَ عليهم تلقّاهُ النِّساءُ والصِّبيانُ يبكونَ في وجهِهِ ، فَرَقَّ لَهُم ، فقالوا : أَترىٰ أَنْ ننْزِلَ علىٰ حُكْمِ مُحمَّدٍ ؟ قالَ : نعم ، وأَشارَ بيده إِلىٰ حَلْقِهِ ـ يعني : أَنَّ حُكْمَهُ الذَّبحُ ـ ثمَّ نَدِمَ في مقامِهِ ، وعَلِمَ أَنَّهُ قد خانَ اللهَ ورسولَهُ ، فلم يرجع إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ ، بل ذهبَ إِلىٰ (المدينة) ، وربطَ نفسَهُ بساريةٍ في المسجدِ ، وقالَ : واللهِ لا أَذوقُ ذواقاً حتّىٰ يُطْلِقَني النَّبيُّ ﷺ بيدِهِ ، فأَقامَ علىٰ ذٰلكَ سبعةَ أَيّام لا يذوقُ ذواقاً حتّىٰ خرَّ مغشيّاً عليه ، فنزلَ فيه : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التّوبة ٩/١٠٢] .

شأنُ أَبي لُبابة رضيَ اللهُ عنهُ

فتابَ اللهُ عليه ، وغفرَ لَهُ ورحِمَهُ ، فأَطلقَهُ النَّبيُّ ﷺ بيدِهِ ، ولم يطَأْ بلدَ بني قُريظَةَ حتّىٰ ماتَ ، وكانَ يقولُ : واللهِ لا أُرىٰ ببلدٍ خُنْتُ اللهَ ورسولَهُ فيها ، وكانَ لَهُ بها أَموالٌ فتركَها رضيَ اللهُ عنهُ .

نزولُ بني قُريظَةَ علىٰ حُكْمِ سعد بن مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ

ثمَّ إِنَّ بني قُريظَةَ سأَلوا النَّبيَّ ﷺ أَنْ يقبلَ منهُم ما قَبِلَ مِنْ إِخوانِهم بني النَّضير ، بأَنْ يُجْلَوا عن بلدِهم ، ولَهُم ما أَقلَّتِ الإِبلُ ، فأَبىٰ عليهم لِما تَولَّدَ مِنْ حُيَيِّ بنِ أَخطَبَ مِنَ الشَّرِّ ، فنزلوا علىٰ حُكْمِهِ ﷺ ، فجاءَ حلفاؤُهُم مِنَ الأَوس ، وقالوا : هَبْهُم لنا يا رسولَ اللهِ كما وهبتَ بني قَيْنُقاعَ لحلفائِهِمُ الخَزْرج ، فقالَ : « أَلا

تَرْضَوْنَ أَنْ يَحْكُمَ فيهم سَيِّدُكُمْ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ » ؟ قالوا : بلىٰ .

توجُّهُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ بني قُريظَةَ

وكانَ سعدُ قد أُصيبَ بسهمٍ يومَ (الخَنْدَقِ) ، فجعلَهُ النَّبيُّ ﷺ في خيمةٍ في المسجد ، ليعودَهُ عن قُرْبٍ ، فأَتاهُ قومُهُ فٱحتملوهُ علىٰ حمارٍ ، وأَقبلوا به ، وهُم يقولون : يا أَبا عمرٍو ، أَحسِنْ في مواليكَ ـ أَي : حُلفائِكَ ـ / فقالَ : لقد آنَ لسعدٍ أَنْ لا تأخُذَهُ في اللهِ لومَةُ لائمٍ . فعَلِموا أَنَّهُ قاتِلُهُم . [ق١٦٢]

فلمّا دنا مِنَ النَّبيِّ ﷺ قالَ لِمَنْ عِنْدَهُ : « قوموا إلىٰ سَيِّدِكُم » ، فقاموا لَهُ . فالمهاجرونَ قالوا : إِنَّما أَرادَ الأَنصارَ ، والأَنصارُ قالوا : قد عَمَّ بها .

حُكْمُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ في بني قُريظَةَ

فحَكَمَ فيهما بقتل الرِّجال وسَبْيِ الذَّراريِّ والنِّساء ، وقِسْمَةِ الأَموالِ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « لَقَدْ حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللهِ فيهم »(١) .

تنفيذ الحُكمِ في بني قُريظَةَ

فَخُدَّ لَهُم أُخدودٌ ، وضَرَبَ أَعناقَ رِجالهم وأَلقاهم فيه ، وكانَ عددُ مَنْ قُتِلَ منهُم نحوَ سبعِ مئةٍ ـ بتقديم السِّين ـ وقيل : نحوَ تسعِ مئةٍ ـ بتقديم التّاء ـ .

وفيهم أَنزلَ اللهُ تعالىٰ مُتَفَضِّلاً بقولِهِ : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا . . . وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم ﴾ ـ أَي : أَعانوا

---

(١) قلتُ : قالَ أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ ـ : وهٰذا الحكم هو ما قضىٰ به كتابهم المقدَّس (العهد القديم) ، في حقِّ العدو المهزوم . ففي سفر التَّثنية ، الإصحاح ١٣ ، فقرة ١٣/ ١٤ : (وإذا دفعها الرَّبُّ إلٰهك إلىٰ يدك ، فٱضرب جميع ذكورها بحدِّ السَّيف ، وأَمّا النِّساء والأَطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة ، كلُّ غنيمتها لنفسك ، وتأكل غنيمة أَعدائك الَّتي أَعطاك الرَّبُّ إلٰهك) . وهٰكذا يتبيّن لنا أَنَّ ما قضىٰ به سيّدنا سعدٌ لم يخرج عمّا حكمت به التَّوراة . وأَيضاً فهم ليسوا أَعداء مهزومين فحسب ، بل هم خائنون غادرون غير وافين بالعهد . (ٱنظر السّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٤٠٩) .

قُريشاً وأَحزابها ـ ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ ـ أي : حصونِهِم ، وأَصلُها قرونُ البقرِ ـ ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٢٥ ـ ٢٧] .

وفاةُ سعد بن مُعاذٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وكانَ سعدٌ رضيَ اللهُ عنهُ لَمّا أُصيبَ يومَ (الخَنْدَقِ) دعا اللهَ تعالىٰ فقالَ : (اللَّهُمَّ فإِنْ كُنتَ أبقيتَ مِنْ حَربِ قُريشٍ شيئاً فأَبقِني لَها ، وإلاّ فاجعلْهُ لي شهادةً ، ولا تُمتني يا ربِّ حتّىٰ تقرَّ عيني مِنْ بني قُريظَةَ) .

فلمّا ٱنقضىٰ شأنُهُم ورجَعَ إِلىٰ خيمته بالمسجد ، ٱستجابَ اللهُ لَهُ دعوتَهُ ، فٱنفجرَ جرحُهُ ، فماتَ فيها .

ولم يشعُر أَحدٌ بموتِهِ حتَىٰ نزلَ جبريلُ عليه السَّلامُ فقالَ : مَنْ هٰذا الَّذي فُتِحَتْ لروحِهِ أَبوابُ السَّماء ، وٱهتزَّ لَهُ عَرْشُ الرَّحْمن ؟ ـ أَي : طرباً لقُدومِهِ ـ فقامَ النَّبيُّ ﷺ مُسرعاً ، فإِذا سعدٌ قد ماتَ رضيَ اللهُ عنهُ .

زواجُ الرَّسول ﷺ مِنْ زينبَ بنتِ جَحْشٍ رضيَ اللهُ عنها

وفي السَّنة الخامسة : بنىٰ النَّبيُّ ﷺ بأُمِّ المؤمنينَ زينب بنتِ جَحْشٍ الأَسَديَّةِ رضيَ اللهُ عنها ، وأُمُّها أُميْمَةُ بنتُ عبد المُطَّلبِ ؛ عمَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ بعدَ أَن زوَّجَهُ اللهُ إِيّاها / ، وكانَ لزواجها شأنٌ جليلٌ . [ق١٦٣]

وذٰلك أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ خَطَبَها أَوَّلاً لمولاهُ زيدِ بنِ حارثَةَ ، فترفَّعَتْ عليه لشرف نسبها وجمالِها ، وساعدها أَخوها عبد الله بنُ جَحْشٍ ، فأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيهما : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٦] .

فلمّا سَمِعا ذٰلك رضيا طاعةً لله ولرسولِهِ ، فأَنكحَها النَّبيُّ ﷺ زيداً ، فمكثَتْ عندَهُ ما شاءَ اللهُ .

ثمَّ رآها النَّبيُّ ﷺ يوماً متزيّنةً فأَعجبتْهُ ، ورغِبَ في نكاحِها لو طلَّقها زيدٌ ، فأَوقَعَ اللهُ كراهيَّتها في قلبِ زيدٍ ، فجاءَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ يستأْمِرُهُ في فِراقها ، فقالَ لَهُ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللهَ » ـ أَي : في طلاقِها مِنْ غيرِ سببٍ ـ فأَبىٰ إِلاّ طلاقَها وطلَّقها[١] .

وفي « صحيح مُسلمٍ » ، أَنَّها لَمّا ٱنقضَتْ عِدَّتها بعثَهُ النَّبيُّ ﷺ إِليها ليَخطُبَها لَهُ ، قالَ زيدٌ[٢] : فلمّا جِئْتُها عَظُمَتْ في صَدْري ، حتَىٰ ما أَستطيعُ أَنْ أَنظُرَ إِليها إِجلالاً للنَّبيِّ ﷺ ، فولَّيْتُها ظَهْري ، وقلتُ : يا زينبُ ، أَرسلَني رسولُ اللهِ ﷺ إِليكِ يَذْكُرُكِ ، فقالَتْ : ما أَنا بصانِعَةٍ شيئاً حتّىٰ أُوامِرَ ربّي[٣] ، فقامَتْ إِلىٰ مسجدها ـ تصلّي الاستخارةَ[٤] ـ فنزلَ القرآنُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ ـ أَي : بالإِسلام ـ ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ ـ أَي : بالعِتْقِ ـ ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ ـ أَي : مُظهِرُهُ ، لأَنَّهُ سبقَ في عِلْمِهِ أَنَّها ستكونُ لكَ ـ ﴿ وَتَخْشَى

---

(١) **قلتُ** : ورويت هٰذه الروايات في بعض كتب التَّفسير والقصص الَّتي لا تعنىٰ بالنَّقد والتَّمييز بين الرّوايات ، وهيَ روايةٌ باطلةٌ عقلاً ونقلاً . وانظر التَّعليق الآتي .

(٢) **قلتُ** : قال الحافظ ٱبن حجر في « الفتح » ، ج٨/ ٥٢٤ : (وهٰذا أَيضاً من أَبلغ ما وقعَ في ذٰلك ، وهوَ أَنْ يكونَ الَّذي كان زوجها هوَ الخاطِبُ ، لئلا يظنَّ أَحدٌ أَنَّ ذٰلكَ وقعَ قهراً بغير رضاهُ ، وفيه أَيضاً ٱختبارُ ما كان عندَهُ منها هل بقيَ منه شيءٌ أَم لا) .

(٣) **آمره في أَمره ، ووامره وٱستأمره** : شاوره .

(٤) **قلتُ** : لعلَّها ٱستخارَتْ لِخوْفِها مِن تقصيرٍ في حقِّه .

ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٧] ـ أي : تستحي أَنَّ ذٰلك يظهرُ لئلاّ يُشَنِّعَ عليكَ المُنافقونَ واليهود أَنَّكَ نكحْتَ منكوحَةَ ٱبنكَ .

تحريمُ التَّبني

وكانَ مِنْ قَبْلُ قد تبنّىٰ زيداً ، ثمَّ حرَّمَ اللهُ ذٰلكَ عليه وعلىٰ الأُمَّة بقولِهِ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ / ، وقولِهِ : [ق١٦٤] ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [سورة الأحزاب ٣٣/ ٤٠ ، ٥] .

فأَمرَهُ اللهُ بنكاحِها ، بل أَنْكَحَهُ إِيّاها لتقتَدِيَ به الأُمَّةُ ، كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٧] .

فجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فدخَلَ عليها بغيرِ ٱستئذانٍ ، كما في « صحيح مُسلم »[1] .

اِفتخارُ زينبَ رضيَ اللهُ عنها بتزويجِ الله لها

وفي « الصّحيحين » ، عن أَنس بن مالكٍ ، قالَ : جاءَ زيدُ بنُ حارثَةَ يشكو ، فجعلَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ لَهُ : « اِتَّقِ اللهَ وَأَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ » ، قالَ أَنسٌ : وكانَتْ زينبُ رضيَ اللهُ عنها تفتخِرُ فتقولُ لأَزواجِ النَّبيِّ صلّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ورضيَ عنهُنَّ : زَوَّجَكُنَّ أَهاليكُنَّ ، وزوَّجني ربّي مِنْ فوقِ سبعِ سماواتٍ[2] .

فَائِدَةٌ

كذا روىٰ ابنُ إِسحاقَ وغيرُهُ مِنْ حديثِ قَتادَةَ عن أَنسٍ ما تقدَّمَ مِنْ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ رأىٰ زينبَ متزيِّنةً فأَعجبتهُ ، فَرَغِبَ في نكاحِها لو

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٤٢٨/ ٨٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٩٨٤) .

طلَّقها زيدٌ . روىٰ ذٰلك جمعٌ مِنَ المفسّرينَ بأَسانيدَ قويَّةٍ[1] .

وفي « البُخاريِّ » من حديثِ ثابتٍ البُنانيِّ عن أَنسِ بنِ مالكٍ أَنَّ هٰذهِ الآيةَ : ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٣٧] نزلَتْ في شأْنِ زينبَ بنتِ جَحْشٍ وزيدِ بنِ حارثةَ ولم يزد . وسبقَ أَنَّ الَّذي أَخفاهُ هوَ ما أَعلمَهُ اللهُ مِنْ أَنَّها ستكونُ زوجتَهُ . وقالَ لَهُ : ﴿ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ ﴾ ٱستصحاباً للحال إِلىٰ أَنْ يبلُغَ الكتابُ أَجلَهُ .

وليسَ في ٱستحسانِهِ لها ، ورَغْبَتِهِ في نكاحِها لو طلَّقها زيدٌ قدحٌ في منصبِهِ الجليل حتّىٰ يوجِبَ الطَّعنَ في الرِّوايات الثّابتة المنقولَةِ في هٰذهِ القصَّةِ ، بل قد جعَلَها العلماءُ مِنَ أَصحابِنا أَصلاً ، ٱستدلّوا به

---

(١) **قلتُ** : وفي هٰذه الأَسانيد القويَّة !! عبد الرَّحمٰن بن زيد بن أَسلم ، متَّهم بالكذب والتَّحديث بالغرائب ورواية الموضوعات . وقد تنبَّه لبطلانها وزيفها جمعٌ من المحدِّثين الرّاسخين . قال الحافظ ٱبن حجر في «فتح الباري» ، ج٨/ ٤٢٥ : ورويت آثارٌ أُخرىٰ أَخرجها ٱبن أَبي حاتم والطَّبري ، ونقلها كثيرٌ من المفسِّرين ، لا ينبغي التَّشاغل بها . وقال ٱبن كثير في «تفسيره» ، ج٥/ ٥٦٠ : ذكر ٱبن أَبي حاتم وٱبن جرير هنا آثاراً عن بعض السَّلف أَحببنا أَن نضرب عنها صفحاً لعدم صحّتها فلا نوردها .
وهٰذا القول لا يليقُ بمقام النُّبوَّة ، ولا يليق به ﷺ من مدِّ عينيه لِما نُهيَ عنه من زهرة الحياة الدُّنيا ، وهٰذا لا يَتَّسِمُ به النّاس ، فكيف سيد الأَنبياء ؟!! ومن أقوىٰ ما يردُّ بها علىٰ ما لا يليق بمقام النُّبوَّة أَنَّ رسول الله ﷺ يعرِفَ زينب من صغرها إِلىٰ أَن تزوَّجها ؛ فلو كانت المسأَلة فيها شيء من الرَّغبة الجنسيَّة لتزوَّجها هو . وإِنَّما الواقع الحقيقي هو أَنَّه إِبطالٌ لزواج المتبنّي بزوجة من يتبنّاه ، وقوله تعالىٰ : ﴿ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ ﴾ أَي : تُخفي في نفسكَ ما سيقعُ من الضَّجَّة والاعتراض عليك بعد أَن تتزوَّج زوجةَ ابنك الَّذي تتبنّاهُ .

علىٰ أَنَّ مِنْ خصائِصهِ ﷺ وجوبَ طلاقِ مَنْ رَغِبَ في نكاحِها علىٰ زَوْجِها ، ووجوبَ إجابَتِها ، فجوَّزوا رغبتَهُ في نكاحِ منكوحَةِ/ غيرِهِ . [ق١٦٥]

وأَنَّ في هٰذهِ القصَّةِ ما لا يخفىٰ مِنَ التَّنويه بقدرِ المُصطفىٰ ﷺ ، والإعلام بعظيم مكانتِهِ عندَ ربِّه سبحانَهُ وتعالىٰ ، وأَنَّهُ سبحانَهُ يُحِبُّ ما يحبُّهُ ، ويكرَهُ ما يكرهُهُ ، وينوبُ عنهُ في إظهارِ ما ٱستحيا مِنْ إظهارِهِ ، عِلْماً منهُ سبحانَهُ بأَنَّهُ إنَّما يفعلُ ذٰلكَ قمعاً لشهوتِهِ ، وردّاً لنفسِهِ عن هواها[1] ، كما قالَ سبحانَهُ في الآية الأُخرىٰ : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٣] .

فما نقلَهُ القاضي عياض عن ٱبنِ القُشيريِّ وقرَّرَهُ : مِنْ أَنَّ ما سبقَ مِنْ تجويز رغبتِهِ في نكاحِها لو طلَّقها زيدٌ إقدامٌ عظيمٌ مِنْ قائِلِهِ ، وقلَّةُ

---

(١) قلتُ : حاشاه ﷺ عن مثل هٰذا . ولم يكن زواجه ﷺ لقضاء شهوةٍ ، بل لبيان تشريع بفعله ﷺ . فإنَّ الفعل آكد ، والشَّرع يُستفاد علىٰ نحوٍ أَقطع من فعل النَّبيِّ ﷺ . وما زواجه ﷺ هٰذا إلاَّ ليرتفع الحرج والضِّيق بين المؤمنين إذا أَرادوا الزَّواج بمطلَّقات أَدعيائهم ، وهم الَّذين تبنوهم في الجاهليَّة ، ثمَّ أَبطلَ الإسلام حكم التَّبني ، وأَلغىٰ جميع آثاره . قال أَبو شهبة ـ رحمه الله ـ : وقد نسج المستشرقون والمبشِّرون المحترفون من مثل هٰذه الرِّوايات أَثواباً من الكذب والخيال . وصوَّره ﷺ بصورة الرَّجل الَّذي لا همَّ له إلاَّ إشباع رغباته الجنسيَّة والجري وراء النِّساء . وقد ٱعتمد هؤلاء في طعونهم بالنَّبيِّ ﷺ على رواياتٍ مختلفة مدسوسةٍ عند أَئمة النّقد وعلماء الرِّواية ، وأَغلب الظَّنِّ أَنَّها من صنع أَسلافهم من اليهود والزَّنادقة من الفرس وغيرهم ، الَّذين عجزوا أَن يقاوموا سلطان الإسلام وقوَّته ، فلجأوا إلىٰ الدَّس والكذب ، وجاز هٰذا الزّور علىٰ بعض الأَغرار من المسلمين ، فروَوْه في كتبهم ، ولٰكنَّه ما كان يخفىٰ على العلماء والرَّاسخين ، فنبَّهوا علىٰ كذبه ، وحذَّروا من التَّصديق به .

معرفةٍ بحقِّ النَّبيِّ ﷺ مردودٌ بحثاً ودليلاً . واللهُ أعلمُ[1] .

واْعلَمْ أَنَّ نظرَهُ إليها كانَ قبلَ نزولِ آيةِ الحِجابِ ، لأَنَّها نزلَتْ في حالِ دخولِهِ عليها ، معَ أَنَّ الرّاجحَ أَيضاً عندَ المحُقّقين أَنَّ النِّساءَ ما كُنَّ يَحتجِبْنَ عنهُ ﷺ .

وليمةُ النَّبيِّ ﷺ علىٰ زينبَ رضيَ اللهُ عنها

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : أَنا أَعلَمُ النّاسِ بشأْنِ الحِجابِ ، وكانَ في أَوَّلِ ما أُنزِلَ في مُبْتَنَىٰ النَّبيِّ ﷺ بزينبَ ، أَصبحَ النَّبيُّ ﷺ بها عَروساً ، فأَرسلَتْ معي أُمُّ سُلَيْمٍ بحيسٍ مِنْ تمرٍ وسمنٍ وأَقِطٍ[2] إليه في بُرْمَةٍ ، فقالَ لي ضَعْها ، ثمَّ أَمرني فقالَ : « اِدْعُ لي رِجالاً سَمّاهُمْ ، وَاْدْعُ مَنْ لَقِيْتَ » ، ففعلتُ الَّذي أَمرني به ، فرَجَعتُ ، فإذا البيتُ غاصٌّ بأَهلِهِ ، ورأيتُ النَّبيَّ ﷺ وضعَ يدَهُ علىٰ تِلكَ الحَيْسَةِ ، وتكلَّمَ بما شاءَ اللهُ ، ثمَّ جعلَ يدعو عشرةً عشرةً ، يأكُلونَ مِنها ، ويقولُ لَهُمْ : « اِذْكُروا ٱسمَ ٱللهِ ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمّا يَليهِ » ، حتّىٰ تفرّقوا كلُّهُم ، وبقيَ نفرٌ يتحدَّثونَ ، ثمَّ خرجَ النَّبيُّ ﷺ نحوَ الحُجُراتِ ، وخرجْتُ في إِثْرِهِ ، فقلتُ : إِنَّهُم قد ذهبوا ، فرجَعَ ودخلَ البيتَ / وأَرخىٰ السِّتْرَ ، وإِنّي لفي الحُجْرَةِ وهوَ يقولُ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ ﴾ - إِلىٰ قولِهِ - ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ الآية [سورة الأحزاب ٣٣/ ٥٣][3] . [ق١٦٦]

وفي « صحيح البُخاريِّ » عن أَنسٍ أَيضاً قالَ : أَوْلَمَ رسوُلُ اللهِ ﷺ

---

(١) قلتُ : بل قول القاضي عياض ، وكذا الزُّهريّ ، والقاضي بكر بن العلاء ، والقاضي أَبي بكر بن العربي هو الأصحّ . وأَنَّ الَّذي يقول ذٰلك جاهلٌ بعصمة النَّبيِّ ﷺ عن مثل هٰذا ، أَو مستخفٌّ بحرمته .

(٢) الأَقِط : لبنٌ مجفَّفٌ يابسٌ يُطبخ به . (أَنصاريّ) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، كتاب النِّكاح ، باب : الهديَّة للعروس .

حينَ بنىٰ بزينبَ بنتِ جَحْشٍ فأَشْبَعَ النّاسَ خُبزاً ولحماً[1] .

وفي روايةٍ : فأُرْسِلْتُ داعياً علىٰ الطَّعامِ ، فيجيءُ قومٌ فيأْكُلونَ ويخرُجونَ ، ثمَّ يجيءُ قومٌ فيأْكُلونَ ويخرُجونَ ، فدعَوْتُ حتّىٰ ما أَجِدُ أَحداً أَدعو ، فقلتُ : يا نبيَّ اللهِ ، ما أَجِدُ أَحداً أَدعوهُ ، فقالَ : « ارْفَعوا طَعامَكُمْ »[2] .

صلحُ الحديبيةِ

وفي هٰذه السَّنةِ ـ وهيَ الخامسة[3] ـ أَحْرَمَ النَّبيُّ ﷺ بعُمْرَةٍ ، فصُدَّ عن البيت ، فوقَعَ صُلْحُ الحُدَيبية بعدَ بيعة الرِّضوان ، وذٰلكَ أَنَّهُ ﷺ خرَجَ في ذي القَعْدةِ مُعتمراً ، فأَحْرَمَ وقلَّدَ الهَدْيَ ، وأَشعرَ البُدْنَ ، فاجتمعَتْ قُريشٌ علىٰ أَنْ تصدَّهُ عنِ البيت ، فاجتمعَ رأْيُهُ علىٰ أَنْ يدخُلَها عليهم قَهْراً .

وفي ذٰلك يقولُ حسّانُ بنُ ثابتٍ جواباً لأَبي سُفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبد المُطَّلب ابنِ عمِّ النَّبيِّ ﷺ عن شِعْرِهِ الَّذي هجا فيه [4] : [مِنَ الوافر]

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّداً بَرّاً تَقيّاً ... رَسولَ اللهِ شيمَتُهُ الوَفاءُ
أَتَهْجوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ؟ ... فَشَرُّكُما لِخَيْرِكُما الفِداءُ[5]
فَإِنَّ أَبي وَوالِدَهُ وَعِرْضي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ

---

(1) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥١٦) .
(2) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥١٥) . عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(3) **قلتُ** : لعلَّ الصَّواب السّادسة . واللهُ أَعلمُ .
(4) ذكر الأَبيات الإمام مُسلم في « صحيحه » ، برقم (١٥٧/٢٤٩٠) .
(5) يقول : كيف تهجوهُ ولستَ ندّاً لهُ ؟ عَسىٰ الله أَنْ يجعلَ السَّيِّءَ الشِّريرَ منكُما فداءً للطَّيِّب الخيِّر .

عَـدِمْنـا خَيْلَنـا إِنْ لَـمْ تَـرَوْهـا ... تُثيـرُ النَّقْـعَ مَـوْرِدُهـا كَـداء[1]

يُنـازِعْـنَ ٱلأَعِنَّـةَ مُصْعِـداتٍ ... عَلىٰ أَكبادِها ٱلأُسُلُ الظِّماءُ[2]

فَـإِنْ أَعْـرَضْتُـمُ عَنّـا ٱعْتَمَـرْنـا ... وَكانَ ٱلفَتْحُ وَٱنْكَشَفَ ٱلغِطاءُ

وَإِلاّ فـاصْبِـروا لِضِـرابِ يَـوْمٍ ... يُعِـزُّ ٱللهُ فيـهِ مَـنْ يُشـاءُ

/ وَقالَ ٱللهُ : قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقـولُ ٱلحَـقَّ لَيْسَ بِـهِ خَفـاءُ [ق١٦٧]

وَجِبْـريـلٌ رَسـولُ ٱللهِ فينـا ... وَروحُ ٱلقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفاءُ[3]

إرسالُ النَّبيِّ ﷺ عُثمانَ بنَ عفّان لمفاوضة قُريش

ثمَّ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أرسلَ إليهم عُثمانَ بنَ عفّانَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فَهَمَّ سفاؤُهُم أَنْ يقتلُوا عُثمانَ ، فأَجارَهُ ٱبنُ عمِّه أَبانُ بنُ سعيد بنِ العاصِ بنِ أُميَّةَ ، فشاعَ أَنَّ قُريشاً قتلَتْ عُثمانَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « لا خَيْرَ في الحَياةِ بَعْدَ عُثْمانَ ، أَما واللهِ لَئِنْ قَتَلوهُ لأُناجِزَنَّهُم »[4] .

بيعةُ الرِّضوان

ودعا النّاسَ إلىٰ تجديدِ البيعةِ علىٰ الموتِ ، فبايعوهُ ، وكانوا أَلفاً وأَربعَ مئةٍ .

ثمَّ تحقَّقَ كَذِبُ الخبرِ ، فضربَ [ﷺ] بإِحدىٰ يديه علىٰ الأُخرىٰ ، وقالَ : « هٰذِهِ لِعُثْمانَ »[5] .

---

(١) **النَّقع** : الغُبار في الحرب . **كداء** : موضعٌ بأَعلىٰ مكَّةَ ، وقد دخلَ الرَّسولُ ﷺ مكة عامَ الفتحِ من كَداءٍ .

(٢) **ينازعن الأعنَّةَ** : يجاذبنها الفرسانُ لسرعة ٱنطلاقهن . **مُصْعِداتٌ** : مقبلاتٌ متوجِّهاتٌ نحوكم . **الأُسلُ** : الرِّماحُ ، **الظِّماءُ** : الرِّقاقُ .

(٣) **رُوح القُدْسِ** : جبريل عليه السّلام ، **والقُدسُ** : الطَّهارة . **كِفاءٌ** : مثيلٌ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في « الدَّلائل » ، ج٤/ ١٣٥ . عن عبد الله بن أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٩٥) . عن ٱبن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما . **وهٰذه لعُثمانَ** : أَي أَنَّ النَّبيَّ بايعَ لعُثمانَ وقال : « هٰذه يدُ عُثمانَ » ، فضرب بها علىٰ يده ، فقال : « هٰذِهِ لعُثمانَ » .

ولا يخفىٰ ما في ذٰلكَ مِنَ الفضيلةِ لعُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [سورة الفتح ٤٨/١٨] .

وكانوا تحتَ شجرةٍ سَمُرَةٍ .

ثمَّ صالَحَهُم عشرَ سنينَ علىٰ أَنْ لا يدخُلَ (مكَّةَ) إلاَّ مِنَ العام القابل ، وأَنَّ مَنْ أَتاهُ منهُم مُسلماً ردَّهُ إِليهِم ، ثمَّ نحرَ وحلَقَ ، ورجعَ إلىٰ (المدينة) ، وأَنزلَ اللهُ في مُنْصَرَفِهِ سورةَ الفتحِ .

كيفيَّةُ الصُّلح

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ومروانَ بنِ الحَكَمِ رضيَ اللهُ عنهُم ـ يُصدِّقُ كلُّ واحدٍ منهُما حديثَ الآخَرِ ـ قالا : خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ زمنَ (الحُدَيبيةِ) ، حتّىٰ إذا كانَ بالثَّنيَّةِ الَّتي يُهْبَطُ عليهم مِنها ، بَرَكَتْ به راحِلَتُهُ ، فزجروها ، فأَلَحَّتْ ، فقالوا : خَلأَتِ القَصْواءُ ـ أَي : حَرَنَتْ ـ فقالَ : « ما خَلأَتِ القَصْواءُ ، وما ذاكَ لَها بِخُلُقٍ ، وَلٰكِنْ حَبَسَها حابِسُ الفيلِ » ، ثمَّ قالَ : « وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ ، لا يَسْأَلوني خُطَّةً ـ أَي : طريقاً ـ يُعَظِّمونَ فيها حُرُماتِ ٱللهِ إلاّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيّاها » ، ثمَّ زجرَها ، فوثَبَتْ ، فَعَدلَ عنهُم حتّىٰ نزلَ بأَقصىٰ (الحُدَيبيةِ) ، علىٰ ماءٍ قليلٍ يَتبرَّضُهُ[1] النّاسُ ، فشكوا إِليه العطشَ ، فٱنتزعَ سَهْماً مِنْ كِنانَتِهِ ، وأَمرَهُم / أَنْ يَجعلوهُ فيه ، فجاشَ لَهُم بالماءِ الغزيرِ حتّىٰ صَدَروا عنه[2] . [ق١٦٨]

فبينما هُم كذٰلِكَ إِذْ جاء بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ الخُزاعيُّ ، فقالَ : إِنّي تركْتُ قُريشاً وهُمْ مُقاتِلوكَ وصادّوك عنِ البيتِ ، فقالَ رسولُ

---

(١) يتبرَّضهُ : يأخذونه قليلاً قليلاً .

(٢) صدروا عنهُ : رجعوا عنه .

اللهِ ﷺ : « إنّا لَمْ نَجِىء لِقِتالِ أَحَدٍ ، وَلٰكِنّا جِئْنا مُعْتَمِرينَ ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ أَضَرَّتْ بِهِمُ الحَرْبُ ، فَإِنْ شاؤوا مادَدْتُهُمْ ـ أَي : صالَحْتُهُم مُدَّةً ـ علىٰ أَنْ يُخَلّوا بَيْني وَبَيْنَ النّاسِ ، فَإِنْ أَظْهَرْ ، فَإِنْ شاؤوا أَن يدخلوا فيما دَخَلَ فيهِ النّاسُ فعلوا ، وَإِلاّ فَقَدْ جَمّوا ـ أَي : اِستراحوا ـ مِنَ الحربِ مُدَّةً ، وَإِنْ أَبَوْا ، فواللهِ لأُقاتِلَنَّهُمْ علىٰ هٰذا الأَمْرِ حَتّىٰ تَنْفَرِد سالِفَتي ـ أَي : صفحةُ عُنُقي ـ وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ » ، قالَ بُدَيْلٌ : سأُبَلِّغُهُمْ ما تقولُ ، قالَ : فٱنطلقَ حتّىٰ أَتىٰ قُرَيشاً ، فحدَّثَهُم بما قالَ النَّبيُّ ﷺ .

فقامَ عُروةُ بنُ مسعودٍ وقالَ : أَيْ قَوْمِ ، إِنَّ هٰذا قد عَرَضَ عليكُمْ خُطَّةَ رُشدٍ ، فٱقبلوها ، ودَعوني آتيه ، قالوا : ٱئْتِهِ ، فأَتاهُ ، فجعلَ يُكلِّمُ النَّبيَّ ﷺ ، ويَرْمُقُ أَصحابَهُ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ نحواً مِمّا قالَهُ لبُدَيْلٍ ، فرجَعَ عُروةُ إلىٰ قُريشٍ ، فقالَ : أَيْ قَوْمِ ، واللهِ لقد وَفَدْتُ علىٰ المُلوكِ ، ووفَدْتُ علىٰ كِسرىٰ وقيصَرَ والنَّجاشيِّ ، فما رأيتُ مَلِكاً يُعَظِّمُهُ أَصحابُهُ ما يُعَظِّمُ أَصحابُ مُحمَّدٍ مُحمَّداً ، واللهِ ما تَنَخَّمَ نُخامَةً إلاّ وقعَتْ في كفِّ رجُلٍ منهُم فَدَلَكَ بها وجهَهُ وجلدَهُ ، وإذا أَمرهُم أَمراً ٱبتدَروا أَمرَهُ[1] ، وإذا توضَّأَ كادوا يقتَتِلونَ علىٰ وَضُوئِهِ ، وإذا تكلَّمَ خفضوا أَصواتَهُم عندَهُ ، وما يُحِدّونَ النَّظرَ إليه[2] تعظيماً لَهُ ، وإِنَّهُ قد عَرَضَ عليكُم خُطَّةَ رُشدٍ فٱقبلوها .

فأَرسلوا إليه سُهيلَ بنَ عَمْرٍو ، فلمّا أَقبلَ قالَ النَّبيُّ ﷺ : « قَدْ سَهُلَ الأَمْرُ » ، فجاءَ سُهيلٌ فقالَ : هاتِ ٱكْتُبْ بيننا وبينكُمْ كتاباً .

كتابةُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ عقدَ الصُّلح وبنودَهُ

فدعا النَّبيُّ ﷺ الكاتِبَ ، وهوَ عليُّ بنُ أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ

---

(١) ٱبتدروا أَمرهُ : أَسرعوا في تلبيته وتنفيذه .

(٢) الإحدادُ : شدَّةُ النَّظر . أَي : لا يتأَمَّلونَهُ ولا يديمونَ النَّظر إليه .

[ق١٦٩] عنهُ ، فقالَ : « ٱكْتُبْ بِسْمِ ٱللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم » / ، فقالَ سُهيلٌ : أَمّا الرّحمٰنُ فواللهِ ما أَدري ما هوَ ، ولٰكِنِ ٱكْتُبْ : بِٱسمِكَ اللّٰهُمَّ كما كُنْتَ تكتُبُ ، فقالَ المُسلمونَ : واللهِ ما نكتُبُها إلاّ بسم اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « ٱكْتُبْ بِٱسمِكَ اللّٰهُمَّ » ، ثمَّ قالَ : « هٰذا ما قاضىٰ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ » ، فقالَ سُهيلٌ : واللهِ ، لو كُنّا نعلَمُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ ما صدَدْناكَ عنِ البيتِ ، ولا قاتلناكَ ، ولكِنِ ٱكتُبْ : مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « وَٱللهِ ، إنّي لَرَسولُ اللهِ وَإنْ كَذَّبْتُموني ، ٱكتُبْ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ » ، ثمَّ قالَ : « عَلىٰ أَنْ تُخَلّوا بَيْنَنا وَبَيْنَ البَيْتِ فَنَطوفَ بِهِ » ، قالَ سُهيلٌ : واللهِ ، لا تتحدَّثُ العربُ أَنّا أُخِذْنا ضُغْطَةً ـ أَي : قهراً ـ ولٰكِنْ ذٰلكَ لَكَ مِنَ العامِ القابل ، فكَتَبَ ، فقالَ سُهيلٌ : وَعلىٰ أَنَّهُ لا يأتيكَ رجُلٌ مِنّا ، وإِنْ كانَ علىٰ دينكَ إلاّ رَدَدْتَهُ إلينا ، فقالَ المُسلمونَ : سبحانَ اللهِ ، كيفَ يُرَدُّ إلىٰ المُشركينَ وقد جاءَ مُسلِماً ، فبينما هُم كذٰلكَ إذ جاءَ أَبو جَنْدَلِ بنِ سُهيلِ بنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ[1] في قيودِهِ ، وقد خرجَ مِنْ أَسفلِ (مكَّةَ) ، فرمىٰ بنفسهِ بَيْنَهُم ، وكانَ قد عُذِّبَ في الله عذاباً شديداً ، وقالَ : أَيْ معشرَ المُسلمينَ ، أُرَدُّ إلىٰ المُشركينَ وقد جِئْتُ مُسلِماً ، أَلا ترونَ إلىٰ ما قد لَقيتُ ؟ فقالَ سُهيلٌ : هٰذا يا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَنْ أُقاضيكَ عليه أَنْ تَرُدَّهُ إليَّ ، وإلاّ فواللهِ لا أُصالِحُكَ أَبداً ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « إنّا لَمْ نَقْضِ الكِتابَ بَعْدُ فَأَجِزْهُ لي » ، فقالَ : ما أَنا بمُجيزِهِ لكَ .

موقفُ عمرَ بنِ الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ شُروطِ الصُّلح

قالَ عُمَرُ بنُ الخطّاب : فقلتُ : أَلستَ نبيَّ اللهِ حقّاً ؟، قالَ : « بَلىٰ » ، قلتُ : أَلسنا علىٰ الحقِّ ، وعدوّنا علىٰ الباطِلِ ؟، قالَ : « بلىٰ » ، قلتُ : فَلِمَ نُعْطي الدَّنيّةَ في ديننا إذاً ؟، قالَ : « إنّي

(١) **يرسفُ** : يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيود .

رَسولُ اللهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيَهِ ، وَهُوَ ناصِري » ، قلتُ : أَوَ لَيْسَ كُنتَ تُحدِّثُنا أَنّا سنأْتي البيتَ فنطوفُ بِهِ ؟، قالَ : « بَلىٰ ، فَأَخْبَرْتُكَ أَنّا نَأْتيهِ هٰذا العامَ ؟ »، قلتُ : لا ، قالَ : « فَإِنَّكَ آتيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ » ، قالَ : فأَتيتُ أَبا بكرٍ ـ وكانَ / غائباً ـ فقلتُ : يا أَبا بكرٍ ، أَليسَ هٰذا نبيَّ اللهِ حقّاً ؟، قالَ : بلىٰ ، قلتُ : أَلسنا علىٰ الحقِّ ، وعدوّنا علىٰ الباطلِ ؟، قالَ : بلىٰ ، قلتُ : فَلِمَ نُعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذاً ؟، قالَ : أَيُّها الرَّجُلُ ، إِنَّهُ لرسولُ اللهِ ، وليسَ يَعصي ربَّهُ ، وهوَ ناصِرُهُ فٱستَمْسِكْ بِغَرزِهِ ـ أَي : بركابِهِ ـ فواللهِ إِنَّهُ علىٰ الحقِّ ، قلتُ : أَوَلَيْسَ كانَ يُحدِّثُنا أَنّا سنأْتي البيتَ فَنَطَّوَّفُ بِهِ ؟ ـ أَي : وها هوَ قد صالَحَهُم عشرَ سنينَ ـ قالَ : بلىٰ ، أَفأَخبركَ أَنَّكَ تأْتيهِ هٰذا العامَ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : فإِنَّكَ آتيه ومُطَوِّفٌ به[1] . [ق١٧٠]

قالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ : فعَمِلْتُ لذٰلكَ أعمالاً ـ أَي : مِنَ البِرِّ لتُكفِّرَ علىٰ جُرْأَتي بالكلامِ علىٰ رسولِ الله ﷺ .

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمّا رجعَ إِلىٰ (المدينة) لَحِقَهُ رجالٌ مُسلمونَ مِنْ قُريشٍ فردَّهُمْ ، فٱنقلبوا ولحِقوا بِسِيْفِ البحر حتّىٰ ٱجتمعَتْ منهُم عصابةٌ ، فجعلوا لا تمُرُّ بهِم عِيرٌ لقُريشٍ إلاّ ٱعترضوها ، فقتلوهُم وأَخذوا أَموالَهُم ، فأَرسلَتْ قُريشٌ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ تُناشِدُهُ اللهَ والرَّحِمَ لَمّا ضمَّهُم إِليه ، وأَنَّ مَنْ خرجَ إِليه فهوَ آمِنٌ ، فضمَّهُم .

فَائِدَةٌ

في أَنَّ مقام الصِّدِّيقيَّة فوقَ مقام أَهل الإِلهام

قَالَ العُلَمَاءُ : هٰذا مِنْ أَوضحِ الأَدلَّةِ علىٰ أَنَّ أَهلَ الإِلهام يُخطِئُونَ ويُصيبونَ ، فلا بدَّ مِنْ عرضِ ما وقعَ في قلوبهم مِنْ ذٰلكَ علىٰ الكتابِ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٥٨١ ـ ٢٥٨٢) .

والسُّنَّةِ ، كما يُخطىءُ أَهلُ الاجتهادِ ويُصيبونَ ، وهٰذا سيّدُنا أَميرُ المُؤْمنينَ عُمَر بنُ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ أَخطأَ في أَماكِنَ كهٰذا المَوطِنِ .

وفي وفاة النَّبيِّ ﷺ ، وهوَ المشهودُ لَهُ بقولِهِ ﷺ لَهُ في « الصَّحيحين » : «إِيهاً يا ٱبنَ الخَطّابِ ، فواللهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطانُ سالِكاً فَجّاً إلاّ سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ »[1] .

وبقولِهِ ﷺ فيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَيضاً : « لَقَدْ كانَ فيما قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثونَ ـ أَي : مُلهَمونَ ـ فإِنْ يَكُ في أُمَّتي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ »[2] .

[ق١٧١] وفي روايةٍ : لَقَدْ كانَ فيمنْ كانَ / قَبْلَكُمْ رِجالٌ يُكَلَّمونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكونوا أَنبياءَ ، فَإِنْ يَكُن في أُمَّتي أَحَدٌ مِنْهُمْ فَعُمَرُ »[3] . ولهٰذا كثيراً ما يوافِقُ الوحيَ .

وفي روايةٍ : أَنَّ عُمَرَ قالَ : فعجِبْتُ مِنْ مطابقة كلام أَبي بكرٍ لكلام النَّبيِّ ﷺ ، فأَشارَ إِلىٰ أَنَّ مقامَ الصِّدّيقيَّةِ فوقَ مقامِ أَهلِ الإِلهامِ يردّونَهُم عندَ خطئِهم إِلىٰ الحقِّ .

قَالَ العُلَمَاءُ : ولا يخفىٰ ما في هٰذه القصَّة مِنْ وجوبِ طاعتِهِ ﷺ ، والانقياد لأَمرِهِ ، وإِنْ خالَفَ ظاهِرُ ذٰلكَ مقتضىٰ القياس ، أَو كرهتهُ النُّفوسُ ، فيجبُ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ أَنْ يعتقدَ أَنَّ الخيرَ فيما أُمرَ بِهِ ، وأَنَّهُ عينُ الصَّلاحِ ، المُتضمِّن لسعادة الدُّنيا والآخرة ، وأَنَّهُ جارٍ علىٰ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٨٠) . ومُسلم برقم (٢٣٩٦/ ٢٢) . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٣٩٨/ ٢٣) . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٨٦) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

أَتمِّ الوجوهِ وأَكملِها ، غيرَ أَنَّ أَكثرَ العقولِ قَصُرَتْ عن إِدراكِ غايتِهِ وعاقِبَةِ أَمرِهِ .

حُـزنُ الصَّحـابـة رضيَ اللهُ عنهم لصُلح القوم

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّ سَهْلَ بنَ حُنيفٍ قالَ يومَ صِفِّينَ : يا أَيُّها النّاسُ ، اتَّهِموا رأْيكُمْ علىٰ دينِكُمْ ، فلَقَدْ رأيتُني يومَ أَبي جَنْدلٍ ولو أَستطيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمرَ رسولِ اللهِ لرددْتُهُ(١) .

ولهٰذا قالَ اللهُ تعالىٰ في هٰذه القصَّة بعينها بعدَ أَنْ قالَ : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ ـ أَي : بصدِّهم عَنِ البيتِ وإِنكارِهم لاسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم ـ إِلىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ ﴾ ـ أَي : من عاقبة الأَمر ـ ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ ـ أي : صُلْحُ الحُـدَيبيـة ـ [سورة الفتح ٤٨/٢٦ ـ ٢٧] .

فسمّاهُ فتحاً كما في « الصَّحيحين » ، عن البراءِ بنِ عازبٍ : تعدّونَ أَنتُمُ الفتحَ فتحَ (مكَّةَ) ، وقد كانَ فتحُ (مكَّة) فتحاً ، ونحنُ نعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضوانِ يومَ (الحُدَيبية)(٢) .

قَالَ العُلَمَاءُ : فهيَ المُرادُ بالفتح في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [سورة الفتح ٤٨/١] ؛ لأَنَّها نزلَتْ عندَ انصرافِهم منها ، ثمَّ قالَ فيها : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٧] .

والمُرادُ به فتحُ (خَيْبَرَ) ؛ لأَنَّهُم افتتحوها بعدَ انصرافِهِم مِنَ (الحُدَيبية) ، ثمَّ وعدَهُم فتحَ (مكَّةَ) بقولِهِ : ﴿ إِذَا جَآءَ / نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [سورة النَّصر ١١٠/١] . [ق١٧٢]

قَالَ العُلَمَاءُ : ولم يكُن فتحٌ قبلَ الفتحِ أَعظمَ مِنْ صُلْح (الحُدَيبيَةِ) ،

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٨٧٨) . ومُسلم برقم (١٧٨٥/ ٩٥) .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩١٩) .

وذٰلكَ أَنَّ المُشركينَ ٱختلطوا بالمسلمينَ في تلكَ الهُدْنة ، وسَمِعوا منهُم أَخلاقَ النَّبيِّ ﷺ ، ومحاسِنَ شريعته ، فأَسلمَ منهُم في تلكَ المُدَّة جماعةٌ مِنْ رؤسائِهم ؛ كعَمْرِو بنِ العاصِ وخالدِ بنِ الوليدِ ، في خلقٍ كثيرٍ ، فظهرَ حُسْنُ ٱختيارِ اللهِ لَهُم في ذٰلكَ الصُّلحِ الَّذي كرِهوهُ ، معَ ما سبقَ في عِلمه بأَنَّ (مكَّةَ) إنَّما يَحِلُّ القتالُ بها لنبيّه مُحمّدٍ ﷺ ساعةً مِنْ نهارٍ ، وهيَ يومُ فتحِها : و ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطَّلاق ٦٥/٣] ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ٢/٢١٦] .

إسلامُ عَمْرِو بن العاصِ وخالِدِ بنِ الوَليدِ رضيَ اللهُ عنهُما

وفي هٰذه السَّنة(١) : أَسلمَ عَمْرُو بنُ العاصِ وخالدُ بنُ الوَليدِ رضيَ اللهُ عنهُما .

وذٰلكَ أَنَّ عَمْراً ذهبَ إلىٰ النَّجاشيِّ ، وكانَ صديقاً لَهُ ، فأَكرمَهُ ، فقدِمَ علىٰ النَّجاشيِّ عَمْرُو بنُ أُميَّةَ الضَّمْريُّ رسولاً مِنَ النَّبيِّ ﷺ ، ليُجهِّزَ إليهِ مَنْ عندَهُ مِنْ مُهاجرَةِ (الحبشةِ) ، فسأَلَ عَمْرُو بنُ العاصِ مِنَ النَّجاشيِّ قتلَ عَمرِو بن أُميَّةَ الضَّمْريِّ ، فغضِبَ النَّجاشيُّ ، وقالَ : أَتسأَلُ منّي أَنْ أَقتُلَ رسولَ رجلٍ يأْتيه النّاموسُ الأَكبرُ الَّذي كانَ يأْتي موسىٰ ؟ ، قالَ عَمْرٌو : فقلتُ : أَهوَ كذٰلكَ ؟ ، قالَ : نعم ، فأَطِعْني يا عَمْرُو وٱتْبَعْهُ ، فإِنَّهُ علىٰ الحقِّ ، وليَظْهَرَنَّ علىٰ مَنْ خالَفَهُ ، كما ظَهَرَ موسىٰ علىٰ فِرْعَونَ وجُنودِهِ ، فأَسلَمَ عَمْرٌو حينئذٍ علىٰ يد النَّجاشيِّ .

ثمَّ خرجَ مِنَ (الحبشةِ) عامداً إلىٰ (المدينة) ، فلقيَ خالدَ بنَ الوليدِ مُقبلاً مِنَ (مكَّةَ) إلىٰ (المدينةِ) أَيضاً ، فقالَ لَهُ : إلىٰ أَينَ

---

(١) ذُكِرَ هنا أَن إسلامهما كان في السَّنةَ السّادسةَ . وقد تقدَّم أَنَّ إسلامهما كانَ أَوائل سنة ثمانٍ .

يا أَبا سُليمانَ ؟ قالَ : لِأُسْلِمَ ، والله فقدِ ٱستبانَ لي الحقُّ ، وأَنَّ الرَّجلَ لصادِقٌ ، قالَ : وأَنا والله ما جئتُ إلاّ لأُسْلِمَ ، قالَ عَمْرٌو : فلمّا قدِمنا (المدينةَ) تقدَّمَ خالدٌ فأَسلَمَ ، وبايعَ . ثمَّ دَنوتُ ، فقلتُ : يارسولَ اللهِ، أُبايعُكَ علىٰ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لي ما تقدَّمَ مِنْ ذنبي / ، فقالَ : [ق١٧٣] «ياعَمْرُو إِنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ ما كانَ قَبْلَهُ، وَإِنَّ الهِجْرَةَ تَجُبُّ ماكانَ قَبْلَها»[١] ، قالَ : وكانَ ذٰلكَ بعدَ (الحُدَيبيةِ) وقبلَ (خَيْبَرَ) .

كُتُبُ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ المُلوكِ

وفي[٢] هٰذه السَّنة ـ [أَي : السّابعةِ] ـ أَرسلَ النَّبيُّ ﷺ رسُلَهُ بكُتُبه إِلىٰ مُلوكِ الأَقاليم .

ومنهُم : عبدُ الله بنُ حُذافَةَ السَّهْميُّ ؛ بعثَهُ بكتابه إِلىٰ كِسرىٰ ، فمزَّقَهُ .

ودِحْيَةُ بنُ خليفَةَ الكَلْبيُّ ؛ بعثَهُ بكتابه إِلىٰ قيصَرَ ، فوجدَ عندَهُ أَبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ .

وفي « الصَّحيحين » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ بكتابه إِلىٰ كِسرىٰ ، فأَمرَهُ أَنْ يدفعَهُ إِلىٰ عظيمِ

---

(١) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٧٣٢٣) .

(٢) لم يذكُرِ المؤلِّفُ ـ رحمهُ اللهُ ـ هنا إلاّ رسولَين من رُسُل النَّبيِّ ﷺ إِلىٰ الملوك . **قلتُ** : بعثَ رسول الله ﷺ رُسُلاً من أَصحابه ، وكتب معهم كُتُباً إِلىٰ الملوك يدعوهم إِلىٰ الإِسلام . فبعثَ دِحْيَةَ بنَ خَليفةَ الكَلْبيَّ إِلىٰ قيصرَ مَلِكِ الرّوم ، وبعثَ عبد اللهِ بنَ حُذافَةَ السَّهْميَّ إِلىٰ كسرىٰ مَلِكِ فارسٍ ، وبعثَ عَمْرَو بنَ أُميَّةَ الضَّمْريَّ إِلىٰ النَّجاشيِّ مَلِكِ الحبشة ، وبعثَ حاطِبَ بنَ أَبي بَلْتَعَةَ إِلىٰ المُقَوْقسِ مَلِكِ الإِسكندريَّة ، وبعثَ عَمْرَو بنَ العاصِ السَّهْميَّ إِلى جَيْفَرٍ وعياذٍ ٱبنَي الجُلَنْدىٰ الأَزديَّيْن مَلِكَيْ عُمانَ ، وبعثَ سَليطَ بنَ عَمْرٍو إِلىٰ ثُمامَةَ بنِ أُثالَ وهَوْذَةَ بنِ عليٍّ الحَنَفيَّيْنِ مَلِكي اليمامَةِ ، وبعثَ العلاءَ بنَ الحضرميِّ إِلىٰ المُنذر بنِ ساوىٰ العَبْديِّ مَلِكِ البحرين ، وبعثَ شُجاعَ بنَ وَهْبٍ الأَسديَّ إِلىٰ الحارثِ بنِ أَبي شِمْرٍ الغسّانيِّ مَلِكِ تُخوم الشّام .

البحرينِ[١] ، فدفَعَهُ عظيمُ البحرينِ إلىٰ كِسرىٰ ، فلمّا قرأَهُ مزَّقَهُ .

قال ٱبنُ المُسيَّب : فدعا عليهِمُ النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُمَزَّقوا كُلَّ مُمَزَّقٍ[٢] .

بعثُ دحيةَ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ قيصرَ مَلِكِ الرّوم

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن ٱبنِ عبّاسٍ أَيضاً رضيَ اللهُ عنهُما أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كتبَ إلىٰ قيصَرَ يدعوهُ إلىٰ الإسلامِ ، وبعثَ بكتابه إليه معَ دِحْيَةَ الكَلْبيِّ ، وأَمرَهُ أَنْ يدفعَهُ إلىٰ عظيمِ بُصرىٰ ليدفَعَهُ إلى قيصَرَ ، وهوَ بـ (إِيْلياءَ)[٣] ، فلمّا جاءَ قيصَرَ كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ قالَ حينَ قرأَهُ : ٱلتمسوا لي ها هُنا أَحداً مِنْ قومِهِ لأَسأَلَهُم عنهُ .

قالَ ٱبنُ عبّاسٍ : فأَخبرني أَبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ أَنَّهُ كانَ بـ (الشّام) في رجالٍ مِنْ قُريشٍ قَدِموا تُجاراً في المُدَّةِ الَّتي كانت بينَ رسولِ اللهِ ﷺ وبينَ كفّار قُريشٍ ، قالَ أَبو سُفيانَ : فوجَدَنا رسولُ قيصَرَ ببعض (الشّام) ، فٱنطُلِقَ بي وبأَصحابي ، حتّىٰ قَدِمْنا (إِيْلياءَ) ، فأُدخِلْنا عليه ، فإِذا هوَ جالسٌ في مجلس مُلكِهِ ، وعليه التّاجُ ، وإِذا حولَهُ عظماءُ الرّومِ .

فقالَ لِتَرْجُمانِـهِ : سَلْهُمْ : أَيُّهُم أَقربُ نسباً إِلىٰ هٰذا الرَّجُلِ الَّذي يزعُمُ أَنَّهُ نبيٌّ ؟

قالَ أَبو سُفيانَ : فقلتُ : أَنا أَقرَبُهُم إِليه نسباً ، وليسَ في الرَّكب يومئذٍ أَحدٌ مِنْ بني عبد مَنافٍ غيري .

[ق١٧٤] قالَ قيصَرُ : ٱدْنوهُ منّي ، وأَمر بأَصحابي[٤] فجُعِلوا / خلفَ ظهرِي .

---

(١) هوَ : المنذر بن ساوىٰ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٨١) .

(٣) اسم مدينة ببيت المقدس .

(٤) أَي : أَصحابَ أَبي سُفيان .

ثمَّ قالَ لِتَرْجُمانِـهِ : قُلْ لأَصحابه : إِنّي سائِلٌ هٰذا الرَّجلَ حديثاً ، فإِنْ كَذَبَ فكذِّبوهُ في وجهِهِ .

ثمَّ قالَ لِتَرْجُمانِـهِ : قُلْ لَهُ كيفَ نَسَبُ هٰذا الرَّجل فيكُم ؟ ، قلتُ : هوَ فينا ذو نَسَبٍ .

قالَ : فهلْ قالَ هٰذا القولَ أَحدٌ منكُم قبلَهُ ؟ ، قلتُ : لا .

قالَ : فهلْ كُنتُم تتَّهِمونَهُ بالكذب قبلَ أَنْ يقولَ ما قالَ ؟ ، قلتُ : لا .

قالَ : فهلْ كانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ ، قلتُ : لا .

قالَ : فأَشرافُ النّاسِ ٱتَّبعوهُ أَم ضُعَفاؤُهُم ؟ ، قلتُ : بل ضُعَفاؤُهُم .

قالَ : فيزيدونَ أَم ينقُصونَ ؟ ، قلتُ : بل يزيدونَ .

قالَ : فهلْ يرتدُّ أَحدٌ سَخْطَةً لدينه بعدَ أَنْ يدخُلَ فيه ؟ ، قلتُ : لا .

قالَ : فهل يَغْدُرُ ؟ ، قلتُ : لا ، ونحنُ الآنَ في مُدَّةٍ لا ندري ما يصنعُ . قالَ أَبو سفيانَ : ولم يُمْكِنّي كلمةٌ أُدْخِلُ فيها شيئاً أَنتقِصُهُ به لا أخاف أَنْ تُؤْثَرَ عنّي غيرُها .

قالَ : فهلْ قاتَلْتُموهُ ؟ ، قلتُ : نعم .

قالَ : فكيفَ كانَ حربُهُ وحربُكُم ؟ . قلتُ : كانَ دُوَلاً وسِجالاً[1] ، يُدالُ علينا مرّةً ونُدالُ عليه أُخرىٰ .

قالَ : فماذا يأمُرُكُم ؟ ، قلتُ : يأمُرُنا أَنْ نعبُدَ اللهَ وحدَهُ لا نُشرِكُ

---

(١) تناوب النَّصر والهزيمة .

به شيئاً ، وينهانا عمّا كانَ يعبُدَ آباؤُنا ، ويأمُرُنا بالصَّلاةِ والصَّدقةِ والعَفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأَداءِ الأَمانةِ .

فقالَ لِتَرْجُمانِـهِ : قُلْ لَهُ : إنّي سألتُكَ عن نسبه فيكُم ؛ فزعمتَ أَنَّهُ فيكُم ذو نَسَبٍ ، وكذٰلكَ الرُّسُلُ تُبعَثُ في نَسَبِ قومِها .

وسألتُكَ : هلْ قالَ أَحدٌ منكُم هٰذا القولَ قبلَهُ ؛ فزعمتَ أنْ لا ، فقلتُ : لو كانَ أَحدٌ منكُم قالَ هٰذا القولَ قبلَهُ ، قلتُ : رجلٌ يأتَمُّ ـ أَي : يَقتدي ـ بقولٍ قد قيلَ قبلَهُ .

وسألتُكَ : هلْ كنتُم تتَّهمونَهُ بالكذب قبلَ أَنْ يقولَ ما قالَ ؛ فزعمتَ أَنْ لا ، فعرفتُ أَنَّهُ لم يكُن ليَدَعَ الكذبَ علىٰ النّاسِ ويكذِبَ علىٰ اللهِ .

وسألتُكَ : هلْ كانَ مِنْ أَبائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؛ فزعمتَ أَنْ لا ، فقلتُ : لو كانَ مِنْ آبائِهِ مِنْ مَلِكٌ ، قلتُ : رجلٌ يطلُبُ مُلْكَ آبائه .

وسألتُكَ : أَشرافُ النّاسِ ٱتَّبعوهُ أَم ضُعَفاؤُهُم ؛ فزعمتَ أَنَّ ضُعَفاءَهُم ٱتَّبعوهُ ، وهُم أَتْباعُ الرُّسُل .

وسألتُكَ : هلْ يزيدونَ أَو ينقُصونَ ؛ فزعمتَ / أَنَّهُم يزيدونَ ، وكذلكَ [أَمرُ] الإِيمان حتّىٰ يَتِمَّ . [ق١٧٥]

وسألتُكَ : هلْ يرتدُّ أَحدٌ منهُم سَخْطَةً لدينه بعدَ أَنْ يدخُلَ فيه ؛ فزعمتَ أَنْ لا ، فكذٰلكَ الإِيمانُ حينَ تُخالِطُ بشاشتُهُ القلوبَ لا يسخَطُهُ أَحدٌ .

وسألتُكَ : هلْ يَغْدُرُ ؛ فزعمتَ أَنْ لا ، وكذٰلكَ الرُّسُلُ لا يغدِرونَ .

وسألتُكَ : هلْ قاتلْتُموهُ وقاتلَكُم ؛ فزعمتَ أَنْ قد فعلَ ، وأَنَّ

حربَهُ وحربَكُم يكونُ سِجالاً ودُوَلاً ، يُدالُ عليكُم المرَّةَ ، وتُدالونَ عليه الأُخرىٰ ، وكذٰلكَ الرُّسُلُ تُبْتَلىٰ ، ثمَّ تكونُ لها العاقبةُ .

وسألتُكَ : بماذا يأْمُرُكُم ؛ فزعمتَ أَنَّهُ يأْمُرُكُم أَنْ تعبدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئاً ، وينهاكُم عمّا كانَ يعبُدُ أباؤُكُم ، ويأْمُرُكُم بالصَّلاةِ والصَّدقةِ والعَفافِ والوفاءِ بالعهدِ وأَداءِ الأَمانةِ ، وهٰذه صفةُ نبيٍّ .

وقد كُنتُ أَعلمُ أَنَّهُ خارِجٌ ، ولٰكن لم أَظنَّ أَنَّهُ منكُم ، وإِن يَكُ ما قلتَ حقّاً فيوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ موضعَ قدمَيَّ هاتينِ ، ولو أَرجو أَنّي أَخلُصُ إِليه لتكلَّفتُ لُقِيَّهُ ، ولو كنتُ عندَه لغسَلْتُ قدميه .

ثمّ دعا بكتابِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقرأَهُ فإِذا فيه : بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ ، مِنْ مُحمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِهِ إِلىٰ هِرقْلَ عظيمِ الرّومِ ، سَلامٌ على مَنِ ٱتَّبعَ الهُدىٰ ، أَمّا بعدُ : فإِنّي أَدْعوكَ بدعاية الإِسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجرَكَ مرَّتين ، فإِنْ تولَّيتَ فإِنَّ عليكَ إِثمَ الأَريسيّينَ ـ أَي : الرّعايا ـ : وَ ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٦٤] .

قالَ أَبو سُفيانَ : فلمّا ٱنقضتْ مقالتَهُ ، عَلَتْ أَصواتُ الَّذين حولَهُ مِنْ عُظماءِ الرّومِ ، وكَثُرَ لَغَطُهُم ، فلا أَدري ماذا قالوا ، وأُمِرَ بنا فأُخرِجنا .

قالَ أَبو سُفيانَ : واللهِ ، ما زِلْتُ ذليلاً مُستيقناً أَنَّ / أَمرَهُ [ق١٧٦] سيظهَرُ ، حتّىٰ أَدخَلَ اللهُ الإِسلامَ في قلبي وأَنا كارِهٌ[١] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٨٢) . ومسلم (١٧٧٣/ ٧٤) .

وزادَ في روايةٍ : أَنَّ هِرَقْلَ جمعَ عُظماءَ الرّومِ في دَسْكَرَةٍ[1] ، وأَمرَ بإغلاق أَبوابها ، وأَشرفَ عليهم ، وقالَ : يا معشَرَ الرّومِ ، هلْ لكُم في الفَلاحِ والرُّشْدِ ، وأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُم إِلىٰ الأَبد ؟ أَنْ تُبايعوا لهٰذا النَّبيِّ ، فنفروا نفرةً شديدةً إِلىٰ الأَبواب ، فوجدوها قد غُلِّقَتْ ، فلمّا رآىٰ هِرَقْلُ نَفْرَتَهُم ، وأَيِسَ مِنْ إيمانِهِم ، قالَ : رُدُّوهُم عليَّ ، وقالَ : إِنّي قلتُ مَقالَتي تِلكَ أَختبرُ بها شِدَّتكُم علىٰ دينِكُم ، وقد رأيتُ ، فسجَدوا لَهُ ، ورَضوا عنهُ[2] .

فَائِدَةٌ

في أَنَّ حبَّ الرِّئاسة هو الّذي أَضلَّ هِرَقلَ

لا تخفىٰ حُسْنُ سياسة هِرَقْلَ . وقوّة إِدراكِهِ ، وثقوب فَهْمِهِ ، بما ٱستدلَّ به علىٰ صحَّة نبوَّةِ مُحمّدٍ ﷺ وَصِدْقِهِ ، مِنَ البراهين الإِقناعيَّة لو ساعدَهُ التَّوفيقُ ، ولٰكن غلبَ عليه حبُّ الرِّئاسة ، وهوَ الدّاءُ العضالُ الَّذي غلبَ علىٰ إِبليسَ فأَبىٰ وٱستكبرَ ، معَ سبق الشَّقاوة ، ولو وفَّقَهُ اللهُ للهداية كما وفَّقَ النَّجاشيَّ ، لتلطَّف لقومه في ظاهرِهِ ، وآمَنَ بقلبه ، وأَحسنَ إِلىٰ المُسلمين بيدِهِ ولسانِهِ ، فجمعَ بينَ مُلْكِ الدُّنيا والآخرة ، ولٰكنَّهُ ممَّن أَضلَّهُ اللهُ علىٰ عِلْمٍ ، وكانَ منهُ ما سيأتي قريباً ؛ مِنْ خروجه في مُحاربة اللهِ ورسولِهِ في قتالِ جعفرٍ وأَصحابه بغزوة (مُؤْتَة) ، فأَكرمَهُمُ اللهُ تعالىٰ بالشَّهادة علىٰ يديه ، وأَشقاهُ . والعياذُ باللهِ تعالىٰ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾

[سورة آل عِمران ٣/ ٨] .

---

(١) الدَّسكرةُ : بناءٌ كالقصر ، حولَهُ بيوتٌ للأَعاجم ، فيها الشَّراب والملاهي .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧) .

غزوةُ خَيْبَر

وفي أَوَّلِ السَّنةِ السّادسةِ[1] في المُحرَّمِ : ٱفتتحَ النَّبيُّ ﷺ (خَيْبَرَ) ، وهوَ ٱسمٌ جامعٌ لِحُصونٍ وقرىً ؛ بينها وبينَ (المدينة) ثلاثُ مراحِلَ .

سببُها

لِما سبقَ أَنَّ حُيَيَّ بنَ أَخْطَبَ لَحِقَ بها ، وحزَّبَ قُريشاً والأَحزابَ .

الإغارةُ علىٰ خيبرَ وبشارةُ النَّبيِّ ﷺ بفتحها

فسارَ إليهمُ النَّبيُّ ﷺ ، فلمّا نزلَ بساحتِهم قالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ ـ أَي : أَهلُها ـ إنّا إِذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَومٍ فَساءَ صَباحُ / المُنْذَرينَ » ، قالَها ثلاثاً[2] . [ق١٧٧]

افتتاحُ حُصونها

ثمَّ أَقبلَ علىٰ حُصونِها ، يقاتِلُها ويفتَتِحُها حِصْناً حِصْناً ، حتّىٰ ٱنتهىٰ إِلىٰ حِصْنٍ لَهُم يُسمّىٰ السُّلالِمَ ، وكانَ أَعظمَها وأَوسعَها أَموالاً ، فحاصرَهُم بضعَ عشرةَ ليلةً ، وٱشتدَّ الحصارُ عليه والقتالُ .

وكانَ النَّبيُّ ﷺ قد أَخذتْهُ شقيقةٌ[3] ، فلم يخرُج إِلىٰ النّاسِ ، فأَخذَ الرّايةَ أَبو بكرٍ فقاتَلَ قِتالاً شديداً ، ثمَّ رجَعَ ولم يُفتح عليه ، ثمَّ أَخذها عُمَرُ فقاتلَ قِتالاً شديداً ، ثمَّ رجَعَ ولم يُفتح عليه .

شأنُ عليّ رضيَ اللهُ عنهُ

وكانَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ قد تخلَّفَ بـ (المدينةِ) لرمَدٍ كانَ بعينَيْهِ ، ثمَّ لَحِقَ بالمسلمينَ ، فلمّا كانَ مساءُ اللَّيلةِ الَّتي فتحَ اللهُ في صباحِها الحِصنَ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ : « لأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلىٰ يَدَيهِ ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسولُهُ »[4] .

---

(١) قلتُ : أَرجحُ الأَقوال أَنَّها كانت في صفر سنة سبع . واللهُ أَعلمُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) الشَّقيقةُ : نوعٌ من صداعٍ يعرِضُ في مقدَّم الرّأس وإِلىٰ أَحد جانبيه . [النِّهاية ، ج٢/ ٤٩٢ . (أَنصاريّ)] .

(٤) أَخرجه البُخَاريُّ ، برقم (٢٧٨٣) . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

فباتَ النّاسُ ليلتَهُم يخوضونَ أيُّهُمْ يُعْطاها .

قالَ عُمَرُ : ما أَحببْتُ الإمارَةَ إلاّ يومئذٍ[1] .

علي رضيَ الله عنه وباب الحصن

فلمّا أصبحوا غدَوْا علىٰ النَّبيِّ ﷺ ، وكُلُّهُم يرجو أَن يُعْطاها ، فقالَ : « أينَ عَليُّ بنُ أَبي طالِبٍ ؟ » ، قالَ الرّاوي : فإذا نحنُ بعليٍّ قد أَقبلَ وما كُنّا نرجوهُ ، فقالوا : ها هوَ يشتكي عينَيْهِ ، فدعاهُ وبصقَ في عينَيْهِ ، فَبرأَ لوقتِهِ ، حتّىٰ كأَنْ لم يكُنْ به وجَعٌ ، ثمَّ أَعطاهُ الرّايةَ[2] ، فتقدَّمَ إلىٰ الحِصْنِ ، فأَشرفَ عليه رجُلٌ مِنَ اليهودِ ، فقالَ : مَنْ أَنتَ ؟ ، قالَ : أَنا عليٌّ ، قالَ : عَلَوْتُمُ الآنَ وربِّ موسىٰ وهارونَ ، فبرزَ لَهُ رئيسُهُم مَرْحَبُ ، فضربَ تُرْسَ عليٍّ فطرحَهُ ، فتناولَ عليٌّ باباً كانَ عندَ الحِصْنِ فتترَّسَ به ، ثمَّ ضربَ رأسَ مَرْحَبٍ فقتلَهُ ، ثمَّ كانَ الفتحُ علىٰ يديه ، ولم يزلِ البابُ بيد عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ أَنِ ٱنقضىٰ القتالُ ، ثمَّ طرحَهُ[3] .

قال أَبو رافعٍ [مولىٰ رسولِ اللهِ ﷺ] : فلقد رَأَيْتُني ثامنَ ثمانيةٍ نجهَدُ أَنْ نقلِبَ ذٰلكَ البابَ فلم نقلِبْهُ .

مصالحة النبي ﷺ أهل خيبر

فلمّا أَيقنَ أَهلُ الحِصْنِ بالهَلَكَةِ ، ٱستسلَموا ، وسأَلوا مِنَ النَّبيِّ ﷺ أَنْ يحقِنَ دماءَهُم ، ففعلَ .

[ق١٧٨] وسمِعَ بهم أَهلُ (فَدَكٍ) / فأَرسلوا إليه يطلبونَ منهُ ذٰلكَ ، ففعلَهُ لَهُم .

فكانَتْ (خيبرُ) غنيمةً و (فَدَكٌ) فيئاً خالصةً للنَّبيِّ ﷺ ، مِمّا لم يُوجِفِ المسلمونَ عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٤٠٦/ ٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) . ومسلم (٢٤٠٧/ ٣٥) .

(٣) الخبر في دلائل النُّبوَّة ، ج٤/ ٢٠٩ . وعيون الأثر ، ج٢/ ١٣٥ .

ثمَّ قَسَمَ رسولُ اللهِ ﷺ بينَ المُسلمينَ ، وكانوا مئةَ فارسٍ وأربعَ عشرةَ مئةَ راجلٍ ، فجعلَ للفارس ثلاثةَ أسهُمٍ ؛ سَهْماً لَهُ وسهمَينِ لفرسِهِ .

قسمة غنائم خيبر

ولم يَغِبْ أحدٌ مِنْ أَهلِ (الحُدَيبيةِ) عن (خَيْبَرَ) إلاّ جابرُ بنُ عبد اللهِ ، فأَسهَمَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ .

وقَدِمَ عليه جعفرٌ في مُهاجِرَة (الحَبشةِ) بعدَ الوقعَةِ ، وقبلَ القِسمَةِ ، فأَسهَمَ لَهُمُ النَّبيُّ ﷺ .

قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وفرحُ النبي ﷺ به

ولمّا أَقبلَ جعفرٌ ، قامَ النَّبيُّ ﷺ فقبَّلَ بينَ عينَيْهِ وٱعتنَقَهُ ، وقالَ : « ما أَدري بأَيِّهِما أُسَرُّ : بِفَتْحِ (خَيْبَرَ) أَمْ بِقُدومِ جَعْفَرٍ ؟ »(١) .

وحدثَ للمُسلمينَ مِنْ فتحِ (خَيْبَرَ) الرَّخاءُ العظيمُ ، وكانَتْ معَ المُهاجرينَ منائِحُ(٢) مِنَ الأنصارِ ، فردّوها عليهم .

رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم

قالَ ٱبن عُمَرَ : ما شَبِعنا مِنَ التَّمرِ حتّىٰ فَتَحْنا (خيبرَ)(٣)

وعاملَ النَّبيُّ ﷺ يهودَ (خَيْبَرَ) علىٰ أَن يَعْمَلوها ، ويَكْفوا المُسلمينَ مَؤُونتَها ما داموا مَشغولينَ بالجهاد ، ولَهُم نِصْفُ ما يخرُجُ منها مِنَ الثِّمار .

مصالحة النبي ﷺ أهل خيبر على النصف من أموالهم

وأَهْدَتِ ٱمرأةٌ مِنَ اليهودِ(٤) للنَّبيِّ ﷺ شاةً مشويَّةً مَسمومةً ، وطعاماً مَسموماً ، وأَكثَرَتْ مِنَ السُّمِّ في الذِّراع ، لِما بَلَغَها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يُعْجِبُهُ الذِّراعُ ، فلمّا أَكلوا منها ، ورفَعَ النَّبيُّ ﷺ الذِّراعَ

خبرُ الشاة المسمومة

---

(١) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٧/ ١٠١ .

(٢) المنائحُ : (جمع مِنْحَةٍ) ؛ وهيَ أَن يعطيَهُ ناقةً أَو شاةً ، ينتفعُ بلبنها ويعيدُها . وكذٰلك إِذا أَعطاهُ لينتفع بِوَبَرِها وصوفها زماناً ثمَّ يردُّها . [النِّهاية ، ج٤/ ٣٦٤ . (أَنصاريّ)] .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٠٠) .

(٤) وهيَ : زينبُ بنت الحارث ، امرأَةُ سلاّم بن مِشْكَمٍ ، وٱبنة أَخي مَرْحَبٍ .

وأَخذَ منها لُقمَةً في فَمِهِ ولم يبتلِعها ، قالَ : « إِنَّ هٰذا العَظْمَ ليُخْبِرُني أَنَّهُ مَسْمومٌ » ، ولم يبتلِع أَحدٌ مِنَ القومِ لُقمَةً إلاّ بِشْرُ بنُ البَراءِ ، ثمَّ دعا بالمرأة فٱعترفَتْ ، فقالَ : « ماحَمَلَكِ عَلىٰ ذٰلكَ ؟ » ، قالَتْ : إِنَّكَ بَلَغْتَ مِنْ قومي ما لا يَخْفىٰ عليكَ ، فقلتُ : إنْ كانَ مَلِكاً أَرَحْتُ النّاسَ منهُ ، وإِنْ كانَ نبيّاً لَمْ يَضُرَّهُ ، فقالَ للقوم : « كُلوا بٱسمِ اللهِ » ، وتجاوَزَ عنها ، فأَكلوا ، ولم يَضُرَّهُم شيءٌ ، إلاَّ بِشْرٌ فماتَ مِنْ لُقمَتِهِ/ الأُولىٰ ، فلمّا ماتَ قُتِلَتْ به قصاصاً[1] . [ق١٧٩]

قالَ أَنسٌ : فما زِلْتُ أَعرِفُ السُّمَّ في لَهَواتِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ أَكلَةِ (خَيْبَرَ)[2] .

زواج النبي ﷺ بصفية بنت حيي رضي الله عنها

وٱصطفىٰ ﷺ مِنْ سبايا (خَيْبَرَ) أُمَّ المُؤمنينَ صَفيَّةَ بنتَ حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ رضيَ اللهُ عنها .

وكانَتْ يومَ فَتْحِ (خَيْبَرَ) عَروساً علىٰ ٱبنِ عمِّها ، فرأت أَنَّ القمرَ وقعَ في حِجْرِها ، وقصَّت رؤياها علىٰ زوجها ، فلَطَمَها علىٰ وجنتِها لطمةً خَضِرَتْ منها عيْنُها، وقالَ: ماهٰذا إلاّ أَنَّكِ تَتَمَنَّيْنَ مُحمَّداً مَلِكَ العرب ، فقُتِلَ أَبوها وزوجها يومئذٍ ، وأُتيَ بها إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ وبها أَثرُ اللَّطْمَةِ ، فٱستبرأها حَيضةً ، وحلَّتْ لَهُ علىٰ مرجعِهِ إِلىٰ (المدينةِ) في أَثناءِ الطَّريق، فدخَلَ بها، وأَوْلَمَ عليها، وأَردَفَها خلفَهُ علىٰ البعير، وكانَ ﷺ يضعُ ركبَتَهُ لَها إِذا أَرادت أَنْ تركَبَ، فتضَعُ رجلها علىٰ رُكبته ثمَّ تركبُ. ودخلَ (المدينةَ) وهوَ مُرْدِفُها خلفَهُ.

قال ٱبن عُمَرَ : وما زالَ يعتذِرُ إِليها مِنْ قتلِ أَبيها ، ليُذهِبَ ما في نفسِها رضيَ اللهُ عنها .

---

(١) الخبر في «المستدرك » ، للحاكم ، ج٣/ ٢١٩ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٤٧٤) .

فَائِدَةٌ

في أُحدٍ وعَيْرٍ

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ لَمّا قَدِمَ (المدينةَ) راجعاً مِنْ (خيبرَ) وبدا لَهُ (أُحُدٌ) ، قالَ : « هٰذا جبَلٌ يُحِبُّنا وَنُحِبُّهُ »[1] . زادَ بعضُهُم : « وعَيْرٌ جَبلٌ يُبْغِضُنا وَنُبْغِضُهُ » .

قَالَ المُحَقِّقُونَ : لا مانعَ مِنْ إسنادِ الحُبِّ الحقيقيِّ إلىٰ الجبلِ ، كما سخَّر اللهُ الجبالَ لداودَ يُسبِّحْنَ ، وردّوا علىٰ مَنْ فسَّرَهُ بأَنَّ المُرادَ : هٰذا جبلُ قومٍ يُحِبّونَنا ونُحِبُّهُم بقولِهِ : « وَعَيْرٌ جَبَلٌ يُبْغِضُنا وَنُبْغِضُهُ » ، وهوَ مِنْ جبال (المدينةِ) أَيضاً مقابِلٌ لأُحُدٍ وما بينَهُما حَرَمٌ . واللهُ أَعلمُ .

عُمْرَةُ القضاءِ

وفي ذي القَعدةِ مِنْ هٰذه السَّنة ـ [أَي : السّابعةِ] ـ : ٱعتمرَ النَّبيُّ ﷺ عُمْرَةَ القضاءِ ، وأَقامَ بـ (مكَّةَ) ثلاثاً .

زواجُ النَّبيِّ ﷺ من ميمونةَ بنت الحارثِ رضيَ اللهُ عنها

ثمَّ رجَعَ فدخلَ بميمونةَ بنتِ الحارثِ الهلاليَّة رضيَ اللهُ عنها ، عندَ مُنصرَفَهُ مِنْ (مكَّةَ) بـ (سَرِفَ) ، وهوَ مكانٌ بينَ (التَّنعيم ومرِّ الظَّهران) ، وبه ماتَتْ رضيَ اللهُ عنها ، فقبرُها هُناكَ / .

[ق١٨٠]

وفي « الصَّحيحين » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : تزوَّجَ النَّبيُّ ﷺ ميمونةَ في عُمْرَةِ القضاءِ ، وهوَ مُحْرِمٌ ، وبنىٰ بها وهوَ حَلالٌ بـ (سَرِفَ) ، وماتَتْ بـ(سَرِفَ)[2] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٣٢) . ومُسلم برقم (١٣٦٥/ ٤٦٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠١١) . ومُسلم برقم (١٤١٠/ ٤٦) .

وفدُ عبدِ القَيسِ

وفي السَّنة السّابعة في رجبٍ منها : قَدِمَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ مِنَ (البحرين) وَفْدُ عبد القَيس [1] ، ورئيسُهُمُ الأَشَجُّ ، فلمّا دخلوا عليه ، قالَ : « مَرْحَباً بِالقَوْمِ ، غيرَ خَزايا ولا ندامىٰ » [2] ، وأَمرَهُم ونهاهُم ، ثمَّ قالَ للأَشَجِّ : « إنَّ فيكَ خَصْلَتَينِ يُحِبُّهُما اللهُ : الحِلْمُ وَالأَناةُ » [3] .

بناءُ المنبرِ وحنينُ الجذعِ

وفيها ـ [أَي : السَّنة السّابعة] [4] ـ : اِتَّخذَ النَّبيُّ ﷺ المِنبرَ ، وكانَ قبلَهُ إِذا خَطَبَ يستندُ إِلىٰ جِذْعِ نخلَةٍ ، فلمّا عَدَلَ عن الجِذْعِ إِلىٰ المِنبر سمعوا للجِذْعِ صوتاً كصوت العِشار [5] ، فٱرتجَّ المسجدُ

---

(١) **قلتُ** : إنَّ الَّذي تبيَّن لي أَنَّهُ كان لعبدِ القيس وِفادَتان ؛ إحداهُما : قبلَ الفتح ، وكانَ ذٰلكَ سنة خمسٍ . وثانيتُهما : كانت في سنة الوفود ، سنة تسع . (انظر « فتح الباري » ، ج٨/ ٨٥) .

(٢) أَخرجَه البُخاريُّ ، برقم (٤١١٠) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧/ ٢٥) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما . **الأَناةُ** : التَّثبُّتُ وترك العجلة .

(٤) **قلتُ** : جزمَ ٱبن سعدٍ بأَنَّ ذٰلكَ كانَ في السَّنة السّابعة ، وفيه نظرٌ لذكر العبّاس وتميم فيه ؛ وكانَ قدومُ العبّاس بعد الفتح في آخر سنة ثمانٍ ، وقدوم تميم سنة تسعٍ . وجزم ٱبن النَّجّار بأَنَّ عملَهُ كان سنةَ ثمانٍ . وفيه نظرٌ أَيضاً لِما وردَ في حديث الإِفك في « الصَّحيحين » ، عن عائشة ، قالت : « فثارَ الحيّان الأَوسُ والخزرجُ حتّىٰ كادوا أَنْ يَقْتَتِلوا ورسولُ اللهِ ﷺ علىٰ المنبر ، فنزلَ فخفضهم حتّىٰ سكتوا » ، فإِن حُمِلَ علىٰ التَّجوُّزِ في ذكر المنبر وإِلاّ فهو أَصحُّ ممّا مضىٰ . وحكىٰ بعضُ أَهلِ السِّير أَنَّهُ ﷺ كان يخطبُ علىٰ منبرٍ من طينٍ قبلَ أَن يتَّخذ المنبر الَّذي من خشبٍ ، ويُعكِّرُ عليه أَنَّ في الأَحاديث الصَّحيحة أَنَّهُ كان يستندُ إِلىٰ الجِذْعِ إِذا خطب . (أُنظر « فتح الباري » ، ج٢/ ٣٩٩) .

(٥) **العِشارُ** : النّاقةُ الحامِلُ الَّتي مضت لها عشرةُ أَشهرٍ ، ولا يزالُ ذٰلك ٱسمُها إِلىٰ أَن تَلِدَ .

لِخُوارِهِ ، وكَثُرَ بكاءُ النّاس حتّىٰ وضعَ النَّبيُّ ﷺ يدَهُ عليه فسَكَتَ ، وقالَ : « إِنَّ هٰذا بكىٰ لِما فقدَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَالَّذي نَفْسي بيَدِهِ ، لَو لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمْ يَزَلْ هٰكذا إِلىٰ يَوْمِ القيامَةِ » . ثمَّ أمرَ به فدُفِنَ تحتَ المِنبرِ[1] .

غزوةُ مؤتَةَ

وفيها - [أَي : السَّنةِ الثّامنةِ] - في جُمادىٰ الأُولىٰ منها : كانَتْ غزوةُ (مُؤْتَةَ) - بضمِّ الميم مهموزاً وبفوقيَّةٍ - وهيَ قريةٌ مِنْ قُرىٰ (البلقاء بالشّام) دونَ (دمشقَ) ، ٱنتهَتْ غزوَتُهُم إِليها ، وأَكرمَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيها زيداً وجعفراً وٱبنَ رَواحَةَ بالشَّهادة .

وكانَ مِنْ خبرِها أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بعثَ جيشاً ، وهُم ثلاثةُ آلافٍ ، وأَمَّرَ عليهِم زيدَ بنَ حارِثَةَ ، وقالَ : « إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رواحَةَ »[2] .

عِدَّةُ العدوِّ، وتشاور المُسلمينَ

فساروا إِلىٰ (الشّام) فلقيَهُم هِرَقْلُ في مِئَتي أَلْفٍ ، فتشاوَرَ المُسلمونَ في أَنْ يُراجعوا رسولَ اللهِ ﷺ فيَمُدَّهُم أَو يأْمُرَهُم بأَمرِهِ ، فشجَّعَهُم عبدُ اللهِ بنُ رَواحَةَ ، وقالَ : يا قومُ ، إِنَّما هيَ إِحدىٰ الحُسنَيَيْنِ : إِمّا النَّصرُ ، وَإِمّا الشَّهادةُ ، فقالوا : صَدَقْتَ .

ٱبتداءُ القِتال وٱستشهادُ الأُمراء الثّلاثة

فمضَوْا حتّىٰ ٱلتقَوْا بـ (مُؤْتَةَ) ، فتقدَّمَ زيدٌ فقاتَلَ بالرّاية حتّىٰ قُتِلَ . فأَخذَها جَعْفَرٌ فقاتَلَ قِتالاً شَديداً ، وهوَ فارسٌ / [ق١٨١] ، فلمّا أَحاطوا به نزلَ عن فَرَسِهِ فعقَرَها ، فكانَ أَوَّلَ مَنْ عقرَ فرساً في الإِسلام ، ثمَّ قاتَلَ حتّىٰ قُطِعَتْ يمينُهُ ، فأَخذَ الرّايَةَ بشمالِهِ ، فقُطِعَتْ أَيضاً ، فٱحتضَنَ الرّايَةَ بعَضُدَيْهِ حتّىٰ قُتِلَ . فعوَّضَهُ اللهُ بهما جناحَينِ يطيرُ بهما في الجنَّة . فسُمّيَ الطّيّارَ . رواهُ التِّرمذيُّ والحاكِمُ[3] .

---

(١) أَخرجه الدّارميُّ ، برقم (٤١) . عن أَنسِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠١٣) . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج٣/ ٢٠٨ . وأَحمد في «مسنده» ، ج١/ ٢٠٤ . عن ٱبن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

وفي « البُخاريِّ » ، عن ٱبن عُمَرَ قالَ : كُنتُ فيهم ـ في تِلْكَ الغزوَةِ ـ فٱلتَمَسْنا جَعْفَراً ، فوجدناهُ ما في جَسَدِهِ بِضْعاً وتسعينَ طعنةً مِنْ ضربةٍ ورميةٍ بسهمٍ ، ليسَ منها شيءٌ في دُبُرِهِ[1] .

ثمَّ أخذَ الرّايَةَ عبدُ اللهِ بنُ رَواحَةَ فوجدَ مِنْ نفسه كراهَةً للمَوت ، فأَنشدَ شِعْراً ، [مِنَ الرَّجز][2] :

يـا نَفْـسُ إلاّ تُقْتَلـي تَمـوتـي هٰذا حِمامُ ٱلمَوْتِ قَدْ صَليتِ
وَمـا تَمَنَّيْـتِ فَقَـدْ أُعْطيْـتِ إنْ تَفْعَلـي فِعْلَهُمـا هُـديـتِ

ثمَّ قاتَلَ حتّىٰ قُتِلَ .

تولّي خالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُ قيادةَ الجيش

فأَخذَ الرّايَةَ خالدُ بنُ الوليدِ مِنْ غيرِ مَشورَةٍ ، وقاتَلَ قِتالاً شديداً ، ودافَعَ عَنِ المُسلمينَ ، حتّىٰ ٱنحازَ بهِم إلىٰ جبلٍ ، ونجّاهُمُ اللهُ . ولم يُستَشْهَد منهُم يومَئذٍ إلاّ ثمانيةٌ ، منهم الأُمراءُ الثَّلاثةُ .

نعيُ النَّبيِّ ﷺ زَيداً وجَعْفَراً وابنَ رَواحةَ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نعاهُم للنّاسِ يومَ أُصيبوا ، وصَعِدَ المِنبرَ ، فحَمِدَ اللهَ وأَثنىٰ عليه ، ثمَّ قالَ : « أَخَذَ الرّايَةَ زَيْدٌ فَأُصيبَ ، ثُمَّ أَخذَها جَعْفَرٌ فَأُصيبَ ، ثُمَّ أَخذَها ٱبنُ رَواحَةَ فَأُصيبَ » ، وعيناهُ تَذْرِفانِ . وقالَ : « ما يَسُرُّهُمْ أَنَّهُمْ عِنْدَنا » ، ثمَّ قالَ : « ثُمَّ أَخَذَ الرّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ تعالىٰ ، حتّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ »[3] أَي : فرَّجَ اللهُ عنهُم بسببه .

وفيه ـ [أَي : صحيح البُخاريِّ] ـ أَنَّ ٱبنَ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما كانَ إذا سلَّمَ علىٰ عبد الله بنِ جعفرٍ قالَ : السَّلامُ عليكَ يا ٱبنَ ذي الجَناحين[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠١٢) . **في دُبُره** : في ظهره .
(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٣٧٩ .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٢٦٤٥ـ ٤٠١٤). عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ.
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٠٦) .

وفيه ـ [أي : صحيح البُخاريِّ] ـ عن خالدِ بنِ الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لقد ٱنقطَعَتْ في يدي يومَ (مُؤْتَة) تِسعةُ أَسيافٍ ، فما بقيَ في يدي إلاّ صفيحةٌ يمانيَّةٌ وهيَ العاشرةُ[1] / . [ق١٨٢]

فَائِدَة

في تأويل الجناحين اللّذين لقِّبَ بهما جعفر

قال السُّهيليّ : (قد يتبادَرُ ـ مِنْ ذِكْرِ الجناحين ـ إلىٰ الذِّهنِ أَنَّهُما كجناحي الطّائر ، وإنَّما المُرادُ أَنَّ جعفراً أُعطيَ صفةَ المَلائِكة ، وكذا أَجنحَةُ الملائِكة ، إنَّما هيَ صفاتٌ لا تُعْلَمُ حقيقتُها)[2] . واللهُ أَعلمُ .

رثاءُ حسّان بن ثابتٍ جعفراً رضيَ اللهُ عنهُما

وممّا رَثىٰ به حسّانُ جعفراً رضيَ اللهُ عنهُما قولُهُ ، [مِنَ الكامل][3] :

وَلَقَـدْ بَكَيْـتُ وَعَـزَّ مَهْلِـكُ جَعْفَـرٍ
حِـبِّ النَّبـيِّ عَلـىٰ ٱلبَـرِيَّـةِ كُلِّهـا
وَلَقَدْ جَزِعْتُ وَقُلْتُ حِيْنَ نُعيتَ لي
مَنْ لِلجِلادِ لَدىٰ ٱلعُقابِ وَظِلِّها[4]
بِـٱلبيضِ حِيْـنَ تُسَـلُّ مِـنْ أَغْمـادِهـا
ضَـرْبـاً وَإِنهـالِ الـرِّمـاحِ وَعَلِّهـا
بَعْـدَ ٱبْـنِ فـاطِمَـةَ ٱلمُبـارَكِ جَعْفَـرٍ
خَيْـرِ ٱلبَـرِيَّـةِ كُلِّهـا وأَجَلِّهـا

فتحُ مكَّةَ

وفي رمضانَ مِنْ هٰذه السَّنةِ ـ وهيَ : الثّامنةُ ـ : كانَ فتحُ (مكَّةَ) ،

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠١٧) .
(٢) الرَّوض الأنف ، ج٧/٣٨ .
(٣) ابن هشام ، ج٣/٣٨٦ .
(٤) **العُقابُ** : اسمٌ لراية الرَّسول .

ويُسمّىٰ : فتحَ الفتوح ؛ لأنَّ العربَ كانت تنتظِرُ بإسلامها إسلامَ قُريشٍ وفتحَ (مكَّةَ) ، وتقولُ : هم أَهلُ الحَرَم ، وقد أَجارَهُمُ اللهُ تعالىٰ مِنْ أَصحابِ الفيلِ وغيرهِم ، فإِنْ سلَّطَ اللهُ عليهِم مُحمَّداً فهوَ رسولُ اللهِ حقّاً .

فلمّا فتحَ اللهُ (مكَّةَ) علىٰ يدِ رسولِ اللهِ ﷺ دخلَ النّاسُ في دينِ اللهِ أَفواجاً ، كما وعدَ اللهُ نبيَّهُ ذٰلكَ ، وجعلَ ذٰلكَ علامةَ قُرْبِ أَجلِهِ ، بقولِهِ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ إِلىٰ آخرِ السّورةِ [سورة النّصر ١١٠/١] .

سببُ الغزوَةِ

وسببُ غزوَةِ الفتحِ ٱنتقاضُ صُلْح (الحُدَيبيةِ) ، وأَنَّ خُزاعةَ كانَ بينها وبينَ بني بَكْرٍ عداوةٌ ، وكانَتْ خُزاعةُ دخلَتْ يومَ صُلح (الحُدَيبيةِ) في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وكانوا عَيْبَةَ[1] نُصْحٍ لرسولِ اللهِ ﷺ ، مُسلِمُهُم وكافرُهُم ، لأَنَّهُم كانوا في الجاهليّةِ حُلفاءَ لبني هاشمٍ ، ودخلَتْ بنو بَكْرٍ في عهد قُريشٍ ، فمكثوا علىٰ ذٰلك نحوَ ثمانيةَ عشرَ شهراً ، ثمَّ بَيَّتَتْ[2] بنو بَكْرٍ خُزاعَةَ في شعبانَ ، علىٰ ماءٍ لَهُم يسمّىٰ الوتيرُ مِنْ ناحية (عُرَنَةَ) ، وأَعانتهُم قُريشٌ مُختفينَ في سوادِ اللَّيلِ ، فقتلوا رجالاً من خُزاعةَ ، فركِبَ عَمْرُو بنُ سالِمٍ الخُزاعيُّ ثمَّ الكَعْبيُّ إِلىٰ رسولِ اللهِ / ﷺ ، فوقفَ عليه وهو في المسجدِ بينَ ظَهْراني النّاسِ ، وأَنشدَهُ ، [مِنَ الرَّجز][3] :

[ق١٨٣]

يـا رَبِّ إِنّـي نـاشِـدٌ مُحَمَّـداً حِلْـفَ أَبينـا وَأَبيـهِ ٱلأَتْلَـدا[4]

---

(١) العَيبةُ : موضع السِّرِّ . وأَراد هنا : أَن بينهم وبينَ رسول الله ﷺ مُوادَعة ومكافَّة عن الحرب ، تجريان مُجرىٰ المودَّة الَّتي تكونُ بين المُتصافين الَّذين يثِقُ بعضهُم ببعض .

(٢) بيَّتَتْ : أَوقعتْ بنو بكرٍ بخزاعة ليلاً بغتةً .

(٣) ابن هشام ، ج٣/ ٣٩٤ .

(٤) الأَتلدا : القديم .

فَٱنْصُرْ هَداكَ ٱللهُ نَصْراً أَعْتَدا وَٱدْعُ عِبادَ ٱللهِ يَأْتوا مَدَدا[1]

فيهِمْ رَسولُ ٱللهِ قَدْ تَجَرَّدا في فَيْلَقٍ كالبَحْرِ يَجري مُزْبِدا[2]

إِنَّ قُرَيشاً أَخْلَفوكَ المَوْعِدا وَنَقَضوا ميثاقَكَ المُؤَكَّدا

وَبَيَّتونا رُكَّعاً وَسُجَّدا وَزَعَموا أَنْ لَسْتُ أَدعو أَحَدا

وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدا

هُمْ بَيَّتونا بالوَتيرِ هُجَّدا

وَقَتَلونا رُكَّعاً وَسُجَّدا

فقالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ : « نُصِرْتَ يا عَمْرُو »[3] .

قدوم أبي سُفيان ليجدِّد الصُّلح

فبينما هوَ عندَهُم إذ قَدِمَ أَبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ مِنْ (مكَّةَ) يُريدُ تجديدَ العَهْدِ والزّيادةَ في مُدَّة الصُّلحِ . فأَبىٰ عليه رسولُ اللهِ ﷺ ، وردَّهُ ، فٱنصرفَ .

ولعلَّ أَبا سفيانَ لَمّا أَدخَلَ في حديث هِرَقْلَ : ونحنُ منهُ في مُدَّةٍ لا ندري ما هوَ صانعٌ ؛ عوقِبَ بإدخال الغَدْر عليه مِنْ جهته .

تهيّؤُ النَّبيِّ ﷺ للغزو وكتمانُ الأمر

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ لمّا دخلَ رمضانُ آذن النّاسَ بالجهازِ إِلىٰ (مكَّةَ) وآذن من حوله مِنَ الأَعراب ، وقالَ : « اللَّهُمَّ خُذِ العُيونَ وَالأَخبارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتّىٰ نَبْغَتَها في بِلادِها »[4] .

أَمرُ حاطِب بن أبي بَلْتَعَةَ رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « الصَّحيحين » عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : بعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أَنا والزُّبيرَ والمِقدادَ فقالَ : « اِنْطَلِقوا حَتّىٰ تَأْتوا (رَوْضَةَ خاخٍ)

---

(١) أَعتدا : حاضراً .

(٢) تجرَّدَ : شمرَّ للحرب . الفَيلقُ : الكتيبةُ العظيمةُ والعسكرُ الكثير . مزبِدٌ : جيشٌ مائجٌ كالبحر .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٩/ ٢٣٣ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في « الدّلائل » ، ج٥/ ١٢ .

ـ أَي : بمُعجمةٍ مكرَّرةٍ ـ ، فإِنَّ بِها ظَعينَةً مَعَها كِتابٌ فَخُذوهُ مِنها » ، فأَدْرَكْناها ، فَأَخَذْناهُ مِنْها ، فإذا فيه : مِنْ حاطِبِ بنِ أَبي بَلْتَعَةَ إِلىٰ ناسٍ مِنَ المُشركينَ بـ (مكَّةَ) ، يُخبِرُهُم ببعضِ أَمرِ رَسولُ اللهِ ﷺ ، فقالَ لَهُ [رسولُ اللهِ ﷺ] : « ما حَمَلَكَ علىٰ هٰذا ؟ » ، فقالَ : أَحْبَبْتُ أَنْ يكونَ لي عندَهُم يدٌ . فصَدَّقَهُ النَّبيُّ ﷺ وعذَرَهُ / رضيَ اللهُ عنه[1] . [ق١٨٤]

خروجُ النَّبيِّ ﷺ لفتحِ مكَّةَ ولقاءُهُ العبّاس في الطَّريق

وخرجَ ﷺ لعشرٍ مَضَيْنَ مِنْ رمضانَ ، فلمّا بلغَ (الجُحْفَةَ) لقيَهُ عمُّهُ العبّاسُ مُهاجراً بأَهلِهِ وبيتِهِ ـ وقد كانَ أُسِرَ يومَ (بَدْرٍ) وفادَىٰ بنفسه وأَسلَمَ ، وٱستأْذَنَ النَّبيَّ ﷺ أَن يُقيمَ بـ (مكَّةَ) علىٰ سقايته ، فأَذِنَ لَهُ ـ فرَدَّ عمَّهُ معَهُ .

إسلامُ أَبي سُفيان بن الحارث رضيَ اللهُ عنهُ

ولقيَهُ أَيضاً ٱبنُ عمِّهِ أَبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عبد المُطَّلب ، فأَسلَمَ ، وٱعتذَر إِليه ممّا كانَ جرىٰ منهُ ، فعَذَرَهُ ، وردَّهُ معَهُ .

ٱعتذارُ أَبي سُفيانَ بن الحارثِ عمّا كانَ منهُ قبلَ إِسلامِهِ

وأَنشد أَبو سُفيانَ شِعْراً ، [من الطَّويل][2] :

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٧٦٢) . ومُسلم برقم (٢٤٩٤/ ١٦١) .
قلتُ : قالَ أَبو شهبة ـ رحمَهُ اللهُ ـ : لا بدَّ من وقفةٍ هنا ؛ فما كان حاطب مُنافقاً ، ولا ضعيف الإيمان ، بتزكية الرَّسول له . ولٰكنَّ في النَّفس الإِنسانيَّة جوانبَ ضعفٍ تطغىٰ عليها في بعض الأَحيان ، وتهوي بها إِلىٰ ما لا ترضاهُ لنفسها ، وكلُّ بني آدم خطّاءٌ ، وما كان هٰذا الضَّعف الإِنسانيُّ ليخفىٰ علىٰ صاحب القلب الكبير ، والقوي الأَمين ، صاحب الخُلُق العظيم ، فلا تعجب إِذا كانَ الرَّسول صدَّقَهُ فيما قالَ ، ورحم ضعفهُ ، ونافح عنهُ ، والقوي حقّاً هوَ الَّذي يرحم الضُّعفاء ، والعظيم حقّاً هو الَّذي يلتمسُ المعاذيرَ لمن يستزلهم الشَّيطان في غفوةٍ من صدق الإِيمان ووازع الضَّمير . (السّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩) .
(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٤٠١ .

لَعَمْـرُكَ إِنّـي يَـوْمَ أَحْمِـلُ رايَـةً لِتَغْلِبَ خَيْلُ اللاّتِ خَيْلَ مُحَمَّدِ
لَكَٱلْمُدْلِجِ ٱلْحَيْرانِ أَظْلَمَ لَيْلُهُ فَهٰذا أَواني حِيْنَ أُهْدىٰ وَأَهْتَدي[1]
هَداني هادٍ غَيْرُ نَفْسي ودَلَّني عَلىٰ ٱلْحَقِّ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ
أَصُدُّ وَأَنْأىٰ جاهِداً عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُدْعىٰ وَإِنْ لَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدِ

نـزولُ النَّبـيِّ ﷺ مـرَّ الظَّهـران، وتحسُّـس قُريشٍ عليهِ

ثمَّ مضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ حتّىٰ نزلَ (مرَّ الظَّهرانِ) في عشرةِ آلافٍ ، فأدركَتِ العبّاسَ الرِّقَّةُ لقُريشٍ ، فركبَ بغلةَ النَّبيِّ ﷺ في اللَّيل بإذنِه ، رجاءَ أَنْ يُصادِفَ أحداً يبعَثُهُ إلىٰ قُريشٍ ، فيطلبوا الأَمانَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ . فلقيَ أَبا سُفيانَ بن حَرْبٍ في نفرٍ مِنْ قُريشٍ ، وقد كانوا خرجوا يتحسَّسونَ الأَخبارَ ، فرأوا نيرانَ الجيش وٱستنكروها ، حتّىٰ قالَ أَبو سُفيانَ : واللهِ لكأنَّها نيرانُ أَهلِ (عرفَةَ) ، ولا شعورَ لَهُم بمخرج النَّبيِّ ﷺ إليهم . فأَخبرَهُمُ العبّاسُ الخبرَ ، فقالَ لَهُ أَبو سُفيانَ : فما الحيلةُ ؟ قالَ : الحيلةُ أَن تَرُدَّ مَنْ معكَ لِيُخبروا أَهلَ (مكَّةَ)، وتركَبَ أَنتَ معي حتّىٰ آتيَ بكَ رسولَ اللهِ ﷺ فأَستأْمِنُهُ لكَ .

إسلامُ أَبي سُفيانَ علىٰ يد العبّاسِ رضيَ اللهُ عنهُما

فركِبَ معَهُ ورجَعَ أَصحابُهُ ، فلمّا ٱنتهىٰ به إلىٰ النَّبيِّ ﷺ قالَ للعبّاسِ : « اِذهَبْ بهِ إلىٰ رَحْلِكَ ، فإذا أَصْبَحْتَ فَأْتِني بِهِ » ، فلمّا أَصبحَ جاءَ بِهِ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : « أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يا أَبا سُفيانَ / أَنْ تُسْلِمَ؟» ، قالَ : بلىٰ ، بأَبي أَنتَ وأُمّي ، ماأَحْلَمَكَ وَأَرْحَمَكَ ، وأَسلَمَ . [ق١٨٥]

فقالَ لَهُ العبّاسُ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ أَبا سُفيانَ رجُلٌ يُحِبُّ الفَخْرَ والخُيلاءَ ، فٱجعَلْ لَهُ شيئاً ، فقالَ : « نَعَمْ ، مَنْ دَخَلَ دارَ أَبي سُفيانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»[2] .

عـرضُ جيـوشِ الـرَّسـولِ ﷺ علـىٰ أَبي سُفيانَ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ للعبّاسِ : « اِحْبِسْ

---

(١) **المُدلجُ** : الَّذي يسيرُ باللَّيل .
(٢) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٦/١٦٦ .

أَبا سُفيانَ عِنْدَ حَطْمِ الخيل[1] ، حتّىٰ ينظُرَ إِلىٰ جُنودِ اللهِ » ، فحبَسَهُ . ثمَّ سارَ النَّبيُّ ﷺ ، فجَعَلَتِ الكتائِبُ تَمُرُّ كتيبةً كتيبةً ، حتّىٰ مرَّتْ به كتيبةٌ لم يرَ مِثلها قطُّ ، فقالَ : يا عبّاسُ مَنْ هٰؤلاء ؟، فقالَ : هٰؤلاءِ الأَنصارُ عليهِم سعدُ بنُ عُبادَةَ معَهُ الرّايَةُ ، وهو يقولُ :

اليومَ يومُ المَلْحَمَةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ (الكعبةُ) .

ثمَّ جاءَتْ كتيبةٌ وهيَ أَقلُّهُم عدداً ، وأَجلُّهُم قَدْراً ، فيها المُصطفىٰ ﷺ ووزراؤُهُ مِنْ خواصِّ المُهاجرينَ ، والرّايَةُ معَ الزُّبيرِ بنِ العوّام . فقالَ أَبو سُفيانَ للنَّبيِّ ﷺ : يا رسولَ اللهِ ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلىٰ ما قالَ سعدُ بنُ عُبادَةَ ؟، قالَ : « ما قالَ ؟ » ، قالَ : قالَ :

اليومُ تُسْتَحَلُّ (الكعبةُ)

فقالَ : «كَذَبَ سَعْدٌ، وَلٰكِنْ: هٰذا يَوْمٌ تُعَظَّمُ فيهِ (الكَعْبَةُ) »[2] .

وأَمرَ ﷺ الزُّبيرَ أَنْ يُرْكِزَ رَأْيَتَهُ بـ (الحَجونِ) .

وتفرَّقَ أَهلُ (مكَّةَ) ، فمنهُم مَنْ لجأَ إِلىٰ المسجدِ ، ومنهُم مَنْ أَغلَقَ عليه دارَهُ .

دخولُ النَّبيِّ ﷺ مكَّةَ

ودخلَ ﷺ مِنْ أَعلىٰ (مكَّةَ) ، وذٰلكَ لعشرٍ بقينَ مِنْ رمضانَ المُعظَّمِ ، ولم يَعْرِضْ لَهُ قِتالٌ .

دخولُ المُسلمينَ مكَّةَ

وأَمرَ خالدَ بن الوليدِ في جمعٍ مِنَ المُهاجرينَ أَنْ يدخلوا مِنْ أَسفلها ، فعَرَضَ لَهُم عِكرمَةُ بنُ أَبي جهلٍ ، وصفوانُ بنُ أُميّةَ ، وسُهيلُ بنُ عَمْرٍو ؛ في جمعٍ مِنْ قُريشٍ ، فهزمَهُم خالدٌ ، وقتلَ منهُم ثلاثةَ عشرَ رجُلاً ، وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ عَهِدَ إِلىٰ أُمرائِهِ أَنْ لا يقتلوا إِلاّ مَنْ قاتَلَهُم .

---

(١) حطم الخيل : المكان النّاتئ منه في الطَّريق ، ليتمكَّن من رؤية الجيش كلِّه .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٣٠) .

إهدارُ النَّبيِّ ﷺ دماءَ نفرٍ مِنَ المُشركينَ

إلاّ أَنَّهُ أَمرَ بقتلِ جماعةٍ سمّاهُم[١] ، فقالَ : « اقْتُلوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُموهُمْ مُتَعَلِّقينَ بِأَسْتارِ الكَعْبَةِ »[٢] .

[ق١٨٦]

وفي « صحيح البُخاريّ » ، أَنَّ رجُلاً / أَتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقالَ : إِنَّ ٱبن خَطَلٍ مُتَعلِّقٌ بأَستارِ الكعبةِ ، فقالَ : « ٱقْتُلوهُ »[٣] . وزادَ « أَحمدُ والبيهقيُّ » : فقُتِلَ وهوَ مُتعلِّقٌ بأَستارِ الكعبةِ[٤] .

إِجارةُ أُمِّ هانىءٍ رضيَ اللهُ عنها رجلين من قريشٍ

وفي « الصَّحيحين » أَنَّ أُمَّ هانىءٍ أَجارَتْ ٱبن هُبَيْرَةَ ، فأَرادَ عليٌّ قَتْلَهُ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « قَدْ أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا أُمَّ هانىءٍ »[٥] .

قلت : وفي هٰذا دليلٌ علىٰ أَنَّ حُرْمَةَ المؤمِنِ عندَ الله ورسولِهِ أَشدُّ مِنْ حُرْمَةِ (الكعبةِ) المُعظَّمةِ .

طوافُ النَّبيِّ ﷺ بالبيتِ العَتيقِ وتطهيرُهُ المسجدَ مِنَ الأصنامِ

ثمَّ دخلَ ﷺ المسجدَ ، وهوَ راكِبٌ راحِلَتَهُ ، مُنكِّسٌ رأْسَهُ تواضعاً لله تعالىٰ ، فطافَ بالبيت سبعاً راكباً ، يستلِمُ الرُّكْنَ بمِحْجَنٍ[٦] في يدِهِ .

وكانَ حولَ البيتِ ثلاثُ مئةٍ وستّونَ صنماً ، مُثبَّتةً بالرَّصاصِ ، فجعلَ ﷺ يَطعَنُها بالمحْجَن ويقولُ : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء ١٧/ ٨١] .

---

(١) وهم : عبدُ الله بن خَطَلٍ ، ومِقْيَسُ بن صُبابَةَ ، وعبدُ الله بن سعدِ بن أَبي السَّرْح ، وعِكرمَةُ بن أَبي جهلٍ .
(٢) أَخرجه النَّسائيُّ، برقم (٣٩٩٩). عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٤٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٦/ ١٦٧ . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٠) . ومُسلم برقم (٣٣٦/ ٨٢) ، بنحوه .
(٦) **المِحْجَنُ** : العصا المعوجّة الرّأس .

فما أَشارَ إلىٰ وجهِ صَنَمٍ إلاّ وقعَ إلىٰ قَفاهُ ، ولا إلىٰ قَفاهُ إلاَّ وقعَ لوجهِهِ .

دُخولُهُ ﷺ الكعبةَ وكسرُ الأوثانِ وطمسُ الصّور

ولمّا فَرَغَ مِنْ طوافِهِ دعا بالمفتاحِ ، وكانَ بيدِ عُثمانَ بنِ طَلْحَةَ بنِ أَبي طَلْحَةَ بن شَيْبَةَ بن عبد الدّار ، وبيد ٱبن عمِّهِ شَيْبَةَ بن عُثمانَ بن أَبي طَلْحَةَ بنِ شَيْبَةَ بنِ عبدِ الدّارِ بنِ قُصيٍّ ، ففتحَ البيتَ ، ودخلَ ، وصلّىٰ فيه ركعتين ، وكبَّرَ في نواحيه ، ودعا ، وكسرَ ما فيه مِنَ الأَوثانِ ، وطَمَسَ الصّورَ ، وأَخرجَ مقامَ إبراهيمَ عليه السَّلامُ .

إعطاءُ النَّبيِّ ﷺ مِفْتاحَ الكعبةِ إلىٰ أهلِهِ

فسأَلَهُ العبّاسُ رضيَ اللهُ عنهُ أَنْ يجمعَ لَهُ سِدانَةَ البيتِ إلىٰ السِّقايةِ[1] ، فنزلَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ الآية [سورة النِّساء ٤/٥٨] .

فخرجَ وهوَ يَتْلوها ، فدعا عُثمانَ وشَيْبَةَ فأَعطاهُما المِفتاحَ ، وقالَ : « خُذوها خالِدَةً تالِدَةً ، لا يَنْزِعُها مِنْكُم إلاّ ظالِمٌ »[2] .

خُطبة النَّبيِّ ﷺ علىٰ بابِ الكعبة

ثمَّ قامَ ﷺ علىٰ بابِ (الكعبةِ) وقالَ : « لا إِلٰهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَهُ ، وَنَصرَ عَبْدَهُ ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ » .

ثمَّ قالَ : « يا مَعْشَرَ قُريشٍ ؛ ما تَرَوْنَ أَنّي فاعِلٌ بِكُمْ ؟ » ، قالوا : خيراً ، أَخٌ كريمٌ / وٱبنُ أَخٍ كريمٍ ، فقالَ : « اِذْهَبوا فَأَنْتُمُ [ق١٨٧] الطُّلَقاءُ ، [أَقولُ كما قالَ يوسُفُ] : ﴿ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [سورة يوسُف ١٢/٩٢] » .

ثمَّ قالَ : « يا مَعْشَرَ قُريشٍ ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ

---

(١) السِّدانةُ : خدمة البيت وتولّي أَمره . السِّقايةُ : سقيُ الحجيج من الزَّبيب المنبوذ في الماء .

(٢) عيون الأثر ، ج٢/١٧٨ .

الجاهليَّةِ وَتَعظُّمَها بالآباءِ ، النَّاسُ مِنْ آدمَ ، وآدمُ مِنْ تُرابٍ » ، ثمَّ تــلا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(١)

[سورة الحُجرات ٤٩/١٣] .

خُطبةُ النَّبيِّ ﷺ غَداةَ الفتحِ

وفي « صحيح البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ (مَكَّةَ) حَرَّمَها اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْها النَّاسُ ، فلا يَحِلُّ لِامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِها دَماً ، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتالِ رَسولِ اللهِ ﷺ فَقولوا لَهُ : إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِرَسولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ ، وَإِنَّما أَذِنَ لي ساعةً مِنْ نَهارٍ ، وَقَدْ عادَتْ حُرْمَتُها اليَوْمَ كَحُرْمَتِها بالأَمْسِ ، فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الغائِبَ »(٢) .

وفيها ـ [أي : السَّنة الثَّامنة] ـ : كانَتْ غزوةُ حُنَيْنٍ وأُوطاس ، ثمَّ غزوة الطائِفِ ، ووفد هوازِنَ ، وعُمرةُ الجِعْرانة ، ومولد إِبراهيم ، وكسوفُ الشَّمسِ .

غزوةُ حُنَيْنٍ

أَمّا غزوَةُ حُنَيْنٍ : فإِنَّهُ ﷺ لمّا فَرَغَ مِنَ الفتحِ بلَغَهُ أَنَّ هَوازِنَ أَقبلَتْ لحربهِ في أَربعةِ آلافٍ ، عليهم مالِكُ بنُ عَوْفٍ النَّصْريُّ ـ بمعجمةٍ ـ فأَجمعَ ﷺ علىٰ المسيرِ إِليهم ، وأَرسلَ إِلىٰ صفوانَ بنِ أُميَّةَ ليستعيرَ منهُ السِّلاحَ ، وكانَ صفوانُ لَمّا عرضَ عليه النَّبيُّ ﷺ الإِسلامَ ، قالَ : أَمهلني شهراً أَرىٰ فيه رأيي ، قالَ : « قَدْ أَمْهَلْتُكَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ » ، وكانَ عندَهُ مئةُ درعٍ ، فقالَ : أَغَصباً يا مُحمَّدُ ؟ ،

---

(١) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، ج٢/١١ . والتِّرمذيُّ ، برقم (٣٢٧٠) . عن ٱبن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٣٥) . ومُسلم برقم (١٣٥٤/٤٤٦) . عن أَبي شريح العدويّ رضيَ اللهُ عنهُ .

قالَ : « لا ، بَلْ عارِيَّةٌ مَضْمونَةٌ »[1] ، فأَعطاهُ مئةَ درعٍ معَ ما يتبعُها مِنَ السِّلاحِ .

خروجُ النَّبيِّ ﷺ مِنْ مكَّةَ إِلىٰ حُنين

ثمَّ خرجَ ﷺ بجيشِ الفتحِ وأَلفينِ مِمَّن أَسلمَ بعدَ الفتحِ ، وكانَ مدَّةُ إِقامته بـ (مكَّةَ) بعدَ الفتحِ نحوَ ثمانيةَ عشرَ يوماً ، وكانَ يَقْصُرُ فيها الصَّلاةَ .

هزيمةُ المُسلمينَ، وثباتُ النَّبيِّ ﷺ وبعض أَصحابه

فلمّا ٱنتهىٰ إِلىٰ (حُنينٍ) وهوَ وادٍ بينَ (مكَّةَ والطَّائِفِ) ، في غَلَسِ الصُّبحِ ، وجدَ المُشركينَ قد سبقوهُ إِليه ، وكَمَنوا في شِعابِهِ ، فلمّا توسَّطَ المُسلمونَ في الوادي ، / شدَّ المُشركونَ عليهم شَدَّةَ رجُلٍ واحدٍ ، فٱنشمرَ[2] المُسلمونَ راجعينَ ، لا يَلْوي منهُم أَحدٌ علىٰ أَحدٍ ، وكانَ سببُ الهزيمةِ مُسلمي الفتحِ . [ق١٨٨]

وثبتَ النَّبيُّ ﷺ ، وثبتَ معَهُ جماعةٌ مِنْ أَهل بيته ، منهُم : عمُّهُ العبّاسُ وٱبنُهُ الفضلُ ، وعليُّ بنُ أَبي طالِبٍ ، وأَبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عبد المُطَّلب ، وأَخوهُ ربيعةُ . ومِنَ المُهاجرينَ أَبو بكرٍ وعُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُم .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أَنَّ رجُلاً قالَ للبراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أَفَرَرْتُمْ عن رَسولُ اللهِ ﷺ يومَ (حُنينٍ) ؟ ، قالَ : لٰكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ ، ولقد رأَيتُهُ علىٰ بغلتِهِ البيضاء ، وٱبنُ عمِّهِ أَبو سُفيانَ آخِذٌ بزمامِها ، وهوَ يقولُ :

« أَنــا النَّبــيُّ لا كَــذِبْ   أَنا ٱبنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ »[3]

---

(١) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٤٨٧٨) . عن صفوان بن أُميَّة رضيَ اللهُ عنهُ . **العارية** : إِعارة المنافع من غير عوضٍ .

(٢) **ٱنشمر** : ٱنفضَّ وٱنهزمَ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٠٩) . ومُسلم برقم (١٧٧٦/ ٧٨) . **قلتُ** :=

فما رُئِيَ في النّاس يومئذٍ أَشدُّ منهُ .

وروىٰ ٱبنُ إسحاقَ عن العبّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : شهدتُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ (حُنينٍ) ، فَلَزِمْتُهُ أَنا وأَبو سُفيانَ بنُ الحارثِ ، فلم نُفارِقْهُ .

عـودةُ ٱلمُسلميـنَ وٱحتدامُ القِتال

فلمّا ٱلتقىٰ الجمعانِ ، ولّىٰ المُسلمونَ مُدبرينَ ، فَطَفِقَ رسولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بغلتَهُ[1] قِبَلَ الكُفّارِ ، قالَ عبّاسٌ : وأَنا آخذٌ بلجامِ بغلتِهِ ، أَكُفُّها إرادَةَ أَنْ لا تُسْرِعَ ، فقالَ ﷺ : « يا عبّاسُ ، نادِ أَصْحابَ السَّمُرَةِ » ـ أَي : أَهلَ بيعة الرِّضوان ـ وكانَ العبّاسُ صَيِّتاً[2] ، فقلتُ بأَعلىٰ صوتي : أَينَ أَصْحابُ السَّمُرَةِ ؟، فقالوا : يا لبَّيْكَ ، يا لبَّيْكَ ، فواللهِ لكأَنَّ عَطْفَتَهُم عليَّ حينَ سَمِعوا صوتي عَطْفَةُ البقرِ علىٰ أَولادِها ، فٱقْتَتَلوا هُم والكُفّار ، فنظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إِلىٰ قِتالِهم ، فقالَ : « هٰذا حِيْنَ حَمِيَ الوَطيسُ »[3] .

رمـيُ النَّبـيِّ ﷺ ٱلمُشركينَ بالحصىٰ

ثمَّ أَخذَ ﷺ كفّاً مِنَ الحَصْباء فرمىٰ به وجوهَ الكُفّارِ ، وقالَ : « شاهَتِ الوُجوهْ » ، فما خَلَقَ اللهُ منهُم إنساناً إلاّ مُلِئَتْ عينُهُ تُراباً مِنْ تِلكَ القَبضَةِ ، فولَّوا مُدبرينَ ، وهزمَهُمُ اللهُ .

ما نزلَ مِنَ القُرآنِ في يوم حُنينٍ

وأَنزلَ اللهُ في ذٰلكَ : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ

= وقد ٱنتسب النّبيُّ ﷺ لجدِّه لأَنَّهُ كانَ أَشهرَ وأَذكرَ عند العرب ، أَمّا أَبوه فقد مات وهو شابٌّ .

(١) **يركُضُ بغلتهُ** : يضربها برجله الشَّريفة علىٰ كبدها لتُسرعَ .

(٢) **صَيِّتاً** : شديدَ الصَّوت ، عاليَهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٧٥) . **الوطيسُ** : الضِّراب في الحرب ، ولم يُسمع هٰذا الكلام من أَحدٍ قبل النَّبيِّ ﷺ عبَّرَ به عن اشتباك الحرب وقيامها علىٰ ساقٍ .

﴿ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ ﴾ ، وكانوا قالوا : لن نُغلَبَ اليومَ مِنْ قلَّةٍ ﴿ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ / شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ﴾ ـ أي : مع سَعَتِها ـ ﴿ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا ﴾ [سورة التَّوبة ٩/٢٥ـ٢٦] ـ أي : جبريلُ : ﴿ بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ ـ أي : مُعَلَّمينَ ـ. [ق١٨٩]

شماتةُ أهلِ مكَّةَ بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ

ولمّا ٱنهزمَ المُسلمونَ شَمِتَ بهم كثيرٌ مِنْ مُسلمي الفتحِ[1] ، فقالَ أَخٌ لصفوانَ بنِ أُميَّةَ مِنْ أُمِّهِ[2] : اليوم بَطَلَ سِحْرُ مُحمَّدٍ ، فقالَ لَهُ صفوانُ : اِسْكُتْ ، فَضَّ اللهُ فاكَ ـ أَي : كسَرَهُ اللهُ ـ فواللهِ لأَنْ يَرُبَّني ـ أَي : يَسودَني ـ رجُلٌ مِنْ قُريشٍ أَحبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّني رجُلٌ مِنْ هوازِنَ .

محاولةُ شَيْبَةَ قتلَ النَّبيِّ ﷺ ثمَّ إِسلامُهُ

وعن شَيْبَةَ بنِ عُثمانَ بنِ أَبي طَلْحَةَ العبدَريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : ٱستدْبَرْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومَ (حُنَيْنٍ) لأَقْتُلَهُ ، فأَطلَعَهُ اللهُ علىٰ ما في نفسي ، فٱلتفتَ إِليَّ ، فضربَ بيدِهِ علىٰ صدري ، وقالَ : « أُعيذُكَ باللهِ يا شَيْبَةُ »[3] .

فٱرتعدَتْ فرائِصي ، فرفَعَ يدَهُ ، وهوَ أَحبُّ إِليَّ مِنْ سمعي وبصري ، وقلتُ : أَشهدُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ ، وأَنَّ اللهَ قد أَطلعكَ علىٰ ما في نفسي .

سريَّة أَوْطاسٍ

وأَمّا بعثُ أَبي عامرٍ الأَشعريِّ إِلىٰ (أَوْطاسٍ) ، وكانَتْ هَوازِنُ قد خرجَتْ معها بأَهليها وأَموالِها ، فلمّا ٱنهزموا ٱنحازَ منهُم طائفةٌ

---

(١) كانوا حديثي عهد بالإسلام .
(٢) وهو : كَلَدَةُ بنُ الحنبلِ .
(٣) أَخرجه البيهقيُّ في « الدَّلائل » ، ج٥/ ١٤٥ . بنحوه .

بالأَهل والمال إِلىٰ ناحيةِ (أَوْطاسٍ) ، عليهم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ ، فبعثَ النَّبيُّ ﷺ أَبا عامرٍ الأَشعريَّ في جيشٍ مِنَ المُسلمينَ في آثارِهِم ، فأَدْرَكوهُم ، فناوَشوهُم القِتالَ ، فٱستُشهِدَ أَبو عامرٍ بعدَ أَن قتلَ تسعةَ إِخوةٍ ، فقَتَلَهُ عاشِرُهُم ، فأَخذَ الرّايَةَ منهُ ٱبن أَخيه أَبو موسىٰ الأَشعريُّ بٱستخلافٍ منهُ ، ففتحَ اللهُ علىٰ يديه ، وقَتلَ قاتِلَ أَبي عامرٍ ، وهزمَهُم ، وغَنِمَ أَموالَهُم ، وكانَتْ سباياهُم مِنَ النِّساء والصِّبيان نحوَ ستَّةِ آلافٍ ، وأَمّا الإِبلُ والغَنمُ فلا تُحصرُ عدداً ، فأَمرَ بها النَّبيُّ ﷺ فحُبِسَتْ لَهُ بـ (الجِعْرانَة) .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن أَبي موسىٰ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : لمّا فَرَغَ النَّبيُّ ﷺ مِنْ (حُنَيْنٍ) بعثَ أَبا عامرٍ علىٰ جيشٍ إِلىٰ (أَوْطاسٍ) ، فلَقِيَ دُرَيْدَ ـ أَي : مُصغَّراً ـ ٱبن الصِّمَّةِ ، فقُتِلَ / دُرَيْدٌ ، [ق١٩٠] وهزمَ اللهُ أَصحابَهُ ، قالَ أَبو موسىٰ : وبعثني مع أَبي عامرٍ ، فرُمِيَ أَبو عامرٍ في رُكْبَتِهِ بسهمٍ ، فأَثبَتَهُ في رُكبته فٱنتهيتُ إِليه فقلتُ : يا عمِّ ، مَنْ رماكَ ؟، فقالَ : ذاكَ قاتِلي ، فقصَدْتُ إِليه ، فقتلْتُهُ ، ثمَّ قلتُ لأَبي عامرٍ : قد قتلَ اللهُ صاحِبَكَ ، فقالَ : فٱنْزِعْ هٰذا السَّهمَ ، وأَقْرِىءِ النَّبيَّ ﷺ عنّي السَّلامَ ، وقُل لَهُ يَستغفِر لي ، وٱستخلَفَني أَبو عامرٍ علىٰ النّاسِ ، ثمَّ ماتَ ، فرجَعْتُ ، فأَتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فأَخبرْتُهُ ، فدعا بماءٍ فتوضَّأَ ، ثمَّ رفعَ يديه حتّىٰ رأيتُ بياضَ إِبطيه ، فقالَ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعُبَيْدٍ أَبي عامرٍ ، اللَّهُمَّ ٱجعَلْهُ يَوْمَ القيامَةِ فَوْقَ كَثيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النّاسِ » ، فقلتُ : ولي يا رسولَ اللهِ فٱسْتَغْفِرْ ، فقالَ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِعَبْدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وَأَدْخِلْهُ يَوْمَ القيامَةِ مُدْخَلاً كَريماً »[1] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٦٨) . ومُسلم برقم (٢٤٩٨/ ١٦٥) .

غزوةُ الطّائِفِ

وأمّا غزوةُ الطّائِفِ : فإِنَّهُ ﷺ توجَّهَ إِليها لقِتالِ من شَرَدَ إِليها مِنْ (حُنَيْنٍ) ، ومرَّ علىٰ طريقه بحصنِ مالِكِ بنِ عَوْف النَّصْريِّ السّابقِ ذِكْرُهُ ، قائِدِ هَوازِنَ ، فهدَمَهُ ، ثمَّ ٱرتحلَ ، فحاصرَ أَهلَ (الطّائِفِ) بِضْعاً وعشرينَ ليلةً مِنْ شهرِ شوّالٍ ، وقاتلَهُم قِتالاً شديداً ، فلم يَظْفَرْ بهِم ، بعدَ أَن رماهُم بالمنجَنيق ، وحرَّقَ أعنابَهُم ، فلمّا ٱنصرفَ قيلَ لَهُ : ٱدْعُ عليهِم ، فقالَ : « اللَّهُمَّ ٱهْدِ ثقيفاً وَٱئْتِ بهِم »[1] .

فهداهُمُ اللهُ بدعوتِهِ ، فأتَوْا إِلىٰ (المدينةِ) مُسلمينَ ، بعدَ أَنْ تقدَّمَ قبلَهُم مالِكُ بنُ عَوْفٍ فأَسلَمَ ، ثمَّ رجَعَ إِليهم ، فدعاهُم إِلىٰ اللهِ ، وأَتىٰ بهِم إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ مُسلمينَ ، ومِنْ شِعْرِ مالِكِ بنِ عَوْفٍ حينَ أَسلَمَ ، [مِنَ الكامل][2] :

ما إِنْ[3] رَأَيْتُ وَلا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... في النّاسِ كُلِّهِمِ كَمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفىٰ وَأَعْطَىٰ لِلْجَزيلِ إِذا ٱجْتُدِي ... وَمَتىٰ تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمّا في غَدِ
وَإِذا ٱلكَتيبَـةُ عَـرَّدَتْ أَنيـابُهـا ... بالسَّمْهَرِيِّ وَضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ[4]
فَكَـأَنَّـهُ لَيْـثٌ عَلـىٰ أَشْبـالِـهِ ... وَسْطَ ٱلهَباءَةِ خادِرٌ في مَرْصَدِ[5]

إِرتحالُ المسلمينَ

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٩٤٢) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٤٩١ .

(٣) **إِنْ** : زائدة للتوكيد ، والمعنىٰ : ما رأيتُ ما رأيتُ .

(٤) **عرَّدَتْ أَنيابها** : قويت وٱشتدَّتْ . **السَّمْهَرِيُّ** : الرُّمح . **المُهنَّدُ** : السَّيف .

(٥) **الهباءَةُ** : الغبار يثور عن ٱشتداد الحرب . **الخادرُ** : الأَسد في عرينه . يصفهُ بالقوَّة ، لأَنَّهُ حينئذٍ يكون شديدَ البأس لخوفه علىٰ أَشباله . **المرصَدُ** : المكان الَّذي يرقب منه . ويصفه باليقظة والانتباه .

الخطّابِ رضيَ اللهُ / عنهُما قالَ : لَمّا حاصرَ النَّبيُّ ﷺ (الطّائفَ) ، [ق١٩١]
فلَمْ يَنَلْ منهُم شيئاً ، قالَ : « إنّا قافِلونَ غداً إنْ شاءَ اللهُ » ، فَثَقُلَ
ذٰلكَ علىٰ أَصحابِهِ ، وقالوا : نذهَبُ ولا نفتَحُهُ ؟ ، فقالَ : « اغْدوا
علىٰ القِتالِ » فَغَدَوْا ، فأَصابَهُم جِراحٌ ، فقالَ : « إنّا قافِلونَ غداً إنْ
شاءَ اللهُ » ، فأَعجبَهُم ذٰلكَ ، فضَحِكَ النَّبيُّ ﷺ[1] .

نزولُهُ ﷺ بالجِعْرانَةِ وقَسْمُ الغنائِمِ

ولمّا رجَعَ ﷺ مِنَ (الطّائفِ) نزلَ بـ (الجِعْرانَةِ) فَقَسَمَ بها غنائِمَ
(حُنَيْنٍ) ، وأَعطىٰ جماعةً مِنَ الرؤساءِ والمُؤَلَّفَةِ قُلوبُهُم مِئَةً مِئَةً مِنَ
الإبلِ ، منهُم مِنْ قُريشٍ : أَبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ، وصفوانُ بنُ أُميَّةَ .
ومِنْ غيرِ قُريشٍ : عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ الفَزاريُّ ، والأَقرَعُ بنُ حابِسٍ .

العبّاسُ بنُ مِرْداسٍ يَسْخَطُ عَطاءَهُ ، ويُعاتِبُ النَّبيَّ ﷺ فيه

وأَعطىٰ [ﷺ] العبّاسَ بنَ مِرْداسٍ الشّاعِرَ خمسينَ مِنَ الإبلِ ،
فسَخِطَها ، إذْ لم يجعلْهُ كعُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والأَقرَعِ بنِ حابِسٍ ، وأَنشدَ
النَّبيَّ ﷺ أَبياتاً يقولُ فيها ، [مِنَ المُتقارِب][2] :

أَتَجْعَلُ نَهْبي وَنَهْبَ ٱلعُبَيْـ ـدِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَٱلأَقْرَعِ[3]
وَما كانَ حِصْنٌ وَلا حابِسٌ يَفوقانِ مِرْداسَ في مَجْمَعِ
وَما كُنْتُ دونَ ٱمْرِئٍ مِنْهُما وَمَنْ تَضَعِ ٱليَوْمَ لا يُرْفَعِ

فأَكملَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ مِئَةً .

توزيعُ الغنائِمِ علىٰ سائِرِ المُسلمينَ

وأَمّا الغَنَمُ : فأَعطىٰ منها بغيرِ عددٍ ، حتّىٰ أَنَّ أَعرابياً رأىٰ غَنَماً
بينَ جبلين ، فقالَ : ما أَكثَرَ هٰذهِ الأَغنامَ ؟ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « هِيَ
لَكَ » ، فأَتىٰ بها قومَهُ ، وقالَ لَهُم : أَسلِموا ، فواللهِ إنَّ مُحمَّداً

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٧٠) . ومُسلم برقم (١٧٧٨/ ٨٢) .
(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٤٩٣ .
(٣) العُبَيْد : ٱسم فرس عبّاس بن مِرْداس .

لَيُعْطي عطاءَ مَنْ لا يَخافُ الفقرَ[1] .

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ نادىٰ قَبل القِسمة : « مَنْ أَقامَ بَيِّنَةً عَلىٰ قَتيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ » ، قالَ أَبو قَتادةَ : فقُمتُ أَلتمسُ بيِّنةً علىٰ قتيلي ، فلم أَرَ أَحداً يشهدُ لي فجلستُ ، ثمَّ بدا لي ، فذكرتُ أَمرَهُ لرسول الله ﷺ ، فقالَ رجُلٌ : سلاحُ هٰذا القتيلِ الَّذي يذكُرُ عندي ، فأَرْضِهِ منهُ ، فقالَ أَبو بكرٍ ـ وعند أَحمد : فقالَ عُمَرُ ، وجُمعَ بينَهُما بأَنَّ كُلاًّ منهُما قالَ ـ كلاّ واللهِ ، لا نُعطيه أُضَيْبعاً[2] مِنْ قُريشٍ ـ تصغير ضَبُع / بمعجمةٍ ـ ونَدَعُ أَسداً مِنْ أُسودِ اللهِ يُقاتِلُ عَنِ اللهِ ورسولِهِ ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فأَدّاهُ إِليَّ[3] . [ق١٩٢]

ولَمّا قَسَمَ هٰذه المَقاسِمَ ، وأَعطىٰ هٰذهِ العطايا ، شَرِهَتْ أَنفُسُ الأَعرابِ وجُفاةُ العربِ ، معَ ضَعْفِ إِيمانِهم حينئذٍ إِلىٰ المالِ ، فأَلَحّوا عليه ﷺ في السّؤال ، حتّىٰ اضطَرّوهُ إِلىٰ سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رداءَهُ ، فقالَ : « أَعْطوني رِدائي ، فَلَوْ كانَ لي عَدَدُ هٰذِهِ العِضاهِ[4] نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدوني بَخيلاً وَلا كَذّاباً ولا جَباناً » . رواهُ البُخاريُّ[5] .

أَمرُ ذي الخُوَيصِرَة التَّميميِّ

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : البُخاريُّ] ـ أَنَّ أَعرابياً قالَ : اِعْدِلْ ، فقالَ : « وَيْحَكَ ! إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِلُ وَأَنا حُرٌّ ؟! » ، قالَ : هٰذه قِسْمَةٌ ما أُريدَ بها وجهُ اللهِ ، فقالَ ﷺ : « رَحِمَ اللهُ أَخي موسىٰ ، قَدْ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٣١٢/٥٨) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) يُروىٰ بالضّاد المعجمة والعين المهملة ؛ تصغير ضَبُع على غير قياس تحقيراً له . وقد ذكره البُخاريُّ بلفظ : «أُصَيْبِغَ» ، وهو نوع من الطيور ضعيف ؛ يصفه بالعجز والضَّعف والهَوان .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٦٧) .

(٤) **العضاهُ** : شجرٌ عظيمٌ له شوكٌ .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٦٦) . عن جُبير بن مُطْعِمٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

أُوذِيَ بأَكْثَرَ مِنْ هٰذا فَصَبَرَ »[١] .

مقالَةُ الأَنصارِ بشأنِ الغنائِمِ وخُطبةُ النَّبيِّ ﷺ فيهم

وكانَ ﷺ وَكَلَ الأَنصار إِلىٰ إيمانِهم ، فلم يُعْطِهِمْ مِنْ هٰذهِ المَقاسِمِ شيئاً ، فوجدوا وَجْداً شديداً ، ووقعَ في أَنفُسِهِم ما لم يقعْ قبلَ ذٰلِكَ . وأَنشدَهُ حسّانُ بنُ ثابتٍ في ذٰلِكَ قولَهُ ، [مِنَ البسيط] [٢] :

[زادَتْ هُمومٌ] فَدَمْعُ ٱلعَيْنِ يَنْحَدِرُ
سَحّاً إِذا حَفَّلَتْهُ عَبْرَةٌ دِرَرُ[٣]

وَأْتِ الرَّسولَ فَقُلْ يا خَيْرَ مُؤْتَمَنٍ
لِلْمُؤْمِنينَ إِذا ما عُدِّدَ ٱلبَشَرُ

عَلامَ تُدْعىٰ سُلَيْمٌ وَهِيَ نازِحَةٌ
قُدّامَ قَوْمٍ هُمُ آوَوْا وَهُمْ نَصَروا

سَمّاهُمُ ٱللهُ أَنصاراً لِنَصْرِهِمُ
دينَ ٱلهُدىٰ وَعَوانُ ٱلحَرْبِ تَسْتَعِرُ[٤]

وسارَعوا في سَبيلِ ٱللهِ وَٱعْتَرَفوا
لِلنّائِباتِ وَما خاموا وَما ضَجِروا[٥]

وَٱلنّاسُ أَلْبٌ عَلينا فيكَ لَيْسَ لَنا
إِلاّ السُّيوفَ وَأَطْرافَ ٱلقَنا وَزَرُ[٦]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٩٨١) . عن ٱبن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ . والأَعرابيُّ هوَ : ذو الخويصرة حرقوص بن زهير .
(٢) ابن هشام ، ج٣/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ .
(٣) **سحَّ** : سالَ . **حفَلَتْهُ** : جمَعَتْهُ . **عَبْرَةٌ دِرَرٌ** : دَمْعَةٌ سائِلَةٌ .
(٤) **الحربُ العَوانُ**: الّتي قوتِلَ فيها مرّةً بعد أُخرىٰ. **تستعرُ** : تشتدُّ وتشتعِلُ .
(٥) **خاموا** : جبنوا .
(٦) **أَلبٌ** : مجتمعون . **الوزر** : الملجأ .

نُجالِدُ النّاسَ لا نُبْقي عَلىٰ أَحَدٍ
وَلا نُضَيِّعُ ما توحي بِهِ السُّوَرُ

ثمَّ إنَّهُ ﷺ جمعَهُم وخطبَهُم، وٱعتذرَ إليهم، حتّىٰ طابت أَنفُسُهُم.

كما رواهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ، عن أَنسِ بنِ مالِكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ ناسٌ مِنَ الأَنصارِ حينَ طَفِقَ رسولُ اللهِ ﷺ يُعطي رِجالاً مِنْ أَموالِ هَوازِنَ المِئَةَ مِنَ الإِبلِ، فقالوا: يَغْفِرُ اللهُ لرسولِ اللهِ! يُعطي قُريشاً / ويتْرُكُنا وسُيوفُنا تَقْطُرُ مِنْ دِمائِهم، قالَ أَنسٌ: فَحُدِّثَ رسولُ اللهِ ﷺ بمقالَتِهِم، فأَرسلَ إِلىٰ الأَنصارِ فجمعَهُم في قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، ولم يَدْعُ معَهُم أَحداً غيرَهُم، فلمّا ٱجتمعوا قامَ النَّبيُّ ﷺ فقالَ: «ما حَديثٌ بَلَغَني عَنْكُمْ؟»، فقالَ فُقَهاءُ الأَنصارِ: أَمّا رُؤَساؤُنا فلم يقولوا شيئاً، وأَمّا أُناسٌ مِنّا حديثةٌ أَسنانُهُم، فقالوا: يَغْفِرُ اللهُ لرسولِ اللهِ، يُعطي قُريشاً ويتْرُكُنا وسيوفُنا تَقْطُرُ مِنْ دِمائِهم؟، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنّي لأُعْطي رِجالاً حَديْثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتأَلَّفُهُم، أَما تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بالأَموالِ وَتَذْهَبوا بِرَسولِ اللهِ إِلىٰ رِحالِكُم؟ فواللهِ لَمَا تَنْقَلِبونَ بِهِ خَيْرٌ مِمّا يَنْقَلِبونَ بِهِ»، فقالوا: قد رضينا يا رسولَ اللهِ[1].

[ق١٩٣]

فائدة

في سببِ حجبِ النَّبيِّ ﷺ أَموالَ هوازِنَ عن الأَنصار

قوله: (لم يُعْطِ الأَنصارَ شيئاً)، أَي: أَنَّهُ لم يُعْطِ الأَنصارَ شيئاً مِنْ أَصلِ الغنيمة، لا مِنَ الخُمس الَّذي أَعطىٰ منهُ المؤلَّفَةَ قلوبُهُم.

قالَ العُلماءُ: وسببُهُ أَنَّهُم كانوا ٱنهزَموا، فلم يرجِعوا إلاّ وقَدِ

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤٠٧٦). ومُسلم برقم (١٠٥٩/ ١٣٢).

ٱنهزمَ الكُفّارُ ، فردَّ اللهُ أَمرَ الغنيمة إِلىٰ نبيّهِ ﷺ ، ففعلَ فيها ما فعلَ للتّأْليفِ ، وَوَكَلَ الأَنصارَ إِلىٰ إيمانِهم . واللهُ أَعلمُ .

قُدومُ وَفدِ هَوازِنَ مُسلمينَ، وردُّ النَّبيِّ ﷺ سباياهُم

ثمَّ إِنَّ وفدَ هَوازِنَ جاؤوا بعدَ قِسمَةِ غنائِمِهم مُسلمينَ ، ومناشِدينَ للنَّبيِّ ﷺ برضاعِهِ فيهم أَنْ يَرُدَّ عليهِم غنائِمَهُم ، وأَنشدوهُ في ذٰلِكَ أَشعاراً منها ، [مِنَ البسيط] (١) :

أُمْنُنْ علىٰ نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُها
إِذْ فُوكَ يملَؤُهُ مِنْ مَخْضِها الدِّرَرُ
لا تَجْعَلَنّا كَمَنْ شالَتْ نَعامَتُهُ
وَٱسَتَبْقِ مِنّا فَإِنّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

ذكرَهُ ٱبنُ إِسحاقَ مطوَّلاً ، وأَشارَ إِليه البُخاريُّ بقولِهِ في أَبوابِ فرضِ الخُمْسِ ، بابٌ : ومِنَ الدَّليل علىٰ أَنَّ الخُمُسَ لنوائب المسلمين ، ما سأَلَ هَوازِنُ النَّبيَّ ﷺ برضاعِهِ فيهِم .

وأَتَتْهُ أَيضاً أُمُّهُ وأُختهُ مِنَ الرّضاعَةِ : حليمةُ السَّعديَّةُ وبنتُها الشَّيماءُ ، فبسطَ لهُما رداءَهُ وأَجلسَهُما عليه ورقَّ لَهُما ﷺ .

وروىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ / قامَ حينَ جاءَهُ [ق١٩٤] وَفْدُ هَوازِنَ مُسلمينَ ، فسَأَلوهُ أَنْ يَرُدَّ عليهِم أَموالَهُم وسَبْيَهُم ، فقالَ لَهُم : « إِنَّ مَعي مَنْ تَرَوْنَ ، وَإِنَّ أَحَبَّ الحَديثِ إِليَّ أَصْدَقُهُ ، فٱختاروا إِحْدىٰ الطّائِفَتَينِ : إِمّا المالَ وَإِمّا السَّبْيَ » ، فقالوا : إِنّا نختارُ سَبْيَنا ، فقامَ رسولُ اللهِ في المُسلمينَ ، فأَثنىٰ علىٰ اللهِ بما هوَ أَهْلُهُ ، ثمَّ قالَ : « أَمّا بَعْدُ : فَإِنَّ إِخوانَكُم قَدْ جاؤوا تائِبينَ ، وَإِنّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِم سَبْيَهُم ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَيِّبَ(٢) ذٰلِكَ

---

(١) من قول : زهير بن صُرَد الجُشَميّ السَّعديّ .
(٢) يُطَيِّبُ : يُحَلِّلُ ويُبيحُ . وطابتَ نفسُه بالشَّيءِ : إِذا سمَحَتْ به من غير كراهةٍ ولا غضبٍ .

فَلْيَفْعَلْ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكونَ عَلىٰ حَظِّهِ حَتّىٰ نُعْطِيَهُ إِيّاهُ مِنْ أَوَّلِ ما يَفيءُ اللهُ عَلَيْنا فَلْيَفْعَلْ » ، فقالَ النّاسُ : قد طَيَّبْنا ذٰلك يا رسولَ اللهِ[1] .

عُمْرَةُ ٱلجِعْرانَةِ وٱستخلافُ النَّبيِّ ﷺ عتّاباً علىٰ الحجِّ

ثمَّ ٱنصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ (الجِعْرانَةِ) مُحْرِماً بعُمْرَةٍ في ذي القَعْدَةِ ، فدخلَ (مكَّةَ) فقضىٰ نُسُكَهُ ، وٱستخلَفَ علىٰ (مكَّةَ) عتّابَ ـ بتشديد الفوقيَّة ـ ٱبنَ أَسِيْدٍ ـ بفتح الهمزة ـ فحجَّ بالنّاسِ في تلك السَّنةِ ـ [أَي : الثّامنةِ] ـ ثمَّ ٱنصرفَ إِلىٰ (المدينةِ) فدخلَها في آخرِ ذي القَعْدة .

خبرُ ولادةِ إبراهيمَ ٱبنِ النَّبيِّ ﷺ ووفاتِهِ

ووِلِدَ لَهُ في ذي الحجَّة ولدُهُ إبراهيمُ ، فعاشَ نحوَ ثلاثةِ أَشهُرٍ ، وكُسِفَتِ الشَّمسُ يومَ موتِهِ ، في ربيعٍ الأَوَّل من سَنَةِ تسعٍ[2] .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ عليه في مَرَضِهِ فوجدَهُ يَجودُ بنفسِهِ ، فجعَلَتْ عيناهُ تَذْرِفانِ ، فقالَ لَهُ عبدُ الرَّحمٰنِ بنُ عَوْفٍ : وأَنتَ يا رسولَ اللهِ ؟، فقالَ لَهُ : « يا ٱبْنَ عَوْفٍ ، إِنَّها رَحْمَةٌ ، جعَلَها اللهُ في قُلوبِ عِبادِهِ » ، ثمَّ أَتبعها بأُخرىٰ ، وقالَ : « إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ ، وَلا نَقولُ إِلاّ ما يُرضي رَبَّنا ، وَإِنّا بِفِراقِكَ يا إِبراهيمُ لَمَحْزُونونَ »[3] .

وقالَ : «إِنَّ لَهُ مُرْضِعاً في الجَنَّةِ»[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٢٤٠٢). عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) قلتُ : وُلِدَ إبراهيمُ في شهر ذي الحجَّة سنةَ ثمانٍ ، وماتَ وهو ٱبنُ ستَّةَ عشرَ شهراً ، في ربيعِ الأَوَّل سنة عشرٍ . (أُنظر « مسند أحمد » ، ج٤/ ٢٨٣) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢٤١) . ومُسلم برقم (٢٣١٥/ ٦٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (١٣١٦). عن البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وفيهما ـ [أي : صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ] ـ أَنَّ النّاسَ قالوا : كُسفَتِ الشَّمسُ لِمَوْتِ إبراهيمَ ، فنهاهُمُ النَّبيُّ ﷺ عن ذٰلِكَ ، وصلّىٰ صلاةَ الكُسوفِ ، فأَطالَ فيها حتّىٰ ٱنجلت ، ثمَّ خطبَ النّاسَ فحثَّهُم علىٰ الصَّدَقَةِ والعِتْقِ ، وقالَ : « إنَّ الشَّمسَ وَالقَمرَ آيتانِ مِنْ آياتِ اللهِ ، يُخَوِّفُ اللهُ بِهِما عِبادَهُ ، ولا يَنْكَسِفانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَياتِهِ »[1] .

وفي السَّنة التّاسِعَةِ : دخلَ النّاسُ / في دينِ اللهِ أَفواجاً ، كما [ق١٩٥] أَعلمَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ رسولَهُ ﷺ بذٰلِكَ ، وجعلَهُ عَلَماً لقُرْبِ أَجَلِهِ.

عامُ الوفودِ

وفي « الصَّحيحين » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، أَنَّ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ لَهُ : ما تقولُ في : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ حتّىٰ خَتَمَ السّورَةَ؟ ، فقلتُ : هوَ أَجلُ رسولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ . قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ ـ فتحُ (مكَّةَ) ـ ﴿ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ ـ فذٰلِكَ علامَةُ أَجلِكَ ـ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [سورة النَّصر ١١٠/١ ـ ٣] فقالَ عُمَرُ :

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٠٠١) . ومُسلم برقم (٩٠١/٣) . عن أَبي بَكْرَة رضيَ اللهُ عنهُ . قلتُ : قال أَبو شهبة ـ رحمَهُ ٱللَّهُ ـ : وإِنَّ المنصِفَ ليقفُ خاشِعاً أَمامَ هٰذا القول الحكيم ، الَّذي يدلُّ علىٰ أَنَّ سيّدنا محمَّداً نبيٌّ حقّاً . فلو لم يكُنْ نبيّاً ، وكانَ طالبَ مُلْكٍ أَو زعامةٍ ، أَو مدَّعياً نبوة ؛ لاستغلَّ ٱعتقاد النّاس هٰذا ، أَو علىٰ الأَقل يسكتُ . وأَيُّ عَظَمَةٍ نفسيَّةٍ أَعظمُ من أَلاّ ينسىٰ الرَّسول ﷺ رسالته في أَشدِّ المواقف الَّتي تملأُ النَّفس غمّاً وحُزناً ، وربَّما تُذهِل الشَّخصَ عمّا هو حقٌّ ، لذٰلكَ لا غروَ إذا كانَ المستشرقون الَّذين كتبوا في سيرة النَّبيِّ ﷺ ، وتناولوا هٰذه القصَّة وقفوا منها موقفَ الإِجلال والإِعظام ، ولم يستطيعوا كتم إِعجابهم وإِكبارهم للنَّبيِّ ، وإِعلان عرفانهم بصدق إِنسانٍ لم يرضَ في أَدقِّ المواقف إِلاّ الصِّدق وإِعلان الحقِّ . (السّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٥٨٣) .

ما أَعلَمُ منها إِلاّ ما تعلَمُهُ[1] .

وَفْدُ بني حنيفَةَ

ومِنَ الوُفودِ : وَفَدَ عليه ﷺ وَفْدُ بني حَنيفَةَ ، عليهِم مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ في بَشَرٍ كثيرٍ مِنْ قومِهِ ، فأَقبلَ إِليه رسولُ اللهِ ﷺ ومعَهُ ثابتُ بنُ قَيْسِ بنِ شمّاسٍ الأَنصاريُّ ، وفي يدِ رسولِ اللهِ ﷺ قطعةٌ مِنْ جَريدٍ ، حتّىٰ وقفَ علىٰ مُسَيْلِمَةَ في أَصحابه ، فجعلَ مُسَيْلِمَةُ يقولُ : إِنْ جَعَلَ لي مُحمَّدٌ الأَمرَ [مِنْ] بعدِهِ تَبِعْتُهُ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لَوْ سَأَلْتَني هٰذِهِ القِطْعَةَ ما أَعْطَيْتُكَها ، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فيكَ ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ[2] اللهُ ، وَإِنّي لأَراكَ الَّذي أُرِيْتُ فيهِ ما أُرِيْتُ ، وهٰذا ثابتٌ يُجيبُكَ عَنّي » . ثمَّ ٱنصرفَ عنهُ[3] .

قال ٱبنُ عبّاسٍ : فسأَلتُ عن قولِ رسولِ اللهِ ﷺ : « إِنّي لأَراكَ الَّذي أُرِيْتُ فيهِ ما أُرِيْتُ » ؟ فأَخبرَني أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « بَيْنَما أَنا نائِمٌ رَأَيْتُ في يَدَيَّ سِوارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَأَهَمَّني شَأْنُهُما ، فَأُوحِيَ إِليَّ في المَنامِ أَنِ ٱنْفُخْهُما ، فَنَفَخْتُهُما ، فطارا ، فَأَوَّلْتُهُما كَذّابَيْنِ يَخْرُجانِ بَعْدي ، أَحَدُهُما الأَسودُ العَنْسِيُّ والآخَرُ / مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ »[4] . [ق١٩٦]

وفي روايةٍ : « فَأَوَّلْتُهُما الكذّابَين اللَّذَينِ أَنا بَيْنَهُما : صاحِبَ (صَنْعاءَ) وَصاحِبَ (اليَمامَةِ) »[5] .

وفي روايةٍ أُخرىٰ : « العَنْسِيُّ ـ أَي : الَّذي قَتَلَهُ فيروزُ بـ(اليَمَنِ) ـ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٨٦) .

(٢) العقرُ : القتلُ والهلاكُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١١٥) . ومُسلم برقم (٢٢٧٣/ ٢١) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٢٤) .

(٥) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٢٧٤) . عن أَبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

والآخرُ مُسَيْلِمَةُ الكذّابُ ـ أَي : الَّذي قَتلَهُ وَحْشيُّ بنُ حَرْبٍ الحَبَشيُّ ، قاتِلُ حمزةَ في قتالِ خالِدِ بنِ الوليدِ لأَهْلِ الرِّدَّةِ[1] ـ .

وكان كلٌّ من مُسيْلِمَةَ والأَسودِ ٱدّعىٰ ٱلنُّبوَّةَ بعدَ وفاة النَّبيِّ ﷺ .

وفدُ نَجْرانَ

ومِنَ الوُفودِ : وَفْدُ (نَجْرانَ) ، وفيهِم نزلَتْ آيةُ المُلاعَنَةِ ، لَمّا حاجُّوا النَّبيَّ ﷺ في عيسىٰ ٱبنِ مريمَ [عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ] ، فقالوا : إِنَّهُ ٱبنُ اللهِ ، وكانوا نصارىٰ ، فأَنزلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ٦١] .

فأَخَذَ النَّبيُّ ﷺ بيدِ الحَسن والحُسين وفاطِمةُ تمشي خلفَهُ وعليٌّ يمشي خلفَها، فلمّا رأَوْهُم قالَ حَبْرانِ منهُما ـ السَّيِّدُ والعاقِبُ ـ لأَصحابِهِما : لا تفعلوا ، فواللهِ لَئِنْ لاعَنْتُم هٰذِهِ الوجوهَ لا تُفلحوا أَبداً .

ثمَّ صالَحوهُ علىٰ الجزيَةِ ، وبعثَ معَهُم أَبا عُبيدةَ بنَ الجرّاحِ .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : جاءَ السَّيِّدُ والعاقِبُ صاحبا (نَجْرانَ) إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ يُريدانِ أَنْ يُلاعِناهُ ، فقالَ أَحَدُهُما لصاحِبه : لا تَفعلْ ، فواللهِ لَئِنْ كانَ نبيّاً فلاعَنَنا لا نُفْلِحُ نحنُ ولا عَقِبُنا مِنْ بعدِنا ، ثمَّ قالا : إِنّا نُعطيكَ ما سأَلْتَنا ، وٱبعَثْ مَعنا رجُلاً أَميناً ، وَلا تبعَثْ مَعنا إِلاّ أَميناً ، فقالَ : « لأَبْعَثَنَّ مَعكُمْ رَجُلاً أَميناً حَقَّ أَمينٍ » ، فٱستشرَفَ لها أَصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ، فقالَ : « قُمْ يا أَبا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرّاحِ » ، فلمّا قامَ قالَ النَّبيُّ ﷺ : « هٰذا أَمينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ »[2] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١١٨) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١١٩) . ومُسلم برقم (٢٤٢٠/ ٥٥) .

فائدتان

الحجّة على النّصارىٰ في شبهتهم بولادة عيسىٰ عليه الصّلاةُ والسّلامُ

الأُولىٰ : وجهُ الحُجَّة علىٰ النّصارىٰ ، بقولِه تعالىٰ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/٥٩] : إِنَّ شُبهتَهُم فيه كونُهُ خُلِقَ مِنْ أُمٍّ بلا أَبٍ ، فٱحتجَّ اللهُ عليهِم بأَنَّ آدمَ خُلِقَ مِنْ غيرِ أُمٍّ ولا أَبٍ ، وليسَ بٱبنِ اللهِ ٱتِّفاقاً .

قالَ العُلماءُ : والقسمةُ تقتضي أَربعةَ أَقسامٍ :

[ق١٩٧] قسمٌ خَلَقَهُ اللهُ / مِنْ غيرِ أُمٍّ ولا أَبٍ ، وهوَ آدمُ عليه السَّلامُ .

وَقسمٌ بعكسِهِ ، وهوَ سائِرُ ذرِّيَّتِهِ .

وقسمٌ مِنْ أَبٍ بلا أُمٍّ ، وهيَ حوّاءُ .

وبقيَ القسمُ الرّابعُ ، فأَبرزَهُ اللهُ في عيسىٰ عليه السَّلامُ .

في شهادة النّبيِّ ﷺ بتفضيل صحابته بعضهم علىٰ بعض

الثّانية : **قالَ العُلماءُ** : إذا شَهِدَ الرَّسولُ ﷺ لبعضِ أصحابِهِ بفضيلةٍ عليهِم وجبَ القطعُ بأَنَّهُ أَفضلُ منهُم في تِلكَ الفضيلةِ ، فيجبُ أَنْ نقطعَ بأَنَّ أَبا عُبيدَةَ أَفضلُ مِنْ أَبي بكرٍ وعُمَرَ وغيرِهِما في فضيلةِ الأَمانَةِ .

وأَنَّ أَبا ذرٍّ حيثُ قالَ فيه : « أَصْدَقُكُمْ لَهْجَةً أَبو ذَرٍّ »[1] فصارَ أَفضلَ منهُم جميعاً في تحرّي الصِّدق .

وأَنَّ عليّاً أَقضاهُم ، حيثُ قالَ : « أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ »[2] .

وأَنَّ مُعاذاً أَعلمُهُم بالحلالِ والحرامِ حيثُ وصفَهُ بذٰلِكَ[3] .

وأَنَّ زيداً أَفرضُهُم حيثُ وصفَهُ أَيضاً بذٰلِكَ[4] .

---

(١) أَخرجه ٱبن ماجه، برقم (١٥٦). عن عبد الله بن عَمْروٍ رضيَ اللهُ عنهُما.

(٢) أورده ٱبن حجر في «الفتح» ، ج١٠/ ٥٩٠ . تعليقاً .

(٣) أَخرجه التّرمذيُّ ، برقم (٣٨٧٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) المصدر السابق .

والأَفضلُ المُطْلَقُ بإجماعِ أَهلِ السُّنَّةِ مَنْ جَمَعَ خِصالَ الفضلِ كأَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، حيثُ أَشارَ إِليه ﷺ بقولِهِ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صائِماً ؟ »، فقالَ أَبو بكرٍ : أَنا ، فقالَ : « مَنْ عادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَريضاً ؟ » ، فقالَ أَبو بكرٍ : أَنا ، فقالَ : « مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنازَةً ؟ » ، فقالَ أَبو بكرٍ : أَنا . الحديث[1] رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين ، واللهُ أَعلمُ .

وَفدُ أَهلِ اليَمن

ومِنَ الوُفود: وَفْدُ أَهل (اليَمنِ)، فبشَّرَهُم ﷺ وأَثنىٰ عليهم خيراً، وبعثَ معَهُم مُعاذَ بنَ جبلٍ وأَبا موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُما .

وفي « الصَّحيحين » ، جاءَتْ بنو تميمٍ ، فقالَ لَهُم رسولُ اللهِ ﷺ : « ٱبْشِروا يا بَني تَميمٍ » ، فقالوا : بَشَّرْتَنا فأَعْطِنا ، فتغيَّرَ وجهُهُ ﷺ ، فجاءَ ناسٌ مِن (اليَمَنِ) ، فقالَ : « ٱقْبَلوا البُشْرىٰ يا أَهْلَ (اليَمَنِ) ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْها بَنو تَميمٍ » ، فقالوا : قد قَبِلْنا يا رسولَ اللهِ[2] .

فقالَ : « الإِيمانُ ها هُنا » ، وأَشارَ بيدِهِ إِلىٰ (اليَمن)[3] .

وفي روايةٍ لهُما ـ [أَي : الصَّحيحين] : « أَتاكُمْ أَهْلُ (اليَمَنِ) ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلوباً . الإِيمانُ يَمانٍ ، وَالفِقْهُ يَمانٍ ، وَالحِكْمَةُ يَمانيَةٌ »[4] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٠٢٨/٨٧) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ . **وزاد** : فقالَ رسول الله ﷺ : « ما ٱجتمعنَ في ٱمرىءٍ إِلاّ دخلَ الجنَّةَ » .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٤١٢٥). عن عِمران بن حُصينٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٢٦) . عن أَبي مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٢٧ ـ ٤١٢٩) . ومُسلم برقم (٥٢/٨٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] : « أَنَّهُ ﷺ بعثَ أَبا موسىٰ الأَشعريّ ، ومُعاذَ بنَ جبلٍ إِلىٰ (اليمنِ) ، وبعثَ كلَّ واحدٍ منهُما علىٰ مِخْلافٍ ، قالَ : « و (اليمنُ) مِخْلافانِ » ، ثمّ قالَ : « يَسِّرا وَلا تُعَسِّرا ، وَبَشِّرا وَلا تُنَفِّرا »[1] .

[ق١٩٨] وأَنَّهُ [ﷺ] قالَ لمُعاذٍ : « إِنَّكَ سَتَأْتي قَوْماً أَهْلَ / كِتابٍ ، فَإِذا جِئْتَهُم فَٱدْعُهُم إِلىٰ أَنْ يَشْهَدوا أَنْ لا إِلٰه إِلاّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ ، فَإِنْ هُم أَطاعوا لَكَ بذٰلِكَ فَأَخْبِرْهُم أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِم خَمْسَ صَلَواتٍ في كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُم أَطاعوا لَكَ بِذٰلِكَ فَأَخْبِرْهُم أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِم صَدَقَةً في أَموالِهِم ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغنيائِهِم فَتُرَدُّ علىٰ فُقَرائِهِم ، فَإِنْ هُمْ أَطاعوا لَكَ بِذٰلِكَ فَإِيّاكَ وَكَرائِمَ أَموالِهِم[2] ، وَٱتَّقِ دَعْوَةَ المُظْلومِ ، فإِنَّها لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْنَ اللهِ حِجابٌ »[3] .

ومِمّا جاءَ في فضلِ أَهلِ (اليَمَنِ) ، أَنَّ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ سألَ النّاسَ : مَنْ أَجودُ العربِ ؟، قالوا : حاتِمٌ ، قالَ : فمن فارِسُها ؟، قالوا : عَمْرُو بنُ مَعْدي كَرِبْ ، قالَ : فمن شاعِرُها ؟، قالوا : ٱمرؤُ القَيس ، قالَ : فأَيُّ سيوفِها أَقطعُ ؟، قالوا : الصَّمْصامَةُ ، قالَ : كفىٰ بهٰذا فضلُ (اليَمَنِ) .

وأَنَّ ٱبنَ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : لأَهل (اليَمَنِ)؛ من السَّماء نجمُها ـ أَي : سُهيلٌ ـ ومِنَ (الكعبة) رُكْنُها .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٨٦) . ومُسلم برقم (٧/١٧٣٣) . عن أَبي موسى الأشعري رضيَ ٱللهُ عنهُ . والفقه يمانٍ من رواية مُسلم .

(٢) **كرائِم أَموالهم** : أَعزُّ وأَفضلُ أَموالهم إِلىٰ أَنفسهم .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٠٩٠) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

إسلامُ كعبِ بن زُهَيْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وقَدِمَ أَيضاً علىٰ النَّبيِّ ﷺ كَعْبُ بن زُهيرِ بنِ أَبي سُلمىٰ ـ بالضَّمِّ ـ المُزَنيُّ فأَسلَمَ ، واعتذرَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ممّا سبقَ منهُ ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ قد أَهدرَ دمَهُ لتعريضه بذمِّهِ وذمِّ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ ، في شِعْرٍ لَهُ .

وأَنشدَ النَّبيَّ ﷺ حين وافاهُ قصيدتَهُ المشهورة : (بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ) ، ومنها ، [مِنَ البسيط] (١) :

نُبِّئْـتُ أَنَّ رَسـولَ اللهِ أَوْعَـدَنـي
وَالعَفْـوُ عِنْـدَ رَسـولِ اللهِ مَـأْمـولُ

مَهْلاً هَداكَ الَّذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الـ
قُـرْآنِ فيـه مَـواعيـظٌ وَتَفْصيـلُ

لا تَـأْخُـذَنّـي بـأَقْـوالِ الـوُشـاةِ وَلَـمْ
أُذْنِـبْ وَلَـوْ كَثُـرَتْ فـيَّ الأَقـاويـلُ

فعفا عنهُ ، وكساهُ بردتَهُ . فاشتراها منهُ مُعاويةُ بنُ أَبي سُفيان في أَيّامِ خلافته بمئةِ أَلفِ درهمٍ ، وأَوصىٰ أَنْ يكفَّن فيها .

غزوةُ تبوكَ

وفي هٰذِهِ السَّنةِ ـ وهيَ التّاسعةُ ـ في رجبٍ منها : غزا النَّبيُّ ﷺ غزوَةَ (تبوكَ) . وهيَ آخِرُ غزوةٍ غزاها النَّبيُّ ﷺ وسمّاها اللهُ تعالىٰ ساعَةَ العُسْرَةِ ، لوقوعِها في شدَّة / الحَرِّ . [ق١٩٩]

وذٰلكَ أَنَّهُ ﷺ لَمّا لم يبقَ لَهُ عدوٌّ مِنَ العربِ ، أَمرَ أَصحابَهُ بالتهيُّؤِ لغزوِ الرّوم إلىٰ (الشّام) ، وحثَّ الموسِرينَ منهُم علىٰ إعانَةِ المُعسَرينَ ، فأَنفقَ عُثمانُ بنُ عفّانَ رضيَ اللهُ عنهُ فيها أَلفَ دينارٍ ذهباً ، وحملَ علىٰ تسعِ مئةٍ وخمسينَ بعيراً ، وخمسينَ فَرساً في سبيل الله ، فذٰلكَ أَلفٌ ،

---

(١) ابن هشام ، ج٣/ ٥٠٣ .

وبذٰلكَ سُمّي رضيَ اللهُ عنهُ مجهِّزَ جيشِ العُسْرَةِ ، حتّىٰ قالَ النَّبيُّ ﷺ : « اللَّهُمَّ ٱرْضَ عَنْ عُثْمانَ ، فَإِنّي عَنْهُ راضٍ »[1] . وقالَ : « ما ضَرَّ عُثْمانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليَوْمِ »[2] .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلم » ، أَنَّ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ حوصِرَ أَشرفَ عليهِم ، وقالَ : أَنشُدُكُمْ باللهِ ولا أَنشُدُ إلاّ أَصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ ، أَلستُم تعلمونَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ » ، فجهَّزتُهُم ؟ أَلستُم تعلمونَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الجَنَّةُ » ، فحفرتُها ؟ فصدَّقوهُ فيما قالَ[3] .

وأَوعبَ المسلمونَ[4] معَ رسولِ اللهِ ﷺ حتّىٰ بلغوا سبعينَ أَلفاً ، ولم يتخلَّف عنها إلاّ مُنافِقٌ أَو مَعْذورٌ ، سوىٰ الثَّلاثةِ الَّذينَ خُلِّفوا ، الآتي ذكرُهُم ، وسوىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ .

ففي « الصَّحيحين » ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ إلىٰ (تبوكَ) وٱستخلَفَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ (المدينةِ) ، فقالَ : أَتُخَلِّفُني في الصِّبيانِ والنِّساءِ ؟ ، فقالَ : « أَلا تَرْضَىٰ أَنْ تكونَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسىٰ ؟ ، إلاّ أَنَّهُ لا نَبيَّ بَعْدي ؟ »[5] .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَنَّهُ ﷺ قالَ بـ (تبوكَ) : « إنَّ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٩٧) . عن عُمر بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ ، بنحوه .
(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٧٠١) . عن عبد الرَّحمٰن بن سَمُرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٢٦) .
(٤) **أَوعبَ المسلمونَ** : خرجوا كلُّهم إلىٰ الغزو .
(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٥٤) . ومُسلم برقم (٢٤٠٤/ ٣١) . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

بـالمَدينةِ أَقواماً حَبسَهُمُ العُذْرُ ، ما قَطَعْنا وادياً ولا شِعْباً إلاّ وَهُمْ مَعنا فيه »[1] .

أمرُ المُعَذّرينَ مِنَ الأعراب

وأَنزلَ اللهُ أيضاً في المُعَذّرين : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٩١] .

أمرُ المُنافقينَ

وأَنزلَ في المُنافقينَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ / وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ ﴾ ـ أَي : النِّساء ـ ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٩٣] . [ق٢٠٠]

أمرُ البكّائين

وفي « الصَّحيحين » أيضاً ، أَنَّ الأَشعريّينَ أَرسلوا أَبا موسىٰ الأَشعريَّ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ يَسأَلُهُ الحُمْلانَ لَهُم في جيشِ العُسْرَةِ ، وهيَ غزوةُ (تبوكَ) ، فقالَ : « وَاللهِ لا أَحْمِلُكُمْ عَلىٰ شَيْءٍ » ، أَي : لا أَجدُ شيئاً أَحْمِلُكُم عليه ـ كما في الرِّواية الأُخرىٰ ـ فرجَعوا يَبكونَ ، فأَنزلَ اللهُ فيهم : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٩٢] . ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ ٱبتاعَ ستَّةَ أَبعِرَةٍ فأَرسلَ بها إِلىٰ أَبي موسىٰ ، فقالَ : « خُذْها فٱنطَلِقْ بِها إِلىٰ أَصحابِكَ » . ومضىٰ ﷺ بسبيلِهِ[2] .

مُرورُ النَّبيِّ ﷺ وأَصحابِهِ بالحِجْرِ

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ لمّا مَرَّ بالحِجْرِ ـ ديار ثمودَ ـ قالَ لأَصحابِهِ : « لا تَدْخلوا مَساكِنَ الَّذينَ ظَلَموا أَنفُسَهُمْ ، أَنْ يُصيبَكُمْ ما أَصابَهُم إِلاّ أَنْ تكونوا باكينَ » ، ثمَّ قنَّعَ رأسَهُ ـ أَي : غطّاهُ ـ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٨٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٥٣) . ومُسلم برقم (١٦٤٩/ ٨) . عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَسرعَ السَّيرَ حتّىٰ أَجازَ الوادي[1] .

مُصالحةُ النَّبيِّ ﷺ أَهلَ أَيْلَةَ وجَرْباءَ وأَذرح

ولمّا ٱنتهىٰ ﷺ إِلىٰ (تبوكَ) ، وهيَ أَدنىٰ بلاد الرّوم ، أَقامَ بها بضعَ عشرةَ ليلةً . وصالَحَ جُمْلَةً مِنْ أَهلِ الناحيَةِ علىٰ الجزيَةِ ، ثمَّ رجَعَ إِلىٰ (المدينةِ) ، ولم يَلْقَ عدوّاً .

ٱعتذارُ المنافقينَ عن تخلُّفِهم

فلمّا قَدِمَ (المدينةَ) ، جاءَ المُنافقونَ يعتذِرونَ إِليه عن تخلُّفِهم عنهُ ، ويحلِفونَ لَهُ ، فَقَبِلَ منهُم معذِرَتَهُم ، ووَكَلَ سرائِرَهُم إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ، فأَنزلَ اللهُ تعالىٰ فيهم : ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾ الآيات ، إِلىٰ قولِهِ : ﴿ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التّوبة ٩/ ٩٤ ـ ٩٦] .

ونزلَتْ فيهم سورَةُ براءَةَ ، وسمّاها ٱبنُ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما الفاضِحَةَ ـ والعياذُ باللهِ تعالىٰ ـ وقالَ : لم يزل ينزلُ فيهم : ﴿ وَمِنْهُم ﴾ ﴿ وَمِنْهُم ﴾ ﴿ وَمِنْهُم ﴾ حتّىٰ ظنّوا أَنّها لم تُبقِ أَحداً منهُم إِلاّ ذكرَتْهُ .

أَمّا الثّلاثَةُ الّذينَ خُلِّفوا ، وهُم : كعبُ بنُ مالِكٍ الخَزْرَجيّ ، وهِلالُ بنُ أُميَّةَ الأَوْسيّ ، ومُرارَةُ / بنُ الرَّبيعِ ، فإِنَّهُم لَم يتخلَّفوا لنفاقٍ ولا لعُذْرٍ ، بل كَسَلاً معَ ٱستطاعَتِهِم ، كمَنْ تركَ الصّلاةَ كَسَلاً ، فٱستحقّوا العِقاب ، فعُوقِبوا ، ثمَّ تابَ اللهُ عليهِم . [ق٢٠١]

أَمرُ كعبِ بن مالكٍ، وهِلالِ بنِ أُميَّةَ، ومُرارَةَ بنِ الرَّبيع

وكانَ مِنْ خبرِهِم ما ذكرَهُ البُخاريُّ ومُسلمٌ في « صحيحيهما » ، عن كعبِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال : لَمْ أَتخلَّفْ عن رسولِ اللهِ ﷺ في غزوةٍ غزاها إِلاّ في غزوَةِ (تبوكَ) ، غيرَ أَنّي لَمْ أَشهَدْ (بَدْراً) ، ولَمْ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٥٧) . ومُسلم برقم (٢٩٨٠/ ٣٩) . عن ٱبن عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُ .

يُعاتِبِ [اللهُ] أَحداً تخلَّفَ عنها ، ولَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقوىٰ ولا أَيسرَ منّي حينَ تخلَّفْتُ عنه في تلكَ الغزوَةِ ، فتجهَّزَ رسولُ اللهِ ﷺ ، ولَمْ أَقْضِ مِنْ جهازي شيئاً ، فقلتُ : أَتجهَّزُ بعدَهُ بيومٍ أَو بيومينِ ، فلَمْ يزل يتباطَأُ بيَ الأَمرُ حتّىٰ تباعَدَ الغَزْوُ ، فكنتُ إِذا خرجْتُ في النّاسِ أَحزنَني أَنّي لا أَجِدُ إِلاّ رجُلاً مَغْموصاً عليه بالنِّفاقِ ـ أَي : معيَّراً به ـ أَو رجُلاً ممَّن عَذَرَ اللهُ مِنَ الضُّعفاءِ ، فلمّا بلغَني أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَفَلَ راجِعاً طَفِقْتُ أَتذكَّرُ الكذبَ وأَقولُ : بماذا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غداً ؟ ثمَّ زاحَ عنّي الكذبُ ، وعَرَفْتُ أَنّي لا أَخْرُجَ عنهُ بشيءٍ فيه كذِبٌ ، فأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ .

فلمّا قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ (المدينَةَ) جاءَهُ المُخَلَّفونَ ، فطَفِقوا يَعتذِرونَ إِليه ويَحلِفونَ لَهُ ، فقَبِلَ منهُم علانِيَتَهُم ، وٱستغفرَ لَهُم ، وَوَكَلَ سرائِرَهُم إِلىٰ اللهِ تعالىٰ ، فجِئْتُهُ ، فسلَّمْتُ عليه فتبسَّم تبسُّمَ المُغْضَبِ ، ثمَّ قالَ : « ما خَلَّفَكَ ؟ » ، فقلتُ : واللهِ لو جَلَسْتُ عندَ غيركَ مِنْ أَهلِ الدُّنيا لرأَيْتُ أَنْ سأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بعُذْرٍ ، ولقد أُعطيتُ جَدَلاً[1] ، ولكنّي والله لَئِنْ حدَّثْتُكَ اليومَ حديثَ كَذِبٍ ترضىٰ به عنّي ، ليوشِكَنَّ أَنْ يُسْخِطَكَ اللهُ عليَّ ، ولَئِنْ حدَّثْتُكَ حديثَ صِدْقٍ تَجِدُ عليَّ فيه ، إِنّي لأَرجو فيه عَفْوَ اللهِ ، لا واللهِ ما كانَ لي مِنْ عُذْرٍ ، فقالَ ﷺ : « أَمّا هٰذا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمْ حَتّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فيكَ » ، فقُمْتُ ، فلامَني رجالٌ من بني سَلِمَةَ ـ أَي : بكسر اللاّمِ ـ أَن لا أَكونَ ٱعتذَرْتُ كما ٱعتذرَ إِليه المُخَلَّفونَ ، فقلتُ : هل لَقِيَ معي هٰذا أَحَدٌ ؟ ، قالوا : نعم ؛ مُرارَةُ / بنُ الرَّبيع [ق٢٠٢] العَمْريُّ ، وهِلالُ بنُ أُميَّةَ الواقِفيُّ ، فذكَروا لي رجُلين صالِحين ،

---

(١) مقابلة الحُجَّة بالحجَّة .

قد شَهِدا (بَدْراً) فيهما أُسوةٌ ، فمضَيْتُ حينَ ذكروهُما لي ، ونهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ المسلمينَ عن كلامِنا أَيُّها الثَّلاثةُ خاصَّةً[1] ، فٱجْتَنَبَنا النّاسُ ، وتغيَّروا لنا ، حتّىٰ تنكَّرَتِ الأَرضُ ، فما هيَ بالأَرضِ الَّتي أَعرِفُ ، فلَبِثْنا علىٰ ذٰلِكَ خمسينَ ليلةً .

فلمّا صلَّيتُ صلاةَ الفجرِ ، وأَنا علىٰ الحالِ الَّتي ذكَرها اللهُ تعالىٰ[2] ، وقد ضاقَتْ عليَّ الأَرض بما رَحُبَتْ ، وضاقَتْ عليَّ نفسي ، سَمِعتُ وأَنا جالسٌ علىٰ ظهر بيتي صارخاً ، أَوفىٰ علىٰ (سَلْعٍ)[3] ، يقولُ بأَعلىٰ صَوْتِهِ : يا كعبُ بنَ مالكٍ أَبشِرْ ، فخَرَرْتُ للهِ ساجداً ، وقد آذَنَ رسولُ اللهِ ﷺ النّاسَ بتوبةِ اللهِ علينا ، فذهبوا يُبشِّرونَنا ، فلمّا جاءَني الَّذي سمِعْتُ صوتَهُ نزعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ ، فكسوتُهُ إِيّاهُما ببُشْراهُ . وواللهِ ما أَملِكُ غيرَهُما يومئذٍ ، وٱستعَرْتُ ثوبين فلبِسْتُهُما ، وٱنطلقتُ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ ، فيتلقاني النّاسُ فَوْجاً فَوْجاً ، فلمّا دخلتُ المسجدَ وسلَّمْتُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ قالَ لي ـ ووجهُهُ يَبْرُقُ مِنَ السُّرورِ ـ : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » .

وأَنزلَ اللهُ علىٰ رسوله : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ

---

(١) المعنىٰ : نهىٰ رسولُ اللهِ ﷺ عن كلامنا نحن الثَّلاثة مخصوصين من بين النّاس .

(٢) وهيَ قوله تعالىٰ : ﴿ وَعَلىٰ الثَّلاثَةِ الَّذينَ خُلِّفوا حَتّىٰ إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ١١٨] .

(٣) سَلْع : جبل معروف في المدينة

﴿ ٱلرَّحِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/١١٧ ـ ١١٩] .

فواللهِ ما أَنعمَ اللهُ عليَّ مِنْ نعمَةٍ قطُّ ، بعدَ أَن هداني للإِسلام ، أَعظَمَ في نفسي مِنْ صِدْقي لرسولِ اللهِ ﷺ ، وأَن لا أَكونَ كَذَبْتُهُ فأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذينَ كَذَبوا ، فإِنَّ اللهَ قالَ للَّذينَ كذبوا حينَ أَنزلَ الوحيَ شَرَّ ما قالَ لأَحدٍ ، فقالَ : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا / ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٩٥ ـ ٩٦] (١) . [ق٢٠٣]

فَائِدَةٌ

في قبولِ اللهِ تعالىٰ توبة كعب بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ

في قولِهِ ﷺ لكعبٍ : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ » دليلٌ واضحٌ أَنَّ توبةَ اللهِ علىٰ عبدِهِ لا يتطرَّقُ إِليها نقصٌ ، إِذ كعبٌ أَسلَمَ وبايعَ بـ (العقبةِ) وشهِدَ غيرَ (بَدْرٍ وتَبوكَ) مِنَ المشاهِدِ ، وكلُّ هٰذه أَيّامٌ شريفةٌ ، لٰكنَّ عاقِبَتَها غيرُ مأمونةٍ ، وبذٰلِكَ يُعْلَمُ أَنَّ ثناءَ اللهِ علىٰ مَنْ أَثنىٰ عليه مِنْ عبادِهِ لا يتحوَّلُ ذمّاً ، كثنائِـهِ علىٰ أَصحابِ نبيِّه صلّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ورضيَ عنهُم . وسيأْتي تقرير ذٰلكَ في فصلٍ معقودٍ لفضْلِهِم .

وفاةُ النَّجاشِيِّ

وفيها ـ [أَي : السَّنةِ التّاسعةِ] ـ في رجبٍ : نَعىٰ لَهُم النَّبيُّ ﷺ النَّجاشِيَّ ، وصلّىٰ عليه في المُصلّىٰ جماعةً .

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ نعىٰ لَهُم النَّجاشِيَّ صاحِبَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٥٦) .

(الحَبشَةِ) في اليومِ الَّذي ماتَ فيه ، وقالَ : « اِسْتَغْفِروا لأَخيكُمْ»[1] .
وَصَفَّ بِهِم في المُصلّىٰ، فصلّىٰ عليه، وكبَّرَ أَربعاً .

حجُّ أبي بكر رضيَ اللهُ عنهُ

وفي خاتِمَةِ هٰذهِ السَّنةِ ـ [أَي : السَّنةِ التّاسِعَةِ] ـ: حجَّ أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بالنّاسِ ، وكانَ النَّبيُّ ﷺ هَمَّ أَنْ يَحُجَّ ، فذكَرَ ما ٱعتادَهُ المُشركونَ مِنَ الجَهالاتِ في حَجِّهِم ، معَ ما بينَهُ وبينَهُم مِنَ المُعاهَدَةِ ، فَثَناهُ ذٰلكَ عَنِ الحَجِّ ، وأَمَّرَ أَبا بكرٍ علىٰ الحجِّ ، وبعث معَهُ بصدرِ سورةِ براءَةَ .

وروىٰ « البُخاريُّ ومُسلمٌ » ، عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ أَبا بكرٍ بعثَهُ في الحَجَّةِ الَّتي أَمَّرَهُ عليها رسولُ اللهِ ﷺ قبلَ حَجَّةِ الوَداعِ في رهطٍ يُؤَذِّنُ في النّاسِ يومَ النَّحْرِ : أَنْ لا يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشْرِكٌ ، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُرْيَانٌ .

قالَ : فَنَبَذَ أَبو بكرٍ إِلىٰ النّاسِ في ذٰلكَ العامِ عُهودَهُم ، فلَمْ يَحُجَّ في العامِ القابِلِ الَّذي حجَّ فيه النَّبيُّ ﷺ حَجَّةَ الوَداعِ مُشْرِكٌ ، وأَنزلَ اللهُ تعالىٰ في العامِ الّذي حجَّ فيه أَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ :
[ق٢٠٤] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ / إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٢٨] .

بَعثُ النَّبيِّ ﷺ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ بصدرِ براءَةَ

قالَ : ثمَّ أَرْدَفَ النَّبيُّ ﷺ بَعليِّ بنِ أَبي طالِبٍ رضيَ اللهُ عنهُ فأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ ببراءَةَ .

قالَ أَبو هُريرةَ : فأَذَّنَ مَعنا ببراءَةَ في أَهلِ (مِنىً)[2] .

وقالَ ٱبنُ إِسحاقَ : بعثَ النَّبيُّ ﷺ أَبا بكرٍ أَميراً ، ثمَّ بعثَ بعدَهُ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢٦٣) . ومُسلم برقم (٩٥١/ ٦٣) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٣٧٨) .

عليّاً ، وأَمَرَهُ أَنْ يتولّىٰ نبذَ العُهودِ ، بأَنْ يقرأَ علىٰ النّاسِ صَدْرَ سورة براءَةَ ، لئلاّ يَبقىٰ للمُشركينَ عُذْرٌ ، إِذ كانَ مِنْ عادَتِهِم أَلاّ يتولّىٰ نبذَ العُقودِ إِلاّ مَنْ تولّىٰ عقدَها ، وهوَ صاحِبُها ، أَو رجلٌ مِنْ أَهلِ بيتِهِ[1] .

قالَ ابنُ إِسحاقَ : فلمّا أَدركَ عليٌّ أَبا بكرٍ ، قالَ لَهُ أَبو بكرٍ : أَأَميرٌ أَم مأمورٌ ؟ فقالَ : بل مأمورٌ ؟ ، ثمَّ مضيا ، فكانَ عليٌّ يُنادي بـ (مِنىً) : أَنَّ مَنْ كانَ لَهُ أَجلٌ فلَهُ أَربعةُ أَشهرٍ ، ثمَّ لا عهدَ لَهُ ـ أَي : لقولِهِ تعالىٰ ـ : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٢][2] .

---

(١) قلتُ : قالَ أَبو شهبة ـ رحمهُ اللهُ ـ : وهنا شبهةٌ نرىٰ لزاماً أَن نعرِضَ لها ، ونُبيّن الحقَّ فيها ، وهيَ : لِمَ عدلَ النّبيُّ ﷺ عن تبليغ أَبي بكرٍ صَدْرَ سورة براءةَ ووكَلَ ذٰلك إِلىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما ؟ والجواب : أَنَّ صَدْرَ سورة براءةَ تضمن نقض العهود المطلقة غير المقيَّدة بوقتٍ ، أَو الَّتي مدَّتها فوق أَربعة أَشهرٍ فيما زاد عن أَربعة أَشهرٍ ، وكانَ العربُ تعارفوا فيما بينهم في عقد العقود ونقضها أَلا يتولّىٰ ذٰلكَ إِلاّ سيّدُ القبيلة ، أَو رجلٌ من رهطه ، فأَراد اللهُ عزَّ وجلَّ أَنْ يكونَ المبلِّغُ عن النّبيِّ رجُلاً من أَهله ، حتّىٰ يقطعَ أَلسنةَ العرب بالاحتجاج علىٰ أَمرٍ هو من تقاليدهم ، ولا سيَّما أَنَّهُ ليسَ فيه مُنافاة للإِسلام ، فلذٰلكَ تداركَ النّبيُّ ﷺ الأَمرَ . أَخرجَ التِّرمذيُّ وأَحمد من حديثِ أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قال : بعثَ النّبيُّ ﷺ ببراءَةَ مع أَبي بكرٍ ، ثمَّ دعا عليّاً فأَعطاهُ إِيّاها ، وقال : « لا يَنْبَغي لأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هٰذا إِلاّ رجُلٌ مِنْ أَهلِ بَيْتي » ـ كما ذُكِرَ أَعلاهُ ـ أَنَّ جبريل عليه السَّلامُ هوَ الَّذي قالَ للنّبيِّ ﷺ : (إِنَّهُ لن يؤدِّيَها عنكَ إِلاّ أَنتَ أَو رجلٌ منكَ) . فهٰذا هوَ السَّببُ . لا ما زعمتهُ الرّافضةُ مِنْ أَنَّ ذٰلكَ للإِشارة إِلىٰ أَنَّ عليّاً أَحقُّ بالخلافة من أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، ولا أَدري كيف غفلوا أَو تغافلوا عن قول الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ لَهُ : أَأَمير أَم مأمورٌ ؟ فقال : بل مأمورٌ . وكيفَ يكونُ المأمور أَحقَّ بالخلافة من الأَمير ؟!! (أَنظر السّيرة النّبويّة ، ج٢/ ٥٣٩ـ٥٤٠) .

(٢) ابن هشام ، ج٤/ ٥٤٣ ـ ٥٤٦ .

ورویٰ الطَّبرانيُّ أَنَّ جبريلَ أَتاهُ فقالَ لَهُ : (إِنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيها ـ أَي : البراءَةَ ـ إِلاّ أَنتَ أَو رَجُلٌ مِنْكَ)[1] .

حَجَّةُ الوَداعِ

وفي السَّنةِ العاشِرَةِ : حَجَّ النَّبيُّ ﷺ حَجَّةَ الوَداع ، وسمّيت حَجَّةُ الوَداع لأَنَّهُ ﷺ ودَّعَ النّاسَ فيها . وقالَ : « خُذوا عَنّي مَناسِكَكُم ، فَإِنّي لا أَدْري لَعَلّي لا أَحُجَّ بَعْدَ عامي هٰذا »[2] .

وحجَّ ﷺ بأَزواجِهِ كلِّهنَّ رضيَ اللهُ عنهُنَّ ، وبخَلْقٍ كثيرٍ مِنَ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم . فحضرَها مِنَ الصّحابة أَربعونَ أَلفاً ، كلُّهُم يلتمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ به ﷺ ، فعلَّمَهُمُ المناسِكَ ، وأَبطلَ شعائِرَ الجاهليَّة ، وقالَ ﷺ في خُطبتِهِ : « أَلا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجاهِلِيَّةِ مَوْضوعٌ تَحْتَ قَدَميَّ هاتَيْنِ ، ودِماءُ الجاهِلِيَّةِ مَوْضوعَةٌ ، وَربا الجاهِلِيَّةِ مَوْضوعٌ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فيكُم ما لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِ : كِتابَ اللهِ ، وأَنَّكُم تُسْأَلونَ عَنّي فما أَنْتُم قائِلونَ ؟ » قالوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ ، فقالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » ثلاثَ مرّاتٍ .

[ق٢٠٥]

ونزلَ عليه قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ/ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [سورة المائدة ٥/ ٣][3] .

---

(١) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٢٩٩) . عن عليٍّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مسلم ، برقم (١٢٩٧) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) قلتُ : وهنا خطأٌ مشهورٌ ؛ وهو ما يزعمه البعض من أَنَّ هٰذه الآية آخِرُ ما نزلَ مِنَ القرآن ، والحقُّ أَنَّ آخِرَ آيةٍ نزلت ، هيَ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢٨١] . **والمرادُ بإكمال الدين** : إمّا إتمام حجِّهم علىٰ حسب ما شرعَ اللهُ ، وإِذلال الشِّرك وأَهله ، بحيث لم يشاركهم فيه أَحدٌ مِنَ المشركين ، وهو تمامُ النِّعمة عليهم . وإِمّا إِكمالُ الحلال والحرام .

وكانَ نزولُها يوم عَرفَةَ ، بعدَ العَصْرِ ، وهوَ ﷺ واقِفٌ بـ (عرفاتٍ) ، وذٰلكَ يومَ الجُمعة .

ولمّا سَمِعَها عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ بكىٰ ، فقال لَهُ النَّبيُّ ﷺ : «مايُبْكيكَ؟» ، قالَ : إنَّهُ لَمْ يَكْمُل شيءٌ إلاّ نَقَصَ . قالَ : «صَدَقْتَ»[١] .

فعاشَ بعدَها ﷺ نحوَ ثلاثةِ أَشهُرٍ ، ولم ينزِلْ بعدَها حلالٌ ولا حرامٌ ولا غيرُهُما مِنَ الأَحكامِ .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن ٱبن عُمَرَ رضيَ ٱللهُ عنهُما قالَ : كُنّا نتحدَّثُ بحَجَّةِ الوَداعِ ، والنَّبيُّ ﷺ بينَ أَظْهُرِنا ، فلا نَدْري ما حِجَّةُ الوَداعِ ؟ ، فحَمِدَ اللهَ وَأَثنىٰ عليه ، ثمَّ ذَكَرَ المسيحَ الدَّجّالَ ، فأَطنَبَ في ذكرِهِ ، وقالَ « ما بَعَثَ اللهُ نَبيّاً إلاّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ ، أَنْذَرَهُ نوحٌ والنَّبيّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فيكُم فَما خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفىٰ عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنىٰ ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طافِيَةٌ[٢] ، أَلا وَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَموالَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذا ، في بَلَدِكُمْ هٰذا ، في شَهْرِكُمْ هٰذا ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » ، قالوا : نعم ، قالَ : « اللَّهُمَّ ٱشْهَدْ ـ ثلاثاً ـ وَيْلَكُمْ ، أَو وَيْحَكُمْ ، ٱنظُروا ، لا تَرْجِعوا بَعْدي كُفّاراً ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ »[٣] .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَنَّ أُناساً مِنَ اليهودِ قالوا : لو نزلَتْ هٰذهِ الآيَةُ فينا لاتَّخَذْنا ذٰلكَ اليومَ عيداً ، فقالَ عُمَرُ بنُ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ : أَيَّةُ آيةٍ هيَ ؟ ، فقالوا : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

---

(١) أَخرجهُ البُخاريُّ ، كتاب الإيمان ، باب : زيادة الإيمان ونقصانه ، تعليقاً .

(٢) **طافيةٌ** : بارزةٌ عن سطح وجهه .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٤١) .

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ ، فقالَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ : وَاللهِ ، إِنّي لأَعْلَمُ أَيَّ مكانٍ أُنزِلَتْ ، أُنزِلَتْ ورسولُ اللهِ ﷺ واقِفٌ بـ (عرفَةَ)[1] .

ثمَّ قفلَ ﷺ إلىٰ (المدينةِ)، فأَقامَ بها بقيَّةَ ذي الحِجَّةِ والمُحرَّمَ وصَفَرَ.

سريَّةُ أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما

ثمَّ أَمرَ النّاسَ بالجهازِ إلىٰ (الشّامِ) ، وأَمَّرَ عليهِم أُسامَةَ بنَ زيدِ بنِ حارِثَةَ رضيَ اللهُ عنهُم ، وأَمَرَهُ أَنْ يُوطِئَ الخيلَ تُخومَ (البَلْقاءِ) ، وأَنْ يحرِقَ القريَةَ الَّتي عندَ (مُؤْتَةَ) ، حيثُ قُتِلَ أَبوه زيدٌ ، وأَرادَ بذٰلكَ أَنْ يُدْرِكَ ثأْرَهُ / مِنَ المُشركينَ . [ق٢٠٦]

فطعنَ ناسٌ في إِمارته لحداثَةِ سِنِّهِ ، ولكونِهِ مولىً ، وقالوا : أَمَّرَ غُلاماً علىٰ جِلَّةِ المُهاجرينَ والأَنصارِ[2] ؟ .

وٱبتدأَ برسولِ اللهِ ﷺ المَرَضُ ، فلمّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ ، خَرَجَ فحَمِدَ اللهَ تعالىٰ، وأَثنىٰ عليه، وأَمرَهُم بالجهازِ ، وبطاعَةِ مَنْ أَمَّرَهُ عليهِم.

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن ٱبنِ عُمَرَ رضيَ ٱللهُ عنهُما قالَ : بعثَ النَّبيُّ ﷺ بَعْثاً ، وأَمَّرَ عليهِم أُسامَةَ بنَ زيدٍ ، فطعنَ بعضُ النّاسِ في إِمارَتِهِ ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ : « إِنْ تَطْعَنوا في إِمارَتِهِ ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنونَ في إِمارَةِ أَبيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَٱيْمُ اللهِ ، إِنْ كانَ لَخَليْقاً لِلإِمارَةِ ، وَإِنْ كانَ لَمِنْ أَحَبِّ النّاسِ إِلَيَّ ، وَإِنَّ هٰذا لَمِنْ أَحَبِّ النّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ »[3] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٤٥) . ومُسلم برقم (٣٠١٧/ ٣) .

(٢) **قلتُ** : ذكر الحافظ ٱبن حجر في « الفتح » ، ج٨/ ١٥٢ : أَنَّ مِنْ بين القائلينَ في إِمرة أُسامة بن زيدٍ : عيّاش بن أَبي ربيعة المخزوميّ رضيَ اللهُ عنهُ . فردَّ عليه عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ ، وأَخبرَ النَّبيَّ ﷺ فخطبَ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٢٤) . ومُسلم برقم (٢٤٢٦/ ٦٣) . **قلتُ** :=

فأَخذَ النّاسُ في جهازِهِم ، فثَقُلَ ﷺ ، فأَقاموا ينتظرونَ ما اللهُ قاضٍ في رسولِهِ .

مَرَضُ النَّبيِّ ﷺ

وكانَ وجَعُهُ ﷺ بالخاصِرَةِ والصُّداعِ والحُمّىٰ ، وكانَ يُوعَكُ وَعْكاً شديداً ، وكانَ يُدارُ به علىٰ نسائِهِ ، ثمَّ ٱستأْذَنَهُنَّ أَنْ يُمَرَّضَ في بيتِ عائِشةَ ، فأَذِنَّ لَهُ .

فلمّا عَجزَ عَنِ الخُروجِ إِلىٰ الصَّلاةِ ، أَمرَ أَبا بكرٍ أَنْ يُصلّيَ بالنّاسِ ، فصلّىٰ بهِم .

ٱشتدادُ مَرَضِ النَّبيِّ ﷺ

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن ٱبنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : دخلتُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ في مرضِهِ ، وهوَ يُوعَكُ وَعْكاً شديداً ، فَمَسَسْتُهُ بيدي ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ، إِنَّكَ لتُوعَكُ وَعْكاً شديداً ، قالَ : « أَجَلْ ، إِنّي لأُوعَكُ كَما يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ » ، قلتُ : ذٰلكَ ، بأَنَّ لَكَ أَجرين ؟ قالَ : « أَجَلْ ذٰلِكَ كذٰلِكَ ، ما مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أَذىً ، شَوْكَةٌ فَما فَوْقَها ، إِلاّ كَفَّرَ اللهُ بِهِ سَيّئاتِهِ ، كَما تَحاتُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها »(١) .

= وقد كانَ تأميرُ أُسامةَ لحكمةٍ بالغةٍ من الرَّسول ﷺ ، إذ فيه حثٌّ علىٰ التَّضحية في سبيل الله ، والحرص علىٰ الاقتصاص من قاتلي أَبيه زيد بن حارثةَ رضيَ اللهُ عنهما ، كما كانَ فيه قضاءٌ علىٰ العنجهيّة العربيّة ، والتَّفاخُرِ بالأَنساب والأَحساب ، وتقريرٌ عمليٌّ لمبدأ المساواة في الإِسلام ، وفيه أَيضاً تهيئة الفرص للشَّباب الصّالح ، وإِثارة عزائمهم وهممهم إِلىٰ معالي الأُمور ، وتعويدهم الاضطلاع بالتَّبِعات الجِسام ، والمهام العِظام .

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٣٢٤) . حاتَّتْ : تساقطت .

أَمرُ النَّبيِّ ﷺ أَبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَنْ يُصلّي بالنّاسِ

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ فقالَ : « ضَعوا لي ماءً في المِخْضَبِ[1] » ، ففعلنا ، فٱغتسلَ ، فأُغْمِيَ عليه ، ثمَّ أَفاقَ ، والنّاسُ عُكوفٌ في المسجِدِ بصلاةِ العِشاءِ الآخِرَةِ ، فقالَ : « أَصَلّىٰ النّاسُ ؟ » ، قُلنا : لا ، هُمْ ينتظِرونَكَ ، فقالَ : « مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ / بِالنَّاسِ »[2] . [ق٢٠٧]

قالت : فراجعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ في ذٰلكَ ، وما حَمَلَني علىٰ كثْرَةِ مُراجعَتِهِ إلاّ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ في قلبي : أَنْ يُحِبَّ النّاسُ بعدَهُ رجُلاً قامَ مقامَهُ أَبداً ، ولا كنتُ أَرىٰ أَنَّهُ لن يقومَ مقامَهُ أَحَدٌ إلاّ تشاءَمَ النّاسُ بِهِ ، فأَرَدْتُ أَنْ يَعْدِلَ ذٰلكَ رسولُ اللهِ ﷺ عن أَبي بكرٍ[3] .

فأَرسَلَ [النَّبيُّ ﷺ] إلىٰ أَبي بكرٍ بِأَنْ يُصلّيَ بالنّاسِ ، فقالَ أَبو بكرٍ ـ وكانَ رجُلاً رقيقاً ـ : يا عُمَرُ صَلِّ بالنّاسِ ، فقالَ عُمَرُ : أَنتَ أَحَقُّ بذٰلكَ ، وصلّىٰ أَبو بكرٍ بالنّاسِ تِلكَ الأَيّامَ .

ثمَّ إِنَّ النَّبيَّ ﷺ ـ أَي : بعدَ أَيّام ـ وَجَدَ مِنْ نفسِهِ خِفَّةً ، فخرجَ لصلاةِ الظُّهرِ بينَ رجُلين ، وأَبو بكرٍ يُصلّي بالناسِ ، فلمّا رآهُ أَبو بكرٍ ذَهَبَ ليتأَخَّرَ ، فأَوْمَأَ إِليه [النَّبيُّ ﷺ] بِأَنْ لايتأَخَّرَ ، وقالَ : « أَجْلِساني إلىٰ جَنْبِهِ » ، فأَجلساهُ ، فجعلَ أَبو بكرٍ يُصلّي وهوَ يأْتَمُّ بصلاةِ النَّبيِّ ﷺ ، والنّاسُ يأْتمّونَ بصلاةِ أَبي بكرٍ ـ أَي : كالمُبلِّغِ لَهُم[4] ـ .

---

(١) **المِخْضَبُ** : وعاءٌ من خشبٍ أَو حجرٍ يغسل فيه الثياب .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٣٣) . ومُسلم برقم (٤١٨/ ٩٠) .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٨٠) . ومُسلم ، برقم (٤١٨/ ٩٣) .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٥٥) . ومُسلم برقم (٤١٨/ ٩٧) .

فَائِدَةٌ

في أمرِ النَّبيِّ ﷺ أبا بكرٍ أن يُصلّيَ بالنّاس

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّ عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها راجعَتْهُ ثلاثَ مرّاتٍ ، تقولُ لَهُ : إنَّ أَبا بكرٍ رجلٌ رقيقٌ ، إذا قرأَ غَلَبَهُ البُكاءُ ، فلَمْ يُسْمِعِ النّاسَ ، فمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ بِٱلنّاسِ ، وهوَ يقولُ : « مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنّاسِ » ، فأَمرتُ حفصةَ فراجعَتْهُ أَيضاً ، فقالَ : « مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِٱلنّاسِ ، فَإِنَّكُنَّ صَواحِبُ يُوسُفَ »(١) .

قالَ العُلماءُ : وَجهُ المُشابهَةِ : أَنَّ عائِشةَ أَضْمَرَتْ ما سبقَ مِنْ قولِها : (وما حمَلَني علىٰ كثرَةِ مُراجعَتِهِ) ـ إلىٰ آخِرِهِ ـ (وأَظهرَتْ أَنَّهُ رجُلٌ رقيقٌ) ـ إلىٰ آخرِهِ ـ فأَشْبَهَتِ ٱمرأةَ العزيزِ ، الَّتي ٱستدعَتِ النِّسوةَ ، وأَظهرَتْ إكرامَهُنَّ بالضِّيافَةِ ، وَأَضْمَرَتْ أَنْ يَعْذُرْنَها في شَغَفِها بحُبِّ يوسُفَ إذا رأَيْنَهُ ، كما صرَّحت بذٰلِكَ في قولِها : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِ ﴾ [سورة يوسف ١٢/ ٣٢] . واللهُ أَعلمُ .

همُّ النَّبيِّ ﷺ أنْ يكتُبَ لأَصحابِهِ كِتاباً

وفي « الصَّحيحين » عنها أَيضاً ، أَنَّهُ ﷺ قالَ في مرضِهِ : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلىٰ أَبي بَكْرٍ وَٱبنِهِ ، وَأَعْهَدَ أَنْ يَقولَ القائِلونَ ، أَو يَتَمَنّىٰ المُتَمَنّونَ ، ثُمَّ قلتُ : يَأْبىٰ اللهُ وَيَدْفَعُ المُؤْمِنونَ »(٢) .

[ق٢٠٨]

خُطبتُهُ ﷺ في النّاسِ

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ / رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَطَبَ النّاسَ فقالَ : « إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنيا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ ، فَٱخْتارَ ما عِنْدَ اللهِ » ، قالَ : فبكىٰ أَبو بكرٍ ، فعجِبنا لبُكائِهِ ـ فقلتُ في نفسي : ما يُبكي هٰذا الشَّيخَ ؟ أَنْ يَكونَ اللهُ خَيَّرَ عبداً بينَ الدُّنيا وبينَ ما عِندَ اللهِ فاختارَ ما عِندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ هوَ العَبْدَ ، وكانَ أَبو بكرٍ أَعْلَمَنا به ـ .

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٤٧) . ومُسلم برقم (٤١٨/ ٩٤) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٣٤٢) . ومُسلم برقم (٢٣٨٧) .

فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « يا أَبا بَكْرٍ لا تَبْكِ ، إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ وَمالِهِ أَبا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلْيلاً غَيْرَ رَبّي لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ ، ولٰكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلام وَمَوَدَّتُهُ ، لا يَبْقَيَنَّ في ٱلمَسْجِدِ بابٌ إِلاّ سُدَّ ، إِلاّ بابَ أَبي بَكْرٍ »(١) .

نعيُ النَّبيِّ ﷺ نفسَهُ إِلىٰ فاطمَةَ رضيَ اللهُ عنها وبِشارَتُهُ لها

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ أَنَّهُ ﷺ دعا ٱبنتَهُ فاطِمةَ ، في شكواهُ الَّتي قُبِضَ فيها ، فسارَّها بشيءٍ فبكَتْ ، ثمَّ دعاها فسارَّها بشيءٍ فضحِكَتْ .

قالَتْ عائِشةُ : فسأَلتُها بعدَ موتِهِ ، فقالَتْ : أَخبرَني أَنَّهُ يُقْبَضُ في وجعِهِ ذٰلكَ فبكَيْتُ ، ثمَّ أَخبرَني أَنّي أَوَّلُ أَهلِهِ يتبَعُهُ فضحِكْتُ(٢) .

فماتَتْ رضيَ اللهُ عنها بعدَهُ بستَّةِ أَشهُرٍ .

كثرةُ نزولِ الوحي علىٰ النَّبيِّ ﷺ في السَّنة الَّتي قُبِضَ فيها

وروىٰ البُخاريُّ عن أَنَسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : إِنَّ اللهَ تابعَ علىٰ رسولِهِ ﷺ نزولَ الوَحْيِ حينَ توفّاهُ أَكثرَ ما كانَ الوَحْيُ ، ثمَّ توفِّيَ رسولُ اللهِ ﷺ بعدُ(٣) .

قالَ العُلَماءُ : وذٰلكَ لكثرةِ الوفودِ وسؤالِهم عَنِ الأَحكام .

تأَثُّر فاطمةَ رضيَ اللهُ عنها لِما أَلَمَّ بأَبيها ﷺ

وفيه ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عنهُ أَيضاً قالَ : لَمّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ جَعَلَ يتغشّاهُ الكربُ ، فقالَتْ فاطِمةُ عليها السَّلامُ : واكَرْبَ أَباهُ ، فقالَ لها : « لَيْسَ عَلىٰ أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْم » ، قالَ : فلمّا دفنّاهُ ، قالَتْ فاطِمةُ عليها السَّلامُ : يا أَنَسُ ، أَطابَتْ أَنفُسُكُمْ أَنْ تَحْثوا علىٰ نبيِّكُم التُّرابَ(٤) .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٥٤ ـ ٣٤٥٤) .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٢٧) . ومُسلم برقم (٢٤٥٠/٩٧) . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٦٩٧) .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٩٣) .

تخييرُ النَّبيِّ ﷺ عِندَ قَبْضِهِ

وفي « الصَّحيحين » ، عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها قالَتْ : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ وهوَ صحيحٌ يقولُ : « إِنَّهُ لَنْ يُقْبَضْ نبيٌّ قطُّ حتّىٰ يرىٰ مَقْعَدَهُ في الجَنَّةِ ، ويُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنيا والآخِرةِ » ، فسمِعْتُهُ في مرضِهِ الَّذي ماتَ فيه يقولُ ، وقد أَخذَتْهُ بُحَّةٌ : ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/٦٩] [(١)] .

[ق٢٠٩] وفي روايةٍ : ثمَّ شَخَصَ بصرُهُ / إِلىٰ السَّماءِ ، ثمَّ قالَ : « اللَّهُمَّ الرَّفيقَ الأَعلىٰ » .

فقلتُ : إِذاً لا يَختارُنا ، وعَرَفْتُ أَنَّهُ حديثُهُ الَّذي كانَ يُحدِّثُنا ، وهوَ صحيحٌ[(٢)] .

وفي روايةٍ أَنَّهُ قالَ : « اللَّهُمَّ ٱغفِرْ لي وَٱرْحَمْني ، وَأَلْحِقْني بِالرَّفيقِ الأَعلىٰ »[(٣)] .

خُروجُ النَّبيِّ ﷺ صبيحةَ يومِ وفاتِهِ

وفي « الصَّحيحين » ، عن أَنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ المُسلمينَ بينما هُمْ في صلاةِ الفَجْرِ مِنْ يومِ الاثنينِ ، وأَبو بكرٍ يُصلّي لهُم ، لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاّ رسولُ اللهِ ﷺ قَدْ كشفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عائِشةَ ، فنظرَ إِليهِم وهُم صفوفٌ في الصَّلاةِ ، فتبسَّمَ يَضْحَكُ ، فنكَصَ أَبو بكرٍ علىٰ عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وظنَّ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يُريدُ أَنْ يخرُجَ إِلىٰ الصَّلاةِ، فقالَ أَنسٌ: وهَمَّ المُسلمونَ أَنْ يَفْتَتِنوا في صَلاتِهِم فرحاً برسولِ اللهِ ﷺ ، فأَشارَ إِليهِم بيدِهِ : « أَنْ أَتِمّوا صَلاتَكُمْ » ، ودخلَ الحُجْرَةَ، وأَرخىٰ السِّتْرَ، وماتَ مِنْ يومِهِ[(٤)] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٧٣) . ومُسلم برقم (٢٤٤٤/٨٧) .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٩٤) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٧٦) . عن عائِشة رضيَ اللهُ عنها .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٨٣) . ومُسلم برقم (٤١٩/٩٨) .

مُعالجةُ النَّبيِّ ﷺ سكراتِ الموتِ

وفيهما ـ [أي : الصَّحيحين] ـ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَتْ عندَهُ رَكْوَةٌ فيها ماءٌ ، فجعلَ يُدْخِلُ يديهِ فيها ، ويمسَحُ بها وجهَهُ ، ويقولُ : « أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ ، إِنّ لِلْمَوْتِ سَكَراتٍ » ، ثمَّ نصبَ يدَهُ ، فجعلَ يقولُ : « في الرَّفيقِ الأَعلىٰ » ، حتّىٰ قُبِضَ ومالَتْ يدُهُ ﷺ[1] .

فائدة

في حبِّ الرَّسول ﷺ لقاءَ الرَّفيق الأعلىٰ

قالَ العُلماءُ : إنَّما لم يزل يكرِّرُها لأَنَّ التَّخْيِيرَ لم يزل يُعادُ عليه ، وهيَ كلمةٌ تتضمَّنُ حبَّ لقاءِ اللهِ، الَّذي هوَ لُبابُ التَّوحيدِ، وسِرُّ الذِّكْرِ باللِّسانِ والقلبِ ، ومنهُ يُستفادُ أَنَّهُ لا يُشترَطُ في نجاةِ المُحتَضِرِ أَنْ يتلفَّظَ بـ(لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ)، إذا ماتَ وقلبُهُ مطمئنٌّ بالإِيمانِ. واللهُ أَعلمُ .

عُمُرُ النَّبيِّ ﷺ يومَ قُبِضَ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قال : بُعِثَ رسولُ اللهِ ﷺ لأَربعينَ سَنَةً ، ومكثَ بـ(مكَّةَ) ثلاثَ عشرةَ سَنَةً يُوحىٰ إليه ، ثمَّ أُمِرَ بالهجرةِ ، فهاجرَ إِلىٰ (المدينةِ) عشرَ سِنينَ ، وماتَ وهوَ ٱبنُ ثلاثٍ وستّينَ سَنَةً[2] .

دهشَةُ المُسلمينَ لوفاةِ النَّبيِّ ﷺ

ولمّا قبضَهُ اللهُ إِليه ، وٱختارَ لَهُ ما عندَهُ ؛ دُهِشَ أَصحابُهُ رضيَ اللهُ عنهُم دهشةً عظيمةً ، وطاشَتْ أَحلامُهُم لِعُظْمِ المُصيبةِ ، ولم يكُن فيهم أَثبتُ مِنَ العبّاسِ وأَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

[ق٢١٠]

وروىٰ التِّرمذيُّ / في « الشَّمائل النَّبويَّة » ، وٱبنُ ماجه في « السُّنن » عن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ : لَمّا كانَ اليومُ الَّذي دخلَ فيه النَّبيُّ ﷺ (المدينةَ) أَضاءَ منها كلُّ شيءٍ ، ولمّا كانَ اليومُ الَّذي ماتَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٨٤) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٦٨٩) .

فيه أَظلمَ منها كلُّ شيءٍ[1] .

وفي ذٰلكَ يقولُ أَبو سُفيانَ بنُ الحارثِ ، ٱبنُ عمِّ رسولِ اللهِ ﷺ ، [مِنَ الوافر][2] :

أَرِقْتُ فَباتَ لَيْلي لا يَزولُ	وَلَيْلُ أَخي ٱلْمُصيبَةِ فيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَني ٱلْبُكاءُ وَذاكَ فيما	أُصيبَ ٱلْمُسْلِمونَ بِهِ قَليلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصيبَتُنا وَجَلَّتْ	عَشيَّةَ قيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسولُ
وَأَضْحَتْ أَرْضُنا مِمّا عَراها	تَكادُ بِنا جَوانِبُها تَميلُ
فَقَدْنا ٱلْوَحْيَ وَالتَّنْزيلَ فينا	يَروحُ بِهِ وَيَغْدو جِبْرَئيلُ
وَذاكَ أَحَقُّ ما سالَتْ عَلَيْهِ	نُفوسُ النّاسِ أَوْ كادَتْ تَسيلُ
نَبِيٌّ كانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنّا	بِما يُوحىٰ إِلَيْهِ وَما يَقولُ
وَيَهْدينا فَما نَخْشىٰ ضَلالاً	عَلَيْنا وَالرَّسولُ لَنا دَليلُ
أَفاطِمُ إِنْ جَزِعْتِ فَذاكَ عُذْرٌ	وَإِنْ لَمْ تَجْزَعي ذاكَ السَّبيلُ
فَقَبْرُ أَبيكِ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ	وَفيهِ سَيِّدُ النّاسِ الرَّسولُ

موقفُ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ من وفاةِ النَّبيِّ ﷺ

وروىٰ البُخاريُّ في « صحيحه » ، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ ماتَ وأَبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بـ (العالِيَةِ) ، فقامَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : واللهِ ما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رجالٍ وأَرجُلَهُم ، فجاءَ أَبوبكرٍ فكشَفَ عَنْ وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ وقبَّلَهُ ، وقالَ : بأَبي أَنتَ وأُمّي ، طِبْتَ حيّاً ومَيْتاً ، والَّذي نَفْسي بيدِهِ لا يُذيقُكَ اللهُ مَوْتَتينِ ، أَمّا المَوْتَةُ الَّتي كُتِبَتْ عليكَ فقد مُتَّها .

ثمَّ خرجَ إِلىٰ النّاسِ فحَمِدَ اللهَ وأَثنىٰ عليه ، ثمَّ قال : أَلا مَنْ كانَ يَعْبُدُ مُحمَّداً ﷺ فإِنَّ مُحمَّداً قد ماتَ ، ومَنْ كانَ يَعْبُدُ اللهَ فإِنَّ اللهَ حيٌّ

(١) أَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (١٦٣١) .

(٢) البداية والنِّهاية ، ج٥/ ٢١٤ .

لا يموتُ ، ثمَّ تلا قولهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [سورة الزُّمر ٣٩/ ٣٠] وقولهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ/ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ٣/ ١٤٤] . [ق٢١١]

قال : فَنَشَجَ[١] النّاسُ بالبُكاءِ حينئذٍ ، وكأَنَّ النّاسَ لم يَعلَموا أَنَّ اللهَ أَنزلَ هٰذه الآيةَ حتّىٰ تلاها أَبو بكرٍ ، فتلقّاها منهُ النّاسُ كُلُّهُم يَتْلوها ، قال عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ : واللهِ ما هوَ إلاّ أَنْ سمِعْتُ أَبا بكرٍ تلاها فعُقِرْتُ[٢] ، وعلِمتُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قد ماتَ[٣] .

زمنُ وفاةِ النَّبيِّ ﷺ

وكانَتْ وفاتُهُ ﷺ ضُحىٰ يومِ الاثنينِ ، ثانيَ عشرَ ربيعِ الأَوَّلِ ، ودُفِنَ يومَ الثُّلاثاء[٤] .

دَفْنُ النَّبيِّ ﷺ

وإِنَّما تأَخَّرَ دفنُهُ لاختلافِهِم في موتِهِ ، حتّىٰ أَزالَ الشَّكَّ عنهُم أَبو بكرٍ .

---

(١) النَّشيجُ : صوتٌ معَهُ توجُّعٌ وبكاءٌ ، كما يُرَدِّدُ الصَّبيُّ بكاءَهُ في صدره .

(٢) عُقِرْتُ (بضمِّ العين) : ٱنهارت قِواي وسقطتُ . وعَقِرْتُ (بفتح العين) : دهشتُ وتحيَّرتُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٦٧ ـ ٤١٨٧) .

(٤) قلتُ : ٱختلفَ أَهلُ العِلم في اليوم الَّذي توفّي فيه ، بعد ٱتّفاقهم علىٰ أَنَّه يومُ الاثنين في شهر ربيعِ الأَوَّل ، فذكر الواقديّ وجمهورُ النّاس : أَنَّه الثّاني عشر . وهٰذا لا يصحُّ ، وقد جرىٰ فيه علىٰ العلماء من الغَلطِ ما علينا بيانُهُ ، لأَنَّ حجَّةَ الوداع كانت وقفَتُها يومَ الجمعة ، فلا يستقيمُ أَن يكونَ يوم الاثنين ثاني عشرَ ربيعِ الأَوَّل ، سواءً أَتمَّتِ الأَشهُرُ كُلُّها أَم نقصت ، أَو تمَّ بعضُها ونقصَ بعضُها . قال الطَّبرانيُّ : يومَ الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيعِ الأَوَّل . قال أَبو بكرٍ الخَوارزميّ : أَوَّلَ ليلةٍ منه . وكلاهُما ممكنٌ . أَمّا ما ٱختاره ٱبن إِسحاق والواقديّ وٱبن سعدٍ هنا فعليه مأخذٌ . (انظر الجامع في السّيرة النَّبويَّة ، ج٤/ ٥٨٢ . والسّيرة النَّبويَّة ، ج٢/ ٥٩٤) .

ثمّ ٱختلفوا أيضاً أين يُدفَنُ ؟ ، فمنهُم مَنْ قالَ : في مسجدِهِ .
ومنهُم مَنْ قالَ : في (البَقيع) حيثُ دُفِنَ ٱبنهُ إِبراهيمُ وأَصحابُهُ ،
ومنهُم مَنْ قالَ : يُحمَلُ إِلىٰ (القُدْسِ) عندَ قبر أَبيه إِبراهيم عليه
السَّلامُ . حتّىٰ أَزالَ الشَّكَّ الصِّدّيقُ أَيضاً رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ :
سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « ما دُفِنَ نَبيٌّ إلاّ حَيْثُ يَموتُ » .
أَخرجه مالِكٌ في « المُوَطَّأ » ، وٱبنُ ماجه في « السُّنن »[1] .

أمرُ سقيفة بني ساعِدَة

ثمَّ إِنَّ الأَنصارَ أَرادوا أَنْ يتميَّزوا عَنِ المُهاجرينَ ، وأَنْ يَعقِدوا الخلافةَ لسعدِ بنِ عُبادةَ ، فأَطفأَ اللهُ نارَ الفِتنة علىٰ يدِ أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ ، بأَنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُريشٍ ، ولهٰذا قالَ أَبو هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : (لولا أَبو بكرٍ لهلكتْ هٰذِهِ الأُمَّةُ) .

مُبايعةُ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

وفي « صحيح البُخاريِّ » ، عن ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ خطبَ النّاسَ في خلافته ـ فذكرَ حديثَ بيعةِ أَبي بكرٍ ـ فقالَ : إِنَّهُ كانَ مِنْ خَيْرِنا حينَ توفّىٰ اللهُ نبيَّهُ ﷺ ، إلاّ أَنَّ الأَنصارَ خالفونا ، وٱجتمعوا بأَسْرِهِمْ في سقيفةِ بني ساعِدَةَ ، وٱجتمعَ المُهاجرونَ إِلىٰ أَبي بكرٍ ، فقلتُ لأَبي بكرٍ : اِنطلِقْ بنا إِلىٰ إِخوانِنا هٰؤلاءِ مِنَ الأَنصارِ ، فٱنطلَقْنا حتّىٰ أَتيناهُم ، فقالَ قائِلُهُم : نحنُ أَنصارُ اللهِ وكتيبةُ الإِسلامِ ـ أَي الَّتي ٱجتمعَ إِليها آحادُ النّاسِ ـ فَمِنّا أَميرٌ ومنكُم أَميرٌ ، فقالَ أَبو بكرٍ : ما ذكَرْتُمْ فيكُم مِنْ خيرٍ / فَأَنْتُمْ لَهُ أَهلٌ ، ولن يُعرَفَ هٰذا الأَمرُ إلاّ لهٰذا الحيِّ مِنْ قُريشٍ ، هُمْ أَوسَطُ العربِ نَسباً وداراً ، وقد رضيتُ لَكُم أَحدَ هٰذينِ الرَّجُلينِ ، فبايعوا أَيَّهُما شِئْتُمْ ، وأَخذ بيدي وبيدِ أَبي عُبيدةَ بنِ [ق٢١٢]

(١) أَخرجه مالك في « الموطّأ » ، ج١/ ٢٣١ . وٱبن ماجه برقم (١٦٢٨) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما . بنحوه .

الجرّاحِ ، وهوَ جالِسٌ بيننا ، فلَمْ أَكْرَهْ مِمّا قالَ غيرَها ، كانَ واللهِ أَنْ أُقدَّمَ فيُضْرَبَ عُنُقي ، لا يُقَرِّبُني ذٰلك من إثمٍ أَحبَّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَتأَمَّرَ علىٰ قومٍ فيهِم أبو بكرٍ ، وكثُرَ اللَّغَطُ[1] ، وٱرتفعَتِ الأَصواتُ ، حتّىٰ خِفْتُ مِنَ الاختلافِ ، ما وجَدْنا فيما حَضَرنا مِنْ أَمرٍ أَقوىٰ مِنْ مُبايَعَةِ أَبي بكرٍ ، خشينا إِنْ فارقناهُم ولم تكُنْ بيعةٌ أَنْ يُبايعوا رجُلاً منهُم بعدَنا ، فإِمّا أَنْ نُبايعَهُم علىٰ ما لا نرضىٰ ، وإِمّا أَنْ نُخالِفَهُم فيقعَ الفسادُ ، فقلتُ لأَبي بكرٍ : ٱبْسُطْ يدكَ يا أَبا بكرٍ ، فبسطَ يدَهُ فبايَعْتُهُ وبايَعَهُ المُهاجِرونَ ، ثمَّ بايَعَتْهُ الأَنصارُ ، ثمَّ كانَتْ بيعةُ العامَّةِ مِنَ الغدِ[2] .

وأَمّا سيّدنا عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ وسائِرُ بني هاشِمٍ فكانوا في وقتِ البيعَةِ مشغولينَ بغَسلِ رسولِ اللهِ ﷺ وتكفينِهِ ، فوقَعَ في أَنفُسِهِم مِنِ ٱستبدادِ أَبي بكرٍ وعُمَرَ وسائِرِ المُهاجرينَ والأَنصارِ بالأَمر عليهِم .

وسبقَ أَنَّها لم تقع عن رويَّةٍ ، إِنَّما بادرَ إِليها عُمَرُ خوفاً مِنَ الوقوعِ في الفِتنَةِ ، فلم يسأَلْ أَبو بكرٍ منهُمُ البيعةَ لانعقادها ، ولم يُبادِروا هُم إِليها .

طلبُ فاطِمةَ رضيَ اللهُ عنها ميراثها مِنَ النَّبيِّ ﷺ

ثمَّ إِنَّ فاطِمةَ رضيَ اللهُ عنها سأَلَتْ أَبا بكرٍ نصيبَها مِمّا تركَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ (خيبرَ وفَدَكٍ) ، وصدقاتِ (المدينةِ) مِنَ أَموالِ بني قَيْنُقاعَ والنَّضيرِ وقُريظةَ ، فأَبىٰ عليها أَبو بكرٍ ذٰلكَ ، وقالَ : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْناه صَدَقَةٌ » ، ولكنّي سأَعولُ مَنْ كانَ النَّبيُّ ﷺ يعولُهُ ، وقالَ : لستُ تاركاً شيئاً كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يفعلُهُ إِلاّ عملتُ به ، فإِنّي أَخشىٰ إِنْ تركتُ شيئاً مِنْ أَمرِهِ أَنْ أَزيغَ .

---

(١) اللَّغَطُ : الصَّوت والضَّجيج .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٤٤٢) .

فوقعَ في نفسِها مِنْ ذٰلكَ ، فهجرَتْ أَبا بكرٍ إِلىٰ أَن ماتَتْ رضيَ اللهُ عنها .

فلمّا ماتَتْ أَرسلَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ ـ بعدَ أَنْ جمعَ بني هاشِمٍ ـ إِلىٰ أَبي بكرٍ أَنْ يأتيَهُم وحدَهُ ، فأَتاهُم فٱعتذرَ / إِليه عليٌّ مِنْ تخلُّفِهِ ، [ق٢١٣] وقالَ : إِنّا قد عرَفنا فضْلَكَ ، ولم نحسُدْكَ علىٰ خيرٍ ساقَهُ اللهُ إِليكَ ، ولكنَّكَ ٱستبدَدْتَ بالأَمرِ علينا ، ففاضَتْ عينا أَبي بكرٍ ، وٱعتذرَ إِليهم بوقوعِ البيعَةِ مِنْ غيرِ رويَّةٍ ، وقالَ : واللهِ لقَرابَةُ رسولِ اللهِ ﷺ أَحَبُّ إِليَّ مِنْ أَنْ أَصِلَ مِنْ قرابَتي ، فقالَ لَهُ عليٌّ : موعِدُكَ العَشيَّةُ للبيعَةِ، ثمَّ راحَ بمن معَهُ مِنْ بني هاشِمٍ إِلىٰ المَسجدِ، فبايعوهُ، رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعينَ ، فسُرَّ بذٰلكَ المُهاجرونَ والأَنصار ، وقالوا لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: أَصبتَ، أَصبتَ. روىٰ ذٰلكَ البُخاريُّ ومُسلمٌ[1] .

ورويا أَيضاً ـ [أَي : البُخاريّ ومُسلم] ـ أَنَّ عليّاً والعبّاسَ سأَلا مِنْ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ نصيبَهُما مِنَ الصَّدقَةِ السّابقِ ذكرُها .

سأَلَ عليٌّ نصيبَ فاطِمةَ ، والعبّاسُ هوَ عصبةُ النَّبيِّ ﷺ ، فأَبىٰ عليهِما .

ثمَّ سأَلاها عُمَرَ فأَبىٰ عليهِما ، وٱستشهدَ جماعةً مِنَ الصَّحابة منهُم : عُثمانُ وعبدُ الرَّحمٰنِ علىٰ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : « لا نُورَثُ »

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩٩٨) . ومُسلم برقم (٥٢/١٧٥٩) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها : قلتُ : اختلفت الرِّوايات ؛ فبعضهم ذكر أَنَّ عليّاً بايع قبل ذلك ، ولكن الصَّحيح ما أَخرجه البُخاريُّ ومسلم . وفي بعض الكتب ما يشير إِلىٰ أَنَّ فاطمة كانت ملحَّة علىٰ مبايعة علي . (انظر الإِمامة والسياسة لابن قتيبة) .
ومهما يكن فما صحَّ من اختلافاتٍ بينهم رضيَ الله عنهم يُحْمَلُ علىٰ أَحسن المحامل ، وأَحسن ما يقال فيه : إِنَّهم بشرٌ .

فشهِدوا ، وٱعترفَ بذٰلكَ أيضاً عليٌّ والعبّاسُ رضيَ اللهُ عنهُما ، ثمَّ دفعَ إليهما صدقاتِ (المدينة) ، علىٰ أن يعملا فيها بما عَمِلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، فأخذاها .

ثمَّ إنَّ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ تغلَّبَ عليها ، فلم يُعْطِ عمَّهُ العبّاسَ منها شيئاً ، فٱختصما إلىٰ عُمَرَ ليقسِمَها بينهُما نصفينِ ، فأبىٰ ذٰلكَ عليهِما ، وكَرِهَ أَنْ يجريَ عليها ٱسمُ القَسْمِ لئلاّ تُظَنَّ أنَّها إرثٌ ، فلم يسعْ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ مدَّةَ خلافتِهِ أَنْ يعملَ فيها إلاّ بما عَمِلَ فيها أبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين[1] .

وفي « الصَّحيحين » أَيضاً ، أَنَّ أَزواجَ النَّبيِّ ﷺ أَرَدْنَ أَنْ يبعَثْنَ عُثمانَ إلىٰ أَبي بكرٍ يسأَلْنَهُ ميراثَهُنَّ ، فقالَتْ لَهُنَّ عائِشةُ : أَليسَ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «نَحْنُ معاشِرَ الأَنبياءِ لانُورَثُ، ماتَرَكْنا صَدَقَةٌ؟»[2] .

زوجاتُهُ ﷺ اللّواتي توفّي عنهُنَّ

وتوفّي ﷺ عن تسعِ زوجاتٍ ، وهُنَّ : عائِشة بنتُ أَبي بكرٍ ، وحَفْصَةُ بنتُ عُمَرَ / ، وجُوَيرِيَةُ بنتُ الحارثِ المُصْطَلِقيَّةُ ، وأُمُّ حَبيبَةَ رَمْلَةُ بنتُ أَبي سُفيانَ الأُمويَّةُ ، وزَيْنَبُ بنتُ جَحْشٍ الأَسَدِيَّةُ ، وسَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ العامريَّةُ ، وصَفيَّةُ بنتُ حُيَيٍّ بنِ أَخْطَبَ النَّضريَّةُ الإِسرائيليَّةُ الهارونيَّةُ ، ومَيْمونَةُ بنتُ الحارثِ الهِلاليَّةُ ، وأُمُّ سَلَمَةَ هِنْدٌ بنتُ أَبي أُميَّةَ المَخْزوميَّةُ . رضيَ اللهُ عنهُنَّ ، وعن سائِرِ أَصحابِ رسولِ اللهِ أَجمعينَ .

[ق٢١٤]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٣٨٠٩). عن عُمَرَ بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ.

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٨٠٩) . ومُسلم برقم (٥١/١٧٥٨) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

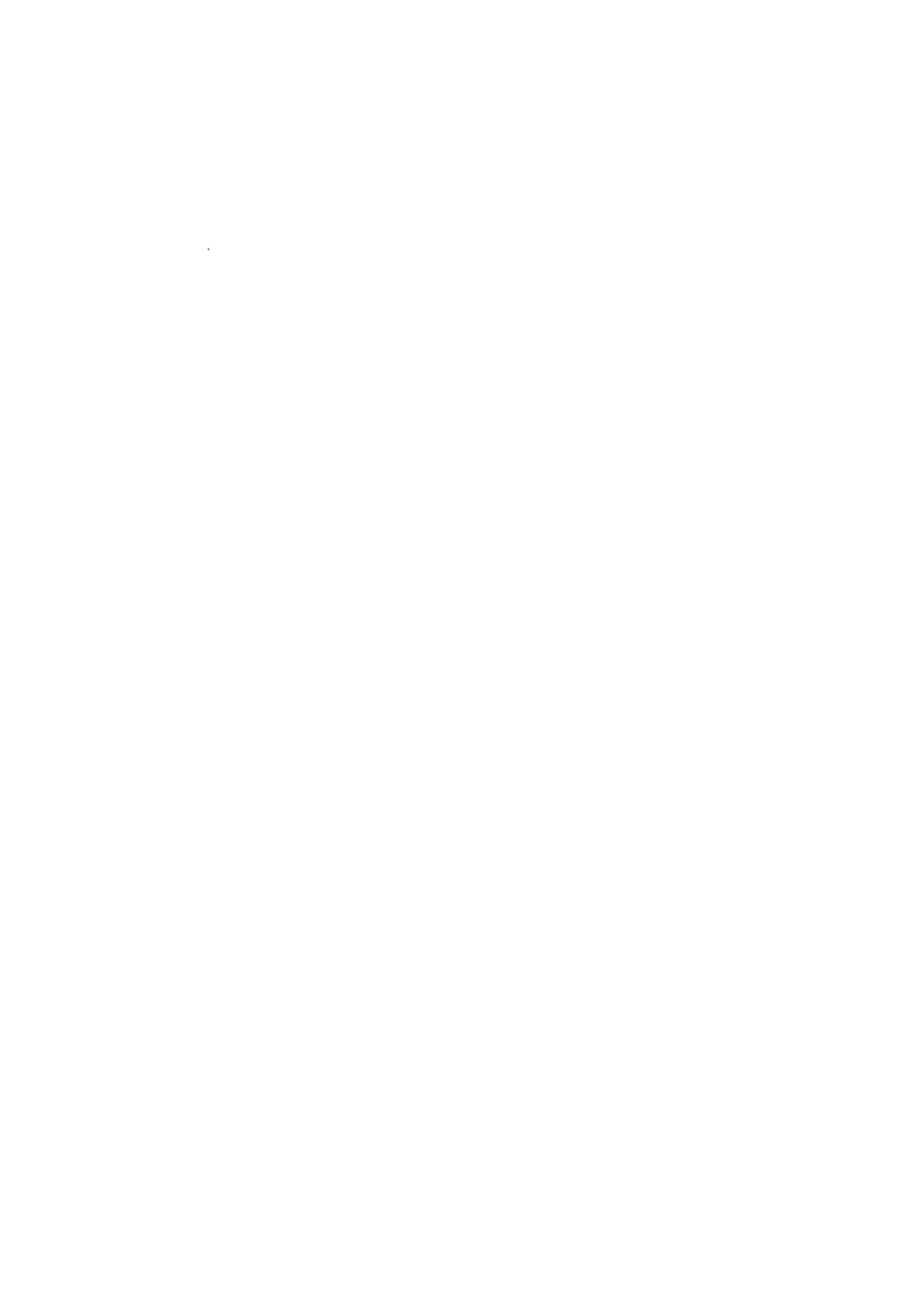



تذييل

فيه فصول في وجوب نصب الإمام، وشرائط الإمامة، وفي الإمام الحق بعد رسول الله ﷺ

وفي فضل الخلفاء الأربعة، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم أجمعين



فَصْلٌ

في وُجوبِ نَصْبِ الإمام

اِعلم أَنَّ مذهبَ أَهلِ السُّنَّةِ أَنَّ نَصْبَ الإمامِ واجبٌ علىٰ الأُمَّةِ ، لإجماعِ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم بعدَ وفاةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، علىٰ ٱمتناعِ خُلوِّ الوقتِ عَنْ خَليفةٍ لَهُ وإِمامٍ .

وقد قالَ الصِّدّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ في خطبتِهِ في (سقيفة بني ساعِدَةَ) بينَ المُهاجرينَ والأَنصار : (أَلا وإِنَّ مُحمّداً قد ماتَ ، وأَنَّه لا بُدَّ لهٰذا الدّين مِنْ إمامٍ يقومُ به) . فبادرَ الكُلُّ إِلىٰ قَبولِ قولِهِ ، ولم يَقُلْ أَحدٌ لا حاجةَ لي إِلىٰ ذٰلكَ ، بل ٱتَّفقوا عليه ، وٱجتمعوا لَهُ ، وتركوا لشِدَّةِ ٱهتمامهم به أَهمَّ الأَشياء عندَهُم ؛ وهوَ تجهيزُ رسولِ اللهِ ﷺ كما سبقَ ، ثمَّ لم يزلِ النّاسُ بعدَهُم علىٰ ذٰلكَ في جميعِ الأَمصارِ والأَعصارِ .

وأَيضاً : فإِنَّ نَصْبَ الإمامِ يتضمَّنُ دفعَ الضَّررِ ، لأَنَّ النّاسَ إِذا كانَ لَهُم رئيسٌ قاهِرٌ ٱنتظَمَتْ مصالِحُ دينِهم ودنياهُم ، لأَنَّ مقاصِدَ الشَّرعِ الشَّريفِ فيما شَرَعَ اللهُ ورسولُهُ فيه مِنَ الأَحكامِ والحُدودِ ، وإِظهارِ شعائِرِ الدّينِ ، إِنّما هيَ مصالِحُ عائِدَةٌ إِلىٰ الخَلْقِ ، إِمّا عاجِلاً وَإِمّا آجِلاً .

ومعلومٌ أَنَّ ذٰلكَ لا يتمُّ إِلاّ بإمامٍ يَرْجعونَ إِليه عندَ ٱختلافِهِم ، وإِلاّ لأَفْضىٰ ذٰلكَ إِلىٰ الهلاكِ . ويشهدُ لذٰلكَ ما يثورُ مِنَ الفِتَنِ عندَ موتِ الأَئِمَّةِ ، بحيثُ يُقْطَعُ / بأَنَّها لو تمادت لتعطَّلت أُمورُ المَعاشِ والمَعادِ . [ق٢١٥]

وقد سبقَ أَنَّ الشَّيطان ـ لعنَهُ اللهُ ـ أَطلَعَ رأْسَهُ ، ومدَّ مطامِعَهُ ، وأَوقدَ نارَ الشَّتاتِ ، ونَصَبَ رايةَ الخِلافِ بعدَ موتِ رسولِ اللهِ ﷺ ، حتّىٰ أَطفأها اللهُ بالصِّدّيقِ ، مع أَنَّهُم أَفضلُ الأُمَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم ، فما الظَّنُّ بغيرِهِم ؟

قالَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢٥١] .

وما أَحسنَ قولَ عبدِ اللهِ بنِ المُبارَكِ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ [مِنَ البسيط] :

اللهُ يَدْفَعُ بِٱلسُّلْطانِ مُعْضِلَةً عَنْ دينِنا وَبِهِ إِصْلاحُ دُنيانا
لَوْلا ٱلأَئِمَّةُ لَمْ تَأْمَنْ لَنا سُبُلٌ وَكانَ أَضْعَفُنا نَهْباً لأَقْوانا

فَصْلٌ
في شروط الإمامة

وحدُّ الإمامَةِ أَنَّها رِئاسَةٌ عامَّةٌ في أُمورِ الدّينِ والدُّنيا لشخصٍ بشروطٍ ؛ وهيَ عشرةٌ :

الأَوَّلُ : أَنْ يكونَ ذَكَراً ، إِذْ النِّساءُ ناقِصاتُ عقلٍ ودينٍ[1] .

الثّاني : أَنْ يكونَ بالِغاً ، لِقُصورِ عقلِ الصَّبيِّ .

الثّالثُ : أَنْ يكونَ عاقِلاً ، إِذْ لا يصلُحُ المجنونُ لتصرُّفاتِ نفسِهِ فَضْلاً عَنْ غيرِهِ[2] .

الرّابعُ : أَنْ يكونَ حُرّاً ، إِذِ العبدُ مشغولٌ بخِدمَةِ سيّدِهِ ، ولأَنَّهُ مستحقَرٌ تستنكِفُ النُّفوسُ عَنِ الانقيادِ لَهُ[3] .

الخامِسُ : أَنْ يكونَ عَدْلاً[4] ، لأَنَّ الفاسِقَ غيرُ مأمونٍ شرعاً ،

---

(١) ولقوله ﷺ : « لَن يُفلِحَ قَوْمٌ وَلّوا أَمْرَهُمْ ٱمرأَةً » .

(٢) ولا يكفي فيه الحدُّ الأَدنىٰ للمطالبة بالتّكاليف الشّرعيّة من صلاةٍ وصومٍ ونحوهما ، بل لابدَّ فيه من رجحانِ الرّأي ، بأَن يكونَ صاحبه صحيح التّمييز ، جيدَ الفِطنة ، بعيداً عن السَّهوِ والغَفلة ، يتوصَّلُ بذكائه إلىٰ إيضاح ما أَشكلَ وفصلِ ما أَعضلَ .

(٣) ولأَنَّ نقصَ العبد عن ولاية نفسِهِ يمنعُ من ٱنعقاد ولايته علىٰ غيره . ولأَنَّ الرِّقَّ كمّا منع من قبول الشّهادة ، كانَ أَولىٰ أَن يمنع من نفوذ الحكم وٱنعقاد الولاية .

(٤) والعدالةُ : (أَي : الدّيانة والأَخلاق الفاضلة) ، وهيَ معتبرةٌ في كلِّ ولايةٍ ، وهيَ : أَن يكونَ صادقَ اللَّهجة ، ظاهِرَ الأَمانة ، عفيفاً عن المحارم ، متوقياً المآثم ، بعيداً من الرِّيَبِ ، مأموناً في الرِّضا =

فربَّما ضيَّعَ الحقوقَ ، وصرَّفَ الأَشياءَ في غيرِ مَصارِفِها .

السّادِسُ : أَنْ يكونَ ذا رأيٍ وبصارَةٍ بتدبيرِ الأُمورِ ، لأَنَّ المُغَفَّلَ لا يقومُ بأَمرِ المُلْكِ .

السّابِعُ : أَنْ يكونَ شُجاعاً ، لأَنَّ الجَبانَ لا قوَّةَ لَهُ علىٰ الذَّبِّ عَنْ حَوْزَةِ الدّين ، وحريمِ المُسلمينَ لجُرْأَةِ العدوِّ عليه .

الثّامِنُ : أَنْ يكونَ قُرَشيّاً ؛ لقولِهِ ﷺ : « الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيشٍ »[1] معَ عَمَلِ الصّحابَةِ رضيَ اللهُ عنهُم به ، وإِجماعِهِم عليه ، وأَمّا قولُهُ ﷺ : « اِسْمَعوا وَأَطيعوا وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشيٍّ »[2] فمحمولٌ علىٰ السَّمعِ والطّاعَةِ لأُمراءِ الجُيوشِ ونحوِهِم مِنْ وُلاةِ الإِمامِ[3] .

[ق٢١٦] **التّاسِعُ**: أَنْ يكونَ /عالِماً مُجتهِداً في أُصولِ الدّينِ وفروعِهِ ، ولُغةِ العربِ وأَعرابِها ، مُشتغِلاً بالفتوىٰ في الحوادِثِ ، لأَنَّ الجاهِلَ أَو القاصِرَ عن رُتبةِ الاجتهادِ لا يتمكَّنُ مِنْ حفظِ العقائِدِ ، وحَلِّ الشُّبَه ، وإِقامَةِ الحُججِ والبراهين ، ولا مِنْ فصلِ الخُصوماتِ عندَ النِّزاعِ[4] .

= والغضب ، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودنياه . وفي الجملة : هيَ ٱلتزام الواجبات الشَّرعيَّة ، والامتناع عن المنكرات والمعاصي المحرَّمة في الدّين .

(١) أَخرجه أَحمد في «مسنده» ، برقم (١١٨٥٩) ، عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٧٢٣) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) **قلتُ** : وكذٰلكَ إِذا دَعتِ الضَّرورةُ لذٰلكَ ، كما وقعَ بالنِّسبة لخلفاء بني عُثمان .

(٤) ويستحب له أَن يعرف أَيضاً أَحوال العصر ، وما يطرأ عليه من تغيُّرات وتطوُّرات سياسيَّة وٱقتصاديَّة وٱجتماعيَّة وثقافيَّة .

العاشِرُ : أَنْ تُعقدَ الإمامَةُ طَوْعاً ، إِمّا بأَنْ يُبايعَهُ أَهلُ الحَلِّ والعَقْدِ[1] كأَبي بكرٍ ، أَو يستخلِفَهُ إِمامٌ سابِقٌ جامِعٌ لشروطِ الإِمامَةِ كعُمَرَ بن الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ .

الشُّروط في عاقدي البيعة للإمام وشرط صِحّة البيعة

وشرطُ العاقِدِيْنَ : أَنْ يكونوا عُدولاً ، ذَوي رأيٍ ومعرفةٍ بالمصالحِ ، ولا يشترطُ في صِحَّةِ البيعَةِ إِجماعُ الحاضرينَ منهُم ببلدها ، مِنْ أَهلِ الحَلِّ والعَقْدِ ، فَضْلاً عَنْ إِجماعِ أَهلِ الأَقطارِ ، لأَنَّ الصَّحابة لم يفتقِروا في عقدِها لأَبي بكرٍ إِلىٰ حُضورِ عليٍّ وعبّاسٍ وسائِرِ بني هاشِمٍ رضيَ اللهُ عنهُم أَجمعين ، بل يُكتفىٰ ببيعةِ واحدٍ منهُم في ثبوتِ الإِمامَةِ لِمَنْ عقدَها لَهُ ، ووجوبِ ٱتِّباعِ المَعقودِ لَهُ علىٰ سائِرِ أَهلِ الإِسلامِ ، لاكتفاءِ الصَّحابة معَ صلابتهم في الدّين بعقدِ عُمَرَ لأَبي بكرٍ كما سبقَ ، وعقدِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عَوْفٍ لعُثمانَ كما سيأتي .

انعقادُ الإمامة للإمام الّذي تمَّ السَّبقُ لأَهل الحَلِّ والرَّبط في عقدها لهُ

ثمَّ إِذا ٱنعقدَتِ الإِمامَةُ لشخصٍ لم يَجُزْ عقدُها لآخَرَ لأَدائِهِ إِلىٰ ثورانِ الفِتنة ، فإِنِ ٱتَّفقَ التَّعدُّدُ فالإِمامَةُ للسّابقِ ، وغيرُهُ باغٍ إِنْ أَصرَّ ، فيجبُ أَنْ يُقاتلَ حتّىٰ يفيءَ إِلىٰ أَمرِ اللهِ ، فإِن جُهِلَ السّابقُ بطلَ في الجميع ، وٱستؤنِفَ العقدُ لِمَنْ وقعَ عليه الاختيارُ .

جوازُ خلع الإمام وعزله

ثمَّ إِذا وُجِدَ مِنَ الإِمامِ ما يقتضي ٱختلالَ أُمور الدّين ، وٱنتقاضَ مصالحِ المُسلمينَ ؛ جازَ لأَهلِ الحَلِّ والعَقْدِ خَلْعُهُ وعزلُهُ ، كما كان لَهُم نصبُهُ ٱبتداءً ، إِلاّ إِذا كانَ المَضرَّةُ في خَلْعِهِ أَعظمَ مِنَ المَضرَّةِ في تقريرِهِ ، فيُحْتَمَلُ أَدنىٰ المَضرَّتين .

---

(١) وهم العلماء المختصّون (أَي : المجتهدون) ، والرّؤساء ، ووجوه النّاس ؛ الّذين يقومون باختيار الإِمام نيابةً عن الأُمَّة .

عدمُ الجواز لأهل الحَلّ والعقد تقليد الإمامة لمن فقَدَ بعض شروطها بوجود الكامل المستوفي جميع شروطها

ولا يجوزُ لأَهلِ الحَلِّ والعَقْدِ أَنْ يُنصِّبوا فاقِداً لبعضِ الشَّرائِطِ معَ وجودِ الكامِلِ .

نعم لَهُم نَصْبُ المَفضولِ معَ وجودِ الأَفضلِ ، إِذا كانَ المفضولُ أَصلحَ ، إِذ المُعتبرُ في ولاية كلِّ أَمرٍ والقيام /بِهِ معرفةُ مصالِحه ومفاسِده ، والقوَّةُ علىٰ القيام بلوازِمه ومقاصدِه ، ورُبَّ مفضولٍ في علمِهِ وعَملِهِ هوَ بالرِّئاسة أَعلم ، وبشرائِطها أَقوم . [ق٢١٧]

وكذا يجوزُ لأَهلِ الحَلِّ والعَقْدِ عندَ فَقْدِ الكامِلِ نَصْبُ فاقِدٍ لبعضِ الشَّرائِطِ السّابقةِ ، دَفْعاً للمفاسِدِ الَّتي لا تندفِعُ إِلاّ بنصبِ الأَئِمَّةِ ـ وبعضُ الشَّرِّ أَهونُ مِنْ بعضٍ ـ واللهُ يعلَمُ المُفسِدَ مِنَ المُصلِحِ .

فصل

في الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم

أَجمعَ أَهلُ السُّنَّةِ سَلَفاً وخَلَفاً علىٰ أَنَّ الإِمامَ الحقَّ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ : أَبو بكرٍ ، ثمَّ عُمَرُ ، ثمَّ عُثمانُ ، ثمَّ عليٌّ . علىٰ ترتيبهم في الخِلافة رضيَ اللهُ عنهُم .

وأَجمعَ معُظَمُ الأُمَّةِ علىٰ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَم ينُصَّ علىٰ خلافَةِ رجُلٍ مُعيَّنٍ ، بل أَشارَ إِلىٰ ما سيكونُ بعدَهُ مِن غيرِ وصيَّةٍ بذٰلكَ ، كقولِهِ : « مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنّاسِ »[1] [وقولُهُ] : « وَيَأْبىٰ اللهُ وَالمُسْلِمونَ إِلاّ أَبا بَكْرٍ »[2] .

أمر النَّبيِّ ﷺ بتقديم أبي بكرٍ للصَّلاة في مرضه وبحضور عليٍّ

وثبتَ أَنَّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ كانَ يقولُ : قَدَّمَ رسولُ اللهِ ﷺ أَبا بَكْرٍ ، فصلّىٰ بالنّاسِ وأَنا حاضِرٌ غيرُ غائِبٍ ، وصحيحٌ غيرُ مريضٍ ، ولو شاءَ أَنْ يُقدِّمني قدَّمني ، أَفلا نرضىٰ لدُنيانا مَنْ رضيَهُ رسولُ اللهِ ﷺ لديننا ؟[3] .

قالَ العُلماءُ : وهل بقيَ مِنْ أَمرِ الخِلافَةِ بعدَ الإِمامَةِ في الصَّلواتِ إِلاّ جِبايَةُ الزَّكواتِ ؟ وكيفَ يحسُنُ لي أَو لغيري أَنْ يُعزَلَ أَبو بكرٍ عَنِ الإِمامَةِ في الصَّلواتِ ، أَو يكونَ غيرُهُ خليفةً مأموماً به في الصَّلواتِ الَّتي هيَ أَعظمُ شعائرِ الدّينِ ؟

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٦٧٢) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٣٨٧/١١) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٣) سير أَعلام النُّبلاء ، (سيرة الخلفاء الرّاشدين) ، ص١١ ـ ١٢ .

قُلْتُ : وسبقَ أنَّهُ ﷺ لَمّا أعطىٰ عُثمانَ وشَيْبَةَ مِفتاحَ (الكعبةِ) قالَ : « خُذاها خالِدَةً تالِدَةً ، لا ينزِعُها مِنْكُمْ إلاّ ظالِمٌ »(1) .
فالإمامَةُ أولىٰ .

قال الشَّيخُ الرَّبّانيُّ مُحيي الدّين النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في « شرح صحيح مُسلم » : (وخلافَةُ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ لم تكُن بنصٍّ صريحٍ ، بل بإجماعِ الصَّحابَةِ رضيَ اللهُ عنهُم علىٰ عقدِها لَهُ ، فقدَّموهُ لشُهْرَةِ فَضْلِهِ عندَهُم ، ولو كانَ هُناكَ نصٌّ صريحٌ عليه ، أَو علىٰ غيرِهِ ؛ لم تقعِ المُنازَعَةُ أَوّلاً مِنَ / الأَنصار ـ أَي : بقولِهِم : (مِنّا أَميرٌ ومنكُم أَميرٌ) ـ ولذَكَرَ حافِظُ النَّصِّ ما معَهُ ، ولرَجعوا إِليه ـ أَي : كما ٱحتجَّ أَبو بكرٍ علىٰ الأَنصارِ بقولِهِ ﷺ : « الأَئِمَّةُ مِنْ قُريشٍ » ورجعوا إِليه ـ قالَ : لٰكنْ تنازَعوا أَوّلاً ، ثمَّ ٱتَّفقوا علىٰ أَبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ)(2) . [ق218]

تفنيدُ آراء الشِّيعة في استخلاف الرَّسول ﷺ علياً

قالَ : (وأَمّا ما تدَّعيه الشِّيعَةُ مِنَ النَّصِّ علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ فباطِلٌ ، لا أَصلَ لَهُ باتِّفاقِ المُسلمينَ . وأَوَّلُ مَنْ كذَّبَهُم عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ ، ولو كانَ عندَهُ نصٌّ لذكَرَهُ ، ولم يُنقَلْ أَنَّهُ ذكَرَهُ في يومٍ مِنَ الأَيّام)(3) ٱنتهىٰ .

قَالَ العُلَمَاءُ : ولو كانَ ثمَّ نصٌّ لتواتَرَ ، ولم يُمكِن سترُهُ عادةً ، إِذ ذٰلكَ مِمّا تتوفَّرُ الدّواعي علىٰ نقلِهِ . وإِذا لم يكُن نصٌّ فالبيعَةُ لم توجَد لغيرِ أَبي بكرٍ إِجماعاً ، فوجَبَ أَنْ يكونَ هوَ الإِمامُ الحقُّ ، ثمَّ منصوبُهُ عُمَرُ ، ثمَّ عُثمانُ المُجْمَعُ علىٰ عَقدِ الخِلافَةِ لَهُ ، ثمَّ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُم .

---

(1) ذكره ٱبن سيّد النّاس في « عيون الأثر » ، ج2/178 .
(2) شرح صحيح مسلم ، للنّوويِّ ، ج15/126 . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .
(3) شرح صحيح مسلم ، للنّوويِّ ، ج15/126 . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .

قَالَ العُلَمَاءُ : وأَمّا ما تدَّعيه الشِّيعَةُ أَنَّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ قد أَظهرَ النَّصَّ فلم يُقبل منهُ ، فمِنْ أَكاذيبِهِمُ الشَّنيعَةِ الَّتي ظاهِرُها الرَّفْضُ ، وباطِنُها الكُفْرُ المَحْضُ ، لإزرائِهِم[1] بذٰلكَ علىٰ الصَّحابَةِ ، الَّذينَ نقلوا هٰذا الدّين وحملوهُ ، إذ لو أَجمعوا علىٰ نبذِ وصيَّةِ نبيِّهم بعدَ موتِهِ وقبلَ دفنِهِ ، لَرُدَّتْ روايَتُهُم وبطلَتْ عدالَتُهُم ، وبطلَ حينئذٍ هٰذا الدّينُ مِنْ أَصلِهِ ، الَّذي وعدَ اللهُ أَن يُظْهِرَهُ علىٰ الدّين كُلِّه ولو كَرِهَ المُشركونَ .

مبايعةُ عليٍّ أَبا بكرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُم

وقد ٱجتمعت الأُمَّة علىٰ أَنَّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ لم يُنازِع أَبا بكرٍ ولا عُمَرَ ، وبايعَ أَبا بكرٍ وترضّىٰ عنهُ وعن عُمَرَ ، وأَثنىٰ عليهما بعدَ موتِهما ، وأَنَّهُ عقدَ الخِلافَةَ لعُثمانَ بعدَ أَنْ خلا دَسْتُ الخِلافَةِ[2] وشَغَرَ ، فلو كانَ عندَهُ نصٌّ ، أَو كانَ رضيَ اللهُ عنهُ يرىٰ أَنَّهُ يتعيَّنُ للخِلافَةِ ، لنازَعَهُم كما نازَعَ الفِئَةَ الباغِيَةِ في أَيّامِ مُعاوِيَةَ .

وما يزعُمُهُ المُبطِلونَ مِنْ مُداهنته رضيَ اللهُ عنهُ في دين اللهِ ، يَتحاشىٰ عنهُ منصبُ عليٍّ العليِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، كيفَ وهوَ الَّذي تُضْرَبُ بشجاعتِهِ الأَمثالُ ، وتَبْطُلُ عندَهُ الأَبطالُ ؟ معَ ما هوَ فيه مِنْ عزَّةِ العَشيرةِ نُخبةِ بني / هاشِمٍ ، وبينَ الصَّحابَةِ الَّذينَ لا تأْخُذُهُم في اللهِ لَومَةُ لائِمٍ ، يشهَدُ لَهُمُ القرآنُ بِهَجْرِهِمْ في سبيلِ اللهِ الأَهلَ والأَوطانَ . [ق٢١٩]

وإذا كانَ أَبو طالِبٍ قاوَمَ قُريشاً كلَّها ، كما سبقَ عنهُ مِنْ قولِهِ ، [مِنَ الكامِلِ] [3] :

---

(١) أَزرىٰ : عابه وأَدخل عليه أَمراً يريد أَن يُلبِّسَ عليه به .

(٢) دستُ الخلافة : منصِبُ الخلافة .

(٣) دلائل النُّبوَّة ، ج٢/١٨٨ .

وَاللهِ لَنْ يَصِلوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتّىٰ أُوَسَّدَ في التُّرابِ دَفيناً

فكيفَ يجوزُ لِمَنْ يدَّعي الإِسلامَ أَنْ يَنسُبَ إِلىٰ أَخي الرَّسولِ ، وبَعْلِ البَتولِ ، الأَسَدِ المواثِبِ ، ليثِ بني غالِبٍ ؛ أَنَّه نبَذَ وصيَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ أَو داهنَ في دينِ اللهِ ؟

﴿ مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النّور ٢٤/١٦] .

قَالَ العُلَمَاءُ : وما يتمسَّكُ به الشِّيعَةُ مِنْ الظَّواهِرِ الَّتي توهِمُ كونَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ مُتعيّناً للإِمامَةِ ، مُعارَضٌ بنصوصٍ كثيرةٍ ، تُشيرُ إِلىٰ تعيُّنِ الصِّدّيق تلويحاً ، بل تصريحاً ، يجبُ تقريرُها ، وتأويلُ ما عارَضها ، لانعقادِ الإِجماعِ علىٰ مُقتضاها .

وقد قامَ الدَّليلُ المتواتِرُ القطعيُّ علىٰ عِصْمَةِ الصَّحابَةِ ، فَمَنْ بعدَهُم مِنَ القُرونِ ؛ مِنْ أَنْ يَجتمعوا علىٰ الضَّلالِ ، وقد سمّاهُم اللهُ : خيرَ أُمَّةٍ ، فلو تعاونوا علىٰ الإِثْمِ والعُدوانِ ـ كما يزعُمُ أَهلُ الباطِلِ والبُهتانِ ـ لكانوا شرَّ أُمَّةٍ ، كيفَ وقد وعدَ اللهُ مَنِ ٱتَّبعَ غيرَ سبيلِهِم ؟ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/١١٥] .

فَصْلٌ
في فضل الخلفاء الأربعة
رضي الله عنهم أجمعين

الأئمةُ من قريشٍ

قالَ ﷺ : « لا يَزالُ هٰذا الأَمْرُ في قُرَيْشٍ ما بَقِيَ مِنْهُمُ اْثنانِ »[1] .

قالَ العُلماءُ : هوَ خبرٌ بمعنى الأَمرِ ـ أي : لا تُزيلوا الخِلافَةَ مِنْ قُريشٍ ـ

وقالَ ﷺ : « إِنَّ هٰذا الأَمْرَ في قُرَيْشٍ ما أَقاموا الدّينَ » . متفقٌ عليهِما[2] .

وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ الآية [سورة النّور ٢٤/٥٥] .

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « الخِلافَةُ بَعْدي ثَلاثونَ سَنَةً ، ثُمَّ تَكونُ مُلْكاً عَضوضاً »[3] / .

[ق٢٢٠]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣١٠) . ومُسلم برقم (١٨٢٠/٤) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٠٩) . عن معاوية بن أَبي سُفيانَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٢٢٦) ؛ بنحوه . عن سفينةَ مولىٰ رسول الله رضيَ اللهُ عنهُ . **مُلْكٌ عَضوضٌ** : فيه عَسْفٌ وظلمٌ .

فدلَّتِ الآيَةُ الكريمَةُ بوعدِ اللهِ الحقِّ مِنْ أَنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ لابدَّ أَنْ يُقيمَ اللهُ لها خلفاء بعدَ نبيِّها ، يُمكِّنُ لَهُمُ الدّينَ الَّذي ٱرتضىٰ لَهُم ويُبدِّلَهُم مِنْ بعدِ خوفِهِم أَمناً ، وذٰلكَ إِنْ كانَ في حقِّ مَنْ بعدَ الخُلفاءِ الأَربعةِ الأَئِمَّةِ فباطِلٌ ٱتِّفاقاً ، وإِنْ كانَ فيهِم فَهُمُ الَّذينَ صدقَ وعدُ اللهِ فيهِم ، وتعيَّنَ حينئذٍ صِحَّةُ خلافَتِهِم ، وصِحَّةُ ترتيبِهِم ، لأَنَّ الطَّرفينِ مِنَ الأَربعةِ ، وهُما : أَبو بكرٍ وعليٌّ دونَ الوسَطِ في تحقيقِ التَّمكينِ المَوعودِ في الدّين ؛ إِذِ الصِّدّيقُ رضيَ اللهُ عنهُ إِنَّما قاتَلَ أَهلَ الرِّدَّةِ ليَعودوا إِلىٰ ما كانوا عليه مِنَ الإِسلامِ ، وعليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ إِنَّما قاتَلَ الفِئَةَ الباغِيَةَ لتفيءَ إِلىٰ أَمرِ اللهِ .

وحقيقةُ التَّمكينِ في الدّينِ إِنَّما حَصَلَ في مدَّةِ عُمَرَ وعُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُما ، وإِذا صدَقَ الوعدُ الحقُّ في الوسَطِ ، وجبَ صِدْقَهُ في الطَّرف الأَوَّلِ قطعاً ، وفي الآخِرِ إِجماعاً .

وأَمّا الحديثُ الشَّريفُ : ففيه حُكْمٌ منهُ ﷺ بأَنَّ مدَّةَ القائمينَ بالخلافَةِ بعدَهُ ـ أَي : علىٰ ما كانَ هوَ عليه ﷺ ـ ثلاثونَ سنةً ، وذٰلكَ هوَ قَدْرُ مدَّةِ الخُلفاءِ الأَربعةِ معَ أَيّامِ خلافَةِ سيّدنا الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما .

لأَنَّ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ بويعَ لَهُ بالخِلافَةِ في اليوم الَّذي ماتَ فيه رسولُ ﷺ ، في سقيفة (بني ساعِدَةَ) ، ثمَّ بويعَ لَهُ بيعةُ العامَّةِ مِنْ غدِ ذٰلكَ اليومِ كما سبق .

وفاةُ أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ

وتوفيّ رضيَ اللهُ عنهُ لثمانِ ليالٍ بقينَ مِنْ شهرِ جُمادىٰ الأُولىٰ ، سنةَ ثلاثَ عشرةَ مِنَ الهجرة ، فمدَّةُ خلافَتِهِ سنتانِ وشهرانِ ونصفُ شهرٍ ، وسِنُّهُ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ ماتَ ثلاثٌ وستّونَ سنةً كسنِّ رسولِ اللهِ ﷺ ، ودُفِنَ معَهُ في حُجْرَتِهِ .

وعَهِدَ بالخلافَةِ إلىٰ أَميرِ المُؤْمنينَ عُمَرَ بنِ الخطّاب رضيَ اللهُ عنهُ ، وقالَ : ولَّيْتُ عليهِم خيرَهُم . وتوفّي عُمَرُ شهيداً في صلاة الصُّبحِ مِنْ يومِ الأَربعاءِ لأَربعٍ بقينَ مِنْ ذي الحِجَّة ، سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ مِنَ الهجرةِ ، فمدَّةُ خلافَتِهِ / عشرُ سنينَ وستَّةُ أشهُرٍ .

عهدُ الصِّدّيق بالخلافةِ إلى عُمر

[ق٢٢١]

وأَوصىٰ بالخِلافَةِ شورىٰ بينَ سِتَّةٍ مِنَ العَشَرةِ . وهُم : عُثمانُ ، وعليٌّ ، وعبدُ الرَّحمٰنِ بن عَوْفٍ ، وطلحَةُ ، والزُّبيرُ ، وسعدٌ ، فأَجمعَ رأيهُم بعدَ شِدَّةِ البحثِ علىٰ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فبايعوهُ بالخِلافَةِ يومَ السَّبتِ ، غُرَّةَ المُحرَّمِ ، أَوّلَ سنةِ أَربعٍ وعشرينَ مِنَ الهجرةِ .

انتخابُ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ وخلافتُهُ

وقُتِلَ بـ (المدينة) شهيداً يومَ الجُمعة لثماني عشرةَ ليلةً خَلَتْ مِنْ ذي الحِجّة ، سنةَ خمسٍ وثلاثينَ مِنَ الهجرةِ ، فمدَّةُ خلافَتِهِ ٱثنتا عشرةَ سنةً ، وقد قاربَ ثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ بـ (البَقيع) .

مقتلُ عثمان رضيَ اللهُ عنهُ

وبويعَ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ في ذٰلكَ اليوم ، في دارٍ مِنْ دورِ الأَنصارِ ، ثمَّ بويعَ لَهُ بيعةُ العامَّة مِنَ الغَدِ في (المسجدِ النَّبويِّ) ، وقُتِلَ بـ (الكوفَةِ) شهيداً صُبحَ الجُمُعةِ لسبعَ عشرةَ ليلةً خَلتْ مِنْ رمضانَ المُعظَّمِ ، سنةَ أَربعينَ مِنَ الهجرةِ ، ومدَّةُ خلافَتِهِ أَربعُ سنينَ وتِسعَةُ أَشهرٍ ـ بتقديم التّاء ـ رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم أَجمعينَ .

مبايعة عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ بالخلافة ومقتلُهُ بالكوفة

فصل

في ذكر شيء من فضائل الصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

أَجمعَ أَهلُ السُّنَّةِ علىٰ أَنَّ خيرَ الصَّحابَةِ وأَفضلَهُم علىٰ ما رتَّبوهُ هُم رضيَ اللهُ عنهُم ، فمَنْ قدَّموهُ فهوَ المُقدَّمُ ، ومَنْ أَخَّروهُ فهوَ المؤخَّرُ ، إِذ حقيقةُ الفضلِ ما هوَ فضلٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وذٰلكَ غيبٌ لا يَطَّلِعُ عليه إلاّ رسولُ اللهِ ﷺ .

وقد وردَ مِنْ ثنائِهِ ﷺ علىٰ أَصحابِهِ عُموماً وخُصوصاً نصوصٌ لا يُدرِكُ دقائِقَها ، ويَعرِفُ حقائِقها إِلاّ الصَّحابةُ الَّذينَ سمِعوها وحَملوها ، وعرَفوا أَسبابَها ، وقرائنَ أَحوالِها ، وشاهدوا ما كانَ النَّبيُّ ﷺ يُعامِلُ به أَصحابَهُ ، ويخُصُّ به بعضَهُم دونَ بعضٍ مِنَ التَّقديمِ والتَّعظيمِ ، فوجبَ الرُّجوعُ في ذٰلكَ إِلىٰ الصَّحابَةِ الَّذينَ شاهدوا الوحيَ والتَّنزيلَ ، وعلِموا بقرائِنِ الأَحوالِ مراتِبَ التَّفضيلِ .

وقد أَجمعوا رضيَ اللهُ عنهُم ـ مِنْ غيرِ توقُّفٍ ولا تردُّدٍ في حياةِ رسولِ اللهِ ﷺ وبعدَ وفاتِهِ ـ علىٰ أَنَّ أَفضلَهُم أَبو بكرٍ ثمَّ عُمَرُ .

[ق٢٢٢] وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلم » ، /كنّا نُفاضِلُ بينَ الصّحابَةِ في زَمانِ رسولِ اللهِ ﷺ فنقولُ : أَفضلُهُم أَبو بكرٍ ، ثمَّ عُمَرُ ، فلا يُنْكَرُ علَيْنا[1] .

وفي روايةٍ : ثمَّ نترُكُ أَصحابَ رسولِ اللهِ فلا نُفاضِلُ بينَهُم[2] .

وفيهما ـ [أَي : الصَّحيحين] ـ عن محمَّدِ بن عليٍّ بنِ أَبي طالبٍ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٥٥) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٩٤) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

رضيَ اللهُ عنهُما ـ وهوَ ٱبنُ الحَنَفيَّةِ ـ قالَ : قلتُ لأَبي : أَيُّ النّاسِ خيرٌ بعدَ النَّبيِّ ﷺ؟ ، فقالَ : أَبو بكرٍ ، قلتُ : ثمَّ مَنْ؟ ، قالَ : عُمَرُ[1] .

وٱتَّفقَتِ الأُمَّةُ علىٰ أَنَّ خيرَ الصَّحابَةِ : الخُلفاءُ الأَربعةُ .

قالَ أهلُ السُّنَّةِ : ثمَّ تمامُ العَشَرَةِ المشهودِ لَهُم بالجنَّةِ ، ثمَّ بقيَّةُ أَهلُ (بَدْرٍ) ، ثمَّ أَهلُ (أُحُدٍ) ، ثمَّ أَهلُ بيعةِ الرِّضوانِ .

قالَ الشَّيخُ مُحيي الدّين النَّوويُ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : (وأَجمعَ أَهلُ السُّنَّةِ علىٰ أَن أَفضلَهُم علىٰ الإِطلاقِ : أَبو بكرٍ ، ثمَّ عُمَرُ ، وقدَّمَ جمهورُهُم عُثمانَ علىٰ عليٍّ ، وهوَ الصَّحيحُ ، ولهٰذا ٱختارتْهُ الصَّحابَةُ للخِلافَةِ وقدَّموهُ ، وهُم أَعلمُ بالتَّرتيب)[2] . ٱنتهىٰ .

قُلْتُ : ولهٰذا عقدَ الصَّحابَةُ الخِلافَةَ للصِّدّيقِ مِنْ غيرِ تردُّدٍ ، وعقدَها أَبو بكرٍ لعُمَرَ مِنْ غيرِ تردُّدٍ ، وتوقَّفَ عُمَرُ فيمَنْ يعقدها لَهُ .

وقالَ الإِمامُ الجليلُ الحافِظُ أَبو عُمَرَ يوسُفُ بن مُحمَّد بن عبد البرِّ المالِكي ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ في « شرح موطَّأ الإِمام مالِكٍ » ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : (أَجمعَ أَهلُ السُّنَّةِ علىٰ أَنَّ أَفضلَ الأُمَّةِ بعدَ نبيّها : أَبو بكرٍ ، ثمَّ عُمَرُ ، ووقفَ بعضُ السَّلف في عُثمانَ وعليٍّ . وأَمّا اليومُ فلا يَختلِفُ الخَلَفُ في أَنَّ التَّرتيبَ : عُثمانُ ثمَّ عليٌّ . قالَ : وعليه عامَّةُ أَهلِ الحديثِ مِنْ لَدُنْ أَحمدَ بنِ حَنْبَلٍ وهَلُمَّ جرّا) . ٱنتهىٰ .

قالَ العُلماءُ : ولولا فَهْمُ الصَّحابَةِ رضيَ اللهُ عنهُم ذٰلك عِنْ رسولِ اللهِ ﷺ لَما رتَّبوا الأَمرَ كذٰلكَ ، إِذ كانوا لا تأْخذُهُم في اللهِ لَومَةُ لائِمٍ ، ولا يصرِفُهُم عَنِ الحقِّ صارِفٌ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٦٨) .

(٢) شرح صحيح مُسلم ، للنَّوويِّ ، ج١٥/ ١٢١ ـ ١٢٢ . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .

فَصْلٌ

في أدلّة فضل الخلفاء الأربعة

رضوان الله عليهم

ومِنَ الأدلَّةِ الشّاهِدَةِ علىٰ فضلِ الخُلفاءِ الأَربعةِ رضيَ اللهُ عنهُم ، الموجِبَةِ لَهُم زيادةَ المزيَّةِ علىٰ غيرِهِم :

فضائلُ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ

قولُهُ ﷺ : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خليلاً لاتَّخَذْتُ أَبا بَكْرٍ خَليلاً » ، متَّفقٌ / عليه[1] . [ق٢٢٣]

زادَ في روايةٍ : « وَلٰكِنَّ أُخُوَّةَ الإِسْلامِ أَفْضَلُ »[2] .

وفي أُخرىٰ : « ولٰكِنَّهُ أَخي وَصاحِبي »[3] . أَي : أَنَّ تسميَتي لَهُ بما سمّاهُ اللهُ به مِنَ الأُخوَّةِ والصُّحبة في الغارِ أَفضلُ مِنْ وصفي لَهُ بالخُلَّة .

[وفي روايةٍ] : إِنَّ أَمَنَّ النّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ وَمالِهِ أَبو بَكْرٍ » ، متَّفقٌ عليه[4] .

[وقولُهُ] : « إِنَّ اللهَ بَعَثَني فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وقالَ أَبو بَكْرٍ : صَدَقْتَ ، وَواساني بِنَفْسِهِ وَمالِهِ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٥٤) . ومُسلم برقم (٢٣٨٢/ ٢) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنه .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٣٤٥٧). عن عبدالله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٣٨٣/ ٣). عن عبداللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٣٤٥٤). عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٦١) . عن أَبي الدَّرداء عويمر بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

[وقولُهُ] : « فَهَلْ أَنْتُمْ تارِكو لي صاحِبي ، فَهَلْ أَنْتُمْ تارِكو لي صاحِبي ـ ثلاثَ مرّاتٍ ـ » ، متّفقٌ عليه[1] .

[وقولُهُ] : « مُروا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنّاسِ » ، متّفقٌ عليه[2] .

[وقولُهُ] : « إِنّي أَخْشىٰ أَنْ يَتَمَنّىٰ مُتَمَنٍّ ، أَو يَقولَ قائِلٌ : أَنا أَوْلىٰ بِالأَمْرِ ، وَيَأْبىٰ اللهُ ذٰلِكَ وَالمُؤْمِنونَ إِلاّ أَبا بَكْرٍ » ، متّفقٌ عليه[3] .

وقولُهُ ﷺ لمّا رجفَ به (أُحُدٌ) ومعَهُ أَبو بكرٍ وعُمَرُ وعُثمانُ : « اُثْبُتْ أَوِ اُسْكُنْ أُحُدُ ، فَما عَلَيْكَ إِلاّ نَبِيٌّ وَصِدّيقٌ وَشَهيدانِ » ، متّفقٌ عليه[4] .

والخِطابُ عندَ المُحقّقينَ محمولٌ علىٰ الحقيقة ، إِقامَةً لَهُ مقامَ مَنْ يَفعلُ ، لتحرُّكِهِ ، معَ قولِهِ ﷺ : « ما مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ وَيَعْلَمُ أَنّي رَسولُ اللهِ »[5] .

وقالوا : سُبْحانَ اللهِ أَبَقَرَةٌ تتكَلَّمُ وَذِئْبٌ يَتكَلَّمُ؟ فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « فَإِنّي أُومِنُ بِذٰلِكَ أَنا وَأَبو بَكْرٍ وَعُمَرُ »[6] ، متّفقٌ عليهِ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٦١) ، عن أَبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٣٣) . ومُسلم برقم (٤١٨/ ٩٤) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٣٤٢) . ومُسلم برقم (٢٣٨٧/ ١١) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٧٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٥) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٣٩٢٣) ؛ بنحوه . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .
(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٢٨٤) . ومُسلم برقم (٢٣٨٨/ ١٣) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وقيلَ لَهُ : مَنْ أَحَبُّ النّاسِ إِليكَ ؟ قالَ : « عائِشَةُ » ، قيلَ : وَمِنَ الرِّجالِ ؟ قالَ : « أَبوها » ، قيلَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قالَ : « عُمَرُ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

فضائلُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ

[وقولُهُ ﷺ] : « إِيهٍ يا ٱبنَ الخطّابِ ، وَاللهِ ما سَلَكْتَ فَجّاً إلاّ سَلَكَ الشَّيْطانُ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ » متَّفقٌ عليه[2] . أَي : أَنَّ الحقَّ يدورُ معَهُ أَينما دارَ ، فهوَ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ فيهِم : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [سورة الحجر ١٥/٤٢] .

وشهادَتُهُ ﷺ بأَنَّ عُمَرَ مِنَ المُحَدَّثِينَ ـ بفتح المُهملَتين ، أَي : من أَهلِ الإِلهام الموافِقِ للصَّواب ـ

وأَنَّهُ ﷺ رآىٰ عليه قميصاً ضافياً يجرُّهُ ، وأَوَّلَهُ بوفورِ الدِّينِ في أَيّامِهِ . متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّهُ [ﷺ] سَقىٰ فَضْلَةً مِنَ اللَّبَنِ عُمَرَ ، وَأَوَّلَهُ بِالعِلْمِ ، متَّفقٌ عليه[4] .

وأَنَّ عُمَرَ سقىٰ النّاسَ حتّىٰ أَرواهُم ، متَّفقٌ عليه[5] . وأَوَّلَهُ العلماءُ بكثرَةِ الخيراتِ والفتوحاتِ في أَيّامِهِ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٦٢) . ومُسلم برقم (٨/٢٣٨٤) . عن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٨٠) . ومُسلم برقم (٢٢/٢٣٩٦) . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٣) . ومُسلم برقم (١٥/٢٣٩٠) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٢) . ومُسلم برقم (١٦/٢٣٩١) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٣٤) . ومُسلم برقم (١٩/٢٣٩٣) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

وقولُهُ ﷺ : « بَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ ، عَلىٰ بَلْوىٰ تُصيبُهُ » ـ يعني : عُثمانَ ـ متَّفقٌ عليه[1] .

فضائلُ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ

[ق٢٢٤]

وقولُهُ / ﷺ : « لأُعْطِيَنَّ الرّايَةَ غداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسولُهُ » ، فأَعطاها عليّاً . متَّفقٌ عليه[2] .

فضائلُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ

مع قولِهِ [ﷺ] : « أَما تَرْضىٰ أَنْ تَكونَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ موسىٰ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

مناقبُ الصِّديق رضيَ اللهُ عنهُ

هٰذا معَ ما ٱشتُهِرَ للصِّديقِ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ سَبْقِهِ إلىٰ التَّصديق مِنْ غيرِ تردُّدٍ ، وكثرةِ التَّصدُّقِ غيرَ مرَّةٍ بجميعِ مالِهِ في سبيلِ اللهِ ، وما كانَ يعرِفُهُ البَرُّ والفاجرُ والمؤمِنُ والكافِرُ مِنْ شدَّةِ ٱختصاصِهِ في الجاهليَّةِ والإِسلام بِالنَّبيِّ عليه أَفضلُ الصَّلاة والسَّلام ، وقُرْبِهِ منهُ ، ومجاورتِهِ لَهُ حيّاً وميّتاً ، ثمَّ ما أَيَّدَهُ اللهُ بِهِ مِنَ الثَّباتِ عندَ موتِ النَّبيِّ ﷺ ، ووعظِهِ المُسلمينَ ، ثمَّ إطفاءِ نارِ الفِتنةِ عندَ تنازُعِ الصَّحابةِ ، وجهادِ أَهلِ الرِّدَّةِ ، حتّىٰ ٱستقامَ الدِّينُ ، ومِنْ تقواهُ المعروفِ ، وصنائِعِهِ للمعروفِ ، وكمالِ النَّفسِ ، ورُسوخِ القَدَمِ في التَّوحيدِ ، ووقْرِ اليقينِ في الصَّدْرِ .

مناقبُ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ

ومعَ ما عُرِفَ للفاروقِ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ عِزَّةِ الإِسلام بإِسلامِهِ ٱبتداءً وٱنتهاءً ، ومِنَ الشِّدَّةِ في الدِّين ، والجَمْعِ في السِّياسَةِ بينَ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٧١) . ومُسلم برقم (٢٨/٢٤٠٣) . عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٩٩) . ومُسلم برقم (٣٥/٢٤٠٧) . عن سَلَمةَ بن الأَكوع رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٥٠٣) . ومُسلم برقم (٣١/٢٤٠٤) . عن سَهْلِ بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

العُنْفِ واللِّينِ ، وكَثْرَةِ الفُتوحاتِ ، وموافَقَةِ رأيِهِ للوحي في غيرِ مرَّةٍ ، وعدلِهِ ، وإحسانِهِ ، وحُسنِ سيرتِهِ المَشهورةِ ، حتّىٰ قالَ أَهلُ السِّيَر : لو أَنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ فاخَرَتْ جميعَ الأُمَمِ بسيرةِ عُمَرَ لَفخَرَتْها ، إذ لم يُعلَمْ أَنَّ مَلِكاً مِنَ المُتقدِّمينَ والمُتأَخِّرينَ سارَ سيرتَهُ .

مناقبُ عُثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ

ومعَ شهادَةِ الرَّسولِ ﷺ لعُثمانَ الشَّهيدِ بٱستحياءِ المَلائكَةِ الكِرام منهُ إجلالاً وٱحتراماً ، وضربهِ لَهُ بسهمِهِ وأَجرِهِ يومَ (بَدْرٍ) ، وضربهِ بيدِهِ اليُمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ عنهُ في بيعةِ الرِّضوان ، وتزويجِهِ لَهُ بٱبْنتَيهِ رضيَ اللهُ عنهُما ، ثمَّ قالَ : « لَوْ كانَ عِنْدي ثالِثَةٌ لَزَوَّجْتُكَها »[1] ، معَ ماٱشتُهِرَ مِنْ جمعِهِ لمصاحِفِ القُرآنِ ، ومواظبَتِهِ علىٰ تلاوتِهِ ، وكَثْرَةِ الصِّيامِ والقيامِ ، وشفقَتِهِ علىٰ الأُمَّةِ بوضعِ السِّلاحِ تورُّعاً منهُ عَنْ سَفْكِ الدِّماءِ ، وصدقاتِهِ المَشهورةِ ؛ كتجهيزِ جيشِ / العُسْرَةِ [ق٢٢٥] وحفرِ بئرِ (رُوْمَةَ) الموعودِ عليها بالجنَّةِ .

مناقبُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ

ومعَ شهادَتِهِ ﷺ للمُرْتَضىٰ عليِّ بنِ أَبي طالِبٍ بأَنَّهُ أَقضاهُمْ ، وأَنَّهُ قائِدُ الفِئَةِ النّاجِيَةِ ، وتَقْتُلُ عمّاراً الفِئَةُ الباغِيَةُ ، وتزويجُهُ لَهُ بٱبْنَتِهِ فاطِمَةَ الزَّهراء ـ سيِّدَةِ نساءِ أَهلِ الجنَّةِ ، وأُمِّ الحسنِ والحسينِ ، سِبْطَي المُصطفىٰ ﷺ ـ معَ ما ٱشتُهِرَ مِنْ قِدَمِ إسلامِهِ ، ورُسوخِ عِلْمِهِ ، وزُهدِهِ ، وشجاعَتِهِ في نُصْرَةِ دينِ اللهِ ، وشَرَفِ القَرابَةِ القُربىٰ مِنْ رسولِ اللهِ صلّىٰ اللهُ عليه وسلَّم ، ورضيَ اللهُ عنهُم أَجمعينَ .

ومَنْ نظرَ بعينِ البصيرةِ في مناقِبِ الخُلفاءِ الأَربعةِ الوارِدَةِ في « الصَّحيحين » ، أَو في أَحدِهِما ـ كما أَوردناهُ ، ولم تَمِلْ به الأَهواءُ ـ ظهرَ لَهُ إصابةُ الصَّحابَةِ في ترتيبِهِم في الفَضْلِ علىٰ ترتيبِهِم في الخِلافَةِ .

﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحديد ٥٧/ ١٠] .

---

(١) أورده ٱبن كثير في «البداية والنِّهاية» ، ج٥/ ٣٩ .

فصل

في أدلة فضل الصحابة

رضي الله عنهم أجمعين

الَّذي عليه جمهورُ المُحدِّثينَ أَنَّ كلَّ مُسلمٍ ٱجتمعَ بالنَّبيِّ ﷺ ولو لحظةً فهوَ مِنَ الصَّحابَةِ .

وقد وردَ في فَضْلِهم رضيَ اللهُ عنهُم مِنَ الآياتِ القُرآنيَّةِ والأَحاديثِ النَّبويَّةِ ما لا يُحصىٰ .

فروىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ في « صحيحيْهما » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « خَيْرُكُمْ ـ وفي روايةٍ ـ خَيْرُ النَّاسِ قَرْني ، ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُمْ ـ أي : التَّابِعونَ ـ ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُمْ ـ أي : تابِعو التَّابِعين ـ »[1] .

قال الشَّيخُ مُحيي الدّين النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : (وروايةُ « خَيْرُ النَّاسِ » علىٰ عُمومِها ، والمرادُ منهُ جملةُ القُرون السّابقة واللاّحِقَةِ ، ولا يلزَمُ منهُ تفضيلُ أَهلِ قَرْنِهِ علىٰ الأَنبياء عليهمُ السَّلامُ ، إِذ المُرادُ جُمْلَةُ القُرونِ ، بالنِّسبة إِلىٰ كلِّ قَرْنٍ بجُمْلَتِهِ . قالَ : والمرادُ بالقَرْنِ : الصَّحابَةُ ، ثمَّ الَّذينَ يَلونَهُم : التّابِعونَ ، ثمَّ الَّذينَ يلونَهُم : تابِعو التّابِعينَ)[2] . ٱنتهىٰ .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٥٠٩) . ومُسلم برقم (٢٥٣٣/ ٢١١) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ . القرنُ : أَهل كلِّ زمانٍ ، وهو مقدار التَّوسُّط في أَعمار أَهل كلِّ زمان ، مأخوذٌ من الاقتران ، وكأَنَّه المقدار الَّذي يقترنُ فيه أَهل ذلك الزَّمان في أَعمارهم وأَحوالهم . وقيل : القرنُ : أَربعون سنةً ، وقيل ثمانون ، وقيل : مئة ، وقيل : هو مطلقٌ من الزَّمان [النِّهاية في غريب الحديث ، ج٤/ ٥١ . (أَنصاريّ)] .

(٢) شرح صحيح مُسلم ، للنَّوويِّ ، ج١٦/ ٦٩ . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .

قُلْتُ : وأَوَّلُ قَرْنِ الصُّحبةِ مِنْ مبعَثِهِ ﷺ إلىٰ موتِ آخِرِهِم مَوْتاً ؛ وهوَ أَبو الطُّفيلِ علىٰ رأسِ عشرٍ بعدَ المِئَةِ مِنَ الهجرةِ ، لِمِئَةٍ /مِنَ الوفاةِ ، وهوَ أَيضاً آخِرُ قَرْنِ التَّبعيَّةِ لتعذُّرِها حينئذٍ ، وأَوَّلُهُ مِنَ الوفاةِ لتعذُّرِ الصُّحبةِ حينئذٍ . واللهُ أَعلمُ . [ق٢٢٦]

قَالَ العُلَمَاءُ : وإِنَّما كانوا خيرَ القُرونِ بشهادةِ اللهِ تعالىٰ ورسولِهِ ﷺ لَهُم بكلِّ فضيلةٍ ؛ مِنَ الإخلاصِ والصِّدقِ والتَّقوىٰ ، والشِّدَّةِ في الدِّينِ ، والرَّحمةِ علىٰ المُؤمنين ، ونُصرةِ اللهِ ورسولِهِ ، والجهادِ في سبيلِهِ ، وبَذْلِ النُّفوسِ والأَموالِ وبيعِها مِنَ اللهِ تعالىٰ ، وإِيثارِهِم علىٰ أَنفُسِهِم ، وكونِهِم خيرَ أُمَّةٍ أُخرجَتْ للنّاسِ ، وقد رضيَ اللهُ عنهُم ورضُوا عنهُ ، والحائزينَ علىٰ الفوزِ والفلاحِ والبِشارةِ بأَعلىٰ الجِنان وجِوارِ الرَّحمٰنِ ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

ومدحُ اللهِ لا يتبدَّلُ ، ووعدُهُ لا يُخْلَفُ ولا يتحوَّلُ ، إذ هوَ سبحانَهُ المُطَّلِعُ علىٰ عواقِبِ الأُمورِ ، والعالِمُ بخائِنَةِ الأَعْيُنِ وما تُخفي الصُّدورُ ، فلا يمدَحُ جلَّ وعلا إلاّ مَنْ سبقَتْ لَهُ منهُ الحُسنىٰ ، وكانَ ممدوحاً في الآخِرةِ والأُولىٰ .

قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ١٠٠] .

وقالَ سبحانَهُ : ﴿ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [سورة التَّوبة ٩/ ٨٨ ـ ٨٩] .

وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [سورة التوبة ٩/ ١١١].

وقالَ تعالىٰ : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ الآية [سورة الفتح ٤٨/ ٢٩].

وقالَ تعالىٰ في حقِّ المُهاجرينَ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ / وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ [ق٢٢٧] وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ٨].

[وقال تعالىٰ] في حقِّ الأنصارِ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ٩].

[وقال تعالىٰ] في حقِّ التّابعينَ لَهُم بإِحسانٍ ، المُستغفِرينَ لَهُم ، السّالِمينَ مِنْ غِلِّ القُلوبِ ـ جعَلنا اللهُ منهُم ـ : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر ٥٩/ ١٠].

وقالَ ﷺ : « لا تَسُبّوا أَصْحابي ، فَوالَّذي نَفْسي بيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ (أُحُدٍ) ذَهَباً ما بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصيفَهُ » ، متَّفقٌ عليه(١).

قالَ الشَّيخُ مُحيي الدّين النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ : (ومعنىٰ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٤٧٠) . ومُسلم برقم (٢٥٤٠/ ٢٢١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

الحديث : لو أَنفقَ أَحدُكُم في سبيلِ اللهِ مثلَ (أُحُدٍ) ذهباً ما بلغ ثوابُهُ ثوابَ نفقةِ أَحدِهِم مُدّاً مِنْ طعامٍ ولا نَصيفَهُ . قالَ : وسببُ ذٰلكَ كونُ نفقتِهِم رضيَ اللهُ عنهُم في وقتِ الضَّرورَةِ وضيقِ الحالِ ، وفي نصرتِهِ ﷺ ، وحمايَةِ دينِهِ وإِعزازه ، وكذٰلكَ كانَ جِهادُهُم وسائرُ طاعاتِهِم ، وذٰلك معدومٌ فيمن بعدَهُم ، معَ أَنَّ فضيلةَ الصُّحبةِ ولو بلحظةٍ لا تُوازيها فضيلةٌ ، ولا تُنالُ درجتُها بشيءٍ ، وذٰلكَ فَضْلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العَظيمِ)[1] ٱنتهىٰ .

والمخاطَبُ بقولِهِ : « لا تَسُبّوا أَصْحابي » الأُمَّةُ ، أَو أَنَّهُ نزّلَ السّابَّ منزِلَةَ مَنْ ليسَ مِنْ أَصحابِهِ ، أَو خصَّ بالصُّحبةِ السّابقينَ منهُم ، كما وَرَدَ في سببِ الحديثِ أَنَّ خالدَ بنَ الوليدِ سبَّ عبدَ الرَّحمٰنِ بنَ عَوْفٍ .

قَالَ العُلَمَاءُ : وإِذا ثبتَ ثناءُ اللهِ ورسولهِ عليهِم رضيَ اللهُ عنهُم بكلِّ فضيلةٍ ، والشَّهادَةُ لَهُم بالمناقِبِ الجليلةِ ، فأَيُّ دينٍ / يبقىٰ لِمَنْ نبذَ كتابَ اللهِ وراءَ ظهرِهِ ، فنسبَهُم إِلىٰ باطِلٍ ، أَيقول هٰذا الجاهِلُ : بأَنَّ اللهَ ـ تعالىٰ عمّا يقولُ الظّالِمونَ عُلوّاً كبيراً ـ لَمّا وصفَهُم وأَثنىٰ عليهِم كانَ جاهِلاً بما يؤولُ إِليه حالُهُم ، فتبدَّلَ قولُهُ الحقّ باطِلاً ، والصِّدقَ كذباً ، أَم كانَ عالِماً بذٰلكَ ، ولٰكنَّهُ خانَ رسولَهُ بالثّناءِ علىٰ مَنْ ليسَ أَهلاً للثَّناءِ ، ورضيَ لرسولِهِ المُجتبىٰ عندَهُ بصُحبة الفاسِقينَ ، ومُصافاة المُنافقينَ . [ق٢٢٨]

كلاّ ، واللهِ لقد كانوا أَحقَّ بتلكَ الفضائِلِ وأَهلَها . ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٤٠] .

---

(١) شرح صحيح مُسلم ، للنَّوويّ ، ج١٦/ ٧٦ . بتصرُّفٍ مِنَ المؤلِّف .

وكانوا كما وصفَهُمُ اللهُ : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب ٣٣/ ٢٣] .

اللَّهُمَّ إِنّا نَشْهَدُ أَنَّهُم كما وصفتَهُم مِنْ أَنَّهُم خيرُ أُمَّةٍ ، ونُثني عليهِم بما أَثنيْتَ عليهِم مِنَ الفضائِلِ الجَمَّةِ ، ونعتقدُ أَنَّهُم قد قلَّدوا رِقابَ الخاصَّةِ والعامَّةِ المِنَّةَ ؛ لأَنَّهُم الَّذينَ جاهَدوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ، حتّىٰ قرَّروا هٰذا الدّينَ ، ثمَّ حملوهُ إِلىٰ النّاسِ كما نقلوهُ ، باذِلينَ في ذٰلكَ غايةَ الجُهْدِ والنُّصحِ ، ونعتقِدُ وجوبَ تعظيمِهِم وٱحترامِهِم ومحبَّتِهِم ، والكفَّ عمّا شَجَرَ بينَهُم ، وحُسنِ الظَّنِّ بِهِم ، والإِعراضِ عمّا يورِدُهُ الإِخباريّونَ عنهُم ، مِمّا لا يسلَمُ مِنْ مثلِهِ بشرٌ ، إِلاّ مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ، وهُم غيرُ معصومينَ ، وحملِ ما صحَّ عنهُم مِنَ الهفواتِ الَّتي هيَ قطرَةٌ كَدِرَةٌ في بحرٍ صافٍ مِنْ محاسِنِهِم علىٰ أَحسنِ المَحامِلِ ، وتأويلِهِ بما يليقُ بجَلالَةِ قَدْرِهِم ، ولا يُحرَمُ ذٰلكَ إِلاَّ مَنْ حُرِمَ التَّوفيقَ .

اللَّهُمَّ فٱنفعنا بحبِّهِم ، وٱعصُمنا عَنْ سبِّهِم ، وأَحينا علىٰ سُنَّتِهِم ، وتوفَّنا علىٰ مِلَّتِهِم ، وٱحشرنا في زُمرتِهِم ، يا أَرحمَ الرّاحمينَ .

وما أَحسنَ قولَ صاحبِ البُردَةِ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيهِم ، [مِنَ البسيط](1) :

مـا زالَ يَلْقـاهُـمُ فـي كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ
حَتّىٰ حَكَوْا بِٱلقَنا لَحماً عَلىٰ وَضَمِ(2)

---

(1) البُردة ، في جهاد النَّبيِّ ، ص٣٣ ـ ٣٤ .

(2) **الوَضَمُ** : ما يضعُ القصّابُ اللَّحمَ عليه من خشبةٍ أَو نحوها . والمرادُ هنا : أَنَّهُ ﷺ مازال يقاتِلُ الكفّار حتّىٰ تركهم قتلىٰ مُعدّينَ لأَكل السِّباع والطُّيور لحومَهُم .

كَأَنَّما الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ ساحَتَهُمْ
بِكُلِّ قَرْمٍ إِلىٰ لَحْمِ ٱلعِدا قَرِمِ[1]
يَجُرُّ بَحْرَ خَميسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ
يَرْمي بِمَوْجٍ مِنَ ٱلأَبطالِ مُلْتَطِمِ[2]
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ
يَسْطو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلْكُفْرِ مُصْطَلِمِ[3]
[ق٢٢٩] / حَتّىٰ غَدَتْ مِلَّةُ ٱلإِسْلامِ وَهيَ بِهِمْ
مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِها مَوْصولَةَ الرَّحِمِ
مَكْفولَةً أَبَداً مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ
وَخَيْرِ بَعْلٍ فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ[4]

---

(١) **القَرْمُ** : السَّيّدُ الشُّجاع . **القَرِمُ** : شديدُ الشَّهوة إلىٰ اللَّحم .

(٢) **الخميسُ** : الجيشُ العظيمُ ، سُمِّيَ بذٰلك لأَنَّهُ مركَّبٌ في خمس قوائم ؛ المقدِّمة ، والميمنة ، والميسرة ، والقلب ، والمؤخِّرة . **السّابِحَةُ** : الخيلُ . كأنَّها تسبحُ مسرعةً في طلب الكفّار .

(٣) **يسطو** : يصولُ . **بمستأصلٍ للكفر** : أَزال الكفّار من أَصلهم . **مُصطَلِمٌ** : مهلكٌ لهم .

(٤) **البعلُ** : الزَّوج . **تَيْتَم** : تفقدُ الأَب . **تئِمُ** : تفقد الزَّوجَ ، **والأَيِّمُ** : من لا زوج لها .




الخاتمة

في ذكر شيء من سيرته ﷺ في أحواله النفسية وأقواله القدسية




الباب الأول

في أحواله النفسية

وفيه فصول سبعة: في حسن خلقته ﷺ، وحسن خلقه، ووفور عقله، وحسن عشرته، وسماحته، وشجاعته، وزهده.

فَصْلٌ

في حُسْنِ خِلْقَتِه ﷺ

اِعلم أَنَّ مَنْ نظرَ إلىٰ خِصالِ الكمالِ وجدَ نبيَّنا ﷺ حائزاً لجميعها ، مُحيطاً بشتاتها .

أَمّا حُسنُ خِلْقَتِهِ ﷺ : فقد كانَ كما في الحديثِ الصَّحيحِ أَحسنَ النّاسِ وجهاً ، وأَكملَهُم صورةً . وأَحسنَهُم خَلقاً ، حتّىٰ كأَنَّ الشَّمسَ تجري في وجهِهِ ، إذا ضَحِكَ تلألأَ وجهُهُ تلأْلُؤَ القمرِ ليلةَ البَدْرِ ، أَجملُ النّاسِ مِنْ بعيدٍ ، وأَحلاهُم وأَحسنُهُم مِنْ قريبٍ . يقولُ ناعِتُهُ : لَمْ أَرَ قبلَهُ ولا بعدَهُ مِثْلَهُ .

وكانَ لَهُ شَعْرٌ يبلُغُ شحمةَ أُذنَيْهِ ، فإذا جاوزَها قَصَّهُ .

وكانَ ﷺ نظيفَ الجسمِ ، طيّبَ الطِّيْبِ والعَرَقِ طبعاً ، لا يُشمُّ عنبرٌ ولا مِسْكٌ أَطيبَ مِنْ ريحِهِ ، يُصافِحُ المُصافِحَ فيَظَلُّ يومَهُ يَجِدُ ريحَ يَدِهِ ، سواءٌ مسَّها بطيبٍ أَم لا ، ويضعُ يَدَهُ علىٰ رأسِ الصَّبيِّ فيُعْرَفُ مِنْ بينِ الصِّبيانِ بريحِهِ ، ولا يمرُّ في طريقٍ فيتبَعُهُ أَحدٌ إلاّ عَرَفَ أنَّهُ سلَكَهُ مِنْ طيبِهِ ، لم يَكُنْ منهُ شيءٌ يُكْرَهُ ﷺ .

فَائِدَةٌ

في أَشبهِ النّاس صورةً بالنَّبيِّ ﷺ

أَشبَهُ النّاسِ صورةً بالنَّبيِّ ﷺ مِنْ أَولادِهِ : فاطِمةُ ، وٱبناها الحسنُ والحسينُ رضيَ اللهُ عنهُم ، ومِنْ أَهلِ بيته أَربعةٌ : وهُم : بنو أَعمامِهِ الثَّلاثَةُ : جعفرُ بنُ أَبي طالِبٍ ، وقُثَمُ بنُ العبّاسِ ، وأَبو سُفيانَ المغيرةُ بنُ الحارِثِ ، والسّائِبُ بنُ يزيدَ جدُّ الإمامِ

الشّافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُم .

وقد نظمَ ـ هٰؤلاءِ الأَربعةَ معَ الحسنِ بنِ عليٍّ ـ بعضُ الفُضلاءِ فقالَ / ، [مِنَ البسيط] : [ق٢٣٠]

بِخَمْسَةٍ شُبِّهَ[1] ٱلْمُخْتارُ مِنْ مُضَرٍ
يا حُسْنَ ما خُوِّلوا مِنْ وَجْهِهِ ٱلْحَسَنِ
كَجَعْفَرٍ وَٱبْنِ عَمِّ ٱلْمُصْطَفىٰ قُثَمٍ
وَسائِبٍ وَأَبي سُفيانَ وَٱلْحَسَنِ[2]

---

(١) في « فتح الباري » : (بخمسة أشبهوا) .

(٢) وقد أوصلهم الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (ج٧/ ٩٧) إلى خمسة عشر شخصاً ، ونظمهم وحقق الكلام في أمرهم تحقيقاً نفيساً ، فقال ـ من نظم الإمام أبي الوليد بن الشحنة قاضي حلب ـ :

وخمسَ عشرٍ لهم بالمصطفى شبه
سبطاهُ وابنا عقيلٍ سائبٌ قُثَمُ
وجعفرٌ وابنه عبدان مسلمْ أبو
سفيان كابس عُثْمُ ابن النجادِ هُمُ

فصل

في حسن خلقه

صلى الله عليه وسلم

وأَمّا حُسْنُ خُلُقِهِ ﷺ : فقد كانَتْ فيه الأَخلاقُ الحميدَةُ ، والآدابُ المَجيدَةُ ، جميعُها علىٰ الانتهاءِ في كمالِها ، والاعتدالِ في غايَتِها ، حتّىٰ أَثنىٰ اللهُ عليه بذٰلك ، فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم ٦٨/ ٤] .

وفي « الصَّحيحين » : كانَ خُلُقُهُ القُرآنَ[1] ـ أَي : مطبوعاً علىٰ ما ٱحتوىٰ عليه مِنَ العَدْلِ والإِحسانِ ، وإيتاءِ ذي القُربىٰ ، آخذاً للعفوِ ، آمراً بالعُرْفِ ، مُعْرِضاً عَنِ الجاهلينَ ـ إِلىٰ غيرِ ذٰلكَ .

وقالَ ﷺ : « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلاقِ »[2] .

وكانَ ﷺ مجبولاً عليها في أَصلِ خِلْقَتِهِ ، مطبوعاً عليها في أَوَّلِ فِطْرَتِهِ ؛ بالجودِ الإلهيِّ ، والتَّخصيصِ الرَّحمانيِّ ، ثمَّ ٱزدادَ كمالاً بترادُفِ نفحاتِ الكَرَمِ ، وإِشراقِ أَنوارِ المعارِفِ والحِكَمِ ، وطلوعِ شمسِ النُّبوَّةِ والرِّسالَةِ ، وٱتِّساقِ بَدْرِ الخِلَّةِ والمحبَّةِ ، إِلىٰ ما لا يُحيطُ به الوَصْفُ ، ولا يُدْرِكُهُ الوَهْمُ ، ولا يَعلَمُهُ إِلاّ مانِحُهُ ومُسْدِيهِ ، ومُعيدُ الفضلِ ومُبديهِ .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٧٤٦/ ١٣٩) . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها ، وهذا الحديث انفرد به مسلم دون البخاري .

(٢) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٨٧٢٩) . ومالك في « الموطّأ » ، كتاب (٤٧) ، برقم (٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

فصل في وفور عقله صلى الله عليه وسلم

وأمّا وفورُ عقلِهِ وذكاءُ لُبِّهِ ﷺ : فمَنْ تأمَّلَ حُسْنَ تدبيرِهِ ﷺ لأُمورِ بواطِنِ الخَلْقِ وظواهِرِهِم ، وسياسَتِهِ للخاصَّةِ والعامَّةِ ، معَ عجيبِ شمائِله ، وغريبِ سِيَرِهِ ، فَضْلاً عمّا نشرَهُ مِنَ العلمِ ، وقرَّرَهُ مِنَ الشَّرعِ ، وما علَّمَهُ اللهُ مِنْ ملكوتِ سماواتِهِ وأَرضِهِ ، وآياتِ قُدْرَتِهِ ، وأَطْلَعَهُ عليه ممّا كانَ وممّا سيَكونُ ، ومعَ ما خصَّهُ اللهُ به مِنْ جوامِعِ كَلِمِهِ ، وبدائِعِ حِكَمِهِ ، ومعَ التَّأْييدِ الإلـٰهيّ والعِصْمَةِ بالوحي السَّماويِّ ، فإِنَّهُ يقتضي العَجَبَ ، ويذهبُ به الفِكْرُ ، ويعلَمُ يقيناً مِصداقَ قولِهِ تعالىٰ تشريفاً لَهُ وتكريماً وتعظيماً : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [سورة النِّساء ٤/١١٣] .

وعن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ قال : قرأتُ في أَحدٍ وسبعينَ كتاباً ، فوجدتُ فيها أَنَّ اللهَ تعالىٰ لم يُعْطِ جميعَ الأَوَّلينَ / والآخِرينَ مِنَ العقلِ في جَنْبِ عقلِ نبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ إلاّ كحبَّةِ رَمْلٍ مِنْ رِمالِ الدُّنيا . [ق٢٣١]

ولاشكَّ أَنَّ العقلَ عنصرُ الأَخلاقِ الشَّريفةِ، ومنهُ ينبعِثُ العِلمُ والمَعرِفَةُ، فبحَسَبِ عقلِهِ ﷺ كانت علومُهُ ومعارِفُهُ، وهو عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أَحسنُ النّاسِ خَلْقاً وعِلْماً ومعرفةً وعَقلاً، وذٰلكَ سَجيَّةً فيه وطَبْعاً

وصفُ ما آمتاز به النَّبيُّ ﷺ في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ

وما أَحسنَ قولَ صاحِبِ البُرْدَةِ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ فيها ، [مِنَ البسيط] [(١)] :

(١) البُردة ، في مدح النَّبيِّ ﷺ ، ص١٤ .

فـاقَ النَّبيّيـنَ فـي خَلْـقٍ وَفـي خُلُـقٍ

وَلَـمْ يُـدانـوهُ فـي عِلْـمٍ وَلا كَـرَمِ

وَكُلُّهُـمْ مِـنْ رَسـولِ ٱللهِ مُلْتَمِـسٌ

غَرْفاً مِنَ ٱلبَحْرِ أَو رَشْفاً مِنَ الدِّيَمِ[1]

وَواقِفـونَ لَـدَيْـهِ عِنْـدَ حَـدِّهِـمِ

مِنْ نُقْطَةِ ٱلعِلْمِ أَو مِنْ شَكْلَةِ ٱلحِكَمِ

فَهُـوَ الَّـذي تَـمَّ مَعْنـاهُ وَصـورَتُـهُ

ثُمَّ ٱصْطَفاهُ حَبيباً بارِىءُ ٱلنَّسَمِ[2]

مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَـريـكٍ فـي مَحـاسِنِـهِ

فَجَـوْهَـرُ ٱلحُسْـنِ فيـهِ غَيْـرُ مُنْقَسِـمِ

---

(١) **الغَرْفُ** : أَخذُ الماء براحة اليد . **الرَّشْفُ** : أَخذُ الماء بالشَّفتين ، وهو غيرُ المصّ . **الدِّيَمُ** : جمع ديمة ؛ وهيَ المطرُ الدّائم .

(٢) **النَّسَمُ** : جمع نَسَمة ؛ وهيَ الإنسان . **البارئُ** : الخالِق .

فصل في حسن عشرته ﷺ

وأمّا حُسنُ عِشْرَتِهِ ﷺ ووفورُ شفقَتِهِ ورحمتِهِ : فقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التّوبة ٩/١٢٨] .

وفي « الصَّحيحين » ، أَنّهُ ﷺ كانَ أَوسعَ النّاسِ صَدْراً ، وأَكرمَهُم عِشْرَةً ، وأَلْيَنَهُم عريكَةً ـ أَي : خِبْرَةً ـ[1]

قد وَسِعَ النّاسَ بَسْطُهُ وخُلُقُهُ ، فصارَ لَهُم أَباً ، وصاروا عندَهُ في الحقِّ سواءً[2] .

يُؤَلِّفُهُم ولا يُنفِّرُهُم ، ويُكْرِمُ كريمَ كلِّ قومٍ ويولِّيهِ عليهِم ، ويحذَرُ النّاسَ ، ويحتَرِسُ منهُم ، مِنْ غيرِ أَنْ يطوي عَنْ أَحدٍ منهُم بِشْرَهُ ، ويتعهَّد أَصحابَهُ ، ويُعطي كلَّ جُلسائِهِ نصيبَهُ ، ولا يَحْسَبُ جليسُهُ أَنَّ أَحداً أَكرمُ عليه منهُ ، ومَنْ جالَسَهُ صابرَهُ حتّىٰ ينصرِفَ ، ومَنْ سأَلَهُ حاجةً لم يرُدَّهُ إِلاّ بها ، أَو بميسورٍ مِنَ القولِ[3] .

وما أَخذَ أَحدٌ بيدِهِ فأَرسلَها حتّىٰ يُرسِلَها الآخِذُ[4] .

---

(١) أَخرجه التّرمذيُّ ، برقم (٣٧١٨) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ . والحديثُ ليس في الصحيحين .

(٢) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/٢٤٦ .

(٣) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٤) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/٢٤٨ .

وكانَ يُجيبُ مَنْ دعاهُ مِنْ حُرٍّ أَو عبدٍ ، أَو غنيٍّ أَو فقيرٍ ، وما دعاهُ أَحدٌ إلاّ قالَ : « لَبَّيْكَ »[1] .

ويعودُ المَرْضىٰ ، ويقبلُ عُذْرَ المُعتَذِرِ ، ويقبلُ الهديَّةَ ويُكافِىءُ عليها ، ويُمازِحُ أَصحابَهُ . ولٰكنْ لا يقولُ إلاّ حقّاً ، ويُخالِطُهُم ويحادِثُهُم ، ويضَعُ أَطفالَهُم في حِجْرِهِ / ، ويُداعِبُ صبيانَهُم ، [ق٢٣٢] ويدعوهُم بأَحبِّ أَسمائِهِم[2] .

ويبدأُ مَنْ لقيَهُ بالسَّلامِ والمُصافَحَةِ ، ولا يقطعُ علىٰ أَحدٍ حديثَهُ حتّىٰ ينتهي[3] .

وكانَ مجلسُهُ مجلسَ حِلْمٍ وحياءٍ ، وصِدْقٍ وأَمانةٍ ، إذا تكلَّمَ أَطرقَ جلساؤُهُ كأَنَّما علىٰ رؤوسِهِمُ الطَّيرُ .

---

(١) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

(٢) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/ ٢٤٨ .

(٣) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/ ٢٤٩ .

فَصْلٌ
في سماحته وجوده
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأمّا سماحتُهُ وجودُهُ ﷺ : فمِنَ المعلومِ أنَّهُ كانَ بالمحلِّ الأكملِ .

وفي « الصَّحيح » ، أنَّهُ ﷺ كانَ أجودَ النّاسِ بالخيرِ ، وأجودُ ما يكونُ في رمضانَ[١] .

وأنَّهُ كانَ إذا لقيَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ أجودُ بالخيرِ مِنْ الرّيحِ المُرْسَلَةِ[٢] .

وما سُئِلَ عن شيءٍ قطُّ فقالَ : « لا »[٣] .

وسبقَ أنَّهُ أعطىٰ رَجُلاً مِنْ غيرِ سؤالٍ غنماً بينَ جبلينِ ، فرجَعَ إلىٰ قومِهِ ، فقالَ : يا قوم أسلِموا ، فإنَّ مُحمَّداً يُعطي عطاءَ مَنْ لا يخافُ الفاقةَ[٤] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « لَوْ كانَ عِنْدي عَدَدُ هٰذِهِ العِضاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثُمَّ لا تَجِدوني بَخيلاً وَلا كَذوباً وَلا جَباناً »[٥] .

---

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٢٣٠٨/ ٥٠) . عن ابن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٦٨٧) . عن جابرِ بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهما .

(٤) أخرجه مُسلم ، برقم (٢٣١٢/ ٥٧) . عن أنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . **الفاقَةُ** : الحاجة والفقر .

(٥) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٦٦٦) . عن جُبير بن المُطْعِمِ رضيَ اللهُ عنهُ .=

وفي « الصَّحيحين » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما أُحِبُّ أَنْ يَكونَ لي مِثْلُ (أُحُدٍ) ذَهَباً ، تُمْسي عَلَيَّ ثالِثَةٌ وَعِنْدي مِنْهُ شَيْءٌ إِلاّ أَنْ أَقولَ بِهِ في عِبادِ اللهِ ، هٰكَذا وَهٰكَذا وهٰكَذا » وحثا بينَ يديهِ وخلفَهُ ، وعن يمينِهِ وشمالِهِ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ جاءَهُ مالٌ مِنَ (البَحْرينِ) ـ أَي : نحوُ مئةِ أَلفٍ ـ فأَمرَ بطرحِهِ علىٰ نطعٍ في المسجدِ ، فصلّىٰ العصرَ ، ثم ٱنصرفَ إِليه ، فما قامَ مِنْ مجلسِهِ حتّىٰ فرَّقَهُ عطاءً[2] .

= العِضاهُ : شجرٌ عظيمٌ له أَشواكٌ .

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩١٣) . ومُسلم برقم (٩٤/٣٢) . عن أَبي ذرٍّ الغِفاريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) ذكرَهُ ٱبن سيّد النّاس في « عيون الأَثر » ، ج٢/٣٢٩ . وأَخرج مُسلم ، برقم (٢٣١٤/٦٠) ؛ نحوَهُ . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ .
النَّطعُ : بساطٌ مِنَ الجلد .

فصل في شجاعته

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأمّا شجاعتهُ ﷺ : فقد كانَ في ذٰلكَ بالمكانِ الَّذي لا يُجهَلُ[1] .

بذٰلكَ وصفَهُ مَنْ عرفَهُ ، فقد حضرَ المواقِفَ الصَّعبةَ ، وفرَّ الكُماةُ منهُ غيرَ مرَّةٍ ، وهوَ ثابتٌ لا يبرَحُ ، ومُقبِلٌ لا يتزحزَحُ ، كما سبقَ في يومِ (أُحُدٍ) ، ويومِ (حُنَيْنٍ)[2] .

وثبتَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ ـ وهوَ البطلُ المِقدامُ واللَّيثُ الضّرغامُ ـ: كنّا إذا حَمِيَ الوطيسُ ، واشتدَّ البأْسُ ، واحمرَّتِ الحَدَقُ ؛ اتقينا برسولِ اللهِ ﷺ / [ق٢٣٣] ، فما يكونُ أَحَدٌ أَقربَ إلىٰ العدوِ منهُ ، وكانَ أَشجَعُنا مَنْ كانَ أَقربَ إليه[3] .

وسبقَ قولُ العبّاسِ رضيَ اللهُ عنهُ في يوم (حُنَيْنٍ) : وأَنا آخِذٌ بِلجامِ بغلَتِهِ ﷺ ، أَكُفُّها إرادةَ أَنْ لا تُسرِعَ[4] .

وقولُ البراءِ بنِ عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما : لٰكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لَم يَفِرَّ ، ولقد رأيتُهُ علىٰ بغلَتِهِ البيضاءِ ، وابنُ عمِّهِ أَبو سُفيانَ آخِذٌ بلجامِها يَكُفُّها وهوَ يقولُ :

« أَنا النَّبيُّ لا كَذِبْ ، أَنا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ »

فما رُئِيَ [مِنَ النّاسِ] يومئذٍ أَشدَّ منهُ ﷺ[5] .

---

(١) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/ ٢٣٥ .
(٢) الشِّفا ، للقاضي عياض ، ج١/ ٢٣٦ .
(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (١٧٧٦/ ٧٩) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٧٧٥/ ٧٦) .
(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٨٧٧) .

فصل في زهده

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وأمّا زهدُهُ ﷺ في الدُّنيا ، وإيثارُهُ للعُقْبىٰ : فحسبُكَ ما اشتهَرَ عنهُ مِنْ تقلُّلِهِ منها ، وإعراضِهِ عَنْ زهرتِها ، امتثالاً لقولِ ربِّهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [سورة طه ٢٠/ ١٣١] .

وكانَ ﷺ ـ كما اتَّفقَ عليه نَقَلَةُ الأَخبارِ عنهُ ـ مُقتصِراً في نفقتِهِ ومَلْبَسِهِ ومسْكَنِهِ علىٰ قَدْرِ الضَّرورةِ منها ، ولقد عُرِضَتْ عليه أَنْ تُجعلَ لهُ بطحاءُ (مكَّةَ) ذهباً ، أَو أَنْ تكونَ الجبالُ ذهباً لا حسابَ عليه فيها ، فاختارَ أَنْ يكونَ نبيّاً ، عبداً ، يجوعُ يوماً ، ويشبَعُ يوماً ، ثمَّ جيئَت إِليه الأَموالُ مِنَ الغنائِمِ والخُمْسِ والزَّكواتِ والجزْيَةِ والهديَّةِ فصرَفَها في مصارِفِها ، وقوّىٰ المُسلمينَ بها ، وسدَّ به فاقتَهُم ، وأَغنىٰ به عيلتَهُم (١) ، ولم يستأْثِر منها بشيءٍ دونَهُم .

وفي « الصَّحيحين » : ما شَبِعَ نبيُّ اللهِ ﷺ وأَهلُهُ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ثلاثةَ أَيّامٍ تِباعاً حتّىٰ فارقَ الدُّنيا (٢) .

وَإِنّا كُنّا لننْظُرُ إِلىٰ الهِلالِ ، ثمَّ الهِلالِ ، ثُمَّ الهِلالِ ، ثلاثةَ أَهِلَّةٍ في شهرينِ ، وما أُوقِدَ في أَبياتِ النَّبيِّ ﷺ نارٌ ، [قالَ : يا خالةُ ،

---

(١) عيلتَهُم : فقرهُم .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥١٠٧) . ومُسلم برقم (٢٩٧٠/ ٢١) . عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها .

فما كانَ يُعيشُكُم ؟ قالت : الأَسوَدانِ ما هوَ إِلاَّ التَّمرُ والماءُ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ كثيراً ما يُرىٰ عاصِباً بطنَهُ مِنَ الجوعِ[2] .

وأنَّهُ ﷺ ماتَ ودِرْعُهُ مرهونَةٌ عندَ يهوديٍّ بثلاثينَ صاعاً مِنْ شعيرٍ[3] .

[ق٢٣٤]

وصفُ زُهد النَّبيِّ ﷺ

وما أَحسنَ قول / صاحب البُردةِ فيها ، [مِنَ البسيط][4] :

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحيا الظَّلامَ إِلىٰ
أَنِ ٱشْتَكَتْ قَدَماهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحشاءَهُ وَطَوىٰ
تَحْتَ ٱلحِجارَةِ كَشْحاً مُتْرَفَ ٱلأَدَمِ[5]

وَراوَدَتْهُ ٱلجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ
عَنْ نَفْسِهِ فَأَراها أَيَّما شَمَمِ[6]

وَأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فيها ضَرورَتُهُ
إِنَّ الضَّرورَةَ لا تَعْدو عَلىٰ ٱلعِصَمِ[7]

وَكَيْفَ تَدْعو إِلىٰ الدُّنيا ضَرورةُ مَنْ
لَولاهُ لَمْ تُخْرَجِ الدُّنيا مِنَ ٱلعَدَمِ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٤٢٨) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٢) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٠٤٠/ ١٤٣). عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤١٩٧) . عن عائشة رضيَ اللهُ عنها .

(٤) البُردة ، في مدح النَّبيِّ ﷺ ، ص١٢ .

(٥) **السَّغَبُ** : الجوع . **الكشحُ** : الخاصِرة . **المُتْرَفُ** : النُّعومة المفرطة . **الأَدَمُ** : الجلد .

(٦) **الشَّمَمُ** : الإِباءُ وعزَّة النَّفس . أَي : أَعرضَ إِعراضاً شديداً عِلماً منه ﷺ بأَنَّ ما عند الله خيرٌ وأَبقىٰ .

(٧) **الزُّهدُ** : ترك الشَّيء وقلَّة الرَّغبة فيه مع ميل النَّفس إليه . **الضَّرورةُ** : شدَّة الحاجة . **العِصَمُ** : الوقاية من الزَّلل .

الباب الثاني
في أقواله القدسية

وفيه فصول عشرة : في ذكره لربه في سوابق الصلاة ، وفي الصلاة ، وفي لواحق الصلاة ، وفي المرض وتوابعه ، وفي الصيام ، وفي السفر ، وفي الحج ، وفي الجهاد ، وفي المعاش ، وفي المعاشرة .

فَصْلٌ

في سوابق الصَّلاةِ

أَمّا سوابِقُ الصَّلاةِ : ففي أَذكاره ﷺ إِذا ٱستيقظَ مِنْ نومِهِ ، وإِذا لبسَ ثوبَهُ ، وإِذا خرجَ مِنْ بيتهِ ، وفي قضاءِ الحاجَةِ ، وفي الطَّهارَةِ ، وفي التَّوجُّهِ إِلىٰ المسجدِ ، وعندَ سماعِ الأَذانِ .

دعاؤهُ ﷺ إذا أَمسىٰ وإذا أَصبحَ

فثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ إِذا أَوىٰ إِلىٰ فراشِهِ قالَ : « بِٱسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحيا وَأَموتُ » . وإِذا ٱستيقظَ قالَ : « الحَمْدُ للهِ الَّذي أَحيانا بَعْدَ ما أَماتَنا وإِليهِ النُّشورُ » ، رواهُ البُخاريُّ[1] .

وروىٰ ٱبنُ السُّنِّيِّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ عَبْدٍ يَقولُ حِينَ رَدَّ اللهُ إِلَيهِ روحَهُ : لا إِلـٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ؛ إِلاّ غَفَرَ اللهُ ذُنوبَهُ ، وَإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »[2] .

وفي « سُنن أَبي داودَ » ، أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا ٱستيقظَ مِنَ النَّوم قالَ : « لا إِلَهَ إِلاّ أَنْتَ ، سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنبي ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ ، رَبِّ زِدْني عِلْماً ، وَلا تُزِغْ قَلْبي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَني ، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهّابُ »[3] .

---

(1) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٩٥٩) . عن حُذيفة بن اليمانِ رضيَ اللهُ عنهما .

(2) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ ، في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(3) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٦١) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أَنَّهُ ﷺ كانَ إذا قامَ مِنْ نومِهِ نظرَ إلىٰ السَّماءِ ، وقرأَ الآياتِ العشر الخواتِمَ / مِنْ سورةِ آلِ عِمرانَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلىٰ آخِرِ السّورةِ[1] . [ق٢٣٤]

دعاؤهُ ﷺ إذا لبسَ ثوباً جديداً

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَديداً ، فقالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي كَساني هٰذا الثَّوْبَ ، وَرَزَقَنيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنّي وَلا قُوَّةٍ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ لَبِسَ ثَوْباً جَديداً ، فَقالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي كَساني ما أُواري بِهِ عَوْرَتي ، وَأَتَجَمَّلُ بِهِ في حَياتي ، ثُمَّ عَمَدَ إلىٰ الثَّوْبِ الَّذي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ ، كانَ في حِفْظِ اللهِ ، وفي كَنَفِ اللهِ ، وفي سَتْرِ اللهِ حَيّاً وَمَيّتاً » ، رواهُ التِّرمذيُّ والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ رأىٰ علىٰ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُ ثوباً جَديداً ، فقالَ : « اِلْبَسْ جَديداً ، وَعِشْ حَميداً ، وَمُتْ شَهيداً » ، رواهُ ٱبنُ ماجه وٱبنُ السُّنّيِّ[4] .

دعاؤهُ ﷺ إذا خرجَ مِنْ بيته

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ إذا خرجَ مِنْ بيته ، قالَ : « بِٱسْمِ اللهِ ،

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٥٦/٤٨) . عن ٱبن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٢) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٢٧١) . عن أَبي سعيد الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٦٠) . عن أَبي أُمامةَ صُدَيِّ بن عجلان رضيَ اللهُ عنهُ . **وأَخلقَ** : بَلِيَ . **كنف الله** : حرزه وستره .
(٤) أَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (٣٥٥٨) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

تَوَكَّلْتُ عَلىٰ اللهِ . اللَّهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَو أُضَلَّ ، أَو أَزِلَّ أَو أُزَلَّ ، أَو أَظْلِمَ أَو أُظْلَمَ ، أَو أَجْهَلَ أَو يُجْهَلَ عَلَيَّ » ، رواهُ أَصحابُ السُّننِ الأَربعةِ بِإِسنادٍ صحيحٍ ؛ وهُم أَبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وٱبنُ ماجه ، وقالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ إذا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِٱسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلىٰ اللهِ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللهِ ، يُقالُ لَهُ حينئذٍ ـ أَي : تقولُ لَهُ المَلائِكَةُ ـ : هُديتَ وَكُفيتَ وَوُقيتَ ، وَتَنَحّىٰ عَنْهُ الشَّيْطانُ ، وَقالَ لِشَيْطانٍ آخَرَ : كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟ »[2] .

دعاؤهُ ﷺ إذا دخلَ الخلاء وإذا خرجَ منهُ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ يقولُ عندَ دخولِ الخَلاءِ : « اللَّهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبائِثِ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إِذا خرجَ مِنَ الخَلاءِ : « غُفْرانَكَ » ، رواهُ أَبو داودَ بِإِسنادٍ صحيحٍ[4] .

دعاؤهُ ﷺ في الوضوءِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « لا وُضوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ ٱسْمَ اللهِ عَلَيْهِ » ، رواهُ أَبو داودَ وغيرُهُ[5] .

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٩٤) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٢٧) . والنَّسائيُّ برقم (٥٥٣٩) . وٱبن ماجه برقم (٣٨٨٤) . عن أُمِّ سَلَمَةَ هند بنت أُميَّة رضيَ اللهُ عنها .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٩٥) . عن أَنس بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٦٣) . ومُسلم برقم (٣٧٥/ ١٢٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . **الخُبُثُ والخبائث** : ذكور الشَّياطين وإِناثهم .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٠) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٠١) . وٱبن ماجه برقم (٣٩٨) . عن سعيد بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ في أَثناءِ وضوئِهِ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لي ذَنْبي ، وَوَسِّعْ لي في داري ، وَبارِكْ / لي في رِزْقي » ، رواهُ النَّسائيُّ وٱبن السُّنِّيِّ بإِسنادٍ صحيحٍ[1] . [ق٢٣٦]

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فقالَ » ـ أَي : بعدَ الفَراغ ـ : « أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ ، وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ ، [إِلاّ] فُتِحَتْ لَهُ أَبوابُ الجَنَّةِ الثَّمانِيَة ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ » ، رواهُ مُسلمٌ[2] والتِّرمذيُّ وزادَ : « اللَّهُمَّ ٱجْعَلْني مِنَ التَّوّابينَ ، وٱجْعَلْني مِنَ المُتَطَهِّرينَ »[3] .

دعاؤهُ ﷺ إذا خرجَ إلىٰ الصَّلاةِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ إِذا خرجَ إِلىٰ الصَّلاةِ قالَ ما يقولُهُ إِذا خرجَ مِنْ بيتِه .

وزادَ في « صحيح مُسلمٍ » ، وقالَ : « اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ في قَلْبي نوراً ، وَفي لِساني نوراً ، وَٱجْعَلْ في سَمْعي نوراً ، وَٱجْعَلْ في بَصَري نوراً ، وَٱجْعَلْ مِنْ خَلْفي نوراً ، وَمِنْ أَمامي نوراً ، وَٱجْعَلْ مِنْ فَوْقي نوراً ، وَمِنْ تَحْتي نوراً ، اللَّهُمَّ أَعْطِني نوراً »[4] .

وزادَ ٱبنُ السُّنِّيِّ : « اللَّهُمَّ بِحَقِّ السّائِلينَ عَلَيْكَ ، وَبِحَقِّ مَخْرَجي هٰذا ، فإِنَّهُ لَمْ أَخرُجْهُ أَشَراً وَلا بَطراً ، وَلا رياءً وَلا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ ٱبتِغاءَ مَرْضاتِكَ ، وَٱتِّقاءَ سخَطِكَ ، أَسأَلُكَ أَنْ تُعيذَني مِنَ

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٢٨) . عن أَبي موسىٰ الأَشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٣٤/ ١٧) . عن عُقبة بن عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٥٥) . عن عُمَرَ بن الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (٧٦٣/ ١٨١) . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

النّارِ وَتُدْخِلَني الجَنَّةَ »[1] .

دعاؤهُ ﷺ عندَ دُخولِ المَسجدِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « مَنْ قالَ إذا دَخَلَ المَسْجِدَ : أَعوذُ بِٱللهِ العَظيمِ ، وَبِوَجْهِهِ الكَريمِ ، وَسُلْطانِهِ القَديمِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ؛ قالَ الشَّيْطانُ : حُفِظَ مِنّي سائِرَ اليَوْمِ » ، رواهُ أَبو داوودَ بإسنادٍ حسنٍ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِذا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ ٱفتَحْ لي أَبوابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذا خَرَجَ فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ إِنّي أَسأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ » ، رواهُ مُسلمٌ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إذا دخلَ المَسجِدَ قالَ : « بِٱسمِ الله ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ » ، وإِذا خَرَجَ قالَ : «بِٱسمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ »[4] .

دعـاؤهُ ﷺ إذا سَمِـعَ الأذانِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « إِذا سَمِعْتُمُ النِّداءَ فَقولوا مِثْلَ ما يَقولُ المُؤَذِّنُ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

وروىٰ مُسلمٌ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِذا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقولوا مِثْلَ

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة» ، برقم (٨٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهما .

(٢) أَخرجه أَبو داوود ، برقم (٤٦٦) . عن عبد الله بن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجهُ مُسلم ، برقم (٧١٣/٦٨) . عن أَبي أُسَيْدٍ مالك بن ربيعةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة» ، برقم (٨٨) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٦) . ومُسلم برقم (٣٨٣/١٠) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

ما يَقولُ ، ثُمَّ صَلّوا عَلَيَّ ، فإِنَّهُ مَنْ صَلّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِها /عَشْراً ، ثُمَّ سَلوا اللهَ لي الوَسيلَةَ ، فإِنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ ، [ق٢٣٧] لا تَنْبَغي إِلاّ لَعَبْدٍ مِنْ عِبادِ اللهِ ، وَأَرْجو أَنْ أَكونَ أَنا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لي الوَسيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفاعَةُ »[(١)] ـ أَي : وجبت ـ.

قُلْتُ : هٰكذا في جميع النُّسخِ : « أَنا هُوَ » والأَفصحُ : أَنْ أَكونَ أَنا إِيّاهُ[(٢)] .

وروىٰ البُخاريُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ النِّداءَ ـ أَي : بعدَ الفَراغِ ـ اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التّامَّةِ ، وَالصَّلاةِ القائِمَةِ ، آتِ مُحَمَّداً الوَسيلَةَ وَالفَضيلَةَ ، وَٱبعَثْهُ مَقاماً مَحْموداً الَّذي وَعَدْتَهُ ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفاعَتي يَوْمَ القِيامَةِ »[(٣)] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٣٨٤/ ١١) . عن عبد الله بن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) قال الشيخ محمَّد فؤاد عبد الباقي رحمه الله تعالىٰ في «صحيح مسلم» ، ج١/ ٢٨٩ : «أَنا هوَ» ؛ خبرُ كانَ وقع موقع إِيّاه ، هٰذا علىٰ تقدير أَن يكونَ «أَنا» تأكيداً للضَّمير المستتر في «أَكون»، ويحتمل أَن يكونَ «أَنا» مبتدأ و «هو» خبرهُ ، والجملة خبر أَكون .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٩) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهما .

فَصْلٌ
فِي الصَّلَاةِ

أَذكارُهُ ﷺ في ٱفتتاحِ الصَّلاةِ

وأَمّا أَذكارُهُ ﷺ في الصَّلاةِ : ففي الافتتاحِ ، والقيامِ ، والرُّكوعِ ، والاعتدالِ ، والسُّجودَيْنِ ، والجُلوسِ بينَهُما ، وفي التَّشهُّدِ وما بعدَهُ .

فثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ إِذا ٱفتتحَ الصَّلاةَ يرفَعُ يديه حَذْوَ منكبيهِ ، وإِذا كَبَّرَ للرُّكوعِ ، وإِذا رفعَ رأسَهُ مِنَ الرُّكوعِ رفعَهُما كذٰلكَ أَيضاً ، وقالَ : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، ثمَّ قالَ : « رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ » ، وكانَ لا يفعلُ ذٰلكَ في السُّجودِ . متَّفقٌ عليه[1] .

وأَنَّهُ ﷺ حينَ يدخُلُ في الصَّلاةِ يرفَعُ يديه ، ثمَّ يضعُ يدَهُ اليُمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ . رواهُ مُسلمٌ[2] .

وفي البُخاريِّ : كانَ النّاسُ يُؤْمَرونَ في الصَّلاةِ أَنْ يضعَ الرَّجُلُ يدَهُ اليُمنىٰ علىٰ ذراعِهِ اليُسرىٰ[3] .

قَالَ العُلَمَاءُ : والحِكمَةُ في هٰذهِ إِلهيَّةٌ ، أَنَّهُ صفةُ العبدِ المُستسلِمِ لمولاهُ .

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ بعدَ تكبيرةِ الإِحرام : « سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وتَبارَكَ ٱسْمُكَ ، وَتَعالىٰ جَدُّكَ ، وَلا إِلٰهَ غَيْرُكَ » ، رواهُ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٠٢) . ومُسلم برقم (٣٩٠/ ٢٢) . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٤٠١/ ٥٤) . عن وائل بن حُجْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٠٧) . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

التِّرمذيُّ وأَبو داودَ وٱبنُ ماجه[1] .

وأَنَّهُ [ﷺ] سَمِعَ رجُلاً قالَ بعدَ تكبيرةِ الإِحرامِ : اللهُ أَكبرُ كَبيراً ، وَالحَمْدُ للهِ كَثيراً ، وَسُبْحانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصيلاً ، فقالَ : « عَجِبْتُ لَها ، فُتِحَتْ لَها أَبوابُ الجَنَّةِ » ، رواهُ مُسلمٌ[2] .

وروىٰ مُسلمٌ أَيضاً أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إذا ٱفتَتَحَ الصَّلاةَ : « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ حَنيفاً ، وَما أَنا مِنَ المُشْرِكينَ / ، إِنَّ صَلاتي وَنُسُكي وَمَحْيايَ وَمَماتي للهِ رَبِّ العالَمينَ ، لا شَريكَ لَهُ ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنا مِنَ المُسْلِمينَ »[3] ، ورواهُ ٱبنُ حبّانَ في « صحيحه » وزادَ بعدَ حنيفاً : « مُسْلِماً »[4] . [ق٢٣٨]

وروىٰ البُخاريُّ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ : « اللَّهُمَّ باعِدْ بَيْني وَبَيْنَ

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٤٢) . وأَبو داود برقم (٧٧٥) . وٱبن ماجه برقم (٨٠٤) . عن أَبي سعيد الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجهُ مُسلم ، برقم (٦٠١/ ١٥٠) . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٧٧١/ ٢٠١) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ . **قلتُ** : قال محمَّد فؤاد عبد الباقي في «صحيح مسلم»، ج١/ ٥٣٤ : **وجَّهْتُ وجهي** : قصدتُ بعبادتي للَّذي فطرَ السَّماوات والأَرض ، أَي : ابتدأَ خَلقها . **حنيفاً** : قالَ الأَكثرونَ : معناهُ مائِلاً إِلىٰ الدِّين والحقِّ ، وهو الإِسلامُ ، وأَصلُ الحنف : الميلُ . ويكونُ في الخير والشَّرِّ ، وينصرف إِلىٰ ما تقتضيه القرينةُ ، وقيل : المرادُ بالحنيف هنا ؛ المستقيمُ . وقال أَبو عبيدٍ : الحنيفُ عند العرب من كانَ علىٰ دين إِبراهيمَ عليه السَّلامُ . **النُّسُكُ** : العبادةُ ، وأَصله من النَّسيكة ؛ وهيَ الفِضَّةُ المذابةُ المصفّاةُ من كلِّ خَلْطٍ . والنسيكةُ : ما يُتقرَّبُ به إِلىٰ الله تعالىٰ .

(٤) أَخرجه ٱبن بلبان في «الإِحسان» ، برقم (١٧٧١) . عنهُ .

خَطايايَ ، كما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ، اللَّهُمَّ نَقِّني مِنْ خَطايايَ كما يُنَقّىٰ الثَّوبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ ، اللَّهُمَّ ٱغْسِلْ خَطايايَ بِٱلماءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ »[1] .

أذكارُهُ ﷺ في القيام

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ قبلَ القراءَةِ في الصَّلاةِ : « أَعوذُ بِٱللهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجيمِ ، مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ » ، رواهُ أَصحابُ السُّنَنِ الأَربعةُ[2] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا صَلاةَ إِلاّ بِفاتِحَةِ الكِتابِ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

ولفظُ ٱبنِ خُزيمَةَ وٱبنِ حبّانَ في « صحيحَيْهِما » : « لا تُجْزِىءُ صَلاةٌ لا يُقرأُ فيها بِفاتِحَةِ الكِتابِ »[4] .

وأَنَّهُ ﷺ عدَّ البسملَةَ آيةً مِنَ الفاتِحَةِ . رواهُ ٱبنُ خُزيمَةَ والحاكِمُ وصحَّحاهُ[5] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧١١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٤٢) . وأَبو داود برقم (٧٧٥) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْري رضيَ اللهُ عنهُ . وأَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (٨٠٧) . عن جُبير بن المُطْعِمِ رضيَ اللهُ عنهُ . **نفخُ الشَّيطان** : الكِبْرُ ، **ونفثهُ** : الشِّعرُ . **وهمزهُ** : الجنون .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٣٣) . ومُسلم برقم (٣٩٤/ ٣٤) . عن عُبادة بن الصّامِتِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه ٱبن خُزيمة في «صحيحه» ، برقم (٤٩٠) . وانظر «الإِحسان» ، برقم (١٧٨٩) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه ٱبن خُزيمة في «صحيحه» ، برقم (٤٩٣) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٢٣٢ . عن أُمِّ سلمَةَ رضيَ اللهُ عنها .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا قالَ الإمامُ : ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ فقولوا : آمينَ ، فإنَّهُ مَنْ وافقَ قَوْلُهُ ـ أي : في حالَةِ التّأْمينِ ـ قَوْلَ المَلائِكَةِ ـ أَي : في السّماءِ كما في روايةٍ أُخرىٰ ـ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، متّفقٌ عليه[1] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقرأُ بعدَ الفاتِحَةِ سورةً ، إلاّ في الثّالثةِ والرّابعةِ . متّفقٌ عليه[2] .

وأنَّهُ ﷺ كانَ يقرأُ في الصُّبْحِ والظُّهْرِ بِطِوالِ المُفَصَّلِ ، وفي العَصْرِ والعِشاءِ بأَوْساطِهِ ، وفي المَغْرِبِ بِقِصارِهِ . رواهُ النَّسائيُّ[3] .

وأَوَّلُ المُفَصَّلِ الحُجُراتُ[4] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ يقرأُ في صُبحِ الجُمعةِ : ﴿ الٓمٓ * تَنزِيلُ ﴾ في الرَّكعةِ الأُولىٰ ، وفي الثّانية : ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ ، متّفقٌ عليه[5] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، رقم (٧٤٩) . ومُسلم برقم (٤١٠/ ٧٢) . عن أَبي هُريرة رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٢٨) . ومُسلم برقم (٤٥١/ ١٥٥) . عن الحارث بن ربعي رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه النَّسائيُّ ، برقم (٩٨٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) **المُفَصَّلُ** : من أَوَّل الحُجُرات إِلىٰ آخر المُصحف في الأَصحّ . أَو من (الجاثية)، أَو (قافٍ)، عن النَّوويِّ . أَو من (الصّافّات)، أَو (الصَّفّ)، أَو (تباركَ)، عن ابن أَبي الصيف . أَو (الفتح)، عن الدِّزْماريّ . أَو (الأَعلىٰ)، عن الفِركاح . أَو (الضُّحىٰ)، عن الخَطّابيّ . وسمّي لكثرةِ الفُصول بين سُوَرِهِ ، أَو لقِلَّة المنسوخ فيه . (أَنصاريّ) .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٥١) . ومُسلم برقم (٨٨٠/ ٦٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قرأَ في ركعتيْ سُنَّةِ الفجرِ بسورتي : الإِخلاصِ والكافِرونَ . رواهُ مُسلمٌ[1] .

أَذكارُهُ ﷺ في الرُّكوعِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا ركعَ كبَّرَ معَ ٱبتداءِ الهُويِّ ، ورفعَ يديه حَذْوَ مَنْكِبيه ، ويقولُ : « سُبْحانَ رَبّيَ / العَظيمِ » ثلاثاً ، رواهُ في التَّكبيرِ والرَّفعِ الشَّيخانِ[2] . وفي التَّسبيحِ مُسلمٌ[3] ، وفي تثليثِ التَّسبيحِ أَبو داودَ[4] . [ق٢٣٩]

ورَوىٰ مُسلمٌ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ أَيضاً في ركوعِهِ في صلاةِ اللَّيلِ : « اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، خَشَعَ لَكَ سَمْعي وَبَصَري وَمُخّي وَعَظْمي وَعَصَبي »[5] .

زادَ ٱبنُ حبّانَ : « وَما ٱسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمي للهِ رَبِّ العالَمينَ »[6] .

أَذكارُهُ ﷺ في ٱعتدالِهِ مِنَ الرُّكوعِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا رَفَعَ رأْسَهُ مِنَ الرُّكوعِ رفعَ يديه قائِلاً : « سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ » ، فإِذا ٱنتصبَ قالَ : « رَبَّنا لَكَ الحَمْدُ » ، متَّفقٌ عليه[7] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٧٢٦/٩٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٠٣) . ومُسلم برقم (٣٩٠/ ٢٢) . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (٧٧٢/ ٢٠٣). عن حُذيفةَ بن اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه أَبوداود، برقم (٨٨٦). عن عبدالله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ.
(٥) أَخرجه مُسلم، برقم (٧٧١/ ٢٠١). عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ.
(٦) انظر «الإِحسان» ، برقم (١٩٠١) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٧) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٥٦) . ومُسلم برقم (٣٩٢/٢٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا قالَ الإمامُ : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، فَقولوا : رَبَّنا لَكَ الحَمْدُ ؛ فإنَّهُ مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

وروىٰ مُسلمٌ أَنَّهُ ﷺ كانَ يَزيدُ في صلاةِ اللَّيلِ : « مِلْءَ السَّماواتِ ، وَمِلْءَ الأَرْضِ ، وَمِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلَ الثَّناءِ وَالمَجْدِ ، أَحَقُّ ما قالَ العَبْدُ ، وَكُلُّنا لَكَ عَبْدٌ ، اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِما أَعْطَيْتَ ، وَلا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ ، وَلا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ »[2] .

أذكارُهُ ﷺ في السُّجودِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يُكَبِّرُ لِهُوِيِّهِ إذا سَجَدَ . متَّفقٌ عليه[3] .

زادَ البُخاريُّ : بلا رفعٍ ليَدَيهِ[4] .

زادَ أَصحابُ السُّننِ الأَربعةُ : ويضعُ رُكبتيه ثمَّ كفَّيه[5] .

زادَ مُسلمٌ ويقولُ: «سُبْحانَ رَبِّيَ الأَعْلىٰ»[6]. زادَ أَبو داودَ : « ثلاثاً »[7] .

وروىٰ مُسلمٌ أَنَّهُ [ﷺ] كانَ يَزيدُ في صلاة اللَّيلِ [في سجودِهِ فيقولُ] : « اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ،

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٦٣) . ومُسلم برقم (٤٠٩/ ٧١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مُسلم، برقم (٤٧٧/ ٢٠٥). عن أَبي سعيد الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٥٣) . ومُسلم برقم (٣٩٣/ ٣٣) . عن مُطَرِّفِ بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٠٢) . عن عبدِ اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٦٨) . والنَّسائيُّ برقم (١١٥٤) . وأَبو داود برقم (٨٣٨). وابن ماجه برقم (٨٨٢). عن وائل بن حُجْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٦) أَخرجه مُسلم، برقم (٧٧٢/ ٢٠٣). عن حُذيفةَ بن اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٧) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٨٦٩) . عن عُقبة بن عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

سَجَدَ وَجْهي لِلَّذي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخالِقينَ »[١] .

وروىٰ مُسلمٌ أَيضاً أَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ، وَهُوَ ساجِدٌ ، فَأَكْثِروا الدُّعاءَ »[٢] .

أذكارُهُ ﷺ في جلوسِهِ بينَ السَّجدتينِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ يُكبِّرُ إِذا رفعَ رأسَهُ مِنَ السُّجودِ . متَّفقٌ عليه[٣] .

زادَ التِّرمذيُّ : ويجلِسُ [ﷺ] مُفترِشاً . وقالَ : حَسنٌ صحيحٌ[٤] .

زادَ أَبو داودَ وٱبنُ ماجه ثمَّ يقولُ : « رَبِّ ٱغْفِرْ لي ، وَٱرْحَمْني ، وَٱجْبُرْني ، / وَٱرْفَعْني ، وَٱهْدِني ، وَٱرْزُقْني ، وَعافِني »[٥] . [ق٢٤٠]

وروىٰ البُخاريُّ أَنَّهُ ﷺ إِذا كانَ في وِتْرٍ مِنْ صَلاتِهِ لم ينهَضْ حتّىٰ يستوِيَ قاعِداً ـ أَي : للاستراحَةِ ـ[٦] .

وروىٰ البُخاريُّ ومُسلمٌ أَنَّهُ ﷺ قالَ لِلمُسيءِ في صلاتِهِ : « إِذا قُمْتَ إِلىٰ الصَّلاةِ فَأَسْبِغِ الوُضوءَ ، ثُمَّ ٱسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ ، ثُمَّ ٱقْرَأْ ما تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ ، ثُم ٱرْكَعْ حَتّىٰ تَطْمَئِنَّ راكِعاً ، ثُمَّ ٱرْفَعْ حَتّىٰ تَسْتَوِيَ قائِماً ، ثُمَّ ٱسْجُدْ حَتّىٰ تَطْمَئِنَ ساجِداً ، ثُمَّ ٱرْفَعْ حَتّىٰ تَسْتَوِيَ جالِساً ، ثُمَّ ٱسْجُدْ حَتّىٰ تَطْمَئِنَ ساجِداً ، ثُمَّ ٱرْفَعْ حَتّىٰ تَسْتَوِيَ

---

(١) أَخرجه مُسلم، برقم (٧٧١/ ٢٠١). عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٤٨٢/ ٢١٥) . عن أَبي هُريرةَ رضي اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٧٠) . ومُسلم برقم (٣٩٢/ ٢٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٩٢) . عن وائل بن حُجْرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٥) أخرجه أَبو داود ، برقم (٨٥٠) . وابن ماجه برقم (٨٩٨) . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٦) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٧٨٩). عن مالك بن الحُوَيرثِ رضيَ اللهُ عنه .

قائِماً ، ثُمَّ ٱفْعَلْ ذٰلكَ في صَلاتِكَ كُلِّها »[1] .

فيما يُتلىٰ من القُرآن في الصَّلاة

فَائِدَةٌ

قالَ ٱبنُ دقيقِ العيدِ : ظاهرُ الحديثِ الدَّلالَةُ علىٰ وجوبِ ما ذُكِرَ فيه ، وعدمِ وجوبِ ما لَمْ يُذْكَرْ فيه ؛ وذٰلك متوقِّفٌ علىٰ جَمْعِ طُرُقِهِ ، والأَخْذِ بالزّائِدِ فالزّائِدِ ، فلأَبي داودَ : « ثُمَّ ٱقْرَأْ بِأُمِّ القُرْآنِ »[2] ، وكذا للإمامِ أَحمدَ وٱبن حبّانَ وزادا : « ثُمَّ بِما شِئْتَ »[3] ، وحينئذٍ إنْ عارضَ الوجوبَ أَو عَدَمَهُ دليلٌ أَقوىٰ منهُ عُمِلَ به .

أَذكارُهُ ﷺ في التَّشهُّدِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ كانَ يُعلِّمُهُمُ التَّشهُّدَ ، وأَنَّهُ كانَ يقولُ : « التَّحيّاتُ المُباركاتُ ، الصَّلَواتُ الطَّيِّباتُ للهِ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنا وَعَلىٰ عِبادِ اللهِ الصّالِحينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللهِ » ، رواهُ مُسلمٌ[4] .

وأَنَّهُم قالوا : كيفَ نُصلّي عليكَ ؟ فقالَ : « قولوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَما صَلَّيْتَ عَلىٰ إِبْراهيمَ وَعَلىٰ آلِ إِبْراهيمَ ، وَبارِكْ عَلىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَما بارَكْتَ عَلىٰ إِبْراهيمَ وَعَلىٰ آلِ إِبْراهيمَ ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٩٧) . ومُسلم برقم (٣٩٧/ ٤٥) ، عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٨٥٦) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٨٥١٦) . عن رِفاعة بن رافعٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (٤٠٣/ ٦٠) . عن عبدالله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٩٦) . ومُسلم برقم (٤٠٦/ ٦٦) . عن كعبِ بن عُجْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

فَائِدَة

في قول :السَّلام عليكَ أيُّها النَّبيُّ

إنَّما لم يَقُلْ لَهُم قولوا : الصَّلاةُ عليكَ ـ بالخِطابِ ـ كما في : (السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبيُّ) بل جعلَها دعاءً مِنَ اللهِ لَهُ ، لِتكونَ صلاةً صالِحَةً في حياتِهِ وبعدَ وفاتِهِ .

وقد ثبتَ في البُخاريِّ : إنَّما كُنّا نقولُ : السَّلامُ عَلَيْكَ أيُّها النَّبيُّ ، وهوَ بينَ أظهُرِنا ، فلمّا قُبِضَ قُلنا : السَّلامُ / علىٰ النَّبيِّ[1] . [ق٢٤١]

فدلَّ علىٰ أنَّ الخِطابَ إنَّما وقعَ بطريقِ الاستصحابِ الَّذي لم يَحْسُنْ تغييرُهُ بعدَ موتِهِ ﷺ ، وإنَّهُ غيرُ مُتعيّنٍ .

أذكارُهُ ﷺ بعدَ التَّشهُّدِ

وثبتَ أنَّهُ ﷺ علَّمَهُمُ التَّشهُّد ثمَّ قالَ في آخرِهِ : « ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعو » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ ٱلآخِرِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِٱللهِ مِنْ أَرْبَعٍ : مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذابِ القَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَماتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجّالِ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

وأنَّهُ ﷺ كانَ يدعو في آخِرِ التَّشهُّدِ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وَماأَخَّرْتُ. وَماأَسْرَرْتُ وَماأَعْلَنْتُ، وَماأَسْرَفْتُ، وَماأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاإِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ»، رواهُ مُسلمٌ[4] .

وأنَّهُ ﷺ علَّمَ أَبا بكرٍ الصِّدّيقَ رضيَ اللهُ عنهُ دُعاءً يدعو به في

---

(١) أخرجه البُخاريُّ، برقم (٥٩١٠) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٢) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٠٠) . ومُسلم برقم (٤٠٢/٥٨) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٣١١) . ومُسلم برقم (٥٨٨/ ١٣٠) . عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أخرجه مُسلم ، برقم (٧٧١) . عن عليّ بن أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

صَلاتِهِ : « اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي ظُلْماً كَثيراً ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاّ أَنْتَ ، فَٱغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ ، وَٱرْحَمْني ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفورُ الرَّحيمُ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يتحَلَّلُ مِنَ الصَّلاةِ بالسَّلامِ فيقولُ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ » ، مرَّتين يميناً وشِمالاً ، مُلتفِتاً في الأُولىٰ حتّىٰ يُرىٰ خَدُّهُ الأَيمَنُ ، وفي الثّانيةِ حتّىٰ يُرىٰ خَدُّهُ الأَيسَرُ . رواهُ الدّارقُطنيُّ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[2] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ علَّمَ الحسنَ بنَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما أَنْ يقولَ في قُنوتِ الوِتْرِ : « اللَّهُمَّ ٱهْدِني فيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعافِني فيمَنْ عافَيْتَ ، وَتَوَلَّني فيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَبارِكْ لي فيما أَعْطَيْتَ ، وَقِني شَرَّ ما قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضي وَلا يُقْضىٰ عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ والَيْتَ ، تَبارَكْتَ رَبَّنا وَتَعالَيْتَ » ، رواهُ أَصحابُ السُّنَنِ الأَربعةُ[3] . والبيهقيُّ ، وزادَ الصَّلاةَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ في آخرِهِ[4] .

وأَنَّ محمَّد بنَ عليٍّ ابنَ الحنفيَّةِ قالَ : إِنَّ هٰذا الدُّعاءَ هو الَّذي / كانَ أَبي يدعو به في صلاة الفجرِ في قُنوتهِ . [ق٢٤٢]

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٧٩٩) . ومُسلم برقم (٤٨/٢٧٠٥) . عن أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه ٱبن حبّان ، انظر «الإحسان» ، برقم ١٩٩٠ . عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٤٦٤) . والنَّسائيُّ برقم (١٧٤٥) . وأَبو داوود برقم (١٤٢٥) . وٱبن ماجه برقم (١١٧٨) . عن الحسين بن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (٥٩١/ ١٣٥) . عن ثوبان بن بجدد رضيَ اللهُ عنهُ .

فصلٌ

في لواحق الصَّلاةِ

وأمّا لواحقُ الصَّلاةِ : ففيما كانَ يقولُهُ ﷺ بعدَ السَّلامِ مِنَ الصَّلاةِ ، وفي أذكارِهِ في الصَّباحِ والمَساءِ ، وفي أذكارِهِ في أوقاتٍ مُتفرِّقةٍ ، وفي أذكارِهِ في التِّلاوَةِ ، وفي أدعيَةٍ مأثورةٍ عنهُ ، وفي أذكارِهِ عندَ النَّومِ .

دعاؤُهُ ﷺ بعدَ الفراغِ مِنَ الصَّلاةِ

فثبتَ عنهُ ﷺ أنَّه كانَ إذا ٱنصرفَ مِنْ صَلاتِهِ ٱستغفرَ ثلاثاً ، وقالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ ، وَمِنْكَ السَّلامُ ، تبارَكْتَ وَتعالَيْتَ يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ » ، رواهُ مُسلمٌ[١] .

وأنَّهُ ﷺ كانَ إذا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ قالَ : « لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، اللَّهُمَّ لا مانِعَ لِما أَعْطَيْتَ ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ ، وَلا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ » ، متَّفقٌ عليه[٢] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ سَبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثينَ ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثينَ ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثين ، وَقالَ تَمامَ المِئَةِ : لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ؛ غُفِرَتْ خَطاياهُ ، وَإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » ، رواهُ مُسلمٌ[٣] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٥٩١/١٣٥) . عن ثوبان بن بجدد رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٨٠٨) . ومُسلم برقم (٥٩٣/١٣٧) . عن المغيرة بن شُعبةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٥٩٧/١٤٦) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأنَّهُ ﷺ قالَ لمُعاذِ بنِ جَبَلٍ : «يا مُعاذُ، وَاللهِ إِنّي لأُحِبُّكَ ، وأُوصيكَ ، لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ أَنْ تَقولَ : اللَّهُمَّ أَعِنّي عَلىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِكَ » ، رواهُ أبو داودَ والنَّسائيُّ ، بإِسنادٍ صحيحٍ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إذا قضىٰ صَلاتَهُ ـ أَي : فَرَغَ منها ـ مَسَحَ جبهَتَهُ بيدِهِ اليُمنىٰ ، ثمَّ قالَ : « أَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، الرَّحمٰنُ الرَّحيمُ ، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنّي الهَمَّ وَالحَزَنَ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ[2] .

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : ٱبن السُّنّيِّ] ـ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إذا ٱنصرفَ مِنْ صَلاتِهِ : « اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ خَيْرَ عُمُري آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلي خَواتِمَهُ ، وَخَيْرَ أَيّامي يَوْمَ / أَلقاكَ »[3] . [ق٢٤٣]

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ صَلّىٰ الفَجْرَ في جَماعَةٍ ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حتّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلّىٰ رَكْعَتينِ ، كانَت لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ ؛ تامَّةٍ ، تامَّةٍ ، تامَّةٍ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قَعَدَ في مُصَلاَّهُ حينَ يَنْصَرِفُ ، مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ حَتّىٰ يُصَلّي رَكْعَتي الضُّحىٰ ، لا يَقولُ إِلاّ خَيْراً ، غُفِرَتْ خَطاياهُ ، وَإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » ، رواهُ الإِمامُ أَحمدُ وأَبو داودَ[5] .

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٥٢٢) . والنَّسائيُّ برقم (١٣٠٣) .
(٢) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١١٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١٢١) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٥٨٦) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٥) أخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٥١٩٦) . وأَبو داوود برقم (١٢٨٧) . عن مُعاذ بن أَنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ قَبْلَ أَنْ يَتكَلَّمَ : لا إِلٰهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْيي وَيُميتُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، عَشْرَ مَرّاتٍ ؛ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ ، وَمُحيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ ، وَكانَ يَوْمَهُ ذٰلِكَ كُلَّهُ في حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْروهٍ ، وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطانِ ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ في ذٰلكَ اليَوْمِ إِلاّ الشِّرْكَ بِٱللهِ تَعالىٰ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[1] .

دعاؤُهُ ﷺ في الصَّباحِ والمَساءِ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ عَبْدٍ يَقولُ في صَباحِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَمَساءِ كُلِّ لَيْلَةٍ : بِٱسْمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مَعَ ٱسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ وَلا في السَّماءِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبّي ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ ، خَلَقْتَني وَأَنا عَبْدُكَ ، وَأَنا عَلىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما ٱسْتَطَعْتُ ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبي ـ أَي : أُقِرُّ ـ فَٱغْفِرْ لي ، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلاّ أَنْتَ ، أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما صَنَعْتُ ـ أَي : أَعمالي السَّيِّئَةِ ـ مَنْ قالَ ذٰلِكَ حينَ يُصْبِحُ فَماتَ دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ قالَ ذٰلِكَ حينَ يُمْسي فَماتَ دَخَلَ الجَنَّةَ » ، رواهُ البُخاريُّ[3] .

[ق٢٤٤] وأَنَّهُ ﷺ قالَ / : « مَنْ قالَ أَوَّلَ نَهارِهِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبّي لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَأَنْتَ رَبُّ العَرْشِ العَظيمِ ، ما شاءَ اللهُ كانَ ، وَما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاّ بِٱللهِ العَليِّ العَظيمِ ، أَعْلَمُ

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٧٤) . عن أَبي ذرٍّ الغفاريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ برقم (٣٣٨٨) . عن عُثمان بن عفّان رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٦٤) . عن شدّاد بن أَوسٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

أَنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً . اللَّهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسي ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دابَةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِها إِنَّ رَبّي عَلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ؛ لَمْ تُصِبْهُ مُصيبَةٌ حَتّىٰ يُمْسيَ ، وَمَنْ قالَها آخِرَ النَّهارِ لَمْ تُصِبْهُ مُصيبَةٌ حَتّىٰ يُصْبِحَ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ[١] .

وفي روايةٍ : «لَمْ يُصِبْهُ في نَفْسِهِ وَلا أَهْلِهِ وَلا مالِهِ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ»[٢] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ لَهُ رجُلٌ : يا رسولَ اللهِ ، ما لقيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتني البارِحَةَ ؟ فقالَ : « أَما إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حينَ أَمْسَيْتَ : أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ؛ لَمْ تَضُرَّكَ » ، رواهُ مُسلمٌ[٣] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إِذا أَصبحَ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنا ، وَبِكَ أَمْسَيْنا ، وَبِكَ نَحْيا ، وَبِكَ نَموتُ ، وَإِلَيْكَ النُّشورُ » . وَإِذا أَمْسىٰ قالَ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنا ، وَبِكَ أَصْبَحْنا » إِلىٰ آخرِهِ ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ وٱبن ماجه ، بالأَسانيدِ الصَّحيحةِ[٤] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يُصْبِحُ ، وَحينَ يُمْسي : رَضيتُ بِٱللهِ رَبّاً ، وَبِٱلإِسْلامِ ديناً ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً ؛ كانَ حَقّاً عَلىٰ اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ » ، رواهُ أَبو داود والنَّسائيُّ بأَسانيدَ جيّدةٍ والتِّرمذيُّ وقالَ : هٰذا حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ غريبٌ ، والحاكِمُ وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[٥] .

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٧) . عن أَبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٨) .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٧٠٩) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٦٨) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٣٩١) . وٱبن ماجه برقم (٣٨٦٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٣٨٩) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥١٨ عن ثوبان رضيَ اللهُ عنهُ .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يُصْبِحُ أَو يُمْسي : اللَّهُمَّ إِنّي أَصْبَحْتُ ، أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَميعَ خَلْقِكَ ؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسولُكَ ؛ أَعْتَقَ اللهُ رُبْعَهُ مِنَ النّارِ . فَمَنْ قالَها مَرَّتينِ ؛ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ مِنَ النّارِ . وَمَنْ قالَها ثَلاثاً ؛ أَعْتَقَ اللهُ ثَلاثَةَ / أَرْباعِهِ مِنَ النّارِ . فَإِنْ قالَها أَرْبَعاً ؛ [ق٢٤٥] أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النّارِ » ، رواهُ أَبو داودَ ، بإِسنادٍ جيِّدٍ[(١)] .

وروىٰ أَيضاً بأَسانيدَ جيّدةٍ ، أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يُصْبِحُ : اللَّهُمَّ ما أَصْبَحَ بي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ ، لا شَريكَ لَكَ ، لَكَ الحَمْدُ ، وَلَكَ الشُّكْرُ ؛ فَقَدْ أَدّىٰ شُكْرَ يَوْمِهِ . وَمَنْ قالَ مِثْلَ ذٰلِكَ حينَ يُمْسي ؛ فَقَدْ أَدّىٰ شُكْرَ لَيْلَتِهِ »[(٢)] .

وفي « صحيح مُسلمٍ » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ حينَ يُصْبِحُ وَحينَ يُمْسي : سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القيامَةِ بِأَفْضَلَ مِمّا جاءَ بِهِ ، إِلاّ أَحَدٌ قالَ مِثْلَ ما قالَ ، أَو زادَ عَلَيْهِ »[(٣)] .

دعاؤُهُ ﷺ في أَوقاتٍ متفرِّقةٍ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ بَعْدَ رَكْعَتَي الفجرِ ، وَهُوَ جالِسٌ : « اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْريلَ وَميكائيلَ وَإِسْرافيلَ وَمُحَمَّدٍ [النَّبيِّ] ﷺ : أَعوذُ بِكَ مِنَ النّارِ ، [ثَلاثَ مَرّاتٍ] » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ[(٤)] .

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : ٱبن السُّنّيِّ] ـ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قالَ صَبيحَةَ يَوْمِ الجُمُعَةِ قَبْلَ صَلاةِ الغَداةِ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذي لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٦٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٧٣) . عن عبد الله بن غنّامٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٦٩٢/ ٢٩) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١٠٣) . عن عامر بن أُسامة الهُذَلي مرفوعاً .

الحَيُّ القَيّومُ وَأَتوبُ إِلَيْهِ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنوبَهُ ، وَلَوْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ »[1] .

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : ٱبن السُّنّيِّ] ـ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إِذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ : « الحَمْدُ للهِ الَّذي جَلَّلَنا اليَوْمَ ـ أَي : أَلبسَنا ـ عافِيَتَهُ ، وَجاءَ بِٱلشَّمْسِ مِنْ مَطْلَعِها . اللَّهُمَّ إِنّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُ لَكَ بِما شَهِدْتَ بِهِ لِنَفْسِكَ ، وَشَهِدَتْ بِهِ مَلائِكَتُكَ ، وَحَمَلَةُ عَرْشِكَ ، وَأُولوا العِلْمِ مِنْ خَلْقِكَ ؛ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ القائِمُ بِٱلقِسْطِ ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ العَزيزُ الحَكيمُ . ٱكْتُبْ شَهادَتي بَعْدَ شَهادَةِ مَلائِكَتِكَ وَأُولي العِلْمِ ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ بِمِثْلِ ما شَهِدْتَ بِهِ فَٱكْتُبْ شَهادَتي مَكانَ شَهادَتِهِ »[2] .

وروىٰ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إِذا سَمِعَ المُؤَذِّنَ عِنْدَ أَذانِ المَغْرِبِ : « اللَّهُمَّ إِنَّ هٰذا إِقبالُ لَيْلِكَ ، وَإِدْبارُ نَهارِكَ ، وَأَصْواتُ دُعاتِكَ ؛ فَٱغْفِرْ لي »[3] .

[ق٢٤٦] وروىٰ ٱبنُ السُّنّيِّ أَنَّهُ ﷺ / كانَ يقولُ بعدَ أَنْ يُصلّيَ سُنَّةَ المَغْرِبِ : « يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قُلوبَنا عَلىٰ دينِكَ »[4] .

وروىٰ أَبو داودَ والنَّسائيُّ بالإِسنادِ الصَّحيحِ ، أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٨٣) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١٤٧) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٣٠) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٥٨٩) . عن أُمِّ سَلَمَةَ هند بنت أُميَّةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٤) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٦٥٨) . عن أُمِّ سَلَمَةَ رضيَ اللهُ عنها .

سلَّمَ مِنَ الوِتْرِ قالَ : « سُبْحانَ المَلِكِ القُدّوسِ »[1] . زادَ النَّسائيُّ : « ثَلاثَ مَرّاتٍ »[2] .

ورَوَيا أَيضاً ـ [أَي : أَبو داود والنَّسائيُّ] ـ أَنَّهُ [ﷺ] كانَ يقولُ بعدَ الوِتْرِ : « اللَّهُمَّ إِنّي أَعوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبَتِكَ ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْكَ ، لا أُحْصي ثَناءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَما أَثْنَيْتَ عَلىٰ نَفْسِكَ » ، ورواهُ أَيضاً التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[3] .

أَذكارُهُ ﷺ في التِّلاوَةِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللهِ تَعالىٰ ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ؛ وَالحَسَنَةُ بِعَشَرَةِ أَمْثالِها » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقال : حديثٌ حَسنٌ[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَهْلُ القُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخاصَّتُهُ » ، رواهُ النَّسائيُّ وٱبنُ ماجه بِإِسنادٍ صحيحٍ[5] .

وَأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قامَ بِعَشْرِ آياتٍ ، لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغافِلينَ . وَمَنْ قامَ بِمِئَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القانِتينَ . وَمَنْ قامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ المُقَنْطِرينَ » ـ أَي : مِمّن كُتِبَ لَهُ قِنطارٌ مِنَ الأَجرِ ـ رواهُ أَبو داودَ وٱبنُ خُزيمةَ في « صحيحه »[6] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ قَرَأَ بِٱلآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ

---

(1) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٤٣٠) . عن أُبيّ بن كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(2) أَخرجه النَّسائيُّ، برقم (١٧٣٤). عن عبدالرَّحمٰن بن أَبزىٰ رضيَ اللهُ عنهُ.

(3) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٤٢٧) . والنَّسائي برقم (١٧٤٧) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٥٦٦) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(4) أَخرجه التِّرمذيُّ، برقم (٢٩١٠). عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(5) أَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (٢١٥) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(6) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٣٩٨) . وٱبن خُزيمةَ (١١٤٤) . عن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ .

كَفَتاهُ » ـ أَي : مِنْ كُلِّ سوءٍ ، وعن قيامِ اللَّيلِ ـ متَّفقٌ عليه[1] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « أَعْظَمُ سورَةٍ في القُرْآنِ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثاني ، وَالقُرْآنُ العَظيمُ الَّذي أُوتيتُهُ » ، رواهُ البُخاريُّ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ » ، رواهُ البُخاريُّ أَيضاً[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « آيَةُ الكُرْسِيِّ أَعْظَمُ آيَةٍ في القُرْآنِ : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ » ، رواهُ مُسلمٌ[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « سورَةُ البَقَرَةِ فيها آيَةٌ ، هِيَ سَيِّدَةُ آيِ القُرْآنِ ، لا تُقْرَأُ / في بَيْتٍ فيهِ شَيْطانٌ إِلاّ خَرَجَ مِنْهُ ، وَهِيَ آيَةُ الكُرْسِيِّ » ، رواهُ التِّرمذيُّ والحاكِمُ وصحَّحاهُ[5] . [ق٢٤٧]

وأَنَّهُ ﷺ قال : « يس قَلْبُ القُرْآنِ ، لا يَقْرَؤُها رَجُلٌ يُريدُ بِها وَجْهَ اللهِ ؛ إِلاّ غُفِرَ لَهُ » ، رواهُ الإِمامُ أَحمدُ وأَبو داودَ والنَّسائيُّ وٱبنُ ماجه والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[6] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٧٢٢) . ومُسلم برقم (٨٠٧/ ٢٥٥) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٢٠٤) . عن أَبي سعيد بن المعلّىٰ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٢٦٧) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْري رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (٨١٠/ ٢٥٨) ؛ بنحوه . عن أُبيّ بن كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٨٧٨) . والحاكم في «المستدرك» ، ج٢/ ٢٦٠ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٩٧٨٩) . وأَبو داود برقم (٣٢٢١) . وٱبن ماجه برقم (١٤٤٨) . عن مَعْقِلِ بن يسارٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنّ سورةً مِنَ القُرْآنِ ، ثلاثونَ آيةً ؛ شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتّىٰ غُفِرَ لهُ ، وَهِيَ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ » ، رواهُ أَصحابُ السُّننِ الأَربعةُ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه » والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[1] .

وفي روايةٍ للحاكِمِ : « وَدِدْتُ أَنَّها في قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ »[2] .

وفي أُخرىٰ لَهُ وللنَّسائيِّ : « مَنْ قَرأَ ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ كُلَّ لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ ، وَمَنَعَهُ اللهُ مِنْ عَذابِ القَبْرِ »[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ لبعضِ أَصحابِهِ : « اِقْرَأْ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ وَالمُعَوِّذَتينِ حينَ تُصْبِحُ وَحينَ تُمْسي ثَلاثَ مَرّاتٍ ، تَكْفيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » ، رواهُ أَبو داودَ والنَّسائيُّ والتِّرمذيُّ بالأَسانيدِ الصَّحيحةِ ، وقالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[4] .

أدعيةٌ مأثورةٌ عنهُ ﷺ

وثبتَ أَنَّه ﷺ قالَ : «الدُّعاء هُوَ العِبادَةُ» ، ثمَّ قرأَ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [سورة غافر٤٠/٦٠] رواهُ أَصحابُ السُّننِ الأَربعةُ ، وقالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ ، وابنُ حبّانَ في «صحيحه» ،

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٨٩١) . وأَبو داود برقم (١٤٠٠) . وٱبن ماجه برقم (٣٧٨٦) . والحاكم في «المستدرك»، ج٢/٤٩٨ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥٦٥ . عنهُ .

(٣) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج٢/ ٤٩٨ . والنَّسائيُّ في «عمل اليوم واللَّيلة» ، برقم (٧١١) . عن عبد الله بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٧٥) . وأَبو داود برقم (٥٠٨٢) . عن عبد اللهِ بن خُبَيْبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[1] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ لبعضِ أَصحابِهِ : « إِذا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ ، فَٱحْمَدِ اللهَ بِما هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلىٰ نَبِيِّكَ ، ثُمَّ ٱدْعُ بِما تُحِبُّ » ، رواهُ الإِمامُ أَحمدُ وأَصحابُ السُّنَنِ الأَربعةُ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[2] .

وأنَّهُ ﷺ كانَ أَكثرُ دُعائِهِ : «﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾» [سورة البقرة ٢/٢٠١] ، رواهُ البُخاريُّ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ، قالَتِ الجَنَّةُ ـ أَي : بِلسانِ المَقالِ ، وقيلَ : لسانُ الحالِ ـ : اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَمَنِ ٱسْتَجارَ بِاللهِ مِنَ النّارِ ، ثَلاثَ مَرّاتٍ ، قالَتِ النّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النّارِ » ، رواهُ التِّرمذيُّ / والنَّسائيُّ وٱبن ماجه وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه » ، والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[4] . [ق٢٤٨]

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ فُتِحَ لَهُ بابُ الدُّعاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبوابُ الرَّحْمَةِ ، وَما سُئِلَ اللهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العافِيَةَ ، وَأَنَّ الدُّعاءَ يَنْفَعُ مِمّا نَزَلَ وَمِمّا لَمْ يَنْزِلْ ، فَعَلَيْكُمْ عِبادَ اللهِ بِالدُّعاءِ » ، رواهُ الحاكِمُ وصحَّحَهُ[5] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٢٤٧) . وأَبو داوود برقم (١٤٧٩) . وٱبن ماجه برقم (٣٨٢٨) . عن النُّعمان بن بشيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٧٦) . والنَّسائيُّ برقم (١٢٨٤) . عن فَضالَةَ بن عُبيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠٢٦) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٥٧٢) . والنَّسائيُّ برقم (٥٥٢١) . وٱبن ماجه برقم (٤٣٤٠) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥٣٤ . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٤٩٨ . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما .

وأَنَّهُ ﷺ سَمِعَ رجُلاً يقولُ : اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِأَنّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ ، لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذي ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ، فقالَ لَهُ : « لَقَدْ سَأَلْتَ اللهَ بِٱلاسْمِ الأَعْظَمِ ، الَّذي إِذا سُئِلَ بِهِ أَعْطىٰ ، وَإِذا دُعِيَ بِهِ أَجابَ » ، رواهُ أَبو داودَ وٱبنُ ماجه والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ ، وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »، والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ سَمِعَ رجُلاً يقولُ : يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ ، فقالَ : « قَدِ ٱسْتُجيبَ لَكَ ، فَسَلْ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ للهِ مَلَكاً مُوَكَّلاً بِمَنْ يقولُ : يا أَرْحَمَ الرّاحِمينَ ، فَمَنْ قالَها ثَلاثاً ، قالَ لَهُ المَلَكُ : إِنَّ أَرْحَمَ الرّاحِمينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ » ، رواهُ الحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « دَعْوَةُ أَخي ذي النّونِ : لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ ، سُبْحانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظّالِمينَ ؛ لَمْ يَدْعُ بِها رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شَيْءٍ قَطُّ إِلاّ ٱسْتُجيبَ لَهُ » ، رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإِسنادِ[4] .

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (١٤٩٣) . وٱبن ماجه برقم (٣٨٥٧) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٧٥) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥٠٤ . عن بُريدةَ بن الحصيب رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٢٧) . عن مُعاذ بن جبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه الحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥٤٤ . عن أَبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٠٥) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٥٠٥ . عن سعد بن أَبي وقّاصٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « سَلوا اللهَ العَفْوَ وَالعافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقينِ خَيْراً مِنَ العافِيَةِ » ، رواهُ النَّسائيُّ بإِسنادٍ صحيحٍ ، والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[1] .

دعاؤُهُ ﷺ عندَ النَّومِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ لعليٍّ وفاطِمةَ رضيَ اللهُ عنهُما : « إِذا أَوَيْتُما إِلىٰ فِراشِكُما فكَبِّرا اللهَ ثَلاثاً وَثَلاثينَ ، وَسَبِّحا ثَلاثاً وَثَلاثينَ ، وَٱحْمَدا ثَلاثاً وَثَلاثينَ » ، متَّفقٌ عليه[2] / . [ق٢٤٩]

وفي روايةٍ : « فَكَبِّرا أَرْبعاً وَثَلاثينَ »[3] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ في يَدَيْهِ ، وَقَرَأَ بِٱلمُعَوِّذاتِ ، وَمَسَحَ بِهِما جَسَدَهُ ، متَّفقٌ عليه[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ لبعضِ أَصحابِهِ : « إِذا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ ، فَتَوَضَّأْ وُضوءَكَ لِلصَّلاةِ ، ثُمَّ ٱضْطَجِعْ عَلىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، وَقُلِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْري إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْري إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجا مِنْكَ إِلاّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَ . فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مُتَّ وَأَنْتَ عَلىٰ الفِطْرَةِ ، فَٱجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَقولُ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٥٨) . عن أَبي بكرٍ الصِّدّيق رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٥٩) . ومُسلم برقم (٢٧٢٧/ ٨٠) . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٧٢٧/ ٨٠). عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٦٠) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها . **النَّفثُ** : نفخٌ لطيفٌ بلا ريقٍ . (أَنصاريّ) .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٥٢) . ومُسلم برقم (٢٧١٠/٥٦) . عن البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

فَصْلٌ
في المرض وتوابعه

وأمّا أذكارُهُ في المَرَضِ وتوابعِهِ : مِنْ فضيلَةِ الصَّبرِ علىٰ البَلاءِ ، وعيادَةِ المَرْضىٰ ، وما يقولُهُ المَريضُ والعائِدُ والمُحتَضِرُ والمُصابُ والمُعزّىٰ لهُ ، وفضلُ الصَّلاةِ علىٰ الميّتِ وحضورِ دَفْنِهِ ، وما يقولُهُ زائِرُ القُبورِ .

فضيلةُ الصَّبْرِ علىٰ البلاءِ

فثبتَ أنَّهُ ﷺ قالَ : « ما يُصيبُ المُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ ، وَلا هَمٍّ وَلا حَزَنٍ ، وَلا أَذىً وَلا غَمٍّ ، حَتّىٰ الشَّوْكَةُ يُشاكُها ؛ إلاّ كَفَّرَ اللهُ بِها مِنْ خَطاياهُ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا مَرِضَ العَبْدُ ، أَو سافَرَ ؛ كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ ما كَانَ يَعْمَلُ مُقيماً صَحيحاً » ، رواهُ البُخاريُّ[2] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ لبعضِ أَصحابِهِ : « ضَعْ يَدَكَ عَلىٰ الَّذي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ ، وَقُلْ : بِٱسْمِ اللهِ ثَلاثاً . وَقُلْ سَبْعَ مَرّاتٍ : أَعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحاذِرُ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

زادَ مالِكٌ وأَبو داودَ والتِّرمذيُّ : وَأَنَّهُ ـ [أَي : عُثمانَ بن أَبي العاصِ] ـ فعلَ ذٰلكَ ، فأَذهَبَ اللهُ عنهُ ما كانَ بِهِ[4] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٥٣١٨). ومُسلم برقم (٢٥٧٣/ ٥٢). عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ. **الوَصَبُ**: الوجع اللاّزمُ. **النَّصَبُ**: التَّعبُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (٢٨٣٤). عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ

(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٢٠٢/ ٦٧) . عن عُثمان بن أَبي العاصِ رضيَ اللهُ عنهُ

(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٠٨٠) . وأَبو داود برقم (٣٨٩١) .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ رَأىٰ صاحِبَ بَلاءٍ ، فقالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي عافاني مِمّا ٱبْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَني عَلىٰ كَثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضيلاً ؛ لَمْ يُصِبْهُ ذٰلكَ البَلاءُ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[1] .

[ق٢٥٠] وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ عادَ مَريضاً ، لَمْ يَحْضُرْ / أَجَلُهُ ، فقالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرّاتٍ : أَسْأَلُ اللهَ العَظيمَ ، رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ ، أَنْ يَشْفيَكَ ؛ إلاّ عافاهُ اللهُ مِنْ ذٰلكَ المَرَضِ » ، رواهُ أَبو داودَ والنَّسائيُّ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ ، وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه » ، والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ البُخاريِّ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا تُكْرِهوا مَرْضاكُمْ عَلىٰ الطَّعامِ وَالشَّرابِ ، فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقيهِمْ » ، رواهُ ٱبنُ ماجه والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إذا عَوَّذَ المَريضَ ، مَسَحَهُ بيدِهِ اليُمنىٰ ويقولُ : « اللَّهُمَّ ربَّ النّاس ، أَذْهِبِ الباسَ ، ٱشْفِهِ أَنْتَ الشّافي ، لا شِفاءَ إلاّ شِفاؤُكَ ، شِفاءً لا يُغادِرُ سَقَماً » ، ـ أَي : لا يترُكُ ـ متَّفقٌ عليه[4] .

وفي روايةٍ لهُما : « لا شافِيَ إلاّ أَنْتَ »[5] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٣١) . عن عُمَرَ بن الخطّابِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٠٨٣). وأَبو داود برقم (٣١٠٦). والحاكم في «المستدرك»، ج١/ ٣٤٢ . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما.

(٣) أَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (٣٤٤٤) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٠٤٠) . عن عُقبة بن عامرٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٤١١) . ومُسلم برقم (٢١٩١/٤٦) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٤١٠) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ ٱسْتَرْجَعَ عِنْدَ المُصيبَةِ ، جَبَرَ اللهُ مُصيبَتَهُ ، وَأَحْسَنَ عُقْباهُ ، وَجَعَلَ لَهُ خَلَفاً يَرْضاهُ » ، رواهُ الطَّبرانيُّ بإسنادٍ لا بأسَ به[1] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « يَقولُ اللهُ تعالىٰ : ما لِعَبْدي [المُؤْمِنِ] عِنْدي جَزاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفيَّهُ مِنَ أَهْلِ الدُّنيا ، ثُمَّ ٱحْتَسَبَهُ ؛ إلاّ الجَنَّةُ » ، رواهُ البُخاريُّ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا ماتَ وَلَدُ العَبْدِ قالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدي ؟ فَيَقولونَ : نَعَمْ . فَيَقولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ ؟ فَيَقولونَ : نَعَمْ . فَيَقولُ : ماذا قالَ عَبْدي ؟ فَيَقولونَ : حَمِدَكَ وَٱسْتَرْجَعَ . فَيَقولُ اللهُ : ٱبنوا لِعَبْدي بَيْتاً في الجَنَّةِ ، وَسَمّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ . وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[3] .

عيادةُ المَرْضىٰ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « عُودوا المَرْضىٰ ، وَٱتْبَعوا الجَنائِزَ ؛ تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ» ، رواهُ الإمامُ أَحمدُ والبزّارُ وٱبنُ حبّانَ في «صحيحه»[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ يَوْمَ القِيامَةِ : يا ٱبْنَ آدَمَ : مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْني؟ قالَ: يارَبِّ كَيْفَ أَعودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العالَمينَ ؟

---

(١) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج٢/ ٣٣١ . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠٦٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ . قبضتُ صفيَّهُ : أَمَتُّ حبيبَهُ ؛ كالولد والأخ ، وكلّ من يحبّ الإنسان .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ، برقم (١٠٢١). عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ

(٤) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١١٠٥٣) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

[ق٢٥١] قالَ : أَما عَلِمْتَ / أَنَّ عَبْدي فُلاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَما عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَني عِنْدَهُ ؟ يا ٱبْنَ آدَمَ : ٱسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْني ؟ قالَ : يا رَبِّ كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العالَمينَ ؟ قالَ : أَما عَلِمْتَ أَنَّهُ ٱسْتَطْعَمَكَ عَبْدي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَما عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلكَ عِنْدي ؟ يا ٱبْنَ آدَمَ : ٱسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِني ؟ قالَ : يا رَبِّ كَيْفَ أَسْقيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العالَمينَ ؟ قالَ : أَما عَلِمْتَ أَنَّهُ ٱسْتَسْقاكَ عَبْدي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ؟ أَما عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلكَ عِنْدي ؟ » ، رواهُ مسلمٌ(١) .

ما يقولُهُ المَريضُ والعائدُ والمُحتضِرُ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فاعِلاً ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِني ما كانَتِ الحَياةُ خَيْراً لي ، وَتَوَفَّني إِذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْراً لي » ، متَّفقٌ عليه(٢) .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ قبلَ موتِهِ بثلاثةِ أَيّامٍ : « لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ » ، رواهُ مُسلمٌ(٣) .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَكْثِروا ذِكْرَ هاذِمِ اللَّذّاتِ ـ أَي : قاطِعها ـ يَعْني المَوْتَ ، فَإِنَّهُ ما كانَ في قَليلٍ إِلاّ أَجْزَلَهُ ، ولا في كَثيرٍ إِلاّ قَلَّلَهُ » ، رواهُ الطَّبرانيُّ بإِسنادٍ حَسنٍ(٤) .

وأَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَكْيَسِ النّاسِ ـ أَي : أَعقَلِهِمْ ـ وأَحزَمِ النّاسِ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٥٦٩/ ٤٣) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٩٠) . ومُسلم برقم (٢٦٨٠/ ١٠) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .
(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٨٧٧) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهما .
(٤) أورده الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» ، ج١٠/ ٣٠٩ . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

ـ أَي : أَشدِّهِمْ حذراً ـ فقالَ : « أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْراً ، وَأَكْثَرُهُمْ لَهُ ٱسْتِعْداداً ؛ أُولٰئِكَ الأَكْيَاسُ ، ذَهَبوا بِشَرَفِ الدُّنيا وَكَرامَةِ الآخِرَةِ » ، رواهُ ٱبنُ ماجه بإِسنادٍ جيدٍ ، والطَّبرانيُّ بإِسنادٍ حسنٍ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ دخلَ علىٰ شابٍّ ، وهوَ في المَوْتِ ، فقالَ : « كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ » قالَ : أَرْجو اللهَ ، وَأَخافُ ذُنوبي ، قالَ ﷺ : « لا يَجْتَمِعانِ في قَلْبِ عَبْدٍ في مِثْلِ هٰذا المَوْطِنِ ، إِلاَّ أَعْطاهُ اللهُ ما يَرْجو ، وَآمَنَهُ مِمّا يَخافُ » ، رواهُ التِّرمذيُّ وٱبنُ ماجه بإِسنادٍ حَسنٍ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَقِّنوا مَوْتاكُمْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ » ، رواهُ مُسلمٌ[3] . والتِّرمذيُّ وزادَ : «مَنْ كانَ / آخِرُ كَلامِهِ : لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[4] . [ق٢٥٢]

فضلُ الصَّلاةِ علىٰ الميّتِ وحُضورِ دفنِهِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ مَرّوا عليه بجنازةٍ فأَثنَوْا عليها خيراً ، فقالَ : « وَجَبَتْ » ، ومَرّوا عليه بجنازةٍ فأَثنَوْا عليها شرّاً ، فقالَ : « وَجَبَتْ » ، ثُمَّ قالَ : « مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْراً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرّاً وَجَبَتْ لَهُ النّارُ ، أَنْتُمْ شُهَداءُ اللهِ في الأَرْضِ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَيْسَ مِنّا مَنْ ضَرَبَ الخُدودَ ، وَشَقَّ الجُيوبَ ، وَدَعا بِدَعْوىٰ الجاهِلِيَّةِ » ، متَّفقٌ عليه[6] .

---

(١) أَخرجه ٱبن ماجه ، برقم (٤٢٥٩) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٩٨٣) . وٱبن ماجه برقم (٤٢٦١) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٩١٦/ ١) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٩٧٧) . عن أُمِّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٣٠١) . ومُسلم برقم (٩٤٩/ ٦٠) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢٣٥) . ومُسلم برقم (١٠٣/ ١٦٥) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ عَزّىٰ مُصاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » ، رواهُ التِّرمذيُّ والبيهقيُّ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ أَرسلَ إِلىٰ إِحدىٰ بَناتِهِ فقالَ : « مُرْها فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ ، وَأَخْبِرْها أَنَّ لِلّهِ ما أَخَذَ ، وَلَهُ ما أَعْطىٰ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمّىٰ » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ شَهِدَ الجَنازَةَ حَتّىٰ يُصَلّيَ عَلَيْها فَلَهُ قيراطٌ ، وَمَنْ شَهِدَها حَتّىٰ تُدْفَنَ فَلَهُ قيراطانِ ، مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظيمَيْنِ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يَموتُ فَيُصَلّي عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفوفٍ مِنَ المُسْلِمينَ إِلاّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ ، وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[4] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ صلّىٰ علىٰ جنازةٍ ، فقالَ في دُعائِهِ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لَهُ وَٱرْحَمْهُ ، وَعافِهِ وَٱعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ ، وَٱغْسِلْهُ بِالماءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطايا ، كَما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ داراً خَيْراً مِنْ دارِهِ ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنَ عذابِ

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٠٧٣) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٩٤٢) . ومُسلم برقم (٩٢٣/١١) . عن أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢٦١) . ومُسلم برقم (٩٤٥/٥٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣١٦٦) . والتِّرمذيُّ برقم (١٠٢٨) . عن مالكِ بن هُبيرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

القَبْرِ ، وَمِنْ عَذابِ النّارِ » ، رواهُ مُسلمٌ[1] .

وفي روايةٍ : « وَفِتْنَةِ القَبْرِ ، وَعَذابِ النّارِ »[2] .

وأَنَّهُ ﷺ صلّىٰ علىٰ جنازةٍ ، فقالَ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنا وَمَيِّتِنا ، وَصَغيرِنا وَكَبيرِنا ، وَذَكَرِنا وَأُنْثانا ، وَشاهِدِنا / وَغائِبِنا . اللَّهُمَّ مَنْ [ق٢٥٣] أَحْيَيْتَهُ مِنّا فَأَحْيِهِ عَلىٰ الإِسْلامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنّا فَتَوَفَّهُ عَلىٰ الإِيمانِ . اللَّهُمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهُ ، وَلا تَفْتِنّا بَعْدَهُ » ، رواهُ أبو داودَ والتِّرمذيُّ والبيهقيُّ والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شَرْطِ البُخاريِّ ومُسلمٍ[3] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا فَرَغَ مِنْ دفنِ الميّتِ ، وقفَ عليهِ وقالَ : « اِسْتَغْفِروا لأَخيكُمْ ، وَاسْأَلوا لَهُ التَّثْبيتَ ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ » ، رواهُ أبو داودَ والبيهقيُّ بإِسنادٍ حَسنٍ[4] .

ما يقولُهُ زائِرُ القُبور

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا خَرَجَ إِلىٰ المقبَرَةِ قالَ : « السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ ، وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ ، أَسْأَلُ اللهَ لَنا وَلَكُمُ العافِيَةَ » ، رواهُ مُسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائيُّ وابن ماجه بأَسانيدَ صحيحةٍ[5] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٩٦٣/ ٨٥) عن عَوْفِ بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (٩٦٣/٨٦) . عنهُ أَيضاً .

(٣) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٢٠١) . والتِّرمذيُّ برقم (١٠٢٤) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٣٥٨ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٢٢١) . عن عُثمان بن عفّان رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه مُسلم ، برقم (٩٧٤/١٠٢) . والنَّسائيُّ برقم (٢٠٣٩) . وابن ماجه برقم (١٥٤٦) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

فصل في الصيام

وأمّا أذكارُهُ ﷺ في الصّيام : فثبتَ أنَّهُ ﷺ كانَ إذا رأىٰ الهِلالَ ، قالَ : « اللّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنا بِٱلأَمْنِ وَالإِيمانِ ، وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ ، والتَّوفيقِ لِما تُحِبُّهُ وَتَرضىٰ ، رَبُّنا وَرَبُّكَ اللهُ » ، رواهُ التِّرمذيُّ والدّارِميُّ في « مُسندِهِ »[1] .

ورَوىٰ أَبو داودَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إذا رأىٰ الهِلالَ ، قالَ : « هِلالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، هِلالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، هِلالُ رُشْدٍ وَخَيْرٍ ، آمَنْتُ بِالَّذي خَلَقَكَ ـ ثَلاثاً ـ [ثُمَّ يقولُ] : الحَمْدُ للهِ الَّذي ذَهَبَ بِشَهْرِ كذا وَجاءَ بِشَهْرِ كَذا »[2] .

نهيهُ ﷺ عَنِ الرَّفَثِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « الصّيامُ جُنَّةٌ ، فإذا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ ، فَلا يَرْفُثْ ، وَلا يَجْهَلْ ، وَإِنِ ٱمْرُؤٌ قاتَلَهُ أَو شاتَمَهُ ، فَلْيَقُلْ : إِنّي صائِمٌ ـ مَرَّتينِ ـ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

ما كانَ يقولُهُ ﷺ إذا أَفطرَ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إذا أَفطرَ ، قالَ : « ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَٱبْتَلَّتِ العُروقُ ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ » ، رواهُ أَبو داودَ والنَّسائيُّ[4] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥١٥) . والدّارميُّ برقم (١٦٨٧) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٩٢) . عن قتادةَ بن دعامةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٩٥) . ومُسلم برقم (١١٥١/ ١٦٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود، برقم (٢٣٥٧). عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

دعاءُ الصّائِمِ

زادَ أَبوداودَ : « اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ ، وَعَلىٰ رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ »[1] .

زادَ ٱبنُ السُّنّيِّ : « فَتَقَبَّلْ مِنّي ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّميعُ العَليمُ »[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ لِلصّائِمِ /[عِنْدَ فِطْرِهِ] لَدَعْوَةً ما تُرَدُّ » ، [ق٢٥٤] رواهُ ٱبنُ ماجه وٱبنُ السُّنّيِّ[3] .

ما كانَ يدعو به ﷺ لِمَنْ أَفطرَ عندَهُ

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا أَفطرَ عِنْدَ قومٍ دعا لَهُم : « أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصّائِمونَ ، وَأَكَلَ طَعامَكُمُ الأَبْرارُ ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ » ، رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ صحيحٍ وٱبنُ السُّنّيِّ[4] .

دعاؤهُ ﷺ ليلةَ القَدْرِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ أَمرَ مَنْ صادَفَ ليلةَ القَدْرِ أَنْ يقولَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ ، تُحِبُّ العَفْوَ ، فَٱعْفُ عَنّي » ، رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وٱبنُ ماجه بأَسانيدَ صحيحةٍ ، وقالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[5] .

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٣٥٨) . عن مُعاذ بن زُهرَةَ مرفوعاً .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٨٠) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه ٱبن ماجه، برقم (١٧٥٣). وٱبن السُّنّيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة»، برقم (٤٨١). عن عبد اللهِ بن عَمْرو بن العاص رضيَ اللهُ عنهُما.

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٨٥٤) . وٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٨٢) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥١٣) . وٱبن ماجه برقم (٣٨٥٠) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .



فصل في السفر

وأمّا أذكارُهُ [ﷺ] في السَّفر : فثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يُعلِّمُهُمُ الاستخارةَ في الأُمورِ كُلِّها ؛ كالسّورَةِ مِنَ القُرآنِ .

[يقولُ ﷺ] : « إذا هَمَّ بِٱلأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتينِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلاّمُ الغُيوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذا الأَمْرَ ـ ويُسمّي حاجَتَهُ ـ خَيْرٌ لي في ديني وَمَعاشي ، وَعاقِبَةِ أَمْري ـ أَوْ قالَ : في عاجِلِ أَمْري ـ وَآجِلِهِ فَٱقْدُرْهُ لي ، وَيَسِّرْهُ لي ، ثُمَّ بارِكْ لي فيهِ . وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذا الأَمْرَ شَرٌّ لي في ديني وَمَعاشي ، وَعاقِبَةِ أَمْري ـ أَوْ قالَ : عاجِلِ أَمْري ـ وآجِلِهِ فَٱصْرِفْهُ عَنّي ، وَٱصْرِفْني عَنْهُ ، وَٱقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كانَ ، ثُمَّ رَضِّني بِهِ » ، رواهُ البُخاريُّ[1] .

قالَ العُلَماءُ : ويقرأُ فيهِما بعدَ الفاتحة بسورتَي : الإِخلاصِ[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما خَلَّفَ أَحَدٌ عِنْدَ أَهْلِهِ خَيْراً مِنْ رَكْعَتَيْنِ يَرْكَعُهُما عِنْدَهُمْ حِينَ يُريدُ سَفَراً » ، رواهُ الطَّبرانيُّ[3] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠١٩) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهما .

(٢) **سورتَا الإِخلاص** : هما : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . (أَنصاريّ) .

(٣) أَخرجه ٱبن أَبي شيبة في «المصنَّف» ، (١/١٠٥/١) . عن المُطْعِم بن المقدام مرفوعاً .

قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ : ويقرَأُ فيهما بعدَ الفاتحة بالمعوِّذَتَينِ .

دعاؤهُ ﷺ إذا سافرَ

وثبتَ أنَّهُ ﷺ لَمْ يُرِدْ سَفراً إلاّ قالَ حينَ ينهَضُ مِنْ جلوسِهِ : « اللَّهُمَّ إِلَيْكَ تَوَجَّهْتُ ، وَبِكَ ٱعْتَصَمْتُ . اللَّهُمَّ ٱكْفِني ما أَهَمَّني ، وَمَا لَمْ أَهْتَمَّ لَهُ . اللَّهُمَّ زَوِّدني التَّقْوىٰ ، وَٱغْفِرْ لي ذَنبي ، وَوَجِّهْني لِلخَيْرِ أَيْنما تَوَجَّهْتُ »(١) .

وأنَّهُ ﷺ / قالَ : « مَنْ أَرادَ سَفراً فَلْيَقُلْ لِمَنْ يُخَلِّفُ : أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ الَّذي لا تَضيعُ وَدائِعُهُ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ(٢) . [ق٢٥٥]

ولأَحمدَ : « إِنَّ اللهَ إِذا ٱسْتُوْدِعَ شَيْئاً حَفِظَهُ »(٣) .

ما كانَ يقولهُ ﷺ إذا ودَّعَ مُسافراً

وأَنَّهُ ﷺ ودَّعَ رجُلاً فقالَ لَهُ : « أَسْتَوْدِعُ اللهَ دينَكَ ، وَأَمانَتَكَ ، وَخَواتيمَ عَمَلِكَ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ(٤) .

وأَنَّهُ ﷺ ودَّعَ رجُلاً آخَرَ فقالَ لَهُ : « زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوىٰ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَيَسَّرَ لكَ الخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ(٥) .

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٩٥) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٠٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٥٥٧٣) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٦٠٠) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٤٣) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٤٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وروى أيضاً أَنَّهُ ﷺ ودَّعَ آخَرَ فقالَ لَهُ : « أُوْصيكَ بِتَقْوىٰ اللهِ ، وَالتَّكْبيرِ عَلىٰ كُلِّ شَرَفٍ » ، فلمّا ولّىٰ قالَ : « اللَّهُمَّ ٱطْوِ لَهُ البُعْدَ ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ » ، قالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ[1] .

ما كانَ يقولُهُ ﷺ إذا رَكِبَ راحلتَهُ

وثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إذا ٱستوىٰ علىٰ بعيرِهِ خارِجاً إِلىٰ سفرٍ كبَّرَ ثلاثاً ، ثمَّ قالَ : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۞ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [سورة الزُّخرُف ٤٣/ ١٣ ـ ١٤] ، اللَّهُمَّ إِنّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنا هٰذا البِرَّ وَالتَّقْوىٰ ، وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضىٰ . اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنا سَفَرَنا هٰذا ، وَٱطْوِ عَنّا بُعْدَهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ الصّاحِبُ في السَّفَرِ ، وَالخَليفَةُ في الأَهْلِ وَالمالِ وَالوَلَدِ . اللَّهُمَّ إِنّا نَعوذُ بِكَ مِنْ وَعْثاءِ السَّفَرِ ـ أَي : شدَّتِهِ ـ وَكآبَةِ المَنْظَرِ ـ أَي : تغيُّرِهِ ـ وَسوءِ المُنْقَلَبِ ـ أَي : المَرجِعِ ـ في المالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ » .

وَإِذا رَجَعَ قالَهُنَّ ، وزادَ فيهِنَّ : « آيِبُونَ ، تائِبونَ ، عابِدونَ ، ساجِدونَ ، لِرَبِّنا حامِدونَ » ، رواهُ مُسلم[2] ، وأَبو داودَ وزادَ : وكانَ النَّبيُّ ﷺ وجيوشُهُ إذا عَلَوا الثَّنايا كَبَّروا ، وإِذا هَبَطوا سَبَّحوا[3] .

قالَ العُلَماءُ : والحِكْمَةُ : الإشارةُ إِلىٰ أَنَّ لَهُ سبحانَهُ الشَّرفَ علىٰ كلِّ شرفٍ ، وأَنَّهُ منزَّهٌ عَنِ الخَفْضِ ، جلَّ وعلا .

دعاءُ رُكوبِ السَّفينةِ

وثبتَ عنهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : « أَمانٌ لأُمَّتي مِنَ الغَرَقِ ، إذا رَكِبوا البَحْرَ أَنْ يَقولوا : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٤٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
الشَّرَفُ : المكانُ المُرتفع .

(٢) أَخرجه مُسلم، برقم (١٣٤٢/ ٤٢٥) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما.

(٣) أَخرجه أَبو داود، برقم (٢٥٩٩) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما.

رَحِيمٌ ﴾ [سورة هود ٤١/١١] ، ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ / وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا [ق٢٥٦] قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة الزُّمر ٦٧/٣٩] » ، رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[1] .

الدُّعاء إذا ضَلَّتِ الدّابّةُ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا ٱنفَلَتَتْ دابَّةُ أَحَدِكُمْ بِأَرْضِ فَلاةٍ فَلْيُنادِ : يا عِبادَ اللهِ ٱحْبِسوا ، يا عِبادَ اللهِ ٱحْبِسوا ؛ فَإِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ في الأَرْضِ حاضِراً سَيَحْبِسُهُ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[2] .

كراهَةُ أصطحابِ الكلبِ والجَرسِ في السَّفرِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فيها كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ » ، رواهُ مُسلم[3] .

دعاؤهُ ﷺ إذا رأىٰ قريةً يُريدُ دُخولَها

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ لَم يَرَ قريةً يُريدُ دُخولَها إلاّ قالَ حينَ يَراها : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَما أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الأَرَضينَ السَّبْعِ وَما أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّياطينِ وَما أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّياحِ وَما ذَرَيْنَ ، نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ القَرْيَةِ وَخَيْرِ أَهْلِها وَخَيْرِ ما فيها ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ القَرْيَةِ وَشَرِّ أَهْلِها وَشَرِّ ما فيها » ، رواهُ النَّسائيُّ . وٱبنُ السُّنِّيِّ وزادَ : « اللَّهُمَّ ٱرْزُقْنا حِماها ـ أَي : صِحَّتها ـ وَأَعِذْنا مِنَ وَباها ، وَحَبِّبْنا إِلىٰ أَهْلِها ، وَحَبِّبْ صالِحي أَهْلِها إِلينا »[4] .

دعاؤهُ ﷺ إذا نَزَلَ مَنْزِلاً

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قالَ : أَعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٠٠) . عن الحسين بن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٠٨) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢١١٣/١٠٣) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه النَّسائيُّ في « عمل اليوم واللَّيلة » برقم (٥٤٣) . وٱبن السُّنِّيِّ في «عمل اليوم واللَّيلة» ، برقم (٥٢٤) . عن صُهيب بن سنانٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

التّامّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذٰلِكَ » ، رواهُ مُسلمٌ والإمامُ مالِكٌ والتِّرمذيُّ[1] .

دعاؤهُ ﷺ إذا رَجَعَ مِنَ السَّفَرِ

وأَنَّهُ ﷺ لَمّا رأىٰ (المدينةَ) قالَ : « تائِبونَ ، آيبونَ ، عابِدونَ ، ساجِدونَ ، لِرَبِّنا حامِدونَ » ، ولم يَزَلْ يقولُ ذٰلكَ حتّىٰ قَدِمَ (المدينةَ) ، متَّفقٌ عليه[2] .

---

(1) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٧٠٨/ ٥٤) . ومالك في « الموطّأ » ، كتاب (٥٤) ، برقم (٣٤) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٣٧) . عن خولةَ بنت حكيمٍ رضيَ اللهُ عنهما .

(2) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٩١٩) . ومُسلم برقم (١٣٤٥/ ٤٢٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .



فصل في الحجّ

وأمّا أذكارُهُ ﷺ في حَجِّهِ : فثبتَ أنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ ، رَجَعَ مِنْ ذُنوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ، متَّفقٌ عليه[1] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « عُمْرَةٌ في رَمَضانَ تَعْدِلُ حَجَّةً » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وزادَ مُسلمٌ : « مَعي »[3] .

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « الحَجُّ المَبْرورُ لَيْسَ لَهُ جَزاءٌ إلاّ الجَنَّةَ » ، متَّفقٌ عليه[4] .

زادَ أَحمدُ وٱبنُ خُزيمةَ والحاكِمُ : قيلَ / : وَما بِرُّهُ ؟ قالَ : [ق٢٥٧] « إِطْعامُ الطَّعامِ وَطيبُ الكَلامِ »[5] .

فضلُ النَّفقةِ في الحجِّ

وأنَّهُ ﷺ قالَ : « النَّفَقَةُ في الحَجِّ كالنَّفَقَةِ في سَبيلِ اللهِ ، الدِّرْهَمُ بِسَبعِ مِئَةِ دِرْهَمٍ » ، رواهُ الإمامُ أحمدُ بإسنادٍ حَسَنٍ[6] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٤٤٩) . ومُسلم برقم (١٣٥٠/٤٣٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٦٤) . ومُسلم برقم (١٢٥٦/٢٢٢) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما .

(٣) أَخرجه مسلم ، برقم (١٢٥٦/ ٢٢١) . عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٨٣) . ومُسلم برقم (١٣٤٩/ ٤٣٧) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١٤٠٧٣) . والحاكم في «مسنده» ، ج١/ ٤٨٣ . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٢٢٤٩١) . عن بُرَيْدةَ بن الحصيب رضيَ اللهُ عنهُ .

ما لا يُباحُ للمُحْرِمِ بحجٍ وعُمرةٍ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا يَلْبَسُ المُحْرِمُ القُمُصَ ، وَلا العَمائِمَ ، وَلا السَّراويلاتِ ، ولا البَرانِسَ ، ولا الخِفافَ »[1] .

فضلُ التَّلبيَةِ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ مُلَبٍّ يُلَبّي إلاّ لَبّىٰ ما عَنْ يَمينِهِ وَشِمالِهِ ، مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ مَدَرٍ » ، رواهُ التِّرمذيُّ وٱبنُ ماجه وٱبنُ خُزيمة في « صحيحه » والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شَرْطِهما[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ مُؤْمِنٍ يَظَلُّ مُحْرِماً إلاّ غابَتِ الشَّمْسُ بِذُنوبِهِ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[3] .

فضلُ يوم عرفات

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : «إِنَّ اللهَ يُباهي بِأَهْلِ عَرَفاتٍ مَلائِكَةَ السَّماءِ فيقولُ : ٱنْظُروا إِلىٰ عِبادي هٰؤلاءِ جاؤوني شُعْثاً غُبْراً» ، رواهُ الإمامُ أَحمدُ وٱبنُ حبّانَ في «صحيحه» والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شَرْطِهما[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فيهِ عَبيداً مِنَ النّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنو ـ [أَي] : يَتَجَلّىٰ ـ ثُمَّ يُباهي بِهِمُ المَلائِكَةَ » ، رواهُ مُسلمٌ[5] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : «إِنَّ ٱسْتِلامَ الحَجَرِ وَالرُّكْنِ اليَمانِيِّ يَحُطُّ الخَطايا»[6] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٤٦٩) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٨٢٨) . وٱبن ماجه برقم (٢٩٢١) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٤٥١ . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه ٱبن ماجةَ ، برقم (٢٩٢٥) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهما .

(٤) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٧٩٨٦) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٤٦٥ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ . **أشعثُ الشَّعرِ** : ملبَّدٌ وغير ممشَّط . **الغُبْرُ** : يعلوه التُّراب .

(٥) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٣٤٨) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٦) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٤٤٤٨) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

فضلُ الطَّوافِ بالبيت

[وأنَّهُ ﷺ قالَ] : « مَنْ طافَ بِالبَيْتِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَماً وَلَمْ يَضَعْ قَدَماً إلاّ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَناتٍ ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئاتٍ ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ . وَمَنْ طافَ بِالبَيْتِ سُبوعاً وَصَلّىٰ رَكْعَتينِ كانَ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ » ، رواهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ وٱبنُ خُزيمةَ في « صحيحه » والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإسنادِ[1] .

فضلُ ٱستلامِ الحَجَرِ الأسود

وأنَّهُ ﷺ قالَ في الحَجَرِ الأَسْوَدِ : « واللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، لَهُ عَيْنانِ يُبْصِرُ بِهِما ، وَلِسانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ لِمَنِ ٱسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ » ، رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ ، وٱبنُ خُزيمةَ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحهما »[2] .

[ق٢٥٨]

نزولُ الرَّحمةِ علىٰ حُجّاجِ البيتِ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « يُنَزِّلُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلىٰ حُجّاجِ بَيْتِهِ / الحَرامِ عِشْرينَ وَمِئَةَ رَحْمَةٍ ، سِتّينَ لِلطّائِفينَ ، وَأَرْبَعينَ لِلمُصَلّينَ ، وَعِشْرينَ لِلنّاظِرينَ » ، رواهُ البيهقيُّ بإسنادٍ حسنٍ[3] .

قُلْتُ : وفيه : « أنَّ الطَّوافَ أفضلُ مِنَ الصَّلاةِ » .

غُفرانُ ذنوبِ الحاج

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا خَرَجَ الحاجُّ مِنْ بَيْتِهِ لَمْ تَخْطُ راحِلَتُهُ خُطْوَةً إلاّ كُتِبَ لَهُ بِها حَسَنَةٌ وَحُطَّ بِها خَطيئَةٌ ، فَإذا وَقَفَ بِعَرَفاتٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنوبُهُ ، وَإِنْ كانَتْ عَدَدَ قَطْرِ السَّماءِ ، وَعَدَدَ رَمْلِ عالِجٍ ، وَإذا رَمىٰ الجِمارَ لا يَدْري أَحَدٌ ما لَهُ حَتّىٰ يُوَفّاهُ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَإذا حَلَقَ شَعْرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ نُورٌ يَوْمَ القِيامَةِ ، وَإذا قَضىٰ آخِرَ طَوافِهِ

---

(١) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٢٧٨٣٧) . والتِّرمذيُّ برقم (٩٥٩) . والحاكم في «المستدرك» ، ج١/ ٤٨٩ . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ، برقم (٩٦١). عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما.

(٣) أَخرجه البيهقيُّ في «الشُّعب» ، برقم (٤٠٥١) . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

خَرَجَ مِنْ ذُنوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ، رواهُ الطَّبرانيُّ والبزّارُ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[1] .

رميُ الجِمار

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَمّا أَتىٰ إبراهيمُ خليلُ اللهِ المَناسِكَ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطانُ عِنْدَ (جَمْرَةِ العَقَبَةِ) ، فَرَماهُ إبراهيمُ بِسَبْعِ حَصَياتٍ » ، رواهُ ٱبنُ خُزيمةَ في « صحيحه » والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شَرْطِهما[2] .

قالَ ٱبنُ عبّاسٍ : فٱرموا فإنَّ الشَّيطانَ ترمونَ .

وأَنَّهُ ﷺ سُئِلَ عن حصىٰ الرَّمي ؟ فقالَ : « ما تُقُبِّلَ مِنْها رُفِعَ ، وَلَوْلا ذٰلكَ لَرَأَيْتُموها مِثْلَ الجِبالِ » ، رواهُ الطَّبرانيُّ والحاكِمُ وقالَ : صحيحُ الإسنادِ[3] .

ماءُ زمزمَ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « خَيْرُ ماءٍ عَلىٰ وَجْهِ الأَرْضِ : ماءُ زَمْزَمَ ، فيهِ طَعامُ الطُّعْمِ ـ أَي : المُشْبِعُ مِنَ الجوعِ ـ وَشِفاءُ السُّقْمِ » ، رواهُ الطَّبرانيُّ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ لَهُ » ، رواهُ الدّارقطنيُّ والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحُ الإسنادِ[5] .

---

(١) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزوائد » ، ج٣/ ٢٧٤ . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما . **رملُ عالجٍ** : ما تراكمَ مِنَ الرَّمل ودخلَ بعضُهُ في بعضٍ .

(٢) أخرجه ٱبن خُزيمة ، برقم (٢٩٦٧) . والحاكم في « المُستدرك » ، ج١/ ٤٦٦ . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أورده الهيثميُّ في « مجمع الزَّوائد » ، ج٣/ ٣٦٠ . والحاكم في « المُستدرك » ، ج١/ ٤٧٦ . عن أَبي سعيدٍ الخُدْري رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أخرجه الطَّبراني في « الكبير » ، برقم (١١١٦٧) . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أخرجه الدّارقطنيُّ في « سننه » ، ج٢/ ٢٨٩ . والحاكم في « المستدرك » ، ج١/ ٤٧٣ . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

مواقيتُ الحجّ والعُمرة المكانيّة

وثبتَ أنَّهُ ﷺ وَقَّتَ للإحرامِ بالحَجِّ لأَهْلِ المدينةِ : (ذا الحُلَيْفَةِ) . وَلأَهْلِ الشّامِ : (الجُحْفَةَ) . وَلأَهْلِ نَجْدٍ : (قَرْناً) . وَلأَهْلِ اليَمَنِ : (يَلَمْلَمَ)(١) .

اغتسالُهُ ﷺ للإحرامِ ولدُخولِ مكّةَ

وَأَنَّهُ ﷺ ٱغْتَسَلَ لإِحرامِهِ . رواهُ التِّرمذيُّ(٢) .

وَٱغْتَسَلَ أَيضاً لدُخولِ (مكَّةَ) . متَّفقٌ عليه(٣) .

دُخولُهُ ﷺ مكّةَ

وأَنَّهُ ﷺ كانَ يدخُلُ (مكَّةَ) مِنَ (الثَّنيَّةِ العُليا) ، ويخرُجُ مِنَ (الثَّنيَّةِ السُّفلىٰ) . متَّفقٌ عليه(٤) .

[ق٢٥٩]

دعاؤهُ ﷺ حينَ رأىٰ البيتَ

وأَنَّهُ ﷺ / كانَ إِذا أَبْصرَ (البَيْتَ) رَفَعَ يَدَيْهِ وَدَعا : « اللَّهُمَّ زِدْ هٰذا البَيْتَ تَشْريفاً وَتَعْظيماً ، وَتَكْريماً وَبِرّاً وَمَهابَةً ، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ ؛ مِمَّنْ حَجَّهُ أَوِ ٱعْتَمَرَهُ تَشْريفاً وَتَكْريماً وَتَعْظيماً وَبِرّاً » ، رواهُ الإمامُ الشّافعيُّ في « مُسندِهِ » والبيهقيُّ(٥) .

دُخولُهُ ﷺ مِنْ باب بني شيبَةَ

وأَنَّهُ ﷺ دَخلَ (المَسجدَ) مِنْ بابِ (بني شَيْبَةَ) ، وقالَ عندَ دُخولِ المَسجِدِ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ ، وَمِنْكَ السَّلامُ ، فَحَيِّنا رَبَّنا بِٱلسَّلامِ » ، رواهُ البيهقيُّ(٦) .

طوافُهُ ﷺ بالبيتِ

وأَنَّ أَوَّلَ شيءٍ بدأَ به ﷺ الطَّوافُ بالبيتِ . متَّفقٌ عليه(٧) .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (١٤٥٤). عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٨٣٠) . عن زيد بن ثابتٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه مُسلم، برقم (١٢٥٩/ ٢٢٧). عن عبدالله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٥٠٠) . ومُسلم برقم (١٢٥٧/ ٢٢٣) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٥/ ٧٣ . عن مكحولٍ رحمه الله .

(٦) أَخرجه البيهقيُّ في « سننه » ، ج٥/ ٧٢ . عن عطاءٍ رحمه الله .

(٧) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٥٣٦) . ومُسلم برقم (١٢٣٥/ ١٩٠) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « الطَّوافُ بِٱلبَيْتِ بِمَنْزِلَةِ الصَّلاةِ ، إلاّ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّ فيهِ النُّطْقَ ، فَمَنْ نَطَقَ فَلا يَنْطِقُ إلا بِخَيْرٍ » ، رواهُ الحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ مُسلمٍ[1] .

وثبتَ أَيضاً أَنَّهُ ﷺ لَمّا قَدِمَ (مَكَّة) ، أَتىٰ (الحَجَرَ) فٱستَلَمَهُ ، ثمَّ مشىٰ عن يمينه فرَمَلَ ثلاثاً ، وَمشىٰ أَربعاً[2] .

ٱستلامُهُ ﷺ الرُّكنَ الأَسود وتقبيلُهُ

وروىٰ الشَّيخان أَنَّهُ ﷺ ٱستلَمَ (الحَجَرَ) ، ثمَّ قبَّلَهُ ، ثُمَّ وضَعَ جبهَتَهُ الكريمةَ عليه في كُلِّ طَوْفَةٍ ، وَأَنَّهُ كانَ يَستَلِمُ الرُّكْنَ اليمانيَّ في كُلِّ طَوْفَةٍ ولا يَقبِّلُهُ ، وأَنَّهُ كانَ لا يستلِمُ الرُّكْنَيْنِ اللَّذَينِ يليانِ (الحِجْرَ) ـ بكسر الحاء ـ[3] .

دعاؤهُ ﷺ بين الرُّكنين اليَمانيين

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ بينَ الرُّكْنينِ اليَمانيينِ[4] : « ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ » ، رواهُ أَبو داودَ[5] .

ٱضطباعُهُ ورملُهُ ﷺ في الطَّوافِ

وروِيَ أَيضاً أَنَّهُ ﷺ وأَصحابَهُ ٱعتمَروا مِنْ (الجِعْرانَةِ) ، فرَمَلوا بِٱلبَيْتِ ، وَٱضْطَبَعوا ، فَجَعلوا أَرْدِيَتَهُمْ تَحْتَ آباطِهِمْ ، وَأَطرافَها عَلىٰ عَواتِقِهِمُ اليُسرىٰ[6] .

---

(١) أَخرجه الحاكم في «المُستدرك» ، ج٢/ ٢٦٧ . عن عبد الله بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهما .

(٢) أَخرجه مُسلم، برقم (١٢١٨/ ١٥٠). عن جابر بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما

(٣) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (١٥٠٦). عن عبدالله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) **الرُّكنان اليمانيان** : هُما الرُّكن الأَسود والرُّكن اليمانيُّ ، وإِنَّما قيل : (اليمانيان) للتغليب .

(٥) أَخرجه أَبوداود، برقم (١٨٩٢). عن عبدالله بن السائبِ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٦) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (٣٥٠٢) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ =

صلاتُهُ ﷺ ركعتي الطَّوافِ وٱستلامُهُ الحَجرَ ثانيةً

وثبتَ أنَّهُ ﷺ صلّىٰ بعدَ الطَّوافِ رَكْعَتينِ خَلفَ (المَقامِ) . متَّفقٌ عليه .

زادَ مُسلمٌ : يَقرَأُ في الأُولىٰ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ . وفي الثّانيَةِ : الإخلاصَ[1] .

وثبتَ أنَّهُ ﷺ ٱستلَمَ (الحَجَرَ الأَسودَ) بعدَ أَنْ صلّىٰ رَكْعَتينِ خَلْفَ (المَقامِ) .

[ق٢٦٠]

سعيُهُ ﷺ بينَ الصَّفا والمروةَ

ثمَّ خرجَ للسَّعي مِنْ باب (الصّفا) / وبدأَ بالصّفا ، وقالَ : «ٱبْدَؤُوْا بما بَدَأَ اللهُ بهِ » ، وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة ٢/١٥٨] ، فَرَقِيَ عَلىٰ (الصَّفا) ، حَتّىٰ رأىٰ (البَيْتَ) ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ ، وقالَ : « لا إِلٰهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ . لا إِلٰهَ إلاّ اللهُ [وَحْدَهُ] ، أَنْجزَ وَعْدَهُ ، وَنَصرَ عَبْدَهُ ، وَهزَمَ الأَحْزابَ وَحْدَهُ » ، ثمَّ دَعا بينَ ذٰلكَ . قالَ [مِثلَ] هٰذا ثَلاثَ مَرّاتٍ ، وفعلَ عَلىٰ (المَرْوَةِ) كما فعلَ علىٰ (الصَّفا)[2] .

جمعُ النَّبيِّ ﷺ الصَّلوات وقصرها

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ صلّىٰ بالنّاسِ الظُّهرَ والعصرَ جَمْعاً في وقتِ الظُّهرِ بـ(نمِرَةَ) ، ثمَّ وقفَ بـ(عرفَةَ) إِلىٰ الغُروبِ . ثم أَفاضَ إِلىٰ (المُزْدَلِفَةِ) ، فلمّا وَصلَها صلّىٰ بها المَغربَ والعِشاءَ جَمْعاً في وقتِ

= رضيَ اللهُ عنهُما . رَمَلَ : أَسرع المشيَ في الطَّواف . اضطَبَعَ : الضَّبْعُ : ما تحت الإبط . وطافَ مضطبعاً : إذا أَخذ الإِزار فجعل وسَطَهُ تحت إبطه الأَيمن وأَلقىٰ طرفيه علىٰ كتفه الأَيسر من جهتَيْ صدره وظهره . **العواتِقُ** : ما بين المنكب والعُنُق .

(١) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (١٥٢٣). عن عبدالله بن أَبي أَوفىٰ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٢) أَخرجه مُسلم، برقم (١٢١٨/ ١٤٧).عن جابر بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما.

العِشاء ، متَّفقٌ عليه[١] .

دعاؤهُ ﷺ يومَ عرفةَ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « خَيْرُ الدُّعاءِ : دُعاءُ يَوْمِ (عَرَفَةَ) ، وَخَيْرُ ما قُلْتُ أَنا وَالنَّبِيّونَ مِنْ قَبْلي ـ أَي : يَوْمَ (عَرَفَةَ) ـ لا إِلٰه إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ » ، رواهُ التِّرمذيُّ[٢] والبيهقيُّ وزادَ : « اللَّهُمَّ ٱجْعَلْ في قَلْبي نوراً ، وَفي سَمْعي نوراً ، وَفي بَصَري نوراً . اللَّهُمَّ ٱشْرَحْ لي صَدْري ، وَيَسِّرْ لي أَمْري »[٣] .

وروىٰ البيهقيُّ أَيضاً أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ يَقِفُ عَشيَّةَ (عَرَفَةَ) بِٱلمَوْقِفِ ، فَيَسْتَقْبِلَ القِبْلَةَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ يَقولُ : لا إِلٰه إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ؛ مِئَةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقْرَأُ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مِئَةَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَقولُ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ ، وَعَلىٰ آلِ مُحَمَّدٍ ، كَما صَلَّيْتَ عَلىٰ إِبراهيمَ ، وَعَلىٰ آلِ إِبراهيمَ ، إِنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ ـ وعلينا معَهُم ـ مِئَةَ مَرَّةٍ إِلاّ قالَ اللهُ تعالىٰ : يا مَلائِكَتي ، ما جَزاءُ عَبْدي هٰذا ، هَلَّلَني ، وَأَثنىٰ عَلَيَّ ، وَعَلىٰ نَبِيّي ، أُشْهِدُكُمْ يا مَلائِكَتي أَنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وَشَفَّعْتُهُ في نَفْسِهِ ، وَلَوْ سَأَلَني عَبدي هٰذا لَشَفَّعْتُهُ في أَهْلِ المَوْقِفِ »[٤] .

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٥٨٨) ، بنحوه . عن أُسامةَ بن زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٥٨٥) . عن عبد اللهِ بن عَمْرو بن العاص رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه البيهقيُّ ، ج٥/ ١١٧ . عن عليّ بن أَبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البيهقيُّ في « الشُّعب » ، برقم (٤٠٧٤) . عن جابر بن عبد الله رضيَ اللهُ عنهُما .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ باتَ بـ (مُزْدَلِفَةَ) حتّىٰ صلّىٰ الصُّبْحَ بها بِغَلَسٍ . متّفَقٌ عليه[1] .

مبيتُه ﷺ بمزدلفة

زادَ مُسلمٌ : فلمّا صلّىٰ الصُّبْحَ / رَكِبَ القَصْواء ، حَتّىٰ أَتىٰ (المَشْعَرَ الحَرامَ) ، فٱستقبلَ القِبْلَةَ ، ودعا اللهَ تعالىٰ ، وكبَّرَ ، وهلَّلَ ، ووحَّدَ ، ولَمْ يَزَلْ واقِفاً حتّىٰ أَسفرَ جِدّاً ، ثُمَّ سارَ إِلىٰ (مِنىٰ) ، فلمّا أَتىٰ (الجَمْرَةَ) رماها بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكَبِّرُ معَ كلِّ حَصاةٍ ، ثمَّ ذبحَ ، ثمَّ حَلَقَ ، ثمَّ سارَ إِلىٰ (مكَّةَ) ، فطافَ بـ (البيتِ) طوافَ الرُّكْنِ ، ثمَّ عادَ إِلىٰ (مِنىٰ)[2] . [ق٢٦١]

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « اللَّهُمَّ ٱرْحَمِ المُحَلِّقينَ » ، فقالوا : وَالمُقَصِّرينَ يا رسولَ اللهِ ؟ فقالَ : « اللَّهُمَّ ٱرْحَمِ المُحَلِّقينَ » ، قالوا : وَالمُقَصِّرينَ ؟ قالَ في الرّابِعَةِ : « وَالمُقَصِّرينَ » ، متّفَقٌ عليه[3] .

دعاؤهُ ﷺ للمُحلِّقين

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ ما سُئِلَ عَنْ شيءٍ يومئذٍ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ ـ أَي : مِنَ الرَّمي والحَلْقِ والذَّبحِ والطَّوافِ ـ إِلاّ قالَ : « ٱفْعَلْ وَلا حَرَجَ » ، متّفَقٌ عليه[4] .

إفتاؤهُ ﷺ الناسَ بمنىٰ

وَأَنَّهُ ﷺ باتَ بـ (منىً) لياليَ التَّشريقِ ، يَرْمي كلَّ يومٍ إِلىٰ (الجَمراتِ الثَّلاثِ) ، كلَّ جَمْرَةٍ بسبعِ حَصَياتٍ ، يَبدأُ بـ (الجَمْرَةِ

مبيتُ النَّبيِّ ﷺ بمنىٰ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٢٨٩/ ٢٩٢) .
(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٢١٨/ ١٤٧) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٤٠) . ومُسلم برقم (١٣٠١/ ٣١٧) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .
(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٤٩) . ومُسلم برقم (١٣٠٦/ ٣٢٧) . عن عبد اللهِ بن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما .

الأُولىٰ) ، الَّتي تلي (مسجدَ الخَيف) ، ثمَّ (الوسطىٰ) ، ثمَّ (جَمْرَةِ العقبةِ) ، بعدَ أَنْ تزولَ الشّمسُ ، ويغتَسِلَ ، وقبلَ أَنْ يُصلّي الظُّهرَ ، ويقِفُ عندَ (الأُولىٰ والثّانية) طويلاً ، يذكُرُ اللهَ تعالىٰ ويدعو ، ولا يقِفُ عندَ (الثّالثة) ، وٱنصرفَ بعدَ الرَّمي مِنْ عندها في اليوم الثّالث إلىٰ (مكّةَ) ، فنزلَ بـ (المُحَصّبِ) ، فصلّىٰ به الظُّهرَ والعصرَ جَمْعاً . متَّفقٌ عليه[1] .

نهيُهُ ﷺ عن صيام أيّام التّشريق

وثبتَ أنَّه ﷺ قالَ : « أَيّامُ التَّشْريقِ : أَيّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ ، وَذِكْرٍ للهِ تعالىٰ » ، رواهُ مُسلمٌ[2] .

أَمرُهُ ﷺ بطوافِ الوداعِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ لَمّا فَرَغَ مِنْ أَعمالِ الحَجِّ ، طافَ بـ (البيتِ) للوَداعِ . رواهُ البُخاريُّ[3] .

وأَنَّـهُ ﷺ قـالَ : « لا يَنْفِـرَنَّ أَحَـدٌ حَتّـىٰ يَكـونَ آخِـرَ عَهْـدِهِ بِـ(ٱلبَيْتِ)»، رواهُ مُسلمٌ[4] . وأَبو داودَ وزادَ ـ أَي : الطَّوافُ[5] ـ.

وروىٰ الشَّيخانِ عَنِ ٱبنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما ، قالَ : أَمَرَ النّاسَ أَنْ يَكونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِـ (ٱلبَيْتِ) ، إلاّ أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ المَرْأَةِ الحائِضِ[6] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٦٦) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما . **المُحَصّبُ** : المكان الَّذي تنتظمُ فيه الجمرات الثّلاث .

(٢) أَخرجه مُسلم ، برقم (١١٤١/ ١٤٤) . عن نُبَيْشَةَ بن عبد اللهِ الهُذَليّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٦٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (١٣٢٧/ ٣٧٩) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٠٠٢) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٦٦٨) . ومُسلم برقم (١٣٢٨/ ٣٨٠) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وثبتَ أنَّهُ ﷺ قالَ : « اللَّهُمَّ ٱغْفِرْ / لِلحاجِّ ، وَلِمَنِ ٱسْتَغْفَرَ لَهُ الحاجُّ » ، رواهُ البيهقيُّ والحاكِمُ ، وقالَ : صحيحٌ علىٰ شرطِ مُسلمٍ[1] . [ق٢٦٢]

دعاؤهُ ﷺ للحاجّ

وأنَّهُ ﷺ قالَ لغُلامٍ رَجعَ مِنَ الحجِّ : « قَبِلَ اللهُ حَجَّكَ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[2] .

فضلُ زيارة النَّبيِّ ﷺ

وروىٰ الدّارقطنيُّ أنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ زارَ قَبْري وَجَبَتْ لَهُ شَفاعَتي »[3] .

وروىٰ ٱبنُ عديٍّ في « الكامل » أنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَزُرْني ، فَقَدْ جَفاني »[4] .

الرَّوضةُ الشَّريفةُ

وثبتَ أنَّهُ ﷺ قالَ : « ما بَيْنَ بَيْتي وَمِنْبَري رَوْضَةٌ مِنْ رياضِ الجَنَّةِ ، ومِنْبَري عَلىٰ حَوْضي » ، متَّفقٌ عليه[5] .

ولابنِ عساكِرَ : « ما بَيْنَ قَبْري وَمِنْبَري »[6] .

---

(١) أَخرجه الحاكم في «المُستدرك» ، ج١/ ٤٤١ . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٥٣٣) . عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه الدّارقطنيُّ في «سننه» ، ج٢/ ٢٧٨ . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه ٱبن عديّ في «الكامل في الضُّعفاء» ، ج٧/ ٢٤٨٠ . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٧٨٩) . ومُسلم برقم (١٣٩١/ ٥٠٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه أَحمد في « مسنده » ، برقم (١١٢١٦) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

فَائِدَةٌ

في المسافة بين قبر الرَّسول ﷺ ومنبره

قُدِّرَ ما بينَ القبرِ والمِنْبَرِ ثلاثةٌ وخمسونَ ذِراعاً .

والجمهورُ علىٰ أَنَّ الحديثَ علىٰ ظاهرِهِ ، فيُنقَلُ ذٰلكَ المكانُ بعينه إِلىٰ الجنَّةِ لشرَفِهِ .

ردُّهُ ﷺ السَّلامَ علىٰ مَنْ سلَّمَ عليه

ورویٰ أَبو داودَ بإِسنادٍ صحيحٍ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاّ رَدَّ اللهُ عَلَيَّ روحي حَتّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ »[1] .

صلّىٰ اللهُ عليه وسلَّمَ ، وشرَّفَ وعظَّمَ وكرَّمَ .

ورویٰ الشَّيخُ محيي الدّين النَّوويُّ ، عن العُتْبي ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، بفوقيّة قبلَ المُوحَّدةِ ـ قالَ : كُنتُ جالِساً عندَ قبرِ النَّبيِّ ﷺ ، فجاءَ أَعرابيٌّ فقالَ : السَّلامُ عليكَ يا رسولَ اللهِ ، سَمِعتُ اللهَ سُبحانَهُ وتعالىٰ يقولُ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ٦٤] ، وقد جئتُكَ مُستغفِراً مِنْ ذنبي ، مُستشفِعاً بكَ إِلىٰ ربّي ، ثمَّ أَنشأَ يقولُ ، [مِنَ البسيط] :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتَ في التُّرْبِ أَعْظُمُهُ ... فطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ ٱلقاعُ وَٱلأَكَمُ

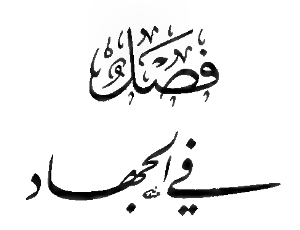
نَفْسي ٱلفِداءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ ساكِنُهُ ... فيهِ ٱلعَفافُ وَفيهِ ٱلجودُ وَٱلكَرَمُ

أَنْتَ النَّبيُّ الّذي تُرجىٰ شَفاعَتُهُ ... عِنْدَ الصِّراطِ إِذا ما زَلَّتِ ٱلقَدَمُ

قالَ : ثمَّ ٱنصرفَ . فأَخذتني سِنَةٌ ، فرأَيتُ النَّبيَّ ﷺ في النَّومِ ، فقالَ لي : يا عُتْبيُّ ، اِلْحَقِ الأَعرابيَّ ، فبشِّرْهُ بأَنَّ اللهَ قد غفَرَ لَهُ[2] / . [ق٢٦٣]

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٠٤١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) الأَذكار ، للنَّوويّ ، ص٢٩٨ .



فصل في الجهاد

وأمّا أذكارُهُ ﷺ في الجِهادِ : فثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا أَمَّرَ أَميراً علىٰ جيشٍ أَو سريَّةٍ أَوصاهُ في خاصَّتِهِ بتقوىٰ اللهِ تعالىٰ ، وبمَنْ معَهُ مِنَ المُسلمينَ خيراً ، ثمَّ قالَ : « ٱغْزوا بِٱسْمِ اللهِ في سَبيلِ اللهِ ، قاتِلوا مَنْ كَفَرَ بِٱللهِ ، وَلا تَغْدِروا ، وَلا تُمَثِّلوا ، وَلا تَقْتُلوا وَليداً » ، متَّفقٌ عليه[1] .

قُلْتُ : كذا عزاهُ الإمامُ النَّوويُّ في « أَذكارِهِ » إِلىٰ البُخاريِّ ومُسلمٍ ؛ وإِنَّما أَوردَهُ الحُميديُّ في « أَفراد مُسلمٍ » ، وهو كذٰلكَ ، فإِنّي لم أَظفر به في البُخاريِّ ، بعدَ بُلوغِ الجُهْدِ في الكشف عنهُ . واللهُ أَعلمُ[2] .

كِتمانُهُ ﷺ جهةَ مَسيرِهِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُريدُ غَزْوَةً إِلاّ وَرّىٰ بغيرِها . متَّفقٌ عليه[3] .

دعاؤهُ ﷺ إذا همَّ بدُخولِ أَرضِ العَدوِّ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ لمّا صبَّحَ (خَيْبَرَ) قالَ : « اللهُ أَكْبَرُ ، خَرِبَتْ (خَيبَرُ) ، إِنّا إِذا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرينَ » ، متَّفقٌ عليه[4] .

ورويَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « دَعْوَتانِ لا تُرَدّانِ : الدُّعاءُ عِنْدَ النِّداءِ

---

(١) أَخرجه مُسلم ، (٣/١٧٣١) . عن بُريدة بن الحصيبِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) وما قالَهُ المؤلِّفُ ـ رحمَهُ اللهُ ـ هوَ الصَّوابُ . واللهُ أَعلمُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٧٨٧) . ومُسلم برقم (٢٧٦٩/ ٥٤) . عن كعب بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . ورّىٰ : أَخفىٰ وستر وأَوهم .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٩٦٢) . ومُسلم برقم (١٣٦٥/ ٨٧) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

ـ أَي : الأَذان ـ وَحينَ البَأْسِ ـ أَي : القِتالِ ـ» ، رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ صحيحٍ[1] .

دعاؤهُ ﷺ عندَ لقاءِ العدوِّ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا غزا قالَ : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدي ، وَنَصيري ، بِكَ أَحولُ ، وَبِكَ أَصولُ ، وَبِكَ أُقاتِلُ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[2] .

دعاؤهُ ﷺ إذا خافَ قوماً

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا خافَ قوماً قالَ : « اللَّهُمَّ إِنّا نَجْعَلُكَ في نُحورِهِمْ ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شُرورِهِمْ » ، رواهُ بإِسنادٍ صحيحٍ أَبو داودَ والنَّسائيُّ[3] .

كراهيتُهُ ﷺ تمنّي لقاء العدوِّ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا تَتَمَنَّوْا لِقاءَ العَدوِّ ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْرونَ ما يَبْتَليكُمُ اللهُ بِهِ مِنْهُمْ ، فَإِذا لَقَيْتُموهُمْ فَقولوا : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّنا وَرَبُّهُمْ ، وَقُلوبُنا وَقُلوبُهُمْ بِيَدِكَ ، وَإِنَّما تَغْلِبُهُمْ أَنْتَ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنّيِّ[4] .

دعاؤهُ ﷺ عندَ النّظر إلىٰ عدوِّه

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : ٱبنُ السُّنّيِّ] ـ أَنَّهُ ﷺ قالَ لَمّا لَقيَ العدوَّ ـ أَي : يوم (بَدْرٍ) ـ : « يا مالِكَ يَوْمِ الدّينِ ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ » . قالَ الرّاوي : فلقد رأيتُ / الرِّجالَ صَرْعىٰ تضرِبُها الملائِكَةُ مِنْ بينِ يَدَيْها ، وَمِنْ خلفِها[5] .

[ق٢٦٤]

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٥٤٠) . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٦٣٢) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٥٨٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . **أَحولُ** : أَصرف كيد العدو وأَدفع شرَّه . **أَصولُ** : أَسطو وأَقهر .

(٣) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٣٧) . عن عبد اللهِ بن قيسٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٦٦٨) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٥) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٣٣٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وقد سبقَ في آخرِ خُطبة الجِهادِ ، وفي غزوة (بَدْرٍ) ما قالَهُ ﷺ عندَ لقاءِ العدوِّ .

دعاؤهُ ﷺ إذا نزلَ به كربٌ أو شدَّةٌ

وثبتَ أيضاً أنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ عندَ الكَرْبِ ـ وفي روايةِ مُسلمٍ ـ إذا حَزَبَهُ أمرٌ ـ بالمُوحَّدةِ ، أي : كَرَبَهُ ـ: « لا إلٰهَ إلاّ اللهُ العظيمُ الحَليمُ ، لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ ربُّ العَـرْشِ العَظيـمِ ، لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ رَبُّ السَّمـاواتِ ، وَرَبُّ الأَرْضِ ، وَرَبُّ العَـرْشِ الكَـريـمِ » ، متَّفـقٌ عليه[1] .

دعاؤهُ ﷺ إذا رَجَعَ مِنَ السَّفر

وثبتَ أنَّهُ ﷺ كانَ إذا رَجعَ مِنْ غزوٍ ، أو حجٍّ ، أو عُمْرَةٍ ، يُكَبِّرُ علىٰ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثلاثاً ، ثمَّ يقولُ : « لا إلٰهَ إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ ، آيبونَ ، تائِبونَ ، عابِدونَ ، ساجِدونَ ، لِرَبِّنا حامِدونَ ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحزابَ وَحْدَهُ » ، رواهُ البُخاريُّ[2] .

---

(١) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٩٨٥) . ومُسلم برقم (٢٧٣٠) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ، برقم (١٧٠٣). عن عبد اللهِ بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

فصل

في المعاش

وأمّا أذكارُهُ ﷺ في المَعاشِ : فثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يقولُ إذا قُرِّبَ إِليه الطَّعامُ : « اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيما رَزَقْتَنا ، وَقِنا عَذابَ النّارِ ، بِٱسمِ اللهِ » ، رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ لغُلامٍ كانَ تَطيشُ يدُهُ في الصَّحْفَةِ : « يا غُلامُ ، سَمِّ اللهَ ، وَكُلْ بِيَمينِكَ ، وَكُلْ مِمّا يَليكَ » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ ٱسْمَ اللهِ تَعالىٰ ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اللهَ في أَوَّلِهِ ، فَلْيَقُلْ : بِٱسمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ » ، رواهُ أَبو داوودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخولِهِ ، وَعِنْدَ طَعامِهِ ، قالَ الشَّيْطانُ ـ [أَي : لأَعوانِهِ] ـ : لا مَبيتَ لَكُمْ وَلا عَشاءَ ، وَإِذا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ ٱسمَ اللهِ عِنْدَ دُخولِهِ ، قالَ الشَّيْطانُ : أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ . وَإِذا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعامِهِ ، قالَ :

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٥٧) . عن عبد اللهِ بن عَمْرِو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٠٦١) . ومُسلم برقم (٢٠٢٢/١٠٨) . عن عُمَرَ بن أَبي سلمةَ رضيَ اللهُ عنهُ . **تطيشُ** : تتحرَّكُ وتمتدُّ . **الصَّحْفَةُ** : إِناءٌ يسعُ ما يشبع خمسةً .

(٣) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٧٦٧) . والتِّرمذيُّ برقم (١٨٥٨) . عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنها .

أَدْرَكْتُمُ المَبيتَ وَالعَشاءَ » ، رواهُ مُسلمٌ[1] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ / ما عابَ طَعاماً قَطُّ ، إِنِ ٱشتهاهُ أَكلَهُ ، وَإِنْ كَرِهَهُ [ق٢٦٥] تَرَكَهُ . متَّفقٌ عليه[2] .

ولمُسلمٍ : وَإِنْ لَمْ يَشْتَهِهِ سَكَتَ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قيلَ لَهُ : أَحَرامٌ الضَّبُّ يا رَسولَ اللهِ ؟ قالَ : « لا ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمي ، فَأَجِدُني أَعافُهُ »[4] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : لَوْ دُعيتُ إِلىٰ كُراعٍ ـ أَي : كُراعِ شاةٍ ـ لأَجَبْتُ ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِراعٌ لَقَبِلْتُ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

فضيلةُ الخَلِّ والتأدُّمِ بِهِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ سأَلَ أَهلَهُ الأُدُمَ ، فقالوا : ما عِندَنا إلاّ خَلٌّ ، فدعا بِهِ ، فجعلَ يأكُلُ منهُ ، ويقولُ : « نِعْمَ الأُدُمُ الخَلُّ » ، رواهُ مُسلمٌ[6] .

ما يفعلُ الضَّيفُ إذا تبعَهُ غيرُ مَنْ دعاهُ صاحبُ الطَّعامِ

وثبتَ أَنَّ رجُلاً دعا النَّبيَّ ﷺ لطعامٍ صنَعَهُ لَهُ خامِسَ خمسةٍ ، فتبعَهم رجُلٌ ، فلمّا بلغَ البابَ ، قالَ النَّبيُّ ﷺ : « إِنَّ هٰذا اتَّبَعَنا ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ » قالَ : لا ، بل آذَنُ لَهُ يا رسولَ اللهِ . متَّفقٌ عليه[7] .

---

(١) أخرجه مُسلم ، برقم (٢٠١٨/ ١٠٣) . عن جابر بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٠٩٣) . ومُسلم برقم (٢٠٦٤/ ١٨٧) عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أخرجه مُسلم ، برقم (٢٠٦٤/ ١٨٨) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٠٧٦) . عن خالد بن الوليدِ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٢٤٢٩) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .
الكراعُ مِنَ البقر والغنم : ما دونَ الرُّكبة مِنَ السّاقِ .

(٦) أخرجه مُسلم ، برقم (٢٠٥٢/ ١٦٦) . عن جابر بن عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما .

(٧) أخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥١٤٥) . ومُسلم برقم (٢٠٣٦/ ١٣٨) . عن عُقبة بن عَمْرٍو رضيَ اللهُ عنهُ .

مِنْ آدابِ الطَّعامِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ رآىٰ رجُلاً يأكُلُ بشمالِهِ ، فقالَ لَهُ : « كُلْ بِيَمينِكَ » ، قالَ : لا أَستطيعُ ، قالَ : « لا ٱسْتَطَعْتَ » ، ما منعَهُ إِلاَّ الكِبْرُ ، فما رَفَعها إِلىٰ فيهِ . رواهُ مُسلمٌ(١) .

الاجتماعُ علىٰ الطَّعامِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ٱجْتَمِعوا عَلىٰ طَعامِكُمْ ، وَٱذْكُروا ٱسْمَ اللهِ يُبارِكْ لَكُمْ فيهِ » ، رواهُ أَبو داودَ وٱبنُ ماجه(٢) .

ما يُقالُ إذا فرغَ مِنَ الطَّعامِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا فَرَغَ مِنَ الطَّعامِ قالَ : «الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ ، حَمْداً كَثيراً ، طَيّباً مُبارَكاً فيهِ ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ ، ولا مَكْفورٍ ، ولا مُوَدَّعٍ ، ولا مُسْتَغْنىً عنهُ رَبَّنا» ، رواهُ البُخاريُّ(٣) .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ اللهَ لَيَرْضىٰ عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْها ، أَو يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْها » ، رواهُ مُسلمٌ(٤) .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا فَرَغَ مِنْ طَعامِهِ قالَ : « الحَمْدُ للهِ الَّذي أَطْعَمنا وَسَقانا وَجَعَلَنا مُسْلِمينَ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ(٥) .

وأَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا أَكَلَ وَشَرِبَ قالَ : « الحَمْدُ للهِ الَّذي أَطْعَمَ وَسَقىٰ ، وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ /لَهُ مَخْرَجاً » ، رواهُ بإِسنادٍ صحيحٍ [ق٢٦٦]

---

(١) أَخرجه مُسلم، برقم (٢٠٢١/ ١٠٧). عن سلمةَ بن الأكوع رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٧٦٤) . وٱبن ماجه برقم (٣٢٨٦) . عن وحشيّ بن حربٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥١٤٣) . عن أَبي أُمامة رضيَ اللهُ عنهُ . **غيرَ مكفيٍّ** : أَي : ما أَكلناهُ ليسَ كافياً عمّا بعده ، بل نعمتك مستمرَّة علينا ، غير منقطعة طول أعمارنا . **ولا مَكفورٍ** : غيرَ مجحود فضله ولا تنكر نعمته . **ولا مودَّعٍ** : من الوداع ، أَي : ليسَ آخِرَ طعامنا .

(٤) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٧٣٤/ ٨٩) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٣٨٥٠) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٥٧) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

أَبو داودَ والنَّسائيُّ[1] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ أَكَلَ طَعاماً ، فقالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي أَطْعَمَني هٰذا الطَّعامَ ، وَرزَقَنيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلا قُوَّةٍ ؛ غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » ، رواهُ أَبو داودَ وٱبنُ ماجه والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسَنٌ[2] .

ما جاءَ في اللَّبَنِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ أَطْعَمَهُ اللهُ طَعاماً ، فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيهِ ، وَأَطْعِمْنا خَيراً مِنْهُ ، وَمَنْ سَقاهُ اللهُ لَبَناً ، فَلْيَقُلِ : اللَّهُمَّ بارِكْ لَنا فيهِ ، وَزِدْنا مِنْهُ . فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِىءُ عَنِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسَنٌ[3] .

ٱستحبابُ التَّنَفُّسِ ثلاثاً خارجَ الإِناءِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إِذا شَرِبَ مِنَ الإِناءِ تَنَفَّسَ ثَلاثَةَ أَنْفاسٍ ، يَحْمَدُ اللهَ في كُلِّ نَفَسٍ ، وَيَشْكُرُهُ في آخِرِهِنَّ . رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[4] .

ٱستحبابُ إكرامِ الضَّيفِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِٱللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ؛ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » ، متَّفقٌ عليه[5] .

ٱستحبابُ ذكرِ اللهِ بعدَ الطَّعامِ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « أَذيبوا طَعامَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ [والصَّلاةِ]، وَلاتَناموا عَلَيْهِ فَتَقْسُوَ [لَهُ] قُلوبُكُمْ»، رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[6] .

---

(١) أَخرجه أَبوداود، برقم (٣٨٥١). عن أَبي أَيّوب الأَنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٤٠٢٣) . وٱبن ماجه برقم (٣٢٨٥) . والتِّرمذيُّ برقم (٣٤٥٨) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٥٥) . عن خالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٧١) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٦٧٢) . ومُسلم برقم (٤٧/ ٧٤) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه ٱبن السُّنّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٤٨٨) . عن عائِشة رضيَ اللهُ عنهما .

فصلٌ

في المعاشرة

إفشاءُ السَّلامِ

وأمَّا أذكارُهُ في المُعاشَرَةِ : كالسَّلامِ ، واللِّقاءِ ، وَتشميتِ العاطِسِ، والدُّعاءِ للمتزوِّجِ وللمَولودِ، وتسميةِ المَولودِ، ونحوِهِم .

فثبتَ أنَّهُ ﷺ قالَ : « حَقُّ المُسْلِمِ عَلىٰ المُسْلِمِ سِتٌّ : إِذا لَقيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذا دَعاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذا ٱسْتَنْصَحَكَ فَٱنْصَحْ لَهُ ، وَإِذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذا ماتَ فَٱتْبَعْهُ » ، رواهُ مُسلمٌ[1] .

وثبتَ أنَّ رجُلاً سَأَلَهُ ﷺ : أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ ؟ قالَ : « تُطْعِمُ الطَّعامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ عَلىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » ، متَّفقٌ عليه[2] .

وروىٰ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ أَنَّ رجُلاً جاءَ إِلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقالَ : السَّلامُ عليكُم ، فَرَدَّ عليهِ السَّلامَ ثمَّ جَلَسَ ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ : « عَشْرٌ » ، فجاءَ آخرُ فقالَ : السَّلامُ / عليكُم ورحمةُ اللهِ ، فَرَدَّ عليهِ وجَلَسَ فقالَ : « عِشرُونَ » ، ثمَّ جاءَ آخرُ فقالَ : السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فَرَدَّ عليهِ فجَلَسَ فقالَ : « ثَلاثونَ » . قالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ[3] .

[ق٢٦٧]

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢١٦٢/ ٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٢) . ومُسلم برقم (٣٩/ ٦٣) . عن عبد اللهِ بن عَمْرو بن العاصِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٣) أَخرجه التِّرمذيُّ، برقم (٢٦٨٩). عن عِمران بن حُصَينٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

وفي روايةٍ لأَبي داودَ زادَ : ثمَّ أَتىٰ آخرُ فقالَ : السَّلامُ عليكُم ورحمَةُ اللهِ وبركاتُهُ ومغفِرَتُه ، فقالَ : « أَربعونَ » ، وقالَ : « هٰكذا تكونُ الفَضائِلُ »[1] .

فضيلـةُ المُبتـدىءِ بالسَّلامِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ أَوْلىٰ النّاسِ بِٱللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ » ، رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ جيِّدٍ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[2] .

ما جاءَ في السَّلامِ علىٰ الصِّبيانِ والنِّساءِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ مَرَّ علىٰ صِبيانٍ فسلَّمَ عليهِم . متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّهُ [ﷺ] مَرَّ علىٰ نِسوةٍ فسلَّمَ عليهنَّ . رواهُ أَبو داودَ وٱبنُ ماجه والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[4] .

ٱستحبابُ أَنْ يُسلِّمَ الرّاكبُ علىٰ الماشي، والصَّغيرُ علىٰ الكبيرِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « يُسَلِّمُ الرّاكِبُ عَلىٰ الماشي ، وَالماشي عَلىٰ القاعِدِ ، وَالقَليلُ عَلىٰ الكَثير » ، متَّفقٌ عليه[5] .

زادَ البُخاريُّ : « والصَّغيرُ عَلىٰ الكَبيرِ »[6] .

ٱستحبابُ السَّلامِ عندَ دخولِ المجلسِ وعندَ الخروجِ منهُ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِذا ٱنتهىٰ أَحَدُكُم إِلىٰ المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ ، فَإِذا أَرادَ أَنْ يَقومَ فَلْيُسَلِّمْ ، فَلَيْسَتِ الأُولىٰ بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ » ، رواهُ

---

(١) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥١٩٥) . عنهُ .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥١٩٧) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٦٩٤) . عن أَبي أُمامةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٩٣) . ومُسلم برقم (٢١٦٨/١٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٢٠٤) . وٱبن ماجه برقم (٣٧٠١) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٦٩٧) . عن أَسماء بنت يزيد رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٧٨) . ومُسلم برقم (٢١٦٠/١) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٦) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٧٧) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

أَبو داودَ بإِسنادٍ جيِّدٍ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[1] .

استحبابُ الاستئذانِ ثلاثاً

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « الاسْتِئْذانُ ثلاثٌ ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ ، وَإِلاَّ فَٱرْجِعْ » ، متَّفقٌ عليه[2] .

تحريمُ النَّظرِ في بيتِ غيرِه

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّما جُعِلَ الاسْتِئْذانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ » ، متَّفقٌ عليه[3] .

وأَنَّ رجُلاً دخلَ عليه [ﷺ] فقالَ لَهُ : « ٱرْجِعْ ، فَقُلْ : السَّلامُ عَلَيْكُمْ ، أَأَدْخُلُ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[4] .

استحبابُ المُصافحةِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقيانِ فَيَتَصافَحانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُما قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقا » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ وٱبْنُ ماجه[5] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « تَصافَحوا يَذْهَبِ الغِلُّ مِنْ قُلوبِكُمْ ، وَتَهادَوا تَحابّوا ، وَتَذْهَبِ الشَّحْناءُ » ، رواهُ الإِمامُ مالكٌ[6] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِذا ٱلتَقَىٰ المُسْلِمانِ فَتَصافَحا ، وَحَمِدا اللهَ

---

(1) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٢٠٨) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٧٠٦) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(2) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢١٥٣/ ٣٤) . عن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(3) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٨٧) . ومُسلم برقم (٢١٥٦/ ٤٠) . عن سهل بن سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(4) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٧١٠) . عن كَلَدةَ بن حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(5) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٢١٢) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٧٢٧) . وٱبن ماجه برقم (٣٧٠٣) . عن البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهما .

(6) أَخرجه مالك في « الموطّأ » ، كتاب (٤٧) ، برقم (١٦) . عن عطاء بن مُسلم الخُراسانيّ مرفوعاً .

تعالىٰ ، وَٱسْتَغْفَرا ، غَفَرَ اللهُ تعالىٰ لَهُما » ، رواهُ ٱبنُ / السُّنِّيِّ[1] . [ق٢٦٨]

ورویٰ أَيضاً ـ [أَي : ٱبنُ السُّنِّيِّ] ـ ما أَخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بيدِ رجُلٍ ففارَقَهُ حتّىٰ قالَ : « اللَّهُمَّ ﴿ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ »[2] .

ما جاءَ في العُطاسِ والتَّثاؤبِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إنّ اللهَ يُحِبُّ العُطاسَ ، وَيَكْرَهُ التَّثاؤُبَ ، فإذا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ تعالىٰ كانَ حَقّاً علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقولَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ . وَأَمّا التَّثاؤُبُ ؛ فإنَّما هُوَ مِنَ الشَّيْطانِ ، فَإِذا تَثاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ ما ٱسْتَطاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا تَثاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطانُ » ، رواهُ البُخاريُّ[3] .

وزادَ في روايةٍ : « فَإِذا قالَ لَهُ صاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَلْيَقُلْ : يَهْديكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بالَكُمْ »[4] ـ أَي : شأْنَكُمْ ـ .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ إذا جاءَهُ العُطاسُ وضعَ يدَهُ أَو ثوبَهُ علىٰ فيهِ ، وخفضَ بها صوتَهُ . رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ[5] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إذا تَثاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ علىٰ فيهِ ، فَإِنَّ

---

(١) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (١٩٣) . عن البراء بن عازبٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ في « عمل اليوم واللَّيلة » ، برقم (٢٠٤) . عن أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ . والآيةُ في سورة البقرة ٢ / ٢٠١ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٧٢) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٧٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥٠٢٩) . والتِّرمذيُّ برقم (٢٧٤٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

الشَّيْطانَ يَدْخُلُهُ » ، رواهُ مُسلمٌ[1] .

خُطبةُ النِّكاحِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ علَّمَهُم خُطبةَ النِّكاحِ : « الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعوذُ بِاللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنا ، وَسَيِّئاتِ أَعْمالِنا ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هادِيَ لَهُ .

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسولُهُ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عِمران ٣/ ١٠٢] ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [سورة النِّساء ٤/ ١] ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأَحزاب ٣٣/ ٧٠ ـ ٧١] . رواهُ أَصحابُ السُّنَنِ الأَربعةُ . وقالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ[2] .

الدُّعاءُ للمُتزوِّج [ق٢٦٩]

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ دعا للمُتزوِّجِ : « بارَكَ اللهُ عَلَيْكَ » ، متَّفقٌ عليه[3] / .

وعند أَبي داودَ والتِّرمذيِّ وابنِ ماجه : « بارَكَ اللهُ لَكَ ، وَبارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُما في خَيْرٍ » ، قالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[4] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢٩٩٥/ ٥٧) . عن أَبي سعيد الخُدْريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٢) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١١٠٥) . والنَّسائيُّ برقم (١٤٠٤) . وأَبو داود برقم (١٠٩٧) . وابن ماجه برقم (١٨٩٢) . عن عبد اللهِ بن مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠٢٤) . ومُسلم برقم (٧١٥/ ٥٤) . عن جابر بن عبد اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢١٣٠) . والتِّرمذيُّ برقم (١٠٩١) . وابن ماجه برقم (١٩٠٥) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

ما يُستحبُّ أنْ يقولَهُ عندَ الجِماعِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذا جامَعَ أَهْلَهُ قالَ : بِٱسمِ اللهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ ، وَجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا ، فَقُضِيَ بَيْنَهُما بِوَلَدٍ لَمْ يَضُرَّهُ » ، متَّفقٌ عليه[1] . وفي روايةٍ للبُخاريِّ : « لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطانٌ أَبَداً »[2] .

لا نِكاحَ إلاّ بوليٍّ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « لا نِكاحَ إِلاّ بِوَلِيٍّ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه » والحاكِمُ وصحَّحَهُ[3] .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « السُّلْطانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ » ، رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ وٱبنُ خُزيمةَ في « صحيحه »[4] .

الرُّخصةُ في اللَّعبِ الَّذي لا حُرمَةَ فيهِ

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها ، قالت : رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يَسْتُرُني بِردائِهِ ، وَأَنا أَنْظُرُ إِلىٰ الحَبَشَةِ يَلْعَبونَ في (المَسْجِدِ) ، حَتّىٰ أَكونَ أَنا الَّذي أَسْأَمُ ، فَٱقْدُروا قَدْرَ الجارِيَةِ الحَديثَةِ السِّنِّ ، الحَريصَةِ عَلىٰ اللَّهْوِ[5] .

حُسنُ مُعاشرةِ الأَهلِ مِنْ كمالِ الإِيمانِ

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ المُؤْمِنينَ إِيماناً أَحْسَنَهُمْ

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (١٤١) . ومُسلم برقم (١٤٣٤/١١٦) . عن عبد اللهِ بن عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٦٠٢٥) . عنهُ .

(٣) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٠٨٥) . والتِّرمذيُّ برقم (١١٠١) . والحاكم في « المستدرك » ، ج٢/١٦٩ . عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٢٠٨٣) . والتِّرمذيُّ برقم (١١٠٢) . عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٤٩٣٨) . ومُسلم برقم (٨٩٢/١٨) . **الحَبَشَةُ** : هم جنس من السّودان مشهور .

خُلُقاً ، وَأَلْطَفَهُمْ لأَهْلِهِ » ، رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[1] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ أَذَّنَ في أُذُنِ الحَسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما . رواهُ أَبو داودَ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[2] .

ما جاءَ في أحكامِ المولودِ

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « مَنْ وُلِدَ لَهُ مَولودٌ فَأَذَّنَ في أُذُنِهِ اليُمْنىٰ ، وَأَقامَ في أُذُنِهِ اليُسرىٰ ؛ لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبيان » . رواهُ ٱبنُ السُّنِّيِّ[3] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ كانَ يُؤْتىٰ بِالصِّبيانِ فيدعو لَهُمْ بالبركَةِ ، وَيُحَنِّكُهُمْ . رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ صحيحٍ[4] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ أمرَ بتسميةِ المَولودِ يومَ سابعِهِ ، ووضعِ الأَذىٰ عنهُ والعَقِّ . رواهُ التِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حَسنٌ[5] .

وروىٰ أَيضاً ـ [أَي : التِّرمذيُّ] ـ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « كُلُّ غُلامٍ /رَهينٌ بِعَقيقَتِهِ ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سابِعِهِ ، وَيُحْلَقُ ، ويُسَمّىٰ » . قالَ التِّرمذيُّ : حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ[6] . [ق٢٧٠]

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّكُم تُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيامَةِ بِأَسْمائِكُمْ ، وَأَسْماءِ آبائِكُمْ ؛ فَأَحْسِنوا أَسْماءَكُمْ » ، رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ جيِّدٍ[7] .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٦١٢) . عن عائِشةَ رضيَ اللهُ عنها .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥١٠٥) . والتِّرمذيُّ برقم (١٥١٤) . عن أَسلم مولىٰ رسولِ اللهِ .

(٣) أَخرجه ٱبن السُّنِّيِّ ، برقم (٦٢٣) . عن الحسين بن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما . **أُمُّ الصِّبيان** : التّابعَةُ من الجنِّ .

(٤) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٥١٠٦) . عن عائِشة رضيَ اللهُ عنها .

(٥) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٢٨٣٢) . عن عبداللهِ بن عَمْرو رضيَ اللهُ عنهُما .

(٦) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (١٥٢٢) . عن سَمُرَةَ بن جندبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٧) أَخرجه أَبي داود ، برقم (٤٩٤٨) . عن أَبي الدَّرداء رضيَ اللهُ عنهُ .

وأَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ أَحَبَّ أَسْمائِكُمْ إِلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحمٰنِ » ، رواهُ مُسلمٌ[1] .

وأَنَّـهُ ﷺ قـال : « تَسَمَّـوْا بِـأَسْمـاءِ الأَنبيـاءِ » ، رواهُ أَبـو داودَ والنَّسائيُّ[2] .

وفي « صحيحي البُخاريِّ ومُسلمٍ » ، أَنَّهُ ﷺ قالَ : « إِنَّ أَخْنَعَ ٱسْمٍ عِنْدَ اللهِ ـ أَي : أَوْضَعَ وأَذَلَّ ـ رَجُلٌ تَسَمّىٰ مَلِكَ الأَمْلاكِ » . زادَ مُسلمُ : « لا مالِكَ إِلاّ اللهُ » . قالَ ٱبنُ عُيينَةَ : ومثلُ مَلِكِ الأَملاكِ شاهانْ شاهْ . متَّفقٌ عليه[3] .

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ غيَّرَ ٱسْمَ حَزْنٍ، فقالَ: «أَنْتَ سَهْلٌ»، رواهُ البُخاريُّ[4] .

وغيّرَ ٱسمَ عاصِيَةَ ، فقالَ : « أَنْتِ جَميلَة » ، رواهُ مُسلمٌ[5] .

وغيّرَ ٱسمَ أَصرَمَ ، فقالَ : « أَنْتَ زُرْعَةُ » ، رواهُ أَبو داودَ بإِسنادٍ حَسنٍ[6] .

وسَمّىٰ حَرْباً : « سِلْماً » ، رواهُ أَبو داودَ أَيضاً[7] .

---

(١) أَخرجه مُسلم ، برقم (٢١٣٢) . عن عبد الله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) أَخرجه أَبو داود ، برقم (٤٩٥٠) . والنَّسائيُّ برقم (٣٥٦٥) . عن أَبي وَهْبٍ الحبشي رضيَ اللهُ عنهُ .

(٣) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٥٣) . ومُسلم برقم (٢١٤٣/ ٢٠) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

(٤) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٥٨٣٧) . عن المسيَّب بن حزن رضيَ اللهُ عنهُ .

(٥) أَخرجه مُسلم، برقم (٢١٣٩/ ١٤). عن عبدالله بن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٦) أَخرجه أَبوداود، برقم (٤٩٥٤). عن أُسامةَ بن أَخدريٍّ رضيَ اللهُ عنهُ.

(٧) أَخرجه أَبوداود، برقم (٤٩٥٦). عن حزن بن أَبي وَهَبٍ رضيَ اللهُ عنهُ.

وثبتَ أَنَّهُ ﷺ قالَ : « تَسَمَّوْا بِٱسْمي ، وَلا تَكْتَنوا بِكُنْيَتي » ، متَّفقٌ عليه[١] .

قالَ الشَّيخُ مُحيي الدّين النَّوويُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ: ذهبَ الإمامُ الشّافعيُّ ـ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ـ إلىٰ تحريمِ التَّكَنّي بأَبي القاسِمِ مُطلقاً ، أَخذاً بظاهِرِ النَّهي ، وذهبَ مالِكٌ ـ رحمَه اللهُ تعالىٰ ـ إلىٰ أَنَّ النَّهيَ خاصٌّ بحياتِهِ ﷺ .

قالَ الإمامُ النَّوويُّ : وهوَ قوِيٌّ ، لأَنَّ الأَئمةَ الأَعلامَ لا يزالونَ يَكْتَنونَ بأَبي القاسِمِ في جميعِ الأَعصارِ ، فيكونونَ قد فهِموا مِنَ النَّهي ذٰلكَ لِما هوَ مشهورٌ مِنْ نداءِ اليهودِ بحضرتِهِ : يا أَبا القاسم ، ويقولونَ أَردنا غيرَكَ للإِيذاءِ ، وقد زالَ هٰذا المَعنىٰ . واللهُ أَعلمُ[٢] .

---

(١) أَخرجه البُخاريُّ ، برقم (٣٣٤٥) . ومُسلم برقم (٣/٢١٣٣) عن جابر بن عبدَ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُما .

(٢) الأَذكار ، للنَّوويِّ ، ص٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

فصل الختام

قالَ ﷺ : « مَنْ جَلَسَ في مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فيه لَغَطُهُ ، فقالَ قَبْلَ أَنْ يَقومَ مِنْ مَجْلِسِهِ / ذٰلكَ : سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَن لا إِلٰهَ إِلاّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتوبُ إِليكَ ؛ إِلاّ غُفِرَ لَهُ ما كانَ في مَجْلِسِهِ ذٰلكَ » ، رواهُ أَبو داودَ والنَّسائيُّ والتِّرمذيُّ ، وقالَ : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ، وٱبنُ حبّانَ في « صحيحه »[1] .

في كفارة المجلس [ق٢٧١]

ورویٰ الحافظُ أَبو نُعيمٍ ، عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّهُ قالَ : مَنْ أَحبَّ أَن يَكتالَ بالمكيالِ الأَوفىٰ فليَقُلْ في آخِرِ مجلسِهِ ـ أَو حينَ يقومُ ـ : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الصّافّات ٣٧/ ١٨٠ ـ ١٨٢] .

تمَّ الكتابُ بحمدِ الله وعونه وحُسنِ توفيقه

نسأَلُ اللهَ أَنْ ينفعَنا به ، ويرزُقَنا العملَ بما فيه ، وشفاعَةَ قائِلِهِ يومَ لقائِهِ ﷺ .

---

(١) أَخرجه التِّرمذيُّ ، برقم (٣٤٣٣) . عن أَبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ .

خاتمةُ مخطوط (دار الكتب المصرية) : ووافقَ الفراغَ منهُ ظُهرَ يومِ الإثنين المبارك ، فجر الشّهور محرَّم سنة ١١٠٤هـ ، أَحسنَ اللهُ ختامَهُ ، وصلّىٰ اللهُ علىٰ سيّدنا محمَّدٍ أَفضلَ الصَّلاةِ والسَّلامِ .

خاتمةُ مخطوط (مكتبة الأَحقاف ، بتريم) : آخرُ بصيرة الحضرة الأَحمديَّة الشّاهية بسيرة الحضرة الأَحمديَّة النَّبويَّة ، تأليفُ الإمامِ الهُمامِ العلاّمة جمال الدّين محمَّد بن عمر بحرق ، رضيَ اللهُ عنهُ ، ونفعَ به ، آمين .

وكان الفراغ من رقم ذٰلكَ يوم الأَربعاء سادسَ عشرَ شهر القَعدة ، سنة ١٢٤١هـ ، إحدىٰ وأَربعين ومائتين وألف ، والحمد للهِ ربِّ العالمين .

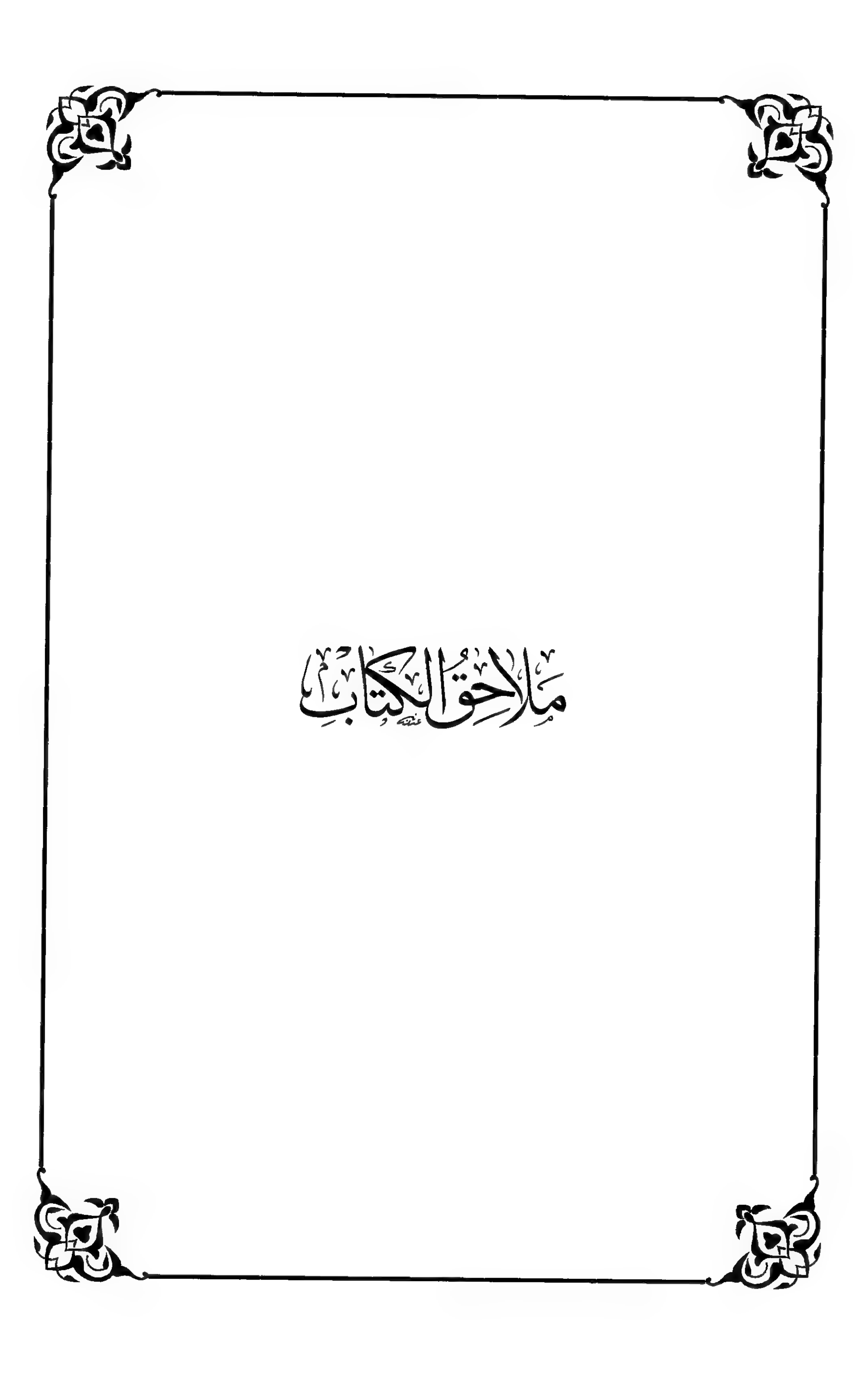
خاتمةُ مخطوط (الأَنصاري) : وكانَ الفَراغُ من نسخ هذه السّيرة المباركة نهارَ الإثنين ثاني وعشرينَ يوماً عن محرَّمِ الحرامِ في البلدِ الحرام ، أَحدِ شهور سنة ٩٣٨ من الهجرة النّبويَّة ، علىٰ صاحبها أَفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ ، علىٰ يدِ العبد الفقير إِلىٰ كرم الله الغني : عليّ بن عبدِ النّاصرِ المِصريّ ، لنفسِهِ ولمن شاءَ اللهُ مِنْ بعدِهِ .

بَلَغْـتُ بِحَمْـدِ ٱللهِ فـي ٱلخَـطِّ آخِـرَهْ
وَسَـوفَ أُلاقـي بَعْـدَ دُنْيـايَ آخِـرَهْ

فَيـا قـارِئـاً خَطّـي إِذا مـا قَـرَأْتَـهُ
فَكُـنْ داعيـاً أَنْ يَـرْحَـمَ ٱللهُ ساطِـرَهْ

يُجِبْـكَ كـريـمٌ بَـلْ يُثِبْـكَ بِمِثْـلِ مـا
دَعَـوْتَ فَمَهْمـا شِئْـتَ فَلْتَـكُ ذاكِـرَهْ

وصلّىٰ اللهُ عَلىٰ سيّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّمَ .



مَلاحِقُ الكِتابِ

ثبتٌ تاريخيٌّ متسلسلٌ
لأحداث السِّيرة النَّبويَّة وأهمّ التّشريعات (*)

الحدث	التاريخ	الصفحة
- ولادةُ النَّبيِّ ﷺ	١٢ ربيع الأوَّل - عام الفيل	٥٩-١٠٥
- خروجُ النَّبيِّ ﷺ مع أُمِّه إلى (المدينة) ووفاتها	السَّنة السَّادسة من مولده	٥٩-١١٢
- وفاةُ جدِّه عبد المُطَّلب وكفالة عمِّه أبي طالب له	السَّنة الثَّامنة من مولده	٦٠-١١٥
- خروجُ النَّبيِّ ﷺ مع عمِّه أبي طالب في تجارة إلى (الشَّام)	السَّنة الثانية عشرة من مولده	٦٠-١١٥
- شهودُ النَّبيِّ ﷺ حرب الفِجار	السَّنة الرَّابعة عشرة من مولده	٦٠-١١٦
- شهودُ النَّبيِّ ﷺ حلف الفضول	السَّنة العشرين من مولده	٦٠-١١٦
- خروجُ النَّبيِّ ﷺ مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها	السَّنة الخامسة والعشرين من مولده	٦٠-١١٦
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من خديجة بنت خويلد رضي اللهُ عنها	السَّنة الخامسة والعشرين من مولده	٦٠-١١٧
- بنيانُ الكعبة ومشاركة النَّبيِّ ﷺ	السَّنة الخامسة والثَّلاثين من مولده	٦٠-١١٩
- حبُّ النَّبيِّ ﷺ للخلوة	السَّنة الثامنة والثَّلاثين من مولده	٦٠-١٢٠
- بدء الوحي	السَّنة الأَربعين من مولده وهي (السَّنة الأُولى للبعثة)	٦١-١٢٠
- هجرة الحبشة الأُولى	رجب - السَّنة الخامسة للبعثة	٦١-١٨٦
- هجرة الحبشة الثَّانية	السَّنة السَّادسة للبعثة	٦١-١٨٩
- صحيفة المقاطعة	محرَّم - السنة السَّابعة للبعثة	٦١-١٨٩
- نقض الصَّحيفة	السَّنة التَّاسعة للبعثة	٦١-١٨٩
- وفاة أَبي طالب	السَّنة العاشرة للبعثة	٦١-١٩٢
- وفاة خديجة رضي اللهُ عنها	السَّنة العاشرة للبعثة	٦١-١٩٣

(*) انظر ص (٨) فقرة (٦).

الحدث	التــاريخ	الصفحة
- زواج النَّبيِّ ﷺ من سودة بنت زَمْعَةَ رضيَ اللهُ عنها	السَّنة العاشرة للبعثة	
- اشتداد إيذاء قريش للنَّبيِّ ﷺ بعد وفاة أبي طالب	السَّنة العاشرة للبعثة	
- خروج النَّبيِّ ﷺ إلى (الطّائف)	السَّنة العاشرة للبعثة	٦٢-١٩٧
- عرضُ النَّبيِّ ﷺ نفسَه على القبائل ومن يَقْدُم مكَّة من الأَشراف	ذي القعدة - السَّنة العاشرة للبعثة	
- عقد نكاح عائشة بنت أبي بكر رضيَ اللهُ عنهما	شوَّال السَّنة الحادية عشرة للبعثة	٢٠٣
- الإسراء والمعراج	رمضان - السَّنة الثّانية عشرة للبعثة	٦٢-٢١٦
- فرض الصلاة	بعد الإسراء - السَّنة الثّانية عشرة للبعثة	٦٢-٢١٦
- ابتداء أمر الأنصار	ذي الحجَّة - السنة الثانية عشرة للبعثة	٦٢-٢٠١
- بيعة العقبة الأُولى	ذي الحجَّة - السنة الثانية عشرة للبعثة	٦٢-٢٠٢
- بعث مصعب بن عمير رضي الله عنهُ إلى (المدينة) وانتشار الإسلام فيها	السَّنة الثّانية عشرة للبعثة	٦٢-٢٠٣
- بيعة العقبة الثّانية	السَّنة الثّالثة عشرة للبعثة	٦٢-٢٠٤
- هجرة النَّبيِّ ﷺ إلى (المدينة)	صفر - السَّنة الرابعة عشرة للبعثة. وهي (السَّنة الأُولى للهجرة)	٦٣-٢٠٩
- بناء المسجد النَّبويِّ	صفر - السَّنة الأُولى للهجرة	٦٣-٢٥٥
- مشروعيّة الأَذان	السَّنة الأولى للهجرة	٦٣-٢٦٢
- المؤاخاة بين المسلمين	جمادى الآخرة - السَّنة الأُولى للهجرة	٢٦٤

الحدث	التاريخ	الصفحة
ـ فرضُ الجهاد	السَّنة الأُولى للهجرة	٦٣-٢٦٢
ـ سرية حمزة بن عبد المطلب رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ساحل البحر)	رمضان ـ السَّنة الأُولى للهجرة	
ـ سرية عبيد بن الحارث رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ثنيَّة المَرَة)	شوّال ـ السَّنة الأُولى للهجرة	
ـ زواج النَّبيِّ ﷺ من عائشة رضيَ اللهُ عنها	شوّال ـ السَّنة الأُولى للهجرة	٦٣-٢٧٣
ـ سرية سعد بن أبي وقّاص رضيَ اللهُ عنه إلى (الخرَّار) من أرض الحجاز	ذي القعدة ـ السَّنة الأُولى للهجرة	
ـ غزوة وَدّان (الأَبواء)	صفر ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ غزوة بُوَاط من ناحية (رضوى)	ربيع الأوَّل ـ السَّنة الثَّانية للهجرة	
ـ غزوة العُشَيْرَة من بطن (ينبع)	جمادى الآخرة ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ غزوة سَفَوان (بدر الأولى)	جمادى الأُولى ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ سرية عبد الله بن جحش رضيَ اللهُ عنهُ إلى (نخلة)	رجب ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ صرفُ القِبلة	رجب ـ السَّنة الثّانية للهجرة	٦٣-٢٦٤
ـ فرض الصّيام والزَّكاة	شعبان ـ السَّنة الثّانية للهجرة	٦٣-٢٦٧
ـ سرية عمير بن عدي رضيَ اللهُ عنهُ لقتل عصماء بنت مروان	السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ غزوة بدر الكبرى	١٧ رمضان ـ السَّنة الثّانية للهجرة	٦٣-٢٦٨
ـ وفاةُ رقيَّة بنت النَّبيِّ ﷺ	رمضان ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ زواجُ عليّ بن أبي طالب من فاطمة رضيَ اللهُ عنهُما	مرجعَهُ من بدر ـ السَّنة الثّانية للهجرة	
ـ سريَّة سالم بن عُمير رضيَ اللهُ عنهُ لقتل أبي عَفَك	شوال ـ السَّنة الثّانية للهجرة	

الحدث	التاريخ	الصفحة
- غزوةُ بني قَيْنُقاع	شوال - السَّنة الثّانية للهجرة	٢٧٧-٦٤
- غزوةُ السَّوِيق	شوال - السَّنة الثّانية للهجرة	
- غزوةُ بني سُليم (غزوة قَرْقَرَةِ الكُدْرِ)	شوال - السَّنة الثّانية للهجرة	
- سريَّةُ محمَّد بن مسلمة رضيَ اللهُ عنهُ لقتل كعب بن الأَشرف اليهوديِّ	ربيع الأوَّل - السَّنة الثّالثة للهجرة	٢٧٤-٦٤
- غزوة ذي أَمَرَّ (غزوة غَطَفان بنجد)	ربيع الأوَّل - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- سريَّةُ زيد بن حارثة رضيَ اللهُ عنهُ إلى القَرَدَةِ	ربيع الأوَّل - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- غزوةُ الفُرُعِ من بُحران	ربيع الآخر - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- سريَّةُ عبد الله بن عتيك رضيَ اللهُ عنهُ لقتل سلّام بن أَبي الحُقَيق	جمادى الأُولى - السَّنة الثّالثة للهجرة	٢٧٤-٦٤
- زواجُ أُمِّ كلثوم رضيَ اللهُ عنها	شعبان - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من حفصة رضيَ اللهُ عنها	رمضان - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من زينب بنت خزيمة رضيَ اللهُ عنها	١٤ شوّال - السَّنة الثّالثة للهجرة	
- غزوة أُحد	١٥ شوّال - السَّنة الثّالثة للهجرة	٢٧٧-٦٤
- غزوةُ حَمْراء الأَسد	محرَّم - السَّنة الرّابعة للهجرة	٢٨٣-٦٥
- سريَّة أَبي سلمة رضيَ اللهُ عنهُ إلى (قَطَن)	صفر - السَّنة الرّابعة للهجرة	
- سريَّةُ الرَّجيع	صفر - السَّنة الرّابعة للهجرة	٢٨٦-٦٥
- سريَّةُ بئر معونة	ربيع الأَوَّل - السَّنة الرّابعة للهجرة	٢٨٨-٦٥
- غزوةُ بني النَّضير	ربيع الأَوَّل - السَّنة الرّابعة للهجرة	٢٩٠-٦٦
- تحريم الخمر	شعبان - السَّنة الرّابعة للهجرة	
- غزوةُ بدر الآخرة		

الحدث	التـــاريخ	الصفحة
ـ زواجُ النَّبيِّ ﷺ من أُمِّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها	شوّال ـ السَّنة الرّابعة للهجرة	
ـ غزوةُ دُوْمَةِ الجَنْدَل	ربيع الأوَّل ـ السَّنة الخامسة للهجرة	
ـ غزوةُ بني المُصْطَلِق	شعبان ـ السَّنة الخامسة للهجرة	٢٩٤-٦٧
ـ حديثُ الإفك	شعبان ـ السَّنة الخامسة للهجرة	٢٩٨-٦٨
ـ زواجُ النَّبيِّ ﷺ من زينب بنت جحش رضيَ اللهُ عنها	ذي القعدة ـ السَّنة الخامسة للهجرة	٣١٦-٦٩
ـ زواجُ النَّبيِّ ﷺ من جويرية بنت الحارث رضيَ اللهُ عنها	شعبان ـ السَّنة الخامسة للهجرة	
ـ غزوةُ الخندق (الأَحزاب)	شوّال ـ السَّنة الخامسة للهجرة	٣٠٧-٦٨
ـ غزوةُ بني قُريظة	ذي القعدة ـ السَّنة الخامسة للهجرة	٣١٣-٦٩
ـ سريَّةُ محمَّد بن مسلمةَ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (القُرَطاء)	محرَّم ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ غزوةُ بني لَحْيان	ربيع الأول ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ سريَّةُ عُكَّاشة بن مِحصن رضيَ اللهُ عنهُ إلى (الغَمْر)	ربيع الأول ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ سريَّةُ محمَّد بن مَسلمة رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ذي القَصَّة)	ربيع الأول ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ سريَّة أَبي عُبيدة بن الجراح رضيَ اللهُ عنه إلى (ذي القَصَّة)	ربيع الآخر ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ سريَّةُ زيد بن حارثة رضيَ اللهُ عنهُ إلى بني سُلَيم بـ(الجَمُوم)	ربيع الآخر ـ السَّنة السّادسة للهجرة	
ـ سريَّةُ زيد بن حارثة رضيَ اللهُ عنهُ إلى (العِيص)	جمادى الأُولى ـ السَّنة السّادسة للهجرة	

الحدث	التـــاريخ	الصفحة
ـ زواج النَّبيِّ ﷺ من أُمِّ حبيبة بنت أَبي سفيان رضيَ اللهُ عنهما	السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ غزوة ذات الرِّقاع (غزوة نجد)	جمادى الأُولى ـ السَّنة السّابعة للهجرة	٦٦-٢٩٣
ـ سريَّةُ أَبي بكر رضيَ الله عنهُ إلى بني كِلاب بـ(نجد)	شعبان ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ سريَّة عمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ إلى (تُرَبَة)	شعبان ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ سريَّة بشير بن سعد الأنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (فَدَك)	شعبان ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ سريَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيثيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى أَرض بني مُرَّة	رمضان ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ سريَّة بشير بن سعد الأنصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (يَمْنٍ وجناب)	شوّال ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ عُمْرَةُ القضاء	ذي القعدة ـ السَّنة السّابعة للهجرة	٧٢-٣٤١
ـ زواجُ النَّبيِّ ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضيَ اللهُ عنها	آخر ذي القعدة ـ السَّنة السّابعة للهجرة	٧٢-٣٤١
ـ سريَّةُ ابن أَبي العَوْجاء السُّلَمِيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (بني سُلَيم)	ذي الحجَّة ـ السَّنة السّابعة للهجرة	
ـ وفاة زينب بنت النَّبيِّ ﷺ	محرَّم ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ خالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُ إلى (قيس) من قُريش	السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيثيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى بني المُلَوِّح بـ(الكديد)	صفر ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	

الحدث	التـاريخ	الصفحة
ـ سريَّةُ غالب بن عبد الله اللَّيْثيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بـ(فَدَك)	صفر ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ شُجاع بن وَهْب الأسديّ إلى بني عامر بـ(السِّيِّ)	ربيع الأوَّل ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ كعب بن عُمير الغِفاريّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ذات أَطلاح)	ربيع الأوَّل ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ غزوةُ مُؤْتة	جمادى الأُولى ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٢-٣٤٣
ـ سريَّةُ عَمرو بن العاصي رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ذات السلاسل)	جمادى الآخرة ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ أبي عُبيدة بن الجراح رضيَ اللهُ عنهُ إلى (سيف البحر) أَو (سريَّة الخَبَط)	رجب ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ أَبي قتادة بن رِبْعِيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (خَضِرَة) بنجد	شعبان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ ابن أَبي حَدْرَد رضيَ اللهُ عنهُ إلى (الغابة)	شعبان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ سريَّةُ ابن أَبي حَدْرَد رضيَ اللهُ عنهُ إلى (بطن إضَمٍ)	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة قبل الفتح	
ـ غزوةُ فتح مكَّة	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٣-٣٤٥
ـ تحريمُ بيع الخمر والميتة ونكاح المتعة	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ زواج النَّبيِّ ﷺ من مُلَيْكَة بنت كعب	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ غزوةُ حُنين	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٤-٣٥٣
ـ سريَّةُ أَوْطاس	رمضان ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٤-٣٥٦
ـ سريَّةُ الطُّفيل بن عَمرو الدَّوْسيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ذي الكفَّين)	شوّال ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	

الحدث	التـاريخ	الصفحة
ـ غزوة الطّائف	شوّال ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٤-٣٥٨
ـ عُمرةُ الجِعْرانة	ذي القعدة ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٤-٣٦٤
ـ زواجُ النَّبيِّ ﷺ من عَمرة بنت يزيد الكِلابيَّة، ولم يدخل بها	ذي القعدة ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	
ـ ولادة إبراهيم ابن النَّبيِّ ﷺ	ذي الحجَّة ـ السَّنة الثّامنة للهجرة	٧٥-٣٦٤
ـ عام الوفود	السَّنة التّاسعة للهجرة	٧٥-٣٦٥
ـ بعثُ العمّال والأُمراء على الصَّدقات	محرَّم ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ سريَّةُ قُطْبَة بن عامر رضيَ اللهُ عنه إلى (خَثْعَم)	صفر ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ سريَّةُ الضَّحَّاك بن سُفيان إلى (بني كِلاب)	ربيع الأوَّل ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ سريَّةُ عَلقمة بن مُجَزِّز المُدْلِجيّ رضيَ اللهُ عنهُ إلى (ذي قَرَد)	ربيع الآخر ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ سريَّةُ عُكَّاشة بن مِحصن رضيَ اللهُ عنهُ إلى (الجناب)	ربيع الآخر ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ سريَّةُ عليّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنهُ إلى (الفَلْس)	ربيع الآخر ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ وفاةُ النَّجاشيّ	رجب ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	٧٦-٣٧٧
ـ غزوة تبوك	رجب ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	٧٦-٣٧١
ـ وفاةُ أُمِّ كلثوم رضيَ اللهُ عنها	شعبان ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ نزول آيات تحريم الرِّبا	السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ بعثُ أَبي موسى الأشعريّ ومعاذ بن جبل رضيَ اللهُ عنهُما إلى (اليمن)	السَّنة التّاسعة للهجرة	
ـ حجُّ أبي بكر رضيَ اللهُ عنهُ بالنّاس وبعثُ النَّبيِّ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ بصدر براءَة	ذي الحجَّة ـ السَّنة التّاسعة للهجرة	٧٧-٣٧٨

الحدث	التــاريخ	الصفحة
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من الشَّنْبَاء بنت عَمرو الغِفاريَّة	ربيع الأوَّل - السَّنة العاشرة للهجرة	
- وفاةُ إبراهيم ابن النَّبيِّ ﷺ	ربيع الأوَّل - السَّنة العاشرة للهجرة	٣٦٤-٧٥
- سريَّة خالد بن الوليد رضيَ اللهُ عنهُ إلى بني الحارث بن كعب بـ(نجران)	ربيع الآخر - السَّنة العاشرة للهجرة	
- بعثُ النَّبيِّ ﷺ عَمرو بن حَزْم رضيَ اللهُ عنهُ إلى (اليمن) ليُفَقِّهَهُم في الدّين	جمادى الأولى - السَّنة العاشرة للهجرة	
- سريَّةُ عليّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنهُ إلى مَذْحِج بـ(اليمن)	رمضان - السَّنة العاشرة للهجرة	
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من أَسماء بنت النُّعمان الكِنديَّة	السَّنة العاشرة للهجرة	
- زواجُ النَّبيِّ ﷺ من قَتيلة بنت قيس	السَّنة العاشرة للهجرة	
- حجَّة الوداع	ذي الحجَّة - السَّنة العاشرة للهجرة	٣٨٠-٧٧
- سريَّةُ أُسامة بن زيد رضيَ اللهُ عنهما	آخر صفر - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٨٢-٧٨
- وفاة النَّبيِّ ﷺ	٢ ربيع الأول - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٨٨-٧٨
- أَمر سقيفة بني ساعدة	ربيع الأوَّل - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٩١
- مبايعة أبو بكر الصِّدِّيق رضيَ اللهُ عنهُ بالخلافة	ربيع الأوَّل - السَّنة الحادية عشرة للهجرة	٣٩١

ثبت بأسماء وفود القبائل
التي جاءت تبايع بالإسلام

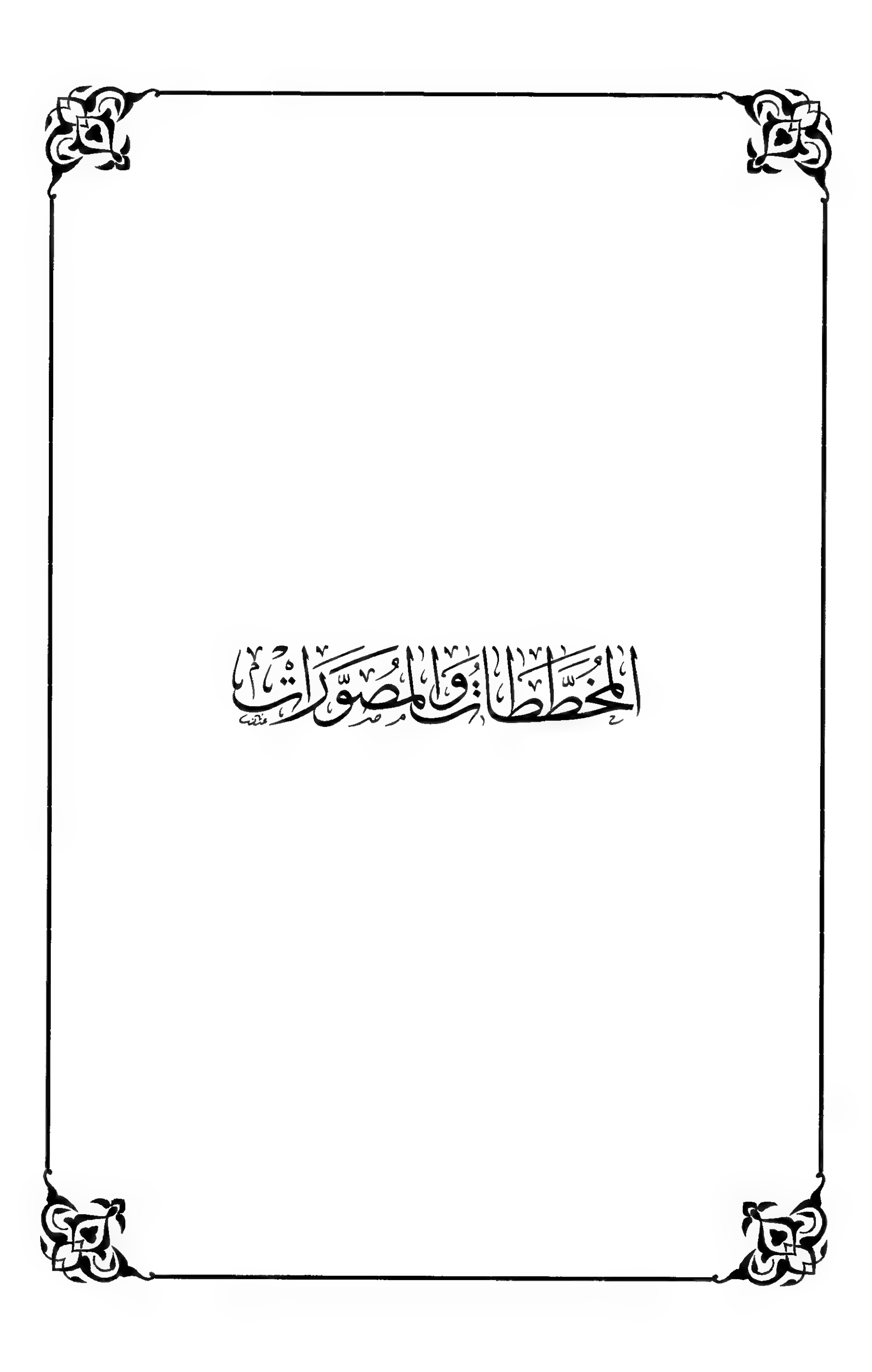
اسم الوفد وزمن قدومه

وفود الجن (١٠ قبل البعثة)
وفدُ مُزَيْنَةَ (رجب - ٥ هـ)
وفدُ أَشْجَعَ (ذي القعدة - ٥ هـ)
وفدُ خُشَيْن (صفر - ٧ هـ)
وفدُ دَوْس (جُمادى الأُولى - ٧ هـ)
وفدُ بكر بن وائل (جُمادى الأُولى - ٨ هـ)
وفدُ شَيبان (جُمادى الأُولى - ٨ هـ)
وفدُ بني عبد بن عدي (شعبان - ٨ هـ)
وفدُ أَسلم (شعبان - ٨ هـ)
وفدُ بني سُليم (شعبان - ٨ هـ)
وفدُ هوازن (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ ثَعلبة (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ صُداء (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ ثُمالة والحُدّان (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ باهلة (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ جَرْم (ذي القعدة - ٨ هـ)
وفدُ بني تميم (محرَّم - ٩ هـ)
وفدُ بني عُذْرة (محرَّم - ٩ هـ)
وفدُ بني أَسد (محرَّم - ٩ هـ)
وفدُ بَلِيٍّ (ربيع الأوَّل - ٩ هـ)
وفدُ طَيِّء (٩ هـ)
وفدُ بَجِيلَةَ (٩ هـ)
وفدُ خَثْعَمٍ (٩ هـ)

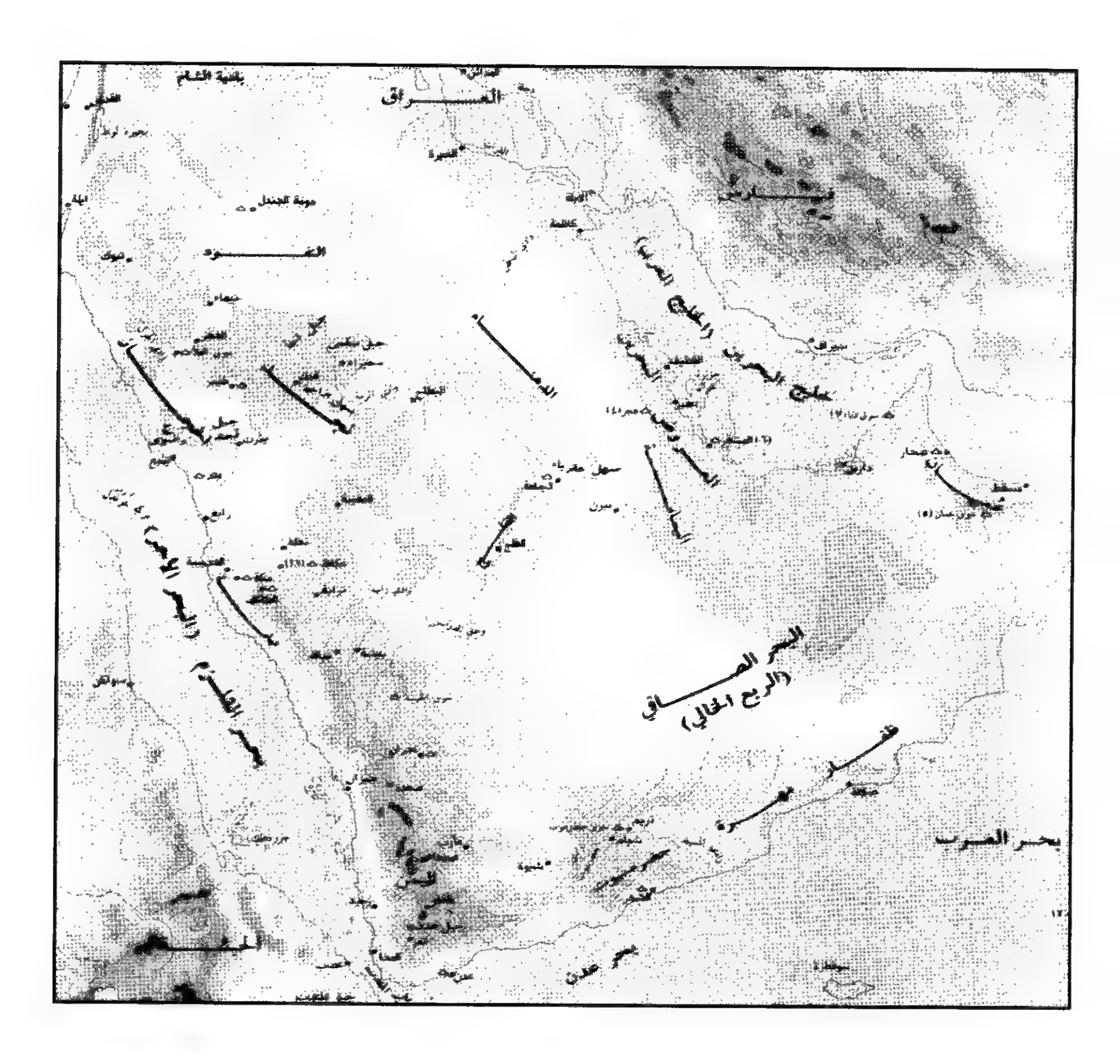
اسم الوفد وزمن قدومه

وفدُ كِنانة (٩ هـ)
وفدُ ثَقيف (ذي الحجَّة - ٩ هـ)
وفدُ الدّاريِّيْنَ (٩ هـ)
وفدُ مُرَّة (٩ هـ)
وفدُ فَزَارة (٩ هـ)
وفدُ هَمْدان (٩ هـ)
وفدُ سَعد بن بكر (٩ هـ)
وفدُ عبد القَيْس
الوفادة الأُولى (٥ هـ)
الوفادة الثانية (٩ هـ)
وفدُ نَجْران (٩ هـ)
وفدُ بني نَهْدٍ (٩ هـ)
وفدُ بني عامر بن صَعْصَعَةَ (٩ هـ)
وفدُ بني حَنيفة (٩ هـ)
وفدُ أَزْدِ عُمان (٩ هـ)
وفدُ بَهْراءَ (٩ هـ)
وفدُ بني سَعد هُذَيْمٍ (٩ هـ)
وفدُ تُجِيبَ (٩ هـ)
وفدُ كِلاب (٩ هـ)
وفدُ بني البَكّاء (٩ هـ)
وفدُ صُرَدِ بن عبد الله بن الأَزْدِ (٩ هـ)
وفدُ جُرَشَ (٩ هـ)
وفدُ خُوْلانَ (شعبان - ١٠ هـ)

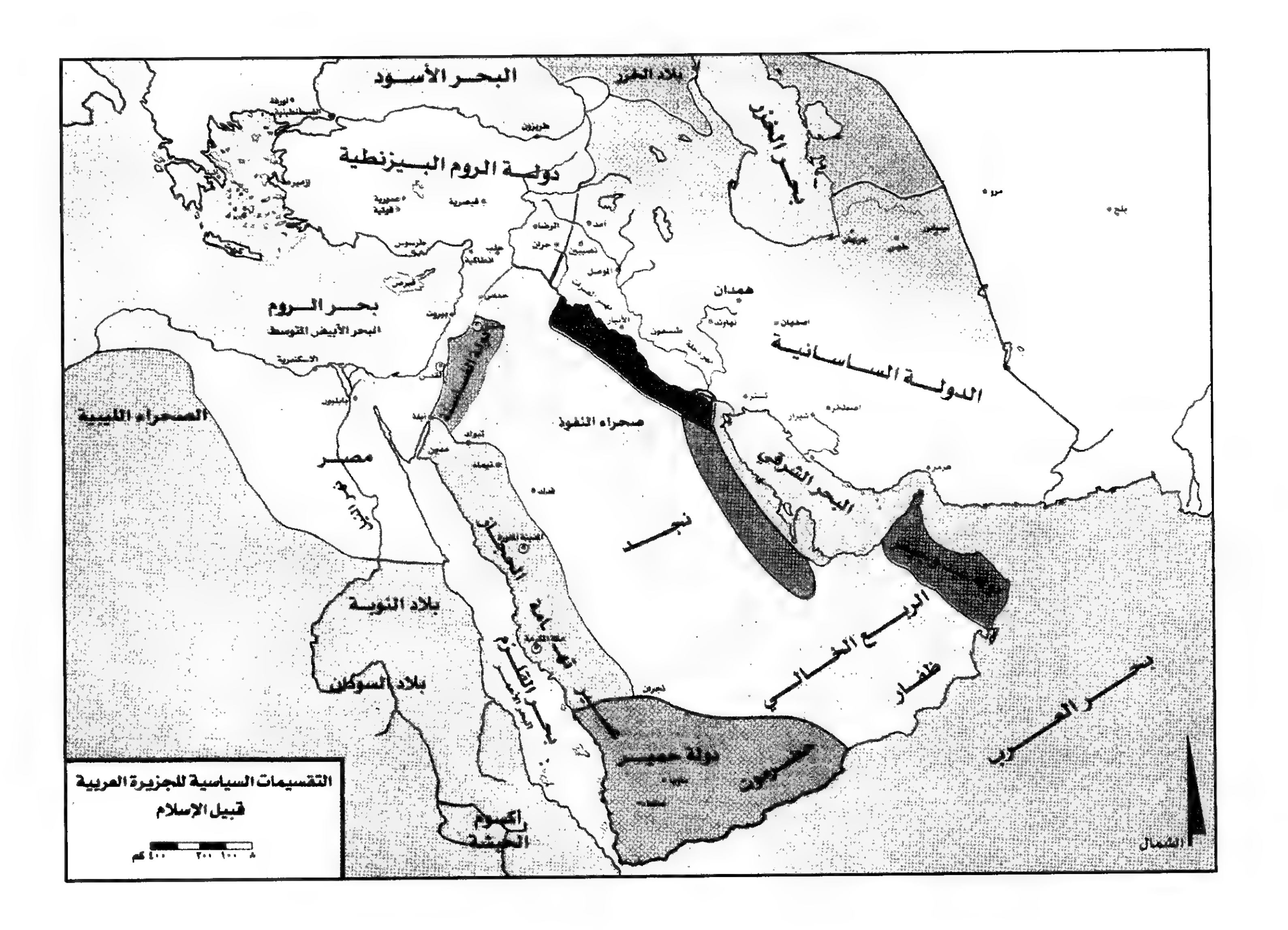
اسم الوفد وزمن قدومه
وفدُ غسَّان (رمضان ـ ١٠ هـ)
وفدُ غامِدٍ (رمضان ـ ١٠ هـ)
وفدُ سَلامان (شوّال ـ ١٠ هـ)
وفدُ مُرادٍ (١٠ هـ)
وفدُ بني زُبَيْدَ (١٠ هـ)
وفدُ بني عَبْسٍ (١٠ هـ)
وفدُ الصَّدِفِ (١٠ هـ)
وفدُ الرَّهاويِّيْنَ من مَذْحِجٍ (ذي الحجَّة ـ ١٠ هـ)
وفدُ كِنْدَةَ (ذي الحجَّة ـ ١٠ هـ)
وفدُ حَضْرموتَ (ذي الحجَّة ـ ١٠ هـ)
وفدُ بني مُحارِبٍ (ذي الحجَّة ـ ١٠ هـ)
وفدُ رُؤَاسِ بن كِلابٍ
وفدُ بني الُمْنتَفِقِ
وفدُ قُشَيرِ بن كعبٍ
وفدُ بني كلبٍ
وفدُ هِلال بن عامر
وفدُ غافِقٍ
وفدُ بارق
وفدُ مَهْرَةَ
وفدُ جيشانَ
وفدُ تَغلِبَ
وفدُ عَنَزَةَ
وفدُ جُعْفِيٍّ
وفدُ عَنْسٍ
وفدُ بني أَجَأٍ
وفدُ بني كُلْفَةَ
وفدُ بني زُهير بن أُقَيْشَ
وفدُ بني مالك بن حَنبَلٍ
قدوم بني سُلَيم بن جابر الهُجَيْميِّ
وفدُ السِّباعِ!!
وفدُ النَّخْعِ (آخر الوفود ـ ١١ هـ)

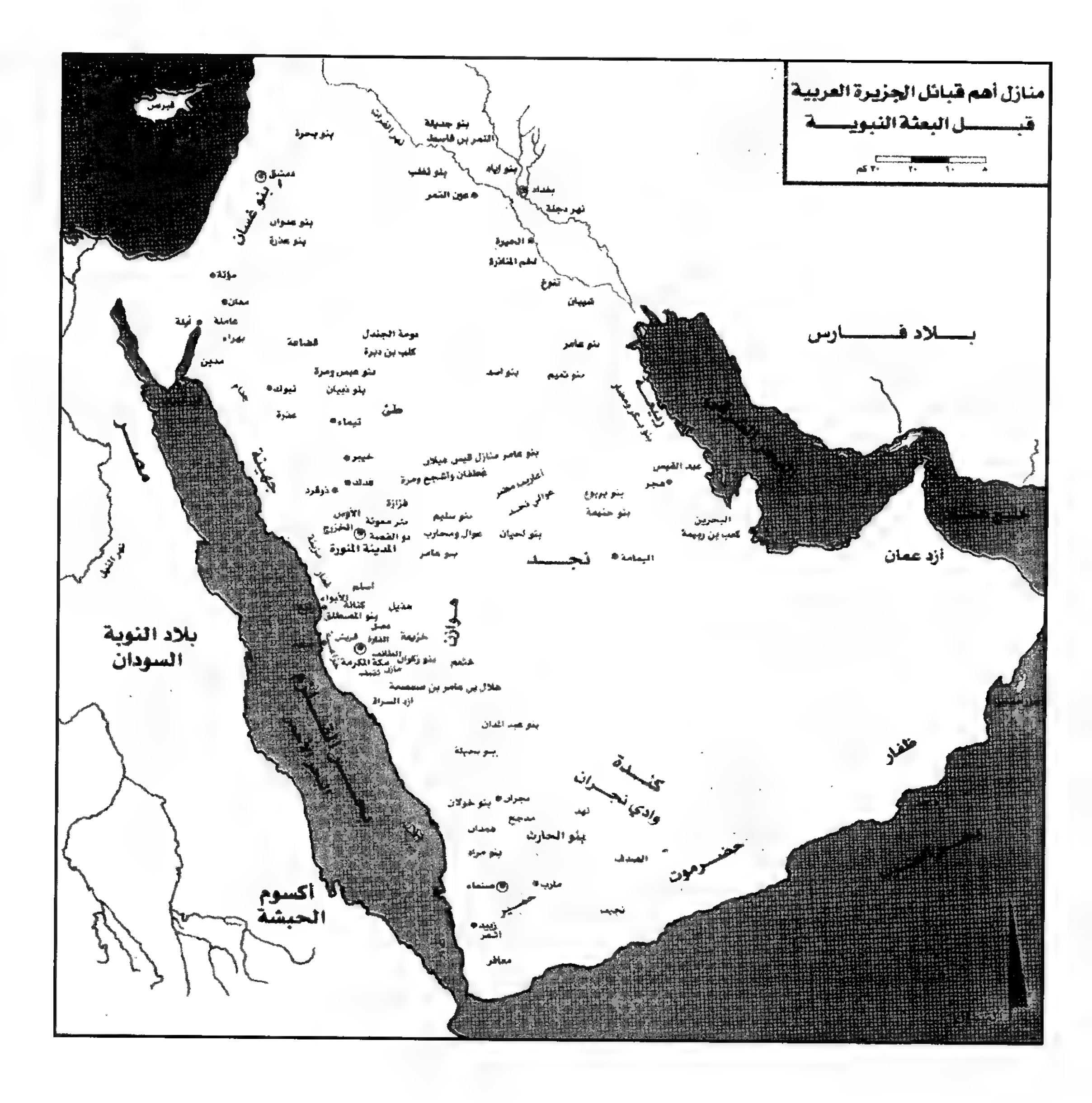


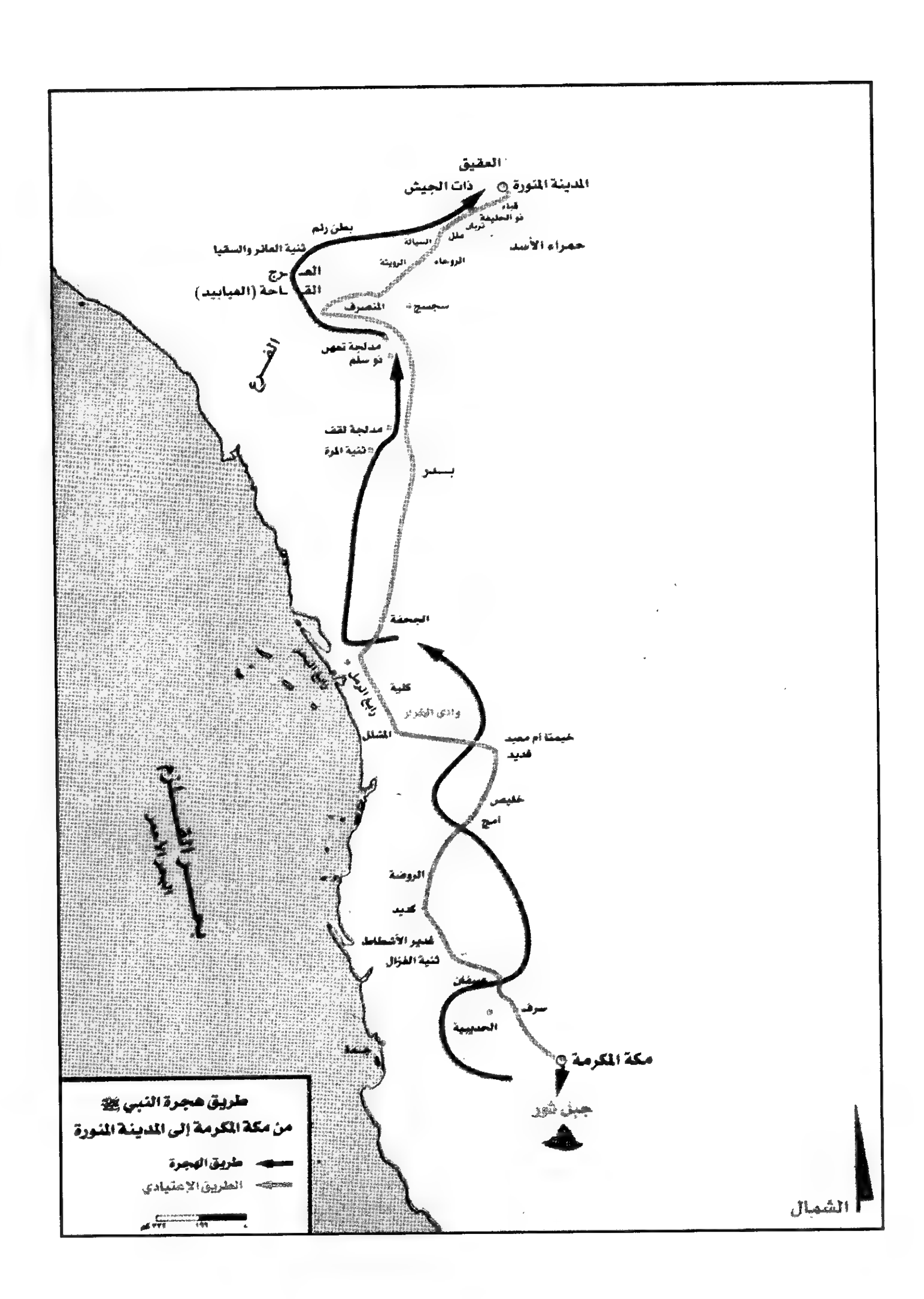
المخطوطات والمصورات

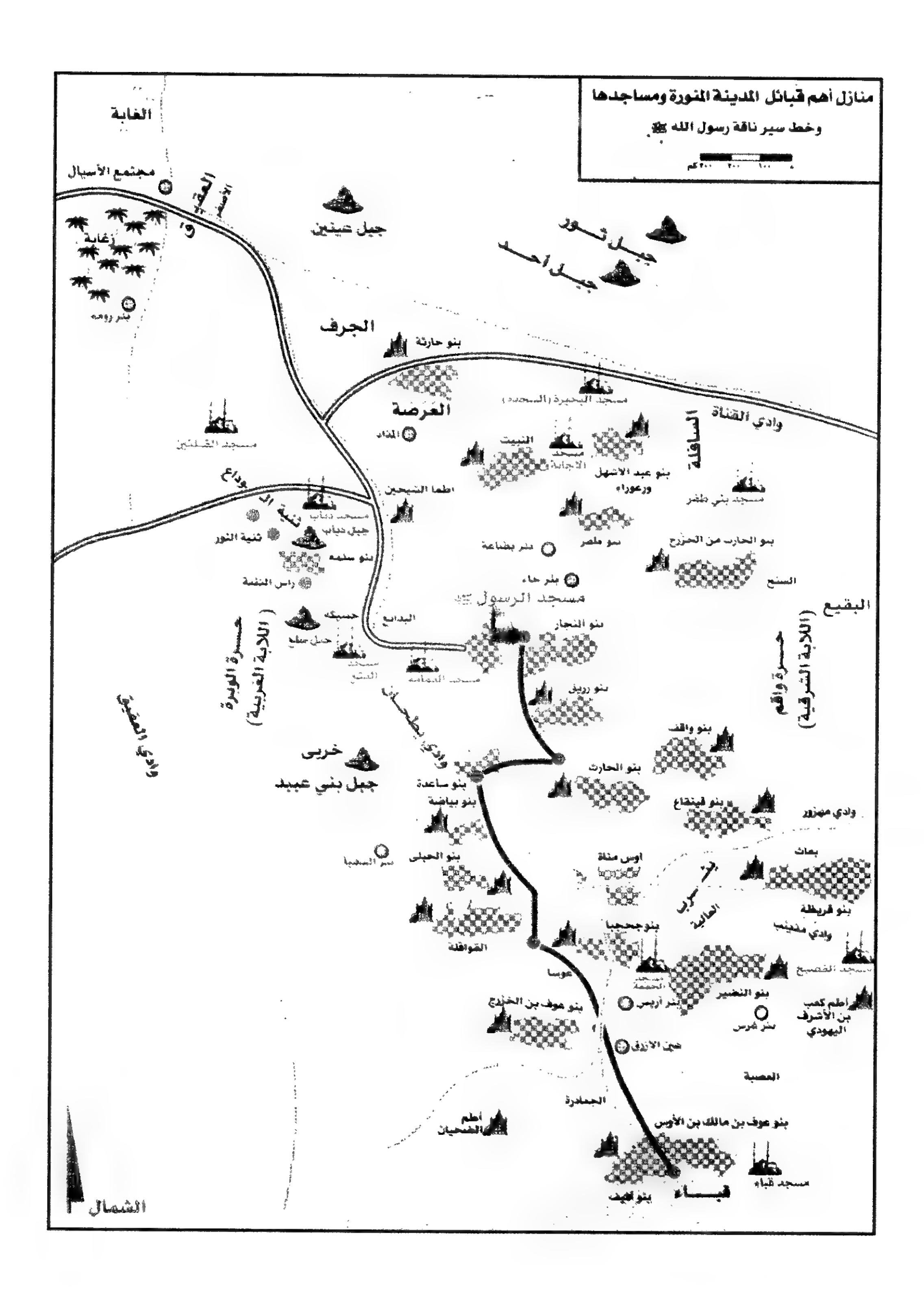


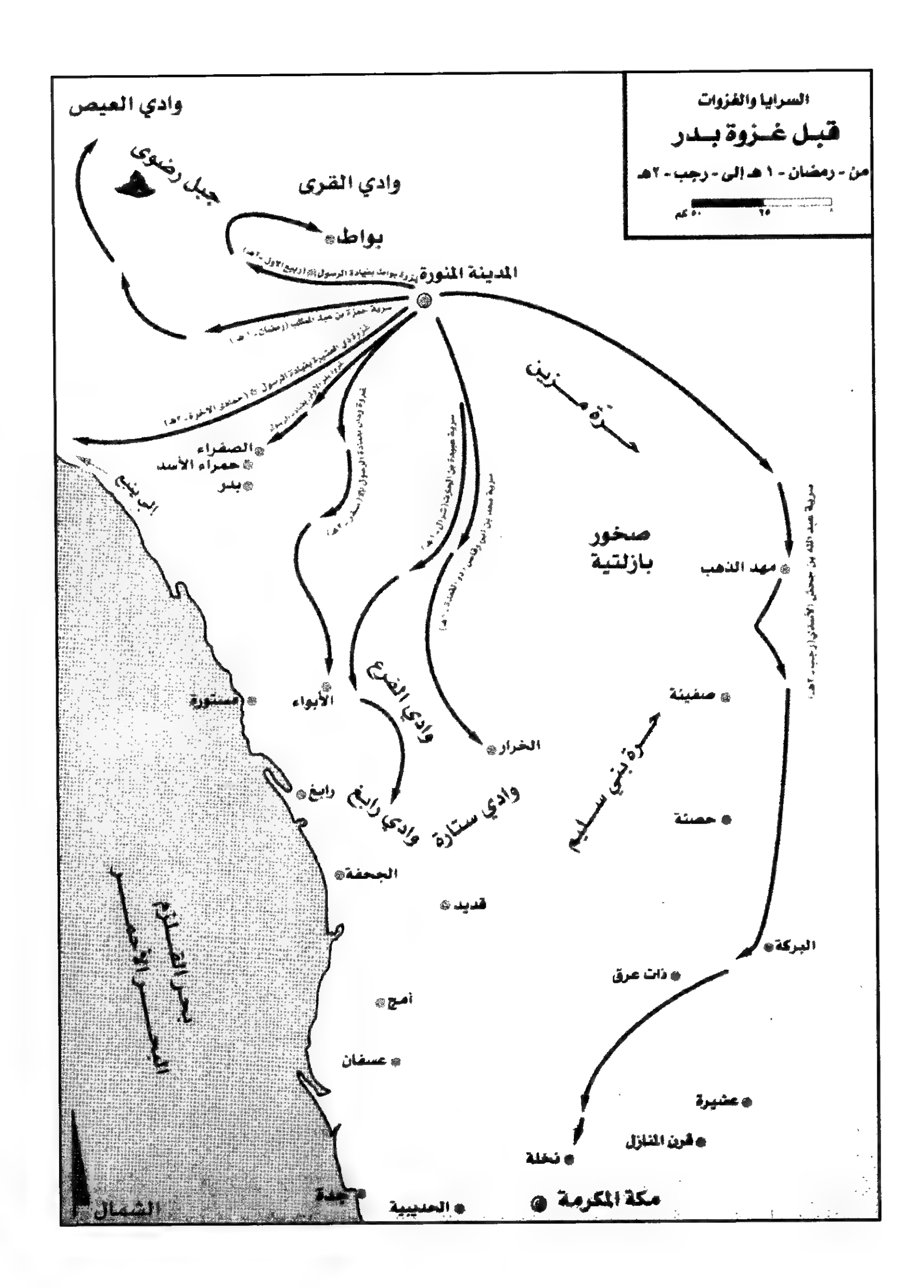
العـــــراق
بادية الشام
دومة الجندل
النفـــــود
الخليج (العربي)
خليج البحرين
الصحراء
سجل حقرياء
البحر الصــــاقي
(الربع الخالي)
بحر العــرب
بحر عدن
البحر الأحمر (القلزم)
بحر القلزم


البحر الأسود
بلاد الخزر
بحر الخزر
دولة الروم البيزنطية
بحر الروم
البحر الأبيض المتوسط
همدان
الدولة الساسانية
صحراء النفوذ
البحر الشرقي
الصحراء الليبية
مصر
نجد
بلاد النوبة
الربع الخالي
ظفار
بلاد السودان
بحر القلزم
البحر الأحمر
دولة حمير
بحر العرب
أكسوم
الشمال
التقسيمات السياسية للجزيرة العربية
قبيل الإسلام

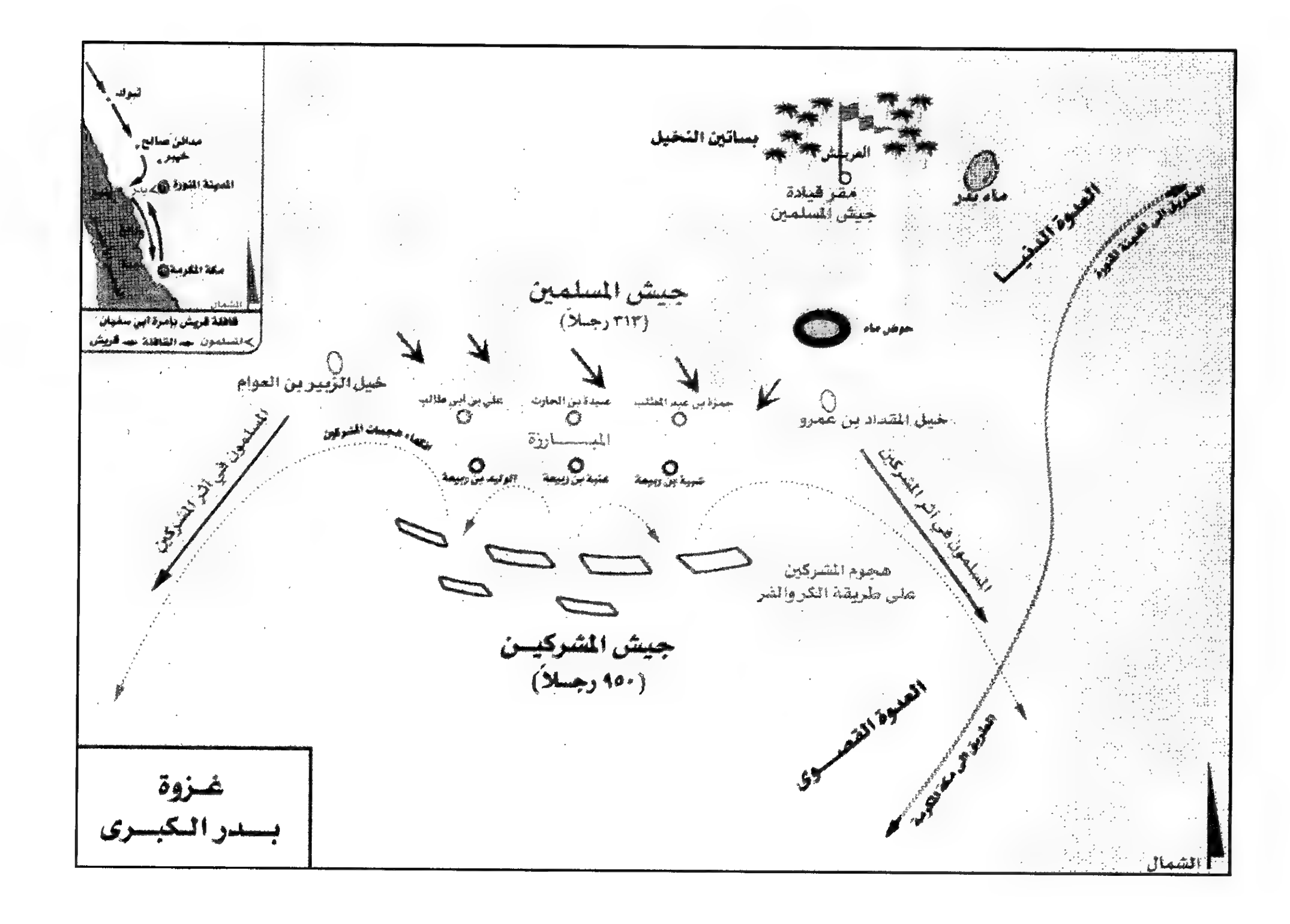

منازل أهم قبائل الجزيرة العربية
قبـــل البعثة النبويـــة
٣٠ كم
٢٠
١٠
٥
بلاد فارس
أزد عمان
ظفار
حضرموت
كندة
وادي نجران
بنو الحارث
نجد
اليمامة
البحرين
كعب بن ربيعة
عبد القيس
هجر
بنو يربوع
بنو حنيفة
بنو تميم
بنو عامر
بنو أسد
طيئ
تيماء
تبوك
عذرة
خيبر
فدك
ذوقرد
فزارة
الأوس
الخزرج
المدينة المنورة
بنو سليم
بنو لحيان
بنو عامر
هوازن
هذيل
أسلم
كنانة
الأبواء
بنو المصطلق
قريش
خزاعة
ثقيف
الطائف
مكة المكرمة
بنو زكوان
خثعم
هلال بن عامر بن صعصعة
أزد السراة
بنو عبد المدان
بنو سحيلة
نجران
بنو خولان
مذحج
نهد
همدان
بنو مراد
صنعاء
مأرب
حمير
زبيد
معافر
الصدف
نجيب
دومة الجندل
كلب بن دبرة
القضاعة
بنو عبس ومرة
بنو ذبيان
بهراء
مدين
عاملة
أيلة
معان
مؤتة
بنو عذرة
بنو عدوان
بنو غسان
دمشق
بنو بحرة
قبرص
بنو جديلة
النمر بن قاسط
بنو إياد
بنو تغلب
عين التمر
بغداد
نهر دجلة
الحيرة
لخم المناذرة
تنوخ
شيبان
جهينة
مصر
نهر النيل
بلاد النوبة
السودان
أكسوم
الحبشة

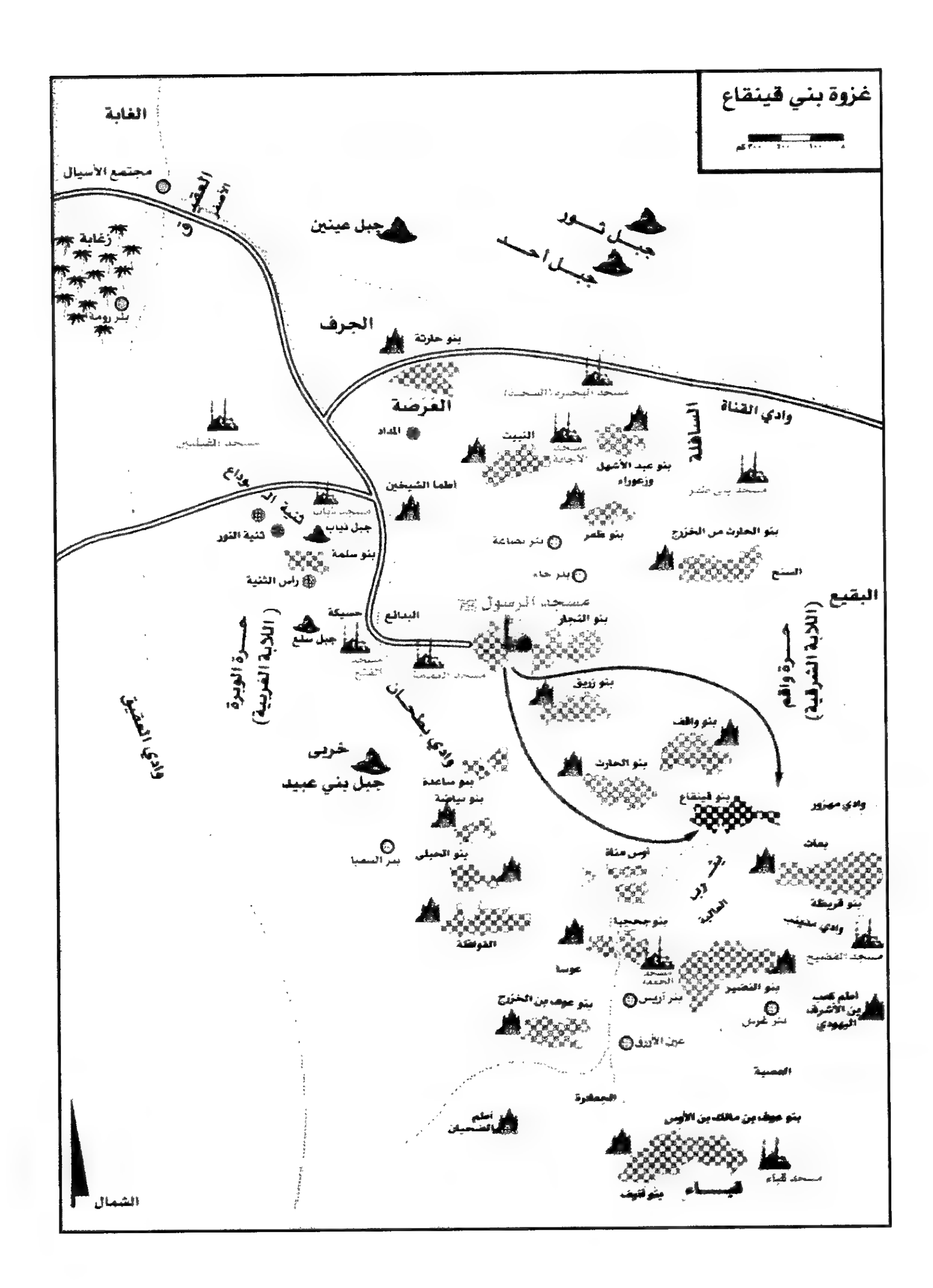

العقيق
المدينة المنورة
ذات الجيش
حمراء الأسد
بطن رئم
ثنية العائر والسقيا
المنصرف
سجسج
الروحاء
الرويثة
مدلجة تعهن
ذو سلم
مدلجة لقف
ثنية المرة
الجحفة
كلية
المشلل
خيمتا أم معبد
قديد
خليص
أمج
الروضة
كديد
غدير الأشطاط
ثنية الغزال
سرف
الحديبية
مكة المكرمة
جبل ثور
طريق هجرة النبي ﷺ
من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة
طريق الهجرة
الطريق الإعتيادي
الشمال


منازل أهم قبائل المدينة المنورة ومساجدها
وخط سير ناقة رسول الله ﷺ
الغابة
مجتمع الأسيال
جبل عينين
جبل ثور
جبل أحد
الجرف
بنو حارثة
العرصة
وادي القناة
مسجد القبلتين
بنو عبد الأشهل وزعوراء
بنو ظفر
بئر بضاعة
بئر حاء
مسجد الرسول ﷺ
بنو النجار
ثنية النور
جبل ذباب
بنو سلمة
راس الثنية
بنو الحارث من الخزرج
السنح
البقيع
حرة واقم (اللابة الشرقية)
حرة الوبرة (اللابة الغربية)
البدايع
بنو زريق
بنو واقف
بنو الحارث
خربى
جبل بني عبيد
بنو ساعدة
بنو بياضة
بنو قينقاع
وادي مهزور
بنو الحبلى
أوس مناة
بعاث
بنو قريظة
وادي مذينب
القواقلة
بنو جحجبا
العالية
مسجد الفضيخ
عوسا
بنو النضير
بنو عوف بن الخزرج
بئر أريس
بئر غرس
أطم كعب بن الأشرف اليهودي
العصبة
الجمادرة
أطم الضحيان
بنو عوف بن مالك بن الأوس
قبـاء
بنو أنيف
مسجد قباء
الشمال

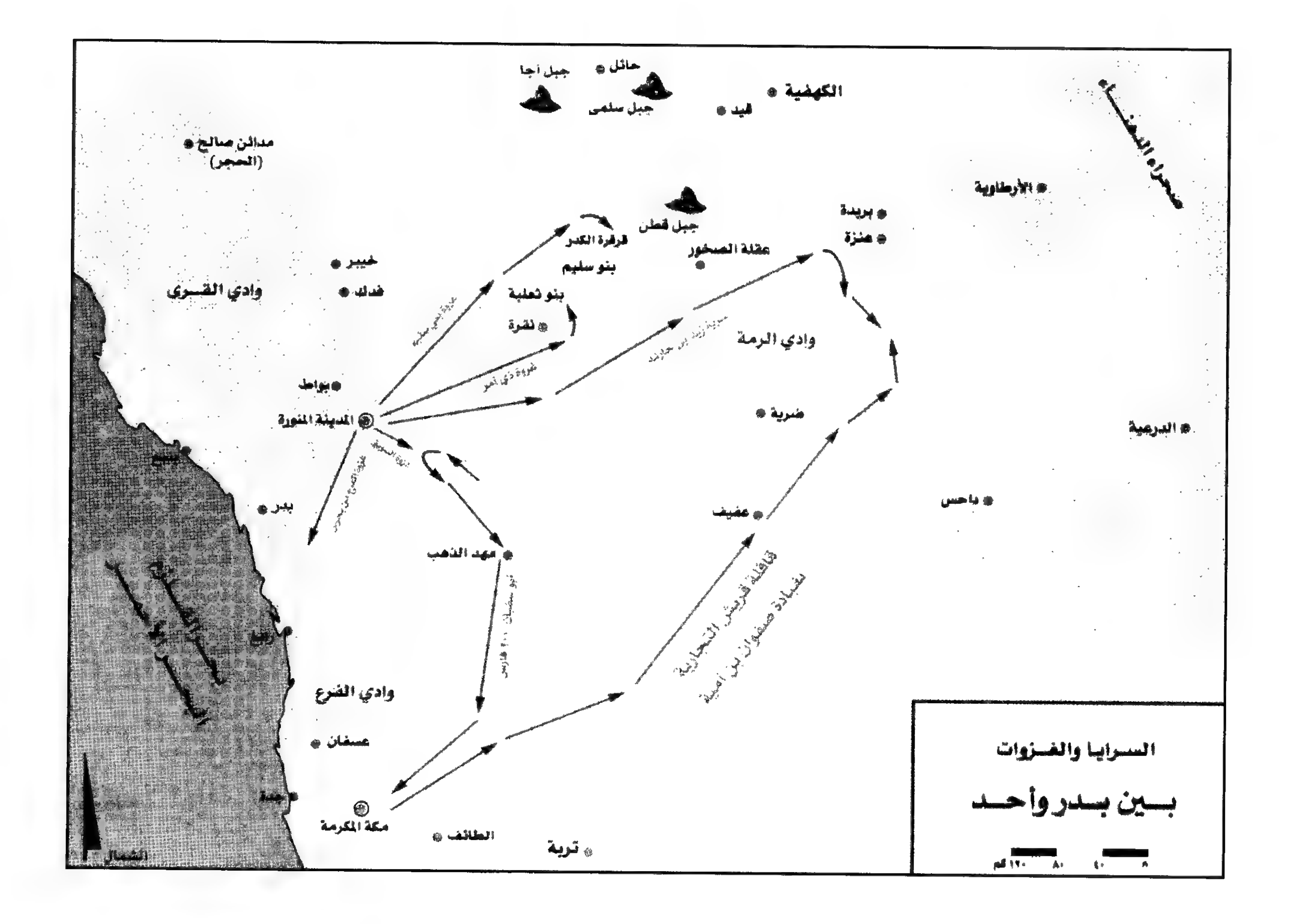


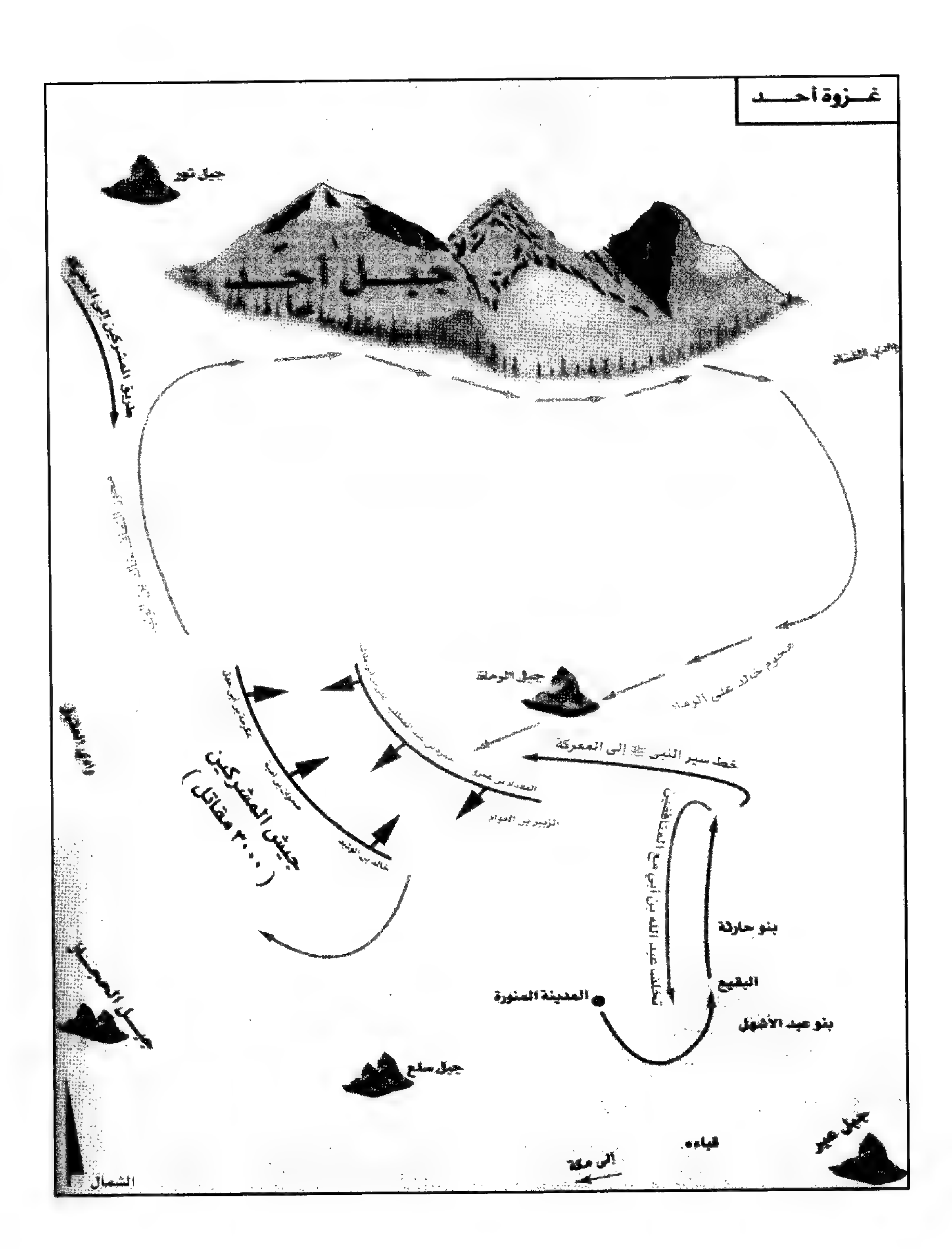
السرايا والغزوات
قبل غزوة بدر
من - رمضان - ١ هـ إلى - رجب - ٢ هـ
٢٥
٥٠ كم
وادي العيص
جبل رضوى
وادي القرى
بواط
المدينة المنورة
غزوة بواط بقيادة الرسول ﷺ (ربيع الأول - ٢ هـ)
سرية حمزة بن عبد المطلب (رمضان - ١ هـ)
غزوة ذي العشيرة بقيادة الرسول ﷺ (جمادى الآخرة - ٢ هـ)
الصفراء
حمراء الأسد
بدر
إلى ينبع
حرة مزينة
صخور بازلتية
مهد الذهب
مستورة
الأبواء
وادي الفرع
الخرار
صفينة
رابغ
وادي رابغ
وادي ستارة
حرة بني سليم
حصنة
الجحفة
قديد
البركة
ذات عرق
أمج
عسفان
البحر الأحمر
عشيرة
قرن المنازل
نخلة
مكة المكرمة
جدة
الحديبية
الشمال


غزوة
بدر الكبرى
جيش المسلمين
(٣١٣ رجلاً)
جيش المشركين
(٩٥٠ رجلاً)
بساتين النخيل
العريش
مقر قيادة
جيش المسلمين
ماء بدر
حوض ماء
العدوة الدنيا
العدوة القصوى
خيل الزبير بن العوام
خيل المقداد بن عمرو
علي بن أبي طالب
عبيدة بن الحارث
حمزة بن عبد المطلب
المبارزة
الوليد بن ربيعة
عتبة بن ربيعة
شيبة بن ربيعة
المسلمون في إثر المشركين
هجوم المشركين
على طريقة الكر والفر
مكة المكرمة
المدينة المنورة
الشمال

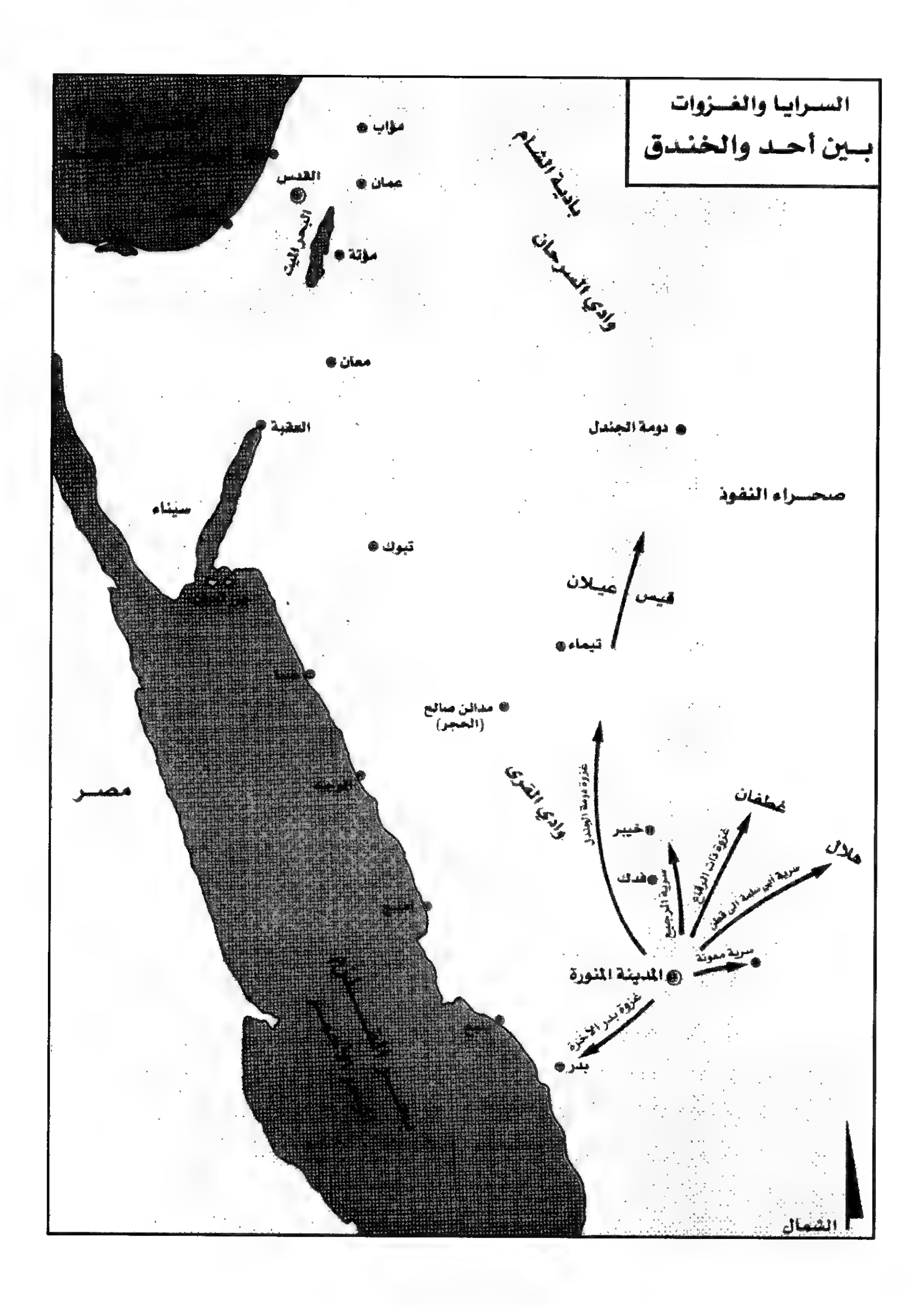


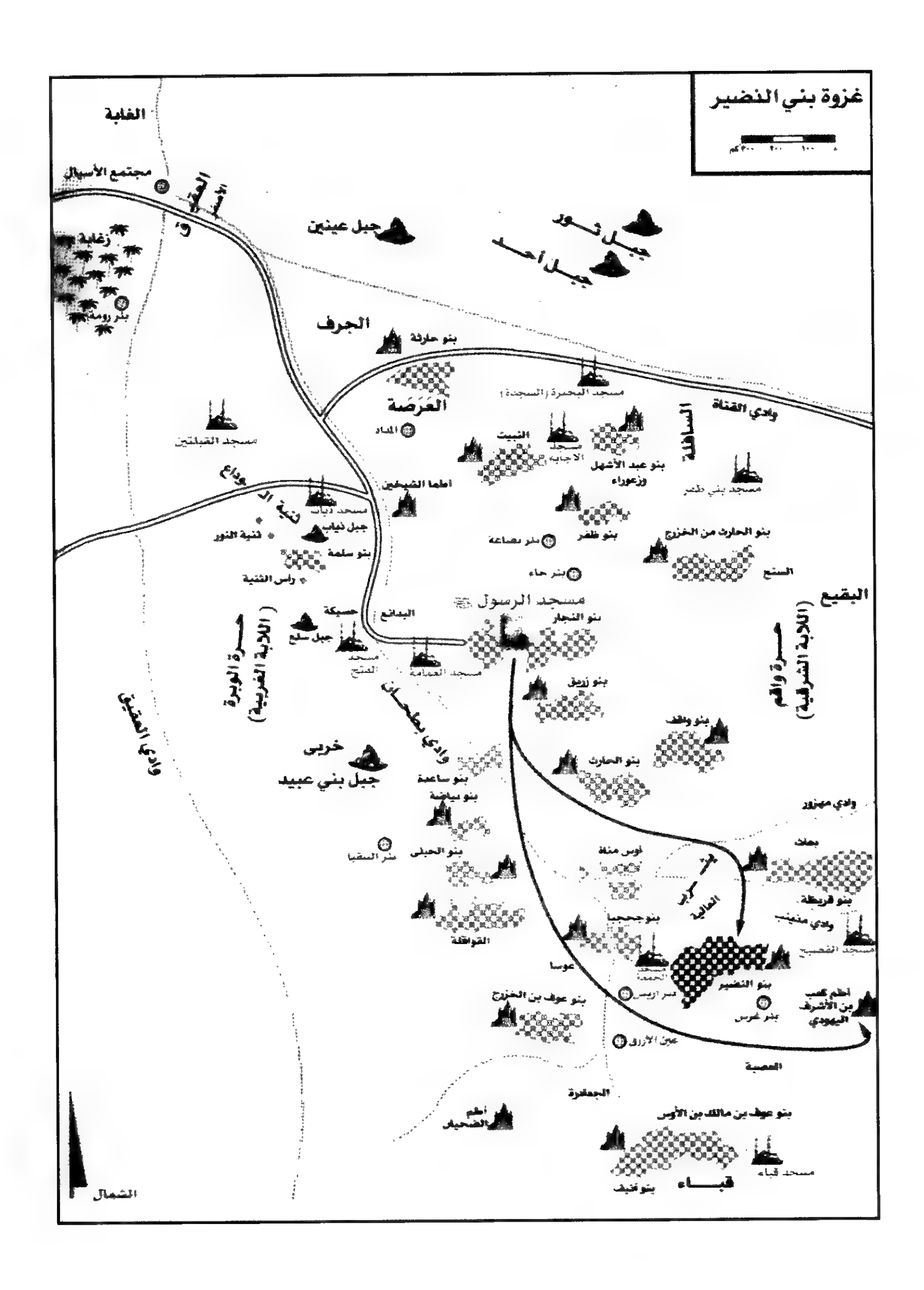
غزوة بني قينقاع
الغابة
مجتمع الأسيال
زغابة
جبل عينين
جبل ثور
جبل احد
الجرف
بنو حارثة
العرصة
وادي القناة
النبيت
بنو عبد الأشهل
وزعوراء
أطما الشيخين
بنو ظفر
بنو الحارث من الخزرج
جبل ذباب
ثنية النور
بنو سلمة
راس الثنية
البقيع
مسجد الرسول ﷺ
بنو النجار
حسيكة
جبل سلع
بنو زريق
جبل بني عبيد
بنو واقف
بنو الحارث
بنو ساعدة
بنو قينقاع
وادي مهزور
بعاث
بنو قريظة
بنو النضير
بنو عوف بن الخزرج
عين الأزرق
بنو عوف بن مالك بن الأوس
قباء
الشمال

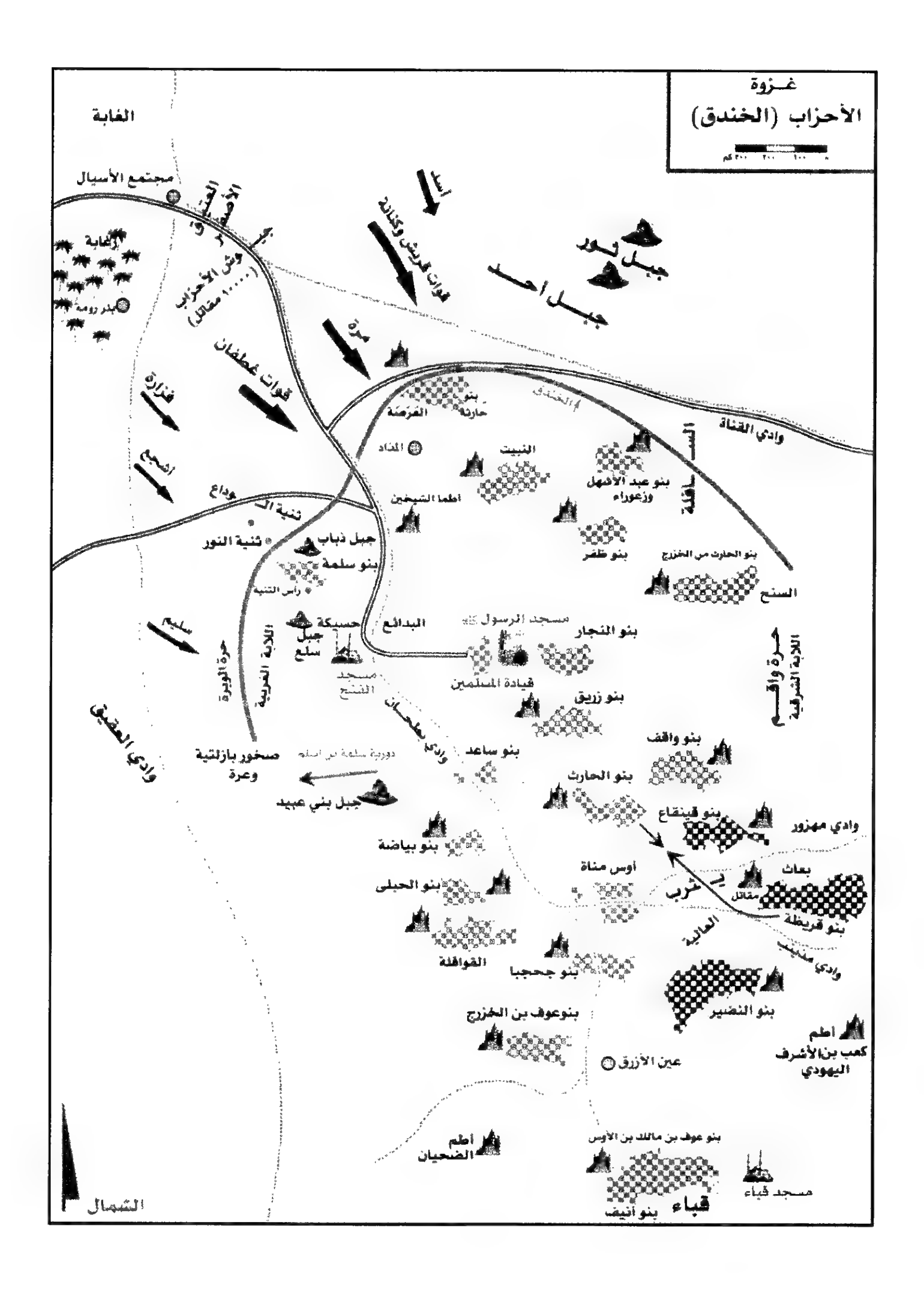

السرايا والغزوات
بين بدر وأحد
مدائن صالح (الحجر)
وادي القرى
خيبر
فدك
بواط
المدينة المنورة
ينبع
بدر
رابغ
وادي الفرع
عسفان
جدة
مكة المكرمة
الطائف
تربة
مهد الذهب
بنو ثعلبة
نقرة
قرقرة الكدر
بنو سليم
جبل قطن
عقلة الصخور
وادي الرمة
ضرية
عفيف
جبل أجا
حائل
جبل سلمى
فيد
الكهفية
بريدة
عنزة
الأرطاوية
الدرعية
باحس
قافلة قريش التجارية
بقيادة صفوان بن أمية
الشمال

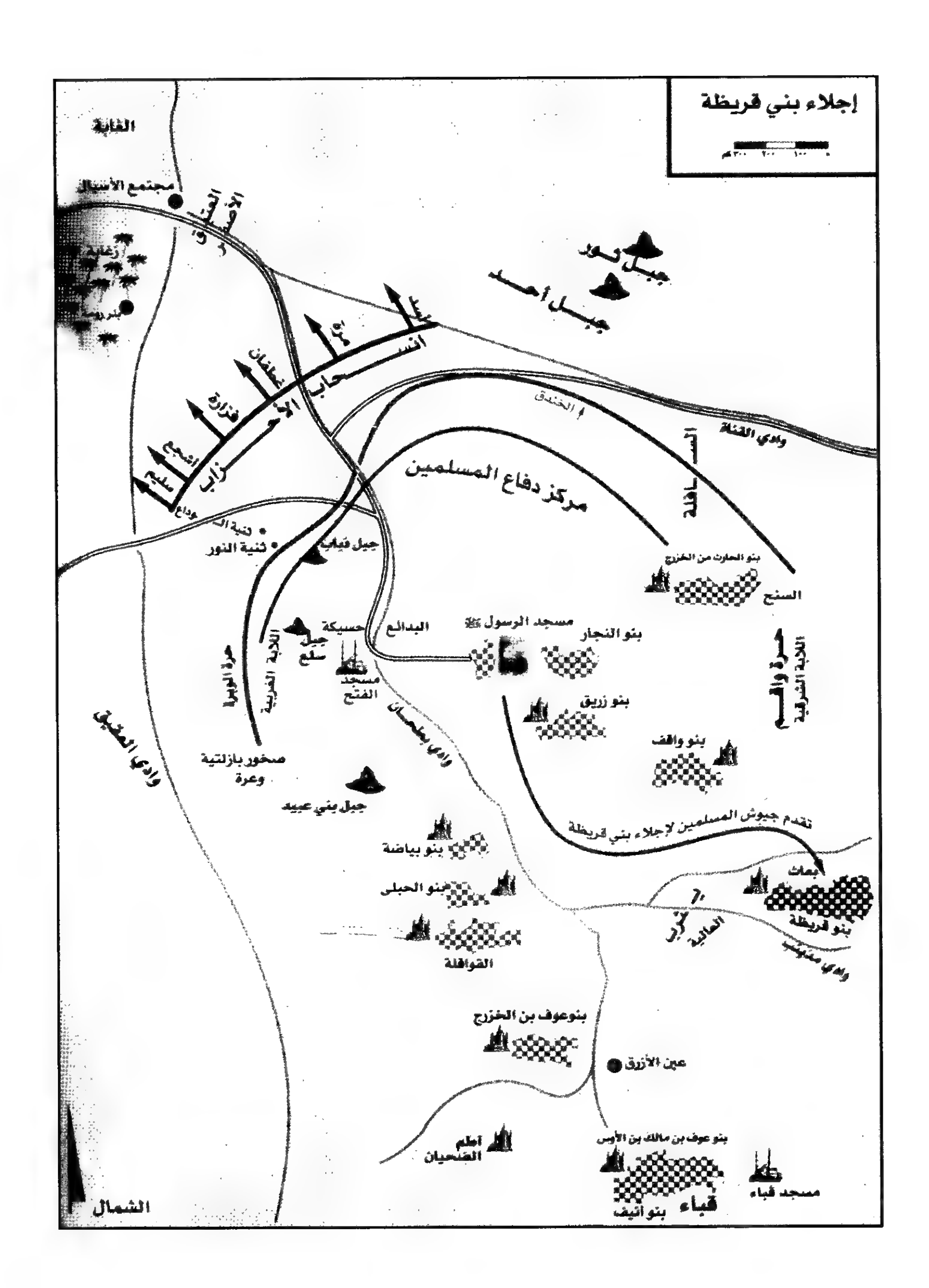


غـزوة أحـد
جبل ثور
جبل أحد
طريق المشركين إلى المدينة
جبل الرماة
خط سير النبي ﷺ إلى المعركة
جيش المشركين
(٣٠٠٠ مقاتل)
الزبير بن العوام
خالد بن الوليد
بنو حارثة
البقيع
المدينة المنورة
بنو عبد الأشهل
جبل سلع
جبل عير
قباء
إلى مكة
الشمال

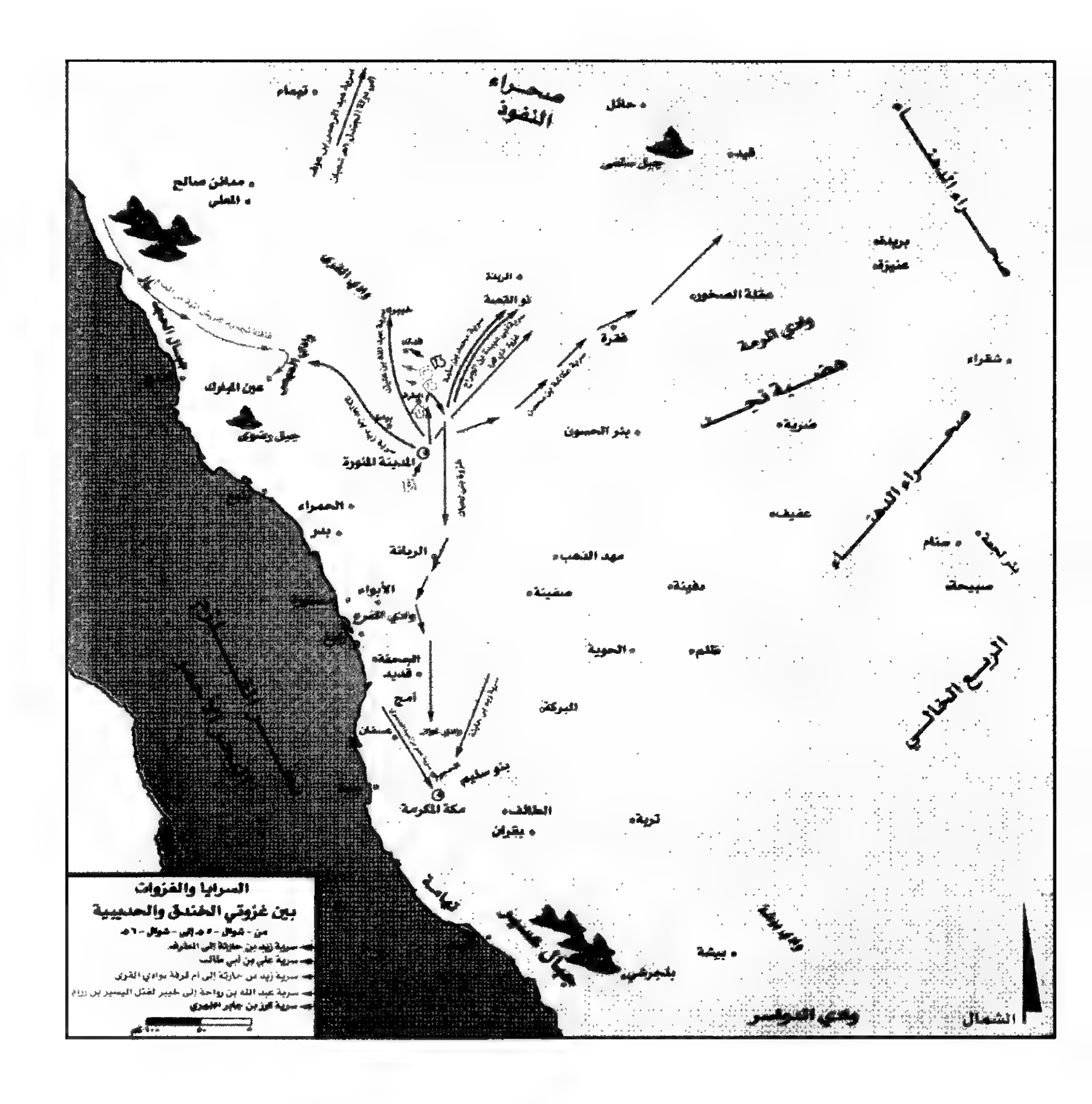

السرايا والغزوات
بين أحد والخندق
مؤاب
القدس
عمان
البحر الميت
مؤتة
بادية الشام
وادي السرحان
معان
العقبة
دومة الجندل
صحراء النفوذ
سيناء
تبوك
قيس عيلان
تيماء
مدائن صالح
(الحجر)
وادي القرى
غزوة دومة الجندل
غطفان
خيبر
فدك
هلال
سرية الرجيع
غزوة ذات الرقاع
سرية معونة
المدينة المنورة
غزوة بدر الآخرة
بدر
مصر
الشمال

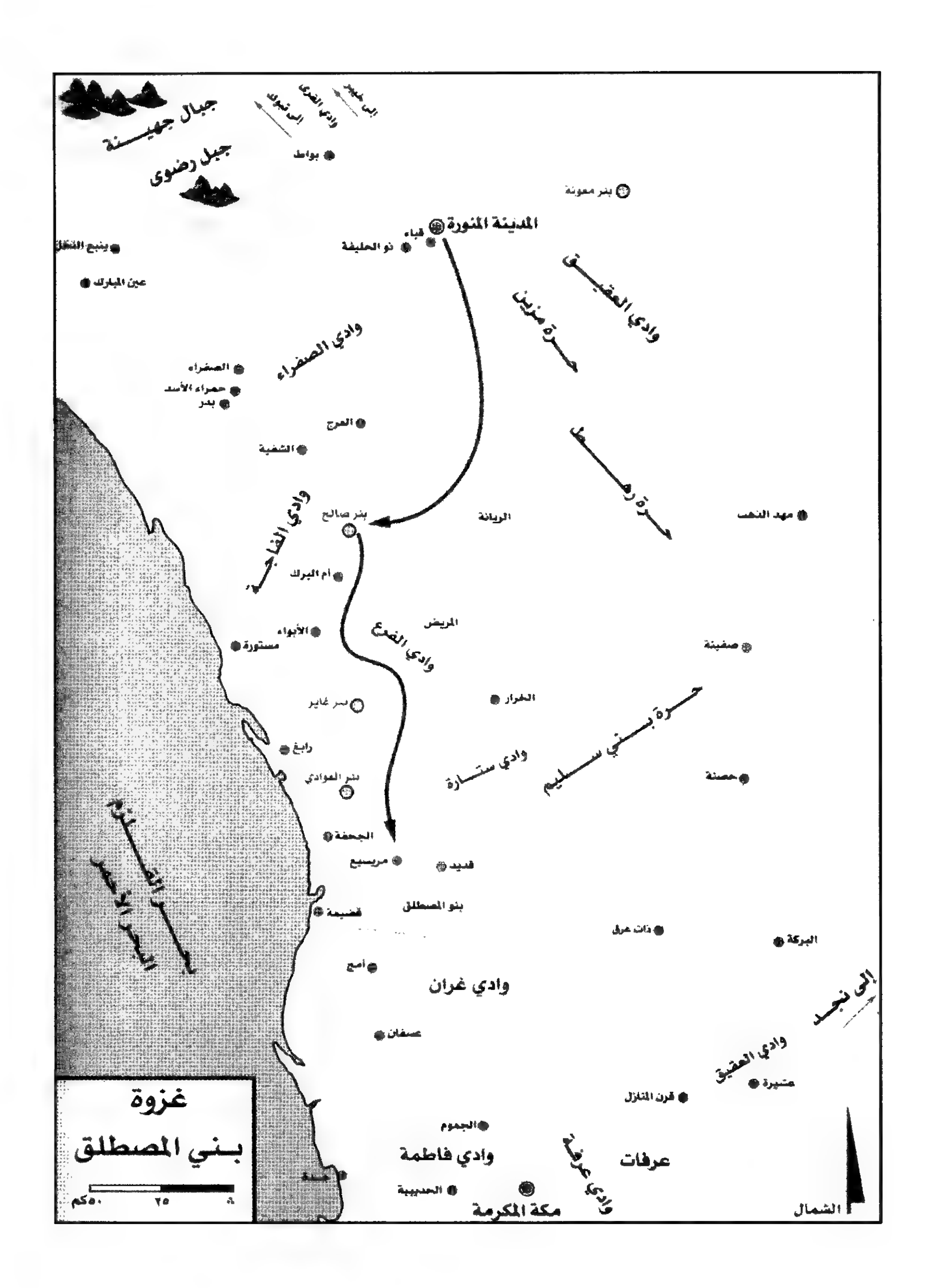

غزوة بني النضير
الغابة
مجتمع الأسيال
زغابة
بئر رومة
جبل عينين
جبل ثور
جبل أحد
الجرف
بنو حارثة
العرصة
مسجد القبلتين
وادي القناة
مسجد بني ظفر
بنو عبد الأشهل وزعوراء
بنو ظفر
بئر بضاعة
بئر حاء
بنو الحارث من الخزرج
البقيع
مسجد الرسول ﷺ
بنو النجار
بنو زريق
بنو سلمة
ثنية النور
جبل ذباب
أطما الشيخين
رأس الثنية
حسيكة
جبل سلع
مسجد الغمامة
حرة الوبرة (اللابة الغربية)
حرة واقم (اللابة الشرقية)
وادي العقيق
خربى
جبل بني عبيد
وادي بطحان
بنو واقف
بنو الحارث
بنو ساعدة
بنو بياضة
بنو الحبلى
وادي مهزور
بعاث
بنو قريظة
وادي مذينب
بنو جحجبا
عوسا
بنو النضير
بنو عوف بن الخزرج
أطم كعب بن الأشرف اليهودي
عين الأزرق
العصبة
الجمافرة
بنو عوف بن مالك بن الأوس
قبــاء
بنو غنيم
مسجد قباء
الشمال


غزوة
الأحزاب (الخندق)
الغابة
مجتمع الأسيال
جبل ثور
جبل أحد
وادي القناة
بنو عبد الأشهل وزعوراء
بنو ظفر
بنو الحارث من الخزرج
السنح
مسجد الرسول ﷺ
بنو النجار
قيادة المسلمين
بنو زريق
بنو واقف
بنو الحارث
بنو قينقاع
وادي مهزور
بعاث
بنو قريظة
بنو النضير
أطم كعب بن الأشرف اليهودي
عين الأزرق
بنو عوف بن مالك بن الأوس
مسجد قباء
قباء
بنو أنيف
أطم الضحيان
بنوعوف بن الخزرج
بنو جحجبا
القواقلة
بنو الحبلى
بنو بياضة
أوس مناة
العالية
جبل بني عبيد
صخور بازلتية وعرة
بنو ساعد
وادي العقيق
حرة الوبرة
جبل سلع
حسيكة
البدائع
مسجد الفتح
بنو سلمة
جبل ذباب
ثنية النور
ثنية الوداع
أطما الشيخين
النبيت
القرصة
بنو حارثة
المذاد
قوات غطفان
فزارة
أشجع
سليم
مرة
قوات قريش وكنانة
أسد
الغابة
بئر رومة
الشمال
٥٤١

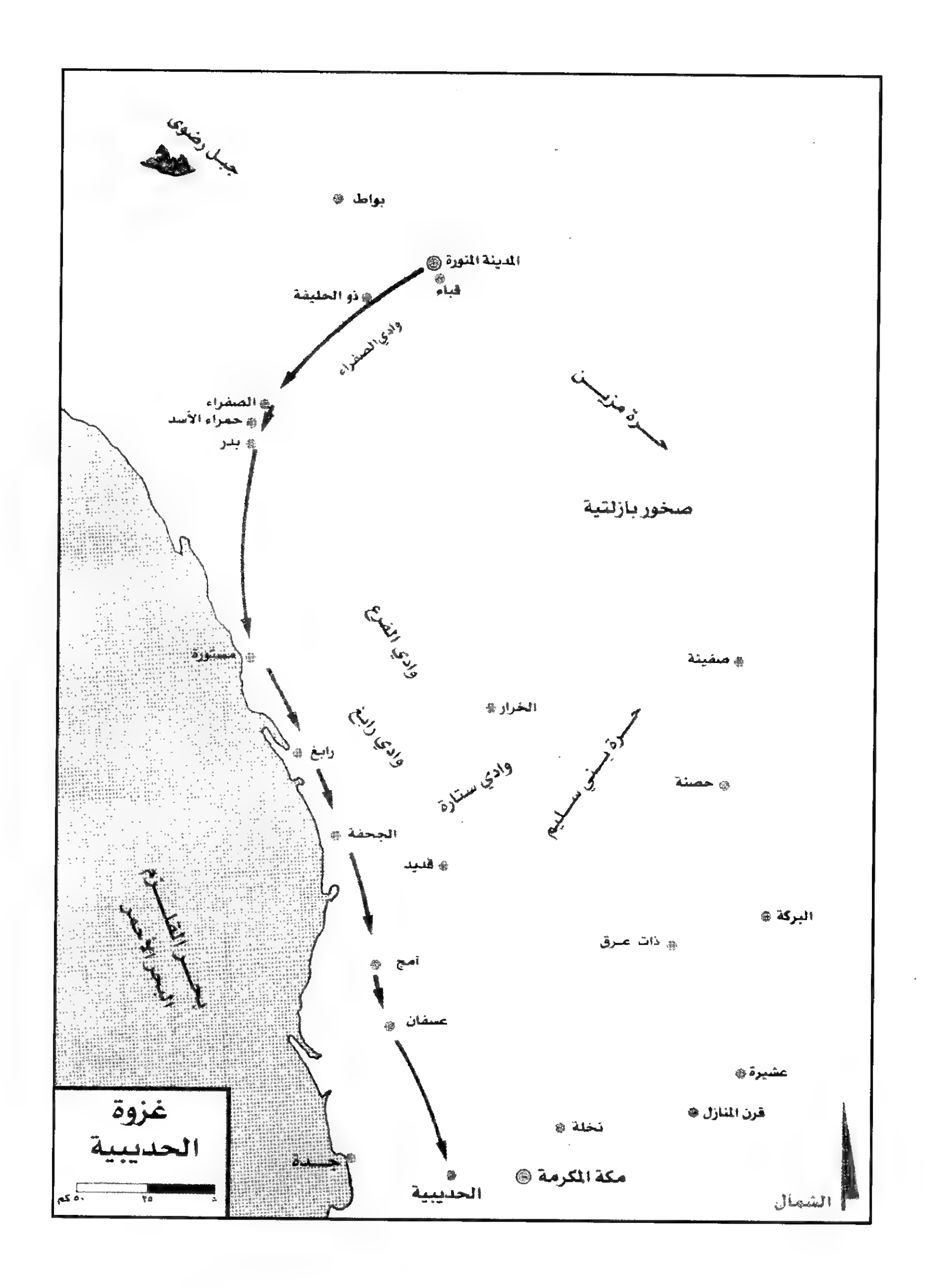


إجلاء بني قريظة
الغابة
مجتمع الأسيال
جبل ثور
جبل أحد
انسحاب الأحزاب
غطفان
فزارة
أشجع
سليم
مرة
الخندق
وادي القناة
مركز دفاع المسلمين
ثنية النور
جبل ذباب
بنو الحارث من الخزرج
السنح
مسجد الرسول ﷺ
بنو النجار
البدائع
حسيكة
جبل سلع
مسجد الفتح
حرة الوبرة
اللابة الغربية
بنو زريق
بنو واقف
حرة واقم
اللابة الشرقية
صخور بازلتية وعرة
وادي العقيق
وادي بطحان
جبل بني عبيد
تقدم جيوش المسلمين لإجلاء بني قريظة
بنو بياضة
بنو الحبلى
بعاث
بنو قريظة
القواقلة
العالية
وادي مذينيب
بنوعوف بن الخزرج
عين الأزرق
أطم الضحيان
بنو عوف بن مالك بن الأوس
مسجد قباء
قباء
بنو أنيف
الشمال

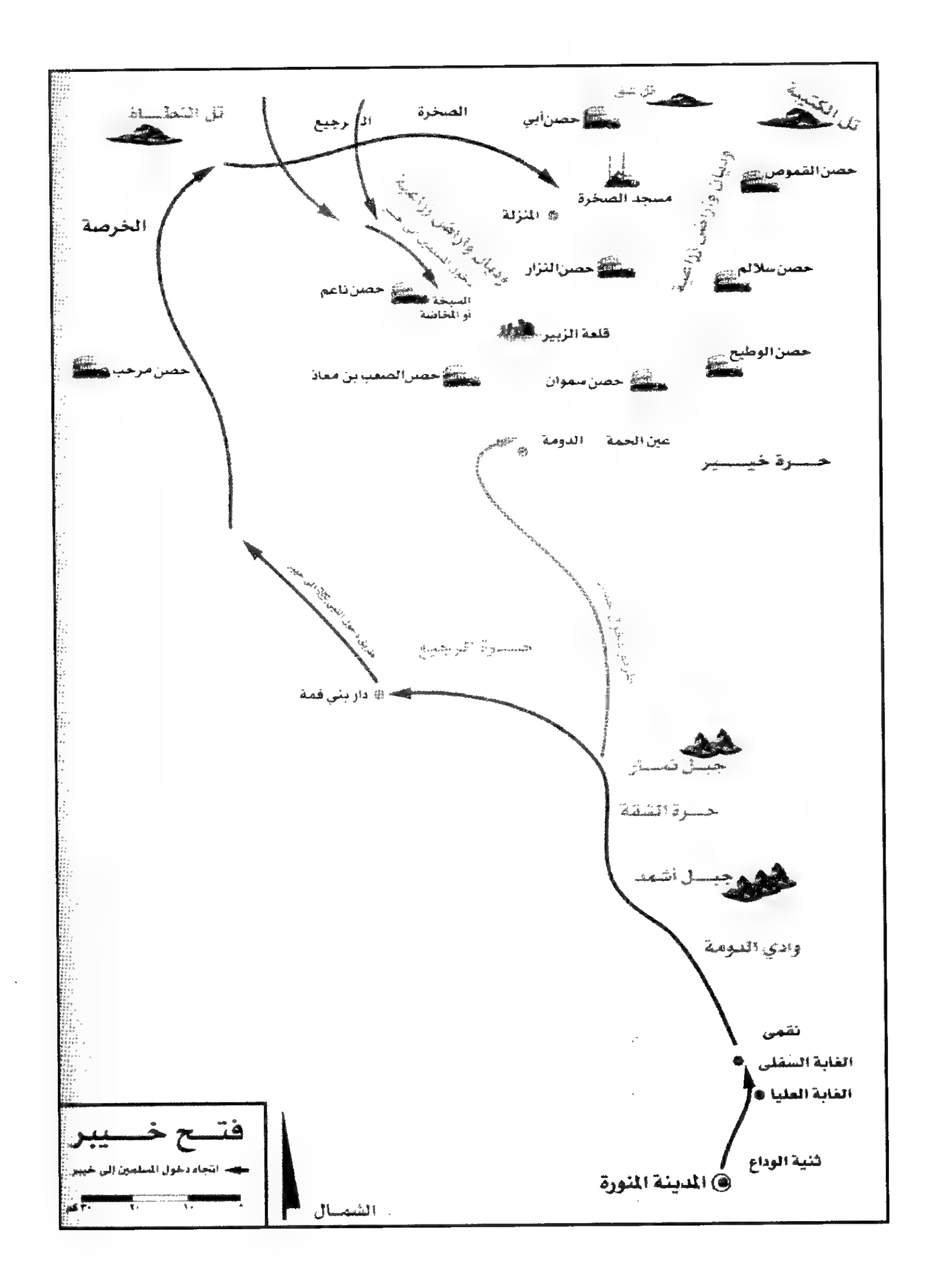

السرايا والغزوات
بين غزوتي الخندق والحديبية
سرية علي بن أبي طالب
سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة بوادي القرى
سرية عبد الله بن رواحة إلى خيبر لقتل اليسير بن رزام
تيماء
صحراء النفود
حائل
جبل سلمى
مدائن صالح
العلا
بريدة
عنيزة
عقلة الصخور
وادي الرمة
شقراء
عيون المبارك
جبل رضوى
المدينة المنورة
بئر الحسون
ضرية
الحمراء
بدر
عفيف
الرابغة
مهد الذهب
الأبواء
صفينة
الحوية
ظلم
قديد
أمج
البركة
عسفان
بنو سليم
مكة المكرمة
الطائف
تربة
بيشة
الربع الخالي
وادي الدواسر
الشمال



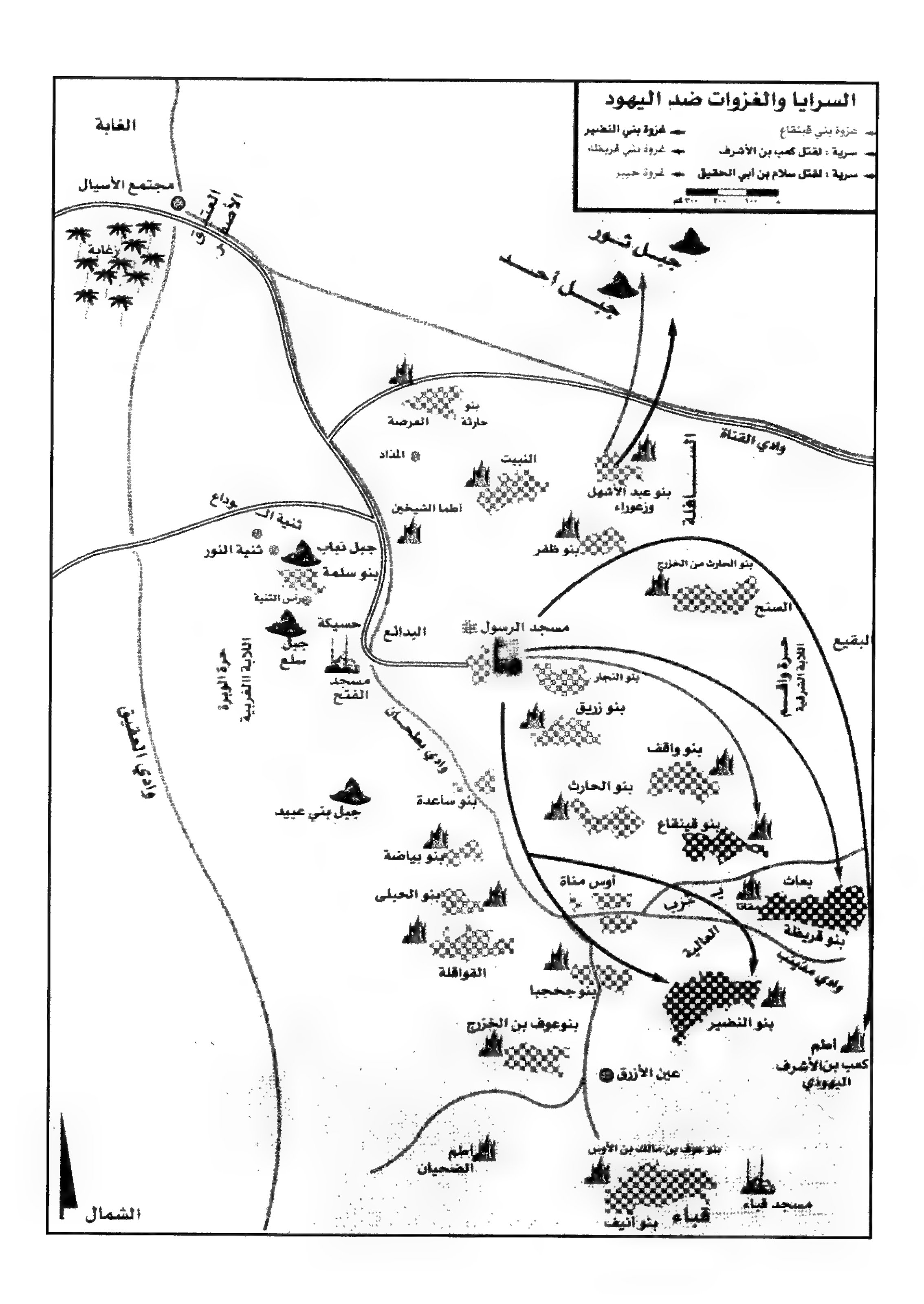
جبال جهينة
جبل رضوى
بواط
بئر معونة
المدينة المنورة
قباء
ذو الحليفة
ينبع النخل
عين المبارك
وادي العقيق
حرة مزين
وادي الصفراء
الصفراء
حمراء الأسد
بدر
العرج
الشفية
وادي القاحة
بئر صالح
الريانة
مهد الذهب
أم البرك
المريض
وادي الفرع
الأبواء
مستورة
صفينة
الغرار
بئر غاير
رابغ
وادي ستارة
حرة بني سليم
بئر العوادي
حصنة
الجحفة
مريسيع
قديد
البحر الأحمر
بنو المصطلق
ذات عرق
البركة
أمج
وادي غران
إلى نجد
عسفان
وادي العقيق
عشيرة
قرن المنازل
الجموم
عرفات
وادي فاطمة
الحديبية
مكة المكرمة
الشمال
غزوة
بني المصطلق
٥٠كم
٢٥
٠



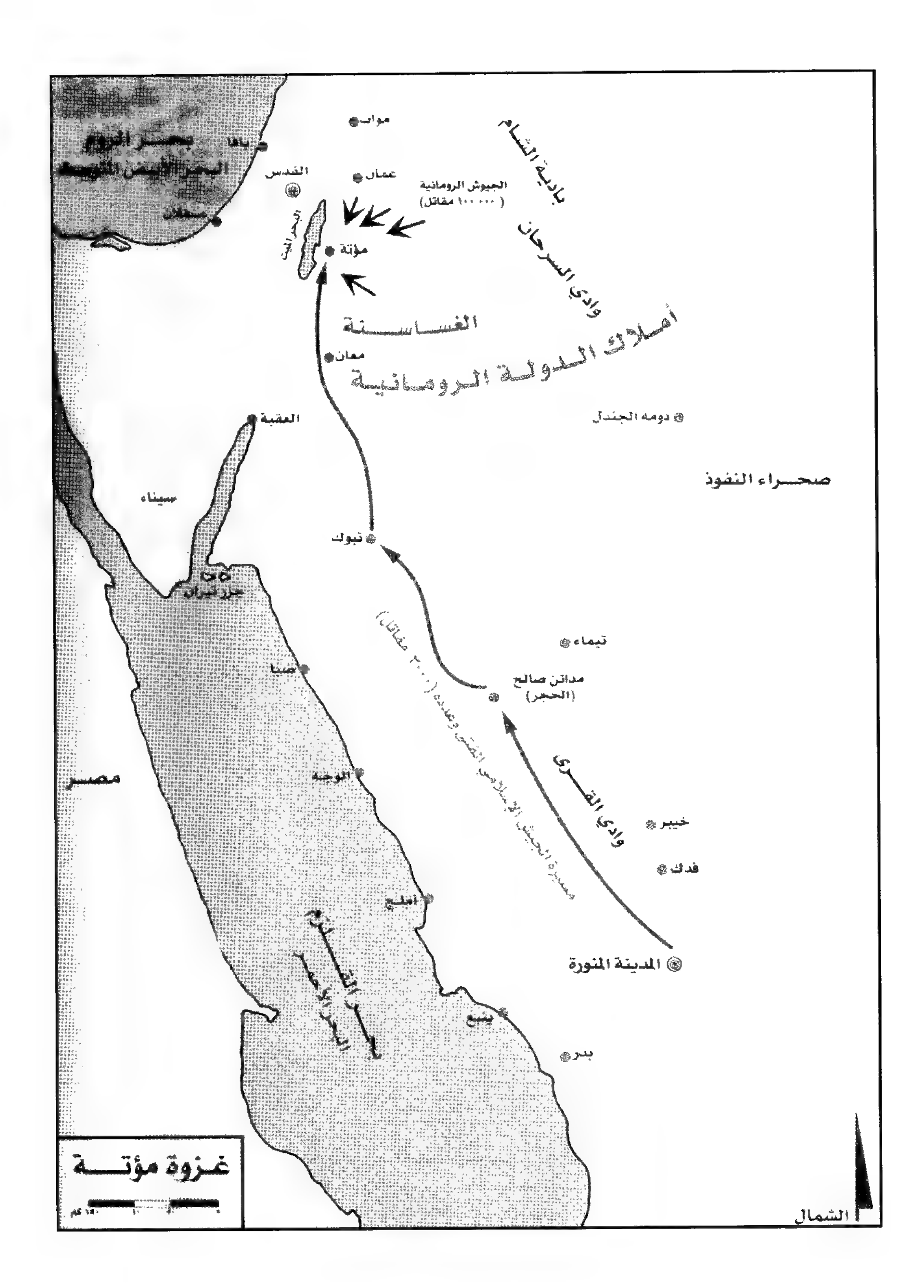
جبل رضوى
بواط
المدينة المنورة
قباء
ذو الحليفة
وادي الصفراء
الصفراء
حمراء الأسد
بدر
صخور بازلتية
مستورة
صفينة
الخرار
رابغ
وادي ستارة
حصنة
الجحفة
قديد
البركة
ذات عرق
أمج
عسفان
عشيرة
قرن المنازل
نخلة
جدة
مكة المكرمة
الحديبية
الشمال
غزوة
الحديبية
٠ ٢٥ ٥٠ كم



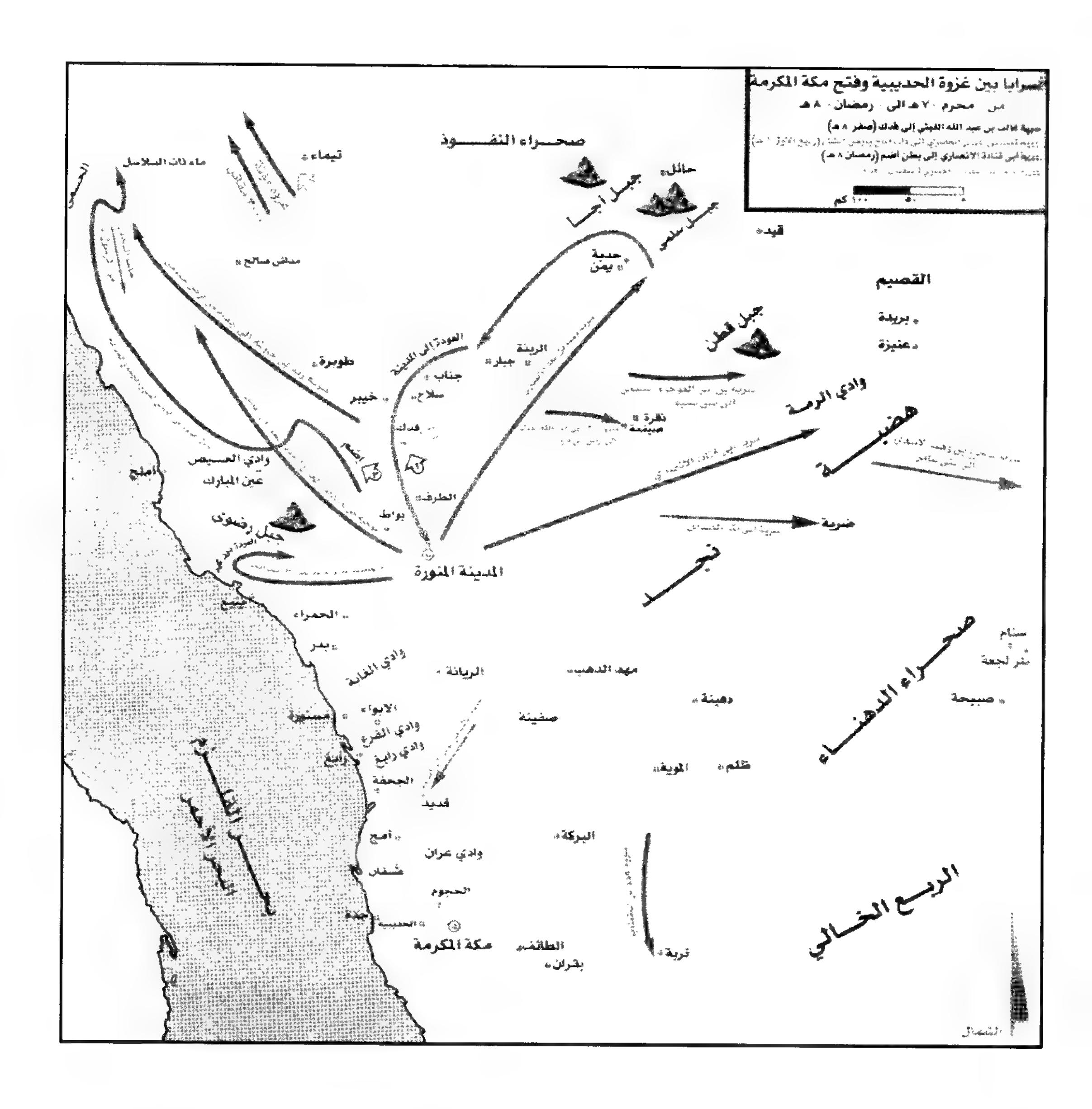
تل الكتيبة
حصن أبي
الصخرة
الرجيع
تل النطاة
حصن القموص
مسجد الصخرة
المنزلة
الخرصة
حصن النزار
حصن سلالم
حصن ناعم
السبخة أو المخاضة
قلعة الزبير
حصن الوطيح
حصن مرحب
حصن الصعب بن معاذ
حصن سموان
الدومة
عين الحمة
حرة خيبر
دار بني قمة
جبل تمار
حرة الشقة
جبل أشمد
وادي الدومة
نقمى
الغابة السفلى
الغابة العليا
ثنية الوداع
المدينة المنورة
الشمال
فتح خيبر
اتجاه دخول المسلمين إلى خيبر

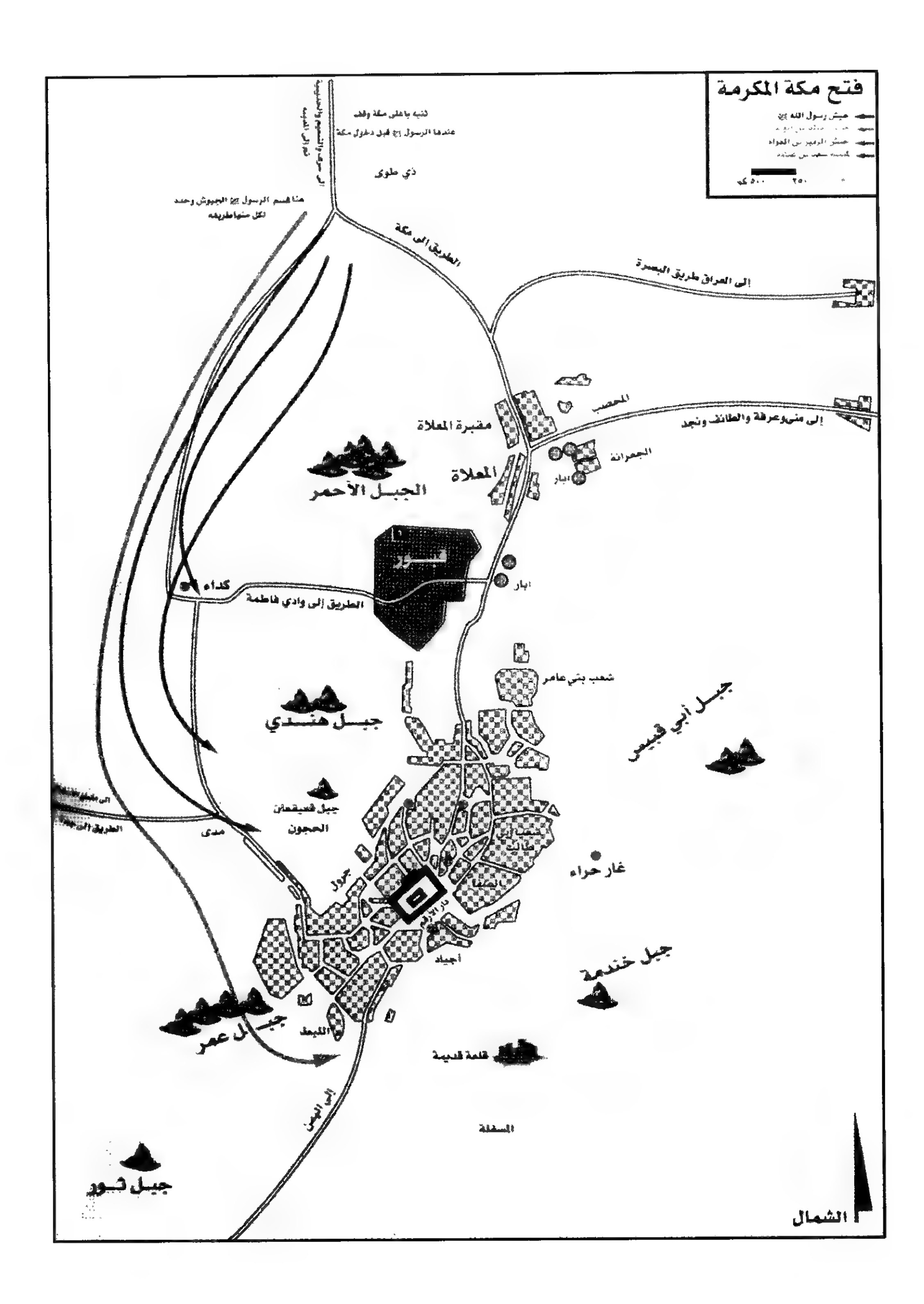


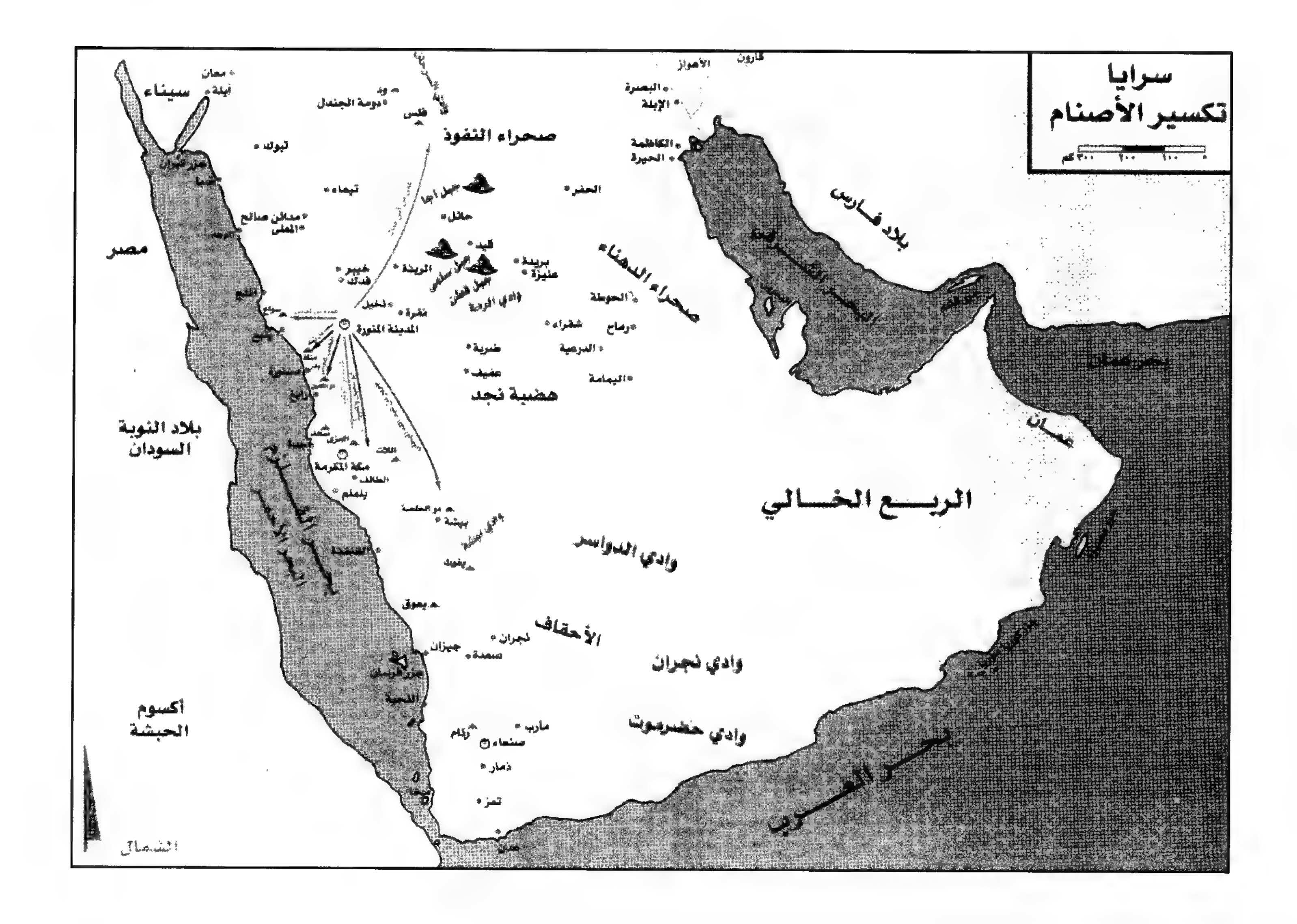
السرايا والغزوات ضد اليهود
غزوة بني قينقاع
غزوة بني النضير
سرية : لقتل كعب بن الأشرف
غزوة بني قريظة
سرية : لقتل سلام بن أبي الحقيق
غزوة خيبر
الغابة
مجتمع الأسيال
زغابة
جبل ثور
جبل أحد
بنو حارثة
العرصة
وادي القناة
المذاد
النبيت
بنو عبد الأشهل وزعوراء
أطما الشيخين
بنو ظفر
ثنية الوداع
جبل ذباب
ثنية النور
بنو سلمة
رأس الثنية
بنو الحارث من الخزرج
الصنح
حسيكة
جبل سلع
اليدائع
مسجد الرسول ﷺ
البقيع
مسجد الفتح
حرة الوبرة اللابة الغربية
بنو النجار
بنو زريق
حرة واقم اللابة الشرقية
وادي بطحان
وادي العقيق
بنو واقف
بنو الحارث
جبل بني عبيد
بنو ساعدة
بنو قينقاع
بنو بياضة
أوس مناة
بعاث
بنو الحبلى
العالية
بنو قريظة
القواقلة
بنو جحجبا
وادي مذينيب
بنو النضير
بنوعوف بن الخزرج
أطم كعب بن الأشرف اليهودي
عين الأزرق
أطم الضحيان
بنو عوف بن مالك بن الأوس
مسجد قباء
قباء
بنو أنيف
الشمال



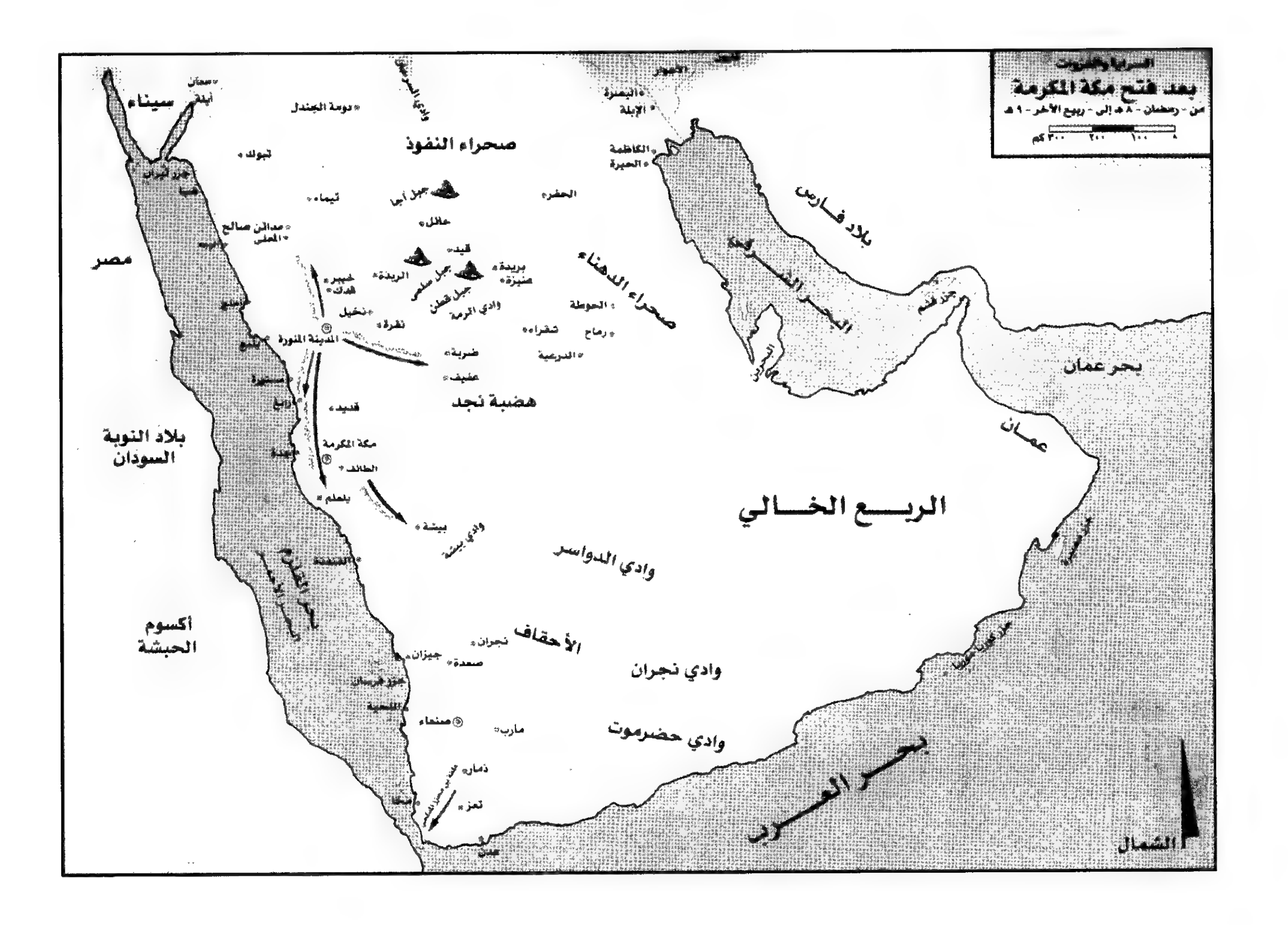
غزوة مؤتة
بحر الروم
البحر الأبيض المتوسط
يافا
عسقلان
القدس
مواب
عمان
الجيوش الرومانية
(١٠٠٠٠٠ مقاتل)
البحر الميت
مؤتة
بادية الشام
وادي السرحان
الغساسنة
أملاك الدولة الرومانية
معان
العقبة
دومة الجندل
صحراء النفوذ
سيناء
تبوك
تيماء
مداين صالح
(الحجر)
وادي القرى
خيبر
فدك
المدينة المنورة
ينبع
بدر
الوجه
أملج
مصر
الشمال

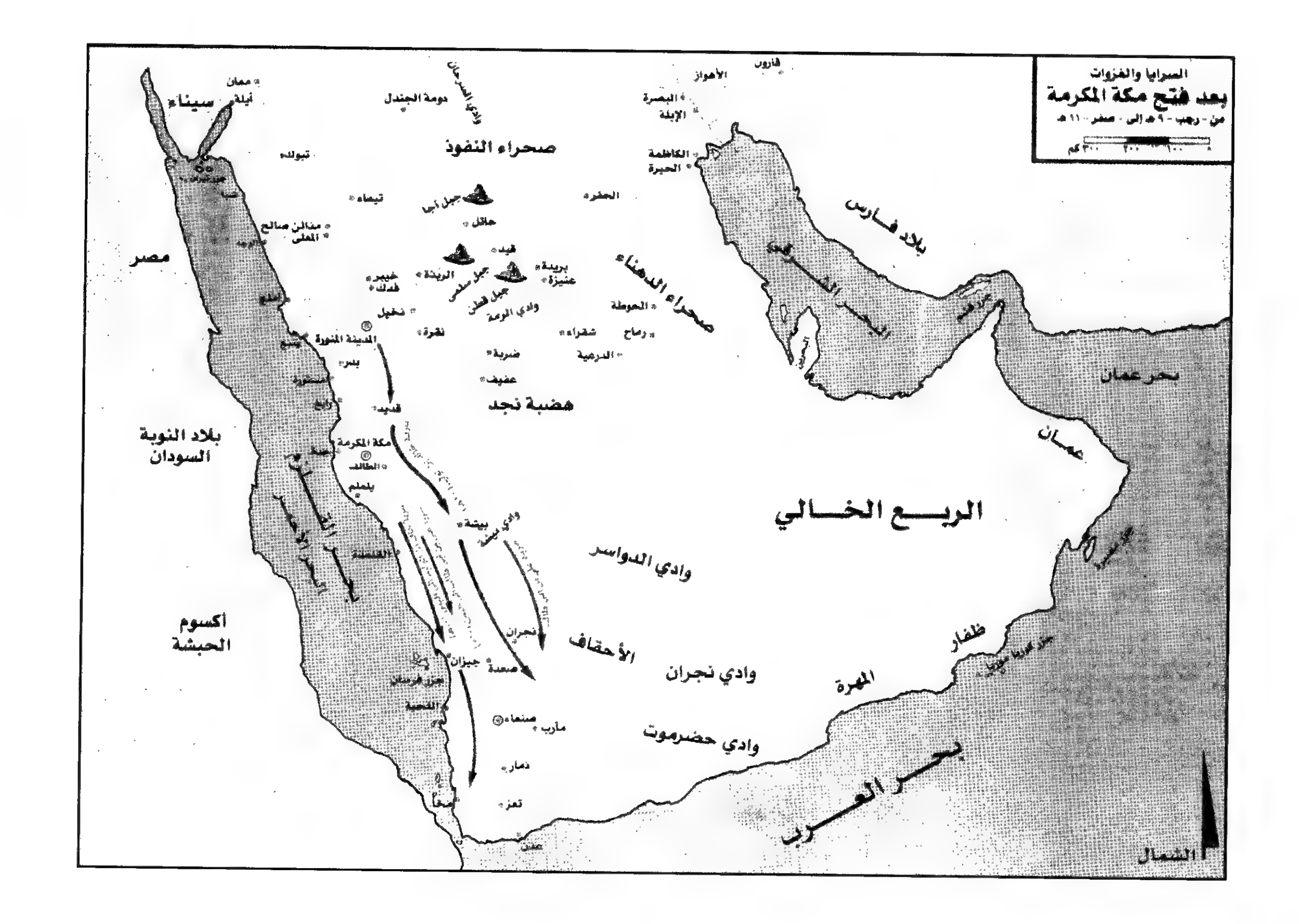

سرايا بين غزوة الحديبية وفتح مكة المكرمة
من محرم ٧ هـ الى رمضان ٨ هـ
سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى فدك (صفر ٨ هـ)
سرية أبي قتادة الأنصاري إلى بطن اضم (رمضان ٨ هـ)
١٠٠ كم
صحراء النفود
تيماء
ماء ذات السلاسل
حائل
جبل أجا
جبل سلمى
قيد
مدائن صالح
حدية
يمن
القصيم
بريدة
عنيزة
جبل قطن
طوبرة
خيبر
العودة إلى المدينة
جناب
جبار
الزبنة
سلاح
فدك
وادي الرمة
نقرة
ميفعة
هضبة
أضم
أملج
وادي العيص
عين المبارك
جبل رضوى
بواط
الطرف
ضرية
المدينة المنورة
نجد
الحمراء
بدر
وادي الغابة
الريانة
مهد الذهب
صحراء الدهناء
سنام
صبيحة
دفينة
صفينة
الأبواء
مستورة
وادي الفرع
وادي رابغ
رابغ
الجحفة
ظلم
المويه
قديد
البركة
أمج
وادي عران
عسفان
الجموم
الحديبية
جدة
مكة المكرمة
الطائف
تربة
بقران
الربع الخالي
البحر الأحمر


فتح مكة المكرمة
ذي طوى
الطريق الى مكة
إلى العراق طريق البصرة
إلى منى وعرفة والطائف ونجد
المحصب
مقبرة المعلاة
الجعرانة
المعلاة
الجبل الأحمر
كداء
الطريق إلى وادي فاطمة
شعب بني عامر
جبل أبي قبيس
جبل هندي
جبل قعيقعان
الحجون
غار حراء
الصفا
أجياد
جبل خندمة
جبل عمر
قلعة قديمة
المسفلة
جبل ثور
الشمال

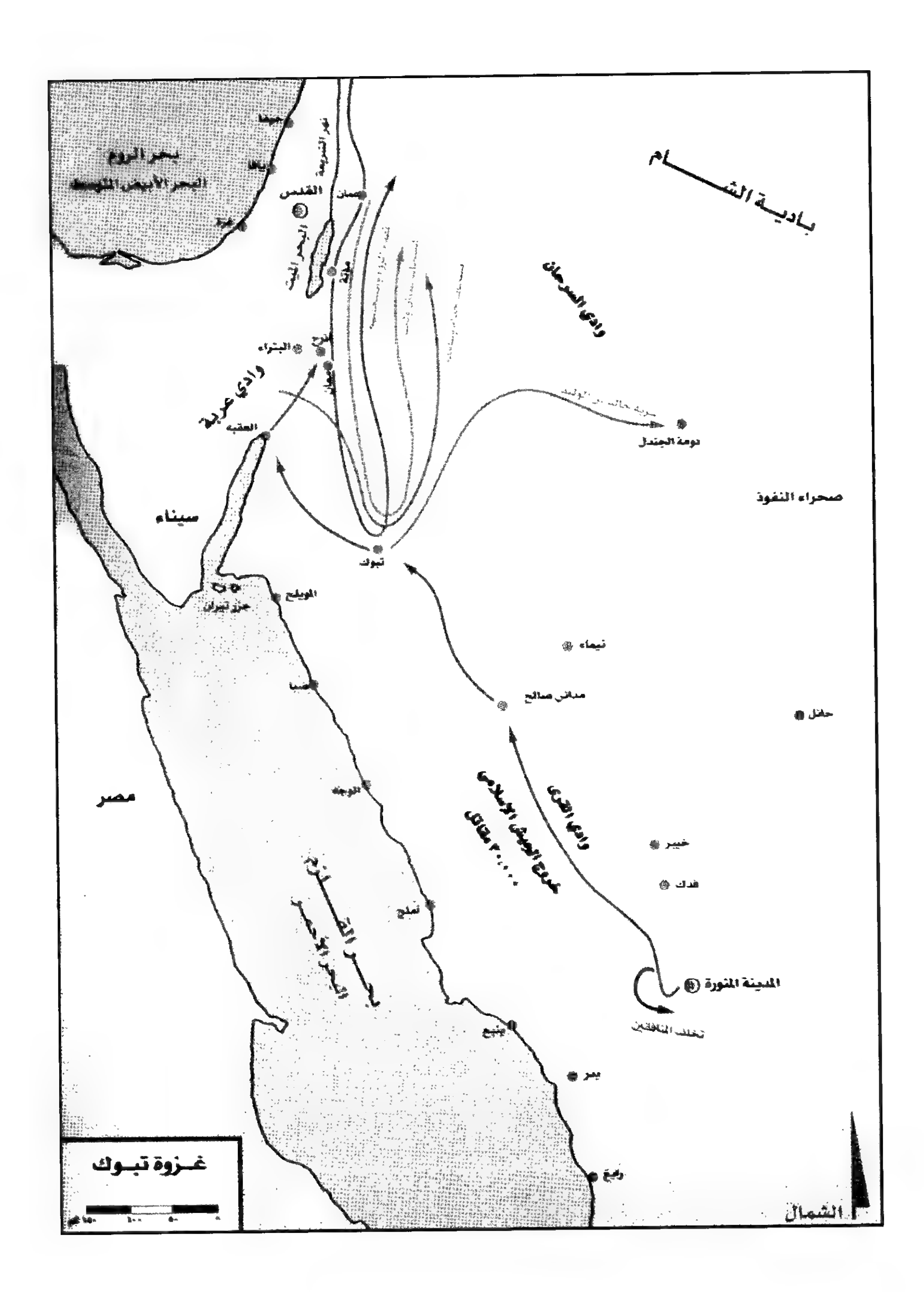


سرايا
تكسير الأصنام
سيناء
مصر
بلاد النوبة
السودان
أكسوم
الحبشة
صحراء النفود
هضبة نجد
صحراء الدهناء
الربع الخالي
وادي الدواسر
الأحقاف
وادي نجران
وادي حضرموت
بلاد فارس
عمان
بحر العرب
تبوك
تيماء
دومة الجندل
خيبر
فدك
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الطائف
حائل
الحضر
بريدة
عنيزة
الحوطة
شقراء
الدرعية
اليمامة
نجران
صعدة
جيزان
مأرب
صنعاء
ذمار
تعز
البصرة
الأبلة
الكاظمة
الحيرة
الأهواز
مدائن صالح
العلا
الشمال

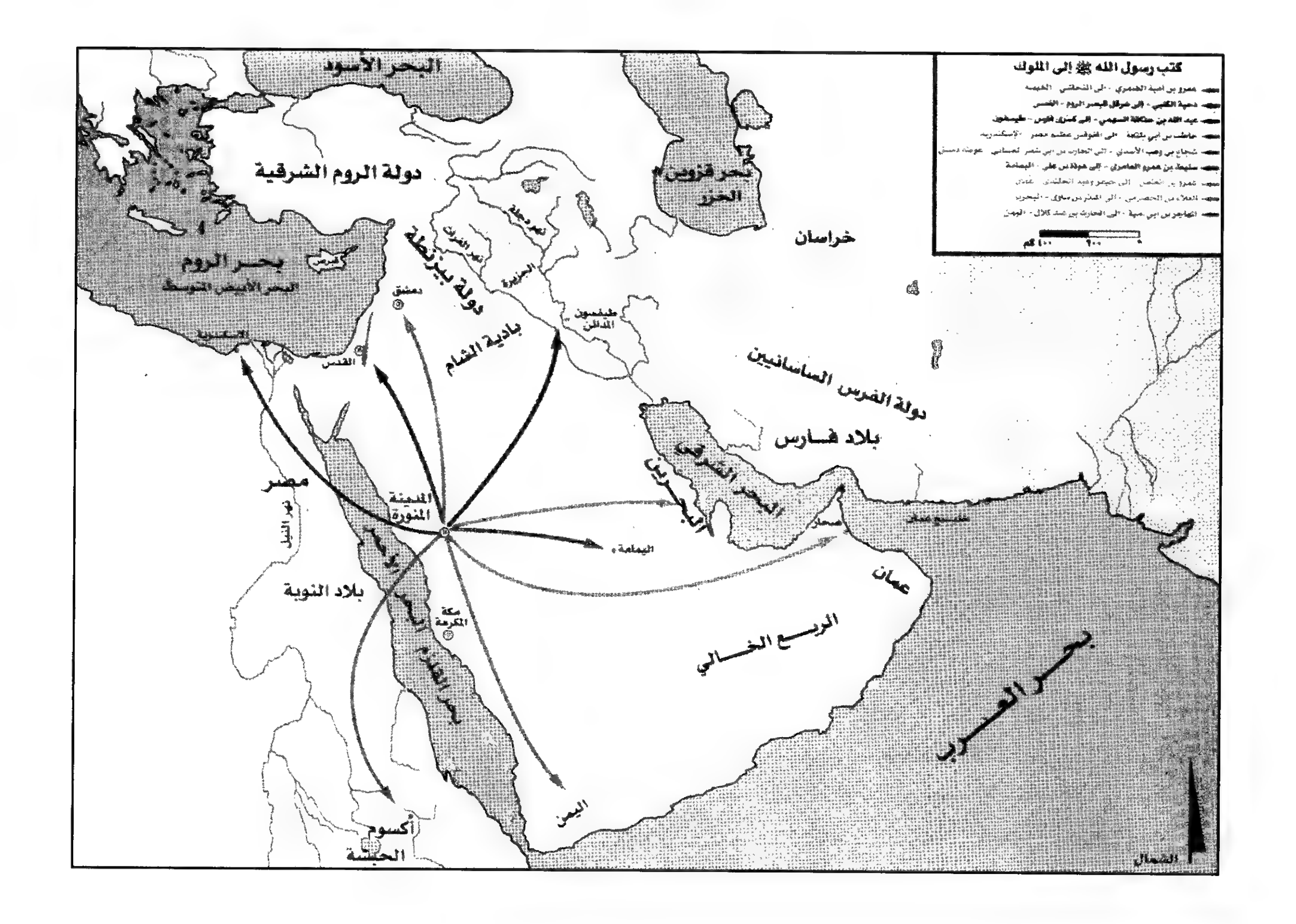

السرايا والبعوث
بعد فتح مكة المكرمة
من - رمضان - ٨ هـ إلى - ربيع الآخر - ٩ هـ
٣٠٠ كم
الشمال
سيناء
مصر
بلاد النوبة السودان
أكسوم الحبشة
دومة الجندل
صحراء النفود
تبوك
تيماء
جبل أجإ
حائل
مدائن صالح
فيد
خيبر
فدك
الربذة
جبل سلمى
بريدة
عنيزة
جبل قطن
وادي الرمة
نخيل
نقرة
المدينة المنورة
ضرية
عفيف
هضبة نجد
قديد
مكة المكرمة
الطائف
يلملم
بيشة
وادي بيشة
الحوطة
رماح
شقراء
الدرعية
صحراء الدهناء
الحفر
البصرة
الإبلة
الكاظمة
الحيرة
بلاد فارس
بحر عمان
عمان
الربع الخالي
وادي الدواسر
الأحقاف
نجران
صعدة
جيزان
وادي نجران
صنعاء
مارب
وادي حضرموت
ذمار
تعز
بحر العرب

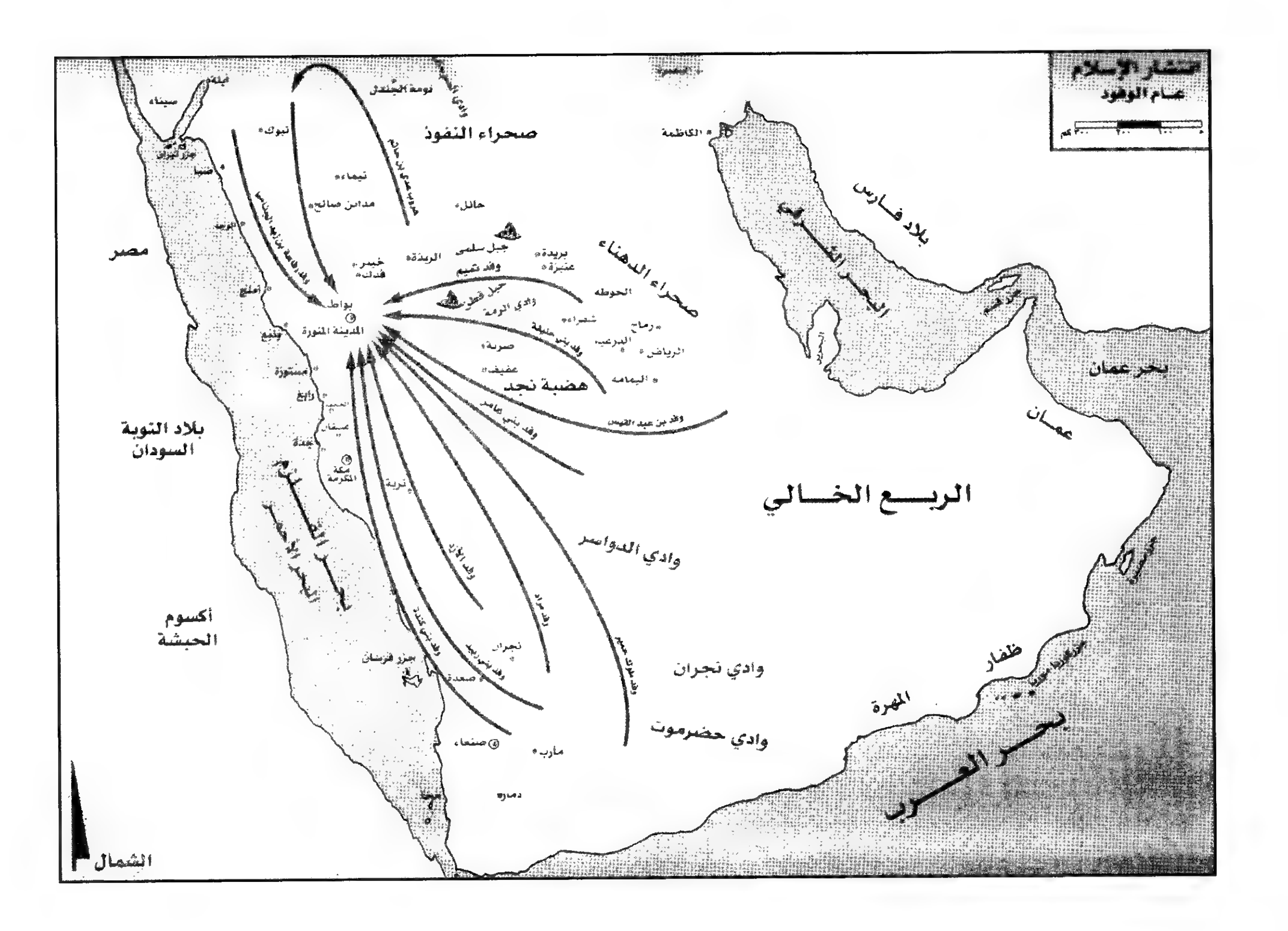


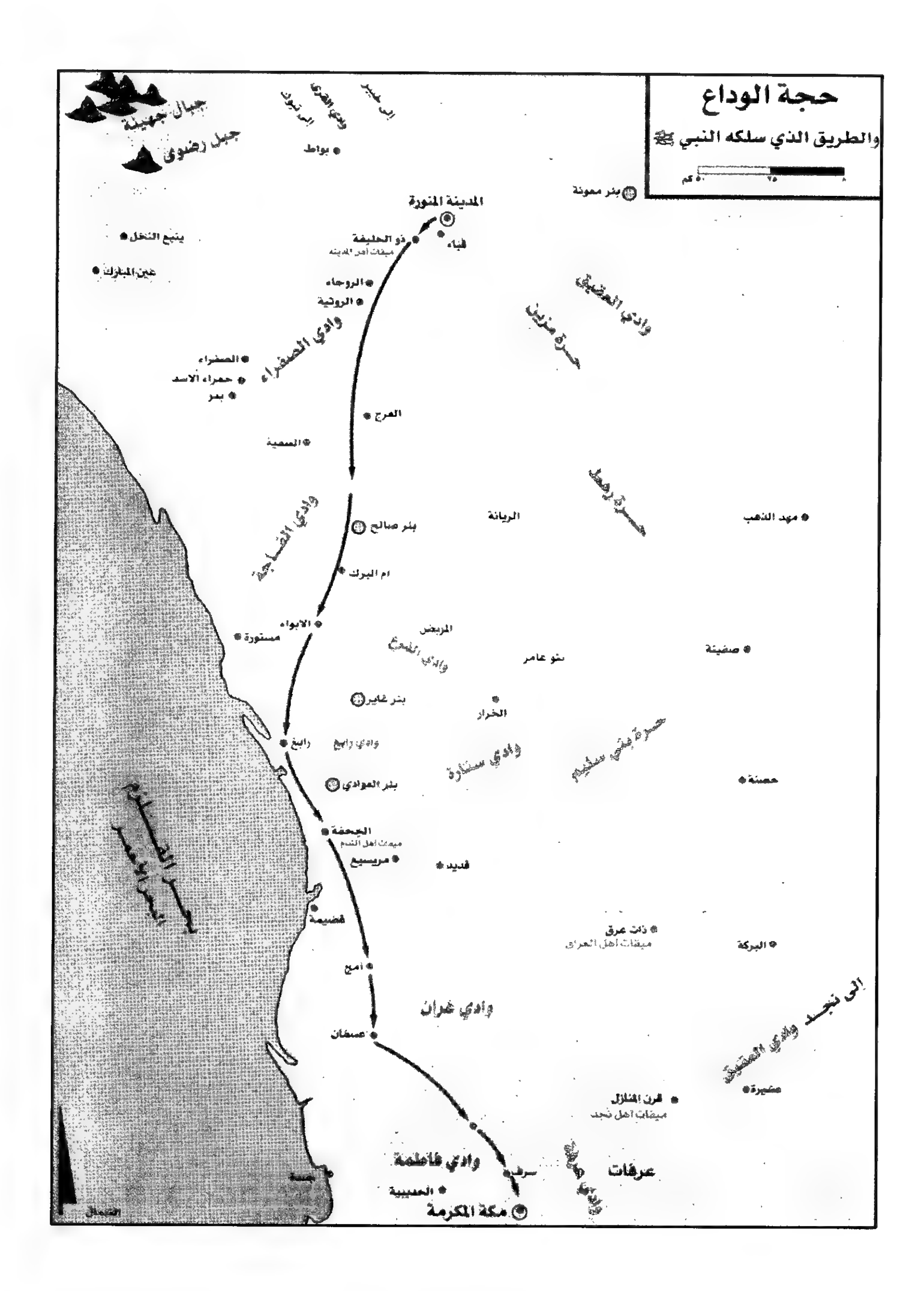
السرايا والغزوات
بعد فتح مكة المكرمة
من - رجب - ٩ هـ إلى - صفر - ١١ هـ
سيناء
أيلة
معان
تبوك
دومة الجندل
صحراء النفود
تيماء
جبل أجإ
حائل
مدائن صالح
العلى
مصر
فيد
جبل سلمى
الربذة
خيبر
فدك
بريدة
عنيزة
وادي الرمة
نخيل
المدينة المنورة
نقرة
الحوطة
شقراء
رماح
الدرمية
ضرية
عفيف
هضبة نجد
بدر
قديد
مكة المكرمة
الطائف
يلملم
بلاد النوبة
السودان
بيشة
الريع الخالي
وادي الدواسر
الأحقاف
أكسوم
الحبشة
نجران
صعدة
جيزان
وادي نجران
صنعاء
مارب
ذمار
تعز
عدن
وادي حضرموت
المهرة
ظفار
بحر العرب
الشمال
عمان
بحر عمان
بلاد فارس
صحراء الدهناء
الحفر
الكاظمة
الحيرة
البصرة
الإبلة
الأهواز
قارون



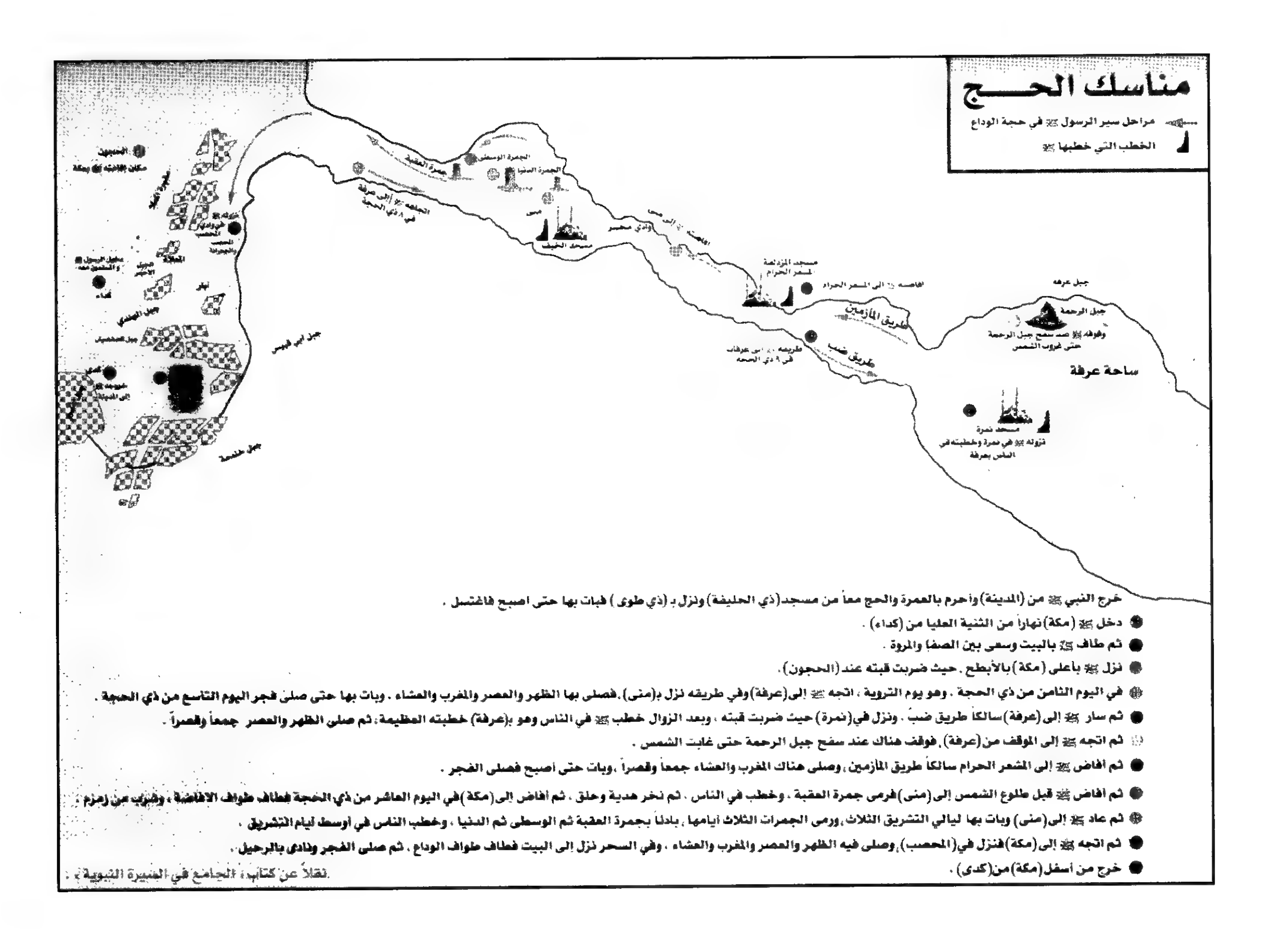
بحر الروم
البحر الأبيض المتوسط
القدس
البحر الميت
بادية الشام
وادي السرحان
البتراء
وادي عربة
العقبة
دومة الجندل
صحراء النفوذ
سيناء
تبوك
الويلح
تيماء
مدائن صالح
حائل
مصر
وادي القرى
خيبر
فدك
المدينة المنورة
ينبع
بدر
رابغ
غزوة تبوك
الشمال


كتب رسول الله ﷺ إلى الملوك
عمرو بن أمية الضمري - إلى النجاشي - الحبشة
دحية الكلبي - إلى هرقل قيصر الروم - القدس
عبد الله بن حذافة السهمي - إلى كسرى فارس - طيسفون
حاطب بن أبي بلتعة - إلى المقوقس عظيم مصر - الإسكندرية
شجاع بن وهب الأسدي - إلى الحارث بن أبي شمر الغساني - غوطة دمشق
سليط بن عمرو العامري - إلى هوذة بن علي - اليمامة
عمرو بن العاص - إلى جيفر وعبد الجلندي - عمان
العلاء بن الحضرمي - إلى المنذر بن ساوى - البحرين
المهاجر بن أبي أمية - إلى الحارث بن عبد كلال - اليمن
كم
البحر الأسود
دولة الروم الشرقية
بحر قزوين
الخزر
خراسان
بحـــر الروم
البحر الأبيض المتوسط
قبرص
دمشق
القدس
الإسكندرية
دولة بيزنطة
بادية الشام
الجزيرة
طيسفون
المدائن
دولة الفرس الساسانيين
بلاد فـــارس
البحرين
اليمامة
صحار
عمان
مصر
نهر النيل
المدينة المنورة
بلاد النوبة
مكة المكرمة
الربــع الخـــالي
بحــر العـــرب
اليمن
أكسوم
الحبشة
الشمال

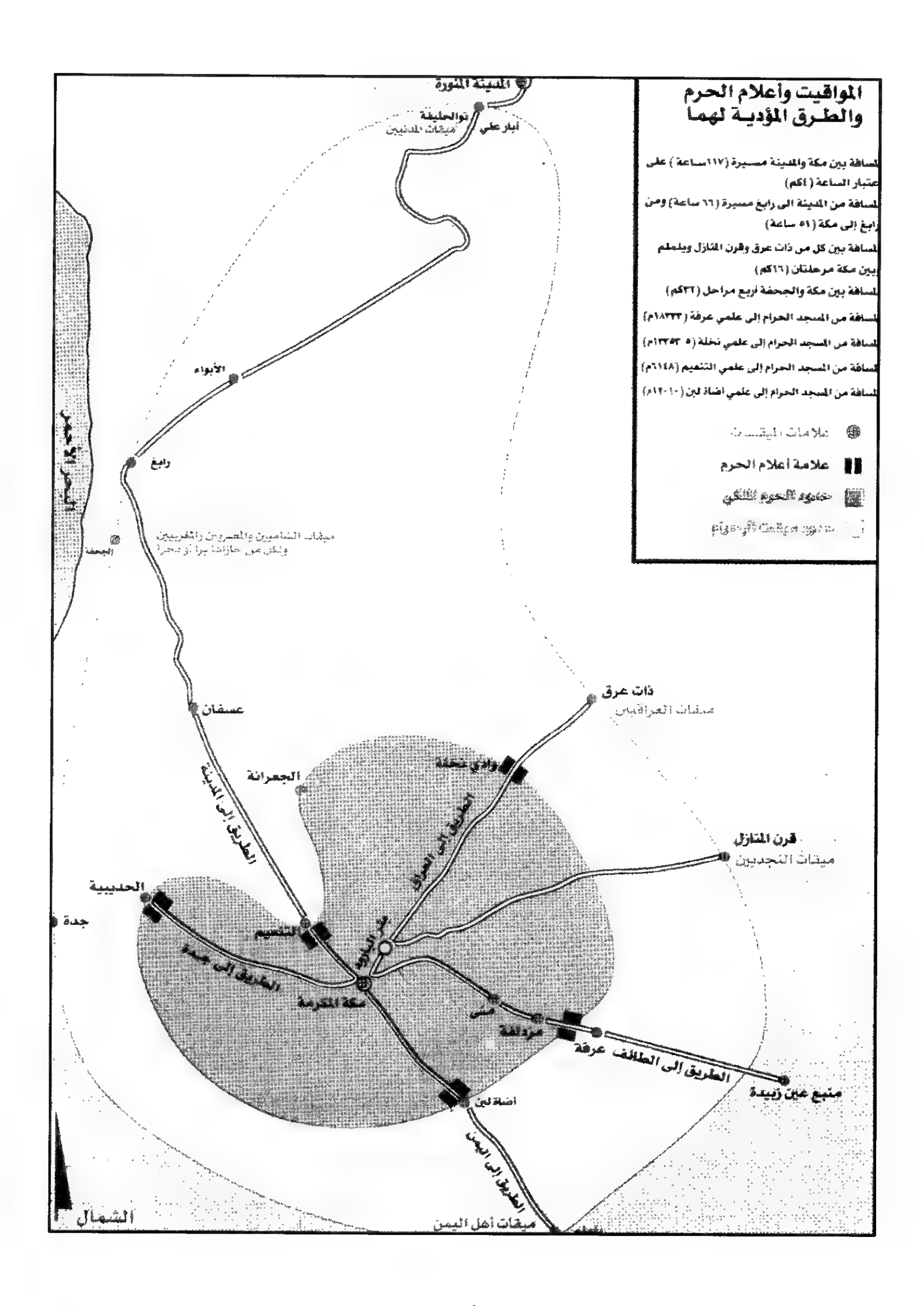

انتشار الإسلام
عام الوفود
صحراء النفوذ
بلاد فارس
مصر
بلاد النوبة
السودان
أكسوم
الحبشة
الربع الخالي
وادي الدواسر
وادي نجران
وادي حضرموت
المهرة
ظفار
بحر العرب
عمان
بحر عمان
صحراء الدهناء
هضبة نجد
المدينة المنورة
بواط
خيبر
فدك
الربذة
جبل سلمى
وفد تميم
بريدة
عنيزة
الحوطه
الرياض
اليمامة
ضرية
عفيف
وفد بن عبد القيس
تبوك
تيماء
مدائن صالح
حائل
دومة الجندل
الكاظمة
سيناء
ينبع
رابغ
جدة
مكة المكرمة
نجران
صنعاء
مارب
الشمال



حجة الوداع
والطريق الذي سلكه النبي ﷺ
كم
جبال جهينة
جبل رضوى
إلى خيبر
بواط
بئر معونة
المدينة المنورة
قباء
ذو الحليفة
ميقات أهل المدينة
ينبع النخل
الروحاء
الرويثة
وادي الصفراء
وادي العقيق
الصفراء
حمراء الأسد
بدر
العرج
بئر صالح
الريانة
حرة رهط
مهد الذهب
ام البرك
الأبواء
مستورة
بنو عامر
صفينة
الخرار
رابغ
وادي رابغ
وادي ستارة
حرة بني سليم
الجحفة
ميقات أهل الشام
قديد
ذات عرق
ميقات أهل العراق
البركة
أمج
وادي غران
عسفان
إلى نجد
قرن المنازل
ميقات أهل نجد
وادي فاطمة
سرف
عرفات
الحديبية
مكة المكرمة
جدة
البحر الأحمر
الشمال



مناسك الحج
مراحل سير الرسول ﷺ في حجة الوداع
الخطب التي خطبها ﷺ
جبل عرفه
جبل الرحمة
ساحة عرفة
مسجد نمرة
طريق المأزمين
طريق ضب
مسجد المزدلفة المشعر الحرام
وادي محسر
مسجد الخيف
منى
الجمرة الوسطى
الجمرة الدنيا
جمرة العقبة
جبل أبي قبيس
خرج النبي ﷺ من (المدينة) وأحرم بالعمرة والحج معاً من مسجد (ذي الحليفة) ونزل بـ (ذي طوى) فبات بها حتى أصبح فاغتسل .
دخل ﷺ (مكة) نهاراً من الثنية العليا من (كداء) .
ثم طاف ﷺ بالبيت وسعى بين الصفا والمروة .
نزل ﷺ بأعلى (مكة) بالأبطح . حيث ضربت قبته عند (الحجون) .
في اليوم الثامن من ذي الحجة . وهو يوم التروية . اتجه ﷺ إلى (عرفة) وفي طريقه نزل بـ (منى) . فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وبات بها حتى صلى فجر اليوم التاسع من ذي الحجة .
ثم سار ﷺ إلى (عرفة) سالكاً طريق ضبٍ . ونزل في (نمرة) حيث ضربت قبته . وبعد الزوال خطب ﷺ في الناس وهو بـ (عرفة) خطبته العظيمة ; ثم صلى الظهر والعصر جمعاً وقصراً .
ثم اتجه ﷺ إلى الموقف من (عرفة) . فوقف هناك عند سفح جبل الرحمة حتى غابت الشمس .
ثم أفاض ﷺ إلى المشعر الحرام سالكاً طريق المأزمين . وصلى هناك المغرب والعشاء جمعاً وقصراً . وبات حتى أصبح فصلى الفجر .
ثم أفاض ﷺ قبل طلوع الشمس إلى (منى) فرمى جمرة العقبة . وخطب في الناس . ثم نحر هدية وحلق . ثم أفاض إلى (مكة) في اليوم العاشر من ذي الحجة فطاف طواف الافاضة . وشرب من زمزم .
ثم عاد ﷺ إلى (منى) وبات بها ليالي التشريق الثلاث . ورمى الجمرات الثلاث أيامها . بادئاً بجمرة العقبة ثم الوسطى ثم الدنيا . وخطب الناس في أوسط أيام التشريق .
ثم اتجه ﷺ إلى (مكة) فنزل في (المحصب) . وصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء . وفي السحر نزل إلى البيت فطاف طواف الوداع . ثم صلى الفجر ونادى بالرحيل .
خرج من أسفل (مكة) من (كدى) .
نقلاً عن كتاب : الجامع في السيرة النبوية .


المواقيت وأعلام الحرم
والطرق المؤدية لهما
لمسافة بين مكة والمدينة مسيرة (١١٧ساعة) على
عتبار الساعة (٤كم)
لمسافة من المدينة الى رابغ مسيرة (٦٦ ساعة) ومن
رابغ إلى مكة (٥١ ساعة)
لمسافة بين كل من ذات عرق وقرن المنازل ويلملم
وبين مكة مرحلتان (٦١كم)
لمسافة بين مكة والجحفة اربع مراحل (٣٢كم)
لمسافة من المسجد الحرام إلى علمي عرفة (١٨٣٣٣م)
لمسافة من المسجد الحرام إلى علمي نخلة (١٣٣٥٣م)
لمسافة من المسجد الحرام إلى علمي التنعيم (٦١٤٨م)
لمسافة من المسجد الحرام إلى علمي اضاة لبن (١٢٠١٠م)
علامة أعلام الحرم
المدينة المنورة
ذو الحليفة
أبار علي
ميقات المدنيين
الأبواء
رابغ
البحر الأحمر
الجحفة
ميقات الشاميين والمصريين والمغربيين
ولكل من حاذاها برا أو بحرا
عسفان
ذات عرق
ميقات العراقيين
وادي نخلة
الجعرانة
الطريق إلى المدينة
الطريق إلى العراق
قرن المنازل
ميقات النجديين
الحديبية
جدة
التنعيم
الطريق إلى جدة
مكة المكرمة
منى
مزدلفة
عرفة
الطريق إلى الطائف
منبع عين زبيدة
اضاة لبن
الطريق إلى اليمن
ميقات أهل اليمن
الشمال

ثبت مضمون الكتاب

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الخاتمة	٤٢٣
الباب الأوَّل : في أَحواله النَّفسيَّة ، وفيه ست فصول	٤٢٥
فصلٌ : في حسن خِلْقته ﷺ	٤٢٧
فائدة : في أَشبهِ النّاس صورةً بالنَّبيِّ ﷺ	٤٢٧
فصلٌ : في حُسن خُلُقه ﷺ	٤٢٩
فصلٌ : في وفور عقله ﷺ	٤٣٠
وصفُ ما ٱمتاز به النَّبيُّ ﷺ في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ	٤٣٠
فصلٌ : في حُسن عِشرته ﷺ	٤٣٢
فصلٌ : في سماحته وجوده ﷺ	٤٣٤
فصلٌ : في شجاعته ﷺ	٤٣٦
فصلٌ : في زهده ﷺ	٤٣٧
وصفُ زُهد النَّبيِّ ﷺ	٤٣٨
الباب الثّاني : في أَقواله القُدسيَّة ، وفيه عشرة فصول	٤٣٩
فصلٌ : في سوابق الصَّلاة	٤٤١
دعاؤهُ ﷺ إذا أَمسىٰ وإذا أَصبحَ	٤٤١
دعاؤهُ ﷺ إذا لبسَ ثوباً جديداً	٤٤٢
دعاؤهُ ﷺ إذا خرجَ مِنْ بيته	٤٤٢
دعاؤهُ ﷺ إذا دخلَ الخَلاءَ أَو خرجَ منهُ	٤٤٣
دعاؤهُ ﷺ في الوضوءِ	٤٤٣
دعاؤهُ ﷺ إذا خرجَ إلىٰ الصَّلاةِ	٤٤٤
دعاؤهُ ﷺ عندَ دُخولِ المَسجدِ	٤٤٥
دعاؤهُ ﷺ إذا سَمِعَ الأَذان	٤٤٥
فصلٌ : في الصَّلاة	٤٤٧
أَذكارُهُ ﷺ في ٱفتتاحِ الصَّلاةِ	٤٤٧

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

حدائق الأنوار ومطالع الأسرار
في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم

إن أحسن ما سطرت الأقلام، وأفضل ما ورثه لنا علماؤنا الأعلام .. **سيرة سيد الأنام** عليه الصلاة والسلام ؛ **فخير الهدي** هديه الأقوم ، **وأفضل الأخلاق** خلقه الأعظم ، صلى الله عليه وسلم .

ولقد صنف العلماء في سيرته العطرة المختصر والمطول ، والمجمل والمفصل ، **وهٰذا كتاب منتخب** ، اصطفاه مؤلفه مما سبقه من الكتب ، **في سيرة سيد العجم والعرب** ، صلى الله وعليه وسلم وشرف وكرم .

وحدائق الأنوار كتاب عظيم الوقع ، **جم الفوائد** كثير النفع ، **لطيف الحجم** كثير العلم ، **يحيي القلب** بالكلم الطيب العذب .

قسمه مؤلفه إلىٰ قسمين: قسم المبادئ والسوابق ، وقسم في المقاصد واللواحق ، **وحلاه بالفوائد** ، وطرزه بالفرائد ، حري بهٰذا الكتاب **أن يقرأ في المجالس والمدارس** ، وقد أثبتت **دار المنهاج** نسبة الكتاب لمؤلفه بعد أن نشر لغيره ، **فعاد الحق لأهله** .


ISBN: 978 - 9953 - 498 - 71 - 3